

عن وحي الهجرة :

## في مدارج القوة بين المنطلق والغاية

بِقلمِ الأَسْتَاذِ بَخَارِيِّ أَحْمَدِ عَبْدِهِ

عُضُوِّ مَجْلِسِ اِدَارَةِ أَنْصَارِ السَّنَةِ الْمُحْمَدِيَّةِ بِالاسْكَنْدَرِيَّةِ

لَا خَلَافٌ فِي أَنَّ الْهِجَرَةَ مِنْطَلَقُ الْمُسْلِمِينَ ، فَهِيَ تَمْثِيلٌ بِحَقِّ طُورِ  
الْحَرْكَةِ فِي الْكِيَانِ الْإِسْلَامِيِّ وَلَا خَلَافٌ فِي أَنَّ غَايَةَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمُ الْكَمَالِ  
وَالنِّعْمَةِ الْغَامِرَةِ وَنَصْرِ اللَّهِ وَالْفَتْحِ ( الْيَوْمُ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَأَتَمَّتُ  
عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتِي لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيْنًا ) الْمَائِدَةُ ٠

وَالْمَرْحَلَةُ الَّتِي سَبَقَتِ الْهِجَرَةَ مَرْحَلَةٌ شَدَّ وَشْحَنَ بِالْقُوَىِ ، وَاخْتِبَارُ  
الْمَعَادِنِ ، وَتَطْبِيعُ ضِدِّ الْمَخَاطِرِ وَجَلَالِ الْاِحْدَادِ الَّتِي عَانَاهَا الْمُسْلِمُونَ  
فِي مَسِيرِهِمُ الْمُضْنِيَّ نَحْوَ الْقَمَةِ الشَّمَاءِ نَصْرِ اللَّهِ وَالْفَتْحِ – فَهِيَ اذْنُ –  
رَغْمِ مَا تَحْوِي مِنْ ضُنْيَ – مَرْحَلَةٌ حَيَوِيَّةٌ أَرْسَى فِيهَا حَجَرَ الْأَسَاسِ ٠  
وَلَقَدْ لَاقَ الْمُسْلِمُونَ فِي هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ عَنْتًا أَىٰ عَنْتًا ، وَلَكِنْ تَلَكَ الْمَعَانَةُ  
أَكْسَبَتِهِمْ مُنْعَةً وَمُنْتَهِمْ قَدْرَةً عَلَى الصَّمْدُودِ وَصَبْرًا ٠

وَالْهِجَرَةُ بِاعْتِبَارِهَا ذَكْرِيَّ حَفْلَتُ بِالتَّضْحِيَاتِ ، وَحَرْكَةُ أَفْضَتْ إِلَى  
الْقُوَّةِ وَالْمُنْعَةِ وَالْكَمَالِ – مَنَارَةٌ تَبَثُّ اِشْتِرَاطَاتِ هَادِيَّةٍ دَفِيَّةٍ لِلْأَمَّةِ اِجْتِاحٌ  
فِلَكُها رِيحٌ عَاصِفٌ ، وَبَاتُوا يَعْانُونَ الظُّلْمَةِ وَالْأَمْوَاجِ ، وَأَطْبَقُتُهُمْ عَلَيْهِمْ  
أَحْدَاثُ الْفَسَادِ وَآصَارُ الْغَفْلَةِ وَسَنَا الْبَرْقِ الْخَلْبِ ٠

وَهَدَائِيَّاتُهَا تَوَرَّثُ الدَّفَءَ لِسُلْطَنِ الْقَرْنِ الْعَشِيرِيِّ الْمُرْتَعِدِ الْمُغَرُورِ  
يَتَلَفَّتُ حَادِيَّهُ نَحْوَ الشَّرْقِ تَارَةً فَيُؤْخَذُ بِالْوَمِيَّضِ الْكَاذِبِ وَيُصْبِحُ بِأَهْلِهِ  
أَنِّي آنْسَتُ نَارًا لَعْلَى آتَيْتُكُمْ مِنْهَا بَخْرًا أَوْ جَذْوَةً مِنَ النَّارِ لِعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ  
وَيَتَلَفَّتُ نَحْوَ الْغَربِ تَارَةً فَيُؤْخَذُ بِالْبَرْقِ الْخَلْبِ وَيُصْبِحُ بِأَهْلِهِ اِمْكُثَوْا أَنِّي  
آنْسَتُ نَارًا لَعْلَى آتَيْتُكُمْ مِنْهَا بَقْبَسًا أَوْ أَجَدَ عَلَى النَّارِ هَدِيًّا ، هِيَ نُورٌ  
لِلْأَمَّةِ اِسْتَحْدَثُتُ فِي حَيَاتِهَا أَعْيَا دَا تَتوَهَّجُ وَلَا تَنْضَئُ وَتَبْرُقُ وَلَا تَغْيِثُ  
شَأنَ الْأَمَّمِ الْمُضْعِفَةِ تِسْتَكْثِرُ مِنَ الْأَعْيَا دَا لَتَفْرَغُ فِي ضَوْضَائِهَا مَا تَحْمِلُ  
مِنْ كَبَّتْ وَقَهْرَ وَذَلَّ وَلَقَسَى فِي خَدْرِهَا مَا تَعْانِي ، وَتَتَفَسَّ بِهَرْجِهَا عَنْ  
نَفْسِهَا ٠ هَكَذَا تَسْتَيْقِظُ الْمُشَاعِرُ فَجَأَةً رَدْحًا مِنَ الزَّمْنِ ثُمَّ تَخْبُو كَالشَّهَابِ ٠

ضوء ساطع وما له الى زمامه • ولبيت العبرة بقوة الانفعال ولكن باستمراره •

وبقدر ما تبعد الأمة عن الحقائق يكون غرامها بالظاهر وشغفها بالصبخ والضجيج • والأمة القوية تجرد من تاريخها كبرى الذكريات لتدى التحية لما تحوى أيامها من قيم وتبعث من مثل تحدوهم في مسيرتهم وتحيى فيهم الآمال وتفجر الطاقات وتهدى الى الطريق • فالحق أن ذكرى الهجرة — وان أضحت في دنيانا أخبارا تروى وأقاصيص تتعدد بلا روح — تحفل بالحقائق والأمثلة الرائعة والتوجيه الكريم والقوة التي هي غاية المسلمين من كل حركة ، والتي واكبت هذا الحدث العظيم •

فكلنا يعلم أن قد « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيال المسومة والأنعام والحرث » آل عمران •

ولا نزاع في أن الانسلاخ من هذه الشهوات يتطلب إيمانا بما عند الله من حسن المآب وعلما بحقيقة متاع الحياة الدنيا • كما يتطلب جهدا خارقا وقوعا معجزة تفه النزعات الھووية وتطرى النزوات الشھویۃ • وهذا تتجلی آثار التربية التي تولى الله بها رسوله وال المسلمين في سنى السكون والصمود فقد شحنوا بایمان فیاضن ، وانتصروا بذلك فوق أرضية صلبة ، وتخلصوا من شرك الشهوات وانطلقو بعقيدة نقية، حرية بأن تذيب العقبات وتجاوز بهم الموانع •

وبهذه التربية تحقق لل المسلمين حجم معين أمكنهم به أن يعتلوا أسوار الضعف ويسرفوا على مرابع القوة ويتحرکوا وكانوا من قبل يشكون الى الله ضعف القوة وقلة الحيلة والھوان على الناس وفي هذه المرحلة المبكرة مرحلة التربية والاعداد كانت نفوس القوم تمھج من آى القرآن تستد أعضادهم بدسمه ، وتحتد أبصارهم بهدیه ، وتبثب أفئدتهم وتطمئن بوعود السماء التي توالت منجمة في جرعات تناسب المقامات المختلفة فيها شفاء ورحمة للمؤمنين ، « وقال الذين كفروا لولا

نزل عليه القرآن جملة واحدة ، كذلك لنثبت به فؤادك ورتبناه ترتيباً  
الفرقان .

### تربية النفس

ويهمنى — قبل أن نخوض غمار الآيات المربيات — أن أقرر أن  
الاسلام الذى عم ضوء الآفاق ارتبط بغارين نفذ منهما الى مرحلتين  
متميزتين ، اختصت كل مرحلة بلون من ألوان التربية .

فالدين الذى أرسل الله به رسوله ليظهره على الدين كله كانت  
حراة مشكاة لنوره ، وكان ثور مشكاة أخرى أو محطة تقوية عكست  
الأضواء حتى عمت جنبات المدينة من خلال هاتين المحطتين سطع الحق  
وظهرت الكلمة .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم في كلا الغارين يعتزل الناس  
ويركز بكليته إلى الله ويحتب المادة ويوجه طاقاته كلها إلى الروح  
ويخرج منها مشحوناً بالقوة محفوفاً بالرعاية موقناً أن الحول كله بالله  
وأن النصر كله من عند الله .

وحتى يقر هذا المعنى في فؤاده من أول وهلة ، وكى ينمو جذع  
الدعوة قوياً مطمئناً نرى قرآن حراء في سورة العلق — وهي أول  
ما نزل في قول الأكثرين — يشيد بآلاء الله وقدراته وقواه الغالبة  
الضاربة .

فالله في سورة العلق يستفتح استفتاحاً يجمع معانى التربية والقدرة  
ويجلب جوانب القوة التي يكلاه الله بها هذا الدين ، ويثير غرائز التطلع  
والمعرفة فيمن يتلقونه ، ويرتفع برسوله إلى حيث يرى الناس أقزاماً  
ضعفاء أصلهم علق « اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من  
علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم »  
وكما يدفع إلى التفكير والبحث والاستقصاء ما أمكن الاستقصاء عند  
الإشارة إلى الخلق والانسان والعلق . يقف رسوله على الطبيعة الوعرة  
في هذا الانسان وعلى ضوء هذه المعرفة يستطيع أن يحدس ويحذر (١)  
أعداءه ، ويعد الدواء ويحدد الأسلوب الذي يتعامل معهم به « كلا ان  
الانسان ليطغى ان رآه استغنى » .

(١) الحدس : التخمين ، والحرز : التقدير والحرص .

ثم يرفع أمام الأنظار مثلاً من أمثلة الطفأة المستعين متعجباً  
مستحماً متداً بالطغيان . حتى إذا وضحت الصورة شجباً بقوته  
وجبروته وأحاطها بالصيحة التي تتخلع لها الأئمة « أرأيت الذي  
ينهى عبداً إذا صلى ، أرأيت أن كان على المهدى أو أمر بالتقوى ،  
أرأيت أن كذب وتولى ، ألم يعلم بأن الله يرى » ثم تأتي السفعة  
الآخدة المؤدبة « كلاً لأن لم ينته لمساعاً بالناصية ناصية كاذبة خاطئة  
فليدع ناديه سندع الزبانية » .

وهكذا يربى الله رسوله على الاعتزاز بالله والثقة بالعاقبة  
والاطمئنان إلى الركن الشديد الذي يؤويه « كتب الله لأغلبنا أنا ورسلي  
ان الله قوى عزيز » المجادلة .

ومن ذلك أن الله يبسط أمام رسوله أسباب الخير ففيومن أن يومه  
خير من أيامه ، وأن غده خير من يومه وأن الله يدرج به في مرافقى  
الكمال حتى ينتهي إلى الخير المطلق ( ولآخرة خير لك من الأولى ،  
ولسوف يعطيك ربك ففترضى ) . وبذلك يكون على بيته من ربه ويتلوه  
شاهد منه وحتى تتصل جذور هذا الاحساس فيه يسوق له شواهد  
من نفسه وبراهين من حاله ( ألم يجدك يتيمًا فآوى ، ووجدك ضالاً  
فهدى ، ووجدك عائلاً فاعنى ) .

ويوحى إليه فيما يوحى أنه مشمول بالعافية ، وأن عسره إلى يسره ،  
وشدته إلى رخاء ويؤكد ذلك بما يلمسه في نفسه ( ألم نشرح لك صدرك  
ووضعنا عنك وزرك . الذي أنقض ظهرك . ورفعنا لك ذكرك . فإن مع  
العسر يسراً ان مع العسر يسراً ) .

وهكذا تتپسست تحت أقدام المؤمنين أسباب الثقة بالمستقبل المحمود ،  
طبقاً لقالة الله ورسمه ووعده ( ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ،  
انهم لهم المنصوروون ، وأن جندنا لهم الغالبون ، فتقول عنهم حتى حين  
وابصرهم فسوف يتصرون ، أفعندهم علينا يستعجلون . فإذا نزل بساحتهم  
فسيء صباح المذريين . وتقول عنهم حتى حين . وأبصر فسوف يتصرون)  
الصفات . أترون الله يمهد بكلمتي ( تول ) للهجرة وبألفاظ الإبار  
( يتبع )

إلى ما تحقق بالهجرة ؟

زاد الدعاة

المقال الثاني

بخارى أحمد عبده

موجه التربية الدينية واللغة العربية

## في مدارج القوّة بين المفطلق والغاية

كذلك كانت السماء تتعهد قلوب المؤمنين فترجى حشوداً من المعانى  
لتستحيل في الأفئدة يقيناً وقوّة وبشرىٰ . وكذلك كان القرآن يطب  
النفوس ويسحرها حتى تكون ملسماء بيضاء مثل الصفا لا تضرها فتنّة  
ما دامت السموات والأرض .

ولقد اهتدينا في مسيرتنا السابقة بآيات مربيات ، يرسى الله بها  
قواعد القوّة فيتهدى القوى المضادة ، ويعلن أنه سبحانه مبرم قضاءه ،  
وممض سنته التي كتبها على نفسه (كتب الله لاغلين أنا ورسلى ان الله  
قوى عزيز ) « المجادلة » .

ويتكرر هذا المفهوم ، وتتوالى وعود الله المؤكدة — كلما اقتضى  
المقام ذلك ( ولو قاتلتم الذين كفروا لولوا الادبار ثم لا يجدون ولیاً  
ولا نصيراً ، سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً )  
« الفتح » .

ولعل من المناسب أن نستعيد هنا آيات الصافات نستروح أنسامها  
ونستقبل هدایاتها التي فعلت فعل البلسم الشاف في قلوب المؤمنين  
( فكروا به فسوف يعلمون ، ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ، انهم  
لهم المنصوروون ، وان جندنا لهم الغالبون ، فتول عنهم حتى حين ،  
وابصرهم فسوف ينصرون ، أفعيذابنا يستعجلون ، فإذا نزل بساحتهم  
فساء صباح المنذرين ، وتول عنهم حتى حين ، وأبصر فسوف ينصرون )  
« الصافات » .

فالآيات هذه طابت مقتضى الحال ، وراعت ظروف المسلمين  
كل المرااعة .

فالملام مقام اعلا للروح ، واذكاء للعزائم ، وتجميع لشعث القوى  
المنتفضة من جوى الواقع ، وبرح الحاضر المتهب ، ومقام تلويع  
بالنصر ، وتأكيد للعقوبة المحمودة .

ولتحقيق هذه الأهداف حفلت الآيات بتأكيدات شتى تجتث جذور  
القلق الذى تثيره ضربات القوى المضادة المجنونة .

تأكيدات بان ، واللام ، وقد ، وبكلمة سبقت التى تعنى البت ،  
وتؤدى بالالتزام وبضمير العظمة الذى يستحضر عظمة الواعد وقوه  
الناصر فى كلمتنا ، عبادنا ، جندنا ، أفيخذنا .

والقرآن الذى يشحن النفوس بالمعانى المنطلقة من ضمير العظمة ،  
هذا القرآن يستعمل فى مقامات التلطف والرفق ياء المتكلم التى تؤدى  
بالقرب ، وتزيل الوحشة ، وتنشر برد الامان والاطمئنان ، ويتجلى هذا  
أكثر ما يتجلى فى آية الدعاء ( اذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجياب  
دعاة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليرؤمنوا بى ) « البقرة » .

فأنت ترى أن هذه الياءات المذكورة والمحدوفة تضفى على المقام  
براحة ، وأملأ فى رحمة الله التى وسعت كل شىء ، وترسل موسيقى  
عذبة تملأ الاعطاف وتهدىء الاعصاب .

فإذا أضفنا إلى ما ذكرنا ما نرى « في آية الصافات » من ضمائر  
الفصل ، ومن تكرار كلمات « تول » و « أبصر » ، و ( يتصرون ) راعنا  
حشد من عوامل التأكيد يزف موكب النور إلى القلوب ويقر أسباب  
البيتين والثقة والامل فى نفوس المستضعفين وذلك طب القرآن ، والآيات  
تعتمد بالتريث والانتظار « فتول عنهم حتى حين » ولقد تولى المسلمون  
حينما من بعد حين ، رأوا عقبهما مصارع الطغاة فى بدر ، ثم الاستسلام  
المطلق يوم جاء نصر الله والفتح .

### التربية للهجرة

وإذا نقرر أن قد زين للناس حب الشهوات بأنواعها المختلفة ،  
فإن الاستقرار والارض هما العاملان اللذان يتيحان للناس ممارستها ،

فالارض هي الحرز الحرizer لكل الشهوات ، والموطن مركوز في الطياع فالانسان بطبيعته مشدود الى التربة ، واقتلاع الانسان نفسه من نطاقها يتطلب جهدا لا يقل عن الجهد الذي يبذل كى نخرج بمركباتنا الفضائية من نطاق جاذبية الارض يتطلب تربية رشيدة تبصر بحقيقة متاع الدنيا ، وتبشر بما عند الله من حسن المآب 。 والله تعالى بعد أن يصور ضعة الطبيعة البشرية المخلدة كل الاخلاص الى الشهوات والارض — يقذف بالحقيقة على هذه الصورة ويشجب معالماها فيسرع سبحانه ويلقر أن ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ، ثم يعرض بعد ذلك مباشرة صورة مقابلة لتلك ، عناصرها الخيرية المطلقة ، والنعيم الجميل ، والازدواج الظاهر ، والرضا ، والرعاية ( قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد ، الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنبنا وقنا عذاب النار ، الصابرين والصادقين والقانتين والمفقين والمستغفرين بالاسحاق ) « آل عمران » 。

وظنى أن القرآن حين يدمغ النزعة الشهوية بتلك الآيات ، وحين يعرض موقف السحرة ، ويسجل قالتهم في مواجهة طغيان فرعون ( قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البيانات ، والذى فطرنا ، فاقض ما أنت قاض ، إنما تتقضى هذه الحياة الدنيا ) « طه » 。

وحيث يسجل من أقوال الذى آمن قوله ( يا قوم إنما هذه الحياة متاع ، وإن الآخرة هي دار القرار ) « غافر » وحين يركز على هذا المعنى في آيات كثيرة أخرى . إنما يستهدف — فيما يستهدف — تربية المسلمين ليوم الهجرة وأيام الجهاد .

والله يتبعه رسوله — صلى الله عليه وسلم — بهذه التربية ، وبيهيئه نفسيا ليوم الخروج حتى يصبر نفسه كما صبر أولو العزم من الرسل .

فهو سبحانه يسخر لرسوله من أول لحظة ورقة بن نوفل يحدثه

عن الاحراج والخرجين حتى يكون مدعى من الموساد على يسب - بـ  
فؤاد رسوله ( هذا هو الناموس الذى نزل الله على موسى ، ياليتني فيها  
جذعا ، ليتني حيا اذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم : او مخرجى هم ؟ فقال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به  
 الا عودى ) « البخارى » .

والقرآن يصور فيما يصور من موقف الكفار - تهديدهم بالخروج  
 واستفتاحهم بالشر ، وخبيتهم ( وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم  
 من أرضنا ، أو لتعودن في ملتنا ، فأوحى إليهم ربهم لنهاكم الظالمين ،  
 ولنسكنكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي ، وخفاف وعد ،  
 واستفتحوا وحاب كل جبار عنيد ) « ابراهيم » .

وهذه الآية الموعدة المتوعدة يتقرر معناها في شيء من تعميم ،  
 في آية أخرى نزلت - على الارجح - فيهم أهل مكة بالخارج الرسول  
 ( وان كادوا ليفتفونك من الأرض ليخرجوك منها ، واذا لا يلبثون  
 خلافك الا قليلا ، سنة من قد أرسلنا قبلك من رسالنا ، ولا تجد لسننتنا  
 تحويلا ) « الاسراء » .

فالخروج أو التهديد به كان دائما منطق الكافرين حين يحيط بهم  
 الحق ، فتطوى القدرات وتقطع الحجة ويعبرون بتصرفات مجنونة عن  
 الاخفاق واليأس ( قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك ياشعيب  
 والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا ، قال ألو كنا كارهين ،  
 قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها ،  
 وما يكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علماء ،  
 على الله توكلنا ، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق ، وأنت خير الفاتحين )  
 « الاعراف » .

### من هجرات الانبياء

إلى جانب هذه الآيات المجملة التي تقرر أن الهجرة سنة الله في

الذين خلوا من قبل آيات أخرى تتناول الموضوع بشيء من التفصيل ، وتنقص من قصص أولئك الذين هدى الله . فنوح عليه السلام يلبت في قومه ما يلبت ، ثم يهجر الجودي ويركب شبح البحر ، ويتسنم الموج ( وقال اركبوا فيها باسم الله مجريها ومرساها ان ربى لغفور رحيم ، وهى تجري بهم في موج كالجبال ٠ ٠ ) « هود » .

والخليل عليه الصلاة والسلام يعتزل الكفار ويهجر الديار وينجو إلى أرض البركة الغامرة ( وأعتزلكم وما تدعون من دون الله ، وأدعوا ربى عسى ألا تكون بداعء ربى شقيا ) « مريم » . ( انى مهاجر الى ربى انه هو العزيز الحكيم ) « العنكبوت » . ( انى ذاهب الى ربى سيهدين ) « الصافات » .

ويسجل القرآن أن لوطا يأتمر بأمر رسول الله ، ويسرى بأهله بقطع من الليل ( قالوا يالوط انا رسول ربك لن يصلوا اليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتقت منكم أحد الا امرأتك انه مصيبيها ما أصابهم ، ان موعدهم الصبح ، أليس الصبح بقريب ) « هود » وموسى عليه السلام يخرج من مصر خائفا يتربقب ، فردا فقيرا يتطلع إلى رحاب الله وينشد عنده الامن والمهدى والغنى ( وجاء رجل من أقصى المدينة يسعي قال يا موسى ان الملا يأتىمرون بك ليقتلوك فاخراج انى لك من الناصحين ، فخرج منها خائفا يتربقب ، قال رب نحنى من القوم الظالمين ، ولما توجه تلقاه مدين ، قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل ) « القصص » .  
ويخرج منها رائدا لقومه مستدرجا فرعون إلى حتفه ( وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادى انكم متبعون ) « الشعراء » .

ولقد جعل الله الكهف مهاجرا وملاذا للفئة التي آمنت بربها وزيدوا هدى ( واذا اعتزلتموهم وما يبعدون الا الله فأدوا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهبئي لكم من أمركم مرفقا ) « الكهف » .  
ومن كمال التربية أن الله يبسط العواقب حتى يوقن المسلمين أن الخزي والسوء على الكافرين وأن العاقبة للمتقين — فأولئك قوم نوح

يحيطون بالبركة ويغنمون السلام ( قيل يانوح اهبط السلام منا وبركاتك  
عليك وعلى أمم من معك ، وأمم سنتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم )  
« هود » . والبركة الغامرة التي استفاقت على إبراهيم وعلى آل  
إبراهيم وذاع أمرها في العالمين إنما كانت صدى لمجرته إلى ربه وجاء  
وفاقاً لما تحمل وعاني من جرائها ( فلما اعتزلهم وما يبعدون من دون  
الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلاً جعلنا نبياً ، ووهبنا لهم من رحمتنا  
وجعلنا لهم لسان صدق علينا ) « مريم » — ( فآمن له لوط ، وقال أنه  
مهاجر إلى ربى أنه هو العزيز الحكيم ، ووهبنا له إسحاق ويعقوب ،  
وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب ، وآتيناه أجره في الدنيا ، وأنه في  
الآخرة لمن الصالحين ) « العنكبوت » .

وهجرة لوط تلك مهدت أسباب النجاة له . وأعقبت الدمار والثبور  
للكافرين ( فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من  
سجيل منضود ، مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد ) « هود » .

واجتاز موسى بنى إسرائيل البحر في هجرة استأصل الله بها  
شافة فرعون وجنوده ( وجاؤننا بنى إسرائيل البحر فأتباعهم فرعون  
وجنوده بغياً وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي  
آمنت به بنو إسرائيل وانا من المسلمين ، آلان وقد عصيت قبل و كنت  
من المفسدين فالليوم ننجيك بيديك لتكون لمن خلفك آية ، وان كثيراً من  
الناس عن آياتنا لغافلون ) « يوئس » .

هذه صور من هجرات الرسل من قبل رسولنا عليه وعليهم الصلاة  
والسلام . وليس عسيراً على المرء أن يبصر الملامح المشتركة التي تجمع  
بين صور الهجرة إلا أن هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم تختلف  
عن الآخريات من حيث الوسائل والعواقب والأسلوب .

( يتبع )

بخاري أحمد عبده

## نفائس قرآن

### حقيقة الإيمان في الإسلام<sup>(١)</sup> بقلم

بخاري الحمد لله رب العالمين

موجز التربية الدينية واللغة العربية بالاسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

« إن الذين يكفرون بالله ورسله ، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ،  
ويقولون نؤمن بعض ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ،  
أولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً . والذين آمنوا بالله  
ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيمهم أجورهم وكان  
الله غفوراً رحيمـاً » ١٥٢ - ١٥٠ من سورة النساء

\* \* \*

#### بيئة القرآنية

النسق القرآني يشكل جانباً من جوانب الإعجاز في القرآن ، فالآلية من  
القرآن غالباً ماتحياً في بيئته القرآنية متأسكة العراؤ ، متشابهة المعالم ؛ متلاقة  
الآيات ، يمسك بعضها بجزء بعض ، وتدور حول محور واحد ، في  
تكامل معنوي تسرى خلاله روح واحدة .

وآياتنا تنبض بالحياة في بيئتها القرآنية ينطوي محيطها على :

(١) نلقت الأنظار إلى مانشر قريباً من هراء تحت عنوان « الإسلام والأديان » في جريدة الأخبار .

١ - تصور إسلامي واضح لأبعاد الإيمان ودعوة إلى إيمان شامل لا انفصام لعراه ، معأخذ بالحجز ، وإقامة لحواجز معنوية تقى من الخروج عن دائرة الإيمان إلى دوائر الكفر والضلال والصياغ ، وذلك قول الله تعالى في الآية ١٣٦ من سورة النساء (يأيها الذين آمنوا بالله ورسوله وكتاب الذي نزل على رسوله ، والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته ، وكتبه ، ورسنه ، واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيداً) .

٢ - وتنديد بكل من اخترق نطاق الإيمان وجاءه أبعاده - من كافرين ومنافقين - وتشديد للنكير وتهديد ووعيد ، ثم تعريه فاضحة للمنافقين حتى ينكشفو - بكل عوراتهم ، وألاعيبهم وأساليبهم - للمؤمنين فيتبين المؤمنون بعد ما بينهم وبين أولئك ، واستحالة مواطنهم ومداňاتهم وذائقهم قول الله : (.... بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليها الذين يتخلون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أبى يتغرون عندهم العزة فان العزة لله جمِيعاً ....) إلى قول الله : (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ..) إلى قول الله (يأيها الذين آمنوا لا تخذلوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين ...) إلى قوله الله : (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ٠٠٠) .

٣ - ثم ثناه على المؤمنين جميل ، ووعد بالثواب الجزيل جراء أن استكملوا دعائم الإيمان ، واحتواهم شموله (إلا الذين تابوا وأصلحوا ، واعتصموا بالله ، وأخصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين ، وسوف يوفى لهم المؤمنين أجراً عظيماً) الآية : ١٤٦ النساء .

وأبادر فأذكر أن هذا المقام المحمود الذى وعد به المؤمنون جراء وفاته لاشتمالهم برحابة الإسلام التي تسع الأرلين والآخرين ، و تستخلص من كل رؤافد السماء خلاصة دسمة ، و تراثاً حملوا مسئولية وعيه والحفظ عليه ، والنود عنه ، والانتقال به عبر الأجيال زكيماً طاهراً .

وهذه الأعباء جعلت المسلمين أكبر مسئولية ، وأكبر درجات ، وأكبر تفضيلاً مصداق مارواه البخاري عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

وإنما بقولكم فيها سنت قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس »  
 وفي محل التوزع والتوزاة فعملوا حتى إذا انتصف النهار عجزوا . فأعطوا قبراطا ،  
 سخراً ، ثم أوى أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا إلى صلاة العصر ثم عجزوا فأعطوا  
 سخراً قبراطا ، ثم أوى أهل القرآن فعملوا إلى غروب الشمس فأعطينا قبراطين ،  
 سخراً ، فقال أهل الكتاب : أى ربنا أعطيت هؤلاء قبراطين ، قبراطين ،  
 سوأعطيتني قبراطا ، ونحن كنا أكثر علا . قال الله : هل ظلمتكم من  
 أجركم من شيء ؟ قالوا : لا ، قال : فهو فضل أوتى به من أشاء » .

هذه هي خصائص البينة القرآنية لآياتنا : توضيح للمعلم ، وذرع للأبعد ،  
 سوكشف للنقب ثم يعود القرآن لحقيقة الإيمان يؤكدها ويحمل عناصرها ويقطع  
 بذلك الطريق على المتكلفين المترخصين . « إن الذين يكفرون بالله ورسله »  
 والآيات - كما تلمس - واضحة تجود بالقرى مصدق قول الله : إنه  
 لقرآن كريم - وتبوح بفحواها ، وتعطى بلا إجهاد مصدق قول الله « وقد  
 حسّرنا القرآن للذكر » وتدخل بعد ذلك كثوزا : إيحاءات ، وسلام من  
 معانى المتداعية وخلفيات للمتدبرين مصدق قول الله « أفلأ يتذمرون القرآن » .

### غاية الآيات

#### وغاية الآيات :

١ - تقرير أن الكفر يبني لمجرد التشكي أو التعصب كفر بالرسل قاطبة ،  
 سوكفر بالله الذي اعتمد الرسل .

٢ - وتهديه من كفر محمد صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب ،  
 هو اتخاذ موقفاً مبتدعاً وسبيلاً غير سبيل المؤمنين تقضي إلى المتابهة ، والانسلاخ  
 عن كل دين . والتنكر لكل رسول .

والحق أن الرسل بترجمة الوحي ، والصلة بين الله والناس ، وهم إخوة  
 للعلالات ، أو حلقات في سلسلة واحدة ، وجحدهم ، أو جحد أحدهم ،  
 سخراً بالشرائع ، وتمرد على مقتضيات العبودية ، وانقطاع عن الله الذي  
 حصدتهم بخلق المعجزات على أيديهم .

ولا شك أن فقدان حقيقة يفصل الدافرة ، ويقطع التيار .  
كما أن هو لبنة إيدان بالأنهيار ، وإنذار بالدمار .  
ومحمد صلى الله عليه وسلم حجر الزاوية ، ولبنة الكمال في أصرح  
الأديان ، ودينه هو القمة التي استهدفتها مسيرة الأنبياء ، ونكراته ردة  
وکفران بالكمال .

فالإيمان بكل عناصره وحدة محكمة العرا، سبله النظر المجرد عن الموى.

والذى يعنى النظر في تراث المسلمين ، وفيها جاء به خاتمهم <sup>صل</sup> محمد صل  
الله عليه وسلم ، يلمس الملامح المشتركة ، ويتبين السعة التي تميز الإسلام  
ويرى وضوح الدليل ، وقوة البرهان والحق الذي يصدق ما معهم « وإذا  
قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا لئذ من بما أنزل علينا ، ويکفرون بما وراءه ،  
وهو الحق مصدق لما معهم » البقرة ٩١

لاواسطة – إذن – بين الإيمان والكفر ، فلا غرابة إذا رأينا الآيات  
تلخص أولئك الذين فرقوا فآمنوا بعض ، وكفروا ببعض ، بالكفر الحق ،  
بأسلوب يزيل التوهم ، ويقطع الطريق على كل محتال بأسلوب مؤكدة بحملته  
الإسمية ، وبالإشارة التي توجى بالإبعاد ، والطرد ، وبضمير الفصل وبأى .  
الدالة على كمال الكفر « أولئك هم الكافرون حقا » .

إوالآيات – وهي تدعو نظائرها و تستحضر المعانى التي تدور في فلكها .  
ربى المؤمنين على أن يتخذوا منهج النظرة الكلية ، العميقه التي تسهدى  
بالحقائق ، وتتفى إلى الدقائق ، وتنبى عن علم ، وتحسم قضية حيوية .  
كقضية الإيمان .

### أدعية الإسلام

هكذا تنبعث المدابات من الآيات .

ولكن القلوب المحجوبة يغشها خبث كثيث الحديد ، مصدره قوم يهدون .

· بغير المدى يعرف منهم وتنكر ، وآخرون ظُدْعَة على أبواب "جَهَنَّمَ" من  
أَجْبَاهِم إِلَيْها قُدْفُوهُ فِي النَّارِ .

<sup>١</sup> وكل هؤلاء يتعثرون في أذىال المستربة النفسية ، ومشاعر المزال  
· سوالفهاء والنقص .

وهم – في مخنثهم النفسيه – لا يجدون إلا الإسلام يفرغون عليه أدواتهم؛  
ويختصرون من قرآن على سوءات السياسة ، وعورات المجتمع ، ويولون  
في افتتان زبد المستشرقيين بمحفوظون كلامه ، ويولون عهده ، ويفتنون بمتناهيه:  
مرة تعتصر الآيات التي تحتم الحكم بما أنزل الله ، وتلوى أعناقها  
جهة السراب لياباً سنتهم ، وطعننا في الدين .

ومرة تكره آيات التكافل حتى تلد مفاهيم اشتراكاتهم . ومرة تطوع  
للحرب ، ومرة تحشد للسلام للتسامح ، والتعايش السلمي .  
أواثق أدعية الإسلام أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى(١) ، وإن هم  
إلا يظنون .

يشترون الضلاله ويريدون أن تضلوا السبيل ، والله أعلم بأعدائهم  
وكفى بالله ولها وكفى بالله نصيرا .

### أخلاق العبيد

· وآفة الإسلام أدعية الإسلام .  
الثالث أرواحهم بذل السنين ، وأحدقت بها عقد النقص ، ومشاعر  
ال AIS ، وحكمتها أخلاق العبيد فراحوا يهربون بما لا يعروفون ، ويمتشقون(٢)  
من دينهم مزقاً لتبسط تحت الأقدام ينشدون حس العزة فلا يجنون إلا خزنة  
على خزى ، وعربياً فوق عري .

ومثل هذا الصنيع المتذبذب بين الإسلام والكفر يفت في عضد المسلمين ،

(١) الأمانى : التلاوة ، والافتعال ، والأكاذيب ؛ وما يتمنى .

(٢) يقتطعون .

ويشد عضد أولئك الذين يكفرون بالله ورسله ، ويريدون أن يفرقوا  
بين الله ورسله ، ويقولون نؤمن ببعض ونكر بعض ، ويريدون أن  
يتخلوا بين ذلك سبلا .

ولهذه الصلة الوثيقة بين أخلاق العبيد التي تحرك الأدعية ، وحمية  
الكفر التي تغري القوى المضادة بالإسلام كان التنديد الطويل بالمناقب  
وأهواهم ، وأخلاقهم ، ودوافعهم غرضا مهما ، ووتدا من أوتاد اليمامة  
القرآنية التي تبص في الآيات التي تعالجها ، إذ لانفصام بين النفاق  
، أخلاق العبيد .

ولازم في أن مر العداوة المستشرية بين المسلمين وملة الكفر هو الإسلام  
ذاته . وأن أحب القرابين إلى القوى المضادة للإسلام هو تمسيح أصول الدين  
وإهار قيمه ، وزلزلة دعائمه ، ووقف تياره ، وتشويه جلاله باسم الساحة  
أو باسم السياسة أو باسم العلمانية ، أو العقلانية وحرية النظر والتفكير .

وأدعية الإسلام — بمحاسن النفاق — يعرفون ذلك . فهم يدورون في هذه  
المجال ويقربون قرابين تأكلها النار ليقول هل من مزيد .

وكيف تتقبل أو تشجع والله يقول : « ولن ترضى عنك اليود ، ولا النصارى  
حتى تتبع ملتهم » البقرة : ١٢٠

ويقول : « ما يود الذين كمنوا من أهل الكتاب ، ولا المشركين أنه  
ينزل عليكم من خير من ربكم » البقرة : ١٥

وفلسفة الأدعية أن الملل الأخرى تفوقنا في العدد ، والعدد ، والقدرات .  
وأن الإسلام إزاءهم هزيل ضئيل ، فلا مفر من أن يعالى ويصانع ، ويداهن  
ويبلوذ بالأكتاف .

## بقية مقال (حقيقة الإيمان في الإسلام)

والقرآن الذى شخص أدوات الكافرين وبين لهم ، شجب دوافع الحمقى من المسلمين ووضع أساس معاملة الملل الكافرة ، وأنفر من مشاعر الوهن ، والهوان الذى تندر بالخسار وتسلم للارتداد ونوع عن الجهد . وذلك فى آيات توحى بأن فقدان الثقة بالإسلام ردة ، والافتتان بالكافرين افتتان يؤدى إلى الذوبان فيهـم ردة . وذلك قول الله :

« يأيها الذين آمنوا لا تخذلوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالـين ، فترى الذين ئى قلوبـهم مرض يسـارعـون فيـهم يـقولـون تـخـشـى أـن تـصـيـبـنـا دـائـرـة فـعـسـى اللـهـ أـن يـأـتـى بـالـفـتـحـ أـو أـمـرـ مـنـ عـنـهـ فـيـصـبـحـوا عـلـىـ دـاـسـرـوـاـ فـيـ أـنـسـهـمـ مـقـادـمـينـ » .

الـبـقـيـةـ فـيـ الـلـقـاءـ الـقـادـمـ إـنـ شـاءـ اللـهـ  
بـخـارـىـ أـحـمـدـ عـبـدـهـ  
موـجـهـ التـرـيـةـ الدـيـنـيـةـ وـالـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ باـسـكـنـدـرـيـةـ

# نفحات قرآن

## بقلوب بخارى احمد عبد الله

ما زال كاتب المقال يحدثنا من خلال آيات الولاة في سورة المائدة ، وهي الآيات من ٥١ - ٥٧ .

وقد بين لنا في الجزئين اللذين سبق نشرهما من هذا المقال أن مصافة الأعداء ارتبطت بقواعدهم ، وأنفكاك عن الصفة المسلم . ثم ذكرنا ببعض مواقف معينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضوان الله عليهم — مواقف تقرر مفهوم هذه الآيات في وضوح وجلاء .

ونواصل فيما يلى الجزء الباقي من هذا المقال . وبالله التوفيق

### التوحيد

والقرآن يشدد النكير على الحمر المستنفرة الجامحة بولائهما نحو القوى المضادة للإسلام فيلخصهم بالكافرين مرة « ومن يتولهم منكم فانه منهم » ويسلخهم عن رحابه مرة « ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء » ٢٨ آلل عمران ، ويصممهم بالضلالة مرة « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوكم وعدوكم أولياء ٠٠٠٠ ومن يفعله منكم فقد ضل سوء السبيل » المتنبنة ويدفعهم بالظلم تارة « ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون » ٢٣ التوبة ويتمدد لهم بجبروتة مرة « ٠٠٠ لا تتذمروا الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أتريدون أن يجعلوا الله عليكم سلطاناً مبيناً » ١٤٤ النساء

وينذرهم بالفتن المائحة والفساد المكتسح تارة «والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ، الا تغلوه تكون فتنة في الأرض وفساد كبير» ٧٣ الأنفال ٠

والإسلام بهذا الالاحاج الشديد على قضية الولاية يضمن للمسلمين أن يعيشوا في سعة من دينهم ، ودنياهم ٠ فلا تعصف باشرعتهم نوازع القببي ، او عواطف الصدقة ، او دوافع الطمع والرغبة والتزلف «لاتجد قوماً يؤمّنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم ، او أبناءهم ، او اخوانهم ، او عشيرتهم » المجادلة ٠

وسدا للذرائع يضيق القرآن الدائرة ، ويحكم الرتاج حتى لا يشوب منهج الحق علل الباطل «يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم ، وآخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الإيمان ، ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون ٠ قل ان كان آباءكم ، وأبناؤكم وآخوانكم ، وأزواجكم ، وزناikenكم ، وأموال افترضتموها ، وتجارة تخشون كсадها ، ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله ، وجهاد في سبيله ، فتربيصوا حتى يأتي الله بأمره ، والله لا يهدى القوم الفاسقين » ٢٣ - ٢٤ التوبة ٠ هل ثمة بعد هذا الحصر شغرة ؟ وهل بقي منفذ من منفذ الشر الا سد ؟

### الا ان تتقوا منهم نقاة

اذا تقرر أن الولاية بمعنى المباطنة ، والمشاورة ، وافشاء الأسرار مرفوضة ، فان الخطب يكون أدنج اذا بنيت تلك الولاية على معاداة مؤمنين ، او ترتب عليها تبعية الموالين ضد المؤمنين ، كما نرى في قطعان الالحاد ، يساقون ليظهروا قوى البغي الملحدة ضد المسلمين في أفغانستان ، وأريتريا ، واليمن ، والصومال ، وايران ٠٠٠ الخ ٠

والقرآن اذ ينظر الى قضية الولاية هذه النظرة المستقصية الحصيفة ، يضع في الحسبان مواقف الضرورة ، واحتمالات فترات العوز ، وسنى التحاريق التي قد تتعور المسلمين فتفقدهم الوزن ، وتطرحهم في عرض الطريق ٠

لذلك يستثنى من القاعدة الولاء الخلب الذى يمض ولا يغيب ،  
ويبزق ولا يهدى ، والذى قد تقتضيه سياسة ، أو تستدعيه مناورة ، أو  
تحتمه تقىة . ذلك قول الله : « لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أُولَئِكَ مِنْ  
دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمَنْ يَفْعُلُ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ  
بِتَقَاءٍ ، وَيَحْذِرُكُمُ اللَّهُ نَفْسُهُ ، وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ » ۲۸ آل عمران .

والآية نزلت تعلن أن حسن الظن بالأعداء سذاجة ينبغي أن يتزه  
عنها المسلم . فقد خرج عبادة بن الصامت يوم الأحزاب بخمسينه من  
خلفائه اليهود . وقال يائبي الله : إن معى رجالاً من يهود ، وقد رأيت أن  
يخرجوها معى فأستظرهم بهم على العدو . فتدارك الله الامر ، وبين أن  
علاقتنا بغير المسلمين ينبغي أن تكون مقتنة محدودة ، أما أن نستفرهم  
للحجاد وقلوبهم يمزقها الحقد فذلك غفلة وقى الله أصحابها شرها ، كيف  
والله يقول « لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ، وَدُوا مَا عَنْتُمْ ، فَقَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ  
أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تَخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ » .

والقرآن هنا ينهى عن الاقبال على الكافرين استقلالاً ، أو اشتراكاً  
وعد من استمراً ذلك خبئاً منفياً قد انقطع ما بينه وبين دينه الا أن يكون  
ذلك تقىة .

والتقىة المداراة باللسان مع اطمئنان الجنان ، وقد يستتبع الموقف  
خدوة أو روحه يذر بها الرماد في أعين الأعداء ، ويصنع من خلالها  
للMuslimين .

روى البخاري عن أبي الدرداء « انا لنكر (۱) في وجوه أقوام ، وان  
قلوبينا لتلعنهم » قال معاذ رحمه الله عنه « كانت التقىة مشروعة في جدة

(۱) كثرة عن اسناده : ابدى ، ويكون في الضحك وغيره .

الاسلام » اي يوم كان غريبا « فلما أعز الله الاسلام حرم اعطاء الدفينة  
في الدين » فاذا عاد الاسلام غريبا كما بدا ، واغتالت المسلمين النوائل  
لا بأس من ممارسة التقية لدفع شر ، او جلب خير يعم الجماعة ٠

ولا بأس للمتحمن بدينه ، المشتمى بعقيدته ، أن يستعين بالكافرين ،  
تحرفا لجهاد ، أو تقويا بعلم ، أو تزودا بخبرة ، أو درءا الخطر ، أو تحالفها  
على أمر مباح لا يكرهه الدين ، ولا يترتب عليه فضح خطة ، أو افشاء  
سر ٠ ذلك بشرط اليقظة الارية ، والكياسة الفطنة ٠

والانسحاب في الكفار – كما أوضحنا – نذير ردة ٠ ولكن المؤمن  
في لحظات جزر الضمير وتقلصه – قد ينفصم عن المقتضى تحت تأثير  
ذبذبات الضعف الانساني « وخلق الانسان ضعيفا » ٠ وحينئذ تهفو  
نفسه ، أو ترث قدمه ، أو تخطيء حساباته فيتصرف تصرفا نكرا ، تعودا  
أو اصطناعا ليده ، أو وفاء بحق ٠٠٠ الخ ٠

وذلك هو ما حدث لأبي لبابة رضي الله عنه يوم نقض يوم يهدى بنى  
قريبة العهد ، وظاهروا أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يومئذ  
احتيط بهم ، وأضطروا إلى النزول على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه ،  
وأخذت أبي لبابة أداء عاطفة قديمة ، فبادرهم بالتحذير الخفي متيرا  
أني حلقة ، محذرا من ذبح محقق ٠ والنفس البشرية أمارة بالسوء ٠  
والقلب العamer باليقين قد يتخلص في لحظة ضعف ، ولكنه ما يعود إلى  
انتباهه فيذكر ، ويقوّب « والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا أنفسهم  
ذكروا الله فاستغفروا لذنبهم ٠٠٠ » ٠

ومكذا سرى تيار اليقين في أوصال أبي لبابة بعد لحظة انقطاع –  
يقول أبو لبابة « والله ما زالت قدماي حتى علمت أني خنت الله ورسوله »  
وفي صحوته ربع ، وانزعج ، وارتزن نفسه ، واعتقل ذاته حتى نزل –  
فيما يروى – قول الله : « وآخرون اعترفوا بذنبهم ، خلطا عملا صالحة  
وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم » ٠

وذلك أيضاً ما حديث لحاطب بن أبي بلقة يوم كتب إلى مشركي مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوحى إلى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، فبعثت — كما يروى البخاري — عليه ، والزبير ، والمقداد رضي الله عنهم إلى روضة خاخ حيث الطعينة التي مرقت بالكتاب . . . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا حاطب ما هذا ؟ قال : يا رسول الله ، لا تتعجل على ، انى كنت امراً ملصقاً في قريش ولم أكن من أنفسها . وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكانة يحمون بها أهليهم وأموالهم ، فأحبببت اذ فلتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتى ، وما فعلت كفراً ولا ارتداضاً ولا رضا بالكفر بعد الاسلام . وصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذكر له جهاده يوم بدر . »

هكذا كان القرآن يحيط بدنيا المسلمين وآخريتهم ، وهكذا كان يحيط نبضات القلوب ، ويرصد خائنة الأعين تعميقاً للإيمان ، وتربيّة على الصدق « قل ان تخافوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ، ويعلم ما في السموات وما في الأرض ، والله على كل شيء قادر . يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ، ويحذركم الله نفسه ، والله رءوف بالعباد » ٢٩ — ٣٠ آل عمران .

تحذير من بطش الله في اثر تحذير ، يصد عان أولئك الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين .

وأولئك الذين يفتعلون الاسباب ، ويصطنعون مواقف التقية ، وقلوبهم تكاد تنفجر من ضفوط النفاق ، والضمة والهوان « ويحذركم الله نفسه والى الله المصير » « ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد »

بخاري أحمد عنده

# نفحات القرآن

## بقلم بخاري أحمد عبده

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى : -

( ليس على الضعفاء ، ولا على المرضى ، ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا الله ورسوله ، ما على الانحصارين من سبيل ، والله غفور رحيم . ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم ذلك لا اجد ما أحملكم عليه ، تولوا واعينهم تقپيس من الدمع حزنا ، الا يجدوا ما ينفقون . انما السبيل على الذين يستأنذنونك وهم آعزيات ، رضوا بأن يكونوا مع الخوالف ، وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون ) ٩٣ - التوبة .

آيات سورة التوبة كأنها القلوب تضخ أسرار الحياة لتتبصّ بها عروق المسلمين ، وتحرك معانى القوة تردد بها وتغدو أوحش المسلمين ، وهي بعد ذلك بصر للمسلمين حديد ، كالرادار يرصد الذبذبات ، ويعكس الحركات والسكنات ، ليرى المسلمون ويعوا ويحلوا المعلومات التي تمدهم بها آيات الكتاب .

والقرآن حين يطوق الأعداء فيحيط بظاهرهم ، وبواطنهم وحين يرصدهم نبرات وصورا ترسل<sup>(١)</sup> عبر الآيات لتقربها قلوب مرهفة جلاها وهج الإيمان انما يرسى القرآن بذلك سنة تحتم على المسلم أن يعي دائمًا من حوله وما حوله وأن يتحرك ، ويختلف ، ويرقب ،

(١) ترسل : تقرأ بفتح السين .

ويفرض الفروض ، ويستخلص النتائج ، ويحدد على ضوئها أسلوب .  
التعامل مع الأعداء ومع الأصدقاء .

وآياتنا هذه تبعت غفلة (١) المسلمين — وما أكثرهم — بمفهوم  
جديد هو أن الجihad في الاسلام فرض عين ، كالصلة لا تسقط حتى  
يسقط المكلف . والله الذي لا يكلف نفسا الا وسعها اقتضت رحمته  
أن ينتقل بالمكلف من فرض القيام في الصلاة الى أوضاع أخرى قaudin ،  
أو على الجنوب أو موئين (٢) تبعا لحالته وظروفه ، وأن ينتقل  
بالمجاهدين — اذا عزت عليهم أوضاع الجihad العليا — الى أوضاع  
دون ذلك ، حسب الطاقات والقوى والقدرات .

والآيات التي تترافق بالقاعدin غير أولى الضرر ، وترتبت على  
اكتاف المستضعفين لا يستطيعون حيلة ، ولا يهدون سبيلا انما تعفيهم  
عن جهاد المباشرة والواجهة ، والالتحام فقط ، ويحملهم بعد ذلك من  
البلاء ما يطيقون . ولقد استقبل المسلمين آيات سورة التوبة وقد  
بلغوا أشدhem ، واستتوا على مرتفع أعلى .

فتحوا مكة ، وطوعوا الطائف ، وأخضعوا هوازن ، وأضحو زئيرا  
تردد الآفاق فيشيع رنة بالغة الرهبة يؤرق صداها ليل الجهات المناوئة  
ويوهن قواهم ، ويمهد لزحف أكبر وشيك .

وهذه الأمداء التي تجاوبيت بها الآفاق فصدعت الآذان ، ونشرت  
الرعب في القلوب تصدق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (نصرت  
بالرعب مسيرة شهر ) .

ويجدر هنا أن نشير الى أن الاسلام — فوق كونه عبادة ، ومعاملة —  
دعوة باللسان ، وترويج بالدعائية والاعلان ، ثم تدافع في الميدان ، ودفع  
بالرمي والسنان .

فالدعوة لا بد أن يظاهرها اعلام متقدم بصير ، يرتكن على الكلمة

(١) غفلة : يفتح الفاء جمع غافل .

(٢) موئين : من اليماء أي الاشارة .

المعبرة ، المقدوة المؤثرة ، والقوية الرشيدة ، والعلم الهداف المحيط .

والدعوة والداعية تبسطوان متعانقتين في آيات كثيرة :

١ - من ذلك قول الله : « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا » ٠٠

فصلت . فالاستقامة تمثل فيما تمثل ، عنصر الداعية في قضية الدعوة الى الله .

٢ - ومن ذلك قول الله « ومن احسن قوله من دعا الى الله وعمل صالحه وقال اتنى من المسلمين ، ولا تستوى الحسنة ، ولا السيئة ادفع بالتقى هى احسن فاذا الذى بينك ، وبينه عداوة ، كأنه ولى حميم » فصلت .

و واضح أن للعمل الصالح أثره المحمود في الاعلان عن الدعوة ، وأن للمعاملة الطيبة وما يتبعها من عفو ، وصفح ، واحسان ، جاذبية تكسر الحاجز ، وتطيح بالعائق ، فاذا الذى بينك ، وبينه عداوة كأنه ولی حميم .

٣ - و تستطيع أن ترى عنصر الداعية بوضوح في قول الله « وان أحد من المشركين استجارك ، فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه » التوبة .

ذلك لأن ابلاغ المشرك مأمنه يأسر فؤاده فيجعله تقدر على استيعاب ، ووعي ما سمع من كلام الله . ويطلق لسانه بعد ذلك ليهمج بالشكران والثناء الجميل .

٤ - وتلمح مظاهر الداعية كذلك ان تمعنت في قول الله : « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض » . الأنفال . وفي قوله « قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس خصي » . طه . وفي قوله « قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون » : الأنبياء : والداعية تقتضي مع العلم بصرا بالسياسة ، وحكمة ، ومعرفة بالنفوس ، والجمع بين أصول الدعوة ، وأسس الداعية هو الربانية التي ندبنا اليها في قول الله تعالى « ولكن كونوا ربانين » المائدة .

والمؤسف أن جانب الدعاية عند المسلمين كم مهم ، لم يمارسه ،  
أو مورس ولكن بلا عمق ، وبلا اجادة .

ونسارع فنقرر أن الدعاية أمر دنيوي ترك للMuslimين أن يقدروا  
أبعاده ، ويحددوها أوعيته ، ويضعوا أساليبه تبعاً للتطور الفكري ، وتعزيز  
الزمان ، والمكان .

هذا ولقد انتشى المسلمين بما فتح الله عليهم ، وبما تحقق على  
أيديهم من انتصارات وأوشك بعضهم أن يستسلم لخطر لذذ ظانين أن  
حركتهم تحدها حدود الجزيرة ، وأن غايتهم ضرب الشرك في بلاد  
العرب ، وأنهم بعد ذلك يحق لهم أن يخلدوا إلى الدعة ، ويشفوا غليلهم  
بالظل الظليل ، والماء النمير ، والفراش الوثير .

والحق أن رسالة المؤمن فوق الحدود والسدود ، فالمؤمن بدينه  
الحيوي نفاذ يخترق حواجز المكان والزمان ليصبح للناس في كل زمان  
ومكان مصدق قول الله « كنتم خير أمة أخرجت للناس » .

وارتكاناً إلى ذلك الظن قصرت ببعضهم الهمة ، وتتقاعساً حين  
استنفروا في ساعة العسرة ، ودعوا إلى تبوك . فيهم من انطوى في  
علته فلم يبحث عن مخرج ، ومنهم من اثقل إلى الأرض مشدوداً  
عاجزاً عن المقاومة ، منهم من اختلق الأعذار ، وفيهم من توارى ، وفيهم  
من عوق وثبط ، ومنهم من أناب وثاب .

وهذه اتجاهات خطيرة تفت في العضد وترمى بالشر ، وتهدد  
مسيرة المسلمين الذين كتب عليهم أن يعيشوا ديدبات حول دينهم ،  
يعطونه كل طاقاتهم ، ويجدون بالتفيس ، والنفس حتى يغدو الدين  
ظاهراً على الدين كله .

وجاءت آيات التوبية تواجه ذلك الأوار الخطر المشبوب . وتجلو  
وجدان المسلمين ، وتعبيء القوى ، وتوّكّد شمولية الإسلام وأبدية  
الجهاد حتى يظل صراط الإسلام مستقيماً وهاجاً بين سبل أخرى معوجهة  
معتمدة يعرّب على نواصيها شياطين الانس والجن : يوعدون ، ويصدون  
عن سبيل الله من آمن به ويفرونها عوجاً .

وعداوة الباطل للحق أبدية تبقى ما بقيت الشياطين . فلا مجال إذن لدعة ، ولا استسلام لنوم أو غفوة بل مراقبة وأخذ دائم لوضع الاستعداد . وليس أمام هؤلاء الذين أسلوا الجفون ، وأسْترخوا وأغمدوا السيوف إلا أن يأخذوا من جديد وضع الاستعداد ، ويظلووا متحفزين لوثوب في رباط إلى يوم القيمة .

وليس أمام سائر المسلمين إلا أن يقاوموا في أولئك اغراء الدعوة، ويقيمواهم على الصراط . والا فانهم – ان وقفوا من مثل هذه الأعاصير موقف لا مبالاة – مؤاخذون ملومون مصدق الآية « يأيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثقلتم الى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة .. » التوبة .

والمثاقلون كانوا قلة ، ولكن المؤاخذة عمت المسلمين لأن المسلم حتم عليه أن يأخذ على يد الجناء الغافلين اتقاء فتنه عارمة لا توقف عند حد الظالمين « واتقوا فتنه لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة .. » الأنفال .

واحساس المسلمين بأنهم وفوا بحقوق الدعوة وأدوا التبعة يوهن القوى ويضعف العزائم ، ويعقد – بلا شك – في آفاقهم سحب غرور كثيفة تفقدهم وضوح الرؤية . وتتيح للقوى الحاقدة المتهربة بالظلم فرضا نادرة ، ليتحرکوا حركات تتبدىء دودية ، وتنتهي صاروخية مدمرة . حركات قد تخفي على الأعين الناعسة الحالة .

ان آيات سورة التوبة تترك بصر المسلمين ، وتسلط الأضواء على الأعداء حتى يروا عرايا مجردين ، وترصد في دقة بالغة أحلامهم وخواطرهم وانفعالاتهم ، وتفضح خططهم وأهدافهم ، وتترك كل ذلك ذخرا للمؤمنين المرابطين في ساحات الجهاد إلى يوم القيمة مصدق ما روى عن جابر بن سمرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « لن ييرح هذا الدين قائما يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة» مسلم .

بخاري أحمد عبده

يتبع ..

# نفحات قرآن

## بِقَلْمَرِ بَخَارِيٍّ أَحْمَدْ رَعِيدَه

قال تعالى ۰۰۰

( ليس على الضعفاء ، ولا على المرضى ، ولا على الذين لا يجدون  
ما ينفقون حرج اذا نصحوا الله ورسوله ، ما على المحسنين من سبيل ،  
والله غفور رحيم ۰ ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد  
ما أحملكم عليه ، تولوا وأعينهم تفيس من الدمع حزناً ألا يجدوا  
ما ينفقون ۰ انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا  
بأن يكونوا مع الخوالف ، وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون ۰۰ )  
٩٣ - التوبة ۰

### بِيَّنَةُ الْآيَاتِ

مَآذن براءة ترفع عبر الأسماع نداء القوة والقدرة ، معلنة طول  
باع المؤمنين ، مزلزلة معنويات المشركين ، مجرد اياتهم من مكاسب  
مزعومة تسلطوا عليها حقاً طويلة ۰

ثم تميل بعد ذلك ميلة واحدة على قوى الارجاف ، والتثبيط والمكر ۰  
تستعرض نماذجهم وتتعدد بموافقتهم ، وتنتوغل في صدورهم تكشف  
ما تنتطوا عليه من شر ، وتفند ما يسوقون من مفتريات ، ودعاؤى ۰  
والسورة بهذا المنهج ، تشكل بآياتها المتماسطة بيئة متكاملة كبرى  
تقراءى عبر الآيات ۰ مرتبة هادية ۰ والهدف أن يدرج المؤمن نحو قمة  
الشماء فطنا ، واعيا ، عاصرا على دينه مهيمنا على دنياه ، مستحوذا على  
أسباب العزة ، والعلو ۰

وخلال هذه البيئة الكبرى بيئة صغرى تحمل من سمات البيئة  
الأم ، وتنتمي بالتصوير أو بالتركيز على مواقف ذات خطوط

معبرة ، أو على معارج ، أو مهاوى ، أو مزالق حرية بالتدبر والتفكير . والبيئة الصغرى التي استبينا لأنفسنا أن نعرضها معزولة مجردة . تعدد بعدها من أبعاد البيئة الكبرى . وهي كالبيئة الكبرى متراوحة الأطراف تمتد في آحاديث مستفيضة عن قوى الخديعة والتربص والتعويق حتى تقذف الوجوه الشائهة بالكفر والفسوق وتجدهم بالتهديد بالأسلوب التقليدي « قل أنفقوا طوعاً أو كرهاً لِن يَتَقْبَلَ مِنْكُمْ إِنَّمَا كُنْتُمْ فَاسِقِينَ » ٥٣ التوبة . ثم تمتد إلى قول الله : « لَيْسَ عَلَى الْضَّعَافِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى » آية ٩١ إلى قول الله « وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتُوكُمْ لَتَحْمِلُهُمْ » الآية ٩٢ إلى قول الله : « إِنَّمَا السَّبِيلَ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكُمْ » الآية ٩٣ .

والآيات هنا تلاحق العناصر المدamaة التي تحجل بشعاراتها الكاذبة على الطريق تكيد للإسلام وترشق صرحي بسيام مسمومة ٠٠٠ تباغتهم ، وترصد حركاتهم الدودية النشطة ، كأنهم الطفيلييات تجهد كى تعلق بالجدار ، وتتنفذ إلى القرار ، تتشط أشد ما يكون النشاط ساعة يهين البنيان ، وييقل الجثمان . وتتوارى في فترات القوة ، والصحة متربصة وان طال المدى . همها أن تنحر وتختهر ، وتقرى وتغري الكيان ، وتتفتث السموم .

والآيات في بيئتها هذه تشحن المؤمنين فطنة ومعرفة ومناعة حتى يعيشوا مبصرين ، ويواجهوا تلك القوى الغاشمة مخططين ، مستهدين بكل الآيات التي يدعم بعضها بعضاً وتطرق متضادة عين المسبيل . فلا عجب اذا ومض في سماوة فكرك وأنت تتدارب آى التوبة مثل قول الله : « وَلَن ترْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّىٰ تَتَبَعَ مِنْهُمْ ٠٠٠ » ١٢٠ البقرة « وَلَا تَؤْمِنُوا إِلَّا مَن تَبَعَ دِينَكُمْ » ٧٣ آل عمران « وَدَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفِلُونَ عَنِ اسْلَاهُكُمْ وَأَمْتَعْتُكُمْ فَيُمْلِيُونَ عَلَيْكُمْ مِيلَةً وَاحِدَةً ٠٠٠ » ١٠٢ النساء « وَدَوَا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءٍ ٠٠٠ » ٨٩ النساء « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَخَذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدَوَا مَا عَنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَعْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تَخْفِي مَدُورُهُمْ أَكْبَرٌ ٠٠٠ » ١١٨ آل عمران « كَيْفَ وَانْ يَظْهِرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقِبُوا

فيكم الا ولا ذمة يرضونكم بأفواهم وتأبى قلوبهم ٠٠ » ٧ التوبية  
« يقولون بأسنتهم ما ليس في قلوبهم ٠٠ » ١١ الفتح

الى غير ذلك من الآيات التي تحلق ، في الآفاق دون أن تجد  
المحط الملائم والمستقر الرشيد ٠ أترى هذه المظاهر الخالدة التي  
تنظمها هذه الآيات قامت قومتها القرآنية المدوية لتخمد فور أن ينفح  
فيها دعى أو يوارى شمسها أخرى مغلوب ٠

وهل تنمرت الهرة ، واستنسرت البغاث علينا الا منذ غلنا  
عن هدایات مثل هذه الآيات ٠

### ركائز على الطريق

وآيات البيئة – وهي تبني للمسلمين ، وتشرح أعراق تلك القوى  
المقطورة على الخداع ، المجبولة على اللف متسترة خلف شعارات مخدرة ،  
مزوجة دعاهاها بالآيمان ، وبالبيان تلو البيان – الآيات تترااءى خلالها  
ركائز ذات فحوى تجدد صياغة المسلم ، وتجلو بصيرته ، وترتکي ٠

وهذه الركائز حرية بدراسة مستقلة ، ولكنها في هذا المقال نكتفى  
بأن نرقبها من خلال الآيات التي رفعناها محاور تدور الركائز حولها  
ومعها مكونة مجموعة شمسية واحدة في الأفق القرآني ٠

### الركيزة الأولى

قوامها قول الله تعالى : « قل أنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبل  
منكم انكم كنتم قوماً فاسقين ٠ وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم  
كفروا بالله وبرسوله ، ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ، ولا ينفقون  
الا وهم كارهون » الآيات ٥٣ ، ٥٤ التوبية ٠

والركيزة الأولى تستهدف تربية المسلم تربية تكسبه مناعة ضد  
البريق الخاطف المنبعث من كل زهارات الحياة الفانية ، ومن المتع  
القليل بطبيات عجلت لكثريين في الدنيا ٠ تستهدف كسر شرة الاتجاه  
المادي ٠ ومنهج الاسلام أن المال ذخر الدارين ، وأن منفذ المال  
إلى الدار الأخرى حسن الصلة بالله وبالناس ٠ فمن وهتو شائجه

التي تصله بالمولى ، أو تقطعت أواصره التي تربطه بالناس رمته الشياطين بسهامها فأصمته فكان كالمنبت ٠ حرنت (١) نيته . وبطأبه عمله ، فلم يسرع به ماله ٠

والصلة بالله عبادها الصلاة ، والصلة بالناس قوامها الزكاة والنصح ٠ والصلات التي لا ترودها صلاة ، وزكاة ، ونصح لا تذهب إلينا ، ولا تورث سكينة . ولا تحقق نصرا ٠ وفاق قول الله : (ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز ، الذين ان مكناهم في الأرض اقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ) ٤١ الحج ٠ وكمال التربية يتجلى في قول الله بعد ذلك « فلا تعجبك أموالهم ، ولا أولادهم إنما يريد الله ليغذبهم بها في الحياة الدنيا . وترهق أنفسهم وهم كافرون » ٥٥ التوبة ٠ فالقرآن بمثل هذا التوجيه يهز المعايير التي كانت متعارفة . ويقرر في أذهان المسلمين مفاهيم جديدة فحواها أن التكاثر في الأموال والأولاد فتنية قد تسوء عقباها محداق قول الله « إنما أموالكم وأولادكم فتنية » ١٤ التغابن ٠

وسمة المؤمن لا يتخذ هذه الأعراض موازين ، فالله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب . وقد يضيق على من يحب ، ويعدق على من لا يحب ولا يجعل ذلك دليلاً رضوان وخير « أيحسبون أنما نمد لهم به من مال وبنين ٠ نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون ٠٠ ٥٤ » . ٥٥ المؤمنون ٠

وذلك وفاق ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا رغم معاشه فاعلم أن ذلك استدرج » ثم تلا قوله : « فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما آوتوا أخذناهم بعنته فإذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين كفروا ٠٠ ٤٤ الأنعام ٠ واتقاء مضلات الفتن تلك يؤدب الله رسوله والمؤمنين بقوله سبحانه : « ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتتهم فيه ورزق ربك خير وأبقى ٠٠ ٤٣ »

---

(١) حرن حرانا : وقف

منكم ، ولكنهم قوم يفرقون . لو يجدون ملحاً أو مغارات أو مدخلات  
لولوا اليه وهم يجمرون » .

ووفين ماله عاشق ذات . يرى نفسه في ماله ، وماليه في ذاته .  
 فهو محصور بين بعدين : بعد النفس ، وبعد المال . اذا تجاوزهما  
استشعر الغربة والغرابة فجبن ، وعجز عن المواجهة مستمرئاً الهمز  
واللمز .

وقوى الفت والتخاذل تتبعث من درك المادية ، وأغوار الجبن  
همزة لزنة تشيع السوء وتتال خلسة من الأقدار منفعة في كل ذلك  
بجاذبية الطين ، مبتغية حظ النفس ، وابشع الفهم ، راغبة عن رحاب  
الله وهدى رسوله . ذلك قول الله « ومنهم من يلمزك في الصدقات .  
فإن أعطوا منها رضوا ، وإن لم يعطوا منها أذاجهم يسخطون . ولو أنهم  
رضوا ما آتاهم الله ورسوله ، وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله  
ورسوله ، أنا إلى الله راغبون » .

قال قتاده : « أتى رجل بدوى النبي صلى الله عليه وسلم وهو  
يقسم ذهباً وفضة فقال : يا محمد والله لئن كان الله أمرك أن تعدل  
ما عدلت . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ويلك فمن ذا الذي يعدل  
عليك بعدي ؟ ثم قال : احذروا هذا وأشباهه ، في أنتي أشباه هذا  
يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم . فإذا خرجوا فاقتلوهم ، ثم إذا  
خرجوا فاقتلوهم » .

هؤلاء الماثلون في الآيات ، الملحقون (١) بأحاديث متعددة هم  
عييد المال وأسرى الأهواء لا يغرون من أجل دين ، ولا يبنون لجتمع  
ولا يتحركون نحو أمجاد .

والإسلام يربى المؤمن تربية تكفل له الصمود في مواجهة هذه  
النزعة بآيات وأحاديث تلائم بين النزعات حتى لا تتنزق معانيه ،  
أو تنفص عراه فيغدو — بفعل النفس الجموح — بكل واد شعبه .  
ان المؤمن منسجم القوى ، منسق الرغبات ، متلاقي العواطف .  
ومن قاعدة هذه القوى ينطلق عابداً وداعياً ومجاهداً ومتبوئاً مقام  
الخلافة في الأرض .

بخاري أحمد عبده

(١) الملحقون : تقرأ بفتح الحاء .

١٣١ طه . ولخطورة الأمر . وأهمية التوجيه يعيد الله الآية بنسختها تقريراً بعد باقة هادمة من نفحات « ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وترهق أنفسهم وهم كافرون » ٨٥ التوبة . والفناء في المال يورث فرقة وضعة ، ويهدى الرجولة ، ويغرس بالتفريط ، واطراح المكرمات . ولذلك نهى عن الافتتان بالمال والولد ، ثم عقب بما يوحى بهوان المفتوحين على الله والناس « وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاحدوا مع رسوله استأذنوك أولو الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعددين . رضوا بأن يكونوا مع الخوالف (١) وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ٠٠ ٨٦ ، ٨٧ التوبة ٠

ومفاد كل هذا أن المؤمن أولى به آلا ينبع برونق وشيك الذبول ، يصحبه كبد عند الجمع ، وقلق وقت الحفظ ، وتوتر عند الاستثمار ، وحسرة يوم الإنفاق أو النفق . فلا عجب اذا رأينا الاسلام يرفض التقوّع في المتع ، و يجعل الفناء في أسباب المادة مصدر تعasse « تتع عبد الدرهم » وطريق ردة ، ونذير هلاك « إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا : وترهق أنفسهم وهم كافرون » ٠

وانتفاء هؤلاء الذين أقصاهم حب المال عن الجادة الى الملة انتفاء كاذب لا روح فيه . ولقيئنهم من كذب نسبتهم الى الاسلام راحوا يدعون دعواهم بالشعارات ، ويدفعون دلائل النفاق التي تطبع وجودهم بدلالة اليمين ، فرقاً من الافتراض « يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون » وهؤلاء الذين يدينون بدين المال يودون — فراراً من تكاليف الاسلام ، وضعفاً عن مواجهة الحقائق ، وكراهيته للمسلمين — لو طوتهم المغارات ، ووارتهم السراديب والنفق او ابتلعتهم الأرض . تمعن تر كل هذه المعانى في قول الله « فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم ، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وترهق أنفسهم وهم كافرون ، ويحلفون بالله انهم لنكم وما هم

(١) الخوالف : هم النساء بالدرجة الأولى ، ثم الزمني والضعفاء ، والرجل الخالف غير النجيب ، ويقال خلف اللبن حمض ، وخلف الفم أى تغير ريحه ، ومنه خلوف فم الصائم .

# نفحات قرآن

## بقلوب بخارى أم درعية

- ٣ -

بسم الله الرحمن الرحيم ٠٠

قال تعالى : ( ليس على الضعفاء ، ولا على المرضى ، ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ، ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ، ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه ، تولوا وأعينهم تقipض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون . ائما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف ، وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون ) ٩٣ - التوبة ٠

لا نزال نستتدى هذه الآيات التي تفرك أبصار وبصائر المسلمين كى يحيوا على بينة ووعى ، والتى تقرر أن المسلم المعلول قد يعفى من جهاد المواجهة واللامحة والانتباك ، ليحمل من أعباء الجبهة الداخلية جهد طاقته ، وقدر وسعه . وليس بماله وجاهه ، أو بفكرة وتدبره وكل قواه المتاحة فراغا ربما أصبح – ان لم يملأ – مثار قلق ، أو مصدر خطر على خطوط المواجهة . فالمسلم – مهما اعنى – في رباط مع القادرين ، أو خلف القادرين الى يوم القيمة . يجاهد بالضربة . فان عزت فبالكلمة ، فان عزت فبالنبلية ، وذلك أضعف الآيمان « من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ، ومن خلف غازيا في أهلها فقد غزا » متفق عليه . فالأيات بهذا المفهوم تختتم على المسلمين في شتى مستوياتهم أن يجعلوا الجهاد أنشودتهم ، وأحاديث أنفسهم ،

« من مات ولم يغب ، ولم يحذث بعهـ اتفـيـمـ الـنـعـابـ لـعـلـىـ شـخـصـةـ مـنـ تـفـاقـ »  
وواه مسلم مخالقـيـهـ نـهـ وـهـيـهـ لـعـصـبـتـ رـتـهـ زـيـقةـلـنـاـ لـعـلـدـاـ رـلـهـ

ولقد مضـيـنـاـ لـقـتـلـهـ وـجـهـهـ الـىـ بـعـدـهـ الـأـيـاتـ الـنـسـخـيـهـ آـ وـقـائـيـهـ ذاتـ  
فحـوىـ ، تـرـاءـكـ عـبـرـتـيـاـكـ رـلـيـعـيـقـاـكـ لـكـعـلـهـ قـوـهـلـهـ شـيـرـيـاـ (١)ـ ، وـقـلـلـهـ قـعـلـهـ  
اعـطـافـ الـمـؤـمـنـيـهـ صـفـلـهـ ، وـلـيـقـهـ نـهـاـعـهـ دـهـ . نـوـقـلـلـهـ مـسـلـيـعـهـ لـوـخـنـ فـيـسـعـ  
معـ الـآـيـاتـ — بالـرـكـيـزـةـ الـأـوـلـىـ ، وـرـأـيـاـهـ تـحـصـنـ الـمـؤـمـنـيـهـ أـ خـيـرـيـقـلـيـزـيلـ  
لـلـنـاسـ . نـوـتـجـهـ فـيـهـ تـجـهـرـهـ قـيـمـهاـ وـمـهـازـيـنـ لـفـعـلـهـ مـعـهـ لـعـلـهـ لـلـمـادـيـهـ  
قـشـابـةـ ، وـبـرـيـقاـ خـادـعاـ . وـقـرـأـنـاـ يـوـمـئـذـ قـوـلـ اللـهـ « فـلاـ تـعـجـبـ أـمـوـالـهـ ،  
وـلـاـ أـوـلـادـهـ » ، أـنـمـاـ يـوـرـيـدـ اللـهـ لـهـ لـعـلـهـ أـيـلـقـاـهـ تـصـلـيـعـ الـحـيـاةـ الـقـيـمـاـهـ بـلـاـ وـغـرـهـ  
أـنـفـسـهـمـ وـهـمـ كـافـرـوـنـ » (٢)ـ مـعـتـقـلـهـ . تـلـفـعـاـ قـيـهـ نـهـمـيـهـ نـعـقـهـ

لـهـ لـلـ بـلـهـ لـلـ اـعـمـ الـرـكـيـزـةـ الـأـوـلـىـ يـلـمـحـ زـيـقةـلـنـاـ لـشـعـ  
سيـقـاـ بـلـقـتـهـ . قـيـهـ لـلـسـنـاـلـاـهـ ، سـيـقـاـ عـلـمـ . سـيـالـ بـهـتـ رـلـيـاـ نـهـ  
وـشـعـاعـاتـ الـرـكـيـزـةـ الـأـوـلـىـ تـسـرـىـ بـكـ عـبـرـ الـلـيـلـيـتـ فـعـالـرـيـفـاتـ طـلـقـيـ  
قطـارـدـ عـنـاصـرـ الـفـتـنـةـ وـتـنـدـدـ بـالـأـطـمـاعـ ، وـتـكـنـفـ الـزـيفـ وـالـكـرـ حـتـىـ  
تـرـفـاـكـ (٣)ـ الـعـ مـقـامـ تـيـصـرـ فـهـ وـجـدـةـ الـجـلـهـ الـشـيـ تـجـمـعـ الـنـظـرـاءـ  
فـيـ قـرـنـ (٤)ـ الـعـ حـيـثـ تـطـبـ قـلـبـكـ بـهـ عـقـدـ مـنـ مـواـزـنـةـ شـافـيـهـ بـيـنـ  
مـعـسـكـرـيـ الـحـقـ وـالـبـاطـلـ ، تـكـتـمـلـ بـهـ الصـورـةـ ، وـتـظـهـرـ الـفـوارـقـ .  
عـيـقـهـ بـلـهـ وـلـهـ . سـيـالـ بـهـنـعـ . سـيـالـ بـهـنـعـ . سـيـالـ بـهـنـعـ . سـيـالـ بـهـنـعـ .

الـيـ مـرـافـعـ قـوـلـ اللـهـ : « الـنـافـقـونـ وـالـنـافـقـاتـ بـعـضـهـمـ مـنـ بـعـضـ ،  
يـأـمـرـوـنـ بـالـمـنـكـوـهـ ، وـبـنـهـوـنـ عـنـ الـعـرـوـفـ ، وـيـقـضـيـوـنـ أـيـدـيـهـمـ نـسـوـاـ اللـهـ  
فـنـسـيـهـمـ ، أـنـ الـنـافـقـينـ هـمـ الـفـاسـقـونـ . وـعـدـ اللـهـ الـنـافـقـينـ وـالـنـافـقـاتـ ،  
وـتـلـكـفـاـنـاـوـنـاـوـنـجـهـمـ بـخـالـدـيـنـ فـيـهـنـاـهـ أـهـيـهـهـمـ ، نـوـلـعـلـهـمـ لـلـهـمـ وـاهـمـ  
بـعـذـابـ مـهـتـيـمـ » (٥)ـ مـعـتـقـلـهـ التـوـبـهـ هـنـاـ رـاءـ اـهـسـبـيـهـ هـنـاـ اـعـيـيـهـ  
كـانـ رـقـمـ . قـلـلـهـ رـسـمـ . سـيـالـهـ وـلـجـنـهـ . زـيـعـهـ قـسـلـفـ : نـأـهـاـ

(١) تمـونـ .

(٢) تـدـنـيـكـ ، وـتـسـكـكـ . . سـيـالـ بـلـهـ ، بـلـهـ وـمـبـ (٦)

(٣) حـبـلـ . . سـيـالـ بـلـهـ زـيـعـهـ قـلـلـهـ (٧)

والآيات هذه تحيط بمظاهر النفاق ، وتلوى بمجامع هذه المظاهر على أنفاق المنافقين حتى تجحظ أعينهم من ضيق الخناق ٠

والقرآن بهذا التصوير المعبر ، وبهذه المقارنة الحاسمة يعمق الهوة التي تفصل بين الحق والضلال حتى لا يتبسّر الأمر على مسلم ، ويبين أن المؤمنين ، والمنافقين على خطين متدايرين ، وقطبين متناقضين لا يلتقيان أبدا ٠

أولئك دعاة معروف وجفاة منكر ، وهؤلاء دعاة منكر وعداء معروف ٠

(١) أولئك أوتوا بسطة وسماحة وأقاموا على الذكر ٠ وهؤلاء كثرة (٢)  
مقدون يعمهون في الغفلات ، فأئن يتوالون ، وأئن يلتقون ؟

ومثل المنافقين كمثل الكافرين ، جمعوا إلى الكفر كل ما ينفعه من أرياح تهب بالشر ، وتلد التمرد ، واللامانانية ، وتقلب القيم ، وتتررق في الغفلات ٠

فهم في حمأة (٣) هذه الصفات يتشابهون تشابه أبغاض الشيء الواحد « بعضهم من بعض » مما أحراهم أن يخروا في وحدة واحدة ملعونين مقمدين « وعد الله المنافقين والمنافقات والكافار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ، ولعنهم الله ، ولهم عذاب مقيم » ٠

وأخرج المنافقين في هذه الأردية البشعة يفيد أن المنافقين صفات لا ذات ٠ فحيثما اجتمعت تلك الصفات فثم النفاق ، وثم سوء الدار ٠

وحرى بالمؤمنين أن يربئوا بأنفسهم عن رجس هذه الصفات ويبرعوا إلى الله ويحرصوا على النموذج المشرق الذي اختصهم به القرآن : نفامة معدن ، وزكاء خلال ، وحسن معاملة ، وصدق ولاء

(١) جمع كثرة ، والكثرة البخل ٠

(٢) الحمأة الطين الأسود المنقى ٠

فِي أَلْفَةٍ وَمُشَارِكَةٍ وَجَدَانِيَّةٍ بِلَا انْعِزَالٍ ، وَلَا أَثْرَةٍ ، وَلَا شَحٍ وَلَا خَوْرٍ  
« وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَا  
عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيَقِيمُونَ الصَّلَاةَ ، وَيَؤْتُونَ الزَّكَاةَ ، وَيَطْبِعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ  
أُولَئِكَ سَيِّرُهُمُ اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » التوبه ٧١

أُولَئِكَ بِخَصَائِصِهِمُ الدِّينِ هُوَوَا • وَالْمُؤْمِنُونَ بِخَصَائِصِهِمُ الْعَلِيَا  
اِرْتَقَوا •

وَحَظَ الْمُؤْمِنِينَ الْأَكْمَلُ فِي الْآخِرَةِ • فَهُمْ لَا يَسْتَنْدُونَ طَبِيعَاتِهِمْ  
فِي حَيَاتِهِمُ الدِّينِ • كَيْفَ وَقَدْ وَعَوْا تَوْبِيَخَ اللَّهِ لِقَوْمٍ أَفْرَطُوا فِي الْمُتَعَّنِ  
وَأَذْهَبُوا طَبِيعَاتِهِمْ فِي الدِّينِ « وَيَوْمَ يُعَرَّضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ  
أَذْهَبُتُمْ طَبِيعَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدِّينِ وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تَجِزَّوْنَ عَذَابَ  
الْمَهْوَنِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسِقُونَ »  
الْأَحْقَافُ ٢٠ •

عَنْ عَمْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : دَخَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ — وَهُوَ فِي  
مَشْرِبِهِ حِينَ هَجَرَ نِسَاءَهُ — فَلَمْ أَرْ شَيْئًا يَرِدَ الْبَصَرَ إِلَّا أَهْبَأَ جَلَودًا  
مَعْطُونَةً قَدْ سَطَعَ رِيحَهَا • وَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ مُضْطَبِعٌ عَلَى رَمَالٍ حَصِيرٍ  
لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فَرَاشٌ ، قَدْ أَثْرَ الرَّمَالَ بِجَنْبَهِ مُتَكَبِّعًا عَلَى وَسَادَةِ مِنْ  
آدَمَ حَشْوَهَا لَيْفٌ • قَلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَيْرُهُ ، وَهَذَا  
كَسْرٌ وَقِيَصْرٌ فِي الدِّيَاجِ وَالْحَرِيرِ • ادْعُ اللَّهَ فَلِيُوسِعْ عَلَى أَمْتَكِ ،  
فَانْ فَارِسٌ وَالرُّومُ قَدْ وَسَعَ عَلَيْهِمْ وَهُمْ لَا يَعْبُدُونَ اللَّهَ • فَقَالَ : « أَفَيْ  
شَكَ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَابِ ؟ أُولَئِكَ قَوْمٌ عَجَلْتْ لَهُمْ طَبِيعَاتِهِمْ فِي حَيَاتِهِمْ  
الْدِينِ » مُتَفَقٌ

وَتَأْدِبَا بِهَذَا الْأَدْبَرَ كَانَ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَخْشُوْنَ فِي « عِيشَتِهِ »  
وَيَقُولُ لِجَلَسَاءِ رَغْبَاً عَنْ طَعَامِهِ وَابْتَغُوا طَعَاماً أَرْغَدَ وَأَلَّى : لَأَنَا أَحَدُ  
بِخَفْضِ الْعَيْشِ ، وَلَوْ شَاءَتْ لَجَعَلْتُ أَكْبَادَا ، وَاتَّخَذْتُ سَلَائقَ ، وَشَوَّهَ

وزببياً وكذا وكذا . ولكنني أستبقى حسناتي ، فان الله عز وجل وصف  
أقواماً فقال : أذهبتم طيباتكم ، في حياتكم الدنيا .

وكلمة « أذهبتم » توحى بأن المذمومين شربوا حتى الثمالة ،  
وامتصوا مشاشة <sup>(١)</sup> الدنيا ، واستغنووا بمتاع العاجلة عن نعيم الآخرة ،  
وطيبات الدنيا حلال اذا مورست في غير سرف ولا مخيلة ولا افراط  
« قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده ، والطيبات من الرزق .  
قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيمة كذلك نفصل  
الآيات لقوم يعلمون » الأعراف ٣٢ .

فالمؤمنون ينبغي ألا يلوا جهداً في استثمار الدنيا وتوفير  
الطيبات . وفرق ما بين المؤمن وغيره . أن المؤمن أوتي القدرة على  
مقاومة جاذبية زهرة الدنيا والتحكم في الأهواء الجامحة التي توبق ،  
وتتردى . الدنيا بماحوت من طيبات محوزة لهم ذلول ، ذخراً لمصلحة  
الحياة الموضولة التي تستهدف الدارين ، وتنتظم الجماعة والفرد .  
والمؤمن بعد هذا يعلم أن الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر ،  
وأن الآخرة بكل نعيمها خالصة للمؤمنين مع رضوان من الله أكبر .  
مصدق ما روى في الصحيحين عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى  
الله عليه وسلم قال : « إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة .  
فيقولون ليك وسعديك والخير في يديك . فيقول هل رضيتم ؟ فيقولون  
وما لنا لا نرضى يارب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك ؟ فيقول  
سبحانه ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون يارب وأي شيء أفضل  
من ذلك فيقول أهل عليكم رضوانى فلا أسطخ عليكم بعده أبداً » .

وهذه المنازل العليا التي تتحقق فوق رءوس المؤمنين هي العرض  
الرقيق المغرى الذي يبذله المولى سبحانه لن جاهد نفسه ، وجاهد

---

(١) المشاشة رأس العظم المعن المضيء .

اغراء المتع فجاهد في صلابة العدو « ان الله اشترى من المؤمنين  
أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ٠٠٠ » التوبة ١١١ ٠

ذلك كله احياء قول الله : « وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات  
تجرى من تحتها الأنهر خالدين فيها ، ومساكن طيبة في جنات عدن ،  
ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم » التوبة ٧٢ ٠

وإذ قد أبرمت الصفقة ، وطابت بوعد الله النفوس ، وربح البيع  
دوى نداء الجهاد ، وحتم الله على رسوله صلى الله عليه وسلم أن  
يغليظ في مقامات الجهاد ويغليظ بقدر ما يلين ويرق ، ويرفق في مقامات  
الوطام والسلام ٠

ان القرآن الذي بارك سمو أخلاق رسول الله فوق الفظاظة  
والغلوطة « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفروا من حولك » هو القرآن  
الذى حتم الغلوطة في مواجهة الفسقة المتمردين من الكفار والمنافقين  
مطلقا كلمة الغلوطة حتى نملأ بها كل مجال ، وحتى تعنى – فيما تعنى –  
صلابة الدعوة ، وبأس الميدان ، وعنف الزجر وكثافة الرباط ، وأنقلال  
العدة ، وغطرسة المفاوض بعد الإيهان والاثنان ٠ مصدق قول الله  
« فاما تشققهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون »  
الأئفال ٥٧ ٠ ومصدق قوله « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى  
يُثخن في الأرض » الأئفال ٦٧ ٠ استمع الى نداء القوة يصلصل من  
مآذن براءة :

« يأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين ، واغليظ عليهم ، ومؤاهم  
جهنم وبئس المصير » التوبة ٧٣ ٠

بخارى أحمد عبده

# نفحات القرآن

## بقلم بخاري احمد عبد الله

الركيزة الثالثة : كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة ..

لا زلنا نصعد (١) ونصب الأعين آياتنا تلك التي تقرر أن المسلم — مهما اعتقل — في رباط مع القادرين أو خلف القادرين ما دام فيه عرق يفصح عن قدرة ، أو فضل قوة ، أو فيض حيلة « ليس على الضعفاء ، ولا على المرضى ، ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج لهذا نصحوا لله ورسوله ۰۰۰ » ولقد مضينا — ونحن نغدو (٢) في السير نحو الآية الرائدة — عبر آيات تذرو الخير ، وتشد العضد ، وتجرى بالمؤمنين يسرا إلى حيث الآيات التي توأكب بأنوارها سيرهم وتحفهم بأعطافها حتى يستقر بهم حول مناهلها الثواب ..

عبر آيات تتفق وقفات متمعنة على ادراك الماديين حيث تتبعن قسماتهم ، وتبصر مساقطهم ، وترباء بنفسك عن مثالبهم ..

والقرآن بعد ذلك يغرى المؤمنين بالتزام الجادة فلا يخوضون المخاص ، ولا يحتذون مثل الضالين .. ويستقبلك القرآن بصورة بينة الملائم بشعة المصير : « كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة ، وأكثر أموالا ، وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم ، واستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ، وخضتم كالذى خاضوا ، أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة ، وأولئك هم الخاسرون » التوبة ٦٩ ..

(١) أصعد في الأرض مضى ..

(٢) نفذ السير وفيه نسرع ..

والأهمية هذه الصورة ، يحيل القرآن عنك نحوها ، ويشد انتباهك بالالتفات من أسلوب الغيبة إلى أسلوب المواجهة والخطاب « من قبلكم » « أشد منكم » « فاستمتعتم بخلاقكم » « وختتم » \*

ثم بالعودة إلى أسلوب الغيبة ثانية « ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم » قوم نوح وعاد وثモود ، وقوم إبراهيم وأصحاب مدین والمؤتفكات أتتهم رسالهم بالبيانات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » التوبة ٧٠ \*

وفي هذا الالتفات البلاغي مزيد اثاره للمؤمنين حتى يعوا ، ويتحصنوا بالقيم العليا التي تكفل وضوح الرؤية وصحة المسيرة وصلاح الدارين . ومن منطلق كل القيم العليا التي يغري بها المؤمن تتحقق صلابة التصدى لأهل الضعة من منافقين وكافرین حتى يجسم الداء ، ويفرض على الأعداء الذلة والمصغار \*

هكذا يضرب القرآن لل المسلمين مثلا اليهود والنصارى . مارسوا حظهم من الدين والتزموا بمقدار ، ثم خاضوا في آيات الله . وحرفوا ، وبدلوا ، وضييعوا ، وابتدعوا والخطاب موجه – على الأرجح – للMuslimين ،أخذوا بما روى في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، لتتبين سفن من قبلكم شبرا بشبرا ، وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه ، قالوا : يا رسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال فمن ؟ \*

واستخدام صيغة الماضي « فاستمتعتم » « وختتم » فوق أنه يفيد حتمية التحقق يوحى بأن ذلك وشيك الواقع ، ولقد أحسن ابن عباس رضى الله عنهما بأن الأمر يوشك أن يبيتهم فصالح منزعجا : « ما أشبه الليلة بالبارحة هؤلاء بنو إسرائيل شبهنا بهم » \*

وصدق الله ورسوله فقد خضنا مبكرين في مباءات الفتنة ،  
وخطبنا مبكرين في أسباب الدنيا ، وخطبنا في قضايا الدين بهوى  
المارقين ، وغفلة الأئم ، وتعقبنا الشياطين حتى جاوزنا الضحاص  
الضحل وغضينا الأعماق وأشرفنا على الاختناق « وخطبنا كالذى  
خاضوا » .

وحدة الصنيع تؤذن بوحدة المصير ، وتنذر بخسارة الدنيا  
والآخرة « أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا ، والآخرة ، وأولئك هم  
الخاسرون » .

وأولئك الخاسرون كانوا أقوىاء ببنائهم ، وازدادوا قوة بما أوتوا  
وبما ولدوا وبدل أن يرصدوا عوائد هذه القوى ذخرا للدارين أهدروها ،  
وأسربوا في المتع وشربوا حتى الثمالة ، فانحرفوا سكرى إلى متأهات  
شيطانية مودية .

وأجيالنا بر乂ادة الماديين المترفين ، وبتبعة المستضعفين الامعات  
تسعى — مثل أولئك — إلى حتفها بأظلافها ، وتبتكر وهي في سكرتها  
وسائل الدمار المادية والمعنوية التي تعصف بالأمن وتنشر التوتر ،  
وتشيع الشقاء .

القرآن بعد ذلك يجرد من التاريخ أمما قد خلت أخذوا لها  
أخلدوا إلى الأرض ، واستغنووا بحظ العاجلة ، وأذهبوا طيباتهم في  
حياتهم الدنيا « ألم يأتكم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح ، وعاد ، وثمود  
واليوم ابراهيم وأصحاب مدین والمؤتكات ٠٠٠ » وهؤلاء جميعاً أتيحت  
لهم قوى ، وأنعم عليهم بنعم ، فهل أسرعت بهم قواهم أذ بطيتهم  
عملهم ؟ وإذا كان ذلك مآل من منحوا مزيداً من قوة ومن مال وولد  
فكيف بغيرهم ؟ .

والله نرشيداً للمسايبة ، وتبصيراً لعباده يضع المعلم حذو مساقط الأئمَّةِ التي تتبع قوافل الغافلين وتقطعهم عن خالق الآخرة « إنَّ الَّذِينَ يُشْتَرِونَ بَعْدَ اللَّهِ أَوْيَانَهُمْ ثُمَّنَا قَلِيلًا ، أَوْلَئِكَ لَا خَالِقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ ، وَلَا يَكْلِمُهُمُ اللَّهُ ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَا يَزْكِيْهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » ٧٧ آل عمران ٠

ورغم كل معلم المهدى كان من الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق ، ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ٠

وبعد هذا الحديث المستفيض عن قوى التعميق وجحافل الموعين الصالين تعرض السورة وجهاً آخر للكون وصورة بيضاء مثل الصفا لآخرين لم تستهوهم المتع ، ولم يسترلهم الشيطان ، وذلك قول الله « وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أُولَئِيَّاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيَقِيمُونَ الصَّلَاةَ ، وَيَبْرُؤُونَ الزَّكَاةَ ، وَيَطْبِعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، أَوْلَئِكَ سَيِّرُهُمُ اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٠ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تُحْكِمَ أَنْهَارًا ، خَالِدِينَ فِيهَا ، وَمُسَاكِنٍ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرَضْوَانٍ مِنْ اللَّهِ أَكْبَرُ ، ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » التوبة ٧١ - ٧٢

#### الركيزة الرابعة :

وشكر هذه النعمة الجلى أن يظل المؤمن شاكى السلاح ، آخذًا وضع الاستعداد ، علماً في حلوق قوى الشيطان إلى يوم القيمة ، وايحاء بهذا أغلق الله دائرة الحديث بقوله بعد ذلك مباشرة « يَأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهَدَ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلَظَ عَلَيْهِمْ ٠ » التوبة ٧٣

فلا شك أن الشيطان وقوده الذي يذكى به ضرام الباطل ، وله قواه التي يصفها ذوداً عن مراقبه وعن معاطن حزبه ٠ وللحق كذلك جنوده التي تدفع تلك القوى الشيطانية ٠ فسنة الله في الكون أن يدفع

الناس بعضهم ببعض مصدق قوله سبحانه « ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » البقرة ٢٥١ . وقوله « ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبئر وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً » الحج ٤٠ . وقوله « ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ، ولكن ليبلو بعضكم ببعض » محمد ٤ .

وقوام قوة الحق مجتمع نقى يعمره اليمان ، وتسوده القيم ، ويرفع دعائمه تواص بالخير وتعاهد على الصبر ، وتعاون على البر والتقوى ، وتأمر بالمعروف ، وتناه عن المنكر . مجتمع يؤمه رباني جمع الى الدين البصر بالسياسة ، والقدرة على تبعة المخلصين يوتق بظاقاتهم كل فتق ، ويدفع بهم عناصر الفتنة والشر . ويجاهد معهم الكفار والمنافقين انتقاماً بقول الله « يأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين ٠٠٠ » .

والجهاد بذل الجهد في دفع ما لا يرضي . والصراع المحتدم بين الحق والباطل يمر بمراحل أدناها جهاد اللسان ، وأعلاها الجود بالنفس في مواجهة : -

(أ) المشركين : « فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلو المشركين حيث وجدتموهم » التوبة ٥ .

(ب) أهل الكتاب : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » التوبة ٢٩ .

(ج) والمنافقين : « يأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين ٠٠ » .

(د) والبغاء : « ٠٠٠ فان بعث احداهما على الأخرى فقاتلوا التي ،  
تبغى ٠٠٠ » الحجرات ٩

والمؤمن في ظل أربعة المسیوف هذه يظل في رباط ٠ يعيء ، أو  
يخطط ، أو يمول ، أو ينفذ ٠ يواجه بلا خور جرائم الشر في المجتمع  
المسلم ، ويتصدى للعنابر التي تخدع بالشعارات ، وتختدر بالحلف ،  
وتقتن بالبريق ، ثم مفترس بلا رحمة ٠

فلا عجب اذا أبصرت عبر نداء الجهاد « جاحد » قرآننا يستقصى —  
في معرض الذم واثارة المشاعر ضدهم — آثار هدام ترhaft بين الصفوف  
تنفتح السموم ٠ يتبعهم حتى ييرزوا بكل ملامحهم : جشع وهلع ،  
وانغماس في المتع ، وكفر وتربيص وخداع ، ونقض للعمود واغراء  
بالقعود ٠٠٠ الخ ٠

وهؤلاء — وان بدوا أولى طول — أجبن الناس عند اللقاء ، وأكثر  
الناس تشدقًا وتطاولاً اذا ما خلوا بأرض ٠ تتمثلهم حين تقرأ قول الله  
« فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذى يعشى عليه  
من الموت ، فإذا ذهب الخوف سلقوكم بأسنة حداد ٠٠٠ » الأحزاب ١٩  
وتراهم خلال قول الله « ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة ، فإذا  
أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض  
ينظرون إليك نظر المعشى عليه من الموت ٠٠٠ » محمد ٢٠ وابعاثا  
من ودهة الجبن يختلقون الأعذار ، وينططون في العلل ، ويلوذون  
بالأحجار ٠ « لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم ،  
 وأنفسهم ، وأولئك لهم الخيرات ، وأولئك هم المفلحون » التوبة ٨٨  
لا يقعدهم غير أولى الضرر ، ولا يرغب أحد بنفسه عن نفس الرسول  
صلى الله عليه وسلم ان ضاقت بأحدهم مواطن القتال اتخذ مواقف  
 المناسبة خلف الصفوف وعزاؤه قول الله « ليس على الضعفاء ولا على  
الذين لا يجدون ما ينفقون حرج ٠٠٠ »

بخارى أحمد عبده

# نفحات قلآن

## بقلم بخاري احمد رعبيه

بسم الله الرحمن الرحيم : « ليس على الضعفاء ، ولا على المرضى ، ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ، ماعلى المحسنين من سبيل ، والله غفور رحيم . ولما على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا ، وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون ، انما السبيل على الذين يستأذنونك ، وهم أغنياء . . . . التوبة . . . .

فِي مُعِيَّةِ الْقُرْآنِ مُضِيَّنَا نجوس خلال رياضه ، نستروح نسمات تسرى سخاء رخاء بالنضاره والرحيق ، وقورت القلوب تفتحا وازدهارا ربى عيما يهدى ويحيى . وتلهما على مثل هذه النفحات الندية المباركة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتضرع الى الله بكل اسم هو له أن يجعل القرآن ربيع قلبه ويبحث المسلمين على أن يتضرعوا تضرعا ويسألوه الله مثلما سأله: روى احمد والحاكم ، وابن حبان بأسنادهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أصاب عبدا هم ولا حزن فقال : اللهم انى عبدك ، ابن عبدك ، ابن أمتك ، ناصيتي بيديك ، ماض في حكمك ، عدل في قضائك ، أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحدا من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك - أن يجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهب همي ، الا أذهب الله حزنه وهمه ، وأبدل مكانه فرحا » ومفهوم الحديث أنه بالقرآن تعيش الربيع نماء ، وحركة ، وحيوية وعطاء وطيب نفس .

ولقد طفت بركايز تربوية تطب القلوب ، وتقيم المؤمنين مقاما محمودا يرون من عليائه بواسطن الأداء تتعرى بنور القرآن ، وعوج الطريق يستقيم بهدى الرحمن .

بركائز تضرب الأمثال ، وتغرس بالتراث الجادة ، واعداد العدة،  
«مبشرة أسباب الجهاد للذود عن لبنة الكمال ولتمكين دين الله في  
الارض .

وقدر المؤمنين أن يعكفوا على أسباب الجهاد ، ويظلو دائما على  
وضع الاستعداد متحفزين . ذلك لأن أعداءهم الذين عدد القرآن  
مذاهبيهم ومثالبهم وحدد قسماتهم يعيشون الغليان العدواني ،  
ويتحينون الفرصة التي يطفئون فيها النور الدرى أو يطمرون المجرى  
أو يوقفون المد الإسلامي الفياض .

وهذه الأوضاع الشرسة تحتم على المسلم أن يبيت ويصبح شاكى  
السلاح شاهر السيف ( ود الذين كفروا لو تعفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم  
فيميرون عليكم ميله واحدة ) النساء ١٠٢ وكلمة ( ود ) تنبئ عن ارادة يثير  
ضرامها حب شديد ، فرغبة الكافرين رغبة مؤكدة مشتعلة ، وهم من واقع  
انفعالهم بهذه الرغبة يحتالون ، ويمكرون ويعذرون حتى تتعقد سحب  
الغفلات كثيفة في سماء المسلمين ، ورغم تحذيرات القرآن وقع المسلمون  
في الشرك واستسلموا لخدر ثقيل .

منزلة السيف — اذن — في الاسلام منزلة رائدة . و اذا سقط السيف  
منيد المسلم عجز عن أن يمهد لدينه الطريق ويزيل العائق ويرهب  
المعوقين . نعم لا اكراه في الدين . ولكن تطهير المجرى وتعبيد الطريق  
شيء ، والاكراه شيء آخر . فلا ينبغي أن نساير عقد الذل ونقنع في أحباب  
المستشرقين وننكر علاقة السيف بالدين (١) ف تكون النتيجة أن نعيش بلا  
سيف وبلا دين . وفي ظلال السيف ، وفي حمى الرماح الشامخة تجري  
هدايات الاسلام فياضة غامرة ، وترتفع سحبها معية محبية ، وتنشر  
جفات ورياضا مزهرة مثمرة . والسيف عرض دنيوي ، ومفهوم هذا أنه لا

---

(١) راجع مراحل الجهاد في عدد رجب سنة ١٤٠١ هـ .

سيف لم يعتبر بسفن الله ويهيمن على أبعاد دنياه ٠ ومن نام عن دنياه  
كم نام عن آخرته ، كلامها على ضلال ، ومن كان في هذه أعمى فهو في  
الآخرة أعمى وأضل سبيلا ٠

ان المؤمن في رباط الى يوم القيمة يذب عن دينه هوما الخارج  
والداخل ٠ ولكنه في حالة من حالات جزر الضمير قد يقع نهب وساوس  
النفس الأمارة بالسوء ، سرعان ما يتداركه مد الايمان ليغيب من  
نوبة الضعف ، ويعود من جديد الى رحاب الله « والذين اذا فعلوا فاحشة  
أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله ٠٠٠ » آل عمران ١٣٥ ٠

وأظهر مثل لهذا قصة الثلاثة الذين خلفوا ، ركعوا الى الدعوة ، والظاهر  
والثمر في لحظة من لحظات جزر الضمير ٠ وحين تداركهم مد الايمان آلوا  
آلا يعتذروا بکذب ، وأقروا بأنهم لم يكونوا قط أقوى ولا أيسر منهم حين  
تخلفو ، وتحملوا بلا تخلفهم وصدقهم ، وثبتوا رغم استحكام حلقات  
البلاء حتى جاء عفو الله ونزل قوله سبحانه « ٠٠٠٠ وعلى الثلاثة الذين  
خلفوا ، حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما راحت ، وضاقت عليهم أنفسهم  
وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه ، ثم تاب عليهم ليتوبوا ، ان الله هو  
التواب الرحيم » ثم شفع هذا بما يعلى شأن الصادقين ويفيد أن تكريمهم  
من تمام التقوى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين »  
التوبة ١١٨ ٠

والقرآن في هذه السورة « التوبة » شدد النكير على المخالفين ،  
وندد في سورة الفتح بمخالفين آخرين اثقلوا واصطنعوا الأعذار ، وقالوا  
بأنسنتهم ما ليس في قلوبهم — وقلوبهم المنهارة كانت تتخطى على أدوات  
مكبotta ظهرت في شكل ظنون سوداء — وما نزل في مخالفى سورة الفتح  
قول الله : « سيقول لك المخالفون من الاعراب شغلتنا أمونا وأهلونا  
فاستغفر لنا ، يقولون بأنسنتهم ما ليس في قلوبهم ، قل فمن يملك لكم  
من الله شيئا ان أراد بكم ضرا ، أو أراد بكم نفعا ، بل كان الله بما تعملون

ـ خبيرا ، بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا ، وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكتتم قوما بورا » الفتح ١١ - ١٢

ـ ولما نزل قول الله تعالى : « قل للمخالفين من الاعراب ستدعون الى  
ـ قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم ، أو يسلمون ، فان تطيعوا يؤتكم الله  
ـ أجرا حسنا ، وان تتولوا كما توليتكم من قبل يعذبكم عذابا أليما » الفتح ١٦  
ـ عندئذ قال أهل الزمانة قلقين : كيف بنا يارسول الله ، فنزل قول الله  
ـ « ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ، ولا على المريض حرج  
ـ ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهر ، ومن يتول  
ـ يعذبه عذابا أليما » الفتح ١٧

ـ وهذا الدرس في هذا الموقف حرى ألا ينسى ، ولكن معدن الأناسي  
ـ المحاجة إلى دوام الطرق اقتضى تكرار الدرس ، وتطلب حملة مكثفة على  
ـ فزعات الوهن ، والهوان ، ومعالجة حاسمة لمناذذ الغفلة والنسيان ٠

ـ تمعن تر ذلك في قول الله : « مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله  
ـ اثاقلتם الى الارض » التوبة ٣٨

ـ وفي قول الله : « الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم »  
ـ التوبة ٣٩

ـ وفي قول الله : « انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا » التوبة ٤١  
ـ وفي قول الله : « لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن  
ـ يبعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم ، يمهلكون  
ـ أنفسهم ، والله يعلم انهم لكاذبون » التوبة ٤٢

ـ وفي قول الله « لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر  
ـ ان يجاهدوا » ٠٠٠ التوبة ٤٤

ـ ويبلغ النكير مداه في قول الله : « ولو أرادوا الخروج لأعدوا له  
ـ عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبت لهم وقيل اقعدوا مع القاعدین ٠ لو خرجوا

فيكم ما زادوكم الا خبلا ، ولأوسعوا خلالكم بيعونكم الفتنة ، وفيكم  
سماعون لهم والله عليهم بالظالمين لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبو الك  
الأمور ٠٠٠ » التوبة ٤٦ -

هكذا تستقضى آيات التوبة نباء المخالفين حتى تبلغ نقطة اللاعودة  
إلى صنوف المسلمين بعد أن فرحوا بمقعدهم ورضوا بأن يكونوا مع  
الخواالف « فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن  
تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوا ٠٠٠ » التوبة ٨٣

والقرآن لم يحسم هذا الحسم مع مخلفي الفتح ولعل ذلك كان  
مراعاة لحداثة عهدهم بمثل هذه التجارب . وإنما أعطاهم فرصة أخرى  
تعليمًا للناس ولعلهم يكفرون عن موقفهم المتخاذل « قل المخالفين من  
الأعراب ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد » ١٥ الفتح

ولكن التجربة الثانية كشفت معذنهم وقامت حجة عليهم فكان لا بد  
من صدور ذلك القرار الحاسم « لن تخرجوا معى أبدا ، ولن تقاتلوا معى  
عدوا » .

والقرآن أذ يضيق الخناق على المخالفين ، وأذ يشرح بواطنهم  
ويوضح انفعالاتهم يشجب بذلك كل مواقف اللامبالاة في المجتمع الإسلامي  
وينكر الانزعالية والتهاون ، وأثبات غير ذات الشوكة ، ويؤكد في الوقت  
نفسه خطورة قوى الفت ، والتثبيط على الحركة الإسلامية ، ويوحى بأن  
جرائم القاعدين عن الجهاد جرم مفظع .

والله الذي لا يكلف نفسا الا وسعتها تولي العاجزين ، وأسا قلقهم  
وخفف عنهم بقوله تعالى : « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على  
الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا الله ورسوله ، ما على المحسنين  
من سبيل والله غفور رحيم ، ولا على الذين اذا مأتك لتحملهم قلت  
لأجد ما أحملكم عليه » .

بخارى احمد عبده

# نفحات القرآن

## بِسْمِ رَبِّ الْجَنَّاتِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم : « ليس على الضعفاء ، ولا على المرضى ، ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ، ما على المحسنين من سبيل ، والله غفور رحيم . ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيس من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون ، انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء . . . . التوبة . . . . »

\* \* \*

ان القاعدين أولى الضرر سلكهم الاسلام في عقد النافرين خفافاً . . . . وثقلاماً مصداق ماروى أبو داود عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «لقد تركتم بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيراً ، ولا أنفقتم من نفقة ولا قطعتم من وادٍ إلا وهم معكم فيه ، قالوا وكيف يكونون معنا وهم بالمدينة ؟ قال حبسهم العذر »

والاسلام الذي بدأ غريباً ب المسلمين مستضعفين ، والذى يحفظ على الدهر صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ ارتفع في طور من أطوار الضعف متضرعاً يشكو الى رب المستضعفين ضعف قوته ، وقلة حيلته ، وهو انه على الناس - هذا الاسلام لابد أن يربت على أكتاف المستضعفين مواسياً اذا صلحت طواياهم ، وخلصت نياتهم وصدق نصحمهم . . . .

وكما كان جهاد المسلمين - يوم بدعوا مستضعفين - ذكراً لله ، وتدرعاً بالآيمان والعلم ، وتركية للنفس ، وتحريراً بالتوحيد ، واعلاء للروح واغراء بالبذل ، وارتباطاً بالصبر ، وتأليفاً بالملودة وفهمها للعدو . . . .

الخ يكون – كذلك – جهاد المستضعفين صلة وثيقة بالله ، ومعاصرة حميدة للناس ، وتصديا لقوى الارجاف والتبيط ، وعلوا وصدق نصح وعطاء ما وسعهم العطاء وخلافة عن الغازين في الأهل والمآل والولد ما اتسعت أمامهم آفاق الخلافة « من جهز غازيا فقد غزا ، ومن خلف غازيا في أهله فقد غزا » متفق عليه .

وأولو الضرر تتقاوت أقدارهم تبعاً لنيتهم . منهم من يبيت يمزقه تخلفه ويظل يواكب مسيرة الجندي ويساركهم مشاركة وجданية لسان حاله قول الشاعر : –

ياراحلين الى البيت العتيق لقد  
سرتم حسوما وسرنا نحن أرواحا  
اما أقمنا على عذر ي Kelvinنا  
ومن أقام على عذر كمن راحا

وهؤلاء هم المقول فيهم : ان بالمدينة رجالا ٠٠٠ وهم بعكم نياتهم ف الشهداء مصدق ماروى مسلم عن سهل بن حنيف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سأله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وان مات على فراشه » ٠

ومن أولى الضرر من يبيت منطويما في علته دون أن تهفو نفسه لجهاد أو يائس على فائت . وظنني أن هؤلاء هم الذين قيدت الاشارة اليهم بكلمة « عسى » التي تقييد الرجاء وتلوح بالغفران في قول الله : « الا المستضعفين من الرجال ، والنساء ، والولدان ، لا يستطيعون حيلة ، ولا يهتدون سبيلا ، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم ٠٠ ٩٩ » النساء ٩٩

### اذا نصحوا

ومادة « ن ص ح » تفيد الخلوص ، والعطاء . تقول نصح فلان المرى اذا شرب حتى روى ، ونصح الغيث البلد سقاها حتى اتصل نبته ، ورجل ناصح الجيب لاغشن فيه ، والناصح العسل الخالص ، والتوبة النصوح الصادقة الخالصة من الدخن .

فالكلمة على هذا توحى بصدق المشورة ، واخلاص المودة ، واسداء النصيحة وارواه مجتمع المؤمنين ارواء يشفى الغليل ، ويؤلف بين القلوب . والنصح كى يقع هذا الموقع الطيب يستلزم استحضارا للتجارب وادراكا واعيا للأمور ، وقياما بالحق ، كما يستلزم أن يبني على دعائم من حب فالمؤمن يصدر في بره كله عن مشاركة وجданية قوامها الحب الذى يكفل للمجتمع المسلم أن ينمو نموا صحيا وفق الصورة التى تجلت في قول الله « ۝ ۝ ۝ كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقة يعجب الزراع ليعيظ بهم الكفار » .

لقد أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوضح خطر النصيحة وجلال أثرها فقصر الدين عليها وجعلها عين الدين وذلك فيما رواه مسلم عن تميم الداري « الدين النصيحة » سلطا - قلنا لن يارسول الله ؟ قال « لله ولكتابه ، ولرسوله ، ولائمة المسلمين وعامتهم » .

والنصيحة لله اخلاص توحيده ، وايثار حقه ، والانتصار بأوامره بحيث لا يجدك حيث نهى ، ولا يفتدرك حيث انتدبك . كل ذلك حبا ، ورغبة وريبة ، وبعدا عن مساخطه .

والنصح لكتاب الله تطبيق أحكامه ، وتدبر آياته ، والاعتصام بقيمه وتعبيد الطريق لهدياته حتى تظل المورد الكريم ، والمنهل العذب .

والنصح لرسول الله حبه ، وتوقيره ، والمحافظ على سنته دون تحريف أو ابتداع أو زيادة أو نقصان مصدق قول رسول الله « يحمل هذا الدين من كل خلف عدوه ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتقال المبطلين ، وتأويل الجاهلين » .

وذلك كله أسلوب من أساليب الجهاد في سبيل الله مصدق ما روى مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم « مامن نبى بعثه الله فى أمة قبلى الا كان له من أمته حواريون ، وأصحاب يأخذون بسنته ، ويفقدون بأمره ، ثم انه تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن

جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من اليمان حبة خردل » ٠

والنصح لأئمة المسلمين أن تعينهم على الحق ، وتدلهم على السداد وتواليهم بالقول للين ، والموعظة الحسنة ، وألا تعين عليهم الشيطان ٠

أما النصح للعامة فهو الاهتمام بأمرهم ، وأخذهم بمعنى التوحيد وتجنيبهم مغبات البدع ومضلالات الفتن ، مع توافق بالحق والخير ، وتعاون على البر والتقوى ٠

والمستضعفون اذا نهجوا هذا النهج ، وبلغوا بالنصيحة هذهغاية كانوا من المحسنين ٠ ولعل هذا ايهاء قول الله بعد بيان حكم العاجزين « ما على المحسنين من سبيل » ٠

ولقد ذكرت الآثار موافق مشرقة استند فيها الضعفاء جدهم وأذروا الى الله فكانوا معالما هدى في طريق المؤمنين ٠

من ذلك ماروى من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس أن ينبعثوا غازين فجاءته عصابة من أصحابه - أعيادهم الجهد - فقالوا يا رسول الله احملنا ، فقال لا أجد ما أحملكم عليه فرجعوا وأعينهم تقىض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون ٠

ورغم أن الله رفع الحرج عن الزمني الضعفاء أنفت نفوس أناس أن تسكن طى العجز ٠ فخرج ابن أم مكتوم الأعمى الى أحد يكثر سواد المسلمين ٠

وخرج عمرو بن الجموح يعرج فقيل له ان الله قد عذرك ٠ فقال والله لأحضرن بعرجتى هذه في الجنة ٠

قال ابن مسعود : « ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف » ٠

( البقية صفة ) ٢٠

بهذا المنهج صنع الله المسلمين ، وشحذهم بقوى عاقلة محركة قوامها اخلاص ونصححة ووحدة مصدق ماروى بسند صحيح عن ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث لا يفلط عليهم قلب مسلم ، اخلاص العمل لله ، والنصححة للمسلمين ، ولزوم جماعتهم فان دعوتهم تحيط بهم » احمد وابن ماجه والدارمى وغيرهم . فمن وقفت به طاقته عند هذه الثلاثة فلا سبيل عليه ولا تثريب . ومن امتلك المزيد التزم بأن يبذل غاية وسعه ونعم الله على عباده لا تتحصى ، وكل امرئ مسلم لن يعدم فضلا – فضل صحة ، أو فضل حيلة ، أو فضل حكمة ، أو فضل ظهر أو فضل علم ، أو فضل مال . الخ فهو غنى بكل هذه الفضول أو ببعض هذه الفضول . فلا عذر اذن ، ومن نكث أو نكص فانما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فيؤتىه أجرا عظيما . ذلك مفهوم قول الله « انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء ٠٠٠ » صدق الله العظيم

بخاري احمد عبده

# نفحات القرآن

## بِقَلْمِ بُخَارِيِّ احْسَدِ عَبْدِهِ

« يَا إِيَّاهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ، وَلَا تَمُونُ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ، وَاعْتَسِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفْرَقُوا ، وَادْعُوْنَا نَعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ أَذْكُرْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفْ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنَعْمَتِهِ أَخْوَانًا ، وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حَفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذْتُكُمْ مِّنْهَا كَذَلِكَ يَبْيَنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لِعْلَكُمْ تَهَدُونَ • وَلَتَكُنْ مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ، وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَاوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا ، وَأَخْتَلُفُوا ، مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ، وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ »

آل عمران ١٠٢ - ١٠٥

يُؤرقُ المُسْلِمَ فِي صَحْوَتِهِ ، وَغُفْوَتِهِ حاضِرُ الْمُسْلِمِينَ ، وَتَلَازِمُهُ صُورَتِهِمْ تَعْرِيدُ فِي جَنُونِ سُرْطَانِي خَلَايَاهُمْ ، وَتَتَنَافَرُ أَشْلَاؤُهُمْ وَتَتَنَاكِرُ أَحْشَاؤُهُمْ ، وَتَرْمِجُ بُوَاطِنَهُمْ فَتَنَفَّثُ أَرْيَايَا كَرِيمَةَ تَعْمَى وَتَصْمِي • وَتَتَكَرَّرُ الصُّورَةُ وَتَتَنَزَّلُ عَلَى عَيْنِيْكَ مَتَلَاحِقَةً كَائِنَّا صُورَةُ جَامِحةٍ عَلَى شَاشَةِ تَلْفَازٍ « تَلِيفِزِيُونَ » مُخْتَلٍ • وَالصُّورَةُ بِشَكْلِهَا الْبَشِّعُ ، وَتَوَالِيهَا الْمَقْبِضُ الْمَزْعِجُ تَنْرِسُ عَلَيْنَا أَنْ نَعْيِشَ نَقْنَنَ الْخَلَافَاتُ ، وَنَهْشِمَ تَحْتَ الْأَقْدَامِ الْمُتَعَرَّثَةِ وَنَضُلُّ بَيْنَ الْغَایيَاتِ الْمُبَعَّثَةِ وَنَحْطِمُ فِي النَّهَايَةِ تَحْتَ سَنَابِكَ خَيْلِ الْأَعْدَاءِ • وَنَحْنُ نَتَخْبِطُ فِي سَرَانِا الْمَشْئُومِ مِنْ نُورِ الْوَفَاقِ • إِلَى عَتَمَةِ الشَّقَاقِ •

وَلَقَدْ حَدَّدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَدَةَ الْفَرَقِ الَّتِي سَتَقْتَاعُ الْمُسْلِمِينَ فِي حَدِيثِهِ الشَّهُورِ • وَلَكِنَّهُ أَمْسَكَ عَنْ ذِكْرِ حَجْمِ الْفَتَاتِ الْمُتَخَلَّفِ عَنْ تَطَاهَنِ تَلْكَ الْفَرَقِ حَتَّى يَغْدُوا غَنَاءَ كَعْنَاءِ السَّيْلِ • وَأَهْبَاءَ لَا تَحْصِي « جَمْعُ هَبَاءٍ • وَالْهَبَاءُ الْغَبَارُ » •

ورحلة المسلمين بين لابتى « جبلى » الوفاق والشقاق وعرة المسالك جمة المهالك ٠ وأخلاقهم الى أحضان الشقاق في مهاوى الفرقه أنكى وأضل ٠ ولكن الله الذي يختص برحمته من يشاء ذو فضل عظيم يخرج بفضله عباده من الظلمات حيث التخبط والعمى والضلal ، الى النور حيث البصيرة والهدى ، وفضله — كرحمته الواسعة — غامر بيورث طيب النفس ، « ولو لا فضل الله عليكم ورحمته ما زکی هنکم من أحد أبدا ، ولكن الله يزکي من يشاء » النور ٠ ويقى معاطن العثار والخسار « ولو لا فضل الله عليكم ورحمته لكتتم من الخاسرين » البقرة وبفضله تفتحت أمام الإنسانية كلها آفاق العلوم ٠ وفضله سبحانه يعصم من الضلال « ولو لا فضل الله عليكم ورحمته لهم طائفة منهم أن يضلوك ، وما يضلون إلا أنفسهم ، وما يضرونك من شئ ، وأنزل عليك الكتاب والحكمة ، وعلمه ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيما » النساء ٠ وفضله هو الذي يحسن ضد الاغواء والاعراء وكيد الشيطان « ولو لا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا » النساء ٠ وصدق الله « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون » يونس ٠

والمولى بأياتنا تلك « ٠٠٠ واعتصموا ٠٠٠ » يتدارك عباده ، ويرفع معالم الطريق ، ويضع مقومات الأمة الوسطى حتى تستقيم بها شاهدة على الناس ، وتنستوى خير أمة أخرجت للناس ٠

والآيات تتلو آيات سبقتها ٠ ترصد الحركات الكافرة الماكنة ، وتدمج أهل الكتاب بالكيد والصد ، وتنزع عليهم الانحراف والاعوجاج والبغى ٠ وتندد بكفر لا عذر فيه اذ لا لبس ولا شبهة ولا غموض « قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بأيات الله ، والله شهيد على ما تعملون ، قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون » ٩٨ — ٩٩ آل عمران ٠ فكان هذه الخلل المنكرة هي التي توهن العرا ، وتشتت الشمل وتقتذف بالقلوب

الى شعب متنافرة لا تتلاقي ٠ وتحبس كل امرئ في ذاته يعشقاها  
ويمونها ويعبدها ٠

وآيات أخرى سبقتها ٠ تكشف ستر الأعداء وتفضح غايتهم ،  
وتذكى في المؤمنين غرائز الحذر وروح اليقظة وتهديهم مرافق الأمن  
على متن آيات الله وهدى الرسول في مأمن عن مخاطر الطريق ، ومناجح  
الشسط « يأيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقيا من الذين أتوا الكتاب  
يردوكم بعد ايمانكم كافرين ٠ وكيف تكفرون ، وأنتم تتلى عليكم آيات  
الله ، وفيكم رسوله ، ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم »  
١٠١ - ١٠٢ آل عمران ٠ والاسلام يقول « لا » لمن يتأثر بأهل الكتاب  
في قضايا العقيدة والشريعة والمنهج بعد أن تكشفت حقيقتهم وتجلى  
ما يضمرون « ان تطعوا فريقيا ٠٠٠٠ » وحتى لا تستصرع مفهوم الكلمة  
« فريق » و تستقل ما تضمنت من أعداد يورد الله المعنى مشمولا  
بالكثرة في قوله « ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم  
كفارا حسدا من عند أنفسهم » البقرة ١٠٩

ويورد الحكم نفسه في عبارة تفيد العموم في قوله « ودوا لو  
تكفرون كما كفروا ف تكونون سواء » النساء ٨٩

هكذا يقلب الله المعنى على حواسك في قوالب شتى ٠ والهدف  
من هذه المراوحة بين التعبيرات أن تأنس إلى المعنى وتشك في تجمعاتهم  
كبرت أو صغرت ٠

هذا ولا ضير من الانتفاع بجهودهم ، والاسترشاد بخبراتهم في  
العلوم البحثة أو في الدنيويات ، ولكن في غير غفلة ولا تمكين ٠ روى  
الامام أحمد عن عبد الله بن ثابت قال : جاء عمر رضي الله عنه إلى  
النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ان يهوديا من بنى قريطة  
كتب لي جوامع من التوراة ٠ ألا أعرضها عليك ؟ قال : فتغير وجه  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠ قال ابن ثابت : قلت لعمر ألا ترى  
ما بوجه رسول الله ؟ فقال عمر : رضيت بالله زبا ، وبالاسلام دينا ،

وبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولًا ۖ قَالَ : فَسَرِىٌّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ۖ وَقَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَصْبَحَ فِيهِمْ مُوسَى ثُمَّ اتَّبَعْتُهُمْ وَتَرَكْتُهُمْ فِي ضَلَالٍ ۖ إِنَّكُمْ حَتَّىٰ مِنَ الْأَمَمِ ، وَإِنَا حَظَّكُمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَفِي رِوَايَةِ أَنَّهُ وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مُوسَى وَعِيسَى حَيْنَ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ لَا وَسْعَهُمَا إِلَّا اتَّبَاعِي ۖ

فَكَانَ أُولَئِكَ بِمَفَاهِيمِ النَّابِيَّةِ عَنِ الْحَقِّ ، وَأَحْقَادُهُمُ الْمُتَاجِةُ فِي الصَّدُورِ ، وَحَمِيمُهُمُ الْجَنُونُ سَيِّطِلُونَ بِالنَّسْبَةِ لِلْمُسْلِمِينَ وَعَلَى مَدِي الْأَجِيَالِ عَنَّاصِرُ الشَّرِّ ، وَقُوَّى تَعْوِيقِ وَفَتْنَ وَاغْوَاءِ وَصَدِّ عَنِ الصَّرَاطِ وَهَدَاءِ إِلَى مَسْتَقْعِدِ الْشَّرِّ ، وَمَرَابِضُ الشَّيْطَانِ ۖ وَلَكِنَّ اللَّهَ وَلِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالْمُولَىٰ سَبَّحَهُ يَعْصُمُ مِنَ الْقَوَاصِمِ ، وَيَرْبِّي هَنْتَى يَمْلأُ بِالْمُسْلِمِينَ الْمِيدَانَ ، وَيَهْدِي هَنْتَى تَأْمِنُ قَوَافِلُ الْإِسْلَامِ الْعَثَارَ ، أَنَّهُ جَلْ وَعَلَا يَحْكُمُ الرَّوَابِطَ ، وَيَثْبِتُ الْأَقْدَامَ ، وَيَدْعُمُ الْجَمَاعَةَ ، وَيَبْرُكُ فِي الْوَفَاقِ وَالْاِلْتِقَافِ ۖ

وَدَعْمُ اللَّهِ لَا يَمْنَحُ إِلَّا لِجَمَاعَةٍ أَسْتَكْمَلَتْ قَوَاهَا الْذَّاتِيَّةُ الْفَعَالَةُ وَأَقَامَتْ وَجُودُهَا فَوْقَ أَرْضِيَّةِ مِنْ أَيْمَانٍ وَتَقَوَّى يَضْوِيَانِ بِاسْتِمرَارِ عَلَىِ الطَّرِيقِ ۖ

وَاللَّهُ بِنَدَاءِ الْإِيمَانِ « يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا » وَبِكُلِّ دَلَالَاتِ صِيفِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ يَرْسِي فِي نُفُوسِ الْمُؤْمِنِينَ دُعَائِمَ تِلْكَ الْأَرْضِيَّةِ « ۴۰۰۰ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ، وَلَا تَمُوتُنَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » ۖ

وَحَقُّ التَّقْوَىٰ هُوَ غَايَةُ الْجَهَدِ الْمُفَسَّرَةِ بِقَوْلِ اللَّهِ « فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا إِنْتُمْ تَسْتَطِعُونَ » فَالآيَةُ لَا تَحْدُدُ أَبْعَادَ التَّقْوَىٰ لِأَنَّ لِكُلِّ أَمْرٍ وَسَعَ ، وَعَدْمُ التَّحْدِيدِ أَدْعَىٰ إِلَى أَنْ يَظْلِمَ الرَّءُوفُ دَارِجًا فِي آفَاقِ التَّقْوَىٰ ۖ كُلَّمَا طَوَى آفَقًا تَكَسَّفَتْ لَهُ آفَاقٌ وَجَدَتْ أَشْوَاقَ وَتَطَلُّعَ إِلَى الْمُزِيدِ ۖ وَرَنَّا إِلَى مَقَامَاتِ أَرْفَعٍ وَأَسْنَىٰ ، وَتَمَنَّى مُزِيدًا مِنْ جَهَدٍ ، وَرَضِيَ بِمَا أَتَيَّحَ لَهُ ، وَتَلا « لَا يَكُلفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَسْعَهَا » ۖ

« ۴۰۰۰ وَلَا تَمُوتُنَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » ۖ

وَالآيَةُ أَذْ تَمَهَّدُ لِحَيَاةِ الْأَمْنِ وَالدُّعَةِ وَالْاسْتِقْرَارِ الْعَزِيزِ تَحْتَمُ

استخلاص النفس للمولى ، واسلام الوجه لله مع ثبات على الأمر .  
ويقين لا يشوبه شك . والموت على غير ذلك ينذر بخطر عظيم هو خطر  
الموت على غير الله .

والموت كما نعلم يباغتك في أية لحظة ، ويدركك أينما كنت ، وحيثما  
كنت . وهذا يلزمك بالمبادرة ، ويقتضيك دوام الاستعداد « وأنيبوا  
إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون ، واتبعوا  
أحسن ما أنزل اليكم من ربكم ، من قبل أن يأتيكم العذاب بعنة ، وأنتم  
لا تشعرون ، أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وإن  
كنت من الساخرين . أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين .  
أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرمة فأكون من المحسنين . بل قد  
جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت ، وكنت من الكافرين »

الزمر ٥٤ - ٥٩

والقرآن - كى لا تعفل طرفة عين - يلوح لك بالموت ويفحرك  
مباغته . « وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدهم الموت فيقول  
رب لولا أخترتني إلى أجل قريب فأصدق ، وأكمن من الصالحين . ولن  
يؤخر الله نفسها اذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون » المنافقون ١٠-١١  
شعار المؤمن بحكم « ولا تموتن الا وأنتم مسلمون » اسلام حتى  
الموت .

والموت أدنى من شراك نعلك . اذن شعار المؤمن : اسلام مع كل  
نفس . وذلك كمال التقوى .

كمال التقوى اذن أن يطاع الله فلا يعصى ، ويدرك فلا ينسى ،  
ويشكرا فلا يكفر . وحق التقوى دوام الانابة . وتغلب الخشية وسيادة  
الاخلاص على حركات العبد وسكناته .

واستخلاص النفس لله على هذا النحو هو حق التقوى . هو  
أحسن الدين « ومن أحسن دينا من أسلم وجهه لله وهو محسن »

النساء ١٢٥

## ركيزة أخوة وعناصر قوة

والمعنى الذى تبئها هذه الآيات المهدة التى سبقت الدعوة الى  
الاعتصام بحبل الله تشكل عناصر قوة تغذى كيان المجتمع المسلم .  
وتتوحى بأن الغفلة عن هذه الحقائق طريق الفرقة والتمزق والضياع .  
وخلاصة هذه العناصر هي : — أن المؤمن لابد أن يدرس خطوط  
المواجهة دراسة واعية غير مفتعلة ، وأن يتحصن بكل أسباب القوة  
المتفجرة من الدين ومن الدنيا . وأن يتمركز دائماً في موقع الایمان  
والتقوى « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ،  
ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره » قد جعل الله لكل شيء  
قدراً » الطلاق .

وكى يسْتَكْمِلَ الْمُؤْمِنُونَ كُلَّ رَكَائِزِ الْقُوَّةِ يَسْلِمُ السِّيَاقَ إِلَى آيَاتِ  
الْوَحْدَةِ الَّتِي تَمَسُّ أَمَّا الْمَشَاكِلُ ، وَتَعْلَاجُ الْعَلَةَ الَّتِي أَوْدَتْ بِالْمُسْلِمِينَ ،  
وَطَرَحُتْهُمْ جَسْداً مَسْجُبًا نَهْبَ مَدْيَ تَمْزِقَ ، وَأَيْادِ مُتَرَاحِمَةً نَهْمَةً تَتَنَبَّهُ  
وَتَتَشَوَّى . مَصْدَاقٌ مَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ ثُوبَانَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : تَوْشِكُ الْأَمْمَ أَنْ تَدْعُوا عَلَيْكُمْ كَمَا تَدْعُوا الْأَكْلَةَ  
إِلَى قَصْعَتِهَا . قَالُوا وَمَنْ قَلَّهُ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ : بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ  
وَلَكُنُّكُمْ غُثَاءُ كَعْثَاءِ السَّيْلِ ، وَلَيَنْزَعُنَّ اللَّهُ مِنْ صَدُورِ أَعْدَائِكُمُ الْمَهَابُ  
مِنْكُمْ . وَلِيَقْذِفُنَّ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنُ . قَالَ قَائِلٌ يَارَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ  
قَالَ حُبُ الدُّنْيَا وَكَراهيَةُ الْمَوْتِ . حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ،  
وَالبيهقي .

والأنكى غفلة المسلمين عن هذه الحقيقة المروعة ، ورضاهم بأن يتقاذفوا بين المغربين ويتبخبطوا تخبط السوائم تساق إلى حتفها بظافتها لاهثة كلما ومض من تحت سنابك خيل الاعداء وميض ظنوا أنهم آنسوا ناراً ووقعوا على هدى . وفي غمرات الغفلة وعنف الضغوط ذابت ذوات المسلمين وفقدوا الوزن ، واختلطت عليهم الغaiات ، وضللت الوسائل . والأعداء في دهاء يذكون نار الفتنة ، ويفخذون دواعيها المودية في ليل كموح البحر أرخي على المسلمين سدوله بأنواع الهموم . وغدا فتمطى بصلبه وناء بكلكله . ( يتبع )

# نفحات قرآن

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حُقْقَاتِهِ ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ ، وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفْرَقُوا ، وَاذْكُرُوْنَا نَعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ، فَأَصْبَحْتُمْ بِنَعْمَتِهِ أَخْوَانًا ، وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حَفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذْتُكُمْ مِّنْهَا ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعْلَكُمْ تَهْتَدُونَ ، وَلَتَكُنْ مِّنَّكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ، وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمَلْفُوْنُ ، وَلَا تَكُونُوْنَا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَأَخْتَلُفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءُهُمُ الْبَيِّنَاتُ ، وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ»

آل عمران ١٠٢ - ١٠٥

\* \* \*

شعار المسلم — اذن — اسلام الى الأبد ، اسلام مع كل نفس يتrepid . وشياطين الانس توزهم شياطين الجن بالمرصاد لهذا الدين، يصدون عنه ، ويقفون مده ، ويعکرون صفوه ، ويكتبون أنفاسه ، ويمکرون الليل والنهار . ويرتاعون يوم يرون صحوة عارضة تسرى في الجسد المسجى فيسرعون الى معاولهم يفصمون بها العرا ، ويخنقون الأنفاس ، ويحطمون الخلايا التي تفيض بالحياة ، وتؤذن بالنمو .

وأعداء الدين رغم ما بينهم من تناقض — يجمعهم ابليس على حد أدنى ، هو كراهية الاسلام . كلما رأوا حيوية منذرة ، وأحسوا أن بذرة الدين توشك أن تتفتق في جذر قلوب الرجال وتتحرك في الفطر الحية التي تتعيش تحت ركام الرماد المحترق تتحيز لحظة الاشعاع — كلما أحسوا ذلك أخذتهم الرجفة ، وداروا يرصدون التغيرات ، ويرسمون للاحتواء والجهاف ، بأساليب شتى منها :

١٥ - تعميق الخلافات بين المسلمين ولا سيما الشباب .

٢ - تشويه الواجهة بالصاق التهم وترويج الشائعات .

٣- دعم الجبهات المضادة التي يسوؤها انتشار المد الاسلامي.

٤- اصطناع العملاء وتزويدهم بامكانيات التسلل ، والقسنط ،

والمجمع :

٥- التمكين للأقلام الماجورة كى تشڪ ، وتبليـل ، وتطعن في المقدسات .

٦ - مباركة كل منابر التنفيذ ، ودعم مراكز الدين  
واذكاء جذوة البدعة والدروشة والخرافة .

٧ — مناصرة حركات الجمود التي تقوّع المسلم في دائرة ضيقه تكتم الأنفاس ، وتشل القدرات ، وتعوق عن الحركة ، كذلك يمكن للأعداء ليسقط المسلمين ببلاهة في الشباك ، ويستغرقوا في الخلافات ، ويقطعوا أمرهم بينهم زبرا مع استبداد بالرأي وغلو ، وغرور وسطحية ، واستغراق في رؤى وردية مع نبو في الأسلوب ، وجهل بالطريقة ، وغفلة عن الحكمة ، والموعظة الحسنة .

ان شياطين الانس والجن لن يدعوا المؤمن ينعم بأرواح الاسلام،  
أو يتحصن بالاوثقية التي تشع من القرآن . والحق أن القوى السفلية  
لا تفتّأ تصد ، وتكيد حتى يتذابر المسلمين فلا يلتقي بعضهم ببعض ،  
ولا تزال تموه وتخدع حتى يحيص المسلمين فيعموا عن مهاوى  
الشقاق ، ويصمموا عن هاتب الوحدة والموفق .

والوحدة والوفاق ان رفعا فوق أرضية من تقواه الله باتا  
قلالا تهب المنعة ، وتندارك المسلم الذى يمارس قدره ، ويظل يعالى  
أعداء النور ، ويخوض غمرات الفتن ، ويمضى بالدين والدنيا انى  
غايتها وهو يرثى قول الحق « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا »

والآية - للوهلة الأولى - تشعر بدفع الأخوة ، وتوحي بجلال التالف على منهج الله ، في هدى قرآنـه ، وحـمى عهـوده ، وذـكر آلـاهـه .

كما توحى بأن نعمة الاخاء مقدمة على نعمة الانقاذ بحكم كونها ذكرت قبلها وسبقتها في مقامات المن والتذكير « واعتصموا بحبل الله جمِيعاً ، ولا تفرقوا ، وادركوا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فآلف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته اخوانا ، وكتنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » ٠

وشرعية الحق بكل ما تحوى من هدى هي « حبل الله » تضوى شعاعاته في سموات المؤمنين ، وتنتشر منارات بينة ، وتنظم حصونا منيعة تعصم ، وتدرأ غوايل الأعداء ٠

ومن هنا تعددت رؤى المفسرين لكلمة « حبل الله »

١ - أولت بالعهد استرشادا بقول الله « ضربت عليهم الذلة أينما شفروا الا بحبل من الله ، وحبيل من الناس ، وضربت عليهم المسكتة ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بأيات الله ، ويقتلون الأنبياء بغير حق ، ذلك بما عصوا ، وكانوا يعتقدون » آل عمران ١١٢ بحبل أي بعهد وذمة ٠

٢ - وأولت بالقرآن استئناسا بما رواه مسلم في صحيحه عن ميزيد بن حبان قال : انطلقت أنا وحسين بن سيره ، وعمر بن مسلمة إلى زيد بن أرقم ٠ فلما جلسنا إليه قال له حسين : لقد لقيت يازيد خيرا كثيرا ٠ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمعت حديثه ، وغزوت معه ، وصليت خلفه ، لقد لقيت يازيد خيرا كثيرا ، حدثنا يازيد ماسمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠ قال : يا ابن أخي ، والله لقد كبرت سني ، وقدم عهدي ، ونسيتك بعض الذي كنت أعني من رسول الله ، فما حدثكم فاقبلا وما لا فلا تكلفوئيه ، ثم قال : قام رسول الله فيما علينا خطيبا بما يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله ، وأشار عليه ووعظ ، وذكر ثم قال : أما بعد ألا أنها الناس ، إنما أنا بشر يوشك أن يأتيوني رسول ربى فأجيب ، وأنا تارك فيكم ثقلين : أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله ، واستمسدوا به ، فتحث على كتاب الله ، ورغب فيه ثم قال : وأهل بيتي ٠ أذركم الله في أهل بيته ، ( ثلاثة ) فقال له حسين : ومن أهل بيته ؟

أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال : نساؤه من أهل بيته . ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده . قال : ومن هم ؟ قال : هم آل على وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل عباس . قال : كل هؤلاء حرم الصدقة ؟ قال : نعم .

ويجدر هنا أن نبادر فندر على مستشرقين يتذذلون من هذا الحديث مدخلا للطعن في عدالة الإسلام والتشكك في مبدأ المساواة في الإسلام . ويتهمون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمحاباة وتمييز خاصته ، وآلها . والحق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث لم ينسب إلى أهل بيته فضلاً يميزهم عند الله أو يرفعهم على الناس . وهو صلى الله عليه وسلم لم يزن لهم بميزان يغاير ما يزن به لعامة المسلمين . كما أنه لم يوص لهم بدنيا زائدة ولا طلب لهم معاملة خاصة تميّزهم على غيرهم . بل لم يزيد على أن ذكرنا الله في أهل بيته . وذلك يقتضي ألا نحيف ، وألا نحابي . أن نقيم الوزن بالقسط ولا نخسر الميزان . ولعله صلى الله عليه وسلم نظر بفراسة المؤمن فتصور ما سوف يتحقق بأهل بيته ، ولا سيما من نفوس نفست على بنى هاشم شرف النبوة ، وورمت أنوفها لما نالوا بمحمد صلى الله عليه وسلم من ذكر . فوق أن هذا الشرف الجديد قد يورث بنى هاشم شيئاً من الزهو والتعالي الذي يثير نوازع الغيرة والحسد في نفوس غيرهم . وقد يجمح بيني هاشم هذا الشعور فيرون أن ماغمر العرب من سيادة وشرف تراث محمد صلى الله عليه وسلم . وهم أولى الناس بتراث محمد . مما يثير أحقاداً دفينة أو يحرك غريزة تنازع البقاء . لكل هذه المعانى كان أهل البيت عرضة للكبت والقهر والظلم وأحوج للوصية .

ومما يؤيد ما ذكرنا من أن المراد بالحل هو القرآن مارواه الترمذى والدارمى بسند فيه صحف . « ٠٠٠ كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل . من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى المهدى في غيره

أصله الله ، وهو حبل الله المtin ، وهو الذكر الحكيم ، وهو  
الصراط المستقيم ، هو الذى لا تريغ به الأهواء ، ولا تلتبس  
به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا تنتقضى  
عجائبه ٠٠٠ ॥

والتأويل كلها تمس الخيوط التى تجدل ذلك الحبل ، وتنتهى بك  
إلى أن حبل الله هو دين الله بكل ما فى الدين من خير يعم الآخرة  
والدنيا ٠ والاعتصام معناه أن تأرز اليه وتلتصلق به التحاقة يتيك  
ويحتويك ٠

وابرازا لخطورة قضية الوفاق ، وتأكيدا لأهمية الوحدة ، أتبع  
ضمير الجماعة في « واعتصموا » بكلمة جميعا ، ثم أكد مفهوم الجماعة  
الآمرة بجملة أخرى نافية — ولا تفرقوا — لتبيين أن الاعتصام ينبغي  
أن يملا حياة المسلمين وأن الذين التقوا في رحاب الله ، وانتظموا  
في سلك الشريعة ، وارتبطوا في هدى القرآن لا ينبغي أن ينفرط عقدهم  
أبدا ٠

والآيات بما تحمل من تأكيدات تثير كامن الفطنة ، وتنوّظ قوى  
الوعي والحذر ، وتفرض على المؤمن أن يعرف سبيله ويتحسّس موقع  
الخطأ حتى لا يقع موقعا يوهى العرا ، أو يقف موقفا يزيل الألفة  
ويغيرى بالتنازع ويؤذن بالدمار « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم  
واصبروا » ॥

والاختلاف في الفروع جهد طاقة ، وتنوع فهوم ، فهو لا يخرج  
قاعدة الاختلاف مالم يؤد إلى جمود ، وتعصب ، وانطواء أعمى في  
المذهب ، وتناطح ينأى بالفرقاء عن التناصح ٠ روى مسلم عن أبي  
هريرة قال : قتل صلي الله عليه وسلم : إن الله يرضى لكم ثلاثة ،  
ويُسخط لكم ثلاثة ، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن  
تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وأن تناصعوا من ولاه الله  
عليكم ، ويُسخط لكم ثلاثة : قيل وقال ، وكثرة السؤال ، واضاعته  
المثال ٠ ॥

وَمَقْامُ الاعتصامِ مَقْامٌ رَفِيعٌ . . . وَالْقُلُوبُ — وَانْسَمَتْ فَوْقَ  
الْأَهْوَاءِ — لَا تَبْلُغُ هَذَا الْمَسْتَوَى إِلَّا بِتَوْفِيقٍ مِنَ اللَّهِ وَدُعْمٍ مِنْهُ . . . وَاللَّهُ  
سَبَحَانَهُ يَمْتَنِ بِهَذَا الدُّعْمِ وَيَذْكُرُ بِنِعْمَةِ الْأَخْوَةِ وَالْتَّأْلِيفِ « وَاذْكُرُوا  
نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ اذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ  
أَخْوَانًا » ٠٠

وَالْقُرْآنُ حِينَ يَأْسُو نِوَازِعَ الْفَرْدِيَّةِ ، وَيَعْالِجُ دُوَاعِي التَّنَازُعِ  
الْمُخْتَرَنَةِ فِي عَنْصَرِ الطَّينِ ، يَسْتَعِينُ بِصُورَتَيْنِ : صُورَةً تَنْتَرِعُ مِنْ مَاضِيهِمْ  
الْقَرِيبُ ، مِنْ أَمْسِهِمُ الْجَاهْلَى يَوْمَ كَانُوا فَرِقًا ، لِكُلِّ فَرِيقٍ هُوَاهُ ، وَحُمْيَةُ  
الْجَاهْلِيَّةِ ، فَتَدَارِكُوهُمُ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ حَتَّى تَحَابُوا وَتَقَوُوا عَلَى كَلْمَةِ  
سَوَاءِ نَظَمْتُهُمْ فِي عَدْدٍ وَاحِدٍ ، وَأَنْقَذْتُهُمْ مِنْ مَخَاطِرِ مُودَيَّةٍ ، فَمَقْدَ كَانُوا  
عَلَى شَفَا حَفْرَةِ النَّارِ ، يَتَأْرِجُونَ حَوْلَ شَفِيرِهَا مَتَعَلِّقِينَ بِحَبَالِ الشَّرِكَةِ .  
وَاللَّهُ يَعْرِضُ الصُّورَةَ وَيَخْرُجُ الْخَطَرُ الدَّاهِمُ فِي تَمْثِيلٍ تَجْبِ لِهِ الْقُلُوبُ  
« وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حَفْرَةِ النَّارِ ٠٠٠ ٠ ٠ » وَالْبَعْدُ عَنْ رَحْبَ اللَّهِ وَتَخْبِطُهُمْ  
بَيْنَ أَلْهَمَ شَتَّى أُورَثَا شَقَاقًا وَتَدَابِرًا وَتَنَافِرًا وَتَناحرًا كَالْأَوْسُ وَالْخَزْرَاجُ  
مَثَلًا ، طَالَ بَيْنَهُمُ الشَّقَاقُ ، وَكَثُرَتِ الْوَقَائِعُ حَتَّى اسْتَقْذَرُوا بِالْإِسْلَامِ  
وَتَأَخَّرُوا . . . وَصَدَقَ اللَّهُ : « وَانْ يَرِيدُوا أَنْ يَخْدُعُوكُمْ فَانْ حَسِبُكُمُ اللَّهُ  
هُوَ الَّذِي أَيْدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ . . . وَأَلْفُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ، لَوْ أَنْفَقْتُ مَا فِي  
الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفُ بَيْنَهُمْ أَنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ »  
الأنفال - ٦٣ - ٦٢

وَالْقَلْبُ مَكْنَنُ الْمُشَاعِرِ ، وَمَنَاطِ الْأَهْوَاءِ ، وَمَسْتَقْرِيرُ الْخَيْرِ ، وَمَسْتَوْدِعُ  
الْشَّرِ . . . لَذَا اخْتَصَ بِالذِّكْرِ « فَأَلْفُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ٠٠٠ ٠ ٠ » « وَأَلْفُ بَيْنَ  
قُلُوبِهِمْ ٠٠٠ ٠ ٠ »

وَنِعْمَةُ التَّأْلِيفِ بَهْتَ يَهُودَ ، وَوَقَعَتْ وَقْعَ الصَّاعِقَةِ عَلَى نُفُوسِ  
لَا تَبْنِي إِلَّا فَوْقَ الْأَشْلَاءِ ، وَلَا تَعْيَشَ إِلَّا عَلَى الدَّمَاءِ . . . فَلَا غَرَوْ إِذَا  
اَحْتَلُوا وَمَكَرُوا رَجَاءً أَنْ يَوْقَدُوا مِنْ جَدِيدٍ نَارَ العِدَاوَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ  
فَتَنْقُطُ الْأَوَاصِرُ وَيَدِبُ الْخَلَافُ وَيَحْلُ الدَّمَارُ : مِنْ رَجُلٍ مِنْ يَهُودِ بِمَحَافَلِهِ

الاؤس والخرج فساهه تلقيهم ، وتألفهم فدس رجلا يذكرهم ما كان  
بينهم من حروب يوم بعث . ففعل ولم يزل ذلك دأبه حتى ورمت  
الأئوف واستلت السيوف ، وتواعدوا الى المرة . وبلغ ذلك رسول  
الله صلى الله عليه وسلم فأنماهم وجعل يسكنهم ويقول : أبدعوا  
الجهالية وأنا بين أظهركم ؟ وتلا عليهم قوله سبحانه « واذكروا نعمة  
الله عليكم اذ كنتم أداء فلّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ». فندموا ، وتابوا الى رشدهم وتعانقوا ، وطاش سهم اليهود .

ونعمة التأليف تلك يمتن بها رسول الله على الانصار  
التأليف تلك يمتن بها رسول الله صلى الله عليه وسلم على الانصار  
يوم قسم غنائم حنين : أخرج البخاري عن عبد الله بن زيد بن عاصم  
قال : لما آتاء الله على رسوله يوم حنين قسم في الناس المؤلفة قلوبهم  
ولم يعط الانصار ، فكانهم وجدوا اذ لم يصبهم ما أصاب الناس ،  
فخطبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يامعشر الانصار ، ألم  
أجدكم ضلالا فهداكم الله بي ، وكتنتم متفرقين فألفكم الله بي ، وعاللة  
فاغنامكم الله بي . كلما قال شيئا قالوا : الله ورسوله أمن . قال :  
لو شئتم قلتم جئتنا كذا وكذا أترضون أن يذهب الناس بالشأة والبعير ،  
وتذهبون بالنبي الى رحالكم ؟ لو لا الهجرة لكت امرا من الانصار ،  
ولو سلك الناس واديا وشعبا لسلكت وادي الانصار وشعبها . الانصار  
شعار ودثار ، انكم ستلقون بعدى اثره فاصبروا حتى تلقوني على  
الحوض .

بمثل ذلك التصوير القرآني البليغ ، وبمثل هذه المواقف النبوية  
الحكيمة يربى المسلمون على الوفاق ويحدون الى معراج المهدى والعزوة  
والخير . « كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون »

وصورة أخرى تنتزع من التاريخ وتلبس من حولهم من أصحاب  
الديانات « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءكم  
البيانات » فبمن تعرض الآية ومن المعنيون المتوعدون ؟

بخاري احمد عبده

يتبع

# نفحات القرآن

## بِقَلْمِ بُخَارِيٍّ أَحْمَدَ عَبْدَهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ، وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفْرَقُوْا وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَلَفَلَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ، فَأَصْبِحُتُمْ بِنَعْمَتِهِ أَخْوَانًا ، وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حَفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِّنْهَا ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لِعُلُوكِمْ تَهَدِّدُونَ ، وَلَتَكُنْ مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ، وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاحْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ، وَأُولَئِكَ لَهُمْ عِذَابٌ عَظِيمٌ » ٠

وَاكْبُنَا الْقُرْآنَ يِزْجِي آيَاتٍ بَيِّنَةً ، تَتَهَادِي ذَخَائِرُهَا إِلَى الْأَفْئِدَةِ سَخَاءً ، رَخَاءً ، مَيْسِرَةً ، هَادِيَةً إِلَى خَيْرِ الدَّارِينَ ، مَشِيدَةً حَوْلَ الْحَيَاةِ بِرُوحِ الْأَمْنِ ، وَقَلَاعَ الْمُنْعَةِ وَالْعِزَّةِ ٠

وارتدنا فِي هَدِيِّ الْآيَاتِ السَّهُولَ ، وَجَبَنَا الْآفَاقَ ، وَأَمْسَكَنَا وَالْقُرْآنَ يِسَدُّ مَنَافِذَ الشَّقَاقِ وَيَمِنُ عَلَيْنَا بِنِعْمَةِ الْوَفَاقِ ، وَيِسْتَأْسِنُ بِصُورَتِينِ يَعْلَجُ بَهُما نِزَعَاتِ الشَّقَاقِ ، وَيَلِامُ ثَغْرَ الْوَفَاقِ : صُورَةً تَمْسَكَ بِحِجْزِ الْمَاضِيِّ الْقَرِيبِ يَوْمَ كَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانُوا ، وَصُورَةً تَنْتَرِعُ مِنَ الْتَّارِيخِ وَتَلَبِّسُ مِنْ حَوْلِهِمْ مِنْ أَصْحَابِ الْدِيَانَاتِ ٠ وَقَرَأْنَا

يومئذ قرآنا قول الحق : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، وأولئك لهم عذاب عظيم (١) »

والآية تشجب كل عمي في رائعة النهار ، ولكنها بالدرجة الأولى تعرض بأهل الكتابين ، وترفض مسلكهم ، وتحذر من شططهم المودي، ومنهجهم المنحرف . هذا المنحى الذي كان يقص مضجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يتمثله يدب ديبا نحو أمه ، وحين كان يتقرس القرون فيرى في ديارجيراها الأمة ممسوحة ، متخبطة ، كابية ، تقبش مهاؤ الأولين . فيظل رسول الله صلى الله عليه وسلم يحذر ( لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها ) . البخاري . ( لتركب سنة من كان قبلكم حلوها ومرها ) « أخرجه الشافعى بسند صحيح » ويصدق هذا ما رواه البخارى عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لتنبئن سنن من كان قبلكم شيئا شبرا ، وذراعا ذراعا ، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهם . قلنا يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟ ولقد روى ابن حيرى الحديث عن أبي هريرة مسبوقا بقسم صريح « والذي نفسي بيده لتنبئن ٠٠٠ » ثم شفع الحديث بقوله : أقرواوا ان شئتم القرآن : « كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة ، وأكثر أموالا ، وأولادا ، فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقهم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ، وخضتم كالذى خاصوا ، أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون » التوبة ٦٩

كل ذلك اتباعا للهوى ، وكفرانا بالحق ، وادلاجا مع نوازع الكبر والحدق والحسد وامعانا في الضلال رغم بلجة الآيات ، ووضوح البينات العقلية والشرعية التي تكفل اتحاد الوجهة ، ووضوح الرؤية،

(١) لنا وقفة ان شاء الله مع قوله سبحانه « ولتكن منكم امة »

وَقَهْرُ النِّزَاعَاتِ ۝ لَذَا نَاسِبٌ أَنْ يَغْلِظَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْوَعِيدَ ، وَأَنْ يَشِيرَ  
إِلَيْهِمْ أَشَارَةً تُوحِي بِالنِّبذِ وَالْاَقْصَاءِ ۝

وَالْعَجْبُ أَنْ تَصْمِمَ الْآذَانُ عَنْ كُلِّ هَذِهِ التَّحْذِيرَاتِ ، وَأَنْ يَسْقُطَ  
رُعُوسُ هَذَا الْعَصْرِ فِي وَهَدَاتِ الْأُولَئِينَ ، وَيَشْتَمِلُوا إِشْتِمَالَ الصَّمَاءِ بِكُلِّ  
تَالِ الصَّفَاتِ الْمَرْذُولَةِ ، فَيَنْسِلُخُوا عَنْ حَقَائِقِ الْعِلْمِ ، وَيَعْلَقُوا الْأَهْوَاءَ،  
وَيَصِيرُوا وَفِقَهًا مَا أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي خَيْثَةَ مِنْ طَرِيقِ مَكْحُولٍ عَنْ أَنْسٍ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « قَيْلٌ يَأْرِسُولُ اللَّهُ مَتَى يَتَرَكُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالْنَّهِيِّ  
عَنِ الْمُنْكَرِ ؟ قَالَ : إِذَا ظَهَرَ فِيمُكَمْ مَا ظَهَرَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ۝ إِذَا ظَهَرَ  
الْأَدْهَانُ (۱) فِي خِيَارِكُمْ ، وَالْفَحْشَ فِي شَرَارِكُمْ ، وَالْمَلَكُ فِي صَغَارِكُمْ (۲)  
وَالْفَقْهُ فِي رِذَالِكُمْ ۝ »

### الوحدة درع غامر

وَالَّذِينَ تَجَمَّعُتْ فِيهِمْ تِلْكَ الْخَلَالُ الْمَقْصِيَّةُ عَنْ رَحْبِ اللَّهِ يَنْتَمُونَ  
إِلَى الطَّاغُوتِ ۝ وَالْمُؤْمِنُ أَنَّمَا يَنْتَمِي إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُ لَا يَتَجَاوزُهُ إِلَى غَيْرِهِ ۝  
وَالْاِنْتِمَاءُ إِلَى اللَّهِ اطْهَارٌ جَامِعٌ تَغْمِرُهُ وَلَا يَةُ اللَّهِ ۝ فَاللَّهُ وَلِيَ الَّذِينَ آمَنُوا  
يَخْرُجُوهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكُمُ الظَّاغُوتُ ،  
يَخْرُجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ مَصْدَاقًا لِآيَةِ الْبَقْرَةِ (۲۵۷) الَّتِي تَفَرَّضُ  
عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَحْدَةَ الْجَهَةِ مُوحِيَّةً بِمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونُوا عَلَيْهِ مِنْ وَحْدَةِ الصَّفَّ  
وَالْكَلْمَةِ ، وَالْغَايَةِ وَالْوَسِيلَةِ ۝ وَالْآيَةُ إِذَا تَفَرَّضَتْ وَحْدَةَ جَهَةِ الْوَلَاءِ بِالنِّسْبَةِ  
لِلْمُؤْمِنِ ، وَإِذَا ثَبَّتَ لِلْكَافِرِ تَعْدُدُ الْجَهَةِ ، وَتَنْوِعُ الْأُولَائِيَّاتِ (۳) ، تَقْرَرُ فِي  
الْوَقْتِ نَفْسُهُ أَنَّهُمْ أَسْتَاثَاتٌ تَحْرِكُهُمْ وَحْدَةُ الْحَمَاءَ وَالْهُوَى وَالْمُهَوِّيِّ (۴)

وَاللَّهُ كَيْ يَسْبِلُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَزْرُ الرَّعَايَا وَالْوَلَايَا نَزْلُ الْكِتَابِ  
بِالْحَقِّ ، وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شَقَاقٍ بَعِيدٍ « الْبَقْرَةُ ۝ ۱۷۶ ۝ »

(۱) النَّفَيِّاَقُ ۝

(۲) صَفَارُ النَّفَوْسِ

(۳) وَذَلِكَ بِجَمِيعِ الْمُبْتَدَا « أُولَئِكُمْ ۝ »

(۴) وَذَلِكَ بِفَزَادِ الْخَبَرِ « الظَّاغُوتُ ۝ »

فجمع بأنوار كتبه على الصراط قلوباً مهياً بطبعتها الطينية أن تذهب  
ببدا بكل واد شعبة مصدق الأثر : ان قلب ابن آدم بكل واد شعبة  
فمن أتبع قلبه الشعب كلها لم يبال الله بأى واد أهلكه . ومن توكل  
على الله كفاه .

وهو سبحانه سكن أسباب الفرق المحمدة التي تعتمل في الكيان  
بهاديات الدين التي جمعت المؤمنين على كلمة سواء فوق درب سوى  
« كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل  
معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما اختلف  
فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياناً بينهم ، فهدى  
الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه ، والله يهدي من يشاء  
إلى صراط مستقيم » البقرة ٢١٣

وحتى تظل حواجز الدين حصينة ، وكلمة المؤمنين جامدة ،  
جلجل نداء السماء عبر الرسالات «أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا  
فـهـ ٠٠٠ ) الشـورـي ١٣

وتقرب أن التفرق بعد أن وضحت المعالم ، وسمق بناء الدين  
وسدت ثغر أبلیس بعی » وتنطبع ، وهوی منحرف ، ولجاج داحض  
« وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيابینهم ولو لا كلمة سبقت  
من ربک الى أجل مسمى لقضی بینهم ، وان الذين اورثوا الكتاب من  
بعدهم لفی شک منه مریب ، فلذک فادع واستقم كما أمرت ، ولا  
تتبع أهواءهم ، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ، وأمرت لأعدل  
بینکم ، الله ربنا وربکم ، لنا أعمالنا ولکم أعمالکم ، لاحجة بیننا  
وبینکم ، الله يجمع بیننا والیه المصیر ، والذین يجاجون في الله من  
بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم ، وعليهم غضب ، ولهم  
عذاب شدید . الله الذي انزل الكتاب بالحق والمیزان » الشوری ٠

ويبرز سبحانه مشاهد المخالفين محاطين بالويل والحرسات مدموغين بالغفلة المفضية إلى الكفر : « فاختلط الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم ، أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين ، وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون » مريم - ٣٧ - ٣٩

وتأكيداً لنداء الوحدة الذي تردد عبر الأديان ، ووقوفاً بهذه الأمة على مرافق اليقين خصص القرآن من بعد اجمال وساق تلك المعانى في خطاب مباشر إلى محمد صلى الله عليه وسلم « وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبيّن لهم الذي اختلفوا فيه ، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » النحل ٦٤ ثم يخص المؤمنين من أتباع محمد بنى عن التنازع خاص « يأيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاشتبوا ، واذكروا الله كثيراً لعلكم تقلدون ، وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا ان الله مع الصابرين » الأنفال ٤٥ - ٤٦

ويبيّن الله أنه سبحانه يرعب بالقرآن الصدع ، ويلحم اللبّات ، ويسد ما بينها من شقوق « وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبيّن لهم الذي اختلفوا فيه ، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » ان الشقاقي مهلكة مشameة ، وان الوفاق مرحمة ومكرمة « ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته ، والظالمون مالهم من ولی ، ولا نصیر ، أم اتخذوا من دونه أولياء ، فالله هو الولي ، وهو يحيى الموتى ، وهو على كل شيء قادر . وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ٠٠ ٠٠ »

الوحدة اذن درع غامر ، وهي غيط الأعداء ، وكيد الشيطان .. والشيطان همه أن يجرد الأمة من هذا اللباس ويعرضها في سوق النخاسة مكتوفة عارية الا من آصار البليس ، وأغلاله « يابنى آدم

لَا يُفْتَنُكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبْوِيْكُمْ مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزَعُ عَنْهُمَا لِبَاسِهِمَا  
لِيَرِهِمَا سُوءَ اتْهَمَا » الأُعْرَافُ ٢٧

### اختلاف أمتى رحمة

والشيطان في دهاء يجري على بعض الألسنة قوله منسوباً إلى  
رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه الطبراني والبيهقي بسند  
ضعيف<sup>(١)</sup> ، وهو حديث « اختلاف أمتى رحمة » والمتذهبون المتعصبون  
يلوكون هذا الحديث ، ويتمادي بعضهم في الضلال فيزيد « واتفاقهم  
نقطة »

والحق أن ما يلوكونه مخالف لفهوم قول الله ( ولو شاء ربك  
لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك )

١١٩ - ١١٨ هود

فالاختلاف أذن شأن من لم يتداركهم الله برحمته  
ومخالف كذلك لما رواه مسلم « لا تختلفوا فتختلف قلوبكم »  
ومخالف لما رواه أحمد وأبو داود بسندهما عن أبي عامر عبد الله  
ابن يحيى قال : ( حجنا مع معاوية بن أبي سفيان فلما قدمنا  
مكة قام حين صلى العصر فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
قال : إن أهل الكتاب افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة ، وإن  
هذه الأمة ستفترق على ثلات وسبعين ملة ، « يعني الأهواء » كلهم  
في النار إلا واحدة وهي الجماعة ، وإنه سيخرج في أمتى أقوام تجاري  
بهم تلك الأهواء كما يتجاري الكلب بصاحبها لا يبقى منه عرق ولا  
مفصل إلا دخله ) ٠٠٠

(١) ولا يعرف له سند قوى

ان الاختلاف مهما كان حجمه ، طريق نعمة لا نعمة . ولذلك أمرنا — فيما يرويه مسلم — أن نستهدي الله دائمًا وندعوه أن يجنبنا الضلال « يا عبادى كلکم ضال الا من هديته فاستهدونى أهدکم » . وعلمنا — مما يرويه مسلم — دعاء رسول الله فقد روت عائشة أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول افا قام من الليل : اللهم رب جبرائيل، واسرافائيل ، وميكائيل ، فاطر السموات والأرض ، عالم الغيبة والشهادة . أفت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون . اهدنى لما اختلف فيه من الحق باذنك ، انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم .

لقد خضنا خوض فارس والروم وأهل الكتاب وأفني ذلك إلى تعدد المذاهب وأسلم للاختلاف والاقتتال « ولو شاء الله ما اقتتلوا الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم evidences ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ، ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد» البقرة .

وأسلافنا قد اختلفوا بحسب ما أدى إليهم اجتهادهم ، أو بحسب مقاماتهم من دليل . ولكن لم يضل بعضهم بعضا ، ولم يدع أحدthem أنه على صواب لا يحتمل الخطأ . واختلافهم لم يتجاوز الفروع ، ولم يصطبغ بصبغة الماكيرة والتقصيب . والحااسم في موقف الشسط تحكيم ما أنزل الله بحق قول الله في سورة الشورى « وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ، ذلکم الله ربى عليه توكلت ، واليه أئبب » وبحق قوله في سورة النساء « فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا »

ولا شك أن جمع كلمة المسلمين على ما أنزل الله أوجب واجبات الأمراء . ورعاية لهذا ، وايصادا لمنافذ الشتات حتم الاسلام الامارة . وما أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين فصاعدا لشأن الا

أمر منهم أميرا وأمر بمتابعته لتنظم الأمور ، ويتجنب الاضطراب  
والاختلال ٠

والاسلام درءاً لفسدة التمزق والتدابر يوصى بالطاعة في  
المنشط والمكره ، ويحث على الصبر وضبط النفس الى أبعد مدى عند  
التعامل مع أصحاب الامارات ٠ روى البخاري عن ابن عباس عن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من رأى من أميره شيئاً  
يكرهه فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فمات الا مات  
ميته جاهلية » وأخرج الترمذى عن ابن عمر أنه قال : قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم « ان الله لا يجمع أمتى على ضلاله ، ويد الله  
مع الجماعة ومن شذ شذ في النار »

ان ما بتنا نعانيه من تنافر وتمزق تزيين شيطان وخروج عن  
 نطاق ولاية الرحمن الى متاهات معتمة ٠ ونحن حين ننصرف الى  
 هذه المتاهات نكون أدنى درجة من أولئك الذين عكروا على ما لا يضر  
 ولا ينفع ، فندد الله بهم في آية ينبغي أن تظل حديث نفسك ،  
 آية تغري بالمنهج السوى وتبيّن مقوماته وتحذر من تلبيس ابليس ،  
 وتقفك على صداقات السوء ، وشعارات التضليل ، وتعتبر كل ذلك  
 ردة حضارية وانتكاسة عقدية « قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ،  
 ولا يضرنا ، ونرد على أعقابنا بعد اذ هدانا الله ، كالذى استهونه  
 الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه ، الى الهدى ائتنا ،  
 قل ان هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين ٠ وأن أقيموا  
 الصلاة واتقوه ، وهو الذى اليه تحشرون ، وهو الذى خلق السموات  
 والأرض بالحق ، ويوم يقول كن فيكون قوله الحق ، وله الملك يوم  
 ينفح في المصور ، عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير » الأنعام

٧٣ - ٧١

**بخارى احمد عبده**

يتبع ان شاء الله ..

# نفحات قرآن

## بقلم بخاري احمد رعبيه

بسم الله الرحمن الرحيم

« ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف ،  
وينهون عن المذكر ، وأولئك هم المفلحون ٠٠٠ » (١)

على دعائم من دين يشد المؤمن إلى المؤمن ، وفوق أرضية من  
تقوى ترفع القواعد ، ويسمق البناء شامخاً منيعاً ، وفي حمى الفلاح  
المشيدة بقوالب من قلوب سليمة ينتشر النور ، ويظهر الدين ، ويبطل  
المؤمنون. البطشة الكبرى فيجندل كل شيطان رجيم ٠

والقرآن اذ يحدوك الى القواعد ، ويهديك الى الأصول ، ويلج  
بك في مسالك النمو والسمو ٠٠ والقرآن اذ يفعل ذلك يبسّط لك مقومات  
الأمة الوسطى حتى تربّيها في نفسك ، وتحقّقها في أمتك كي تستقيم  
بها شاهدة على الناس مصدق قول الله « وكذلك جعلناكم أمة وسطى  
لتكونوا شهداء على الناس » كي تستوى خير أمة أخرجت للناس ٠

والمولى جل وعلا يمتن بالخيرية الشاملة التي أضفها علينا بما  
أتاح لنا من هدى وأرسى من دعائم ، وبما علم ، وبين من سنن ، وحفظ  
من همم ، ومنح من امكانات تحقق خير الدنيا وتتكلل خير الآخرة ان  
هي سخرت وفق منهج الله ، وسيرت على هدى وبصيرة ٠

١ - مررنا بالأية هذه مرورا سريعا ولكن بنينة العودة اليها  
كى ننعم بوقفة متأنية حيالها .

والقرآن كى يقرر حتمية تلك الخيرية الشاملة المترتبة على تلك الأصول أورد المعنى هناك بصيغة الماضي الذى يوحى بالتحقق « كنتم خيراً آخراجت للناس » .

وكى يؤكّد أهمية الدور الذى أبسط بنا ، وضرورة الحركة الفعالة المطلوبة منا استعمل فى آيتنا « ولتكن منكم أمة ٠٠٠ » أسلوب الأمر الذى يكل القصية اليك ، ويضع الأمر بين يديك ٠

وكى يضفى على الطلب صبغة حاسمة صارمة تبعده عن معانىه المجازية من التماس ودعاء ٠٠٠ الخ تجاوز فعل الأمر الى المضارع المحدود بلام الأمر « لتكن » لأن ذلك يحرك ، ويثير ويدعو الى مزيد من اهتمام ٠

وكى يدل على وحدة المسئولية وشمول العاقبة وجه الأمر الى جميع الأمة ٠ وكان صنع الدعاة ، وتمكينهم ، وشد أزرهم مسئولية الأمة قاطبة ٠

وكى يتحقق التفاهم والتلاقي والتناصر بين أجهزة الدعوة وبين أفرادها استعمل كلمة « أمة » المشحونة بالدسم ، المنبئة عن حتمية تجمع البناء ٠

ذلك لأن الكلمة تعطيك بشعبها الثالث ، بشعب الحقيقة ، والمجاز ، والإيحاء :

١ - فالكلمة تأخذ من معنى القصد مفهوم أن كل نظير من جذب إلى نظيره ٠ ولذا تتتنوع الأمم « وما من دابة في الأرض ، ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم » ٣٨ الأنعام ٠

٢ - والأمة الرجل الجامع للخير ٠ وأمة الدعوة ينبغي أن تعلو بنفسها ، وترنو الى الافق الرحيب وتتبوا من ذلك الذروة التي تؤهلها كى تكون جماع الخير كله ٠

٣ — والأمة الامام وكلمتا تستمد من هذا المعنى أهلية القيادة والريادة ، وترقى على ضوئه الى مستوى المسؤولية الراسدة ٠

٤ — والأمة الجيل من كل حى ٠ ومفاد هذا أن أمة الدعوة تجده كى تتكيف مع البيئة ، وتنسجم مع الجيل ، وتعى المفاهيم الجديدة فى تفتح ، وتطور ، وتأثر ، وتأثير ٠

٥ — والأمة من هو على الحق ٠ والدعاة لا يمكن أن يحيدوا عن حق ، أو ينحرفو عن جادة ، أو يهادنو باطلًا ، أو ينعزلو ، ويولوا الأدباء الامتحين لفئة أو متربفين لقتل ٠

٦ — واللفظة تأخذ من الأم جلال التضحية ، والحب ، وروح الانتقام إلى حقيقة ألم هي حبل الله شريعة الحق ٠

٧ — وفي كلمة أمة معنى الكثرة ٠ والداعية هم التجميع ، وغايتها أن تربو الأمة ، وتعظم القاعدة ٠

٨ — وفيها رائحة الكمال ٠ والداعية حريص على مقومات الكمال ، حريص على لا ينتكس ٠

٩ — وفيها معنى الزمان ٠ فهى أذن توحى بحسن استغلال الوقت واستباق الخيرات ، وبالمبادرة قبل الفوات ٠

هذه من معطيات كلمة أمة ٠ ! إليها تطلع الخليل عليه السلام حين تضرع إلى ربها أن يجعل من ذريته أمة ٠٠ « ربنا واجعلنا مسلمين لك ، ومن ذريتنا أمة مسلمة لك » ١٢٨ البقرة ٠

واكتمال هذه المعانى كان مناط امتداح الله للأمم السابقة أشادة بالدعامات التي التقوا عليها متواليين ، مستهدفين خير الدارين : « ٠٠ من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ، يؤذنون بالله واليوم الآخر ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويسارعون في الخيرات ، وأولئك من الصالحين ٠ وما يفعلوا من خير فلن يكفرون ٠»

وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَقِينَ » ١١٥ كُلُّ عُمَرٍ • « وَمَنْ قَوْمٌ مُوسَى أُمَّةٌ يَهُودُونَ  
بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدَلُونَ » ١٥٩ الْأَعْرَافُ • « وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهُودُونَ بِالْحَقِّ  
وَبِهِ يَعْدَلُونَ » ١٨١ الْأَعْرَافُ •

وافتقاد هذه المعانى أدى إلى الذم والتنديد بالأمم التى أهدرت  
مقوماتها فلم تتأمر بمعروف ، ولا تناهوا عن منكر ، ولا توافقوا بخير  
« وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لَمْ تَعْظُمُنَّ قَوْمًا اللَّهُ مَهْكُومُهُمْ ، أَوْ مَعْذُوبُهُمْ عَذَابًا  
شَدِيدًا ، قَالُوا مَعْذِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ ، وَلِعِلْمٍ يَتَّقُونَ » الْأَعْرَافُ ١٦٤

وتضى الآيات ناعية على تفرّقهم أوزاعا ، معرضة بالعتو ،  
والغفلة ، والنسيان ، وتحجر القلوب ، منددة بمال السوء انتهوا اليه ،  
وبصيورتهم فرقا ، ومزقا ، منقطعين شذاذ آفاق ، تتنفرد كل فرقة  
بخصائص باعدت بينهم فصاروا — بعد أن كانوا أمة واحدة — صاروا  
غثاء كغثاء السيل ٠٠ ليس لهم من معانى الأمة الا الشكل والعدد « فَلَمَا  
فَسُوا مَا ذَكَرُوا بِهِ أَنْجَبَنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ ، وَأَخْذَنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا  
عِذَابَ بَئِسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ ، فَلَمَّا عَنَوا عَمَّا نَهَوْا عَنْهُ قَلَّنَا لَهُمْ  
كُوْنُوا قَرْدَةٌ خَاسِئَينَ ، وَإِذْ تَأْذَنَ رَبُّكَ لِيَعْتَنِي عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ  
مِنْ يَسُومُهُمْ سُوءُ الْعِذَابِ ، إِنَّ رَبَّكَ لِسَرِيعِ الْعِقَابِ ، وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ،  
وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَمْمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ ، وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ ، وَبِلُوْنَاهُمْ  
بِالْحَسَنَاتِ ، وَالسَّيِّئَاتِ لِعِلْمٍ يَرْجِعُونَ » ١٦٤ — ١٦٨ الْأَعْرَافُ ٠

وَكَذَلِكَ نَحْنُ تَقْطَعُنَا قُلُوبًا وَأَفْكَارًا ، وَتَمْزَقُنَا فِي الْأَرْضِ أَمْمًا ،  
وَتَشَتَّتُنَا نَحْلًا وَمَذَابِحًا وَأَحْزَابًا • فَلَا غُرُورٌ إِذَا نَشَطَ الْجَرَائِيمُ ،  
وَنَهَشَتِ الْطَفَلِيَّاتُ ، وَتَنْمَرَتِ الْمَهْرَةُ ، وَاسْتَنْسَرَ الْبَغَاثُ ، وَبَتَّتِ فِي  
وَهَدْتِنَا نَتَاطِحُ ، وَنَتَصَابِحُ وَلَا مُغِيْثٌ ٠

وَمَعْطِيَّاتِ كَلِمَةٍ « أُمَّةً » تجتمع فِي قَوْلِ اللَّهِ « وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ  
أُمَّةً وَسَطًا » وَفِي قَوْلِهِ سَبَحَانَهُ « كُنْتُمْ خَيْرًا مَمْأُونِيْنَ لِلنَّاسِ » كَذَلِكَ  
فِي قَوْلِهِ تَعَالَى « وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةً » ٠

والكلمة على العموم توحى بالالتقاء وجداناً وفكراً ، وبالوحدة صفاً وهداً ، وبالامامة والريادة والرشد . وكلمة « منكم » تتفذ خلال ضمير المخاطبين « كم » الى كل ما سلف من خصال رشيدة وتحوى في الوقت نفسه — بحكم ما يفيده كلمة « من » من تبعيض — بالانتخاب . فالدعاة نخبة نضجت فيهم تلك الصفات فتميزوا ، وتشكلوا في قوالب الخير أنماطاً فريدة ملائكة الربانية التي تحكم العقول ، وتفعم القلوب ، وتورث الرفق وتهب البصيرة والسداد .

وظنى أن القرآن حين يدعو إلى الموالاة بين المؤمنين ، وحين يحث على وحدة الصف والمهد بمثل قوله سبحانه « ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً لأنهم بنية مرسومة » وان الرسول صلى الله عليه وسلم حين يسألنا المودة في القربي مؤتمراً بقول الله « قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربي » وحين يحث على المشاركة الوجданية بمثل قوله صلى الله عليه وسلم « مثل المؤمنين في توادهم ٠٠٠ كمثل الجسد الواحد ٠٠ » فالهدف اذكاء وتنمية معانٍ « الأمة » في الأمة حتى تستقيم صفاً كالبنيان ، وتبذر بناء يشد بعضه بعضاً ، وتبدو جسداً واحداً اذا استكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

والامة المسلمة المستجمعة لكل هذه الموصفات المثبتة في الآيات وفي متون الأحاديث خلاصة العالمين . والدعاة منها هم خلاصة الخلاصة . وهم الصفة التي أنيط بها اتمام مسيرة الرسل . فهم ورثة الأنبياء في دقة المعرفة ، ورقة الاحساس ، وتقدير هول المعركة المخوضة ضد الشياطين ، وادراك جسامه الخطر الذي ينتظر الناس ان هم وقعوا صرعى الشياطين ، وأسرى جهنم .

يندفعون بعاطفة المشاركة الوجدانية نحو موقع الخطر ينذرون ، ويصررون ، ويأخذون بالحجز عن النار .

وهذه المهمة تقتضي تربية ذات أصول خاصة ، وتشكيلًا معيناً .  
ولقد اهتم القرآن الكريم بهذه التربية ، ووضع لها مناهج ، وقواعد  
يراعى فيها الأسس النفسية ، ورصد مشاكل التطبيق ، وعقبات  
الطريق (١) .

وآيتها « ولتكن منكم أمة » تدور مع غيرها في مدار تربية الدعاة  
مبينة الرسالة (٢) والرسينة (٣) ، محددة الشكل (٤) ، راسمة  
المهدف (٥) .

والأمر كما رأينا متوجه إلى الأمة التي استجمعت الأرواح العلوية  
الزكية كى تستخلص من بينها طائف متميزة تتقد فيها خصائص  
الأمة ، وتروح تنشد التي هي أحسن ، وتحايل في كياسة ودهاء كلما  
ضيق عليها الخناق .

والامر — كما بینا — يفيد الوجوب . وكل فرد مطالب بالحركة  
المحدودة في نطاقه المتاح « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ٠٠٠ »  
الا أن الجماعة بحكم هذه الآية تحمل كبر التبعة في مضمار الدعوة .  
عليها أن تعد فسائل الدعوة وتحميها ، وتبسط أمامها مجالات الحركة  
الواعية الهادفة . ذلك فرض . وتحرك فسائل الدعوة مؤتلفين متفاهمين  
فرض كذلك . وإنصراد أحد بلا عتاد ينقطعهم تقييد واستفراغ  
الجميع في قضايا الدعوة افراط ، وكلا الأمرين — من الافراط والتقييد —  
مرفوض بحكم كوننا أمة وسطا .

وائتلاف الدعاة تحتمه طبيعة الطريق . فالداعية — لا شك —  
مصطدم بالأهواء والشهوات والنزوات ، والكبر الغاشم ، والغرور

- 
- ١ — لنا إن شاء الله حديث عن الأسس النفسية في الدعوة إلى الله .
  - ٢ — الدعوة إلى الله .
  - ٣ — الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .
  - ٤ — أئمة .
  - ٥ — خير الدارين .

الأعمى . فلا بد أن يحسب حساب هذه القوى الكأداء ، وأن يعذر لهم ما استطاع من مرونة ، ورفق ، وصبر ، وحسن عرض وقوفة حجة ، ون الصاعة منطق ، ومكر جميل .

وتشكل في أمة ذات قدرات ، وتفاصيل متعددة ، وامكانيات متكاملة يتتيح للدعاة فرص الدرس والتمحيص ، والتحليل ، وتقديم حقل الدعوة تقويمياً يبني على أصول علمية نفسية واجتماعية ، مادية ومعنوية .

وفصائل الدعوة — كأصلها الذي استخلصت منه — تتدرج بالایمان والتقوى وتحصن بأخوة عالية المدى تتعدى نطاق الداعين إلى محيط المدعويين .

فعلى قواعد الإيمان والتقوى ، وأجنحة الأخوة الحانية تعلو الأمة وتملاً الآفاق وتبلغ في كيان واحد قواه منهج الله ذي القوة والقدرة والسلطان .

والدعوة إلى الخير ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر قضايا وعزة المسالك ولا سيما في جيلنا الذي يختنق بالضغوط ، والغزو الفكري ، ويفتن ، ويخدع بأساليب التمييع والتغريب . وتحشد له أقلام الشياطين ، وأبالسة الإعلام يدلسون ، ويلبسون ، ويزينون ، ويحدرون ويمكرون الليل والنهار مصداق آية سبا (قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صدّنكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كتم مجرمين . وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً ٠٠) .

ومكر الليل والنهار هو ما يمارسه شياطين الإعلام في الداخل والخارج وطريق الدعوة مليء بأشواكهـم ، حافل بمزالقـهم ، محفوفـ بشـرورـهم . فـما أـحرىـ الدـاعـيـةـ أـنـ يـكونـ رـادـارـيـ الـحوـاسـ ، شـدـيدـ القـوىـ ، سـدـيدـ الخـطاـ ، صـادـقـ الـكـرـ ، خـاطـفـ الـفـرـ .

بخارى أحمد عبد

# نفحات قرآن

## بقلوب بخارى احمد دعبدة

بسم الله الرحمن الرحيم

« واعتصموا بحبل الله جمِيعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ، ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون ، ولا تكونوا كالذين تفرقوا ، واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، وأولئك لهم عذاب عظيم » ٠

مثل هذه الآيات ارتفعت معالم هدى ، ومنابر نور ، ومناجم خير عدق ترجيه السموات ليرتقى بها أهل الأرض ٠ فعجب الأمة تملك مستودعاً يفيض بالعزَّة فيض الشمس بالشَّعاع ، وبيث معانى زهراً تتعش (١) في آفاقنا كالنجوم دون أن تجد المؤاد الرحب ، والمحط الملائم الكرييم ٠

وحسب الأمة أن تحملق إليها وتحملق وهي في غيوبة الذل ، وغيابه الجب منذ أراقت مقومات السمو ، وأهدرت امكانات الاستقبال ، وأضحت أفتتها هواء ، مثوى الظلم ، ومقدف الوهن ، ومستنقع الران ٠ فلا عجب إذا تحطمَتْ أجنحتهم ، وهوى طائرهم هشيمًا على صخور الأنانية ، والفردية ، والمظهرية ، والشهوات الخفية التي أبعدتنا عن الصراط ، وطرحتنا نهب المدى ، والمخالب ، والأنياب ، ورهن سبل تغمرها الشياطين ٠

(١) تتابلاً ٠

وراحوا وهم في غمرتهم يندبون ذواتهم المزقة ، وقلوبهم المتشعبة ، وتاريخهم الكاشف الحسير ، وعزتهم المهاقة ، وقدرهم المفهمن بين أرجل الصهيونية والصلبية والالحاد .  
وصدى ذلك كله ضجيج ثمل (١) ، واستجارة من الرمضاء بالنار .  
كلما انعقد في آفاقهم دخان متفجرات الأعداء ، وترامت سحب الكيد والكر والختل صاحوا « هذا عارض ممطرنا » فإذا اجتاحتهم الأعاصير ، وتقاذفتهم الرياح لاذوا بالفراغ أو احتموا بمراكثر الزلازل ، وأتوا إلى مساقط الصواعق والشوب . أتبغون عندهم العزة ؟ فان العزة لله جميعا .

### في دروب المخاطر

هكذا ضلت بهم دروب المخاطر ، فانفصموا عن العروة الوثقى ، وهووا نحو الدرك على مزالق منهارة تتمثل في : -

١ - كفر بأنعم الله ونكران بدل الشكران فكانوا مصداق قول الله « وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتينها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأداقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » النحل ١٢ .

٢ - غرام بالدنيا ، وفناء في زهرتها ، وانخداع ببريقها الخلب ، وغفلة مطبقة رغم نذر السماء ، وتحذيرات القرآن « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها (٢) نور اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون . أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار ، وحطط ما صنعوا فيها ، وباطل ما كانوا يعملون » هود ١٥ ، ١٦ .

« من كان يريد (٣) العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلها مذوماً مدحوراً ، ومن أراد الآخرة وسعى لها

(١) سكران .

(٢) أرادها الأعداء بالأعمال فوق اليهم أعمالهم بلا بخس ، وأردناها أهانى وأمالا .

(٣) كلمة « يريد » توحى بالتصميم وتنبيء عن السعي المفضي إلى التميز والسبق .

نسعى بها وهو مؤمن ، فأولئك كان سعيهم مشكوراً . كلام نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك ، وما كان عطاء ربك محظوراً ، انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض » الاسراء

« ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتتهم فيه (١) ، ورزق ربك خير وأبقى » طه ١٣١

والرسول صلى الله عليه وسلم كم حذر من مغبة الانفتاح على زهرة الحياة الدنيا والانكباث على زينتها ليقينه أن ذلك منفذ الشيطان ، ومركب الغفلة ، وسبيل الأثرة المودية . وهو صلى الله عليه وسلم حين يحذر من الداء يصف الدواء ، ويأسسو هذه النزعة التي تمزق الاواصر وتقصف بالكيان . روى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم جلس ذات يوم على المنبر ، وجلسنا حوله فقال : ان مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها . ويمضي رسول الله صلى الله عليه وسلم موضحاً هادياً الى مناهج الامن « وان مما ينبت الربيع ما يقتل أو يلم (٢) ، الا آكلة الخضراء أكلت ، حتى اذا امتدت خاصراتها استقبلت عين الشمس فثلاطت وبالت ، ورتعت ، وان هذا المال خصبة حلوة ، فنعم صاحب المسلم ما أعطى منه المسكين ، واليتيم ، وابن السبيل ، ٠٠٠ وان من يأخذ بغير حقه كالذى يأكل ولا يشبع ، ويكون شهيداً عليه يوم القيمة »

٣ - وملاحقة زينة الحياة الدنيا قد تتفاقم حتى تغدو عبادة للمادة ، والزينة ، والشهوة وتجر الى لهاث دائم ، وتعasse محققة مصدق ما جاء في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « تعس عبد الدينار ، وعبد الدرهم ، وعبد الخميصة ، ان أعطى رضى ، وان لم يعط سخط ، تعس وانتكس ، واذا شيك فلا انتقضن »

(١) فلا اعتراض اذا رأينا الله يعطي العبد من الدنيا رغم معاصيه .  
ولا ملاحقة بالعينين اللتين لا يملؤهما الا التراب . والمؤمن يتعاطى الاسباب .  
ولا يذوب حسرة اذا ابطأ النتائج .  
(٢) يكاد .

٤ — وعشق ذات ، واتخاذ محاريب تمارس فيها الأثرة ، والادهان  
والشهوات الخفية والزور ، وتحكمها عاطفة اعتبار الذات . المسلم  
عضو في جسد ذاته ذاتية في ذوات اخوانه وجميعهم كالجسد الواحد .

٥ — انطواء في الرياء ، ونبي عن طريق الاخلاص . والرياء كما  
صور القرآن وابل كاسح بل اعصار فيه نار يدمر كل شيء . اقرأ في  
ذلك من قول الله « مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة  
أنبتت سبع سنابل الى قول الله : « أيد أحدكم أن تكون له جنة  
من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهر له فيها من كل الثمرات وأصابعه  
الكبر وله ذرية ضعفاء ، فأصابعها اعصار فيه نار فاحتقرت .. »  
البقرة ٣٦٦

ولخطورة الرياء ووحامته عواقبه نسمع رسول الله صلى الله عليه  
وسلم يرفض الرياء ويندد بالمرائين في أحاديث كثيرة مستقصيا كل  
صور الرياء .

وهذه الأعراض المختلفة مسوح المترفين ، وهي علل الفناء التي  
تنخر في كيان الأمم نخر السوس .

وظنى أن المترفين الذين تترتب على نزواتهم دمار القرى كما  
جاء في قول الله « واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا  
فيها ، فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » الاسراء ١٦ . لا ينحصرون  
في الملا مرفة ولا في أصحاب مراكز القوى وحدهم . بل تعم الكلمة  
أولئك وتشمل آخرين يحملون في طياتهم جراثيم تلك الأدواء المودية ،  
وينشرون — بالفعل أو بالقوة — علل الفناء من انفرادية ، أو انتهازية ،  
أو انحلالية ، أو عدوانية ، أو آثرة ، أو استغراق في مباءات الفرف  
والشهوات .

## تنازع البقاء

تقرر أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يخشى بسطة الدنيا

عليينا كما بسطت على من كان قبلنا ، ويختلف علينا أن نتفاوضها كما  
تفاوضوها فنهلك كما هلكوا .

وظني أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان بمثل هذه الأحاديث  
يلمس النزعة التي نسميها غريزة تنازع البقاء ، تلك التي تثير النهم ،  
وتحمل على التكالب ، وتغري بالعدوان على قدرات الآخرين وامكانياتهم  
اثراء لقدرات المعذين وتعذية لشراسينهم بدماء الآخرين .

وتنازع البقاء غريزة أودعها الله جوانح الحيوان ، كل الحيوان .  
بيد أنه سبحانه سكن من ثورتها في بني الإنسان بالرسالات وقيمتها ،  
وتعاليمها . ذلك لأن اضطراره تلك الغريزة يحيل الإنسان إلى حيوانية  
شرسة ، والمجتمع إلى غابة موحشة ، وهذه الغريزة رافد دائم يغدو  
تلك العلل المدمرة التي تعتمل بين جوانح الإنسان وتجعله كثودا ،  
ظلوما ، جهولا ، كفورا ، هلوعا ، منوعا جزوا طاغيا يئوسا ، قنوطا .  
الخ تلك الصفات التي وصم القرآن بها الإنسان والتي تورث التدابر ،  
والتناحر ، والشلاق .

والمولى سبحانه يحد من طغيان هذه الغريزة بتحريم الفردية ،  
والأنانية ، وكل روافد الشرك الأصغر من رباء ، وتسبيع ، وشهوة  
خفية ، وختل للدنيا بالدين وفق ما روى الترمذى عن أبي هريرة «يخرج  
في آخر الزمان رجال يختلون <sup>(١)</sup> الدنيا بالدين يلبسون جلود الضأن  
من اللين ، ألسنتهم أحلى من السكر ، وقلوبهم قلوب الذئاب ، يقول  
الله : أبي يفتررون ، أم على يجترؤون ، فبى حلفت لأبعثن على أولئك  
منهم فتنة تدع الحليم فيهم حيران » .

كما يشبع سبحانه سبب تلك الغريزة بالبحث على التفاوض  
واستبقاء الخيرات . فالله يقرر في كتابه أنه مهيمن على لفقات العباد ،  
عليم بالنوازع ، محبط بالأبعاد ، مستحوذ على النواصي ، محتملا على

---

(١) يطلبون .

العباد أن يستبقوا الخيرات ( ولكل وجهة هو مولىها فاستبقوا الخيرات ،  
أينما تكونوا يأت بكم الله جمِيعا ، ان الله على كل شيء قادر )

البقرة ١٤٨

ويقول سبحانه منددا بتشعب الأهواء تبعا لغريزة التنازع ،  
مغريا بالعلاج الذي يحد من شرتها ، ويطفئ من أوارها ( ولا تتبع  
أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ، ولو شاء  
الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات  
إلى الله مرجعكم جمِيعا ) المائدة ٤٨

ويحصر الله هم النزعة في التطلع إلى الخير الخالد ، وترقب  
النعم المقيم ( ان الأبرار لفِي نعيم ، على الآراء ينظرون ، تعرف  
في وجوههم نُسْرَة النعيم ، يسقون من رحِيق مختوم خاتمه مسک ،  
وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ) المطففين ٢٢ - ٢٦

ان من فضل الله على العباد أن جباهم بدين يشخص الأدواء ،  
ويصف الدواء مستحييا جذور العلل ، مضيقا الخناق على شياطين  
الانس والجن ، متوكلاً صحة النفس ، والعقل ، حاديا إلى علاقات  
محمودة تجنب الشطط ، وتقى العثار ، وتكتل الفلاح والعزَّة . وبهذه  
القيم الزكية الأساسية المهدية يمن المولى على أوليائه ( يمنون عليك  
أن أسلموا ، قل لا تمنوا على أسلامكم ، بل الله يمن عليكم أن هداكم  
للايمان ان كنتم صادقين ) الحجرات ١٧

وهذه القيم الأساسية الزكية حرية أن تعصم من كل القواصم ، وأن  
تعرج بال المسلمين إلى حيث المقام الأسمى ، والمتبوأ الأعلى المحمود .  
فما أعظم وزير المسلمين أن تناكرت صفوفهم ، وتفرقـت كلمتهم ، وشـطـت  
آهـافـهـمـ ، وتدـابـرـتـ وسائلـهـمـ فـلـمـ يـعـصـمـواـ بـحـبـ اللـهـ وـلـمـ يـذـكـرـواـ  
فـعـمـ اللـهـ .

يتبع ان شاء الله ..

بخاري أحمد عبده

# نفحات قرآن

## بقلوب بخاري احمد عبد الله

بسم الله الرحمن الرحيم

« يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتون الا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جمِيعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم ، اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته اخواناً ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبيّن الله لكم آياته لعلكم تهتدون . ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون . ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، وأولئك لهم عذاب عظيم » .

\* \* \*

حدو مثل الآيات يجعل بنا أن نقف فنطيل الوقوف ، نصعد خلالها البصر ، وننعم بمشهد أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين ، والصديقين ، والشهداء ، والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .

وسرعان ما نندرح حين تمنع ظلمة الواقع مد البصر ، فترتطم بالحاضر المر الذي يجثم غصة على الصدور كما تجثم الجلاطة في الأوعية الدموية . حينئذ ينقلب إليك البصر خاسئاً حسيراً يتعرّث في أشلاء أولئك الذين خلُفو من بعد . وعدنا – في غير وعي – نهمهم يقول الله : –

« فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة ، واتبعوا الشهوات ، نفسوف يلقون غيا ، الا من تاب وآمن ، وعمل صالحاً ٠٠ » مريم

وتنداح دوائر الشجون ، وتنداعى المعانى فتسرح النفس في  
خربات أولئك الذين ذكروا ( بضم الذال وكسر الكاف المشددة )  
فنسوا وبدلوا ، وعتوا فسيموا سوء العذاب ، وغاصوا في أحوال  
الأدنى وتقطعوا في الأرض أمما .

وصحنا — في غير وعي — ما أتبه الليلة بالبارحة ، وعدنا بنتقم  
بقرآن : « فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا (١) قردة حاسدين »  
واذ تأذن ربكم ليبعثن عليهم إلى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب ،  
ان ربكم لسرير العقاب ، وانه لغفور رحيم ، وقطعنهم في الأرض  
أمما ، منهم الصالحون ، ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات ،  
والسيئات لعلهم يرجعون . فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ،  
يأخذون (٢) عرض هذا الأدنى ويقولون (٣) سيعذر لنا ، وان يئتمهم  
عرض مثله (٤) يأخذوه ، ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب الا يقلوا  
على الله الا الحق ، ودرسو ما فيه ٠٠ ١٦٩ — الاعراف ١٦٦

نعم يحمل هنا أن نقف فنطيل الوقوف . فالقرآن — كما علمنا —  
لا يجذ عطاوه ، ولا تتفذ معانيه ، وأنت اذ تنظر فيه بعين زمانك ،  
وعلى عصرك ، وحس مشاكلك ، تنتشل منه وتنتضل ، وتكتشف الجديد ،  
وتظفر بالخرائد الفرائد التي تأسو على الزمان ، وتشخص أدواء  
الجييل .

ولا نزاع في أن من شر العلل التي تجتاح المسلمين علة الشقاق  
والنستات . ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود بالله من  
شتات الأمر ووسوسة الصدر استعاذه به سبحانه من عذاب القبر

(١) وقتيت هذه الأمة ذل المسمى المادي ، أما المسمى المعنى الذي يلحق الصفات ويشوه الخلال ، وينال من الجلال فهو قائم يتهدى من غفلة وحرف وبطل .

(٢) استفراغ في المتع ، وكلف بالصفائر ، وتمرس بالصغار .

(٣) استفراغ في احلام كاذبة .

(٤) نهم لا يشعرون ، وغرام بالرشا والماكاسب الخبيثة .

« اللهم انى أعوذ بك من عذاب القبر ، ووسوسة القدر ، وشماتات الأمر » وشماتات الأمر — فيما أحسب — هو الفردية التي تفك عقان المؤادى كى يجمع وراء الأهواء ، فيتشتت ، ويتبعد الشعب كلها ، ويمسى شعيبا ، بكل واد شعبية مصدق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

### نداء التوحيد

والمؤمن سداء ، ولحمته التوحيد . وكل المعانى الاسلامية الأخرى تجود ، وتزهو في حمى التوحيد بين السدى واللحمة .

والمؤمنون في كف التوحيد متلاقون تجمعهم وحدة الولاية ووحدة الغاية ووحدة الوسيلة . وببعضهم — في ظل ولاية الله — أولياء بعض، يتلاقون بلا تدابر ، ويتعاونون بلا تفاذل ويتناصرون فلا تنافر « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم » التوبة ٧١ . هكذا بواو الجمع في كل شؤونهم ليظل دأبهم التجمع وهم المجتمعون

والوجود الصحى للمؤمن لا يكمل الا في اطار الجماعة . فلا فردية اذ الله وحده هو الفرد الصمد . واذا انفرد المسلم بنفسه ، وانفك عن امتة أوشك معين الایمان فيه أن ينضب ، ويغيب ، ولذا كان من دعاء النبيين « رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين » .

واذا شط وبعد اختطف ، وانتهب « انما يأكل الذئب من انعم القاصية » .

ولشدة ارتباط الوحدة بالتوحيد اختلفت رؤية نبين كريمين الى مرتبتهم :

هارون عليه السلام رأى أن قضية الوحدة حرية بالمراجعة ، وأن القصد يفضى الى اكتشاف وشماتات . وان من شت شذ ، ومن شذ

شذ في النار ٠ ولذلك خشى أن يكون — من حيث لا يحتسب — مهول  
تقرييق ، وآخر الترييغ والثانية في شأن أولئك الذين كفروا واتخذوا  
العجل ٠

وموسى عليه السلام رأى أن الأساس التوحيد فإذا اندع كلّه ،  
أو بعضاً تصدعت سائر الدعائم وانهار البنيان ٠ ولذلك على ، واشتد  
وقدف بالزبد ، وأخذ برأس أخيه يجره إليه منكرا عليه ألا يكون  
حاسماً حازماً في قضية حيوية كقضية التوحيد ، وأن يقف موقفه  
الرجاء المهنّى اللين حيال المرتددين « قال يا هارون ما منك أذ رأيتم  
ضلوا ألا تتبعنى ، أفعصيت أمرى (١) ٠ قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتى ،  
ولا برأسى أنى خشيت أن تقول فرقت بين بنى إسرائيل ولم ترقب  
قولى » طه ٩١ ٠

والحق أن التوحيد حبل الله الذى ينتظم المؤمنين جميعاً ، فهو  
بالضرورة يجمع ، ويوحد ، ويرفع إلى أفق رفيع فسيح يؤاخى ،  
ويصهر ، ويزيل المؤمنين كل المؤمنين في كينونة واحدة ٠ والتوحيد  
الذى لا يحقق هذا حرى باعادة النظر فيه كما أن التجمع لا يكون  
موطداً الأركان ، سامقاً الدعائم متبعاً الاشد على أرضية من توحيد ٠  
وظنى أن هارون عليه السلام اعتبر الشكل ، ونظر إلى وحدة الصفة  
باعتبارها مظهاً من مظاهر التوحيد ، وأن موسى عليه السلام تجاوز  
الشكل إلى الموضوع فارتاع حين مادت أرضية التوحيد وزلزلته  
زلزالها ٠

وليس العبرة أبداً بوحدة الشكل ٠ فالله تعالى قد ذم قوماً  
استوفوا جانب المظهر وأفتدتهم خواء « تحسبيهم جميعاً وقلوبهم  
شقي » الحشر ٠

كما عرض سبحانه بفرعة جسام راع مبناهم وضعاف معناهم  
« وإذا رأيتم تعجبكم أجسامهم ، وان يقولوا تسمع لقولهم ، كأنهم

(١) أمره قوله أخلفني في قومي وأصلاح ولا تتبع سبيل المفسدين ٠

خشب مسندة ، يحسبون كل صيحة عليهم ، هم العدو ، فاحذرهم  
قاتلهم الله أنى يؤفكون » المافقون

ان الاسلام يعني بالخبر ، ولكن لا يغفل المظاهر المصاح  
فالتماسك الذى يشد المؤمن الى المؤمن يحكم صلابته اوثق عرا  
الايمان من موalaة في الله ، وحب في الله ، وبغض في الله مصادق  
ما رواه ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

والمؤمن في كف أوثق العرا صحي النزعات ، طيب النفس ،  
وطيب النفس النعيم . ومقومات المسلم تلك ترتفع بال المسلمين الى  
مستوى القربى ، وتقتضى بالضرورة المودة في القربى

والمودة في القربى تغذى الانفعال بالقربى ، وتقتضى الى مزيد  
من التألف والتدانى الى مزيد من قربى ومزيد من مودة يصورها  
الله تعالى في صورة عائد تقر به عين رسول الله نفسه « قل لا أسألكم  
عليه أجرًا الا المودة في القربى »

والقربى هنا أعم مفهوما ، وأرحب أفقا . فهى تتسع العشيرة  
الأقربين المعنين بقول الله « وأنذر عشيرتك الأقربين » وتنبع مفهوم  
كلمات « القربى » التى وردت في القرآن مسبوقة بـ « ذى » أو  
« ذا » أو « ذوى » أو « أولو » أو « أولى » — أو غير مسبوقة ،  
وتسع مفهوم « الأرحام » التى حذر الله من تقطيعها ، ومفهوم  
« أولى الأرحام » الذين جعل الله بعضهم أولى ببعض ٠٠٠ الخ

ولا تزال الكلمة تتسع وتمتلئ ، حتى تنتظم المسلمين قاطبة ،  
فالاسلام رحم بين أهله ، والمؤمنون كلهم اخوة بمنطق القرآن ،  
وصريح السنة ، وبروح الشريعة الغراء « انما المؤمنون اخوة »

والؤمن مطالب أن يدرج مشتملا بمعانى « القربى » حتى يرقى  
إلى مقام الأخوة الحقة التي امتن الله بها على العباد « واذكروا نعمة  
الله عليكم اذ كنتم أعداء فتألف بين قلوبكم فأحببتم بنعمته اخوانا»

وإذا كانت الأخوة نعمة حقيقة بالمن ، فان الانسلاخ عنها ، والتفريط فيها ، والهوى ( بكسر الواو وتشديد الياء ) من آفاقها كفر يستنزل سخط الله ، ويوجب الهوان والضيق مصدق قول الله :

« وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع ، والخوف بما كانوا يصنعون » النحل ١١٢

### علل تنخر في البناء وتصدع الأركان

ان المؤمن كى ينعم بحلوة التوحيد لا بد أن ينخرط في جماعة ممتلا لأمر الله « واعتصموا ۰۰۰ » وكى تتحقق الولية الحق ، وينتشر شذى الدين ، ويرتفع سناه لا بد أن يتضافر مع جماعة ممتلا لأمر الله « ولتكن منكم أمة ۰۰۰ » .

وكى تطيب حياته ، وتزكي دنياه ، وتعلو أمره لا بد أن يتحرك ضمن جماعة ممتلا لأمر الله « وتعاونوا » وكل عضو يتحتم عليه أن يصدق النية ، ويظهر الذيل ، ويستهدف الخير ، ويذب عن فبلقه حتى لا (١) يردى ، أو يقع طعمة للهوان ، نهبا للافات ، عرضة للمزالق .

والغريب أنه رغم وضوح المعالم ، ون الصاعة الهدى تختلط على الناس السبل ، ويضلون الطريق ، وتفترسهم علل تنخر نخر السوس في الكيان . من هذه العلل :

#### (أ) تراث الطين والأنوية وعشق الذات

ورث الناس فيما ورثوا عفن الحما المسنون ، وضعة الماء المهن . ووجدوا يرشفون في شهوات وأدواء كثيراً ما تثور فتعصف بالقومات ، وتنسف معالم الطريق .

وفي حمي الثورة العارمة التي تغذيها الشهوات ، ويدركى أوارها الشيطان ، يفلت من خلال الأيدي الحبل الذى يصل بالله ، ويكفل

(١) يهلك .

العصمة ، ويضمن السلامة ٠ وعندئذ يمسي صيدا سهلا للشيطان يحنك بالهوى ، ويجرعه خمرته ، ويرسله ثacula متخبطا فاقد الوزن ، نهب الشهوات البينة ، والخفية التي يفجرها المتنمى والعنصر المتغير المسنون ٠ وإذا انفجر في الانسان تراث الطين تکدر صفوه وتغير أمره ، واحلوك طريقه الى الخالق ، والخلق ٠

وانفعالا بتراث الطين استعظم الناس أن يعبدوا ما لا يرى ٠ غرتصدوا أجراما ، ونحتوا أصناما ، وقدسوا كائنات ، وألهوا مخلوقات ، وعبدوا شهوات ، وسبحوا بحمد الدرهم والدينار ، وسكنوا من مشاعرهم المادية على مواقف تعبدية ، واختلقوا بدعا ، وعظموا صالحين ٠ الخ وعلى درب هذه الطبيعة ، وانفعالا بتراث الطين علت صيحات مستويات عليا « أرنى كيف تحبى الموتى » « أرنى أنظر اليك » وعلت صيحات مستويات وسطى « اجعل لنا إنها كما لهم آلة » « اجعل لنا ذات أنواط » وعلت صيحات مستويات دنيا « لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا » « ياهمان ابن لى صرحا » « لن نؤمن لك حتى تتجز لنا من الأرض ينبوعا » ٠٠٠ الخ ٠

وانفعالا بتراث الطين استعظم الانسان أن يدب فلا يسمع دببه ، أو يحضر فلا يرى مكانه ولا يحتل الصدارة ، أو يعبد فلا تعلم عبادته ، أو يعمل فلا يقوم من الناس عمله ، أو يجد فلا يقوم على الأرض سعيه ٠ كيف وهو من صلصال كالفارخار ، ومعدنه الفخارى يصلى حلليا يطلب الاشباع لغريزة حب الظہور الراسخة في أعماقه ، ولعاطفة اعتبار الذات التي تقيمه وتقعده ٠

وانفعالا بتراث الطين جلجلت في التاريخ كلمة « أنا » ودلت ملتهبة مارجة كالنار « أنا خير منه » « أنا أحلى وأميته » « أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ٠٠٠ » « أنا أكثر منك ملا وأعز نفرا ٠ والاسلام اذ يندبنا الى درجة الاحسان « اعبد الله كأنك نزاه ٠٠٠ » انما يشبع نهم الغريزتين ويهدى من حدتها حتى

لا تستحيل نارا ضاربة . فالإسلام يرفض أن يكون المسلم دفيناً مادياً فهو كما علمنا ينتشله من أوحال المادية بالتوحيد ، ويبح جماح غريزة الظهور وعشق الذات فيغلق دون المؤمنين كل دروب الرياء باعتباره شركاً أصغر ، وشهوة خفية تتذر بالتمزق والحق . « ٠٠٠ طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله ، أشعث رأسه ، مغبرة قدماه ان كان في الحراسة كان في الحراسة ، وان كان في المساقة كان في المساقة ، ان استعن لم يؤذن له وان شفع لم يشفع » حديث صحيح .

والرسول بهذا الحديث يربى المؤمنين على نكران الذات باعتباره  
وسيلة عمران ، وغاية اسلام . وفي طريق الحد من نزعـة عـشق الذـات  
تقرأ في الصحيح قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ( من سمع  
سمع الله به ، ومن يرائي يرائي الله به ) .

ان ثغرات الرياء منفذ الشيطان الى القلوب يدنسها ، ويؤوهيا  
والى الاعمال يحبطها . وهي مسارب الادواء التي تورث العفن .  
وتحصي بالتأكل .

ولقد تسلل الشيطان من خلال هذه الأدواء إلى الصدف ، ونفذ إلى النفوس فأفقدها الاتزان ، ورفع فوق الرءوس المفترسة السكري .  
بيارق الأنانية ، والاثرة ، واللجاج . وطواهم في أكفان الشهوات .  
الخفية . وأمسك بخطامهم يدور بهم في فراغ ، ويحضرهم في متهاهات ، ويعززهم كى يبتزوا مساجد ضرار ، ويعتلوها منابر ضرار ،  
وينشئوا روابط ضرار ، ويبتغوا مناصب ضرار ، ويصدروا صحائف ضرار ، وينشطوا أنشطة ضرار خوت من كل اخلاص ، وشرقت  
بالذاتية ، وفاضت بالشهوة الخفية ، وطفحت بكل خبائث الشرك .  
الأصغر ، فلا غرو اذا انفصمت العرا ، وانحلت العلاقة فلا اعتقام  
ولا انسجام ، ولا مودة ولا وئام .

پخاری احمد عبدہ

# نفحات قرآن

## بقلوب بخارى احمد عبده

بسم الله الرحمن الرحيم

واعتصموا بحبل الله جمِيعاً ، ولا تفرقوا .٠٠٠٠

الاسلام يسد ثغر الشقاق

رأينا كيف دامت مآذن القرآن ترفع نداءات الأخوة ، والوحدة  
والوفاق لتخلد مجلجلة مصلصلة تغمر ذبذباتها مابين أقطار السموات  
والأرض .٠

وكيف امتلأت أكتاف هذا الدين بقوى ذاتية تعين المؤمن ، وتحدوه  
حتى يتحقق التوافق بين الإنسان - المشود الى الجبلة ، والغريزة ،  
والهوى ، ودخن عنصر الطين - وبين المعانى العلوية التى تكفل النقاء  
وتنقضى الى التألف والاخاء .٠

ورأينا تعاليم الاسلام تحد من جموح القوى السفلی ، وتقاوم  
على حب الظهور ، وعشق الذات ، وشرك الرياء والشهوات الخفية ،  
والأنواع ، وكل الأدواء التي تفرى ذات البين ، وتباعد بين المسلم وأخيه  
وتتيح للشيطان أن ينفذ ليوسع المهوة ويدنس العلاقة ، ويوقع العداوة  
والبغضاء فيمسى المسلمين شيئاً خلقة ، ومزقاً واهنة . دأوها اللجاج  
والتدابر ، فقدان الوزن ، والسبع الطويل في فراغ .٠

ووقفنا نتذمّر واقع المسلمين المر ، ونقدر هول الانفصام الذي بين  
المسلمين وبين عقيدهم الزكية المغراء . ذلك الانفصام الذي ينذر بالمحقق  
والدمار ، وذهب الريح « ولا تنازعوا ، فتفشلوا ، وتذهب ريحكم » .٠

## وينشر أرواح الأمل

والحق أن المسلمين يعيشون أحطار ذلك الانفصال . ولكن المؤمن يلمح بين أطباق الرماد وميضا ينتظر الرائد الذي يأتيه ، ويدركيه ، ويعود إلى أهله بشهاب قبس لعلهم يصطلون ويأنس المؤمن في التيه روح الأمل في الله الذي يحيي الموتى تغالب أشباح اليأس ولا يئس من روح الله إلا القوم الكافرون .

والمولى سبحانه كتب على نفسه أن يحفظ الذكر وإن هان الذاكرون ( أنا نحن نزلنا الذكر وإن له لحافظون ) (١) الحجر .

وكفل سبحانه رغعة هذا الدين وإن ذل المتنمون إليه « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كرم المشركون ) الصف .

وقدر أن يظل الإسلام ندى النسمات ، عطر النفحات ، وضيئاً يهدى السارين حتى يبلغوا بالاسلام مغرب الحياة وفق ما جاء في الصحيح « انما بقاءكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر الى غروب الشمس . أوتى أهل التوراة التوراة فعملوا حتى اذا انتصف النهار عجزوا فأعطوا قيراطاً قيراطاً ، ثم أوتى أهل الانجيل الانجيل فعملوا الى صلاة العصر ، ثم عجزوا فأعطوا قيراطاً قيراطاً ، ثم أوتينا القرآن فعملنا الى غروب الشمس ، فأعطيتنا قيراطين قيراطين ٠٠٠ الحديث »

واصطفى من عباده طوائف ظاهرة على الحق يذودون عن الدين مصدق مارواه مسلم « لن يربح هذا الدين قائماً يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة » ومصدق ماروى أبو داود عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من نأوا بهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال » .

---

(١) في الآية سبعة تأكيدات كبilla بأن تستأصل شأفة اليأس من القلوب

ووعد أن يصنع على عينه أولئك الذاذة » وأن يجدد دماءهم ويضمن  
تتابعهم مجاهدين أقوىاء ، أعزه رحمة وفق قوله سبحانه « يأيها الذين  
آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ، ويحبونه  
أدلة على المؤمنين ، أعزه على الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله ، ولا  
يخافون لومة لائم » . المائدة . وأنت ترى أن روائح الوحيدة تتبع من  
كلمة ( قوم ) وأن قوام تلك الوحيدة : حب متبادل ، وذل على المؤمنين  
مبعثه الرحمة ؛ وعلو كعب ورفة مبعثها العزة ، وحركة محيطة ، وتوحيد  
الخلص يعصم من خشية الناس ، ويحمل على المجاهدة والصمود ،  
والتكلّفات .

### ويسطفي لدينه من البشر نفرا

والله الذي يخلق الحب والنوى ، ويخرج الحى من الميت ، ويحيى  
الموتى يسطفي لهذا الدين ورثة مؤمنين ، حبوا بفطر متقدة خصبة  
تحتضن بذرة الدين ، وتنفعل بهدایاته ؛ وتحفظ سناء (١) ، وسناء ،  
وتعيش أوعية متكاملة البناء . وهؤلاء المفطورون على الدين هم العدائون  
عبر الأجيال ، يتلقون من نظرائهم شعلة الدين ويؤدونها لنظارائهم  
اللاحقين حية متوجهة . هكذا جيلا من بعد جيل حتى يقضى الله أمرا  
كان مفعولا .

فهؤلاء من ينتفع بما استقبل من غير ، وأصحاب من هدى ،  
فيزدهر مثرا ظليلًا ويشع فتهوى اليه الأفئدة تألف في رحابه ، وتلتقي  
على محوره ، وتتبعث من مركزه .

وفيهم أوعية تمسك الماء ، وتبقى منا حل للواردين على نحو ما جاء  
في الصحيح : - « مثل ما بعثني الله به من المهدى والعلم كمثل الغيث  
الكثير أصحاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب  
الكثير ، وكانت منها أجاذب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا ،  
وسقوا ، وزرعوا ٠٠٠٠ » .

(١) السناء الرفعة والشرف والسنى النور .

والرسول صلى الله عليه وسلم اذ ييرز قضية الريادة في هذه الصورة الندية المشوشبة المريي <sup>(١)</sup> ، يومئ أو يوحى بما يتمتع به هؤلاء الصفة من جاذبية ، وحيوية ، وامتلاء ، وقدرة على العطاء الجميل الذي يجذب الناس .

كما يسلنك هذا التصوير — من حيث تدرى ، أولاً تدرى — الى الأمة التي احتشدت حول ورد مدين يسكنون ، والى موسى عليه السلام وهو يوجد بما امتلك ، والى عائد المعروف الذي لا يضيع بين الله والناس « ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسكنون ، ووجد من دونهم امرأتين تذودان » قال ما خطبكما قالتا لا ننسى حتى يصدر الرعاء ، وأبونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى الى الظل ، فقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير ، فجاءته احداهما تمشي على استحياء ، قالت ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا ٠٠٠ » القصص ومفاد كل هذا : أن الاسلام ورد الله المورود في الأرض وأن عطاءه الذي لا ينضب حرى أن يجمع الناس ، ويستهوى الأفئدة .

وأن ورثة الأنبياء يقومون — كالأنبياء — على حياضه ينظمون ، ويؤلفون ، ويقسمون بالسوية ، ويعينون حتى يصدر كل الناس مرتين مفعمين بمعنى الخير ، فإذا حيل بين الناس وبين هذا الخير اجهدوا وبذلوا وظهروا على من ناوأهم ، وجمعوا على الحق ، وردوا كيد كل دجال يفتن فيفضل ، ويفرق ليفترس ، ويموه فيبالغ في التمويه الذي يسحر المدارك ، ويحد المساخر ويصيب بغيوبة .

وأن فاعالية أولئك العدائين حملة المشاعل تتتوافق توافقاً طردياً مع حجمهم المادي ، والمعنوي ، ومع أنفاسهم التي قد تطول أو تقصر ، ومع طاقاتهم فقد تقاوم حرارة الاحتكاك ، وقد تحرق .

وأنهم — قل فيضمهم أو كثر — لا يسقطون الا بعد أن يؤدوا الى من خلفهم قبساً من جذوتهم » تحتويه الصدور ، وتوريه <sup>(٢)</sup>

(١) المرتبة ، والمشوشبة الأرض كثيرة العشب .

(٢) تجعله .

وتربى (١) ، أو تحفظه وتؤديه ، وهكذا يدوم نبض هذا الدين ، ويقتباع على ساحتة حملة المشاعل رغم غربة الاسلام ومحنة المسلمين ٠ وتعشو الى مشاعلهم أسودة وتهفو أفتءة وينشاً مركز مد تطيب به ليال ، وتسهد له جفون ٠

والحق أن الجسد المسجى نهب المدى ، والأنىاب ، والأضراس ، قد دبت فيه صحوة ، واختلت عروق واستبشر الناس ، وتطلعوا لحركة واعية رشيدة تجمع الشتات ٠ وتفتق بذرة الأمانة التي أودعها الله جذر قلوب الرجال ، حركة متأنية تقوم على بصيرة ، وتحيط بالأماد ، والأبعاد . وتقدر فتحسن التقدير ، وتتجنب طليعة تکفر عن أخطاء الآباء والأجداد .

وتفنن الشيطان ، وتحرك الأعداء ورسموا لاحتواء الحركة ٠ واجهاضها قبل أن تستقبل ، وتنستوى خلقا آخر ٠ ورأوا ضمن ماروا:-

١ - أن يبذروا بذور الشقاقي ، وأن يمطروهم بحجارة شيطانية قثير البراكين ، وتهيج الزبد وتعكر الصفو ، وتملاً المشارب بالقذى ٠

٢ - أن يحدوهم نحو أقضية جانبية تصرف عن الجادة ٠ وتبعد عن اللباب ، وتطوى طيا في أحشاء القديم ، وبطن التاريخ وأن يغنو لهم بأنحان شجية تختدر ، وتغرق في النشوء ، وتغير ٠

٣ - أن يكفلوا لهم الرى ، وييو الوهم بالتسميد ٠ ويمدوا - بقدر - الحبل ، ويطلقوا - إلى حين - العنان ، حتى تطول الأعواد ، وتشرئب الأعناق فيمكن الحصاد ويسهل ضرب الرقاب ، وشد الوثاق ٠ وأن ، وأن ، وأن ٠ ٠ ٠

وانطل على الطائع المفتحة مكر أولئك ، وبدعوا يخوضون - بانتقادتهم الوليدة - عراقيل بثت باحكام ، ويواجهون مهاوى وحواجز وشباكا نصبت على الطريق ، ويدورون حول أنفسهم بخطا قلقة توهيها حداثة السن وضحالة التجربة ، وضائلة الخبرة ، والجهل بغير التاريخ ،

---

(١) تزيده .

وأساليب المكر ، وسفن الكون ، وأبعاد الحكمة ، وفنون الموعظة الحسنة كل ذلك في اعتداد بالذات ، وتعصب للشباب ، وافتتان باللحية السوداء .. وزاد الأمر خطورة أن عربه تراث الطين » وثارت كوامن العلل في الأعماق

فلا عجب اذا أمسينا نعاني التأكيل ، ونعيش القلق المتزايد ، ونرصد نبوا عن الصراط ، ونلمح في الآفاق عوارض تستقبل أوديتنا ، وانقساما جنوبيا في خلايا الدم المرجى الذي تدفق رغم غيبة الدين ، ومحننة المسلمين وبتنا نلحظ انفعالات ساذجة ، ولكنها تقذف بالهمم وتنبنيء عن غفلة عن مخطط الأعداء الرهيب .. من نتائجها :-

- ١ - تميع في قضايا تتضائل أمام الخطر الداهم ، والمدى المشرعة التي تتهدد كبد الاسلام وجود المسلمين .. وصرنا بذلك كفر وقف أمام شخص اندلعت فيه النيران ، يلقنه الشهادتين بدل أن يستقذ ، ويغافل ..
  - ٢ - استغراق أبله في زبر الأولين دون أن نأخذ في الحسبان عامل الزمان والمكان ، والظروف ، وقضايا الساعة التي انفعلا بها ..
  - ٣ - استهانة بضرورات الحياة التي نعيشها ، واستهزاء بالعلوم الكونية ، ومتطلبات الحضارة ، ومقتضيات السياسة ..
  - ٤ - تعصب كل مأمور لأميره ، واعجاب كل ذي وجهه بمذهبه ، وفكرة ، وشيعته في حمية جاهلية عمياء ..
  - ٥ - اهدار وقت ثمين في الشد ، والكيد ، والتناطح ، وتبادل حملات هوجاء توهى العرا ، وتتوغر الصدور ..
  - ٦ - تقديس أسماء ، وتشييع لأفراد تصبب ، وتخطيء ، وتسليم وتصنم ، وتصحو وتغشو .. وتنشط فنتقطع الأشواط ، ثم تنتهي حيث يقف بها زمانها ، ويسمح حجمها ..
- وهذه كلها ظواهر مرضية لعل من بواعثها :-

أ — المهرب من جوى الحاضر ، وبرح الواقع المر ، ومن تكاليف المسيرة الحضارية الى سراديب ، ومغارات ، وكهوف بعيدة عن اهتمام الذين يتحكمون في المقدرات .

ب — العجز المطبق عن مواجهة الاعيب السياسية ، وأساليب الساسة وهذان الباءثان — بكل ما يثيران — سرعان ما تستفحل وتورث اللجاج والهوج والهوس والاضطراب .

والكتب التي تتبع طاقات فريق ، والذاهب التي تستأثر بكل اهتمامات فريق آخر قد تكون دسمة تعكس عمق الفكر الاسلامى وجلاله في مرحلة من مراحله . والقضايا التي تستقطب أفكار وألسنة فريق ثالث قد تكون ثمينة أشارت اهتمام العلماء في يوم لا يصح أن نسلخه عن زمانه الذي هو وعاء لتلك القضايا .

الا أن العصر وما جد فيه من علوم ، وحضارات ، وأساليب ، وأحداث ، واهتمامات الخ العصر يحتم علينا أن نستجمع كل القوى لمواكبة التغيرات الحيوية التي تطبع الآفاق وتميز دنيا اليوم . ولا بأس اذا اهتدينا بالتراث ، واستضأننا بكتب الأقدمين ولكن دون أن ندفن تحت أطباقيها ، ونختنق بعبارها فننسليخ عن العصر ومعارفه التي لابد منها لصلاح الدنيا ، وحماية الدين .

ان الاسلام يؤاخذك اذا انصرفت الى صلاة ، وعلى مرأى منك خطر داهم يوشك أن يحيق بانسان . فكيف والاسلام طريح ، والمسلمون صرعى تنداعى عليهم الأمم كما تداعى الأكلة التي قصعتها ؟ أفلان نطب أنفسنا بقول الله : يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتون إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جمیعا ، ولا تفرقوا ، واذکروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكتتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ؟

بخارى احمد عبده

# نفحات القرآن

## بقلم بخاري احمد رعبيده

بسم الله الرحمن الرحيم

« تبت يدا أبي لهب وتب ، ما أغني عنه ماله وما كسب ، سيصلني نارا ذات لهب ، وامرأته حمالة الحطب ، في جيدها حبل من مسد » ٠  
الآيات — بالنظرية الأولى — تتدرب بيت أبي لهب بسوء الحال ، وتبشر بهلاك محقق يحقيق فلا ينفع فيه مال ، ولا تجدى أعمال ، ولا تنفعن عشيرة ولا نسب ٠ وتصور زوجي السوء يغلان في قرن (١) ويدعان (٢) إلى جهنم دعا حيث يذل كل منهما ويذري ٠ وترجمهما مخرج ابتدال وهوان ٠

وهي كذلك توحى بأن زوجي السوء قد سبق عليهم القول فلا مجال لأوبة ، ولا مطمح في ايمان ، ولا رجاء في خلة ، أو شفاعة ٠ وكأن المولى بهذا القرار ، وهذا الاعلان المبكر يوحى إلى رسوله بمثل ما أوحى إلى نوح : « لن يؤمن ٠٠ فلاتبتئش » ، « لا تخاطبني في الذين ظلموا » ، « انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح » ، « اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم من معك ، وأمم سنتهم ثم يمسهم منا عذاب أليم » ٠ ذلك محصلة النظرية الأولى ٠ ولكن القرآن معجز ٠ ومن اعجازه أنه يعطي عطا غير مجذوذ ، وأن مقتطفاته خالدة لا يدركها بلى ، ثرة (٣) لا يلحقها نضوب ، ريانة لا يعتريها ذبول ، مثمرة أبدا ٠ وموافقه —

(١) القرن الحبل .

(٢) يدعان .

(٣) ثرة غزيرة .

برغم قدمها ، وتعلقها بأشخاص معينين — تظل ريانة تتقلب مع دهرك .  
وتعكس لك من صور معاصرتك وأحداث عصرك ما ترى خلالها وجوهها  
تعرفها ، وأحداثاً تعيشها ، ومشاكى تفيض بالنور ، ومواطن تعوص  
في الظلمة ، وبقاعاً ترفل في الخير ، ومراجل تغلى بالعلقم ، وتتوقد  
تحتها النار ، ودعاة من ورثة الأنبياء يبلون المر ، ويتجرون الصاب ،  
ويلقون ما يلقون وهم ينشدون :

ان الذى خلق الحقيقة علقتها  
لم يخل من أهل الحقيقة جيلا  
ولربما قتل الغرام كم استباح قتيلها

ومن شواهد العطاء الذى لا ينفرد ، هذه السورة الفريدة في  
القرآن ، التي كثيراً ما نتجاوزها إلى غيرها ظانين أنها تصور موقفاً  
ساكناً سجلت السماء فيه ضلال العمومية ، وعنت العشيرة الأقربين ،  
أو أنها تعالج تصرف اقتضى التنديد ، والتهديد ، والتسيير حتى يكون  
صاحبها عبرة ومثلاً للآخرين ، أو أنها نص حكم استثنائي اقتضته ظروفه  
سلفت ، ولن تكرر .

والحق أن السورة رغم جوها الذي يبدو شخصياً ، تحوى من  
مشاهد الدنيا ، وحقائق الآخرة معانٍ ننثقل منها جهد الطاقة ، ووسع  
البصيرة ؛ ويبقى بعد كل ذلك مزيد لسترنيد .

فقصة هذه العمومية الضالة تذكر بمثل الأولين يجمع بين بر  
البنوة ، وفظاظة الأبوة ، ويتنلو عليك من سيرة إبراهيم عليه السلام  
قول الله : « واذكر في الكتاب إبراهيم انه كان صديقاً نبياً ، اذ قال  
لأبيه يا أباًت لم تعبد ما لا يسمع ، ولا يبصر ، ولا يعني عنك شيئاً ،  
يا أباًت انى قد جاءنى من العلم ما لم يأنك فاتبعنى أهدك صراطاً سوياً ،  
يا أباًت لا تعبد الشيطان ، ان الشيطان كان للرحمٰن عصياً ، يا أباًت لانى  
أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن ف تكون للشيطان ولينا ، قال أراغب  
أنت عن آلهتى يا إبراهيم ، لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى ملياً »  
قال سلام عليك سأستغفر لك ربى انه كان بي حفياً » مريم .

وتذكر بنزغ الشيطان بين يوسف وأخوه ، وكيف لعب ببني يعقوب حتى اجترءوا على يعقوب وتقروا في ذلك من سورة يوسف قوله سبحانه: « اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة ان آبائنا لفني خسال مبين ، اقتلوا ي يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبكم ، وتكونوا من بعده قوما صالحين ، قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة ان كتم فاعلين » ٠

وتذكر بامرأة نوح وامرأة لوط ٠ وكل هذه كانت هزات في بيروت غبوبة ولكنها لم تبلغ في ايجابيتها ما بلغ شأن أبي لهب ٠

قصة تلك العمومة الضالة تشير – ضمن ما تشير – حقيقة أن المؤمنين أخوة ، وأن الاسلام رحم بين أهله ، وأن كل من احتل في دولة الاسلام الصدارة ، وتبوأ المركز الأسماى ملكا كان أو رئيسا ، أو أميرا ، فهو أب ، وأخ ، وعم ٠ فنان استبد وعطى ، أو صد وتعلل ، أو استميل فمال وانطوى كان في موقعه الذى هو فيه أبا لهب ، وصار في زمرة المحبين الى تباب ٠

ويقيني أن الله أحكم هذه السورة ، وأثبتتها كى تذهب مثلا يعتبر به كل من عادى ما أنزل الله اغتناما للفرصة ، أو جلبا للجاه ، أو ابقاء على السلطة ، أو تحببا للسلطان ، أو مطاوعة للهوى ، أو ايثارا للمالوف أو اغترارا بالصولة ، أو اعتدادا بالقوة ونفحة الشيطان ، أو انبهارا بما أتيح له من زينة الحياة الدنيا ٠

والسورة اذ تسجل موقف زوجي السوء تعلم الدعاة أن الشيطان كى تستنزل على أبي لهب الآخرين ما أنزلت السماء على أبي لهب الأولين ٠

والسورة اذ تسجل موقف زوجي السوء تعلم الدعاة أن الشيطان وهو يكيد – قد يدور حولك دورات ماكرة ويجد ضدك من داخلك يومن بنى جلدتك أسنة ، وأرماحا ، وقنوات يمزق بها الأئمـاء ، ويقطع بها الأوصـال ٠ وقد يتخذ من أهلك خيولا تثير بسنابكها الغبار لتكتـف

الظلمة ، وتفنق الأنفاس . وقد ينصب منهم دعاء يحدون إلى أبوابه  
جهنم من أجابهم إليها قذفوه في النار . هكذا حتى يتأكل المسلمون  
من الداخل . ولقد لقن الشيطان أولياءه هذا الأسلوب فمارسوه وأيقنوا  
بالممارسة أن الشجرة لا يقطعها إلا فرع منها . عرفوا ونسينا نحن  
رغم الأحاديث الصحيحة الصريحة التي فصلت لنا هذه القضية «٠٠٠ هـ  
من جلدتنا ويتكلمون بالسنننا » «٠٠٠ وان ربى قال يا محمد  
واتى أعطيتك لأمتك ألا أهلكم بسنة عامه ، وألا أسلط عليهم عدوا  
من سوى أنفسهم فيستريح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها  
حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا ، ويسبى بعضهم بعضاً » .

### لا محسوبية في الإسلام

والقرآن الذي يشهر بعم النبي صلى الله عليه وسلم هذا التشهيد المر  
يضم قاعدة أنه لا محسوبية في الإسلام . ذلك لأن آبا لهب لم يكن  
أول الكافرين ، ولا آخرهم ، بل له نظراء ربما كانوا أفجر منه وأعتقى  
ولكن القرآن خصه بالتشهيد كي يتضح من أول وهلة أن لحمة النسب  
قد تحقق قرب مكان ، ولكنها لا تتحقق قرب مكانة ، وأن الحبيب  
النبي إذا أُجْرِمَ لَا يُفْلَتُ فـ في الإسلام من العقاب . ويحضرني في هذا  
المقام حكمة تتناسب مع هذه القضية هي قول الشاعر :

انى وقتلى سليكا ثم أعلمه كالثور يضرب لما عاقت البقر

الا أن آبا لهب هنا ضرب لأنـه كان في العائقين وكان يخوض مع  
الخائضين .

ورابطة الإسلام التي يعتقد بها هي رابطة الإيمان التي تورث  
الحب « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا »  
مريم ، والتي توجب الترابط والاجتماع في الله « واصبر نفسك مع  
الذين يدعون ربهم بالغداعة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم» .  
اما العلاقات الدينية الدنيا فانها تعادل في ميزان الإسلام لا شيء .  
فإذا جرت إلى الضلال وأورثت العمى كانت منبوذة ممنوعة « وقال

إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم ببعض » العنكبوت واستحالـتـ تـلـكـ العـلـاقـاتـ يـوـمـ الدـيـنـ صـيـاحـاـ يـفـرـيـ الحـشـاـ « ويـوـمـ يـعـضـ الـظـالـمـ عـلـىـ يـدـيـهـ يـقـولـ يـاـ لـيـتـنـىـ اـتـخـذـتـ مـعـ الرـسـوـلـ سـبـيـلاـ « يـاـ وـيـلـتـىـ لـيـتـنـىـ لـمـ أـتـخـذـ فـلـانـاـ خـلـيـلاـ » الفرقان ٠

والقرآن حريص على أن يقر في أذهان المسلمين معنى « لا محسوبية » وحتى لا يتورّم أن هذه القاعدة احترمت باستغفار إبراهيم لأبيه ٠٠ يؤكد القاعدة ثم يبادر بتعليق ذلك الموقف : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ، ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ، وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها آيات ، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ٠٠ الشوبة ٠

والعمدة في هذا الباب قول الله : « يـأـيـهـاـ الـذـيـنـ آـمـنـواـ لـاـ تـتـخـذـواـ آـبـاءـكـمـ ،ـ وـاـخـوـانـكـمـ أـوـلـيـاءـ انـ اـسـتـحـبـواـ الـكـفـرـ عـلـىـ الـايـمانـ ،ـ وـمـنـ يـتـولـهـمـ مـنـكـمـ فـأـوـلـئـكـ هـمـ الـظـالـمـونـ ٠ـ قـلـ اـنـ كـانـ آـبـاءـكـمـ ،ـ وـأـبـنـاءـكـمـ ،ـ وـاـخـوـانـكـمـ ،ـ وـأـزـوـاجـكـمـ ،ـ وـعـشـيرـتـكـمـ ،ـ وـأـمـوـالـ اـقـتـرـفـتـهـاـ ،ـ وـتـجـارـةـ تـخـشـونـ كـسـادـهـاـ وـمـسـاـكـنـ تـرـضـونـهـاـ أـحـبـ الـيـكـمـ مـنـ اللـهـ وـرـسـوـلـهـ وـجـهـادـ فـيـ سـبـيـلـهـ فـتـرـبـصـوـاـ حـتـىـ يـأـتـىـ اللـهـ بـأـمـرـهـ ،ـ وـالـلـهـ لـاـ يـهـدـيـ الـقـومـ الـفـاسـقـينـ » التوبة ٠

وتـأـكـيدـاـ لـهـذـهـ الـمعـانـىـ ،ـ وـنبـذـاـ لـلـصـلـاتـ الـدـيـنـىـ اـذـ تـضـارـبـ مـعـ وـشـائـجـ الـقـيـمـ نـقـرـأـ فـيـ الـقـرـآنـ مـاـ يـوـحـىـ فـيـ ظـنـىـ بـأـنـهـ لـاـ قـدـاسـةـ لـتـرـابـ تـقـتـالـ فـوـقـهـ الـقـيـمـ ،ـ وـتـوـعـدـ الـحـرـيـاتـ ،ـ وـلـاـ قـدـاسـةـ لـأـبـوـةـ ،ـ أـوـ بـنـوـةـ ،ـ أـوـ أـخـوـةـ ،ـ تـقـفـ مـوـقـعـ الـحـرـبـ أـوـ مـؤـثـرـ جـانـبـ السـلـبـ وـهـيـ تـرـىـ دـعـاءـ الـقـيـمـ وـحـمـلـةـ مـشـاعـلـ الـأـنـبـيـاءـ يـقـصـونـ ،ـ وـيـؤـذـونـ ،ـ وـيـرـدـونـ ٠ـ ذـلـكـ مـاـ أـسـتـوـحـيـهـ مـنـ رـفـضـ الـمـوـلـىـ سـبـحـانـهـ أـنـ يـقـدـمـ بـالـبـلـدـ يـضـارـ فـيـهـ الرـسـوـلـ ،ـ وـتـسـتـحلـ حـرـمـتـهـ ،ـ وـلـاـ بـوـالـدـ وـوـلـدـانـ تـسـتـقـطـبـهـمـ الـأـنـوـيـةـ ،ـ أـوـ تـسـتـهـوـيـهـمـ الـفـرـديـةـ ،ـ أـوـ تـسـتـعـبـهـمـ النـفـعـيـةـ الـعـمـيـاءـ ،ـ أـوـ تـحـرـكـهـمـ الـأـمـعـيـةـ الـبـلـهـاءـ ،ـ أـوـ تـشـلـهـمـ السـلـبـيـةـ الصـفـرـاءـ فـلـاـ يـذـيـعـونـ مـعـرـوفـاـ وـلـاـ

ينكرون منكراً . ذلك قول الله : « لا أقسم (١) بهذا البلد . وأنت حل (٢)  
بها البلد . ووالد وما ولد » البلد .

وانحطاط أولى القربي الأدرين إلى هذا الدرك شيء ينكره العرف  
العربي . ولقد قال قائل العرب قدديماً :  
وظلم ذوى القربي أشد مضاضة على المرأة من وقع السهام المهد  
وقال قائلهم حديثاً :

ويح جنبي . أخي وينكاً جرحي ! بيديه . فمن يشد الضماداً  
فلا عجب — اذن — اذا رأينا الدين يحتم مفاصلة هؤلاء ولكن  
مع مواليتهم بالوعظ ، وملحقتهم بالقول المؤثر البليغ مصدق قول الله:  
« أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم ، فأعرض عنهم ، وعظهم وقل لهم  
في أنفسهم قولًا بليغاً » النساء .

### عود الى أبي لهب

والحق أنه لم يعرف في العشيرة الأقربين عتل كأبي لهب ، في أذيته  
لابن أخيه ، وتنقصه له ولدينه فلكم بالغ في العداوة ، ونبأ نبوا بعيداً  
ومن شواهد هذا :

(١) موقفه من الدعوة منذ اللحظة الأولى . فلقد أخرج البخاري  
عن ابن عباس رضى الله عنهمَا أن النبي خرج إلى البطحاء فصعد الجبل  
فنادى : يا صباحاه ، فاجتمعت إليه قريش فقال : أرأيتم ان حدثكم  
أن العدو مصبهكم ، أو مسيبكم أكتنم مصدقى ؟ قالوا نعم ، قال فانى  
نذير لكم بين يدي عذاب شديد . فقام أبو لهب ينفض يديه وهو يقول:  
تبالك سائر اليوم . ألهذا جمعتنا ؟ هكذا في غير اتزان ، ولا ترو ، ولا  
أناة ، ولا عفة لسان .

(١) ظنى أن « لا » على بابها نافية وليس ملفاً أو زائدة .

(٢) حل اى مستباح .

وروى أحمد والطبراني عن ابن عباس أنه قال : سمعت ربيعة  
بن عباد الديلي يقول : أني لمع أبي - رجل شاب - أنظر إلى رسول  
الله يتبع القبائل ، ووراءه رجل أحوله وضيَّ الوجه ، ذو جمة <sup>(١)</sup> ،  
يقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على القبيلة فيقول : يا بني فلان  
أني رسول الله آمركم أن تبعدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وأن  
تصدقونني ، وتمنعني حتى أنفذ عن الله ما بعثتني به . فإذا فرغ قال  
الآخر : يابني فلان هذا يريد منكم أن تسلخوا الملائكة والعزى وخلفاءكم  
من الجن إلى ما جاء به من البدعة ، والضلالة فلا تسمعوا له ولا تتبعوه .  
فقلت لأبي : من هذا ؟ قال عمه أبو لهب .

وهذا دأب الطغاة ينصتون لخصومهم ، ويرصدون حركاتهم ،  
ويخلعون عليهم أئمَّةَ النعوت ، وينحلونهم شتى الجرائم بعياً .  
يمهدون بذلك إلى ما يبيتون من ايذاء وقهر وتصفية . ألم يقل فرعون:  
« ذروني أقتل موسى وليدع ربه أني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر  
في الأرض الفساد » غافر . ألم يقل الملا من قومه : « أتذر موسى  
وقومه ليفسدوا في الأرض » الأعراف .

(٢) ولقد شذ وحده عن بنى هاشم يوم أجمعت الخصوم على  
مقاطعتهم ان هم آذروا النبي صلى الله عليه وسلم . وحالف عليهم  
الخصوم وقع معهم على صحيفة المقاطعة والتوجيع والضغط . وطاب  
له أن يردد وينعم ويتحمّل بنو أبيه يبيتون على الطوى ، ويتقوتون  
بجذور الشجر .

(٣) ومن كيده أنه فسخ خطبة ولديه لبنيتى رسول الله كراهية ،  
واضرارا ، واثقاً على رسول الله - إلى غير ذلك من المضايقات وسوء  
الجوار وكلها تتبَّعُ عن الشذوذ والنفسيَّة المتّيقحة التي لا تعرف  
البر ، ولا تتم عن رجولة ، أو نخوة ، أو عزة .

بخارى أحمد عبده

---

(١) الجمة مجتمع شعر الرأس .

# نفحات القرآن

## بِقَلْمِ بَخْرَىٰ اَحْمَدْ عَبْدِهِ

اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهם ، واخشون ،  
اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الاسلام  
ديننا (١) المائدة - ٣ -

مع أرواح يوم عرفة تنفتح السماء على الأرض فتقدم في صاف  
من نور هدى الله ، وتحتف بمعنى العزة وخير الدارين . وتشحن بقوى  
راشدة سلمت من الانفعالات الدنيا المثقلة بالحقد ، والبغى ، والشنان .  
وتتجدد السماء بسورة المائدة التي تحفل بتلك الصاف ، والتي  
تنتصافر آياتها كى تصنع المسلم القوى السوى وتسحج قواه ، وتقيمه  
على الموضوعية ، وتحققه بتربياق البصيرة ، والأناة ، والرفق كى تتفاعل  
هذه مع ما أتيح للمسلم – يومئذ – من قوة فتفتح العزة السمحنة ،  
والشدة الحانية والمسلطان الحكيم .

بلا ضرر ولا ضرار ، ولا غدر ، ولا خيانة ، ولا تجن ولا شنآن .  
بل تعاون بار ، وتوافق بالخير وبسط لأجنحة المودة ، ودفع بالتي هي  
أحسن .

---

(١) حفاوة بأشهر الحج ، واستجابة للرغبة في اصدار عدد خاص  
بالحج أحللت هذا الموضوع محل سابقة ، ولنا ان شاء الله عودة الى  
تبت يدا ابى لهب .

والمائدة بما حوت من دسم ، استحقت أن تكون المذنة التي ارتفع منها أذان الكمال ، وابعث ألق الوسام الرباني الذي قلدته هذه الأمة فغمر وجهه الآفاق ، وأثار حفائظ أوكتت على الحقد ، والحسد ، والبغض .

نعم مع أرواح يوم عرفة يطالعنا موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقته العضباء بعد العصر من يوم الجمعة يسبق مدد السماء ، ويتلقى عن الله قوله ثقلياً كاد عضد الناقة ينقد من شدته (١) حتى بركت . والصحابة من حوله يتلقفون — واعين — مدد الوحي ، وييتلون — فيما يتلون — قول الله : (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم ، فلا تخشوه ، واخشون ، اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الاسلام دينا ) وترسخ الآية بكل أبعادها ، ويحسن المسلمون — خلال البشري — رهبة الموقف ، وجسامه المسؤولية وثقل الأمانة التي ألقيت على كواهلهم بهذا الاعلان العظيم . مسؤولية الحركة ، واليقظة ، والدأب . صيانة للوديعة ، وحفظاً على الكمال ، وبثاً للأرجح ، ونشرًا للسنن ، وكسرًا للحواجز . الخ .

والمولى اذ يبلو المسلمين بهذه المسؤولية يعينهم عليها فيذكر في السورة حقائق تذود ، وتصون ، وتمتنع عوامل التاكل من أن تدب إلى الكيان وتتخر في البنيان .

وحقائق تبعد مسالك العزة ، وتذكى أوار الحيوية ، وتوضح المزالق ، وقصور المزالق . حتى يأمن الحماة ويخلد الكمال ، وتذدام هيمنة الاسلام .

---

(١) روى الامام أحمد في مسنده عن اسماء بنت يزيد قالت : انى لاخذة بزم العضباء — ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم — اذ نزلت عليه المائدة كلها فكادت من ثقلها تدق عضد الناقة .

وسام الكمال منحة السماء لهذه الأمة في مناسبة رخية الأكتاف،  
حليمة الأكل ، فياضة بالرحمات في مناسبة يوم الحج الأكبر .

والمنحة وهي تتوجه بين حاشية من الآيات مقررة الكمال ، ممتنة  
بالتمام ، مبشرة بالرضاوان ، متضمنة هيمنة الاسلام على الأديان ،  
عسلمك الى :

١ - آيات تبسط عواقب السابقين ، وتحدث عن آفات طمست  
على أعينهم حتى استشرى الضلال ، وغابت الشفوة ، وعربدت جبلة  
الظين فحرقوا ، وبدلوا ، وابتدعوا ، وخاضوا بعلاتهم عمار الغفلات  
واستطابوا الخبائث ، ومارسوا الخيانة ، والعداوة ، والإجر ، والغدر  
( ۰۰۰ ) فيما نقضهم ميثاقهم لعنهم ، وجعلنا قلوبهم قاسية ، يحرفون  
الكلم عن مواضعه ، ونسوا حظا مما ذكروا به ، ولا تزال تطلع على  
خائنة منهم ، الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح ، ان الله يحب المحسنين .  
ومن الذين قالوا انا نصارىأخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به  
فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة ، وسوف ينبعهم الله  
بما كانوا يصنعون ) المائدة ١٣ ، ١٤ .

٢ - وآيات تندد بأذل وهنوا ، وهانوا ، وجبنوا يوم الزحف،  
وأثروا السلامة ، وأسلموا المقدسات وأعطوا بأيديهم ، ونبيهم من  
خلفهم يحثهم ، ويغريهم ، ويعدهم ، ويمنيهم ، وبينادي : ( يا قوم  
ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ، ولا ترتدوا على أدباركم  
فتقليدوا خاسرين . قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين . وانا لن  
ندخلها حتى يخرجوا منها ، فلن يخرجوا منها فانا داخلون . قال رجال  
من الذين يخافون أنعم الله عليهم ادخلوا عليهم الباب ، فإذا دخلتموه  
عانيكم غالبون . وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين . قالوا يا موسى  
لنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها ، فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ها هنا  
قاعدون . قال رب انى لا أملك الا نفسي وأخى ، فافرق بيننا وبين

القوم الفاسقين ٠ قال فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيمون في الأرض ، فلا تأس على القوم الفاسقين ) المائدة ٢١ - ٢٦ ٠

٣ - وآيات تطرح من الحساب أدعياء يلبسون جلود الضأن من الذين وقلوبهم قلوب الذئاب ، وأشقياء يدعون أنهم على دين وهم أبعد الناس عن معاييره ، وقيمه ( يأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواهم ولم تؤمن قلوبهم ، ومن الذين هادوا سمعاون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه ، يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتواه فاحذروا ، ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً ، أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم ، لهم في الدنيا خزي ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم ٠ سماعون للكذب أكاللون لاسحت ) ٠٠٠

المائدة ٤١ - ٤٢ ٠

٤ - وآيات ترتد بك آفاق الأديان وتعرض من حقائق التوراة ومواضع الانجيل ما تعرض ، ثم تؤويك إلى سيد الكتب مهمينا على الشرائع ، محيطا بكل الآفاق مهيأ للقيادة والعبادة والحكم ( وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهمينا عليه ، فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم مما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبعكم بما كنتم فيه تختلفون ٠ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم ، واحذرهم أن يفتلوك عن بعض ما أنزل الله إليك ، فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيّبهم ببعض ذنوبهم ، وإن كثيراً من الناس لفاسقون ٠ فأحكم الجاهلية يبغون ، ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ) المائدة ٤٨ - ٥٠

## ٥ — وآيات تحذر من العمایة في تحديد جهة الولاية ٠٠٠ وآيات عزم آيات ٠

والقرآن بهذه الإشارات التي صدرت بعد أن بوئّت مكانة الكمال،  
يحيطك علما بالأدواء التي تفتّك بالأمم وتنسف الواقع ، وتزلزل الأركان  
حتى تتبيّن وتحذر ، ويزيدك علما بأعدائك الذين يتحينون حينك  
ويستعجلون ساعة سقوطك حتى تتيقظ وتبصر ٠

ذلك احياء النسق ، ودلالة الآيات اللاحقة لأذان العزة والنعمة  
والكمال ( اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخسون ،  
اليوم أكملت لكم دينكم ) ٠

### ايحاء الآيات السابقة

والآيات التي مهدت ل يوم الكمال تخرّط الكيان المسلم ، وتسحج  
الشوائب ، وتضيّع اللمسات الأخيرة على صرح سبق وارتّفع ، وأمة  
استكملت — في هدى القرآن — مناهج التربية التي تعد للدارين  
وتحتهدّف الحياة الموصولة المتقدّة حتى الفردوس الأعلى ٠

أمة أصبحت بفضل الاعداد السماوي والتربية القرآنية حرة تملك  
في حمى الله زمام نفسها ، وتدبر في هدى الشرع شئون ملكها ، مكتملة  
عزيزـة في مقدورها أن تلاين وتعنـف ، وأن تعدل وتطـلـم ، وأن تـفـى  
وتـغـدر ٠

فلا عجب اذا استفتحت السورة بنداء الايمان الموحى بالعزـة  
والرشـد والرـزانـة ( يـأـيـهـاـ الـذـيـنـ آـمـنـواـ ) ثم ذهبت تدعـوـ الىـ الـوـفـاءـ ،  
وتحـذرـ منـ طـبـيـانـ الـهـوىـ ، وـتـغلـبـ الـاتـجـاهـ الـمـادـيـ ( أـوـفـواـ بـالـعـقـودـ  
أـحلـتـ لـكـمـ بـهـمـةـ الـأـنـعـامـ إـلـاـ مـاـ يـتـلـىـ عـلـيـكـمـ غـيرـ مـحـلـيـ الصـيـدـ وـأـنـتـمـ حـرـمـ ) ٠

ولـاـ عـجـبـ اذاـ نـهـاـكـ بـحـقـ الـأـيـمـانـ عنـ أـنـ تـطـمـسـ حدـودـ ، أوـ تـتـعـدـىـ  
ـعـالـمـ ، أوـ تـتـنـهـكـ حـرـمـةـ أوـ تـخلـ بـشـعـائـرـ اللهـ وـشـرـائـعـ دـيـنـهـ التـيـ أـمـرـناـ  
ـيـقـعـظـيمـهاـ ( ذـلـكـ وـمـنـ يـعـظـمـ شـعـائـرـ اللهـ فـانـهـ مـنـ تـقـوـيـ القـلـوبـ ) الحـجـ ٣٢

وإذا كان هذا هو حكم الایمان فيسائر الأحوال ومع عامة الناس  
 فان لوفود الرحمن وهدايا الرحمن مزيد حرمة تستوجب مزيد توصية  
 (يأيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله <sup>(١)</sup> ، ولا الشهر الحرام ، ولا  
 الهدى <sup>(٢)</sup> ، ولا القلائد <sup>(٣)</sup> ، ولا آمين البيت الحرام <sup>(٤)</sup> يتبعون فضلا  
 من ربهم ورضوانا ) ٠

وحذر أن يفضي بك العدو — بفتح العين وسكن الدال — إلى  
 عدوان ، وخشية أن تطوح بك شهوة الطراد والقتص إلى خارج المجال  
 الروحاني الوقور ، وحتى لا تنال شوائب المتع من جلال الزمان  
 والمكان ٠ ٠ ٠ يأمر الله المحرم أن يوسع دائرة الأمان حتى يشمل وحوش  
 البرية « و اذا حللت فاصطادوا » ٠

وتمضي السورة في طريق الاعداد ليوم الكمال فتقسمو بالمؤمن أن  
 تدعوه قدرته على الظلم ، وأن تغره قوته فيجمع مع دواعي الغضبة  
 ودوابع الثأر والانتقام « ولا يجرمنكم <sup>(٥)</sup> شنان قوم أن صدوكم  
 عن المسجد الحرام أن تعتدوا » ٠

هكذا يؤمن الله مسيرة الحجيج وفجاج القوافل ، وكذلك يشذبه  
 قوى المؤمنين حتى تكون بناءة عاقلة فلا صد ولا عدوان ، ولا انتهاب ،  
 ولا غبن ، ولا استغلال لأحد من يؤمن البيت بل استئلاف ولطف تتبسط  
 به النفوس ، وتشيد بذكره الآلسنة فتعظم الدعاية ٠

ان القرآن وهو يدرج بالمؤمن نحو الذروة يرفع في سمواته  
 شعار : لا عدوانية « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم

(١) لا تنتهكوا حرمة الناسك ، ولا تصدوا المتتسكين ٠

(٢) الهدى ما اهدى الى الكعبة من بهيمة الانعام ٠

(٣) الهدايا المميزة بعلامات معينة ٠

(٤) من حجاج ومعتمرين . فلا يؤذون ولا يصدون ولا يروعون ٠

(٥) لا يحملنكم على الجريمة شدة بغض قوم ٠

والعدوان .. » ولما كان العدوان غالباً ما يتم بطريق التظاهر ألمروا أثر ما نهوا عنه في « ولا يجرمنكم شنآن قوم .. » بالتعاون على كل ما هو من باب البر والتقوى ، ومتابعة الأمر ، ومجانبة <sup>الجهوى</sup> .. الخ ..

ودخل في ذلك ما نحن بصدده من التعاون على العفو ، والاغصاء عما وقع منهم دخولاً أولياً ثم نهوا عن التعاون في كل ما هو من مقوله الظلم والمعاصي ، فاندرج فيه النهى عن التعاون على الاعتداء والانتقام <sup>بالمطريق البرهانى (١)</sup> ..

ودخل في ذلك ما نحن بصدده من التعاون على العفو ، والاغصاء والمحارم ، وتحرم اعنة المعتدى وال العاصي وتكثير سوادهم ، وترويج ياطلهم ، والتستر على ضلالاتهم وغيتهم بوجه من قول أو فعل أو موالة أو مؤازرة من منطلق النفعية ، أو العصبية ، أو الحزبية .. الخ ..

ولأهمية قضية التعاون يقف رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>حيالها وقفات متأنية محيطة تتبع المؤمنين ، من ذلك :</sup>

١ - ما أخرجه مسلم في صحيحه عن النواس بن سمعان قال : عسالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال : «.. البر حسن الخلق ، والاثم ما حاك في صدرك وكرحت أن يطلع عليه الناس » ..

٢ - وما رواه مسلم عن أبي مسعود البدرى قال : قال صلى الله عليه وسلم « من دل على خير فله مثل أجر فاعله » ..

٣ - وما رواه مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً .. ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً » ..

---

(١) من محاسن التأويل نقلًا عن أبي السعood ..

٤ — وما رواه أحمد والشیخان عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » قيل يا رسول الله هذا نصرته مظلوماً ، فكيف أنصره اذا كان ظالماً ؟ قال : « تحجزه وتنمنعه من الظلم فذاك نصرك اية » ٠

٥ — وما رواه الطبراني عن أوس بن شرحبيل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من مثى مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم فقد خرج من الاسلام » رواه الضياء المقدسي أيضاً ٠

ثم تعلو الآيات بهمة المسلم أن يستهويها سقط المتابع أو يحط من رفعتها الفرث والدم والمينة والخنزير وسائر السواقط التي لا تتفق مع شمخة المؤمن العزيز « حرمت عليكم المينة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به (١) ، والمنخنقة (٢) ، والموقوذة (٣) ، والمردبة (٤) ، والنطحية (٥) ، وما أكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب (٦) وأن تستنقسموا بالأذلام (٧) ذلكم فسق ٠٠ ٠

لمسات الهيئة ، وابراز مستائف لبعض المحارم على سبيل التذكير والتأكيد . حتى اذا ساحت القلوب ، وتهذبت الطباع وتهيات لمقاماته الكمال منها الله وسام الكمال ، واستودعها دينا حصينا منيع الجواب . فياضا بالهدى والعزوة ٠

### بخارى أحمد عبده

البقية في العدد القادم أن شاء الله ٠٠

(١) ما ذكر عليه اسم غير الله من صنم أو طاغوت .. الخ .

(٢) هي التي تموت بالخلق قصداً أو اتفاقاً .

(٣) الموقوذة هي التي قتلت صدماً بالخشب ونحوه .

(٤) هي التي تردد وسقطت من حلق .

(٥) هي التي نطحتها أخرى فماتت .

(٦) ومثل هذا ما ذبح حول الأضحة وعلى الاعتراض .

(٧) نهى عن التجيم ونحوه ، وعن ضروب الميسر .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# نفحات لآل

## بِقُلُوبِ بُنَارَىٰ اَحْمَدِ عَبْدِهِ

« .. اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوه ..  
واخشون ، اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيتي  
لهم الاسلام دينا ۰۰ المائدة ۳



بحض مكلوم أعيته الانتقال ، وأثخته جراحات العقال تصورت  
النفس الجدران ، وعبرت حواجز الزمان ، وخفت لأرجاء عرفة تراح  
روحها (۱) ، وتستقبل نسماتها تسري سخاء رخاء ، وتعكس من زهو  
البقاء ، وببلجة (۲) حجة الوداع ما تعكس . تعكس السماء وقد انفتحت  
على الأرض - عشية الأضحى - بالخير الغدق فنفتحت نفحة العيد ،  
وقلدت (۳) وسام الكمال للألاء ، مهيب الطلعة ، ثقيل التكاليف « ..  
اليوم يئس الذين كفروا من دينكم ، فلا تخشوه .. واخشون ، اليوم  
أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيتي لكم الاسلام  
ديننا ۰۰۰ »

وساماً يتوجه في بيضة قرآنية تدرج بالسلم فتسمو بخلقه ،  
وتتحجج قواه ، وتتزه همته أن يستهويها سقط المتابع . كيف وقد اعتلى  
وعز وتبأ قمة لا ينبغي لها فيها أن ينتبه كما تنتبه السباع بالظفر  
والملخب والناب . ولا يليق به أن يرتفق كما ترتفق الاماء باللغو أو  
باللهو أو بالثديين .

(۱) تحد ريحها

(۲) البلجة = الاشراق

(۳) قلدت = منحت والبست

في بيئه تكفل بجانبها الآخر توعية ، وتبصيرا ، وشحذا ، وارسأء للدعائم ، وتمكينا في بروج المفحة ، والعزة ، والنمو المطرد ، والكمال . هكذا تنبع آية الكمال بين حاشيتها وتعكس للمثخن معانى أخرى . معانى تقىض بالأسى ، والشجى ، وتدين أمة فرطت فانفرطت ، وضيغعت فضاعت ، وبدت التراث فجاعت وتسولت ، وضمرت فيها معانى الایمان فلم تعزى نداءات الایمان الجمة التي تصلحل في السورة هاتقة ، محتقية ، موجهة الى دعائم الكمال ، كاشفة مزالق الشسط والتى احتشدت فاحتلت نحو ستة عشر موقعا حيويا تحيط بالسورة ومطالبها:

( يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ) ( يأيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ) ( يأيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة ) ( لـ يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ) ( يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ) ( يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة ) ( يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ) ( يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم ) ( يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أتوا الكتاب من قبلكم والكافر أولياء ) ( يأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ) الخ .

وكلها كما ترى مطالب توثيق العرا ، وتركى المجتمع ، وتبصر بالاعداء ، وتحذر من أن نرجع القهري ، مشرعة المسلمين في خاصة أنفسهم ، وفي معاملة من يخالفون ، مرشدة لطرق المحاجة والمناقشة والتلطف في رد أباطيل الخصوم ، ودحض مزاعهم ، مبوئة المسلمين مقاعد رشد ، ومراكثر قوة . ويبلغ التلطف مداه حين ينادى خصوم الدعوة بصفات مثلى تعتبر ذواتهم ، وتشبع غرورهم ، وتهدهد من جبلة الطين الثائرة في أعمالهم : يا أهل الكتاب . يا أهل الكتاب . يا أهل الكتاب . نداءات تتم عن احترام الخصوم ، والتلطف البالغ . معهم .



## عود الى الأزلام

والسورة قبل أن ترفع أذان الكمال تعرضت لجملة من المحرمات  
ثم عطفت عليها الاستقسام بالأزلام بجامع الوهم الفاسد الذي ينتظم  
كل هذه الانتهاكات .

والاستقسام لا شك يعني الصورة التي كانت تمارس في الجاهلية  
ابتعاء معرفة ما يخبيء المستقبل ، بواسطة سهام كانوا يجillonها في  
الأقداح كلما انبعهم موقف أو استغل أمر . فإذا خرج نذير  
الشئوم أمسوا ، وإن خرج الآخر مضوا مستبشرين .

والاسلام اذ يحرم هذا يربى المسلم على أن يبني أمره على  
تخطيط بصير يعتمد على حقائق لا على وهم باطل ، ورجم بالغيب ،  
أو طرق بالحصى أو ضرب للرملي أو استخاراة بآيات القرآن ، أو مناجاة  
للنجوم واستئحاء للأبراج .

ومن الاستقسام طلب ما قسم من رزق بواسطة الأزلام كما يفعل  
فقاء الهياكل وسدنة الأقداح الذين يتذمرون اجلة الأقداح ، واسعنة  
الأوهام حرفة ومصدر رزق .

ومن هذا ما يفعل سدنة الأرضحة وبعدة صناديق النذور فانهم  
يروجون الخرافات ويبينون البركات ويستقسمون للبله بما لأهله  
القبور من كرامات ، ومنه الارتقاق بالميسر .

ومثل هذا أن يتلاعب العلماء بما أخذ عليهم من مواقيف فينقضوا ،  
أو يعرضوا ، أو يكتموا ، أو يطوعوا النصوص ، ويلووا عنق الآيات  
ارضاء للسادة ، أو تزلفا للقادة ، أو طلبا لدنيا ٠٠٠ إلى آخر أساليب  
هؤلاء الذين يلبسون الحق بالباطل ويكتمون الحق وهم يعلمون أن  
الله سبحانه أخذ ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيينه للناس ولا تكتمونه —  
 وأنه تهدد وتوعد كل من يؤثر العرض الحاضر على الأجل الصادق :  
« إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلاً  
أولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار ، ولا يكلمهم الله يوم القيمة ولا

يزكيهم ، ولهم عذاب أليم ، أولئك الذين اشتروا الضلال بالهدى  
والعذاب بالغفرة فما أصبرهم على النار »

ان كل هذا استقسام ، ولعب بالأذلام ، واهدار للعفة وأكل  
بالثدى . والاسلام يربأ بأهله أن تقددهم شهوة البطن الى التسقط  
والرممة ، أو أن تقددهم شهوة الكسب الى الاسفاف والاجحاف  
والمائمة ، أو أن تغلهم كبوة الفكر فيسقطوا أسري الدجل ، والشعارات ،  
ويتداولوا في أسواق النخاسة ، ويعلوا بما تعلل به الأطفال ، ويشغلوا  
بما تشغله به الدواجن والأنعام .

وضحايا الأذلام والأوهام كانوا يرون ذلك السفسه معرفة ويتخذونه  
ديينا . والمتقنعون من ورائهم يزيفون لهم هذا الرأى المساقط ليدينوا  
إلى الأبد دين الزيف وليظلوا ما عاشوا نهب الأنبياء والمخالب والأضراس .  
فالصلة – كما نرى – وثيقة بين هؤلاء وبين أخبارسوء المرابطين في  
ساحات الاستبداد ، يشترون بآيات الله ثمنا قليلا ، ويكتمون الحق  
أو يلبسوه بالباطل ، ويضفون الشرعية على أباطيل المستبددين .  
وينقضون بذلك غزل الاسلام من بعد قوة أنكاثا ، ويحلون عرا الاسلام  
عروة عروة .

وهل ضيع الدين الا الملوك وأخبار سوء ورهانها .

### لبنة الكمال وكمال اللبنة

بمثل هذه اللمسات الرفيعة يحصل القرآن كيان المسلمين حتى يظل  
مجلوا مرها يعكس من أضوائه على الناس ، وتنعكس على صفحته ما  
يرسله العالم من سنى الحضارة ، وآشارات العلم وما يbeth من عبر ،  
وحكم ، ونذر ، وبشريات .

وبين هدایات السماء ، وآيات الله التي تمض (١) خلال الكون  
متکاملة متقاعلة ، بينها يتربع المسلم ، وتتمو الأمة ، وتقوم الدولة ،  
وتحيا الضمائر ، وتنمو العائق ، وتعظم الروابط التي تصل الفرد  
بربه ، وبالناس على هدى وبصيرة .

(١) تلمع

وتحقق هذا المستوى الرفيع في ظل التفاعل بين الدين والدنيا  
هو الكمال الذي ينبغي أن يدفع إلى مزيد من كمال . إلى مزيد من  
التمسك بقيم الدين . إلى مزيد من التعامل مع سنن الله في الكون .  
إلى مزيد من صلابة العود ، ورحابة الأفق ، وسماحة الخلق ، وجميل  
المعرفة ، وعظمة الاعداد . وكلها معان تغذى الكيان ، وتوطئه للكمال .  
والاسلام بما استودع من قوى وكمالات لبنة الكمال في صرح  
الأديان . وهو الحلقة الخاتمة في سلسلة الدعوات الطويلة التي  
استهدفت تعبيد العباد لرب العباد وحده لا شريك له . ولعل ذلك  
مفad حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( ان مثلى ومثل الأنبياء  
من قبلى كمثل رجل بنى بيتنا فأحسنه ، وأجمله الا موضع لبنة من  
زاوية يجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت  
هذه اللبنة ؟ قال فأننا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين ) وإذا كان رسول الله  
صلى الله عليه وسلم يمثل - بدينه القويم الجامع - لبنة الكمال في  
صرح الأديان فإن فريضة الحج تمثل كمال تلك اللبنة . وذلك  
١ - باعتبارها خامس الأركان ، وغلق الدائرة . والدائرة اذا  
استحكمت حلقاتها ولدت النور ، وأورثت الحركة وبشرت بالخير ،  
والكمال

٢ - وباعتبارها في قمة الأعمال التي ترتكى النفس ، وتظهر اليد  
والأردان . وذلك مصداق لما روى في الصحاح عن أبي هريرة قال  
سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى العمل أفضل ؟ قال : الإيمان  
بالله ورسوله ، قيل ثم ماذا ؟ قال الجهاد في سبيل الله ، قيل ثم ماذا ؟  
قال حج مبرور . متفق عليه .

١ . ولما رواه مسلم في صحيحه عن عمرو بن العاص قال : ( لما جعل  
الله الاسلام في قلبي أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : ابسط  
يمينك لأبايتك ، فبسط يمينه فقبضت يدي ، فقال : مالك يا عمرو ؟  
قلت : أردت أن أشترط ، فقال تشرط ماذا ؟ قلت : أن يغفر لي . قال  
أما علمت يا عمرو أن الاسلام يهدم ما كان قبله ، وأن الهجرة تهدم ما  
كان قبلها ، وأن الحج يهدم ما كان قبله ؟ )

والحج بحكم هذا المقام ، وبمقتضى ما يلزمه من كبد فريضة الأقواء الكامل ، الذين تفيض أكتافهم حركة ، وقدرة ، واقتحاما للعقبة ، وانضباطا ، وصبرا ، وحسن سياسة في معاملة الناس . ولا شك أن المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالطهم . ولا يصبر على أذاهم ، وفق ما رواه الترمذى ، وأحمد رضى الله عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

### أيادٍ كلمة «الناس»

ولعل القرآن الكريم في استعماله كلمة المؤمنين أو صفة اليمان حين فرض الصلاة <sup>(١)</sup> ، والزكاة <sup>(٢)</sup> ، والصوم <sup>(٣)</sup> ، وكلمة «الناس» حين أوجب فريضة الحج «ولله على الناس حج البيت ٠٠٠» أراد أن يوحى بتميز الحج . ذلك لأن كلمة «ناس» من مادة «ن و س» التي توحى بالكثرة ، وتتبئ عن الحركة والحيوية . والحج – بما يلابسه من حركة ، وظعن ، واقامة ، وكبد – ولما يستتبع من بيع وشراء ، واجارة واسكان – ولتظاهرة بلاد كثيرة ، وأطراف متعددة على تنظيمية متطلبات الموسم ، وتوفير أماكنات الحج – لكل ذلك ولغير ذلك – كانت كلمة الناس مناسبة للمقام .

### عرض الأقواء ، وعرض الأذلة

والحق أن الإسلام اذ يستنفر للحج إنما ينشر كناته ، ويستعرض جيشه ، ويختبر قوته ، وي IDR جنده على الزحف ، والكبد ، وتحمل التقلبات ، والصبر على الألواء <sup>(٤)</sup> والله سبحانه وتعالى يبارك فيالحج كتائب للإسلام حين يغدون حنفاء ، أتقياء ، ويحتشدون في الساحات أسواء ، أقوياء . ويدينهم ويعرض عليهم حين يغدون أدلة ضعافاً متداهرين ، منتهين ، متورمى الأفقيه «ن طول ما صفعوا ،

(١) ( ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً )

(٢) ( قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفدو ما رزقناهم )

(٣) ( يايهالذين آمنوا كتب عليكم الصيام )

(٤) الشدة .

متقرحى الأدبار من طول ما ركوا ، وديسوا . ان الله لا يرضى لأصفيائه الا أن يكونوا في بروج الرفعة ، والهيمنة والسمو ( ولا تهنووا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين )

ان الحج بمعانيه التي تقipض حركة ، وقدرة ، ورحابة كان متزلا تلك الآيات الكريمة التي تترعرع بالجد ، وتتبض بالحياة في سورة المائدة سامته رابطة (١) عن المزالق ، والمساقط والشهوات .

ولقد روعت معطيات آية الكمال طوائف يهود ( ف جاء رجل منهم — فيما يرويه مسلم وغيره — الى عمر بن الخطاب فقال : يا أمير المؤمنين : آية في كتابكم تقرعونها ، لو علينا أنزلت عشر يهود لاتخذنا ذلك اليوم عيادا . قال : وأى آية ؟ قال : اليوم أكملت ٠٠٠ . فقال عمر : انى لأعلم اليوم الذى أنزلت فيه ، والمكان الذى أنزلت فيه . نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفة ، في يوم الجمعة ٠٠ ) وعرفة عيد ، والجمعة عيد . فالله سبحانه جمع بهذه الآية على المسلمين ثلاثة أعياد : عيد يوم عرفة ، وعيد الجمعة ، وعيد الكمال . ولقد راع عمر رضي الله عنه تفاعل هذه الأعياد ، وتدبر معنى الكمال الذى أعلن فبكى ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك ؟ قال أبكاني أنا كنا في زيادة من أمر ديننا ، فأماماً اذ كمل فانه لم يكمل شيء الا نقص . فقال صدقـت ( رواه ابن حجر ) ومثل عمر رضي الله عنه حين يحلل هذا التحليل الدقيق يفطن الى ما وراء ذلك من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أدى الرسالة ، وبلغ الغاية . وليس بعد ذلك الا الرحيل . فقد انتقل صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى بعد يوم عرفة — ذاك — بأحد وثمانين يوما — رواه ابن حجر — وتدافعت القوى ودالت الأيام واهتزت معايير المسلمين ليبدأ الاسلام رحلة القهرى ، ليعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء .

يتبع ان شاء الله

بخارى أحمد عبد

(١) مرتفعة .

# نفحات قلآن

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« . . . اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوه . . .  
واخشنون ، اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت  
لهم الاسلام دينا . . . » \* المائدة

فـ رـ كـ اـ بـ الـ آـيـةـ الـ كـرـيمـةـ عـلـوـنـاـ مـشـارـفـ ،ـ وـجـسـنـاـ أـوـدـيـةـ ،ـ وـذـهـبـناـ  
مـذـاهـبـ فـيـحـاءـ وـأـكـبـنـاـ فـيـهاـ مـشـهـدـ الـحـجـيجـ فـ عـرـضـةـ الـحـجـ .ـ تـحـفـهـمـ  
كـاتـ السـمـاءـ اـنـ تـدـفـقـواـ أـعـزـةـ طـبـيـنـ ،ـ وـتـحـيطـ بـهـمـ زـوـابـ الـقـتـ  
الـلـعـنـاتـ اـنـ حـشـرـواـ عـجـافـاـ (١)ـ مـرـيـشـيـنـ أـذـلـةـ .ـ

وـ الـعـزـةـ نـفـحـ الطـيـبـ ( بـكـسـرـ الطـاءـ الـشـدـدـةـ )ـ وـ الـمـرـءـ اـذـاـ طـابـ  
وـ جـدـانـهـ ،ـ وـ لـسـانـهـ ،ـ وـ أـرـدـانـهـ هـدـىـ الـىـ مـزـيدـ مـنـ طـيـبـ وـأـثـمـ العـزـةـ  
الـأـبـيـةـ ،ـ وـأـتـىـ — كالـشـجـرـةـ الـطـبـيـةـ — أـكـلـهـ نـمـاءـ وـبـرـكـةـ وـعـلـوـاـ وـازـدـهـارـاـ .ـ

وـ الـذـلـةـ رـجـعـ الـخـبـثـ .ـ وـ الـقـلـبـ اـذـاـ أـشـرـبـ الـهـوـىـ ،ـ وـ اـسـتـعـذـبـ  
الـقـفـلـةـ خـبـثـ ،ـ فـالـلـثـاثـ وـجـيـفـ ( بـتـشـدـيـدـ الـيـاءـ )ـ وـنـفـثـ منـ نـتـنـهـ عـلـىـ  
الـنـفـقـةـ وـالـزـادـ وـالـرـاحـلـةـ ،ـ وـدـخـلـ صـاحـبـهـ عـرـضـةـ الـحـجـ عـلـيـلـ النـفـسـ ،ـ  
وـاهـيـ الـإـيمـانـ مـنـقـادـاـ لـلـشـيـطـانـ مـلـعـونـاـ أـيـنـماـ ثـقـفـ .ـ

---

\* استكمال للموضوع الذي حتمته المناسبة ، ولنا ان شاء الله عودة  
الى : « تبت يدا ابى لهب . »  
( ١ ) نتف ريشهم

ولعل هذا هو ايحاء ما رواه الطبراني عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اذا خرج الرجل حاجا بنفقة طيبة ووضع رجله في الغرز فنادى : لبيك اللهم لبيك ناداه مناد من السماء : لبيك وسعديك . زادك حلال ، وراحتك حلال ، وحجك مبرور غير مأزور . واذا خرج الرجل بالنفقة الخبيثة فوضع رجله في الغرز فنادى : لبيك اللهم لبيك ، ناداه مناد من السماء لا لبيك ، ولا سعديك . زادك حرام ، ونفقتك حرام ، وحجك غير مبرور . وأخبت الخبث أن تفدى على ربك ملطا زائف المقدم نجس الظاهر والباطن أسيير الأهواء ، والأعداء تعانى من (أنيميا ) الفكر ، وانحراف العقيدة ، وعفن اليد <sup>(١)</sup> . أن تفدى على ربك هشيمما تذروك الرياح ، وترعاك الهوام ، وتحطمك الأخفاف والحوافر والأقدام . . . بعد أن بوأك الله القمة ، وأعدق عليك النعمة . المسلمين طى هذه العلل الفادحة لا يمكن أن يحقق أحدهم حجا مبرورا أو مقبولا .

وتحت وطأة هذه العلل وما يتولد عنها من اعياء ، ودوار ، وغيبوبة انتكس المسلمين من بعد عافية ، وهمدوا من بعد حيوية ، وبذعوا رحلة القهرى وأسلموا الاسلام الى غربة أنكى وأعنتى من الغربة الأولى ، لأنها الغربة التي تأتى بعد مرحلة بلوغ الأشد « . . . ثم لتبلغوا أشدكم ، ومنكم من يتوفى ، ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا . . . » الحج <sup>(٢)</sup> . وحتى لا ننمزق تتداركتنا هذه الآية بما يحيى الأمل المعقود بالله فهو وحده يخلق السنن وهو وحده يفرقها . وهو الذى يحيى الموتى . تتداركتنا الآية بقوله سبحانه بعد ذلك مباشرة « وترى الأرض هامدة ، فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت ، وربت ، وأنبتت من كل زوج بهيج . ذلك

---

( ١ ) كنایة عن الكسب الخبيث .

بأن الله هو الحق ، وأنه يحيي الموتى ، وأنه على كل شيء قادر ٠ وأن  
الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور » الحج

٧ ، ٦ ، ٥

## وقفة مباشرة مع آية الكمال

اليوم يئس ٠٠٠٠٠ اليوم أكملت

وقرار الكمال — كما نرى — يستفتح بكلمة « اليوم » التي تفيد  
الظرفية ٠ ولكنها ظرفية غير محدودة بآباء ليل أو أطراف نهار ٠  
ولكنها ظرفية حرة تتکيف بما يملاها من قيم وتصدق على كل زمان  
استوفى المسلمين فيه أسباب الكمال من وفاء بالعهود والتزام  
بالعقود ، واحترام للمواثيق ، وشكر على النعم مع استقلال عزيز  
وهيمنة وسيادة وقيادة ٠

كل زمان أظل وهو يحفل بالمعانى العليا فهو للمسلمين ٠ وهو  
اليوم المنشود ٠

وأى زمان خوى من تلك المعانى فهو على المسلمين ٠ وهو اليوم  
المشؤوم ٠

كلمة « اليوم » ليست ظرفاً يطبق بمعالله وحدوده المخصوصة  
على قضية الكمال ويمنع تحقق أي كمال قبل ، أو بعد حسبما يزعم  
المستشرقون من أن الكمال دام يوماً واحداً ثم غابت شمسه ٠ ولكن  
ظرف أريد به الزمان الحاضر وما يتصل به ، وما يدانيه من الأزمنة  
الماضية والآتية ، ويوم عرفة الذي بث (بالبناء للمجهول) فيه القرار  
كان يوم التصديق والاعلان ٠

أما قبلية هذا الكمال فأمر تحتمه سنن الله في النمو والتدرج  
والارتفاع اذ لا كمال من فراغ ٠ وأما بعدية ذلك الكمال فأمر تحكمه  
السنن ، وتکفله الأسباب ٠ ان روعيت دام الكمال واتصل ، وان  
أهدرت زال وانفصل ٠

وعلى ضوء المقدمة التي سبقت قرار الكمال يمكن أن نقول : -

١ - ان الانحلال والانحدار ، والتآكل ولبيدة الغدر والنفخ  
والعدوان وعدم الالتزام . وانها تورث فيما تورث الغفلة المكثفة ،  
والتخبط المودي . وتنستنزل اللعنات وصدق الله العظيم . « فبما  
نقضهم ميثاقهم لعناهم ، وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن  
مواضعه ، ونسوا حظا مما ذكروا به ، ولا تزال تطلع على خائنة  
منهم ، الا قليلا منهم ، فاعف عنهم واصفح ان الله يحب الحسنين .  
ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم ، فنسوا حظا مما ذكروا  
به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة ، وسوف ينبئهم  
الله بما كانوا يصنعون » المائدة ١٢ ، ١٣ .

٢ - وان سنة الله في الأولين هي سنته في الآخرين . من الترم  
نما واكتمل ، ومن نكث على نفسه واحترق .

وكلمة «اليوم يئس» تذكر بكل المحاولات التي مورست لايقاف  
مد الاسلام ، واطفاء نوره ، واذهب روايه . وتستحضر أمام القاريء  
كل معاناة المسلمين . من كبت ، وصد وفتنه ، وتعجيز ، وتهريج ،  
وحصار ، وتجويع ، ومقاطعات ، والخرج ، وتعذيب ، وقتل وتشريد .  
الخ ثم توحى بآيات آسية تهدىء من حرقة قلب المسلم المحموم من  
جوى الحاضر المر ، وبريح الواقع الداكن الكريه . توحى :

١ - بآية تذكر المؤمن بالركن الشديد الذي ينبغي أن يلوذ به -  
بالله الذي يبطل كل سحر ، ويُسحق كل مكر « واذ يمكر بك الذين  
كفروا ليثبتوك أو يقتلوك ، أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله ، والله  
خير الماكرين » الأنفال ٣٠

٢ - وبآخرى تريك أرض الظالمين مخسوفة ، وقواعدهم منسوبة  
« قد مكر الذين من قبلهم ، فأتأتى الله بنيائهم من القواعد ، وخر عليهم  
السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون » النحل ٢٦

٣ — وبآية تدرع بالصبر والاحسان والتقوى ، وتحذر من الانفعالات المعقّدة (بتشديد الواو) « واصبر وما صبرك الا بالله . ولا تحزن عليهم ، ولا تك في ضيق مما يمكرون ، ان الله مع الذين اتقوا ، والذين هم محسنون » النحل ١٢٧

٤ — وبرابعة تعرض كيد تسعة من مراكز القوى تآمروا على الحق ، وأجمعوا أمرهم ، ودبوا بليل فكانوا وبالا على أنفسهم ، وعلى قومهم « وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون . قالوا تقاسموا بالله لنبيته وأهله ، ثم لنقولن لوليه ما شهدنا له ، واثنا لصادقون . ومدروا مكرا ، ومكرنا مكرا ، وهم لا يشعرون ، فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمناهم ، وقومهم أجمعين . فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ، ان في ذلك لآية لقوم يعلمون . وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون » النمل ٤٨ — ٥٣

وبغير ذلك ، وبغير ذلك من الآيات التي تثبت على الحق ، وتغرس بالدأب ، وتعد بالدعم ، وتتذر الطغاة بالويل والثبور .

فعبارة « اليوم يئس » تقرر أن قوى الشر أعيتها صلاة الدين فاستسلموا لللّيأس ، وهالتهم كثافة المؤمنين فأيقنوا بالدمار الوشيك ، وراغتهم قوى المسلمين المعنوية والمادية فرأوا حتمية المداهنة ، والحركات الدودية . وأحسوا بأهمية المكر والخبط والغدر . ومثلهم مثل الشيطان يئس أن يبعده المصلون في جزيرة العرب ، فلجا إلى التحرير وأنوقيعة مصدق ماروى مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . يئسوا فلا حاجة بالمسلمين إلى مداهنة هؤلاء الكفار . كيف وقد صاروا بحيث لا يطمع فيهم أحد ؟ بل الواجب على المسلمين وقد بدلهم الله بضعفهم قوة ، وبخوفهم أمنا ، وبقلقهم استقرارا أن يبادروا إلى شكر رب هذه النعم بالمحافظة على أسبابها ، وتنميتها ، واحكام حصونها حتى تظل منيعة ، وحتى يزداد الأعداء يائسا على يائس .

أن العبارة «اليوم يئس» تعلن انكسار شوكة المذاوئين . الا أن احتمالات استثناء الحركات الدودية بكل ما آتهاها الشيطان من قدرات . تلك الاحتمالات قائمة قوية . ومن شكر الفعمة أن تفطن وتعمل لتلك الحركات ألف حساب . لأنها تستهدف ارادة القوى ، واستنذاف الطاقات وتدمير قلاع الدين ، واهلاك المسلم بالسلم .

• ويأس الأعداء من اصابة كبد الاسلام مستمر الى يوم القيمة  
وكل آمالهم محصورة في ايهاه المسلم وتغريبه ، وايجاد انفصام بين  
المسلم وعقيدته ، وفي تخيل معان دخيلة وبهرجتها حتى يخالف الغر من  
الدين ، وفي تعبيد سبل شيطانية تتلافى الحائرين فتفرق بهم عن سبيله ،  
أو في تشويه الساحة بالبدع والخرافات ، أو في عقد المقارنات بين واقع  
المسلمين ودينه حتى نشك فنكر ، أو في سد انسبل المضدية الى الدين  
حتى نضل ونخزى ، أو في الاغراء بالتطرف والقططع والغلو حتى نهلك  
أو في التغريب بالماذهب والملاعب ، والمبادئ والمعسکرات حتى نتدابر .  
وكل هذه أساليب انطلت على المسلمين وأدت الى أن يتاكلوا من الداخل  
 تماما . فلا عجب اذا لم ترتفع من خلالهم الا الصيحات الجوفاء ،  
والحركات الرعناء . والالتفقات التي تشرق بالذل والجبن والحرص  
الشديد على نير العبودية لغير الله الذي قال « ٠٠٠٠٠ فلا تخشوهم  
واخشون ٠٠٠٠٠ »

## **افراد المولى بالخشية قمة الايمان وكمال التوحيد**

قد يئس الذين كفروا من هذا الدين بكل ما تعطى كلمة اليأس  
من أبعاد ، وتحمل من معانٍ . ومقتضى هذا تقلص الشر ، وتتوفر  
الأمن ، وتضاؤل الاعداء ، وافتتاح الطريق أمام المسلم كى يوحد الله  
توحيد الرجاء ، والخوف بعد أن حيل بين الكافرين وبين ما يشتهون .  
فلا مطمح لهم في أن ينالوا من الدين ، ولاأمل في أن ينحرفوأ بآجله  
عن الجادة إلى جواد (بتشديد الدال ) (١) أخرى قفرة قاسمية . إلى

حيث ينفردون بهم ، ويقترسون . اللهم الا أن ينحرف أهله ويرضوا بالدنيا ، ويعطوا بأيديهم . الا أن ينفصم أهله عن حقائق الدين ، وينبذوا تكاليفه ، ويضيقوا بمقتضياته ، ويمسوا سقطا غير متكامل للخلق ، أو مسخا من فرط ما مثلوا (بتشديد الناء ) بأنفسهم فمثله (بالبناء للمجهول ) بهم ، زنماء <sup>(٢)</sup> أدعية مستلتحقين بالاسلام والاسلام ينكرهم ويهاقظ سحقا لمن بدل وغيره .

وتوحيد الرجاء والخوف قمة التوحيد . والمؤمن من فوق هذه القمة الشماء ينظر فيرى كل القيم النابية عن شرع الله ، وكل الأسماء التي تکرر من مرابض الشيطان ، وكل الاجساد التي تسمن وتنتشر ولكن كما ينتشر الدخان . يرى كل هذه هباء بلا وزن ، ولا حجم . ويرى الدنيا بكل بهرجها باهتهة خبيقة تذرع في لحظات يراها أهون من أن تستدبرقلب مؤمن . يصخب الباطل من حوله ، ويعوض الماديون في الاولى . وهو من دروته يبصر الأعمق الآسنة الداكنة التي تحضن جذور المادية فتصبغها بنضارة كاذبة تتراءى — للذين يريدون الحياة الدنيا — خضراء . وهي في الحقيقة كفخراء الدمن <sup>(٣)</sup> .

والمؤمن في عليائه ومن واقع امتلائه واعتداده بمنهجه وقيمه يستقبل نفحات القرآن ويرث مثل قول الله على لسان سحرة فرعون وقد علوا فوق التهديد واستهانوا بكل وعيد وحققوا — ضمن ما حفظوا — توحيد الخوف والرجاء « قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البيانات والذى فطرنا ، فاقض ما أنت قاض ، إنما تقضى هذه الحياة الدنيا . أنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا ، وما أكرهتنا عليه من السحر ، والله خير وأبقى . انه من يأْت ربِّه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن يأْتَه مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلا ) طه ٧٢

— ٧٥ —

(١) الجواب الطرق

(٢) الزنماء جمع زنيم والزنيم المستلتحق في قوم وليس منهم .

(٣) النسبة الخضراء تثبت في مزيلة .

وأوشك من مهاويهم المتوجلة يحملقون ، يرونـه قميـاً ويـسخـرون .  
والمؤمنـ في مواجهـتهم يـردد قولـ الله : « ان تـسخـروا مـنـا فـانـا نـسخـرـ  
مـنـكمـ كـما تـسخـرون . فـسـوفـ تـعلـمـونـ مـنـ يـأـتـيهـ عـذـابـ يـخـزـيهـ ، وـيـحلـ  
عـلـيـهـ عـذـابـ مـقـيمـ » هـودـ ٣٨ـ - ٣٩ـ . وـيـسـتـهـدـى بـمـثـلـ قولـ الله : -  
« انـ الـذـينـ أـجـرـمـواـ كـانـوـاـ مـنـ الـذـينـ آـمـنـواـ يـضـحـكـونـ . وـاـذاـ مـرـواـ بـهـمـ  
يـتـغـامـزـونـ . وـاـذاـ اـنـقلـبـوـاـ إـلـىـ اـهـلـهـمـ اـنـقلـبـوـاـ فـكـهـيـنـ . وـاـذاـ  
رـأـوـهـمـ قـالـوـاـ انـ هـؤـلـاءـ لـضـالـلـوـنـ . وـماـ أـرـسـلـوـاـ عـلـيـهـمـ حـافـظـيـنـ .  
فـالـلـيـوـمـ الـذـينـ آـمـنـواـ مـنـ الـكـفـارـ يـضـحـكـونـ . » المـطـفـيـنـ ٢٩ـ - ٣٤ـ .  
وـيـحـلـقـ فـيـ آـفـاقـ قولـ الله : « وـاـذاـ قـتـلـىـ عـلـيـهـمـ آـيـاتـناـ بـيـنـاتـ قالـ الـذـينـ  
كـفـرـوـاـ لـلـذـينـ آـمـنـواـ أـىـ الـفـرـيقـيـنـ خـيـرـ مـقـاماـ وـأـحـسـنـ نـديـاـ . وـكـمـ أـهـلـكـاـ  
قـبـلـهـمـ مـنـ قـرـنـ هـمـ أـحـسـنـ أـثـاثـاـ وـرـئـيـاـ . قـلـ مـنـ كـانـ فـيـ الضـلـالـةـ فـلـيـمـدـدـ  
لـهـ الرـحـمـنـ مـدـاـ ، حـتـىـ اـذـاـ رـأـوـاـ مـاـ يـوـعـدـوـنـ ، اـمـاـ عـذـابـ ، وـاـمـاـ السـاعـةـ  
فـسـيـعـلـمـونـ مـنـ هـوـ شـرـ مـكـانـاـ وـأـضـعـفـ جـنـداـ . وـيـزـيدـ اللـهـ الـذـينـ اـهـتـدـوـاـ  
هـدـىـ ، وـالـبـاقـيـاتـ الـصـالـحـاتـ خـيـرـ عـنـ رـبـكـ ثـوـابـاـ وـخـيـرـ مـرـداـ ) مـرـيمـ ٧٣ـ

- ٧٦ -

وـتـوحـيدـ الـخـوـفـ وـالـرـجـاءـ مـقـنـصـيـ كـلـمـةـ التـوـحـيدـ « لاـ اللهـ الاـ اللهـ »  
الـتـىـ تـفـرـدـ اللـهـ بـالـرـبـوبـةـ وـالـأـلوـهـيـةـ وـالـقـيـومـيـةـ ، وـالـهـيمـنـةـ ، وـالـسـلـطـانـ .  
وـالـتـىـ تـرـفـضـ الـأـرـبـابـ الـمـتـرـفـقـيـنـ . وـالـتـىـ تـجـتـثـ دـابـرـ النـبـاتـ الشـيـطـانـيـةـ  
وـالـطـفـيلـيـةـ الـتـىـ تـعـوقـ النـمـوـ ، وـتـمـوـهـ السـبـيلـ ، وـتـعـوقـ الـمـسـيـرـةـ إـلـىـ اللـهـ .

وـعـلـىـ الـصـرـاطـ السـوـىـ صـرـاطـ اللـهـ .. يـسـتـعـلـىـ الـمـؤـمـنـ ، وـيـسـمـعـ  
وـجـعـ الـقـرـآنـ « اـنـكـ أـنـتـ الـأـعـلـىـ » طـهـ « وـلـاـ تـهـنـلـواـ وـلـاـ تـحـزـنـوـاـ وـأـنـتـمـ  
الـأـعـلـونـ .. » الـأـلـعـانـ ..

هكذا يربى القرآن أمة الاسلام ٠ ويمضي بهم ٠

١ — مذلاً عقبات الجبلة والغريبة والهوى ، كاشفاً م الواقع الأعداء  
وأداء العداوة ، والشرر المقطاير من صدور موغرة بالحقد

٢ — خائضاً بهم معارك ضد علل النفس ، وجحافل الأعداء ٠  
يحاورهم فيفهم ، ويدور بهم ويكتشف ، ويشهر ويُلعن ٠

٣ — بانياً دعائِم العقيدة

٤ — واضعاً أساسَ المنهج القويم الذي يغمرُ الحياتين بالروح  
والنور ٠

وأصول هذه التربية هي ذخيرة المسلم اليوم كما كانت ذخيرة  
مسلم الأمان ٠ وهي مناط الرفعة والمنعة ، وطريق الأمان الكامل  
والكمال الحصين ٠ واضعاً نظام المجتمع المسلم ، راسماً خطوط  
السياسة التي تكفل الظهور ، وتقوى من العثار ، وتتوفر فرص التطور ٠  
وفي معية هذه الذخائر يستعصي المسلم على مناؤئيه ويتمتع كما امتنع  
الإسلام ، ويظهر كما ظهر الدين ويمسي ، ويصبح ، أهلاً للنهاي العزيز  
« فلا تخشوهم واخشون »

وان فاضل هذه الذخائر استبيح وهان وعاثن حائر اللب طائع  
الجنان تخدعه البسمة ، وتردعه الصيحة ، وترديه قعقة السلاح ٠

كل ذلك ودينه قد ارتفع به الى ذروة شعارها « اليوم يئس  
الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون »

يتبع ان شاء الله

بخاري أحمد عبد

# نفحات قرآن

## بقلم بخاري احمد عبد الله

بسم الله الرحمن الرحيم

«اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واحشون ،  
اليوم أكملت لكم دينكم ، وأنتم علىكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام  
دينا ٠٠٠ » المائدة ٥

تابعنا - محوقلين - أقطاع (١) المسلمين وقد أدلجوا (٢) بادئين  
رحلة القهقري نحو غربة مطموسة الأفاق ، مجهملة الأبعاد ، تحدوهم  
في رحلتهم المشؤومة أغربة سحماء (٣) وتحفهم أدواء وعلل تصيب  
بالدوار وتورث الاعياء ، وتفضي إلى غيبة مطبقة . ووقفنا فزدرد  
الحرارت ونحن نرى غلوتهم راكعين يحطبون بليل أو جائمين يجمعون  
السقوط ، ويتلقطون الفتات ، ويتنفسون - وهم تحت - نتن الأرياح  
المتصاعدة من الأخاف ، والحوالف ، وأخذية الأعداء الشامتين .

ذلك على رغم الأرواح القرآنية العبة المفترنة ، وبرغم الهدىيات  
التي تفجرها آيات مبصرة تلواها منها - يومئذ - ما تلوانا . وعلونا  
معها إلى مستوى قول الله لعبدة القلق المضطرب « لا تخف إنك أنت  
الأعلى . وألق ما في يمينك تلتف ما صنعوا ٠٠٠ » .

وال أعلى دائما بصير ، متمكن ، مكفي . ولكن علوه لا يعفيه من  
الحركة البصيرة ، والتخطيط ، والعمل المقتن المدروس . ولا يمنعه من

(١) جمع قطيع

(٢) ساروا بليل

(٣) الغربان السود

مسايرة السنن والتذرع بالأسباب حتى تمتلىء يمينه بأنواع القوة التي تردع الطامعين، وتسحق المعتدين.

وظنى أن المولى اذ يردف قوله « انك أنت الأعلى » بقوله سبحانه  
« وألق ما في يمينك تلقي ما صنعوا » أراد فيما أراد أن يلفت الانظار  
إلى التلازم الذي بين العلو واتباع الهدى والعمل المدروس .

وموسى عليه السلام كان يقبض بيديه على عصاة المعجزة التي أحقت الحق وأبطلت ما كانوا يأفكون .

• والمسلمون معجزتهم القرآن الحق يقذف به على الباطل فيدمعه  
• فإذا هو زاهق • القرآن الحافل بالروحانية ، والحيوية ، وكل أسباب  
• المنعة ، ومعانى العزة ، وروافد الخير والنور والرشد •

فَإِذَا أَخْذُوهَا بِقُوَّةٍ ، وَتَنَاهُوا عَنِ الْقِوَادِهَا  
دِينِهِمْ وَدِنْيَا هُمْ •

وَإِذَا تَحْصِنُوا بِأَسْوَارِهَا ، وَتَرْكُوا بِأَرْوَاحِهَا . وَأَشَاعُوا خَلَانِهِمْ  
أَنْوَارِهَا ، وَحَكَمُوا فِيهِمْ آيَاتِهَا ؛ وَلَمْ يَشْتَرُوا بِهَا ثَمَنًا قَلِيلًا ، لِرَغْمِتِ  
أَنْوَفِ الْأَعْدَاءِ وَشَاهِتِ رُجُونَهُمْ ، وَكَبَّتُوا كَمَا كَبَّتِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ .  
وَعِنْدَئِذِ نَعِيْ مِرَامِيْ قَوْلُ اللَّهِ لِلْسَّابِقِينَ بَعْدَ الزَّامِ بِالْاتِّبَاعِ وَرِبْطِ  
بِالْمَنْهَجِ ، وَتَحْذِيرِيْ مِنِ الْابْتِدَاعِ ( ۱ ) فَلَا تَخْشُوا النَّاسَ وَالْخَشُونَ ،  
وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِيِّ شَمَنًا قَلِيلًا ، وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ  
هُمُ الْكَافِرُونَ ( ۲ ) .

وبعدئذ نسمو الى مقام قول الله لللاحقين «اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واحشون»

(١) الآية من سورة المائدة ونصها : انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور  
يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والريانيون والاحبار بما  
استحفظوا من كتاب الله وكانت عليه شهادة ملائخة تخشع الناس واخشون  
ولا تشنروا بآياتي ثمنا قيلا ومن لم يحكم بما انزل الله فما ولتك هم  
الكافرون « المائدة ٤٤ »

وبتحقق روح الآيتين فيك تبلغ أشدك ، ويكتمل توحيدك ويرشدك  
رجاؤك ويتوفر أمتك فتخص ربك وحده بالخشية والرجاء ٠

والتوحيد الذي لا يشيد بروح المنة ، ولا يبويء مقام « انت  
أنت الأعلى » توحيد ناقص أو مشوب بالأخلط ٠ تماما كالصلة التي  
لا تتهي عن الفحشاء والمنكر ٠

ومن هنا كان لزاما على المسلم الذي صقل اليمان شغاف قلبه  
أن يجعل التوحيد منطلقا إلى مزيد غير مجذوذ من المعرفة والمقدرة  
والسيادة الوعائية والقيادة البصيرة الهدافة وليس متزلجا إلى الجمود  
والركود والتخلف المبين ٠

### التوحيد والتحرير

ومقام « انت أنت الأعلى » لا يباح لمغلول ، ولا يباح لخائف  
يترقب ٠ والقرآن – في نطاق كسر حواجز الرعدة والخوف – طالما  
نهى أصفياء الله عن الاستسلام لربقة الخوف ٠ وطالما أدبهم بأدبي  
السکينة والاطمئنان ٠

أدب خليله عليه السلام يوم توجس وخاف « فلما رأى أيديهم  
لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة ، قالوا لا تخاف انا أرسلنا  
الى قوم لوط » هود ٧٠

كذلك أدب لوطا يوم سىء وضاق « ولما أن جاءت رسليا لوطا  
سىء بهم وضاق بهم ذرعا ، وقالوا لا تخاف ولا تحزن انا منجوكم  
وأهلكم الا امرأتك كانت من الغابرين ٠ انا متزلون على أهل هذه القرية  
رجزا من السماء بما كانوا يفسقون » العنكبوت ٣٣ ، ٣٤ ٠

ونهى سبحانه موسى عن الخوف فعدد النهي ( ياموسى لا تخاف  
انى لا يخاف لدى المسلمين ) التبل ١٠ ( أقبل ولا تخاف انت من  
الآمنين ) ٣١ القصص ( لا تخاف اننى معكما أسمع وأرى ) طه ٤٦ ٠

وبمثل هذا أدب داود ( اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا

لَا تخف ) ص ٢٢

وأرجع سبحانه الخوف الأرعن إلى الشيطان ونزعه أصفياءه من الانقياد لكيده فقال ( انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوه ، عخافون ان كنتم مؤمنين ) آل عمران ١٧٥

فالمؤمنون قدتبعوا هداه وحرى بهم أن يسموا بما أتوا فوق مخاوف الدنيا ومكائد ابليس ( ۰۰ فاما يأتينكم مني هدى فمن نفع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ) البقرة ٣٧

غاية الدين اذن تحرير الانسان واعلاء معنوياته وترشيد ارادته . فهو لهذا يضع الآصار ، ويحطم الأغلال التي تحكمها حول الانسان تزغاته ونزواته وأهواؤه والتي تغل ، وتشمل وتسرق . وبذلك يخلاص سلما لله وحده .

الا أن جبلة الانسان قد تطغى فتصدر ذبذبات مبيرة ( ۱ ) ، وتتفت باستمرار غازات موهية ( ۲ ) تتعقد من حوله كثيفة ، خانقة ، متلاطمة ، تتقاتل الانسان حتى يمسى مزقا بكل واد شعبة مصدق احاديث رسول الله : - ( ان قلب ابن آدم بكل واد شعبة ، فمن أتبع قلبه الشعب كلها لم يبال الله بأى واد أهله ، ومن توكل على الله كفاه ) .

ان الانسان تأسره رغبات ، وتنسرقه اهواء ، وتنوشه مخاوف ، ويتنازعه أرباب متفرقون متشاكرون . وغاية الدين استقاضه من بين براهن أولئك الأرباب حتى لا يهموى لامث الأنفاس ، مضفة بين الأرضاس يتنفس النفاق ويستعمل بأخلاق العبيد .

وفي طريق التحرير وتجنيب الانسان غوايـل هذا المصير ييرز لقرآن بمثله وآياته وقيمـه التي تطب فؤاده ، وتسـمح كيانـه ، وتخـرـظ

---

( ۱ ) مهلكة

( ۲ ) مصنعة

عوده . وهكذا يصنع من الانسان الموسوم في كتاب الله بكل رذيلة  
رجل سلما لله ، لائذا بالعروة الوثقى التي لا انفصال لها .

ويطالعك على الدرس مثل قول الله : - ( ياصاحبى السجن أرباب  
متفرقون خير أم الله الواحد القهار . ما تعبدون من دونه الا أسماء  
سميتوها أنتم وآباءكم ما أنزل الله بها من سلطان . ان الحكم الا  
له أمر لا تعبدوا الا ايها ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا  
يعلمون ) يوسف ٢٩ - ٣٠

وتعى وأنت تتعمق في الدعوة الموجهة لأهل الكتاب أن جوهر  
الأديان توحيد وتحريض : - ( قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء  
بيننا ، وبينكم ، لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضا  
بعضاً أرباباً من دون الله ، هان تولوا فقولوا اشهدوا بأننا مسلمون )  
آل عمران ٦٤ .

وتلمس مدى تبذيل الاسلام للاغلال ، والاستغلال ، وتتوافق أنه  
دين يربأ بكل ذى فضل أن يرضى ، أو يدعوا إلى مذهب تفوح منه  
روائح الرق والاستغلال اذا تلوت قوله سبحانه ( ما كان لبشر ان  
يؤتى الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من  
دون الله . ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم  
قدرسون . ولا يأمركم أن تتذمروا الملائكة والنبيين أرباباً من دون الله  
أيامركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون ) آل عمران ٧٩ - ٨٠

وتتجدد المثل بين الفصل في قوله سبحانه : - ( ضرب الله مثلًا  
رجال فيه شركاء مقتساكسون ، ورجال سلما لرجل هل يستويان مثلًا .  
الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ) الزمر ٢٩ .

ويروعك التنديد القرآني بكل ذليل يقيم على ضيم ، ويصحح  
للاغلال ومولاه يحدره ، ويصرره ، ويحرره : - ( اتخذوا أهبارهم ،  
ورهبانهم أرباباً من دون الله وال المسيح بن مرريم وما أمروا الا ليعبدوا

الله واحدا ، لا الله الا هو سبحانه عما يشركون . يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواهم ، ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون . هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ) التوبة ٣١ - ٣٣ .

هكذا يأسو القرآن أداء الجبلة ، ويقى الإنسان من أن تتوزع أنفاسه بين شركاء متشاكسين . وتتوزع الانفاس على هذا النحو يطمس البصائر ، ويورث التخبط ، ويعمى على العبد مسالك الرجاء والخوف السوية . وهما كما أوضحنا كمال التوحيد ، وقوام المؤمن ، يحلانه محل الوسط حتى لا يعبد الله على حرف .

### عبد الله بين الرغب والرعب

والإنسان في كل حالاته اما راغب ، او راهب . فالرجاء والخشية سدى الإنسان ولحمته . فان سلك بهما غير سبيل المؤمنين وانتهت نهاجة ينأى عن منهج التوحيد انحلت عروتها وانحدرا بصاحبهما الى هاوية الشرك ليسقط نهب المخالف والأنبياء والأبرار طى ظلمات بعضها فوق بعض وصدق الله : - ( ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير ، أو تهوى به الريح في مكان سحيق ) الحج ٣١ .

وكمال التوحيد في أن تخص الله بالرغبة والرعب موقعا أنه وحده مناط الخوف ومعقد الرجاء ، وأنه وحده يسبغ الأمان ، ويكشف الضر ، ويعدق الخير ، ويضع الأسباب ، ويحرك السنن ، ويقدر النتائج . وأن الكائنات - كل الكائنات - أسباب وسنن . وأن من انتهى رجاؤه إلى الناس ، أو احتوته خشية الناس فقد جعل الله المهيمن أندادا ولم ينتفع بهدى الله الذي يزخر به القرآن . وأن من انعقد رجاؤه بالله واحتوتة خشيته سبحانه أمن المهاوى ، ووقيع العثار .

والقرآن في هذا الموقف ينثو علينا من نبأ إبراهيم بحوار سديد يلزم الحجة ويروى الغلة ويُشبع الفطرة السوية : - ( واتل عليهم نبأ إبراهيم ، اذ قال لأبيه وقومه ما تبعدون قالوا نعبد أصناما فننظل لها عاكفين . قال هل يسمعونكم اذ تدعون . أو ينفعونكم أو يضرون . قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون . قال أفرأيتم ما كنتم تبعدون . أنتم وأباءكم الأقدمون . فإنهم عدو لى الا رب العالمين . الذي خلقنى فهو يهدى ، والذى هو يطعمنى ويسقينى . واذا مرضت فهو يشفينى . والذى يحيتني ثم يحيينى . والذى أطمع أن يغفر لى خطئي . ) يوم الدين ( الشعراة ٦٩ - ٨٣ .

والدينونة لقوة قاهرة عليا أمر فطري غرزى . وكم ذهبت هذه الفريزة مذاهب مصلحة بمن لم يجعل الله له نورا .

والرعب والرهب أيضا غريزتان فعاليتان . ولخطورة شأنهما والأهمية القرآن وعائج أمرهما في آناة وحكمة بالغة خشية أن يجمحا بالمرء . ويقذفا به بعيدا عن دائرة الاعتدال حيث يرتطم بالصخور المنبطة في أقصى اليمين حيث الغلو والأفراط هناك . أو حيث الجمود والتفريط . والتحريف والتأويل في أقصى اليسار .

### الاستعانة والتعاون

ونبادر هنا فنذكر أن الألسنة الشيطانية كثيرا ما تلوك كلمات الرجاء والاستعانة والتعاون لوكا يكسبها سيولة تجعل بعضها يمتع في بعض حتى تتشبه الحدود وتختلط الأمور ، ويلتبس الحق بالباطل . ولقد طاب لتلك الألسنة أن تلبس الرجاء الذي هو حق المولى وحده ، بالتعاون الذي لا تصلح حياة الناس الا به فإذا انكرت عليهم دعاءهم للأموات ، واستغاثتهم بأسيادهم وأعمامهم ، وتعوييلهم على أبدالهم وأقطابهم وأغواائهم قالوا : - وأنت الا تستعين بحواسك وأعضائك ،

كُم بخوايك و معارفك و بمن تعرف و من لا تعرف كلما عز عليك المطلب  
وشق الوصول ثم ضربوا لك سيلًا من الأمثلة كى يقنعواك أو يسكتوكه  
والحق أن الاستعانة قرين العبادة ، خص الله بهما نفسه ،  
و جعلهما واجهة عبده حين يقبل على الله بعد ثناء عذب مستطاب راجيا  
ملتفتا من الغيبة إلى الخطاب ( اياك نعبد واياك نستعين ) فكما أن  
العبادة وقف على الله كذلك الاستعانة باعتبارها شعبة من شعب  
ال العبادة « اذا سألت فاسأله الله وإذا استعنت فاستعن بالله ٠٠٠٠ »  
ال الحديث ٠

والاستعانة طلب المعونة بعد بذل الوسع . والعاقل لا يطلب  
المعونة الا من قادر لأنها لا تكون مطلقة عامة شاملة الا من الله .  
وقصر ذلك على الله سمو بالمؤمن عن مواطن الذل وعن التمسح بأعتاب  
تقوى بشرية امكاناتها مستعارة محدودة ( وانذين تدعون من دونه لا  
يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرنون ) الاعراف ١٩٧  
والتعاون ليس استعانة بغير الله بل هو رضوخ له سبحانه و艾تمار  
بأمره ( وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان )  
المائدة ٢

والتعاون مطلوب طالما كان في دائرة الخدمة البشرية ، منوطا  
بمن يملكونه . ومعنى هذا أنه لا توجه لضرر ولا استعانة بمقبول ولا  
انقياد لمدعين ولا سماع لدجالين يثبتون الوساطة بين المولى والعباد  
في طلب الغفران والرضوان ٠

ذلك نداء القرآن وهدى السنة وسبيل المؤمنين ( ومن يشاقق  
الرسول من يعد ما تبين له الهدى ، ويتبين غير سبيل المؤمنين نوله ما  
يتقولى ونصله جهنم وساعت مصيرًا ) النساء ١١٥

يتبع ان شاء الله

بخارى احمد عبده

# نفحات القرآن

## بقلوب بخارى أم درعية

بسم الله الرحمن الرحيم

«اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واحشون»<sup>٠٠</sup>

بقرآن زكت أرواحه ، وأنسى برقه <sup>(١)</sup> غالباً تخاريق <sup>(٢)</sup> حقبة مكفرة ، صوح <sup>(٣)</sup> — بتشديد الواد المفتوحة — نبتها ، ورعي <sup>(٤)</sup> — بالبناء للمجهول — هشيمها . ومضينا مستهدى السنى <sup>(٥)</sup> ، ونستندى الشذى ، ونلوذ بالمنعة المنبعثة من قول الله : «اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهם ، واحشون ..» موقنين أن المؤمن الحق عزيز منيع ، وأن التوحيد الصادق يظهر ، ويحرر ويطرور ، وأن الدعاة الوعيين لا يجدون ، ولا يتخلرون ، بل يحلقون بأجنحة التوحيد في الآفاق العريضة للكون ، وينفذون من خلال التوحيد إلى الوحدة ، إلى السلوك ، إلى البناء ، إلى الجihad ، إلى المنهج كله ، وأن من تجلدم ، أو انزوى وحصر طاقاته كلها في حلقة من حلقات هذا الدين المرن الخالد الرحب ربما حشر في زمرة الذين جعلوا القرآن عضين <sup>(٦)</sup> .

كيف وقد علمنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عكف منها اللحظة الأولى على تجميع الخامات واعداد اللبنات ، وتعذية الطاقات ، واعلاء الكفاءات مستهدفا صنع الأمة المسلمة للدولة المسلمة . ولا غرو فال المصطفى صلى الله عليه وسلم كان نبي دعوة ، ونبي دولة يختار

(١) أنسى البرق : انتشر ضوء (٢) الجدب

(٤) وسد الأمر إلى غير أهله

(٦) عضين قطعاً متفرقة

(٣) يبس وتشقق

(٥) السنى الضوء

بالمسلمين مراحل اعداد معنوى ومادى . تجلى فيها معادنهم وتشهد  
همهم ويطعون ضد المخاطر وعقبات الطريق انتظارا لساعة الصفر  
وتمهيدا ليوم الكمال .

ولقد استعدنا يومئذ سير المصطفين الآخيار ، وتمعنا في أمر الله  
الصادع لوسى عليه السلام أن يأخذ بقوة ما أوتى ، وأن يوعى (١) —  
ببصيرة — ما أعطى ، ثم أن يبني حصنانا وموانع وقدائف « وألق ما  
في يمينك تلتف ما صنعوا » .

واستدرنا نتحسس أنفسنا فإذا نحن صفر اليدين (٢) هرقنا (٣)  
ما في المسقاء ، وألقينا ما كان في اليمين وراءنا ظهريا فمهونا من مقام  
« وأنتم الأعلون » الى درك سحيق تؤمه (٤) الشياطين وتعمره (٥)  
الغوايل ، والآفات ، عزلا من كل سلاح ، صما ، عميا مفلسين .

واستعرضنا يومئذ من أدواتنا ، وذكرنا شرك الهووية ، والأنيوية ،  
والغواية ، والأثرة ، والاستكانة ، وشرك الرجاء والخوف ، وشرك  
الرياء والاعراض عن شرع الله وشرك موالة أداء الله ۰۰۰ الى غير  
ذلك من ألوان الشرك التي تأخذ بخناقتنا وتحول دون امتلاء أنفسنا  
بسلطان الله الموجه الحاكم المدبر .

### مقام الخوف

والخوف من أسمى مقامات التوحيد ، وهو صدى تقوى الله ،  
كما أنه يورث مزيدا من تقوى ، ولذا قيل ان الخوف والتقوى متكاملان ،  
يصوران معا حلقة مفرغة ، ويختفان معا في كل النصوص التي تتناول  
كلا منهما .

ترصد رعدة الخوف في الآيات التي تحت على التقوى ، وتحسن  
تشعريره المتنين في الآيات التي تحض على الخوف . والخوف بعد  
ذلك طابع الكائنات في مستوياتها المختلفة .

(٢) مفلسون

(١) يوعى : يحفظ

(٣) سكبنا ما في القرب والأواني

تسكّنه

(٥)

(٤) تقصده

١ - هو طابع الملائكة المقربين ، وكم حکى القرآن عن خوفهم ، وصور غرقهم وشفاقهم . من ذلك ما نقرأ في آية النحل من حديث الكائنات الساجدة لله داخرة صاغرة ، خائفة مع تخصيص الملائكة حتى لا يتوهم أنهم لقرب مكانهم ، أو لعلو مكانتهم أجل من أن ينخرطوا في سلك كائنات أخرى « أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتقياً (١) ظلله عن اليمين والشمائل سجداً لله وهم داخرون (٢) . والله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون . يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون » النحل ٤٨ - ٥٠

ذلك بعد تهديد بالخسف وتلويع بالأخذ والعذاب بغية اثارة فازعة الخوف في أعماقهم « أَفَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ ، أَوْ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ مِنْ حِيْثُ لَا يَشْعُرُونَ . أَوْ يَأْخُذُهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجَزَيْنَ . أَوْ يَأْخُذُهُمْ عَلَى تَخْوِفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لِرَءُوفٍ رَّحِيمٌ » النحل ٤٥ - ٤٧

ومن ذلك ما جاء في سورة الأنبياء من ثناء على العباد المكرمن ممزوج بالوعيد الذي يبين المنازل ويحد الحدود « وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنَ وَلَدًا ، سَبَحَاهُ بَلْ عَبَادٌ مَكْرُمُونَ ، لَا يُسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ . يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ، وَمَا خَلْفُهُمْ ، وَمَا أَنْتُمْ إِنْ تَرَنَّى ، وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفَقُونَ . وَمَنْ يَقُلُّ مِنْهُمْ أَنِّي أَنَا اللَّهُ مِنْ دُونِهِ ، فَذَلِكَ نَجْزِيَهُمْ جَهَنَّمَ ، كَذَلِكَ نَحْزِيَ الظَّالِمِينَ » الأنبياء ٢٦ - ٢٩

٢ - وافراد الله بالخوف طابع التبيين والمرسلين « الَّذِينَ يَلْعَنُونَ رِسَالَاتَ اللَّهِ ، وَيَخْشُونَهُ وَلَا يَخْشُونَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهُ ، وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا » الأحزاب ٤٠

٣ - وأولياء الله المتقوون يأتسون بالمستويات العليا ويفردون الله بالخوف فيحشرون مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين

(١) يتقياً يتميل .

(٢) داخرون صاغرون

والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . وانشاده بكل هؤلاء الذين  
تبיעوا مقامات الخشية يقول الله « ولن خاف مقام ربه جنتان »  
الرحمن ٤٦

وهذا الجزء المرموق هو الفوز الذى ورزد في قوله سبحانه  
« ومن يطع الله ورسوله ، ويخشى الله ويتقه فأولئك هم الفائزون »  
النور ٥٢

٤ - ومن المستوى الأدنى ينبعث صوت الشيطان « ٠٠٠ انى أخاف  
الله رب العالمين » الحشر ١٧

وهكذا نرى أن نازعة الخوف فطرية . فإذا الثالث الفطر ودسيت  
لمس - بالبناء للمجهول - عليها فإذا ارتاع صاحبها وأحيط به  
فعشت الفطرة إلى حين ، وبرق الخوف في الأعماق ورعد ، فراح  
الإنسان يلوذ مرتعدا بأكتاف الله الذي لا اله الا هو ، وصدق الله  
العظيم : « هو الذي يسيراكم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك  
وجربتم بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف ، وجاءهم  
الموج من كل مكان ، وظنوا أنهم أحبط بهم دعوا الله مخلصين له الدين  
لئن أنجيتكنا من هذه لنكون من الشاكرين . فلما أنجاهم اذا هم يبغون  
في الأرض بغير الحق ، يأيها الناس انما بغيكم على أنفسكم متاع  
الحياة الدنيا ثم الينا مرجعكم ٠٠٠ » يومن ٢٢ - ٢٣

وكأن الإنسان يطغى اذا استغنى ، ويعمى اذا أمن فإذا ظن أنه  
أحيط به وخال أنه - لا محالة - مأخوذ رأى بعين اليقين قدرة الله ،  
وقهره ، وجبروته خلال النوازل وأسلمه ذلك إلى الخوف من القوة  
العظمى التي تهيمن على قوى الطبيعة وجري الأحداث ، وحمله  
الخوف على الرجاء فكان مصداق قول الله : - « واذا مس الانسان  
الضر دعاها لجنبه او قاعدا او قائما ، فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم  
يدعنا الى ضره ، كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون » يومن ١٢  
والقرآن تأكيدا لمقام الرعب والرعب ، وارتفاعا بما الى مقام

توحيد الالهية يصوغهما في أسلوب قصر صريح أو ضمني .

١ - ففى مثل قوله سبحانه « اياك نعبد و اياك نستعين » يسلك المولى العبادة والرجاء في نظام واحد ويخص بهما نفسه صراحة .

٢ - وقد يعدل القرآن عن التصريح ويأتى بعبارة توحى بضرورة اعتزال البيئة التي تصدق عن العبادة أو تقسرك على صنوف الشرك .  
عبارة تحت على الحركة كلما استفحلا الضيم فأصاب حقيقة الوجود وكبد التوحيد . ومثل هذا التلميح تستشعره في قوله سبحانه : -  
( ياعبادى الذين آمنوا ان أرضى واسعة ، فايى فاعبدون ) العنكبوت ٥٩ .

فآلية كما ترى توحى بأن المؤمن قد يحال بينه وبين التوحيد الخالص ، وأنه قد يشدد عليه النكير ، ويجرد فوقه سيف الإرهاب فيوشك - من فرط خشية الناس - أن يقع في المحظور .

وسبيل المؤمن اذا جاوز السيل الزبى أن يهجر ويعتزل وينتهي  
· مواطئ الظلم الى حيث الرحابة والحرية والأمن .

فمهما سدت - بالبناء للمجهول - المنفذ أو ضاقت الأرض بما  
· وحبت تحت ضغوط نفسية ، أو عصبية ، أو قهرية فلن يعدم المؤمن  
عراضا كثيرا وسعة ترخر بالأمن ، وتنعم برحمه الله .

٣ - ومركب المؤمن الى غايتها العزيزة قد يكون ذلولا ، وقد يكون  
صعبا . وقد تناح له فرص الانتشار السريع المترن المهداف ، وقد  
تدلهم الأمور فيفقد الامام ويعدم الجماعة وعندئذ يتحتم عليه أن  
يعتزل في بعض بجذع أو يعتصم بكهف حقيقى أو معنوى مؤتمرا بأمر  
رسول الله ، مستوحيا قصة أصحاب الكهف والرقيم : ( ٠٠٠٠ ) .  
اعتزلتهموهم وما يبعدون الا الله فأتوا الى الكهف ينشر لكم ربكم من  
رحمته ويهىء لكم من أمركم مرفقا ٠٠ .

اثارة لمثل هذه المعانى ارتفع نداء القرآن « ياعبادى الذين  
آمنوا ان أرضى واسعة فايى فاعبدون » بعد الحديث عن قوم آمنوا  
مكر الله ، وسخروا من وعيده ، وتندروا ، وتحدوا وكفروا به كفر  
الخوف ( ويستعجلونك بالعذاب ، ولو لا أجل مسمى لجاءهم العذاب ) .

وليأتينهم بعثة وهم لا يشعرون . يستعجلونك بالعذاب ، وان جهنم  
لحيبة بالكافرين . يوم يعشتم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ،  
ويقول ذوقي ما كنتم تعملون . يعبدى الذين آمنوا ان أرضى واسعة  
فایاى فاعبدون . كل نفس ذائقه الموت ثم اليها ترجعون . ) العنكبوت

٥٤ — ٥٨

والقرآن يسلك كفر النعمة ، وكفر الشريعة — بما حوت من  
عهود — وكفر الرهب ، والتقوى في نظام واحد موحياً أن هذه من  
حقائق الإيمان الكامل بمنهج الله وآياته ( يابنى إسرائيل اذكروا  
نعمتى التي أنعمت عليكم ، وأوفوا بعهدي أوف بعهدمكم واياى  
فارهبون . وآمنوا بما أنزلت مصدقًا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ،  
ولا تستتروا بأياتي ثمنا قليلا ، واياى فاتقون ) البقرة ٤١ — ٤٢  
ويقرن كفر الرهب وشرك التقوى مباشرة بتوحيد الالهية مشعرًا  
أنهما من كمال التوحيد مشيراً إلى الجبلا المنحرفة المتذبذبة التي تطوف  
بالإنسان ما تطوف ثم تأوى به إلى الشرك والكفر والتطاول على رب  
العالمين : — ( ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة  
وهم لا يستكبرون . يخافون ربهم من فوقهم وي فعلون ما يؤمرون .  
وقال الله لا تتخذوا اليهين اثنين ، إنما هو الله واحد ، فایاى فارهبون .  
وله ما في السموات والأرض ، وله الدين واصبا (١) ، أفعير الله تتقون .  
وما بكم من نعمة فمن الله ، ثم اذا مسكم الضر فاللهم تجأرون (٢) .  
ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون . ليكفروا بما  
آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ٠٠٠٠ الخ ) النحل ٤٩ — ٥٥

والآيات كما نرى تتناول توحيد الربوبية ، والألوهية ، والصفات ،  
وتوحيد الرهب والتقوى باعتباره الشمرة والمقتضى .  
ومثل هذه الآيات تؤكد أن اختصاص الله بالخوف شعبة من شعب

(١) متصل دائمًا

(٢) ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والدعاء منصرفين عما سواه

التوحيد ، وأن مثل الخوف في هذا مثل الخضوع ، والذلة ، والانابة  
والتوكل ، والمحبة ، والرجاء ٠٠٠ الخ

فهذه كلها من مظاهر عبودية القلب لله وحده ٠ وأى اختلاج في  
القلب ينم عن شيء من تلك المظاهر ينبغي أن يكون صدى ذكر الله ،  
ورجع تذلل قلبي ، وحب نفسي ، واستشعار لعظمة لا تحد ، وفناه  
في جلال الله الذى لا يدانى فناء لا يحد ٠ وظنى أن هذا هو التوحيد  
الحق الذى يخلق بالمؤمن في آفاق رحبة عليا تكفل له النقاء ، والحرية،  
والسمو ، ووضوح الرؤية ، والحركة البصيرة ، والسداد ٠

والخوف بهذا المفهوم من خصائص المؤمنين الذين يتمثلون جلال  
الله ، ويختلفون مقامه فتوجل (١) قلوبهم ، وتخشع نفوسهم ، فتنهج  
السنتهم بذكره وشكره (ألم يأن (٢) للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم  
لذكر الله وما نزل من الحق ، ولا يكونوا كالذين أتوا الكتاب من قبل  
غطّال عليهم الأمد (٣) فقتلت قلوبهم وكثير منهم فاسقون ) الحديد ١٧  
وانفعال الخوف عند المؤمنين قد يثيره تصور الجبروت أو تمثل  
العقاب ٠ ولكن الخوف الغالب عليهم هو الرهبة الناشئة من تمثل  
العظمة والهيبة ، والجلال ٠ ومثل هذا الخوف لا يفارق قلوب المؤمنين  
الذين يرون بعين اليقين كمالات الله التي لا تنتهي ، ويعون بالحس  
البسيط عجز الإنسان ، وجهله ، ونقائضه ، ونقائصه التي لا تنتهي ٠  
وعلى ضوء هاتين الرؤيتين (٤) تتمثل النفس بوجل الهيبة ، والعظمة ،  
والجلال ٠ وفيض هذا الامتلاء وصداءه مزيد من ذكر الله ٠ وذكر الله  
مركب الأمان ، ومبعد الاطمئنان « الذين آمنوا وطمئن قلوبهم بذكر  
الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب » الرعد ٢٨

ولكن هل يزيل الاطمئنان الوجل ؟ وهل يجتمع الخوف مع  
السكينة في قلب واحد ؟ ذلك مما سنتناوله في المقال القادم ان شاء  
الله ٠

(١) تخف

(٢) يحن

(٣) الزمن

(٤) الرؤية بعين اليقين والوعي بالحس البسيط

# نفحات قرآن

## بِسْمِ رَحْمَنِ رَحِيمٍ

الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشُوْهُمْ وَأَخْشُونَ

فِي وَطَأَةٍ (١) الْحَاضِرُ الْمَرُّ وَوَقْدٌ (٢) الْأَحْدَاثُ الَّتِي تَحْكُمُ الْفَيْدَ ،  
وَتَفْرُضُ الْقَهْرَ ، وَتَعْكِسُ الْذُلُّ نَلُوذُ بِالْأَلْقَ (٣) الْمُتَجَدِّدُ الْمُنْبَعِثُ مِنْ وَسَامِ  
الْكَمَالِ « الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشُوْهُمْ وَأَخْشُونَ  
الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ، وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ  
دِيَنًا » .

وَأَحْسَنَ — وَأَنَا بَيْنَ يَدِي الْآيَةِ مُسْتَدْفِئًا مُسْتَلْهِمًا — بِأَشْبَاحِ شَامِتَةٍ  
قَتْوَابِشَ مِنْ حَوْلِي سَاخِرَةٍ وَبِرَوْعَنِي أَنْهَا كَلَّا تَحْمُلُ قَسْمَاتٍ ذَلِكَ  
الْيَهُودِيُّ الذِّي غَصَّ ، بِالْبَيْنَاءِ لِلْمَجْهُولِ ۰ ۰ ۰ بِالْآيَةِ فَانْبَرِي مُتَوْجِسًا ،  
طَائِرُ اللَّبَبِ يَوْاْجِهُ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِتِلْكَ الْقَالَةِ الَّتِي تَشَفُّ عنْ صَدْرِ  
مُوْغَرٍ (٤) وَقْلَقُ زَائِدٍ ۰ اَنْ فِي كِتَابِكُمْ آيَةً لَوْ عَلَيْنَا نَزَّلْتَ مَعْشِرَ يَهُودٍ  
لَا تَخْذُنَا يَوْمَ نَزُولِهَا عِيدًا : الْيَوْمَ يَئِسَ : الْيَوْمَ يَئِسَ  
وَجْهًا لَوْجَهَ مَعَ ذَلِكَ الْمَوْقِفِ الذِّي يَفْرُضُ عَلَى نَفْسِهِ فِي اَصْرَارٍ — مَوْقِفٌ  
يَهُودٌ — وَظَنَّنَ أَنَّ الْيَهُودِيَّ ذَلِكَ فَطْنَةٌ إِلَى رَفْعَةِ الْوَسَامِ وَجَلَالِ الْمَقَامِ ،  
وَخَالَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ — بِلَا شَكٍ — لَنْ يَضِيِّعُوا ، وَلَنْ يَفْرُطُوا ، بَلْ سَيَظْلَوْنَ

(١) الوطأة : الضفطة والأخذة الشديدة

(٢) الوقذ : شدة الضرب

(٣) الالق : البريق

(٤) صدر موغر : ممتليء بالحقد يتوقى غيظا

أيقاظاً حريصين ، يذودون عن الحمى ، ويذبون عن رأية الكمال .  
وقدر أن الراية ستتوارث — بالبناء للمجهول — جيلاً من بعد جيل  
وأن النعمة ستعظم وتعظم في يد الأجيال ، وأن قبضات المسلمين  
ستزداد تشبتاً ومنعة ، وهاله أن سهام يهود ستطيش لا محالة ، وأن  
أحلام إسرائيل ستتبدد أدراج الرياح . وأن المستقبل إلى يوم القيمة  
سلم للمسلمين .

ولكن الذي كان عكس ذلك : ماجت الأهواء ، وثارت النزوات ،  
وعصفت الفتنة، ودالت الأيام فرفعت المنعة — بالبناء للمجهول— وانكشف  
المسلمون . فلا عجب اذا تولدت من شبح ذلك اليهودي الأول أشباح  
متكاثرة متظاهرة ترقص وتشتم ، وتسخر ، وترقب أرواح الآية  
التي راعتهم وهي تسري طى الباب معتمة ، وأفئدة جوفاء دون أن  
تثير أو تقيم وتتقد .

ولقد ذهبنا — في هدى الآية — مع نازعة الخوف نعلو المشارف ،  
ونذرع الوهاد ، ونرنو إلى الأدراك والأغوار . واستعرضنا — هناك —  
آيات فيها من رعدة الخوف ، ومن خشوع التقوى ، وصدق الرجاء .

ورأينا — ثمة (١) — أن معانى الخوف والرجاء والخشوع  
والتقوى يتداخل بعضها في بعض مؤثرة متأثرة . وأنها في مقاماتها  
العليا تقتدى ، وترتوى بحقائق التوحيد فتردهر كزرع أخرج سطأه  
فآخره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع . وهذا المقام  
الرفيع هو مقام المؤمنين الذين يرون بعين اليقين كمالات الله  
لا تنتاهى ، وجلالاته لا تحد ، فتتمتلىء نفوسهم بوجل الهيبة ، ثم  
تأنس بالنعم الراخمة ، ثم تذكر مع العوالم الذاكرة ثم تخشع ،  
وتتلين ، وتسكن راجية مشفقة . وعلمنا — يومئذ — أن فيض ذلك  
الامتلاء الدسم المهيّب مزيد من تقوى ، وذكر ، وشكر وحب لله شديد

---

(١) هناك

لا يدانى – وانتهينا – آنذاك – متسائلين ( هل يزاييل الاطمئنان  
الوجل ؟ وهل يجتمع الخوف مع السكينة في قلب ؟ )

ان الاطمئنان وليد امتلاء النفس بعزم الله التي لا تداني ،  
وببره الذي لا ينضب ، وبعدله ورحمته التي وسعت كل شيء ٠٠٠ الخ  
 فهو اذن حق اليقين ، وكمال المعرفة ٠ وهو على هذا لا يتعارض البتة  
مع الوجل ٠ لأن كليهما « الوجل والاطمئنان » رجع الایمان وشاعر  
المعرفة الحقة ، ونور التوحيد الصحيح ٠

وأشعاراً بأن الوجل والاطمئنان متكاملان ، ينبعان من مشكاة  
واحدة ، جمعهما الله تعالى في آيتين متعاقبتين جمع تضمين ثم جمع  
تصريح ( ألمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ، فويل  
للقاسية قلوبهم من ذكر الله ، أولئك في ضلال مبين ٠ الله نزل أحسن  
الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تشعر منه جلود الذين يخشون ربهم  
ثم تلين جلودهم ، وقلوبهم إلى ذكر الله ، ذلك هدى الله يهدى به  
من يشاء ، ومن يضل الله بما له من هاد ) الزمر ٢٢ ، ٢٣  
وليس بعسير على الناظر في هاتين الآيتين أن يدرك : -

١ - أن شرح الصدر للإسلام يوحى بالمعرفة ، وينبئ عن  
امتلاء النفس بعزم الله ٠

٢ - وأن النور الربانى الغامر الذي بسط سناه كي يستوى  
المؤمن على بساطه ويحلق على أجنهة أصواته يشف عن اطمئنان  
يفضى إلى مزيد من وضوح الرؤية ، فمزيد من معرفة وایمان ، ووجل ،  
واطمئنان ٠

٣ - وأن الاشارة إلى القاسية قلوبهم تذكر بالذين هم من  
خشية ربهم مشفقون ، والذين هم بآيات ربهم يؤمنون ، والذين هم  
بربهم لا يشركون ، والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى  
ربهم راجعون ، المؤمنون ٥٨ - ٦٢

٤ — وأحسن الحديث في « الله نزل أحسن الحديث » اشارة الى نبع المعرفة ، واصادة بالمعين الذي لا يغيب والردد الذي لا ينقطع .

٥ — والقشريرة التي تتناب الناهلين من حيام القرآن أثر من آثار الوجل الصادق .

٦ — ولين الجلود والقلوب من بعد يس وتصلب كنایة عن الاطمئنان الخاشع الدفء .

هكذا تجتمع شواهد الوجل والاشفاق مع حقائق المعرفة والايمان ، مع بشائر السكينة والاطمئنان في قلب المؤمن .  
والمؤمن منفعلا بكل هذا الفيض الرباني يندفع متأنيا نحو مزيد من حذر ورجاء ، وقنوت واطمئنان ، ومعرفة وایمان ، ويسمو الى مستوى قول الله : - ( أمن هو قانت آناء الليل ساجدا ، وقائما ، يحذر الآخرة ، ويرجو رحمة ربها ، قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، انما يتذكر أولو الألباب ) (١) الزمر ٩ .

أرأيت كيف يجتمع السكون والحركة ، والرجاء والhzar ، والايمان والبصر لدى أولى الألباب ؟

الحق أن الاطمئنان وليد التوحيد ، وثمرة اسلام الوجه لله بلا تذبذب ، ولا تردد ، ولا تلتفت ينم عن الحيرة والقلق ، وينذر بالاحتراز والشك

---

(١) الألباب تهفو الى العلم وتقرى به ، وتسقريء ، وتجمع ، وتعى .  
حقائقه ثم تقف بالمرء موقعا وسطا بين الخوف والرجاء حيث القنوت الخاشع  
الذى تملا ذبذباته المطمئنة آناء الليالي الساكنة الهاجعة . ثم تسمو بوجданه  
نحو مستوى رفيع لا يدانى ( أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر  
الآخرة ويرجو رحمة ربها قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون  
انما يتذكر أولو الألباب )

وأن الوجل صدى المعرفة الحقة بالله وعزته ، وبالحساب ودقته ، وبالجزاء وصرامته ، وبالأنفس وغيرها ، وبالجبلة وجموحها ، وبالموت وما بعده من مساءلة وبعد نشر وحشر ٠٠٠ الخ وكلها حقائق تورث الوجل ، وتفضي بالعبد إلى أن يوحد ، ويذبح ويذكر ويصبر ، ويستقيم ( فالهكם الله واحد فله أسلموا ، وبشر المختفين ) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، والصابرين على ما أصابهم ، والمقيمي الصلاة ، ومما رزقناهم ينفقون ) الحج ٣٤

## أنواع الخوف

الخوف – اذن – وثيق الصلة بقضية التوحيد ، وأمره من أجل هذا جد خطير . ذلك لأن قلوب البشر جلها قلوب فئران . وليس بين البشر من يستطيع أن يزعم أنه لم يعان من خوف شيء سوى الله . فأين هؤلاء اذن من كمال التوحيد ؟ وهل كل من دب في كيانه دبيب الخوف من شيء أمسى مهدداً بشرك ؟ الحق أن الخوف باعتبار متعلقاته يتعدد ، ويتنوع إلى أنواع :

### «١» خوف الشرك أو السر

وحقiqته أن يخاف غير الله من أواثان أو طواغيت وقوى وأسماء تبعد وتدعى وتتخىء كخشية الله اعتقاداً أن في مقدورهم أن يضرروا وينفعوا ، ويصيروا بمكروه متى شاءوا وهذا ما اعتقاده المشركون في سائر آلهتهم فخافوهم وحاولوا أن يخوفوا بها عباد الرحمن . والقرآن كثيراً ما استنكر هذا الخوف رافضاً دوافعه ، ومظاهره ، وانفعالاته . وطالما أورد مواقف تصدق فيها المشركون بقدرات آلهتهم ، وحدروا الرسل من سخطهم وويلاتهم . والرسل عليهم السلام يسمعون محوقلين (١) ، ويتحدون مستهزئين .

(١) الحوقلة قولك لا حول ولا قوة إلا بالله استنكاراً أو تعجبًا أو قأسفاً وتحسراً

حكى القرآن عن قوم هود وسجل الحوار الذى دار بينهم هادفا  
ـ مقتنا من جانب ، وطائشاً أرعن من جانب المشركين ( ان نقول الا  
اعتراف بعض آلهتنا بسوء ، قال انى أشهد الله وأشهدوا ، أنى برىء  
ما تشركون من دونه فكيدونى جمیعا ثم لا تنتظرون . انى توكلت  
على الله ربى وربكم ، ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ، ان ربى على  
صراط مستقيم ) هود ٥٤ - ٥٦

ويعرض في موقف آخر هذا الصالل المبين مستنكرة مبيناً أن  
القدرة والقوية والعصمة والعزة المطلقة لله وحده لا شريك له معقلاً  
على قولهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لتفتن عن شتم آلهتنا ،  
أو لتأمرنها فلتختبنك ( أليس الله بكاف عبده ، ويخوفونك بالذين من  
دونه ، ومن يضل الله فما له من هاد . ومن يهد الله فما له من مضل  
أليس الله بعزيز ذي انتقام ) الزمر ٣٦ - ٣٨

ومثل هذا الخوف الشركي يتغلغل حتى يغشى الضمائر ، ويختيم  
بجذوره على السرائر حيث يسرح منها أو يكمن فيها حتى يجلبه الذي  
يعلم السر وأخفى في الدنيا أو يوم تبلى السرائر . وظنني أن التسمية  
« خوف السر » توحى بالعلاقة التي بين هذا الخوف وبين السرائر .  
أما تسميتها بخوف الشرك فلأنه الشرك عينه . وخوف السر ، أو الشرك  
ان تعلق بغير المولى كان شركاً بواحا . اذ هو حق الالهية ومقتضى  
الربوبية . ولذا نرى الخليل عليه السلام يبذل غاية جهده كى يشجبه ،  
وينزله عنه نفسه ( وحاجه قومه قال أتحاجونى في الله وقد هدان ولا  
أخاف ما تشركون به ، الا أن يشاء ربى شيئاً ، وسع ربى كل شيء  
علمًا أفلأ تتفكرون . وكيف أخاف ما أشركتم ، ولا تخافون أنكم  
أشرکتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً ، فأى الفريقيں أحق بالأمن  
ان كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم  
الأمن وهم مهتدون ) الأنعام ٨٠ - ٨١

وهذا الخوف الشركي يدفع بمحاسمه جل المجتمعات التي تتتبّع

إلى الإسلام وهي غارقة إلى الآذان في طوفان الشرك . تقدس الأضحة ، وتسأل الموتى . تؤله الرعاة ، وتركت لمراكز القوى . تحكم إلى الطاغوت ، وتتبذل شريعة المولى تتنفس في العرض الحاضر ، وتتکفر بالأجل الصادق . يختلون ، ويغدرون ، ويمارون ، ويبعيون دينهم بدنيا غيرهم يؤولون ، ويحرفون ، ويدلسون ويشترون بآيات الله ثمنا قليلا . إلى غير ذلك مما هو أنكى من ذلك .

وخوف السر إذا التبس بالشرك فلم يخلاص لله أحدث في السريرة بؤرة متقحة تعشش حولها صنوف الخوف الأخرى فيغدو منها المؤء خائفا من لا شيء ومن كل شيء . وهو قد ياتح من السلطة ما يبستر به خوفه وما يجعله يتتمر فييعوي ويصبح وهو يتغير في أذیال الجبن — صيحة فرعون « ذروني أقتل موسى » وما من أحد يحجزه أو يمنعه اللهم إلا الخوف المعشش في أعماقه .

وأمثال هؤلاء يخالفون وهم في موقع السلطة من الحق ، ومن الدين الذي يقذف بالحق على الباطل فيدمجه ومن الوعي ، ومن الوحدة ، ومن الأمة المتألفة ، ومن الرواج الذي يتتيح للأمة أن تنتظر وتقدر وتتقد . . . الخ .

وإذا نحوا ( بضم النون والراء المضمومة المشددة ) عن موقع السلطة فقدوا الوزن ، واضطربوا . وجبنوا جبن النعام وتهاؤوا مرتعشين إذا جاءهم يطلبهم شرطى صغير كانوا يسخرون منه بالأمس .

وهذه الروح السفلية مبعثها تشعب مسالك الخوف ، وتعدد رناته نتيجة تأصل الخوف الشركي الذي يجمع حوله الهوام ، ويصيّب السرائر بالعفن ، ومن هذا المنطلق — منطلق خوف الشرك في السر والعلن ، ومنطلق البؤرة الممتلئة بالهوام والعفن — شاعت أمثلة الذل فرددت الألسنة عبارات ذليلة منها : —

« العين متعلاش على الحاجب » « الميه متجريش في العالى »

« اللئى يتجوز أمى أقول له يا عمى » « اليد التى لا تستطيع أن تلويها قبلها » « لو كان لك عند الكلب حاجة قل له ياسىدى »  
انها كلها أبخرة العفن تتضاعد من بؤرات شركية متقيحة الأعماق •  
وخوف الشرك هو المفاعل الذى يولد سائر أنواع الخوف ،  
والذى يمدھا بأرياح العفن ، وينفح فيها حتى تتفجر ، فتختنق بالدخان ،  
وتقذف بশظايا تعصف بالكيان •

ومجمع الخوف المشيد على قواعد من شرك هو الذى يغرس  
بالكذب ، ويحمل على النفاق ، ويدفع للرياء ويحضر على الجمع والاباعء ،  
ويبحث على اغتنام الفرص السوداء ، ويغرس بالسلب والنهب والمدعون  
كلما ساعدت الظروف ، وأمنت — بالبناء للمجهول — الصرف •

وهكذا تمضي الدنيا ملوثة ، ويضحي العالم غابة ، ويمسى المجتمع  
كله مجتمع رعاديء • يشتملون بكل أخلاق العبيد •

ويظل ذلك المفاعل يولد ، ويولد حتى يتکاثف الغاز ٰ ويترافق  
الدخان فيضل الناس عن سبيل الأوبة والرجوع • وعندهـ يستمر  
تدحرج الناس الى جرف هار ينهر بكل المؤسسات نحو النار ، ويستمر  
تساقط الناس في المهاوى السحيقة حيث السابع ، وحيث الضياع •  
وذلك مصدق قول الله سبحانه ( ۰۰۰ ) ومن يشرك بالله فكأنما خر من  
السماء فتخطفه الطير ، أو تهوى به الريح في مكان سحيق ) من  
سورة الحج ٣١

ذلك هو خوف السر أو الشرك • وتلك مفاعلاته • وال المسلمين  
اليوم يحملون أوزارها ، ويعيشون أوضارها (١) فهل يصلحون لأن  
يكونوا حملة وسام الكمال أو قدائق تصيب جحافل الأعداء باليأس  
والقنوط ؟

بخارى احمد عبده

يتبع ان شاء الله

---

(١) أوساخها ومحاسدها

# نفحات قرآن

## بقلوب بخارى احمد رعبيه

قال الله تعالى : - « اليوم يئس الذين كفروا من دينكم ، فلا تخشوهם ، واحشون » ٠٠

في حديثنا عن توحيد الرجاء ، والخوف مضينا نقتنس من نفحات « فلا تخشوهם واحشون » ونفتقد (١) ( بتشديد التاء المكسورة ) من رقق (٢) خوف السر ، وشرك السريرة . وننتبع أصداهم . تتعدد في مفازات (٣) القلوب ، وذبذبات المشاعر .

ورحنا يومئذ نقدر النظام (٤) الذي يجمع بين رعدة الخوف ، وقشعريرة التقوى ، ورجع الخشوع ٠٠ وبين هدأة الرغب (٥) ، وحرارة الرجاء ، وسكينة اليمان .

ورأيناها جميعها مظاهر لصدق التوحيد ، وشواهد على الاخبار ، وأسلام الوجه لله فاذا جحيت (٦) ( بالبناء للمجهول مع تشديد الخاء ) القلوب ، وارتجمفت المشاعر وأفلس الوجدان عربدت دواعي الخوف ، وضلت ، وأحدثت في الأعمق مباءات منخورة متقيحة تقذف بالقبح ، وتحتضن الجراثيم ، تتمو ، وتسرح تغتال الأقدار ، والأوزان ، وتهدم الجوهر والأعراض .

(١) نشق ، وفتح .

(٢) ضد الفتق اي من استغلاته .

(٣) المفازة الصحراء المهلكة .

(٤) النظام سلك اللؤلؤ ونحوه .

(٥) هدأة الرغب اعتداله واتزانه .

(٦) جحيت : نكست على رأسها .

وضربنا يومئذ أمثلة هيأكل مرسومة تستمد ذاتيتها من المنصب،  
والموقع ، والكرسى حتى اذا فاصلوا الموقع ، وزايلوا الكرسى تلاشوا،  
وهانوا بعد أن كانوا . وعاشوا يتصدقون بأمثلة الذل ، ويلوذون  
بأخلاق العبيد ، وشعارات الهوان . فكانوا بذلك مصداق قول الله  
سبحانه ( اذا رأيتم تعجب أجيالهم ، وان يقولوا تسمع لقولهم .  
كأنهم خشب مسندة . يحسبون كل صحة عليهم ، هم العدو ، فاحذرهم ،  
قاتلهم الله أنى يؤفكون ) المنافقون .

والمؤسف أن جل الرؤوس المسلمة التي تتقدّر ، وتزود ، صنعوا  
( بالبناء للمجهول ) على عين الأعداء ، وخلصوا لمخططاتهم ، ووطّنوا  
( بالطاء المشددة ) كل من وراءهم مجمع ذلك الخوف المثير (١) ، فلا  
عجب اذا غدوا جميعاً أخيلة ظل لا تصد عوادى ولا ترد كيداً ، ولا  
تزود عن حمى ، وعدنا كما قال الشاعر : -

نامت نواطير (٢) قومى عن ثعالبها (٣) . وقد بشمن (٤) وما تغنى العناقيد  
ذلك لأننا اشتغلنا اشتغال الصماء (٥) بخوف السر ، وأخلاق  
العبيد ، وضربنا في أودية الشرك نصول فيها ونجول ونطلب الطعن  
وحDNA والنزال .

### خواف التفريط

هو افراط في خشية الناس يسلم الى التفريط في جنب الله  
ويصرف عن التقوى ويعقب الندامة والحرارة شأن اي اسراف على  
النفس ، او اي نبو عن الله وانصراف عن منهجه .

(١) المهلك .

(٢) الحراس .

(٣) كنایة عن المغيرين المكرة .

(٤) امتنان وشبعن .

(٥) اشتغال الصماء ان تختلف بالكساء فتشد به جسمك شدا محكماً  
يعوق عن الحركة ويبرز العورة . والرسول صلى الله عليه وسلم نهى  
عن اشتغال الصماء .

وظني أن آيات الزمر تكر (١) – ضمن من تكر – أصحاب هذه النزعة النابية حتى يتداركوا أنفسهم قبل الفوات « وأنبِيوا إلى ربكم، وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تتصررون ، واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم ، من قبل أن يأتيكم العذاب بعنة وأنتم لا تشعرون . أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ، وان كتت لمن الساخرين . أو تقول لو أن الله هداني لكتت من المتقين . أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة فأكون من المحسنين » ٠٠

والإنابة المعنية هنا هي الرجوع إلى الله . كما أن الإسلام – في الآية – أن تستخلص النفس بكل قواها الوعائية لله ، وأن تجنبها شوائب التهافت على غير الله . وهذا الأمران هما قوام التوحيد – اقبال على الله ، واجتناب كل ما عداه – وبهما تتفتح آفاق الرشد ، وتوصد (٢) مسالك الغي واليهما تتجذب الفطر السوية ، وتعشو (٣) بلا اكراه . وعلى ضوئهما يسفر (٤) المنهج ، ويشرق الطريق . وعلى أجنبتهما يكون التحليق ، ويلاذ بالعروة الوثقى . وصدق الله : « لا اكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي ، فمن يكفر بالطاغوت ، ويعؤمن بالله ، فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام (٥) لها ٠٠ »

البقرة ٢٥٦

والإنابة والإسلام يحتمان على المسلم المنيب :

١ – الاقبال على الله بكل الحب . فإذا بلغ المرء بحبه هذا المستوى الرفيع ضمن أن يرتد رجع هذا الحب مشرقا زكيانا نديانا إلى الملائكة والناس . والانحراف بهذا الحب عن هذه الجادة (٦) الميمونة

(١) الدفع بجمع الكف .

(٢) توصد : تغلق .

(٣) تعشو : تتجه وتقصد .

(٤) يسفر : يكشف .

(٥) لا تنحل .

(٦) الجادة : الطريق والجoward : الطرق .

الى جواد (بتشديد الدال) أخرى يعد شركا واتخذا للأنداد ، وظلموا  
يودى الى عذاب « ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم  
كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله ، ولو يرى الذين ظلموا اذ  
يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب » البقرة ١٦٥

٢ - كما يحتمان الاقبال على الله بكل الخشية . فإذا بلغ المرء  
بخشيته هذا المستوى ضمن أن يرتد رجع هذه الخشية الحالصة لله  
إلى قلبه ببردا وأمنا وسكونا . وإلى الناس حيث تحس قلوبهم نحوه  
بالهيبة ، والوقار ، وبمزيد من حب .

والانحراف بهذه الخشية عن هذه الجادة الى جواد أخرى يعد -  
فذلك - شركا واتخذا للأنداد استوجب من الله التنديد ( ٠٠٠ ) اذا  
فريق منهم يخبيئ الناس كخشية الله أو أشد خشية ( ٠٠٠٠٠ ) النساء

٧٧

وخوف التفريط كخوف السر مناف لكمال التوحيد ، فلا عجب اذا  
نسب الى الشيطان بعد آيات تشيد بمؤمنين كمل ايمانهم فعلت أرواحهم ،  
وزكت أفعالهم ، وأضحوها كيد الناس ، وغيظ الشيطان ( الذين قال  
لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا ، وقالوا  
حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم  
سوء ، واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم . إنما ذلكم  
الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوه ، وخفون ان كنتم مؤمنين )

آل عمران ١٧٣ - ١٧٥

و واضح أن الآية الثالثة من هذه الآيات تكشف دور الشيطان  
وتؤدي بأنه وراء هذا الخوف يذكر لهيبة ، ويضم به أولياءه ثم يحدوهم  
إلى مهاوى التفريط ، والعصيان والهوان .

والله الذي وقى عباده كيد ابليس ، يتعاهد المؤمنين بفضله ،  
ويتداركهم بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، حتى لا يقعوا  
في شباك الشيطان وأحبابه جنوده .

ولقد وقفنا عند قول الله ( أليس الله بکاف عبده ويخوفونك  
مالذين من دونه ) الزمر ٣٦

والآية تتصدرها همزة تستهدف التقرير ، وتسجل الأفكار .  
فبعد الله بحكم هذه الهمزة مكفى مجزى يعلو على هواجس السوء ،  
ويستذكر مجرد التفكير في امكانية تخلي الله عن عبده المؤمن . والمؤمن  
اذا ستحكمت فيه هذه المعانى سخر من كل دواعي الخوف ، واستهان  
بكل حيل الشيطان . وبلوغ هذه المنزلة الرفيعة هو عين الهدایة التي  
يمن بها الله على عباده . والهوى ( بضم الهاء وكسر الواو ، وتشديد  
الباء ) في بؤر الخوف المارجة تحت أقدام الشيطان هو عين الفضالة  
( أليس الله بكاف عبده ، ويخوfonك بالذين من دونه ، ومن يضل  
الله فماله من هاد . ومن يهد الله فماله من مضل أليس الله بعزيز ذي  
انتقام ) الزمر ٣٦ ، ٣٧

ان الآية (أليس الله بكاف) بمجازاتها الصادعة التي تكاد تكون  
قسما ، شفاء لصدور قوم مؤمنين .

ونقف معاً وقفه واعية عند آية تقرر أن التداعى في مواجهة المحن ، وأن الذوبان من خوف الناس انسلاخ عن الإيمان ، واستهانة بل كفر بما عند الله ( ومن الناس من يقول آمنا بالله ، فإذا أُوذى في الله حمل فتنة الناس كعذاب الله ) العنكبوت ١١

فكان المؤمن من مقام اليمان السامق يرى ببصر حديد كل ما تحجبه الغفلات عن غيره ، ويقدر مقام ربه فيري بعين اليقين نذر الوعيد قبل بشائر الوعد ، وحينئذ تصغر أمامه الدنيا وما حوت ، وييهون سراؤها وضراؤها ، وشدتها ورخاؤها . ويكون بحيث لا يغريه ذهب المزع ، أو يرهبه سيفه ، بحيث لا تحرقه فتنته أو تفتنه محنـة ، أو تأسـره منه . بعيداً عن دخـن الخوف ومـظـان التـفـريـط في جـنـبـ الله .

هكذا يكشف القرآن ايقاع الخوف ، ويرصد دبيب الشرك المنبعث

من نوازعه حتى يقطع المؤمن مسيرته إلى الحق نقى ، سلماً لله .  
متحرراً من أعباء الطين ، وضغوط الهوى وآثار الشيطان .  
والمسنة النبوية وقفت بدورها عند قضية الخوف وقفات هادبة  
فيها تذديد بخوف التقرير ، وتحقير من شأن كل هلوع منوع جزء  
يلهث ان تحمل عليه أو تتركه .

روى ابن ماجة عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم أنه قال : — ( لا يحقر أحدكم نفسه . قالوا : — يا رسول  
الله . كيف يحقر أحدنا نفسه ؟ قال : — يرى أمراً لله فيه مقال ثم  
لا يقول فيه ، فيقول الله يوم القيمة : — ما منعك أن تقول في هذا  
وكذا ؟ فيقول : خشية الناس . فيقول سبحانه : — فليأي كنت أحق  
أن تخشى )

وفيما رواه ابن حبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : —  
( من التمس رضا الله بسخط الناس رضى الله عنه ، وأرضى عنه  
الناس . ومن التمس رضا الناس بسخط الله عليه وأسخط  
عليه الناس )

وخوف التقرير — كما اتضح — وليد مراقبة الناس ، والحرص  
على فتنتهم ، وركوب المحظور من أجل ارضائهم . والحق أن من  
التمس رضا الله كفاه الله مئونة الناس . ومن التمس رضا الناس  
وكله الله إلى الناس وذلك هو الخسران المبين .

وهؤلاء الذين آثروا رضا الله ، وخافوا مقامه مخلصين ، ورأوا  
قضاءه وتصاريفه في كل هالكة تغشى فتفقد الناس الصواب . هؤلاء  
هم خلفاء الله في الأرض ، وهم سدنة دينه وعمار بيته ( إنما يعمـر  
مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ، وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة ،  
ولم يخش الا الله . ) التوبة ١٨

أما الذين يربّون الناس متفانين ، ويخشونهم متھالكين فهم  
سريعاً ما يخرون للأذقان ويعطون الدنيا في دينهم مستسلمين .

وخوف التفريط — كخوف السر — يعم مجتمعات المسلمين فيوردهم موارد الملاك ، وينزلهم منازل التقاضي ، والاممية ، والاستذاء ، والنفاق ، واللا مبالاة ، والاغمام والتتحقق لكل ناعق ، والتلهيل لكل باغم (١) ، وتکثير سواد كل جائز غالباً ٠٠٠ الخ

كل ذلك والقرآن ينعي عليهم خوفهم ، واستذاءهم ، وايثارهم حظوظ الدنيا ، واستمرارهم السلبية البغيضة التي تؤذن بالكفر ، وتنم (٢) عن المادية ، وتنسلم للأغلال ٠

وهذه المعانى المرذولة تروج تحت أسماء مبتكرة أو مفترأة ما أنزل الله بها من سلطان ٠ تروج تحت ستار التقدمية أو السياسة أو الوحدة الوطنية ٠٠٠ الخ

ونقرأ هنا — مستشفين مستهدين — قول الله : — ( انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا ، للذين هادوا ، والربانيون ، والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله ، وكانوا عليه شهداء ٠ فلا تخشوا الناس واخشون ، ولا تستتروا بآياتي ثمنا قليلاً ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ) المائدة ٤٤ فنحس أن الآية تحيط بالقمة والقاعدة ، وتنعى على علماءسوء ايثارهم العرض الحاضر على الدين والأجل الصادق ٠ وتصورهم يرقضون رقصات النفاق في حلبات الهوى ٠ فوق أشلاء القيم :

١ — تنتهي على الحكام أن ينحرفو بالحكومة ويمضوها على خلاف ما أمر الله به ٠

٢ — وتنعى على السادة أن يطوعوا الدين، ويفتروا على الله الكذب،

---

(١) البغام الصياح بصوت رخيم ٠ والمقصود لكل من يغنى عليهم ٠

(٢) تنم : تكشف ٠

ويغيروا ويحرفوا تخاذلاً وذلاً ، أو تملقاً وتهافتًا ، أو محاباة وتزلفاً ،  
أو ولاءً وتقرباً لعسكرٍ غربيًّا أو شرقيًّا ٠

٣ - وتنعى على الرعية أن يرضوا بالدنيا ، والسلبية ، والأمعية ،  
أو أن ينسلخوا عن آيات الله غفلةً أو جبناً ٠

ونقرأ — مستشفين مستهدين — آيات عبرناها عبوراً رفيقاً ٠ يربأ الله فيها بالمؤمنين أن يهنووا ساعة يستنفرون ٠ أو يثقلوا إلى الأرض يوم يجتathon (بالبناء للمجهول) أو يقيموا — وهم المؤمنون — وزنا لأعداء الله وجنده الشيطان ٠ ويعرض خلال ذلك صورة كالحة لفريق خوار لم تداخل قلوبهم رزانة اليمان ٠ ويسوق كل هذا وعظاً للمؤمنين وزجرًا للمترنحين (ألم تر إلى الذين قبَل لهم كفواً أيدِيكُم ، وأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية ، وقالوا ربنا لم كتب علينا القتال ، لو لا آخرتنا إلى أجل قريب ٠ قل متع الدنيا فليل ، والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلاً ، أينما تكونوا يدرككم الموت ، ولو كنتم في بروج مشيدة ٠٠٠٠٠ ) النساء ٧٧ — ٧٨

فإذا كان الموت محققاً ، والمتع الدنيوي محدوداً ، والكائنات جميعها ظلاماً زائلاً ٠٠ ففيما الخوف ؟

وحسينا تربية في هذا المقام ما حكاه القرآن عن سحرة فرعون :  
(اقض ما أنت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا ) طه

### خسوفٌ وعيده الله

وهذا الخوف طابع المؤمنين ٠ والقرآن يمتدح هؤلاء المؤمنين في آيات كثيرة ٠ من ذلك قول الله : — ( ٠٠٠ ذلك من خاف مقامي ، وخاف وعيدي ) إبراهيم ١٥ وقوله سبحانه ( ولمن خاف مقام ربه جنستان ) الرحمن ٠ وكذلك قوله سبحانه : — ( قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين ٠ فمن الله علينا ووقعنا عذاب السموم ) الطور ٢٧ — ٢٨ ومن ذلك

• )يوفون بالنذر ويختلفون يوما كان شره مستطيرا ( الدهر \*

هذا هو الخوف المحمود ، ولكن بشرط ألا يفضي إلى اليأس والقنوط ( قال ومن يقنت من رحمة ربها الا الضالون ) الحجر .  
والمؤمن — محفوفاً بهذا الرعب ، وبمثله من الرغب — يقوم مقاماً وسطاً يقيه الجنوح والجموح والافراط والتقريط .

الخوف الغرزي المليون

١٠٠٠ ألم لا ينفعه ذلك؟! إنما ينفعه ذلك أن يخافوا من العذاب الشديد الذي سيطر عليهم على الأذمة نذير  
٠ (ردة فعل وعامل المهاجر) ، وبيان المؤمنين أنهم يجهولون بالمعنى دونهن ، وأن يتعشوا  
لهم مقاعدهم ، وأن يبيدوها ، في مساحاته الجبار ، خذونه أنت يهلك من هو بعده بولة  
باطل ، وأن يقيموا حدود الله دون أن يخشوا سطوة ملائقة (١٠٠٠)  
أ تخشونهم فما ألهكم عن الحق إلا أن تخشواه لمن لعكتكم عموماً فهم العذاب الشديد

تائی غلام بخاری احمد عبدہ

(١) الخشبة هنا ليست على يابها بل هي كنادة عن المبالغة في مثابة عادات الناس .

# نفحات قرآن

## بـِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« تبت يداً أبى لوب وتب . ما أغنى عنه ماله وما كسب .  
سيصلى ناراً ذات لهب . وامرأته حمالة الحطب . في جيدها حبل من  
مسد » .

في عدد شوال ١٤٠٢ من مجلة التوحيد عشنا مع هذه الآيات  
التي ترجم زوجي سوء سبق عليهمما القول . وترفعهما مبتدلين ، مغلولين ،  
إلى النار ، يدعان وحولهما تحوم أسراب قاتمة وأحداث فيها من  
عقوق البنوة ، وضلال الأبوة ، وجود الأخوة ما فيها .

وانتهينا ونحن نستعرض هذه المعانى التي غبشت تاریخ الانسان  
إلى زوجي السوء و موقفهما الذي لا يضارع في ايجابيته ، وملاسباته .  
وهو موقف ربما بدا شخصيا . والحق أنه مرآة تعكس من  
مزاق العصر ، وتكشف من الأشخاص والأحداث والأهواء ما تبصره  
مجسما ملماوس الغدوات والروحات . تترافق أطيافه من حولك  
وتتواثب على مسرحك . وكأن البشرية حلقة مفرغة تدور ، أو ايقاع  
رتيب ولكن بتوزيع موسيقى جديد .

والسورة - بایماظاتها - مثل حى لكل آثم حاقد ، مثل حرى  
أن يقيم الأخادع المصعرة ، ويتصدع كـ مبطل جاحد يتذكر للحق ،  
ويكفر بالقيم ، ويقطع الأواصر ، ويطرح - في غير آثم - لحمة  
النسب . كذلك تشي ايماظاتها بالمنحرفين في كل أوان ، وتنتزل لعنة  
الله والملائكة والناس أجمعين على الالهيين في كل زمان ، ومكان .

وهي فوق كل هذا قمة في العدالة ، ومثل يعلن — كما ذكرنا — باستمرار أنه لا مسؤولية في الإسلام « فإذا نفح في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ، ولا يتسائلون » المؤمنون • والصور نذير بمحن القيامة ، كذلك الإسلام نذير بين يدي عذاب شديد •

والمولى سبحانه يقص علينا القصص ، ويزجي التجارب ، ويسوق العبر ، كى تستقر في دنيا المسلمين ذخائر ، وأصول تربية ، ومنابع خبرة ، تهدى في المسيرة الشاقة المضنية ، وتعصم من كل قاصمة يسددها الشيطان إلى ظهر اليمان • ومن كل غائلة تخفيها الليلى ، أو تخبيئها لنا الأيام « لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب ، ما كان حديثا يفترى ، ولكن تصدق الذي بين يديه ، وتفصيل كل شيء وهدى ، ورحمة لقوم يؤمّنون » يوسف •

والبشرية تلتقبس بدكتة الجبلة ، وعفن الحما المسنون • وهذا الغبش ( الظلمة ) الذي يخيم على ركبها خبث بشري كخبث النحاس ، أو صدا الحديد يتتصاعد من تلك الدكنة وذلك العفن • مفعما بالرّين ( الدنس والخبث ) •

والبشرية لا تزال تفرز من خبثها قدرًا يموه الوجه الطيب ، ولن تبرح تقذف بزبدها حتى يعشى الحق فيدق الفيصل بين الباطل والحق • والكبير ( زق ينفح فيه الحداد ) الذي ينفي الخبر ، ويفصل الزبد هو هذا الدين بكل هدایاته وآياته التي تحتم اليقظة ، والمثابرة ، وتفرض الحركة الوعية البصيرة •

ولعل القرآن الكريم — أيامه إلى مثل هذا — ضرب مثل الأودية بأمواهها ، ومثل الذهب يفتتن على موافق حتى يخلاص النصار ، ويذهب الزبد « أنزل من السماء ماء فسألت أودية بقدرها ، فاحتمل المسيل زبدا رابيا ، وما يوقدون عليه في النار ابتلاء حلية أو متاع زبد مثله ، كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فاما الزبد فيذهب جفاء »

وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ، كذلك يضرب الله الأمثال »  
الرعد ٢٠

ذلك يضرب الله الأمثال ، وينوع المواقف حتى تنضج زادا  
لأيام النهاريق ، وتغدو أمصالا ، وتجارب تحسن أو تسعف كلما  
تجددت الظروف ، وتكررت الظروف ٠

ولقد استعرضنا - في مقال شوال ١٤٠٢ - موقف لهبية تنطق  
بالشذوذ ، وتشى برجولة مهراقة تحت أقدام النساء ٠

والعجب أن يصدر مثل تلك المواقف من عربي يخضع لقانون  
العصبية ، وتحكمه روح المعانى التى طالما تعنى بها الشعراء من نحو  
قولهم : -

لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا  
ومن نحو قولهم : -

وما أنا الا من غزية ان غوت غويت ، وان ترشد غزية أرشد  
وأعجب العجب أن يكون ذلك العربى في مقام الوالد ، ثم  
يستطيب أن يقف من ابن أخيه تلك المواقف الشائنة الخائنة : يتعقبه  
ويغرى به ، ويذنبه ، وبيؤذيه ٠٠٠ الخ ٠

### مس أننى

ونحن اذا تعمقنا الأجواء النفسية المحيطة بزوجي السوء حكمنا  
بأن فعال أبي لهب لا تتأتى الا من امرىء مشغوف ، سبته أننى  
فاستثارت بمشاعره ، وسلبت ارادته ، وسللت تفكيره ، ثم أطلقته  
فانطلق موجها (بفتح الجيم المشددة) ، منوما (بفتح الواو المشددة)  
يعرف ، ويخرف ، صبوته صبوتها ، وبجدته بجيتها (أصله أصلها)  
والله هوها ، وأمره اليها ٠ وصدق رسول الله « ما أفلح قوم ولوا  
أمرهم امرأة » ٠ والحق أن حمالة الحطب - أخت أبي سفيان -

أروى بنت حرب بن أمية — كانت سفيانية المشرب ، أموية المنقلب . وكانت بشخصيتها الطاغية تأخذ بناصية زوج السوء وتنفذ منه موقف المنوم المغناطيسي من وسيطه .

ولقد كانت — كعشيرتها — يُورقها أن تخلص السيادة لبني عبد مناف ، وأن توفر لهم النبوة أسباب السيادة التي لا تدانى . فراحوا يرددون بلسان الحال مقالة أبي جهل « تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف . أطعموا فأطعمنا ، وسقوا فسقينا ، وحملوا فحملنا حتى إذا تحاذينا على الركب وكنا نحن وهم كفرسى زهان قالوا : منا نبى يوحى إليه ؟ فمتنى ندرك ذلك ؟ والله لا نؤمن به أبدا » .

وإذا كان ذكران العشيرة يخططون بطريقتهم فلتتجند هي كل خصائصها الأنثوية من : كيد ، ومكر ، وأغراء ، وأشارة ٠٠٠ الخ للتقطع الشجرة بفرع من فروعها ٠

وانطلق أبو لهب أهوج فاقد الوزن يحقق لعشيرتها ولها ما تريده .  
ويشيع أن محمداً صريح يتخطى شيطان . وأن قومه يتتكلفون بغية  
ابرائة فوق ما يتصور . وأن ٠٠٠٠ وأن ٠٠٠٠ وأن ٠٠٠٠

وهذا التحليل ليس بداعاً . فالتأريخ مليء بأخبار الرجال الذين أراقو معايير الرجال قرباناً بين أقدام النساء ، والحاضر يتحدث عن رعاه ذلوا للأنوثة ، وانقادوا للأنوثة وأطلقو للقرينة العنان تحمل وترحل ، وتحل وتربط ، وتشيرع فتمكن للمرأة وتسلب الرجل قوامته وفضله وتقدهمه . والعجيب أن كثيرون محسبي النساء همروا فكانوا مصداق قول الله : - « كم تركوا من جنات وعيون . وزروع ومقام كريم . ونعمة كانوا فيها فاكهين . كذلك وأورثناها قوماً آخرين . مما بكت عليهم السماء والأرض ، وما كانوا منظرين » الدخان

والأنوثة فيض المرأة ، فهى دائمًا تخفق بالعواطف ، والبيت حلمها وملكتها الفسيح . والقرآن يمتدح خير النساء بالاكتان فيقول:- «كأمثال النؤلو المكنون» ويقول: «كأنهن ببیض مكنون» ويقول: «حور مقصورات في الخيام» فإذا انسلخت كانت كلاماء المسكوب ماله إلى وحل .

بل الإسلام نفسه يحدثنا عن رجال مترنحين . فقدوا أمام اغراء الأنوثة أقدارهم وأوزانهم . وانطلقوا خلف ربات الرجال يلهثن ويلهثن . ومن ذلك :-

قصة بريرة فلقد روى في الصحاح أن عائشة رضي الله عنها اشتربتها وأعتقتها . فخيرها رسول الله - بحكم نعمة الحرية التي من الله بها عليها - بين أن تبقى في عصمة زوجها - مغيث - وبين أن تنفصل فاختارت الانفصال .

في البخارى عن ابن عباس رضي الله عنهمما قال : كان زوج بريرة عبداً أسود يقال له مغيث . كأنى أنظر إليه يطوف خلفها في سكك المدينة ييكل ، ودموعه تسيل على لحيته ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم للعباس : يا عباس ألا تعجب من حب مغيث بريرة ، ومن بعض بريرة مغيثا ؟ . فقال النبي صلى الله عليه وسلم لبريرة لو راجعته . فقالت يا رسول الله : أتأمرني ؟ قال : إنما أشفع . قالت : لا حاجة لي فيه .

وقصة مهاجر أم قيس متداولة محفوظة . فقد ذكر ابن دقيق العيد ، والطبراني وسعيد بن منصور عن ابن مسعود : أن رجلاً هاجر من مكة إلى المدينة لا يريد بذلك فضيلة الهجرة . وإنما هاجر ليتزوج امرأة تسمى أم قيس . فكان يقال له مهاجر أم قيس قالوا : - وإليه ألم رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث «إنما الأعمال بالنيات . . . الخ» .

ومثل هؤلاء أخرى أن يكونوا من رجال الهدى . هدده سليمان عليه السلام كما روت أسطورة لا تخلو من طرافة (١) .

هذه خلاصة التفتيق لنفسية زوجي السوء . وظني أن الصورة المبتذلة التي رسّمت لحملة الخطب « في جيدها حبل من مسد » ربما عاصدت ذلك التحليل النفسي .

فهي بسلطها على زوجها قد أهدرت رجولته . وغلت عنقه بالرسن « الحبل » ووضعت في أنفه الزمام ، ثم سحبته على وجهه وجترته كما تجر الأنعام . والجزاء عن جنس العمل . فلا عجب اذا عانت - بدورها - نفس المعاناة ، وحشرت في الصورة التي ارتضتها لبعلها أو بعلها ( البعل الزوج . والبعل الحيوان المعروف ) .

ولسلطها عليه خصت بمزيد من عذاب مهين . فنوق أنها استركت معه - ضمنا أو صراحة - في كل أنواع العذاب التي حاقت بالقرين المأふون ( الضعيف الرأي ، والعقل ) .

وطغيان المرأة ، وسلطها إلى هذا الحد جريمة متعدية تتجاوز الزوج إلى الولد . فالآباء الذين ينشئون في أسرة ذات فيها رجولة الأب وطغي سلطان الأم حتى استأثرت بالسلطة وعادت وفق قول الشاعر :

---

(١) من طريف ما يروى أن سليمان عليه السلام وثق في الهدى بعد أن اكتشف ما اكتشف من أمر ملكة سبا . فجعله في مخابراته . وكلفه يوماً أن يحصي له رجال ونساء المملكة . فغاب ثم جاء باحصائية ثبتت أن عدد النساء يفوق بكثير عدد الرجال . فاستذكر الملا وكمبوا . فقال الهدى : لقد عدلت مع النساء كل الرجال الذين يأترون بأمر النساء فزاد عدد النساء زيادة كبيرة . وهذه أسطورة بلا شك ولكنى أوردتها لطراحتها ونبهت عاليها .

فتكلك أمك يعلو وجهها شنب      وذا أبوك بفستان وخلخال  
مثل هؤلاء الأبناء ينمون هدهدين ، ويينتون — على غرار أبيهم —  
فأقدي الوزن عديمي الشخصية . وكذلك كان أبناء أبي لهب . يسبقون  
أباهم إلى هوئي أمهم — أم جميل — أروى بفت حرب بن أمية —  
وكانوا ثلاثة أسلم منهم معتبر ، وعتبة ، أما عتبة فقد هلك كافرا .  
نهشة سبع .

والقرآن الكريم اذ يسجل قضية أبي لهب هذا التسجيل البليغ ،  
يقدر أبعاد مثل هذه المواقف ، وينظر إلى الجريمة باعتبارها متعددة  
تتذر بخلل يصيب أساس البنية الاجتماعي .

ولقد أورد القرآن القصة في صورة معبرة ، وعبارة منسقة ،  
ويقانع رصين فحسبتها أم جميل شعرا . روى البزار بساندته عن  
ابن عباس قال : — لما نزلت « تبت يدا أبي لهب » جاءت أم جميل .  
ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ومعه أبو بكر . فقال له  
أبو بكر : — لو تتحيت . لا تؤذيك بشيء . فقال رسول الله : — انه  
سيحال بيني وبينها . فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر فقالت له : —  
هجانا صاحبك . فقال أبو بكر : — لا ورب الكعبة ما ينطق بالشعر  
ورب الكعبة . فقالت : — ادئ لصدق . فلما ولت قال أبو بكر :  
ما رأتك ؟ قال : لا ما زال ملك يسترنى حتى ولت .

حسبته شعرا لأنه يحمل بالجرس ، ويزخر بالسخرية المزدية .  
والصورة — بهذا الإخراج — حرية أن تؤثر تأثيرا قويا يحول  
بين المسلم وبين سلوك المسك الذميم الذي يشى بالخبيل ويقدح في  
الرجولة .

بخارى أحمد عبده

# نفحات قرآن

## بِقَلْمِ بَنَارِيٍّ أَحْمَدُ عَبْدِهِ

وَشَذِّوذَا فِي الْإِنْسَانِيَّةِ ، وَلَوْثَةٌ مَرْضِيَّةٌ  
تَنْتَابٌ فَتُورَثُ التَّهَافَتُ ، وَالتَّخْبِطُ ،  
وَالْأَنْحرَافُ .

وَرَأَيْنَا الْلَّهَبَيْنِ زَمَراً ، زَمَراً  
يَخْبُونَ ( بَكْسَرُ الْخَاءِ وَضَمُ الْبَاءِ  
الْمَشَدَّدَةِ ) فِي مَجَمِعَاتِنَا وَيَضْعُونَ (١)  
يَنْطَلِقُونَ هُوَجًا ، صَمَّا ، بَكْمًا ، فِي  
الظَّلَمَاتِ ، يَنْشُرُونَ الْمَذْهَبَ الْلَّهَبِيَّ ،  
وَيَكْسِبُونَ مَعَ مَغْرِبِ كُلِّ شَمْسٍ  
أَرْضًا ، وَيَحْتَقُونَ مَأْرِبَ ، وَيَسْقُطُونَ  
( بَضمِ الْيَاءِ ) ضَحَايَا حَتَّى عَمَ بِجَهَدِهِم  
الْقِتَابَ ، وَتَكَافَفُ الضَّبَابَ ، وَزَحَرَتْ  
اللَّيَالِي بِحَمَالَاتِ الْحَطَبِ .

وَأَرْوَى بَنْتُ حَرْبَ ، حَمَالَةُ الْحَطَبِ .  
قَصْرُ سُلْطَانَهَا عَلَى زَوْجَهَا وَبَيْتِهَا .  
أَمَا الْحَمَالَاتُ الْمُعَاصِرَاتُ فَقَدْ عَظَمْ  
سُلْطَانَهُنَّ ، وَطَالَتْ أَحْبَالَهُنَّ ،  
وَاتَّسَعَتْ مَجَالَاهُنَّ ، وَتَجاوزَنَ الزَّوْجَ  
وَالْبَيْتَ إِلَى الشَّارِعِ ، وَالْمَنْتَدِي ،  
وَالْدِيَوَانِ ، وَالسِّيَاسَةِ ، وَالْوَزَارَةِ  
... الخ . وَأَخْضَعُنَ بِحُكْمِ الرَّغْبَةِ  
طَابِعَ الْعَصْرِ ، وَصَبَغَةَ الْجَمَعَاتِ رَقَابًا ، وَبَوْئَنَ ( بِالْبَنَاءِ لِلْمَجْهُولِ )

بَعْدَ أَنْ كَانَتْ قَبْلَ اسْتِثْنَاءِ ، بِاسْمِ الفَنِ ذَرَا (٦) ، وَاهْدَرَنْ بِاسْمِ

تَبَتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَ . مَا أَغْنَى  
عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ . سَيَصْلَى نَارًا  
ذَاتَ لَهَبٍ . وَامْرَأَتُهُ حَمَالَةُ الْحَطَبِ .  
فِي جَيْدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ .

### اللهَبِيَّةُ الْجَدِيدَةُ

لَبَثَنَا مَعَ هَدَائِيَّاتِ « تَبَتْ يَدَا .. »  
نَتَمْلِي (١) ( بِتَشْدِيدِ الْلَّامِ الْمُفْتَوَحَةِ )  
وَنَقْتَبِسْ بُواْرَقْ نَفَرَغَهَا عَلَى اللَّيلِ  
الْبَهِيمِ ، الَّذِي تَمْطِي بِصَلْبِهِ ،  
وَنَاءَ (٢) بِكُلِّهِ ، وَتَعْسَفْ ( بِتَشْدِيدِ  
السِّينِ الْمُفْتَوَحَةِ ) فَخَجْبَ بِسَدُولِهِ (٣)  
الْمَرْخَةُ مَدَارِكُ الْمُسْلِمِينَ . نَفَرَغَهَا  
وَنَحْنُ نَتَمْتَمْ : - « أَمَا آنَ لِلَّيْنِ  
أَنْ يَنْجُلِي » وَمَكْتَنَا نَسْلَطُ مِنْ حَرَارَتِهَا  
عَلَى أَطْبَاقِ الْجَلِيدِ الَّتِي تَقْعُمْ (٤)  
دُنْيَا الْعَرَبِ لَعْلَهَا تَذَوَّبْ فَيُسَرِّي  
الْدَّفَاءَ ، وَيَجْرِي الدَّمَ ، وَتَسَاحِ  
الْحَرْكَةَ ، وَتَبَيْضَ مِنْ جَدِيدِ الْقُلُوبِ .

وَبَيْنَ وَمْضِ الْبُواْرَقِ ، وَاشْعَاعِ  
السِّنَى (٥) رَأَيْنَا اللَّهَبِيَّةَ وَقَدْ أَمْسَتْ  
طَابِعَ الْعَصْرِ ، وَصَبَغَةَ الْجَمَعَاتِ رَقَابًا ، وَبَوْئَنَ ( بِالْبَنَاءِ لِلْمَجْهُولِ )

(٢) ضَغْطُ بِأَثْقَالِهِ .

(٤) تَقْعُمْ = تَهَلَّاً .

(١) نَسْتَمْتَعْ .

(٣) بِأَسْتَارِهِ .

(٥) السِّنَى = الضَّوءُ .

(٦) الْخَبَبُ ، وَالْوَضْعُ أَوِ الْإِيْسَاعُ أَنْمَاطُ مِنِ السَّيْرِ . وَهِمَا كَنْيَةُ عَنِ  
الْأَنْطَلِقَ الْمَطْلَقِ « وَالْخَنْجَلَةُ » . (٧) جَمْعُ ذَرَوَةٍ .

والتفريب ، وهى تستنقع من مستنقع المسئونية ، والروتى ، وتنتهج نهج « بروتوكولات صهيون » — راحت تثير الغرائز وتمجد الخنا وتحدو الى الضلال وتنتفن بالعهر حتى بدا الرقص فضيلة ، والجنس حرية ، والقبح فنا ، والعرى تطورا ، والتبرج تقدما ، وغدت الرجولة بما تحمل من نخوة ، وشهامة ، وغيرها ، وقوامة رجعية وتبدلها . وغدا الدين بكل قيمه — في نظرهم — عامل تخلف ، وارتداضا حضاريا ، وغفلة لا تغفر . فلا غزو اذا انطلقت الأنثى في حمى تلك القوى متبردة مارجة كالنار ، وانطلق الذكران وراءها مخدرين يتسمون ، ويلعقون ، ويصيرون (٢) . هكذا طوتنا الهيبة الجديدة واحتواها الخدر وانصرفنا عن الجادة الأصلية الى جواد تبع بالشياطين وتموج بالهوان والخزي .

### قذائف الكلام

والسورة الكريمة بكلماتها المفجرة مضت مدوية، عبر الأسماع والأفواه . ومرقت في صليل مثير ترعد ، وتبرق، وتنفذ الى زوجي السوء تصعق ، وتحطم الكيان .

ولقد أصنمت (٣) السورة بالطقطة الأولى « بت » فهى مشحونة تعتمل فيها معانى الخسارة والضلال ، والهلاك ، والاصفار (٤) من كل

التقدمية قيما ، وخرbin باسم الحرية بيotta ، وتسليان من خلال اجهزة الاعلام الى كل مناحي الحياة التى كانت — قبل — وادعة مستقرة . فأمسكت قلقة متورطة تغلق . وانبرت الأقلام المسمومة تبارك المخانيث والخنفسة ، وتفرى بالعهر ، والإجر ، وتنتفن كى تذكى اوar الجنس ، وتنذيب فى آتون (بتشديد التاء المضومة ) الجنس والأنوثة الملتيبة ما تبقى من نخوة الرجولة ، وشمخة الذكورة ، وقيم الدين . ممهدة بكل ذلك لجيل القيامة جيل لكم بن لكم كما حكت بعض الآثار .

واللку (بضم اللام وفتح الكاف) كلمة فيها من معانى الذل والحمق والتسيب والتميع ما فيها . ولقد جاء في الصحاح عن أنس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : — « ان من اشراط الساعة ان يرفع العلم ، ويكثر الجهل ، والزنى ، ويشرب الخمر ، ويقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امراة قيم (١) واحد » وفي مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تقوم الساعة الا على شرار الخلق » . واللکعية ، او اللهيبة منبت الخنا ، ومستنقع الشر ، ونذير التحلل والدمار . وأجهزة الاعلام — وهى تستهدى مدارس الاستشراق ، والتبشير ،

(١) اي يقوم بشئونهن لا انه يتزوجهن .

(٢) يصيص الكلب = حرك ذنبه . (٣) أصابت فشلت الحركة .

(٤) الخلو .

وتباب اليدين قبل تباب النفس  
ييرز المذوم أشل عاطلا كلا  
( بفتح الكاف وفتح اللام المشددة )  
يسرى في أوصاله دبيب الموت  
وتتوشه أسباب الفناء . فهو وفق  
الصورة التي رسماها النواسى وهو  
يتحرس على نفسه : -

دب في الفناء سفلا فعلوا  
وارانى أموت عضوا فعضوا  
والكلمة « بتت » في تعلقها  
بالجوارح مرة « بتت يدا .. » وفي  
تعلقها بالذات مرة أخرى « وتب »  
تشبئ عن الخسران البين في نفسه  
وذاته . وفي سعيه وكسبه وكل  
أمواله التي أطافته وغرتة . واليدان  
آللة الكسب وعدة العمل . وتبابهما  
المبكر يقطع الأمل ، ويفرض العجز ،  
ويجعل الفقر في قلبه وبين عينيه .  
وهما عدة الظلم والعدوان والدفع .  
وتبابهما بشارة للنبي وايحاء بالأمن .  
ونذير شؤم لأنبي نهب ينبع اليه  
مستقبلاه . فإذا جاء التباب الشامن  
بعد ذلك لم يجد ما يدفع به . ولم  
يجد من يذود عنه ، ولم يجد ما  
يفتدى به « ما أغنى عنه ماله وما  
كسب » من جاه وولد وأختان (٨)  
وأصهار . . . الخ مما كان يعدها  
للنائبات . ويحتسبها للملمات .  
وصدق الله « وقدمنا الى ما عملوا  
من عمل فجعلناه هباء منثورا » .  
والكلمة « بتت » صادرة عن

- (٢) عياب .
  - (٤) جاف غليظ .
  - (٦) دعى ملصق في النسب شرير .
  - (٨) أختان بفتح الألف جمع ختن
- بفتح الخاء والتاء وهم كل من كان من قبل المرأة مثل الأب والأخ .

خير . والقرآن اذ يختار هذه الكلمة  
التي تموج بالحمم ، وتقذف بالوليل  
يأتى بها موافقة لمقتضى حال امرء  
مهين (١) ، هماز (٢) مشاء بنيم ،  
مناع للخير (٣) ، معتد ، أثيم ،  
قتل (٤) . ولقد أحدقـت هذه المثـالـب  
بأبى لهب كما أحـدـقـتـ بالـأـخـنـسـ بنـ  
شـرـيقـ ، وبـالـولـيـدـ بنـ المـفـيرـةـ . فـلـاـ  
عـجـبـ اذاـ تـعـرـضـ ثـلـاثـتـهـ لـحـمـلـةـ  
قـرـآـيـةـ عـنـيـفـةـ تـقـصـمـ الـظـهـورـ ، وـتـسـمـ  
بـمـيـسـ الـذـلـ مـجـلـ النـعـمـ (ـ الـيـدـيـنـ )  
وـرـمـزـ التـطاـولـ وـالـعـزـ (ـ الـجـيدـ )  
وـمـوـضـعـ الـأـنـفـ وـالـشـمـخـةـ  
(ـ الـخـرـطـوـمـ ) (٥) .

ذلك ما تعكسه آيات سورة القلم  
« ولا تطبع كل حلاف مهين . هماز  
مشاء بنيم . مناع للخير معـتدـ أـثـيمـ .  
قتل بعد ذلك زنيم (٦) . أن كان ذـاـ  
مال وبنين . اذا تـتـلىـ عـلـيـهـ آـيـاتـناـ  
قالـ أـسـاطـيرـ الـأـوـلـيـنـ . سـنـسـمـهـ عـلـىـ  
الـخـرـطـوـمـ » (٧) .

وذلك أيضا ما تعـكـسـهـ آـيـاتـ الدـمـثـرـ  
« ذـرـنـىـ وـمـنـ خـلـقـتـ وـحـيـداـ . وـجـعـلـتـ  
لـهـ مـاـلـاـ مـمـدـوـدـاـ . وـبـنـيـنـ شـهـوـدـاـ .  
وـمـهـدـتـ لـهـ تـمـهـيـداـ . شـمـ يـطـعـمـ أـنـ  
أـزـيدـ . كـلـ اـنـهـ كـانـ لـآـيـاتـنـاـ عـنـيـدـاـ .  
سـأـرـهـقـهـ صـعـوـدـاـ . . . . . الخـ وـهـذاـ  
صـنـيـعـ الـقـرـآنـ بـزـوـجـيـ السـوـءـ . وـهـكـذـاـ  
يـفـلـ الـجـمـيعـ فـيـ سـلـسـلـةـ مـتـشـابـهـةـ  
الـحـلـقـاتـ . وـيـقـدـمـونـ أـمـثـالـهـمـ فـيـوـرـدـوـنـهـمـ  
الـنـارـ وـبـيـسـ الـوـرـدـ الـمـوـرـودـ .

(١) حـقـيرـ الرـأـيـ .

(٣) شـحـيـحـ الـخـيرـ .

(٥) الـأـنـفـ .

(٧) وـعـدـ بـالـذـلـ .

بـفتحـ الـخـاءـ وـالـتـاءـ وـهـمـ كـلـ مـنـ

عدوى العدسة — بلا دفن ثلاثة أيام حتى أنتن . ثم احتمل الى أعلى مكة . وأسند الى جدار ثم رضموا (٤) عليه بالحجارة .

والسترة — اثارة للنشاط — تنوع في الأسلوب ، وتنقل الى صيفة الاستقبال في « سيدلى نارا » والصيفتان تتفان اولاً ، وآخرته ، وتبرزانه متدرجاً في درك الخسار عاجزاً عن تمالك أمر نفسه ، وعن نجدة زوجه التي بدت في الصورة — بجانبه — ذليلة ممتهنة تتقد حلاً من ليف بدل الحطى من قلائد وعقود « وامراته حمالة الحطب . في جيدها جبل من مسد » .

وهذه الصورة التعبيرية الحالفة بالايحاء ، الناطقة بالابتذال والامتنان ، اللاهثة طى الاتصال والأغلال .. تشى بنفسية العوراء ، فهى برغم محتدها ، تنزع الى الخسفة ، وتدنو من وهدة العقد — عقد الارقاء — وتمارس حرف ( جمع حرفة ) الاماء . ذلك لأن الاحتطاب كان — يومئذ — حرفة العجزة ، وشأن الخاملين . وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطبه ... » يوحى بأن ذلك آخر الدواء ، ونهاية المطاف . فاذا

المولى . وأمره اذا أراد شيئاً ان يقول له كن فيكون . وايحاء بحقيقة الواقع وتحقق الوعيد عبر القرآن بصيغة الماضي التي تقطع بالوقوع وتحدى كل القوى التي تعاضده . وصيغة الماضي استخدمت كذلك في « ما اغنى عنه ماله ... » لتذر بضرية عاجلة توشك أن تصيبه فتجده من زينته . فليحكم لأمته (١) ، ولি�جمع ناديه . ول Ridley كيده ، وليدفع عن نفسه ان استطاع ولقد فطن أبو لهب الى ما وراء هذه الكلمات من تحد سائر نصائح : — ان كان ما يقول محمد حقاً فاني أحمى نفسي بما لي وولدي .

وكما أمضى عمره أسيير أنشى تأنى نهايته على يد أنشى . فقد روى أنه حين سمع خبر بدر ثار وفقد السيطرة على أعصابه واعتدى على غلام العباس ( أبي رافع ) وظل يضربه ويتأوره (٢) ، ويحتمله فيضرب به الأرض — وكان أبو رافع رجلاً ضعيفاً — فاعترضته أم الفضل — لبابة بنت الحارث . أخت ميمونة أم المؤمنين — وشجت رأسه بعمود من عمد الحجرة . فقتام مفلوق الدماغ يجر رجله ذليلاً . ورماه الله بالعدسة (٣) . وترك — مخافة

(٢) المثارة = المصارعة .

(٣) العدسة بثور كثبور الجدرى تنتشر في البدن وتتعفن وتقتل .

(٤) داروه بالحجارة .

ستبعث يوم القيمة حاملة أوزارها وأوزار من أضلتهم على ظهرها . وهي بلا شك سقساك في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا . وعلى أي حال فإن الصورة تعكس شح نفسها وتوحى بالحقارة والذلة والمعاناة الآلية . وهي في شناعتها وفظاعتها تبلغ مبلغ قوله سبحانه « أَيُّوب أَحَدْكُمْ أَنْ يَأْكُلْ لَحْمَ أَخِيهِ مِتَاهُ فَكَرْهَتْهُو » مما اقتلها على امرأة تدعى السيادة والشرف وتقطعن إلى أن تتبوأ مقعد السيدة الأولى على مدارج أموية وفي حمى مبادئ لهبية يؤججها دعاء على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه في النار « قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلَقَاءَ اللَّهِ ، هَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ الْسَّاعَةَ بِفَتْهَةٍ قَالُوا يَا حَسْرَتْنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أُوزَارَهُمْ عَلَى ظَهُورِهِمْ ، إِلَّا سَاءَ مَا يَرْزُونَ » الانعام ٣٢ وتتضاعف الحسرة ويعظم الخسار ويتقام الخطب وصدق الله : - « لِيَحْمِلُوا أُوزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ ، وَمِنْ أُوزَارِ الَّذِينَ يَضْلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِلَّا سَاءَ مَا يَرْزُونَ . قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بِنِيَاهِمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ . » النحل ٢٦

بخاري أحمد عبده

أخرجت أم جميل هذا المخرج وبرزت في اسمال المهانة والمهوان على مرأى ومسمع من الصب المستهان فما أحراه أن يتمزق كمدا ، ويختور حتى يخور (١) ، وما أحراها أن تنذهب خجلا وتتواري فلا يسمع لها جرس . ولا يحس لها بعد هذه الصفة دبيب . كيف وقد انحطت إلى درك الحيوانية ، وجرت كالأنعام ؟ وحملة الخطب — كالكلمات الآخريات — ترمي بالشرر ، وتشى بأمرأة نارية توقد وتتغى وتحرض وتسعى بالنمية وتؤثر نار العداوة بين الناس . ومثلها يعيش عبئا ويروح ويفدو كناfax الكير « أَمَا إِنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ ، وَأَمَا إِنْ تَجِدَ مِنْ رِيحَةِ خَبِيثَةِ » .

والصورة بكل أبعادها أاما ان تكون منتزعه من دنياها فهى كانت تحرص على أن تضع في طريق محمد عراقبيل مادية من عضة ، وأشواك ، وأقدار تطرحها على دربه وحول بيته ، وصوب بابه ، كما كانت تحرص على وضع عراقبيل معنوية في طريق الدعوة فتنشر الشائعات وتلتف الأكاذيب ، وتتغى الصدور . وأاما أن تشى بآخرتها فهى بلا شك

(١) يخور الأولى من الخوار وهو صوت البقر ونحوها . والثانية من خارت قواه اذا وهن وسقط .

# نفحات القرآن

## بقلم بخاري احمد عبده

### الآل والأهل والمودة في القراء

الم Gould عليه اذن في الاسلام هو اليمان وما يقتضيه من حب لله ورسوله لايادى . وما يفرض من جهاد شامل وحركة وتضحية بكل غال نفيس . والمتزمون بهذه القيم، الناهضون بهذه الأعباء هم بحق الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات . وهم الذين يتلقون عوائد تضحياتهم امنا وسکينة ومودة رخية طيبة « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا » مریم .

وهذه الحقائق الاسلامية البينة يجدها موتورون ، ويجهلها حمقى موزوروون يستوحون الشياطين ويفلغون في الدين . وأولئك وهؤلاء يشغلون شمال ابليس . وابليس كلتا يديه شمال .

ومن أقصى اليسار حيث سلطنة ابليس ، وحيث مرتع جنده ، ومربس عبيده انبعثت أصوات تجمعها الغواية والفضلال . وتخالف في الدوافع والغاية والانفعال .

وتحتلل الأصوات في جوقة شيطانية لتنكر ما جاء في النفحات من أن أوثق عرا اليمان الحب في الله ، والبغض في الله ، والموالاة

علمتنا نفحات سورة المسد أن الاسلام دين العدالة ، والمساواة ، والفرصة المتكافئة التي تسع الناس جميعا ، وأنه يرفض المحاباة ، والمحسوبية في شتى صورهما . وأن أصول وفروع المصطفين الآخيار لا تكفل لهم لحمة النسب مكانة ارفع او أشرف من منازل الذين يفوقونهم او يشتركون معهم في درجة عملية واحدة . ذلك لأن العمدة في الاسلام رحم الدين ، وروابط اليمان ومنازل التقوى . أما نفحة التشب ( المال ) وشمخة النسب ، وسكرة الحول والطول فهى في نظر الاسلام صرح من دخان . وصدق الله : - « يأيها الذين آمنوا لا تخفوا آباءكم ، واخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على اليمان ، ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون . قل ان كان آباءكم ، وأبناؤكم ، واخوانكم ، وزواجهم ، وعشيرتهم ، وأموال اقترفتموها ، وتجارة تخشون كсадها ، ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ، ورسوله ، وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ، والله لا يهدى القوم الناسفين » التوبة .

ان أدنى ارتباط عرقى برسول الله صلى الله عليه وسلم يدنى من الله سبحانه ، ويمنح الأفضل ، ويهب الخوارق ، ويعطى حق الحل ، والربط ، والتصرف في شئون الخلق ، وحق المنح والحرمان ، والاغداق على الحاسيب المعاشه .

٦ - والنتيجة أن يسعد الشيطان ، ويظل المسلمون في سبات عميق جاثمين جاثمين مربوطين بالأضراحة بعيدين عن الحياة ، وعن سنن الله . قاتعين بالوهاد ، والالحاد وغيرهم يحلق في الفضاء ، ويتطلل إلى السماء ، ويحط على الكواكب ، ويطلق الأقمار .

٧ - وتكمel بهجة الشيطان اذ ترقص أجهزة الاعلام المتأثرة « بيماسون » « وصهيون » هذه الرقصة المقوحة المرذولة مع الحمقى والمأهونين ( المؤدون الفاسدون العقل ) ولقد رأينا كيف افردت جريدة سيارة صحفة كاملة لجاذب السيدة ومحاسب الحسين بشكل يغري بالشرك ، ويربط بالتبور ، ويقصى عن الجادة والطريق المستقيم (١) . والاعلامي الذي يرقص هذه الرقصة ويبتذل قلمه ونفسه ، ويهلل للوثة التي تعتبر عقلاً قومه في عصر « الكمبيوتر » هو بلا شك يريد أن يبرق الى الاعداء ببرقية مفادها « اطمئنا . نحن نفط في سبات عميق » وهو بلا

في الله . وأن الود في الاسلام زاد المؤمنين وقرى ( بكسر القاف ) رب العالمين . يشييعه فوق رعوس المتقين رخيا شذيا في الدنيا والآخرة .

والاموات التي تقذف بها حناجر الاعداء لتتلقها حناجر الادعاء تشدق بأدلة مشتركة ، وتنتعل بكلمات « الآل ، والأهل ، والمودة في القربى » وتتلاقى برغم ما بينها من تباين في المذهب ، وتباعد في الهدف ، واختلاف في العقيدة . قالوا :

١ - ان المسلمين يمجدون في صلواتهم آل محمد .

٢ - وأن القرآن يخص أهل البيت بخطوة فريدة ويميزهم عن غيرهم بقوله « ي يريد الله ليذهب عنكم للرجس أهل البيت ويظهركم تطهيراً الأحزاب .

٣ - وأن الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعو إلى محاباة ذوى قرباه ، وخصهم ( بتشديد الصاد المجرورة ) بالود نظير ما جاء به من دين وخير « قل لا أسألكم عايه اجرا الا المودة في القربى » الشورى .

٤ - ومقتضى هذا - عند الاعداء - أن الاسلام يقر العرقية ( بكسر العين نسبة الى العرق ) والتفرقة الغنصرية ، والمحسوبيه .

٥ - ومعناه عند الأغياء - من متصرفه ، ومخرفة ، وشيعة -

غريباً كاسف المشاكي قلق الذبالة<sup>(١)</sup>؛ متكسر الأضواء . ولا عجب فالدين — وان كان معانى مجردة — لا يبدو في صورته المؤثرة ونضرته المزدهرة الا من خلال المنتجين اليه ، فهم الاوعية التي تتشكل وفقها القيم . فان كانت الاوعية باهته او كاسفة، او معوجة ، او متعرجة ، او متكسرة مشدودة اخذت المعانى الجردة شكل الاوعية فاعترافها الخسوف ، والكسوف والاعوجاج والمسخ . ومن هنا تتحتمت القدوة ، ولزم تخلق الدعاء بمثل القرآن وقيم الشريعة الفراء التى يدعون اليها ، والا كانت الغربة ، وكانت المزالق، والشطط ، والانفصام البين بين المسلم وعقيدته ومنهجه . واتقاء هذا اهتم القرآن بالتبين، والتصريف، والتفصيل . وعنى الاسلام عنابة نائقة بالتقويم ، والتحديد ، والتقدير. بـأن يقيم الوزن بالقسط ولا يخسر الميزان .

وابفاء هذا جاءت سورة المسد « تبت يدا ... » تطبيقاً مبكراً لبعض قيم الاسلام ، وبعض مبادئه القوية الرشيدة التي تحرى العدالة ، وترفض المسؤولية ، وتقرض المساواة ، وتقرر أنه لا امل بلا عمل .

**الاسلام حب سماؤه ، وأجواؤه ، وأرضه**

و قبل أن ننظر في حقيقة « المودة في القربى » او نناقش هوى أهل

شك يقدر وقع مثل هذه البرقية على نفوس المستعمرين . فلقد كان الانجليز — ابان استعمارهم للبلاد — يهتمون اهتماماً بالغاً بزوار البدوى . وكلما زاد عدد رواد الموالد ابتهجوا واطمأنوا ماذا اهتز المعيار وقل العدد توتوروا وقلقا خشية ان يبعث الرقود ويعي الفافلون . ولقد روى أحد الذين كانوا يرفعون الى المنصب السامي الاحصائيات التي تتناول عدد الرواد ان « لميسون حين رفع اليه عدد حطم الارقام التيسانية التي كانت مسجلة .. وقف وصاح بلا شعور « برافو » . فهل ترانا نبالغ اذا قلنا على ضوء هذا : — ان الاعلامى الذى يروج لهذا الخبر انما يقدم كشف حساب للسادة ؟ هكذا تحل عرا الاسلام بفعل جاحد سبته رقى الشيطان ، وبهرته زيف الحياة ، وانطلت عليه الاعيب الاعداء ، ودعواى الماديين منتمر ، وتنكر وانسلخ من مقوماته ودينه فعاد عامل تشكيك وهدم وتغيير .

ويفعل غر جامد توقع طى اغلفة البليس ، وجرف أصم ، اعمى الى مرمائىء شركة هاوية وركن الى دعاوى بالية ، وآمن بقضايا نابية عن قيم الاسلام وجواهر الدين . وراح يختلف قيماً ويتخذ أribab ، ويصطعن اغواضاً ، وأوتاداً ، وشفعاء من دون الله .

وبين أولئك وهؤلاء عاد الدين

(١) الذبالة فتيلة الشمعة ونحوها

فالمتحابون بجلال الله نظفهم الله في  
ظله يوم لا ظل الا ظله . ( مسلم )  
٤ - وانفعال الحب العلوى يورث  
التدانى ، وتفقد الاحوال بالتزاور ،  
ويقتضى التباذل ، والتعاون  
والنصيحة . ويمثل هذا نستوجب  
محبة الله ، ونستنزل رحمته وفق  
ما روى مالك بأسناد صحيح عن  
معاذ بن جبل قال : - سمعت  
رسول الله صلى الله عليه وسلم  
يقول : قال الله تعالى : وجبت محبتي  
للمتحابين في ، والمتجالسين في ،  
والمتوازرين في ، والمتباذلين في » .  
٥ - والحب العلوى ييلفك معية  
النبيين ، والصديقين ، والشهداء ،  
والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .  
« عن أنس رضي الله عنه أن رجلا  
سأله رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم : متى الساعة ؟ قال :  
 ويحك ، وما أعددت لها ؟ قال :  
 لا شيء غير أني أحب الله ورسوله .  
 قال : أنت مع من أحببت . قال  
أنس : مما رأيت المسلمين فرحاوا  
 بشيء بعد الاسلام فرحمهم بها »  
 متفق عليه .

٦ - وحب الله ورسوله يحتمد  
عاطفة ، ويمثله حرارة ، ويتجلّى  
حركة وعملا . والحب الذي لا  
يتجاوز الحس ، ولا يترجم الى عمل  
حب مزعوم بارد . وارتقاء بهمة  
ال المسلم أن يرضى بحب عقيم يدفعنا  
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى  
المباشرة لسبل الحب ، وممارسة  
ظاهره التي ترضي الخالق وتقنع  
الخلق .

« روى مسلم عن أبي هريرة

الوجود ، والعشق ، والهياط نبادر  
فنقرر ان الاسلام كله ود .

١ - حب متبادل بين الخالق  
وصفوته من خلقه « ... فسوف  
يائى الله بقوم يحبهم ، ويحبونه ،  
اذلة على المؤمنين اعززة على  
الكافرين ... » ٥٤ المائدة .

٢ - حب تجاوب أصداوه بين  
السموات والأرض مصدق ما روى  
مسلم عن أبي هريرة عن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم أنه  
قال « إن الله اذا احب عبدا دعا  
جبريل فقال : - انى احب فلانا  
 فأحبه ، قال فيحبه جبريل ، ثم  
ينادى في السماء فيقول : - ان  
الله يحب فلانا فأحبوه ، فيحبه  
أهل السماء ، ثم يوضع له  
التبول في أهل الأرض ، واذا  
ابغض عبدا دعا جبريل فيقول :  
انى ابغض فلانا فابغضه ، فيبغضه  
جبريل ، ثم ينادى في أهل السماء :  
ان الله يبغض فلانا فابغضوه ،  
قال : فيبغضونه ، ثم يوضع له  
البغضاء في الأرض » .

٣ - والحب العلوى الذى ينتظم  
ائفدة المؤمنين يرقى بأصحابه مخلدا  
( متجاوزا ) مقامات جل الأعمال  
المقرية الى الله . روى الإمام أحمد  
بسند صحيح عن أبي ذر رضي الله  
عنـه قال : - خرج علينا رسول  
الله مقل : - اتقـدون أى الأعمال  
احبـ الى الله ؟ قال قائل الصلاة ،  
والزكـاة ، وقتل قائلـ الجهـاد . قال  
النبي صلى الله عليه وسلم : -  
ان اـحبـ الاعـمالـ الىـ اللهـ الحـبـ فيـ  
اللهـ ، والبغـضـ فيـ اللهـ » ولا عـجبـ

بالاضرحة والتحكين بالأعتاب، والمشنجين في المقاصير وحول المشاهد ، والقباب « روى البيهقي عن عبد الرحمن بن أبي قرادة أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ يوما فجعل أصحابه يتسمون بوضوئه فقال لهم : ما يحملكم على هذا ؟ قالوا حب الله ، ورسوله . فقال صلى الله عليه وسلم : من سره أن يحب الله ، ورسوله ، وأن يحبه الله ، ورسوله فليصدق حديثه اذا حدث ، وليرد أمانته اذا اثمن ، وليرحسن جوار منجاوره » .

هذا هو الود الذي ينبغي أن يعمّر أوساط المسلمين ، ويتدفق كائداً في الأوصال المسلمة التي تربط الأمة وتحيط بكل المجتمع المسلم بلا محاباة ولا تفريق ، وتلك روافده وأثاره فأين من مثل هذا محاسب الحسين ، ومجاديب السيد ، والسيدة ؟

على ضوء هذه الآثار التي تتنطق بأن المؤمن وعاء مليء حبا . وأن أرضه الطيبة تنضح باللوع ، وأن آفاقه المشرقة تجود بالمحبة والخير ، على ضوئها نسلاع فنعلن أننا لا نبتغى في موضوعنا هذا أن نحجر أو نضيق من رحابة الحب كي نقصره على قوم ونضن به على آخرين ، بل نظن أن الحب ورد من موارد الرحمن ، وأن المؤمنين فيه شركاء ، وأن نصيبيهم من الورد يتناسب تناسبا طرديا مع حظهم من الإيمان ، اذا زاد زاد ، وإذا تناقص الايمان نقص حظهم من الورود .

والاسلام لا يقر مذهب شاعر الجاهلية الذي زعم أن لذويه -

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنون حتى تحابوا . « الا اذ لكم على شيء اذا فعتمرته تحابيتم : افشوا السلام بينكم » « روى الترمذى وابن ماجة عن سهل بن سعد قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : دلني على عمل اذا عملته احبني الله ، وأحبني الناس . قال : ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما عند الناس

يحبك الناس » .

٧ - والحب بهذه المفاهيم نعمة جلى ( بضم الجيم وتشديد اللام المفتوحة ) ومن ذكر الله وشكراً أن تتحدث بنعمته « وأما بنعمته ربك فحدث » والله تبارك ألاءه - تعليمات للعباد - يخطر عباداً من عبيده بأنه سبحانه يحبه جراء صدقه المودة وحبه أخيه في الله « عن أبي هريرة أن رجلاً زار أخيه في قرية أخرى ، فأරصد الله له على درجته ملكاً . قال أين تزيد ؟ قال أريد أخي لي في هذه القرية ، قال : هل لك عليه من نعمة تربها ( تصلحها وتنميها ) قال لا غير أني أحببته في الله ، قال فاني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته » متفق عليه .

٨ - وتأديباً بهذا الأدب الرباني يقول الرسول - فيما يرويه أبو داود ، والترمذى بسند صحيح عن المقدام بن معاذيرب - يقول : اذا أحب الرجل أخيه فليخبره أنه يحبه»

٩ - والحب الذي لا يورث الخير ، ولا يثير المعروف حب شكلى آسن ( راكند ) كعب النمسعين

ولئن اذتقناه رحمة منا من بعد  
ضراء مسنته ليقولون هذا لى ، وما  
لظن الساعة قائمية ، ولئن رجعت  
إلى ربى ان لى عنده للحسنى ...»  
فصلت .

والإسلام كان لا بد له من أن  
يواجه هذه التزاعات الطينية التي  
غذتها قيم الجاهلية الأولى . وأن  
ينقض القواعد التي أرستها الحمية  
ورفعتها العصبية ، وزكاما التخلف  
الحضاري .

ولقد اهتم الإسلام — في مواجهة  
النزاعات المتمردة — بنفي مفاهيم  
كانت سائدة مستشرية . وقام  
الإسلام في هذا المجال بعمليات  
متداخلة كان لا بد منها لن يريد أن  
يعيث أمة وينشئ دولة موطدة  
الأركان : -

١ - نزع الأنكار الفجة التي  
ولدها التخلف والجهل ، والمعارف  
الستقمية التي أدمهم بها المرة أهل  
الكتاب .

٢ - تقليل الأرض حتى تطيب  
وتتهيأ لاستقبال هدى الله .

٣ - بذر بذور الإيمان ، وغرس  
حقائق ، و المعارف تكلل المسيرة  
الصحية ، والنفس الطويل .

٤ - المتابعة المستمرة ، ومقاومة  
الآفات التي قد تعرض للمسيرة  
فتفضي إلى كبوة ، أو نكسة .

فما الأبطال التي نقضها الإسلام؟  
وما القيم التي غرسها ؟ وما علاقة  
كل هذا بالآل ، والأهل ، والمودة  
في القربي ؟

ذلك ما سنحاول ان شاء الله ،  
ان نعالجها في المقال القاسم والله  
المستعان . بخارى احمد عبده

بحكم عراقة الأصل وشرف النسب  
أن يخصوا أنفسهم بالصفو الزلال ،  
ويتركوا من خلفهم الكدر والطين  
يلغون فيه :

ونشرب ان وردنا الماء صفووا  
ويشرب غيرنا كدرا وطينا  
والمؤمن — أيضا — لا يبغض الا  
في الله . ولا يحد حقد أبي جهل  
حسدا ، ونفاسة ، وشحا وهو ،  
ماذا خص بالكرابة فردا أو عصبة  
لمجرد أنها تعترى إلى معدن خير ،  
أو عنصر مجد ، أو مؤئل عز كان  
دعيا ، بعيدا عن حقائق الإسلام .  
ماذا تحرك — بضغط ما يحمل من  
حقد — ليعصي أو يظلم كان حريا  
ان يموت ميتة جاهلية ، وإذا كان  
سر الحقد ، ومبعث النار مجرد ان  
القوم منهم رسول الله كان الأمر  
أجل وأنكى . ولا إخال أن مسلما  
ينحط إلى هذا الدرك .

والإنسان يحب أن ينتسب — ان  
صدقا وان كذبا — إلى اصل مؤئل  
ومحتد كريم . وفي طبعه الاعتداد  
بذاته ، وأجداده . ونزعة المباهاة ،  
والتفاني ، والتعالي اصيلة فيه  
ممكنة منه . وكلمة « أنا » اقرب  
إليه من كل كلام . وهو — منطويها  
في أنايته — طورا يصبح « أنا اكثـر  
منك مالا وأعز ثـفـرا » وتارة يصرخ  
« إنما أـوتـيـتـهـ علىـ عـلـمـ عـنـدـيـ »  
ومرة ينـعـقـ « أـمـ أـنـاـ خـيرـ مـنـ هـذـاـ  
الـذـىـ هـوـ مـهـيـنـ وـلـاـ يـكـادـ يـبـيـنـ »  
والقرآن الكريم طلما تابع هذا الداء ،  
ونفذ إلى أغوار هذا الإنسان يشرحه  
حتى تبدو فقاره وصدق الله : —  
« لا يـسـأـمـ الـإـنـسـانـ مـنـ دـعـاءـ الـخـيـرـ ،  
وـلـأـنـ مـسـتـهـ الشـرـ نـيـتوـسـ قـنـوـطـ .

# نفحات القرآن

## بقلوب بخاري احمد عبد الله

الآل والأهل والمودة في القربى (٢)

لتحمة المحبة

وبالمودة ، وتنشر الولية الرحمة فوق  
رعوس العالمين ، وكل العالمين .  
وتبين أن الإسلام حتم أن تتنفسى  
المحبة ، وتسرى من أفق إلى أفق ،  
ومن قلب إلى قلب لاحمة داعمة ،  
مطيبة الأنفاس ، والأردان .

### نفحة علوية

والمحبة في الإسلام علوية ، تهمى  
من السموات رحمة ، وتنتشر على  
الأرض نسرا ، وتنفذ إلى القلوب  
المؤمنة فتورثها رقة ، وتشد بعضها  
إلى بعض .

وتقديرها لهذه العاطفة ، وشادة  
بآثارها أمنن الله بها على المؤمنين  
اذ قال « أن الذين آمنوا وعملوا  
الصالحات س يجعل لهم الرحمن  
ودا » مريم .

والناس على الأرض يعيشون  
طى غازات خائنة تتتصاعد من الحما  
المستون فتصيب بالثبور ، وتتركهم  
متناقضين تكذب ظواهرهم بواطنهم ،  
ويواطنهم ظواهرهم .

تعاطفا مع نفحات « بت بت يدا »  
وتطلعوا إلى الهدايات المتباينة من آية  
الشورى « قل لا إسألكم عليه أجراء  
الا المودة في القربى » وآية الأحزاب  
« إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس  
أهل البيت » مضينا ننشد أغوار  
الآيتين ، ونبحث عن الأسرار الكامنة  
وراء عبارات التشهد الأخير « اللهم  
صلى على محمد وعلى آل محمد ... »  
وهدفنا فضح فرى (١) الأعداء ،  
ورفض ما يهرف به أدعياء يغطون  
في النوم ، والكون كله دوى ،  
وهدير ، وأزيز ، وزمرة ، وصراخ ،  
وآهات ، ويهوون إلى غيابات  
الموتى السحيقة في عصر يرصد أهلها  
مركبة فضاء أمضت أحد عشر عاما  
تطوى الفضاء إلى غايتها . ومرسلوها  
يرقبون ستيرها ، ويدرسون أمرها ،  
ويستقبلون منها اشارات تشير  
الدهشة وتنم عن اعجاز الملكوت .  
وعلمنا — يومئذ — أن آفاق  
الإسلام المشرقة تتبع بالأخوة ،

(١) الفرى جمع فرية ، والفرية الكذب والاختلاق .

ويتولى أمرها بالتهذيب ، والتشذيب ،  
والاعلاء حتى تعود سوية ، مبرأة  
من علل الجبنة ، ودخن البيئة :

(ا) ومن مظاهر ذلك الاهتمام :  
ما رواه البخاري عن أبي هريرة  
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : — ان الله خلق  
الخلق حتى اذا مرغ من خلقه قالت  
الرحم : — ان هذا مقام العاذن بك  
من القطيعة . قال : — نعم ، أما  
ترضين ان أصل من وصلك ، وأقطع  
من قطعك ؟ قالت : — بل يارب .  
قال : — فهو لك . قال صلى الله  
عليه وسلم : فاقرعوا ان شئتم :  
فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا  
في الأرض وتقطعوا أرحامكم .

(ب) وما رواه مسلم عن أبي هريرة ان رجلا جاء الى رسول الله  
يشكوا بعد ما بين ذويه وبينه من  
حيث البر . وأن رسول الله حمل له  
صنيعه وسكن جائشه وأغراءه  
بالاستمرار في الاحسان . « جاء  
رجل إلى رسول الله وقال : —  
ان لى قربة أصحابهم ، ويقطعوننى ؛  
وأحسن إليهم ، ويسيئون إلى ،  
وأحلم عنهم ، ويجهلون على .  
فقال : لئن كنت كما قلت فكانما  
تسفهم المل (١) . ولا يزال معك من  
الله ظهير عليهم مادمت على ذلك ».  
(ج) وما رواه أحمد عن أيوب  
قال : قال صلى الله عليه وسلم :  
ان أفضل الصدقة على ذى الرحم  
الكافح (٢) .

وكلما اشتد بعد الناس عن الله ،  
واشتد اخلاقهم الى الأرض جلت  
المناقضات التي تعتمل في أعماقهم  
فاضحت عارمة تلفح ، وتحرق ،  
وتبعاد ما بين الناس حتى يفدوها  
صدق قول الله : — « تحسبهم  
جميعا ، وقلوبهم شتى » .  
والمرء حين يعلو بوده يفر من  
غبش المناقضات ، ومن حمى الصراع  
المحتدم بينها الى حيث السنى ،  
والسناء ، والصفاء .

فإذا آبىت المودة — بعد عروجها  
إلى الأرض ، آبىت مطهرة من شتى  
الشوائب التي تعلق بها كما يعلق  
الزبد بالذهب .

فإذا سرت بأرواحها العلوية عبر  
القلوب زكت ، وأثرت ، وأورثت  
الترابم ، والمشاركة الوجدانية .  
ومهدت لوحدة الشكل ، والموضوع .

### نداء الرحيم

والمودة بشذاتها العلوى تعلق —  
في حال مسراها — بالأقرب إلى  
الله فالأقرب ، وتنفذ من الملا الأعلى  
إلى صفة أهل الأرض ، إلى أولى  
الأرحام ثم إلى .....

ومن هنا كان اهتمام الاسلام بالرحم  
باعتبارها النسوة التي تتفقق — ان  
روعيت — عن الأصلة ، والمؤازرة ،  
وباعتبارها الأساس الذي تشاد  
فوقه الأواصر ، وتقام المجتمعات .  
فوق أن نداء الدم والرحم صوت  
الفطرة ، والاسلام بحكم كونه دين  
الفطرة ينصرت بصوت الفطرة ،

(١) أمل بفتح الميم ، وتشديد اللام: التراب الساخن المتخلف في المواقد .

(٢) الكافح : المعادى . هذا وروى الطبراني وأحمد نحو هذا  
باسناد حسن عن حكيم بن حزام .

(د) وما ورد به أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على قريش بالقطن فاستشعروا اليه بالرحم فرق ودعا لهم بالخشب وفاء بحق الرحمن التي يصلها بحقها .

ولا عجب فالله جل جلاله يعافي ويرزق المشركين الذين يدعون له الصاحبة والولد .

ان المؤمن يسع ببره الناس مهما كانت هويتهم ، وزعائهم فكيف اذا كانوا ذوى رحم ؟

ان الله الذى لا تحد رحمته تكرم فاشتق « للرحم » اسماء من اسمه . وحرك الرحمة التى اودعت قلوب الاناسى وجهها أول ما وجهها صوب الرحم كى يقضى بهذا امرا كان مفعولا .

والقلوب التى تحرم الحب ، وتستعصى على هذا التوجيه الكريم قلوب ذات ما اكثراها .

كثير من بنى الدنيا ذاتب كستهم حكمة القدر الشياطين

### حس الداعية

والدعوة الى الله تقوم على الانذار ، والتبيير .. وكلام الامرين يتطلب حسا مرهفا يتتبس بالمشاكل والمصائر ، ويعيش مشاهد القيامة منفعلا متاثرا بها تأثر من يراها عين اليقين .

وبهذا الوجдан الخير الحساس يتمعامل الداعون مع الامم ويشاركونهم مشاركة وجданية فيما يرجى من خير ، او يحذر من شر ، وحيثئذ يتقانون في التبصير ، والتحذير ،

والامساك بالحجز عن النار ، وينعمون وهم يدعون الى الخير ، ويجدون الى الجنة ، والنعيم المقيم .

وبهذا الوجدان الخير الحساس يحبون ، وبه ان حم « بالبناء للمجهول » القضاء يمتنون .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان من كل هذا في الذروة .

وفؤاده الرحيب الرفيق كان يكاد ينفطر اسى كلما ابصر الشراذم الضالة ، وتصور المصير المحتوم يستبقونه مهطعين متنعى رعوسهم .

والقرآن الكريم كثيرا ما امسك بزمام الرسول صلى الله عليه وسلم حتى لا يجمع به الحس ، ويبلغ منه الآسى كل مبلغ ، كان يرده ، ويحد من اساه بمثل قوله سبحانه « فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا » الكهف . ويمثل قوله تعالى: « لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين » الشعراء . وقوله: « فلا تذهب نفسك عليهم حسرات» فاطر .

وبهذه المشاعر الفياضة أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على امة الدعوة .

وبها أقبل على آله ، وأهله ، وعشيرته ، وذويه . ولم لا ؟ ليس بشرا مثنا يحن ويحنو ، ويحب ، ويحس بمعنى الاخوة ، ولو ا渥ج الابوة ، وارواح الأهل ، ووشائج القرى كما نحس ؟

فما بال أولئك الذين يريدون

تجريده من انبيل ما تنطوى عليه  
الأئمدة ، والا كان محابيا متورطا  
في المحسوبية ؟ .  
وما بال هؤلاء الذين يفالون حتى  
يجاوزوا برسولهم اقطار العدالة ،  
والمساواة ؟

### من عواطف المسلمين

والرسول صلى الله عليه وسلم  
لم يكن في مشاعره الفطرية بداعا من  
الرسل . فقد حن المسلمين من  
قبله إلى الولد ، وارتبطوا بالأهل ،  
وتمنوا لهم الخير ، وجدوا (بتشديد  
الدال ) كى تتوفر لهم أسباب الأمان ،  
وسبل السلام .

نوح عليه السلام يهتف بابنه -  
منطلقا من عاطفة الأبوة - :  
« يا بنى اركب معنا » هود . حتى  
اذا اورده كفره موارد الهلاكة ، وحال  
بينهما الموج فكان من المفرقين اندفع  
نوح مع عواطف الابوة ، ونادى :  
« رب ان ابني من اهلى » ، وان  
وعدك الحق ، وأنت احکم الحاكمين »  
هود .

وابراهيم عليه السلام أقبل بكل  
مشاعر البنوة على أبيه آزر بيصره ،  
ويحذرها ، ويستتحث خطاه « واذكر  
في الكتاب ابراهيم ، انه كان صديقا  
نبينا . اذ قال لأبيه ، يا ابى لم تبعد  
ما لا يسمع ، ولا يبصر ، ولا يغنى  
عنك شيئا . يا ابى اتى قد جانعنى  
من العلم ما لم يأتىك ، فاتبعنى اهدك  
صراطا سويا . يا ابى لا تبعد  
الشيطان ، ان الشيطان كان للرحمى  
عصيا . يا ابى اتى اخاف ان يمسك  
عذاب من الرحمن ، ف تكون للشيطان

وليا . قال اراغب انت عن الالهى  
يا ابراهيم ، لئن لم تنته لازجمنك  
واهجرنى مليا . قال سلام عليك  
سأستغفر لك ربى .. » مريم .  
وأقبل بكل مشاعر الابوة على  
الله يسائله الخير لذرته : « ربنا  
واعجلنا مسلمين لك ، ومن ذريتنا  
امة مسلمة لك ، وأرنا مناسكتنا ،  
وتبت علينا انك انت التواب الرحيم .  
ربنا وابعث فيهم رسولا منهم .. »  
البقرة ١٢٨

وتمنى على الله ان يضع الامامة  
في ذريته : « واذ ابى ابراهيم رب  
كلمات فائمهن قال انى جاعلك  
لناس اماما ، قال ومن ذريتى .. »  
البقرة .

ذلك موسى عليه السلام . هدته  
فطرته وحدته عواطفه الى اخيه  
فسائل الله ان يجعله ردهه وغضبه  
« وأخي هارون هو افصح مني  
لسانا ، فراسله معى ردعا يصدقني  
انى اخاف ان يكذبون . قال سنشد  
غضبك بأخيك ونجعل لكما سلطانا . »  
القصص .

ويضرع الى الله ان يجعل هارون  
وزيره ، والرجل الثاني في دولته :  
« واجعل لى وزيرا من اهلى .  
هارون اخي . اشدد به ازرى .  
وأشركه في امرى .. » طه .

فاذما ما وقف من ربها موقف شكوى  
واعذار نادى : - « .. رب انى  
لا املك الا نفسي ، وأخي ، فافرق  
بيتنا وبين القوم الفاسقين » المائدة

تتخطى الحدود ، ولم يؤثر أصوله ، او فروعه ، او خاصته وذوى رحمه بفنم ( بضم الغين وسكون النون ) من دون المؤمنين بل حتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تغرهم قيم الجاهلية ، او يأخذهم جلال الصداره ، او يخلي لهم زهرة الدنيا ، او فتنه الامارة ، او يقلل من عملهم رفعة النسب ، وشمسة الارتباط برسول الله فيتكلوا ويتقدموا يوم القيمة مفلسين . حتى صلى الله عليه وسلم ذلك فأوصاهم وبالغ في الايصاد ، وعلمهم ان موازين النسب ، والنسب موازين كاذبة ، وربما حرم مساطة احب الناس اليه ومنها طلبتها وهي في مسيس الحاجة ليوجهها الى وجهة مثلث ، ويصرف عنها وهج معابر الجاهلية الكاذب .

ولقد ابطل الاسلام من معابر الجاهلية ما ابطل ، وشد - بحقه - على مفاهيمهم البالية فازهتها ، وأحل محلها حقائق وقيما عادلة باقية . اهدر السعيادة القديمة ، واعظمة الموروثة ، وأبطل شمسة الحسب والنسب ، وحد من سلطان المال ، والجاه ... السخ تلك الوجاهات التي كانت تشكل «راكيز تربة هبها الانكار ، والكفر ، والاصد ، ويث العراقيل امام الدعوة الجديدة التي رأوها تهدیدا لمجتمعهم ، وتحطيمها انتقاما ، وحكمها بالاعدام على قرائهم ، وثرائهم ، وشرفهم المزعوم » .

وتعرض الاسلام لأوضاعهم المكتسبة جعلهم يحسون بالزلزال ،

وكذلك يفعل في مواتف الاسترحام والاستغفار « قال رب اغفر لى ولاخي ، وادخلنا في رحمتك وانت ارحم الراحمين » الاعراف ١٥١  
تلك عواطف المسلمين نحو ذويهم . نظل ناعشاًة محتدمة طالما كان الاهلون مظنة رشد ، ومناط رجاء . فإذا خامرهم ادنى شك تصرفوا بأسلوب آخر كأسلوب موسى مع هارون « ... والقى الالواح وأخذ برأس أخيه يجره اليه ... » الاعراف ١٥٠

ولا يسكن غضبه ، ولا تهدأ ثورته الا بعد استعطاف يصحبه تبرير للموقف « ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلوني فلا تشمت بي الاعداء ... » الاعراف ١٥٠ -  
« قال يا هارون ما منعك اذ رأيتم ضلوا لا تتبعني . انمعصيت أمرى . قال يا ابن ام لا تأخذ بلحيقى ولا برأسى ، انى خشيت ان تقول فرقتن بين بني اسرائيل ولم ترقب قوائى » طه .

وإذا رأوا دلائل الكفر ، وتبينوا أمارات العداوة ، والحقد ، والحسد ، نفضوا أيديهم وتبرعوا « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمرشكين ولو كانوا أوثني قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم . وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعددها ايام ، فاما تبين له أنه عدو لله شرًا منه ... » التوبه ١١٤ .

### قدائف الحق وحصة المجهفين

ونبينا عليه الصلاة والسلام لم يطلق لعواطفه الفرزية العنوان حتى

الحديد . فإذا صاحب الإيمان فقهه،  
وارتقاء بمثل الإسلام وحكمه كان صاحبه  
في قمة الفضل والأصالة البناءة .

وتعييتا لهذه التربية ، واجتناثاً  
لخلافات الجاهلية يقول رسول الله -  
ن فيما يرويه مسلم عن أبي هريرة -  
« إن الله لا ينظر إلى صوركم ،  
وأموالكم ، ولكن ينظر إلى تلوبكم ،  
واعمالكم » .

ويهتف صلى الله عليه وسلم بأبي ذر - فيما يرويه أحمد - « انظر  
فائدك لست بخير من احمر ، ولا  
أبيض ، الا ان تفضله بتقوى » .  
ويتصدّع وهو يقلّم أظفار الجاهلية ،  
ويكتب حميتها : « لكم بنو آدم ،  
وآدم خلق من تراب . ولينتهيئ قوم  
يفخرون بأبائهم ، أو ليكونن أهون  
على الله تعالى من الجعلان » رواه  
البزار في مستنه .

ويضيى الإسلام مطهراً الطريق مما  
بني الشيطان من الغامه ، معبداً  
لقيميه ، ومبادئه السبيل ، معداً  
القالب الرباني كى تصهر فيه هذه  
الأمة لتكون خير أمة أخرجت للناس .  
ولكن الإنسان مطبوع على اعتبار  
الذى ، والاعتداد بالأصل ، ونزعة  
التعالي ، والتغنى . والمباهاه أصيلة  
فيه ، متمكنة منه فما منهج الإسلام  
في مقاومة هذه النزعة وتعديل  
السلوك ؟ ذلك ما سندرسه في وقت  
لاحق ان شاء الله .

بخارى أحمد عبده

ويتضامون ( بتشديد الميم المضمومة )  
جبهة واحدة في مواجهة الدين  
الجديد .

### اجراء تنظيمي

والمولى - كى تنتظم دنيا الناس  
- صنف الناس شعوباً ، وقبائل ،  
وبطوناً .

ويبين سبحانه أن هذا التصنيف  
اجراء تنظيمي لا يترتب عليه تمييز  
جنسى ، أو محاباة عنصر ، أو  
اختيار سلالة ، أو التغاضى عن  
تصرفات رهط ، أو اطلاق يد حسيب  
نسيب كى يعرىد ويخدع ، ويسلب .

وآية الحجرات هي الميزان ،  
والحق الذى قذف به على الباطل  
ندمه فذا هو زاهق « يأيها الناس  
انا خلقناكم من ذكر ، وأنثى ،  
وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا .  
ان اكرمكم عند الله اتقاكم » .

ولقد روى البخارى عن أبي هريرة  
« ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل : اى الناس اكرم ؟ قال  
اكرمهم عند الله اتقاهم . قالوا :  
ليس عن هذا نسألك . قال : فأكرم  
الناس يوسف نبى الله ابن نبى الله ،  
ابن نبى الله ، ابن خليل الله .  
قالوا ليس عن هذا نسألك . قال :  
فعن معادن العرب تسألون ؟ قالوا  
نعم . قال خياركم في الجاهلية خياركم  
في الإسلام اذا فقهوا » ذلك لأن  
الإسلام ينفى عن فضائل الجاهلية  
زبدها ويجلوها كما يجلو الكير صدا

# نَفْرَاتُ قُرْآنٍ

## بِقُلُوبِ بَحَارِيِّ اَجْمَدِ رَعِيَّةٍ

الآل والأهل والمودة في القربى \*

النفسية لرضي أشربوا في قلوبهم  
مفاهيم الجاهلية الأولى ، وأمضوا  
الاحتساب معتلين ( بتشديد اللام  
وكسرها ) ، بلا أشففية ، أو يد  
آسيية . ( بل هو الحق من ربك  
لتذر قوماً ما أتاهم من ذير من  
قبلك لعلمهم يهندون ) السجدة .

(١) فـالإسلام تارة يخرج الأمر  
مخراجاً كريهاً ، في صورة منفرة ،  
 بشعة : روى الترمذى ، وابو داود  
بأنساد حسن عن أبي هريرة عن  
النبي صلى الله عليه وسلم قال : -  
( ليئتيين أقواماً يفتخرن بآبائهم  
الذين ماتوا ، إنما هم فحم من  
جهنم ، أو ليكونن أهون على الله  
من الجعل (١) الذي يدهده (٢) الخراء  
بأنفسه ، إن الله قد أذهب عنكم  
عيبة (٢) الجاهلية ، وفخرها بالآباء

تحقق أن الإسلام دين تواصل ،  
 وتحاب ، لا دين محابة ، ومحسوبية ،  
 وتقرفة . والرسول صلى الله عليه  
 وسلم رفع منذ اللحظة الأولى شعار  
 « لكم آدم ، وآدم خلق من تراب »  
 ينقض به أسس الوجود الجاهلي  
 المقيت . ويحمد به لهيب العنصرية ،  
 والعصبية ، والنعرة الجاهلية ،  
 ويختار على أجنحته الأعراق ،  
 والأصول ، ويحط بالمؤمنين على  
 أصل الأصول فيربطهم بآدم ، ويلحقهم  
 في النهاية بالتراب .

والإسلام - وهو يتصدى لثلك  
الأدواء الموروثة - وضع في الحسبان  
أن الداء عميق الغور . وأن الإنسان  
مطبوع على الشمخة ، والتنفسة ،  
 والتغنى بالعراقة . فانتهت منهجاً  
 يتسم بالحكمة ، ويرعى الجوانب

\* زعموا ان الإسلام حبى آل رسول الله وأثرهم بالصلوات  
 والبركات في التشهد ، وأنه ميز أهل البيت ، وحباهم بارادة علوية  
 « يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » وأن  
 القرآن رضي لحمد صلى الله عليه وسلم أن يطلب لذوي قرباه معاملة  
 مميزة « قل لا إسألكم عليه أجر إلا المودة في القربى » .

(١) الجعل = الخفسياء . (٢) يدهده = يدرج .

(٣) عيبة الجاهلية = جفوتها وغلظتها .

ـ من عبادى يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا ، وأنت خير الراحمين . فاتخذتموهם سخريا حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون ) المؤمنون ١٠٣ - ١١٢ .

(٤) وربما جمع الاسلام بين الآل ، والمال باعتبارهما الشتتين اللذين يشدان الى الارض والعرضين اللذين قد يخلبان اللب ، وينتتان القلب ، ويسلمان السى اغورو . فالاسلام يجنب خطرهما ويحسن من فننتهما بأسلوب تهكمي يوحى بالغفلة الشديدة ، والضلال البعيد ( أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين . نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون . ) المؤمنون . وتمضي الآيات مععددة صفات الكراهة ، راسمة صور الأكرمين ، معقبة بالتنديد ، والتهديد ، مبينة بعد ما بين مدارج الحق ، ومنازل الهوى ( ولو اتبع الحق أهواهم لفسدت السموات ، والأرض ، ومن فيهم ، بل آتتنيهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون ) المؤمنون ٧٣ .

(٥) وتارة يعرض ( بكسر الراء المشددة ) القرآن بمن نحو هذا المنحى ، وزنوا بميزان النعرة ، والهوى ، والغرور ( وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا آنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ، ولم يؤت سعة من المال ، قال ان الله اصطفاه عليكم ، وزاده بسطة في العلم ،

ـ إنما هو مؤمن تقى ، أو فاجر شقى ، الناس كلهم بنو آدم ، وآدم من تراب ) .

(٦) وتارة يقرر هذا المعنى نفسه بعبارات متفايرة ، تؤكد القضية ، وتشير الى معانى أخرى تورث النقص ، وتحط من القدر . روى أحمد ، والبيهقي بساند صحيح عن عقبة بن عامر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أنسابكم هذه ليست بمسبة على أحد ، لكم بنو آدم ، طف الصاع بالصاع ، لم تملئوه ) (١) ، ليس لأحد على أحد فضل الا بدين ، وتقوى ، كفى بالرجل أن يكون بذيا (٢) ، فاحشوا بخيلا ) البخل والبذاءة ، والفحش ، ونحوها هي التي تصم ، وتخفض ، وتزري .

(٧) وتارة يرفع الاسلام من أغوار القيامة مشاهد تفيض بالحسرة ، وتطفح بالخزي ، وتشى بالصفار والندامة ( فإذا نفح في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ، ولا يتسائلون . فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون . ومن خفت موازينه ، فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون . تفتح وجوههم النار وهم فيها كالحون . ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون . قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا ، وكنا قوما ضالين . ربنا أخرجنا منها ، فمان عدنا فانا ظالمون . قال اخسأوا نيهما ، ولا تكلمون . انه كان فريق

(١) المعنى لكم في درجة واحدة .

(٢) البذى = الفاحش .

مِنَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَالْآخِرَةِ عِنْدَ  
رَبِّ الْمُتَقْبِلِينَ (١) الزَّخْرُفُ ٣٤ ،  
٣٥ . ٣٦ ،

وَالجَسْمُ ، وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلْكَهُ مِنْ  
يَشَاءُ ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِ ) الْبَقْرَةَ  
. ٢٤٧

(٧) وَيَلْحَقُ الْقُرْآنُ الْحَقِيقِيِّ  
الْمُنْتَخِيْنَ بِغَازَاتِ النَّشْبِ ( الْمَالِ )  
وَالنَّسْبِ ، وَالْحَسْبِ ، يَدْمِفُهُمْ  
بِالْعَلَمِ ، وَيَجْلِلُهُمْ بِالْقَارِ ، وَيَرْمِيهِمْ  
فِي صَمِيمِهِمْ . ( وَلَا تَطْعُمْ كُلَّ حَلَافَةَ  
مَهِينَ ، هَمَازَ (٢) مَثَبَّةً نَمِيمَ ، مَنَاعَ  
لِلْخَيْرَ ، مَعْتَدِيَ أَثِيمَ ، عَتَلَ (٣) بَعْدَ  
ذَلِكَ زَنِيمَ (٤) ، أَنْ كَانَ ذَا مَالَ ،  
وَبَنِينَ ، إِذَا تَتَلَى عَلَيْهِ آيَاتِنَا قَالَ  
أَسَاطِيرُ الْأَوْلَيْنَ ) الْقَلْمَ . فَكَأْنَ كُلَّ  
تَلْكَ الرَّذَائِلَ الَّتِي نَصَّعَ بِهَا وَلِيَدَةَ  
نَفْخَةِ الْمَالِ ، وَالْوَلَدِ .

(٨) وَالْقُرْآنُ — وَهُوَ يَأْسِنُ  
مَرْضِيَ النَّزَعَتِيْنَ (٥) — قَدْ يَسْتَعْمِلُ  
كَلْمَةً جَامِعَةً تَسْتَعِنُ لَكُلِّ الظَّلَالِ.  
الزَّائِلَةِ الَّتِي تَفَرُّ وَتَغْرِي بِالْتَّكَاثِيرِ  
وَالْمَبَاهَةِ كَاسْتَعْمَالِهِ كَلْمَةً ( التَّكَاثِيرَ )  
الَّتِي تَشَى بِكُلِّ الصَّفَائِرِ « الْهَاكِمُ  
الْتَّكَاثِيرَ » وَكَكَانِيَتِهِ بِكَلْمَةِ ( زَهْرَةُ  
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) عَنْ كُلِّ ذَاتِ بِرِيقَزَائِفِ.  
أَوْ نَسَارَةِ ذَابِلَةَ « وَلَا تَمْدُنْ عَيْنِيكَ  
إِلَى مَا مَتَعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ  
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتَنَهُمْ فِيهِ » وَرَزْفِ  
رَبِّ خَيْرٍ وَأَبْقَى » طَهَ .

(٩) وَهُؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتَلَفَّفُونَ — رَغْمَ  
النَّذْرِ — بِأَسْمَالِ الْجَاهِلِيَّةِ الْبَالِيَّةِ ،

(٦) وَآنَا يَعْرُضُ ( بَكْرُ الرَّاءِ  
الْمُشَدَّدَةِ ) بِأَدْعِيَاءِ الْعَظَمَةِ الظَّانِينِ  
أَنَّهُمْ وَحْدَهُمْ أَوْعِيَةُ الْعَزَّةِ ، وَمَعَادِنِ  
الرَّئِيسَةِ . وَانَّهُمْ — بِحُكْمِ كُونِهِمُ الْمَعْ  
أَهْلَ الْقَرْيَ — أَهْلَ لَأْنَ يَسْتَأْثِرُوا  
بِمَكْرَمَاتِ السَّمَاءِ ( وَقَالُوا لَوْلَا نَزَّلَ  
هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى رَجُلٍ مِنْ الْقَرِيبَيْنِ  
عَظِيمٍ . أَهْمَ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّ ،  
نَحْنُ نَقْسِمُنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتِهِمْ فِي الْحَيَاةِ  
الْدُّنْيَا ، وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضِ  
دَرَجَاتٍ لِيَتَذَكَّرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخْرِيَّاً )  
وَرَحْمَةَ رَبِّ خَيْرٍ مَا يَجْمِعُونَ )  
الْزَخْرُفُ ٣٢ ، ٣٣ .

وَيَذْرُو الْقُرْآنُ قِيمَهُمُ الْزَائِفَةِ ذَرَوْا ،  
وَيَنْسَفُ قَوَاعِدَهُمُ الَّتِي تَوَاضَعُوا  
عَلَيْهَا نَسْفًا حِينَ يَتَبَعُ مَا سَبَقَ  
بِمَوَازِنَةِ بَيْنِ الْعَرْضِ الْزَائِلِ ، وَالْأَجْلِ  
الصَادِقِ ، مَوَازِنَةً تَزَرِّي بِالْزَهْرَةِ ،  
وَالْزَيْنَةِ وَالْطَلَاءِ الْكَاذِبِ الْخَادِعِ الَّذِي  
يَضْفِيَهُ الْمَالُ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ ( وَلَوْلَا أَنْ  
يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لَنَّ  
فَضْلَةً ، وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ .  
وَلِبَيْوَتِهِمُ أَبْوَابًا ، وَسَرَرًا عَلَيْهَا  
يَتَكَبُّونَ ، وَزَخْرَفًا وَانَّ كُلَّ ذَلِكَ لِمَا

(١) نَبْهَهُ هُنَا إِلَى أَنَّ كُلَّ مَا يَنْسَبِحُ عَلَى الْمَالِ يَنْسَبِحُ كَذَلِكَ عَلَى  
الْأَنْسَابِ ، فَكُلُّهَا زَيْنَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .

(٢) الْهَمَازُ الْعِيَابُ .

(٣) الْعَتَلُ = الدُّعَى الْمُشَكُوكُ فِي أَصْلِهِ .

(٤) زَنِيمٌ = زَنِيمٌ بِالْمَالِ ، وَالْأَلِّ .

(٥) نَزْعَةُ التَّبَاهِيِّ بِالْمَالِ ، وَالْأَلِّ .

الله ، ورضوان ، وما الحياة الدنيا  
الا متع الغرور . ساقوا الى  
مغفرة من ربكم ، وجنة عرضها  
كعرض السماء والارض ، أعدت  
للذين آمنوا بالله ، ورسله ، ذلك  
فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو  
الفضل العظيم ) الحديد .

(١٢) والتوشحون بهذه الخلال  
المقيمة يلوذ بعضهم ببعض ، وقد  
يتلاحمون كالحلقة . ويضربون نطاقا  
حول اولى الامر . ويحتلون مواقع  
المشورة ، ومراسن التأثير . وهكذا  
يشكلون مراكز قوى ( بضم الماف  
وفتح الواو . جمع قوة ) تحدو ،  
وتوجه ، وتضلل ، وتزيين .

### ( الملا الأدنى )

وهو لاء المطعون على النفاق ،  
القابرون على التلون ، والتکيف ،  
الحرصون غایة الحرص على الترف  
والبقاء هم « الملا الأدنى » الذين  
طالما عرض القرآن موافقهم في  
مواجهة المسلمين .

(١) هم الملا الذين تطاولوا على  
نوح عليه السلام ، وتعنتوا معه  
غاية العنت عبر أجيال ( فقال الملا  
الذين كفروا من قومه ، ما نراك الا  
بمرا مثنا ، وما نراك اتبعك الا  
الذين هم أراذلنا بادى الرأى ، وما  
نرى لكم علينا من فضل ، بل نظنكم  
كاذبين ) هود ٢٧ . هم الذين ركبوا  
الرعوس وأصموا الآذان ونوح يواهيم  
بالموعظة ، ويجادلهم بالحكمة .  
وصاحوا ( .. يا نوح تد جادلتنا  
فأكترت جدالنا ، فأئتنا بما تعدنا ان  
كنت من الصادقين ) هود ٣٢ .

ويغمضون — رغم الآيات — في طريق  
التباهي ، والتفاخر وما يتولد عنهم  
من أثرة ، وغبن ، وتسليط ، وتطاول ،  
وازدراء للغير هؤلاء كائnen يizarzon  
المولى ، ويعادون الحق . فلا عجب  
اذا رأينا المولى سبحانه ييرز لهم ،  
ويتهدهم بالويل ، والثبور ( ذرنى  
ومن خلقت وحيدا ، وجعلت له مala  
ممدودا ، وبين شهودا . ومهدت  
له تميديا . ثم يطبع أن أزيد . كلام  
انه كان لا ياتنا عنيدا . سارهقه  
صعوبا ٠٠٠٠ ) المثل .

(١٠) ويرفع القرآن من أغوار  
القيامة مشاهد تبرز سكارى سلطان  
المال ، والآل مصفدين في الأغلال ،  
مسلوكيين في السلالس ، يصطرون ،  
ويتدمون ( وأما من أوتي كتابه  
بشماله فيقول ياليتنى لم اوت كتابيه ،  
ونم ادر ما حسابيه ، ياليتها كانت  
القاضية . ما أغنى عن ماليه ،  
هلك عنى سلطانيه . خذوه فغلوه .  
شم الجحيم صلوه . شم في سلسلة  
ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه .. )  
الحالة .

(١١) والقرآن يهدى — في آيات  
حافلة بالصور المعبرة — قيم  
الجاهلية الدنيا ، وبين أن الدنيا  
 بكل برجها وبريقها مالها الى رماد .  
ويحدو المؤمنين — بمثل هذا التصوير  
المعجز — الى الأجل الصادق ، الى  
البديل العزيز ( اعلموا انما الحياة  
الدنيا لعب ، ولهو ، وزينة ، وتفاخر  
بینكم ، وتكاثر في الاموال والأولاد  
كمثل غيث اعجب الكفار بناته ، ثم  
يهيج فتراه مصبرا ، ثم يكون حطاما  
وف الآخرة عذاب شديد ومغفرة من

(ب) وهم الذين تصدوا لهم  
عليه السلام يذبونه ، ويصدون  
عنه ، ويتهكمون بدعوته ( وقال الملا  
من قومه الذين كفروا ، وكذبوا  
بلقاء الآخرة ، واترفناهم في الحياة  
الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم ، يأكل  
مما تأكلون منه ، ويشرب مما  
تشربون ، ولئن أطعتم بشراً مثلكم  
انكم اذا لخسرون . أيعذكم انكم  
اذا متم وكتتم تراباً انكم مخرجون .  
هيئات هيئات لما توعدون . ان هى  
الا حياتنا الدنيا نموت ونجيا وما  
نحن ببعوثين . ان هو الا رجل  
افتري على الله كذباً ، وما نحن له  
بمؤمنين ) المؤمنون ٣٤ - ٣٩ .

(ج) وهم الملا من قوم صالح ،  
كفروا ، وأغروا بالكفر ( قال الملا  
الذين استكبروا من قومه للذين  
استضعفوا ، اتعلمون أن صالح  
مرسل من ربه ، قالواانا بما أرسل  
به مؤمنون . قال الذين استكبروا  
انا بالذى آمنت به كافرون ، فعقرموا  
الناقة ، وعتوا عن أمر ربهم ،  
وقالوا يا صالح اتنا بما تعدنا ان  
كنت من المرسلين فأخذتهم الرجفة ،  
فاصبحوا في دارهم جاثين . فتولى  
عنهم وقال يا قوم لقد بلغتكم رسالة  
ربى ، ونصحت لكم ، ولكن لا تحبون  
الناصحين . ) الأعراف ٧٥ - ٧٩ .

(د) وهم ملا ملك مصر يسارعون  
في ارضائه ، ويقتلون في تهويين  
الخطوب ، ويفتون وليس من علم  
( وقال الملك انى ارى سبع بقرات  
سمان يأكلهن سبع عجاف ، وسبعين  
سنابلات خضر ، واخر يابسات يأليها

الملا أفتوني فيرؤي اي ان كتم للرؤيا  
تعبرون . قالوا أضغاث احلام وما  
نحن بتأويل الاحلام بعالمين ) يوسف  
(ه) وهم ملا فرعون اذعنوا له  
وهو يتبرج بما ترفضه الفطرة ،  
ويباء العقل ( وقال فرعون يأليها الملا  
ما علمت لكم من الله غيري ... )  
القصص ٣٨ . وهم الذين تآمروا  
على موسى وراؤا ضرورة قتلة ( ...  
يا موسى ان الملا يأترون بك ليقتلوك  
فاخرج ...) وهم الذين صدوا  
بالغوا ، وارهبا ، وارعبوا ،  
واعلنوا الحرب النفسية ، ومارسوا  
التصفية الجسدية ( فما آمن لموسى  
الاذية من قومه ، على خوف من  
فرعون ومثلهم ان يقتلهم ... )  
يونس ٨٣ . وهم الذين اختلفوا  
أسباب التصفية ، وبغوا ، وكالوا  
التهم ، ورموا البراء بأدائهم  
وانسلوا ( قال الملا من قوم فرعون  
أثغر موسى ، وقومه ليفسدوا في  
الارض ، ويدرك وآلهاك ...)  
الاعراف .

(و) وهم ملا بلقيس دلوا في  
مجلسها بقوتهم ، واشادوا بباسهم ،  
ورجولتهم ، ثم انتكسوا فأهدرو اتحت  
قدميهما معانى الرجلة حين جعلوها  
ريبة الامر ، والنهى ، وصاحبة  
القرار ( قالت يأليها الملا أفتوني في  
امری ، ما كنت قاطعة امرا حتى  
تشهدون ، قالوا نحن اولو قوة ،  
وأولو بأس شديد ، والامر اليك  
فانتظر ماذا تأمرین . ) النمل

## أدب العلاقات

( واصبر نفسك مع الذين يدعون

ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ،  
ولا تعد عيناك عنهم تري زينة الحياة  
الدنيا ..... ) الكهف . ( ولا تطرد  
الذين يدعون ربهم بالغداة ، والعشى  
يريدون وجهه ... ) الأنعام ٥٢ .

وفي قصة ( عبس وتولى ) تثبيت  
على الصراط ، وهداية الى الدرج  
الأمثل ، وضبط للفتات وحد من  
جموح الرغبات ( ..... ) أما  
من استغنى . فأنتم له تصدى .  
وما عليك الا يزكي . وأما من جاءك  
يسعى . وهو يخشى . فأنتم عنه  
تلهمي . كلما انها تذكرة ) .

وهذه النصوص وأمثالها أرسى  
قواعد العلاقات بين المؤمنين ، وأبقت  
المواقف التي استدعتها نابضة  
ساخنة تجود بالعظة ، والذكرى .  
وستحضر في الذهان صورة الملا  
من قريش وهم يصيرون برسول الله  
— مستكرين ابناءه الضعفاء ،  
والغموريين من أمثال بلال ، وعمارة ،  
وصهيب ، وخباب — ( يا محمد :  
اطرد هؤلاء . يجترئون علينا ) (٢) ;  
( يا محمد أرضيت بهؤلاء من قومك؟

والملئية التي تقوم على الوجاهة  
الزائفة ، وتستقي من الثروات  
المشبوهة ، وتشدق بالأنساب ،  
وتتفنن بالأجداد ، وتباهى بوفرة  
الأولاد يرفضها الإسلام ويسقط  
اعتبارها . ويحل محلها ملئية الدين  
والنقوي والفكر السديد ، والنصر  
الرشيد . بل الإسلام يهيب بالرسول  
الا يرکن الى الملئية الدنيا طرفة عين  
بأسلوب خشن النبرة شديد اللهجة ،  
وذلك حين جاء الملا من قريش الى  
النبي صلى الله عليه وسلم وطلبوه  
أن يبعد عن مجلسه الذين اتبعوه  
من سقط الناس ، ومواليهم حتى  
يكونوا هم وحدهم الأصحاب ، وتذير  
رسول الله أمرهم فنزل قوله سبحانه  
( وان كادوا ليقتنونك عن الذى  
اوحبنا اليك نقتري علينا غيره ،  
وإذا لاتخذوك خليلا . ولو لا أن  
ثباتك لتد كدت ترکن اليهم شيئا  
قليلا ، اذن لأنذنك ضعف الحياة  
وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا  
 بصيرا ) (١) ) الاسراء .

ويوجه الله رسوله الى الملئية  
العايا ويأمره الا يصرنها عنهم صارف  
ذكره .

(١) سبب النزول الذي ذكرناه قاله السيوطي معزوا الى جبير بن  
نمير ، ضمن عدة اسباب أخرى ولكن السيوطي اختار غير الذي  
ذكرته .

(٢) رواه مسلم .

الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى  
 يريدون وجهه ، ما عليك من حسابهم  
 من شيء ، وما من حسابك عليهم  
 من شيء فتطردهم فتكون من  
 الظالمين . وكذلك فتنا (٤) بعضهم  
 ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم  
 من بيننا ، أليس الله بأعلم  
 بالشاكرين . ) الأنعام ٥١ - ٥٣  
 والرسول صلى الله عليه وسلم  
 أرساء لقواعد أصول العلاقات ،  
 وتعزيقاً لآثار هذه التربية القرآنية  
 كان لا يفتئي يشير حرارة الحرص على  
 تلك الأصول حتى لا تبرد : -  
 ( روى مسلم عن عائذ بن عمرو أن  
 أبا سفيان أتى على سلمان ، وبلال ،  
 وصهيب في نفر ( قبل أن يسلم  
 أبو سفيان ) فقالوا : - ما أخذت  
 سيف الله من عنق عدو الله  
 مأخذها . فقال أبو بكر : أتقولون  
 هذا لشيخ قريش وسيدهم ؟ .  
 فأتى النبي صلى الله عليه وسلم  
 فأخبره ، فقال : يا أبا بكر لعلك  
 أغضبهم ؟ لئن كنت أغضبتهم لفقد  
 أغضبت ربك . فأتاهم فقال : -  
 يا أخواته ، أغضبتمكم ؟ قالوا : لا .  
 يفتر الله لك يا أخي ) .

إن دينا يقوم على مثل هذه  
 الأسس لا يمكن أن يقر محباته ، أو  
 يرضي بمحسوبية . « يتبع »  
**بخاري** **أحمد** **عبدة**

أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ؟  
 أحنن نصیر تبعاً لهؤلاء ؟ اطردهم  
 فلعلك ان طردهم نتبعك (١) وتذكر  
 بوفد الأشراف الى أبي طالب  
 ليقولوا : - ( نو ان ابن أخيك  
 يطرد عنده موالينا ، وحلفاءنا ،  
 فانما هم عبيدون وعساوينا - لو فعل  
 كان أعظم في سدورنا ، وأطوع له  
 عندنا ، وأدنى لنباعنا أيه ،  
 وتصديقنا له ..... ) (٢)

ولقد التزم رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم والمؤمنون بهذه المبادئ  
 فصاروا لا يأبهون لمعايير الجاهلية ،  
 ولا يقيمون قيمها الدنيا . ولا يرغبون  
 لجاه ، أو عرق ، أو مال ، أو نفر  
 أو شيء من زينة الدنيا وزهرتها .  
 كيف وقد وعوا ببعاد قول الله  
 لرسوله : - ( تريد زينة الحياة  
 الدنيا ) (٢) وفهموا أن الآية شنتهم  
 إلى أولى التقوى ، والورع ،  
 والأخلاق ، وصرفتهم عن الانبهار  
 بالزينة واتخاذها عنصر تقسيم  
 وترجيح . ودرروا أن الاتزان بهدایات  
 القرآن كلها دليل الخشية وطريق  
 النجح والنجاة - وأن الله أذ وضع  
 للMuslimين أصول العلاقات - جعل  
 أمر التقى بها اختبارا ، وفتنة ،  
 واستنهموا كل ذلك من قول الله  
 ( وإنز به الذين يخالفون أن يحشروا  
 إلى ربهم ليس لهم من دونه ولـ  
 ولا شفيع لعلمهم يتقوون . ولا تطرد

(١) رواه ابن جرير أيضا .

(٢) رواه ابن جرير .

(٣) راجع آية ( واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم ..... )

(٤) الله يفتّن بمخايل الشرف ليعلم من يفتّر ويؤخذ ، وبمظاهر  
 الضعف كى يعلم من يجزع ، ومن يزدرى ، وينفر كما يفتّن الشرفاء  
 بالضعفاء .

# نفحات قرآن

## بقلم بخاري أحمد عبده

الآل . والأهل . والمودة في القربي\*

من خصائص التربية الإسلامية

نطيل ، وقلبنا الأرضية كاشفين عن  
جذوع المودة ، والرحمة ، متعانقين  
حتى كأنهما شيء واحد .

متبعين توجيهه الإسلام للعواطف  
الإنسانية حتى لا تجنب . وتحديد  
مسار تلك العواطف ، ووضعه  
مبادئ ، وأولويات تباركها الفطرة  
السوية ، وجعله الدين رحما بين  
أهله يقتضي الأخوة ، ويستلزم  
المودة ، والرحمة . ويعملوا إلى  
المشاركة الوجدانية .

مبينين أن الإسلام — وهو  
يأسو<sup>(١)</sup> ، ويهدي — يحسب  
حساب جلة الإنسان ، ويرصد  
الغازات الخائنة التي قد تتضاعد  
من أعماق الحمايا المنسنة . فهو  
لا يكتب الغرائز ، بل يعلوها . وهو  
لا يخمد العواطف بل يذهبها ،  
ويهديها ، ويعنثها دافئة ، متزنة ،  
بناء .

تحليل التربية الإسلامية على النحو  
الذي تقدم ، وضع لنا خصائص هذه  
التربية ، وبين أن الأرض التي غزت  
بقيم الإسلام ، وأرويت بتعاليمه ،  
وأشربت هداه أرض تجود بالحب ،  
وتزدهر بالعدالة ، وتحفل بالأخاء ،  
والمساواة ، والفرصة المكافئة .  
وارض الإسلام المتشبعة بهذه المعاني ،  
ترفض — بطبيعتها — الطفليات ،  
وكل الحشائش الطفالية التي تثال  
من الجلال ، وتشوه الجمال .

والمحاباة المزعومة ، والمحسوبية  
المفتراء التي يتهم بها الإسلام أمور  
لا تحضنها — أبدا — أرض الإسلام  
الطيبة التي احتملت بلد الإسلام  
الطيب ، وغدت شجرة الإسلام  
الطيبة .

وابتهاج هذه النتيجة الرمودية  
اطلنا في التمهيد ما شاء الله لنا أن

\* زعموا أن الإسلام حابي فائز بالصوات والبركات آل محمد ، وأنه  
ميز أهل البيت « يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت » ، ويظهركم  
تطهيراً » وأن محمداً صلى الله عليه وسلم طلب لذوى قريبه معاملة  
متميزة « قل لا أسالكم عليه أجرا إلا المودة في القربي » .

(١) يعالج

استغفوا بعرض الدنيا ، وتعاظموا  
بأصالة العرق ، وتغنووا بالسيادة  
والجاه ، والشرف الأثيل (٤) .  
هؤلاء أحسوا بأن الدنيا تميد تحت  
أقدامهم فجن جنونهم .

وعامل اقبال بالنسبة للضعفاء  
الذين اكتشفوا أنفسهم على ضوء  
الإسلام ، وأحسوا بروعة القيم  
وجلال المبادىء ، ودفعوا المأوى  
فاللوا (٥) الا يسلموه ، واسترخصوا  
من أجله النفس ، والنفيس .

وبالنسبة للقلة المنصفة التي رأت  
بلجة (٦) الحق ، وأبصرت رائعة  
الهدى ، ومعانى الإنسانية التي  
تعتمل في ثنايا هذا الدين العظيم .

ولم يزل المقبولون يزدادون يقظة ،  
ووعيا ، واتكملا ، وقوة حتى بلغوا  
الأشد ، واستوتوا واجتاحوا أولئك  
الدبرين الذين ازدادوا غفلة ،  
وتخلفا ، ووهنا .

ولم يكن لرسول الله صلى الله  
عليه وسلم — وهو الليبي اللوذعى  
الأريب — أن يشوه جلال تلك القيم  
الفضيلة أو يفسد مفعولها العظيم  
بالدعوة إلى « محسوبية » تصريحاً  
أو تلميحا . كيف وهو — صلى الله  
عليه وسلم — أرهف الناس حسا ،  
وأنقبهم نظرا ، وفكرا ، وأغناهم  
بالعواطف النبيلة العادلة .

والرسول صلى الله عليه وسلم  
قبل بكل هذه المعانى السامية على

والإسلام — وهو يكر ( بضم  
الكاف وتشديد الراء ) على مباءات (١)  
الجاهلية الوخيمة ، ويحمل على  
أدواتها المزمنة — قدر أنها عميقة  
الغور ، بعيدة الجذور ، فواجهها  
بأشفية حكمة تنم (٢) ( بكسر النون  
وتشديد الياء ) عن معرفة بالنفوس ،  
ومراعاة حصيفة لمقتضيات الأحوال .  
كما تكشف عن قدرة فائقة على  
محاصرة الأولاد ، وترويض الطياع ،  
وإذابة الفوارق .

وبهذه السياسة الرشيدة ،  
والقدرات العالية استطاع الإسلام  
أن يصهر (٣) معادن العرب —  
بدرجاتها المتباينة — في بوتقة واحدة ،  
وأن يشكل منهم أمة متميزة ، فريدة  
الخصائص ، ملتزمة بأصول اجتماعية  
أصلها ( بتشديد الصاد ) إسلام ،  
حريصة على الأدب الإسلامي الذي  
نظم ( بالبناء للمجهول ) به أمر  
العلاقة بين المسلمين . ذلك الأدب  
الذى يرفع أخوة ( بضم الهمزة ،  
والخاء ، وتشديد الواو المفتوحة )  
الإيمان ، ويعلى رأية الحب ، ويكرم  
صلات الرحم ، ويقدر بميزان التقوى ،  
ويعلن أن الناس سواسية كأسنان  
المشط .

والآدب الرفيع الذى اتسمت به  
دعوة الإسلام كان عامل أدبار ،  
وعامل اقبال .  
عامل أدبار بالنسبة لأولئك الذين

(١) جمع مباءة . المكان المأبوع .

(٢) يذيب .

(٣) اقسموا .

(٤) الزكي الأصيل .

(٥) بلجة الحق : وضوحيه .

وتقسّطوا اليهم ان الله يحب  
المقسطين . انما ينهاكم الله عن  
الذين قاتلوكم في الدين ، وأخرجوكم  
من دياركم ، وظاهروا على اخراجكم ،  
ان تلوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم  
الظالمون » المتنـة .

والآيتان — كما نرى — تتناولان  
(١) البر ، والقسطاط . وهما —  
بمفهومهما الواسع — يتسعان لكل  
ذات كبد رطبة « في كل ذات كبد  
رطبة اجر » .

«٢» الموالاة وهي وليدة اليمان .  
ولا تكون الا بين مؤمنين . والكافر  
— وان سالم — لا يعود حد البر ،  
والقسطاط .

### « حساسية يحسب حسابها »

والعرب — ولا سيما الاتنصار —  
كانوا أصحاب مشاعر مرهفة .  
تقيمهم كلمة وتقعدهم ، وتشيرهم  
النظرة ، ويؤرقهم الخاطر ، ويقر  
عيونهم الاقبال ، ويجرح كبرائهم  
الاعراض . . . الخ

وهذه الصفات المتواترة وراء كل  
ما صدر عنهم من شهامة ونخوة ،  
ومن كرم ، ونجدة ، ومن حب ،  
وغيره ، ومن حمية ، وصولة ، ومن  
شعر ، وخطب ، ومن رفاق ،  
وشقاق ، وفرق ، وتلاق .

الناس ، وعلى الأمة ، وعلى خاصته  
باعتبارهم الأدرين . باعتبارهم أولى  
العالمين بالانذار ، والالتزام ( وانذر  
عشيرتك الأقربين ) .

وخاصته — كسائر الناس — محل  
حب ، وموضع ولية طالما كانوا  
مؤمنين . فان افتقدوا خلة اليمان  
 فلا ولية ولكن لهم رحم تبل بيلالها .  
« روى البخاري عن عمرو بن العاص  
قال : — سمعت النبي صلى الله  
عليه وسلم جهارا غير سر يقول :  
ان آل فلان ، او أبي فلان (١) ليسوا  
بأوليائي ، انما ولبي الله وصالح  
المؤمنين ، ولكن لهم رحم ألبها (٢)  
( بضم الباء وتشديد اللام المضمة )  
بيلالها » .

ولقد من بنا موقفه صلى الله عليه  
وسلم من قريش ، وكيف دعا عليهم  
بالعسرة ، والقطط — ربما متأثرا  
بنظرية نوح عليه السلام « انك ان  
تذرم يضلوا عبادك » — وكيف عاد  
فرق لهم حين استشفعوا بالرحم ،  
ودعا لهم بالخصب رعاية للرحم التي  
تبل ( بالبناء للمجهول ) بيلالها ،  
وتوصل بحقها ، وأجراء للقاعدة  
العامة التي توجب البر ، والقسطاط ،  
وتفرض التحاب . « لا ينهاكم الله  
عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ، ولم  
يخرجوكم من دياركم ، ان تبروهم ،

(١) شك من الرواى . قيل المعنى « أبو طالب » نفسه . فكأنه برغم  
لياديـه ، وموافقـه ، ليس أهلا لشرف المـوالـة لافتـقادـه الـيمـان ، وقيل  
المراد آل أبي طالب مـنـ لم يـؤـمنـواـهـمـ فيـ حـكـمـ اـبـنـ نـوحـ «ـ اـنـ لـبـسـ منـ  
اـهـلـكـ » .

(٢) أصلـهاـ بـصـلـتهاـ

وسداد الفكرة ، وحسن الاعداد ،  
وسلامة التخطيط .

كان لا بد أن يرسيهم تربية جديدة تقوم على حسابات دقيقة تعمل الف حساب لتلك النزعات الموروثة . تربية رائدها الصنف الجميل ، والصبر الجميل ، والحداء الجميل . رائدها (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ) .

ولقد درى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن العرب — ولا سيما الأنصار — ذوو حساسية شديدة هي وليدة تلك الصفات التي نوهنا بها .

ودرى صلى الله عليه وسلم أن أمهاته التي أشربت دعوة الإسلام ، وأغرمت بمبادئه وقيمه — تنظر إليه لا باعتباره فرداً ، ولكن باعتباره قيم الإسلام ، وبمبادئه ، مجسدة تمثلي على الأرض . ودرايته صلى الله عليه وسلم بهذا كانت تفرض عليه أن يتكلم بمعيار ، ويتصرف بحساب ، ان مسيرته صلى الله عليه وسلم كانت شاقة مضنية . ولا عجب فقد كان يكابد كي يبعث أمة طويت في لفائف من عادات وصفات ، ورؤى جاهلية . ثم يصهرهم في بوتقة الإسلام ، ويصوغهم في قوالبه أو ينسجهم على منواله .

والمسلمون — ولا سيما الأنصار — تطقوها بمبادئ الإسلام التي لا تدنى . وتعلنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي احتشد فيه كل القيم الأخاذة البناءة التي ضوت في دعوة الإسلام .

وتأثراً بهذه الصفات العصبية كثيراً ما حال بينهم وبين النظرة المتمعة العميقية التي تسبر الأغوار ، وتحيط بالأبعاد ، وتعين على القرار الثاقب السديد . كثيراً ما شدتهم إلى أنفسهم ، وحبستهم في مجالات ضيقية ، وآفاق محدودة .

وضغوط تلك الصفات صرقتهم عن الحكمة التي تورث الأناء ، وعمق السياسة ، وحسن التخطيط . والعرب كان فيهم حكام ، ولكنهم كانوا قلة بالنسبة للشعراء ، والخطباء .

وكان فيهم حكمة . ولكنها كانت في الغالب بدائية ، مطروحة في الطريق ، منابعها تحت الأقدام . ونفسية العربي كانت تتشكل — في الغالب — من تلك الصفات . ومعرفة أداء العرب بعصبية الخلال العربية هونت عليهم أمر استعمارهم ، ومكنتهم من التسلط ، والسيادة .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان وفق قول الشاعر : — ( الالمعى الذي يظن بك الظن كان قد رأى وقد سمعا ) وكان يعلم حقيقة قومه ، وأنهم سرعان ما ترمي أنوفهم فينجاهلون . وكان لا بد — بحكم كونه نبي دعوة ، ودولة — أن يعيد تشكيل الأمة ويخفف من الوطأة العاطفية التي تملّكم أحياناً . وأن يصوغهم — في قوالب الإسلام — صياغة جديدة موشأة ( بفتح الواو وتشديد الشين ) بالأناء والحلم ، والصبر ، والسكنة ، وبعد النظر ،

وسلم : — من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن القى السلاح فهو آمن . فقلالت الانتصار : — أما الرجل فقد أخذته رأفة بعشيرته ، ورغبة في قريته . ونزل الوحي على رسول الله . قال : — قلت : أما الرجل فقد أخذته رأفة بعشيرته ، ورغبة في قريته . كلّا انّي عبد الله ورسوله . هاجرت الى الله ، واليكم . المخا محياكم ، والممات مماتكم . قالوا :— والله ما قلنا الا ضنا بالله ورسوله . قال وان الله ، ورسوله يصدقانكم ، ويعذر انكم .

رسول الله صلى الله عليه وسلم — اعتباراً لهذه الحساسية وادراكاً لآثارها — كان لا يفتّي يسكنها كلما ثارت ، ويطفئها كلما احتمدت بجميل التوجيه ، وحسن المعاونة ، وصادق الوعد .

روى البخاري عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : — لو لا الهجرة لكت امرا من الانتصار ، ولو سلك الناس واديا أو شعبا ، وسلكت الانتصار واديا أو شعبا لسلكت وادي الانتصار وشعبها . الانتصار شعار ، والناس دشار . انكم سترون بعدى اثرة فاصبروا حتى تلقونى على الحوض . ان الله تعالى ربط رسوله صلى الله عليه وسلم بكل الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، وأمر ، الا تعدو عيناهم . فلفتات رسول الله صلى الله عليه وسلم موزعة على كل هؤلاء . واقباله ، وبشانته وكل ارواحه الزكية شاملة لكل هؤلاء . وهو يوصى من منطلق

ومن مظاهر تلك الحساسية ان الانتصار كان يهمهم مجرد التفكير في احتمالات عودة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القرية الام — أم القرى — وفي احتمالات انجازه الى ذويه واهله . او في احتمالات انصرافه عنهم لسبب او لآخر .

روى البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس رضي الله عنه قال : — ان ناساً من الانتصار قالوا حين أفاء الله على رسوله من أموال هوانن ما أفاء . فطفق يعطي رجالاً من قريش المائة من الإبل فقالوا : —

يففر الله لرسول الله . يعطي قريشا ، ويدعنا ، وسيوفنا تقطر من دمائهم ؟ فحدث ( بالبناء للمجهول ) رسول الله صلى الله عليه وسلم بمقالتهم ، فأرسل الى الانتصار فجمعهم في قبة من ادم ( بفتح الهمزة والدال ) ولم يدع معهم احداً غيرهم ، فلما اجتمعوا جاءهم فقال ما حديث بلغنى عنكم ؟ فقال فقهاؤهم : — أما ذوو رأينا يا رسول الله فلم يقولوا شيئاً . وأما أناس منا حديثة أسنانهم فقد قالوا : — يغفر الله لرسول الله . يعطي قريشا ، ويدع الانتصار ، وسيوفنا تقطر من دمائهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : — انّي أعطى رجالاً حديثى عهد بکثر اتّالفهم . أما ترضون ان يذهب الناس بالاموال ، وترجعون الى رحالكم برسول الله ؟ . قالوا :— بلّى يا رسول الله قد رضينا .

وروى مسلم عن أبي هريرة قال : — كنا مع رسول الله يوم الفتح ، فقال صلى الله عليه

(أبي موسى الشعري) قال : -  
رفع النبي صلى الله عليه وسلم  
رأسه إلى السماء - وكان كثيراً ما  
يرفع رأسه إلى السماء - فقال : -  
النجم أمنة للسماء ، فإذا ذهبت  
النجم أتى السماء ما توعد . وأنا  
أمنة لأصحابي ، فإذا ذهبت أنا ،  
أتى أصحابي ما يوعدون . وأصحابي  
أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى  
أمتى ما يوعدون .

هكذا كان علم رسول الله صلى  
الله عليه وسلم . وكذلك كانت  
رؤيته . والرسول وهو يوصي في  
آخر أيامه بالأنصار إنما أراد أن  
يعكس على أصحابه مما علم رجاء  
أن يرافقوا مثله الحساسيات  
ويعرفوا الإندرار ، ويحملوا من بعده  
أمانة القيادة بالحكمة ، والمعوظة  
الحسنة وأمانة السياسة الراسدة  
التي توفر الأمان ، وتجمع الشمل ،  
وتنتج الصدور .

والمحاباة تلد مزيداً من محاباة .  
وتورث التشكك ، والتبعاد والتباغض .  
ودعامة الكينونة الإسلامية التحام ،  
وحب ، والثام ، واعتصام بقيم  
الإسلام .

وبعد فقد كنا بكل ما قلنا نحل  
تراث الإسلام حتى نعلم أنها تربة  
«معقمة» لا تنبت مثل الحسوية  
أو الآثرة أو المياهة بالأعراق  
والثروات .

اذن ما سر كلمات الآل ، والأهل ،  
والمردة في القربي ؟  
ذلك ما سنواجهه إن شاء الله في  
المقال القادم ، والله المستعان .  
**بخاري احمد عبد**

الأخوة اليمانية بكل هؤلاء . أوصى  
بالمرأة ، والرقيق وأوصى بأهل بيته ،  
وأوصى بالمهاجرين ، وأوصى بالأنصار  
خيراً في آخر أيامه مغلباً رعدة  
الحمى ، وعضة المرض .

روى البخاري عن أبي هريرة  
قال : - مر أبو بكر ، والعباس  
بمجلس من مجالس الأنصار ، وهم  
يكونون فقالا : - ما يبكيكم ؟  
فقالوا : - ذكرنا مجلس النبي  
صلى الله عليه وسلم منا . فدخل  
أحدهما على النبي صلى الله عليه وسلم  
وسلم فأخبره . فخرج النبي وقد  
عصب على رأسه حاشية برد فصعد  
المنبر - ولم يصعد بعد ذلك ، اليوم  
- محمد الله ، واثني عليه ثم  
قال : - أوصيكم بالأنصار فإنهم  
كرشى (بطانتى) وعيتى (خاصتى)  
وقد قضوا الذى عليهم ، وبقي الذى  
لهم ، فاقبلوا من محسنهم ، وتجاوزوا  
عن مسيئهم .

والرسول صلى الله عليه وسلم  
- فيما أظن - قد تجثم ما تجثم ،  
وحمل نفسه على العناء كى يامس  
لسنة أخيرة على قلوب الأنصار  
يسكتها ، ويدهب عنها برح  
الحساسية ، وجوى الفقدان .

وكى يامس لسنة أخيرة على قلوب  
أولى الأمر من بعده ، يستجيشهما ،  
ويثير فيها معانى الأخوة ، وخلق  
العرفان .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم  
كان يرى بعين اليقين أن ما كتب  
من نوازع يمكن أن يطل برأسه ثم  
ينطلق مجتحاً مدمراً . لا يذر من  
شيء أتى عليه الا جعله كالرميم .  
روى مسلم عن أبي بردة عن أبيه

# نفحات القرآن

## بقلوب بخارى احمد عبد الله

### الآل والأهل والمودة في القربى \*

معطاء ، وشياطين الجن والانس  
ان اجتمعوا على ان يغيروا من  
خصائصها ، او يعصفوا بمبادئها  
لا يستطيعون وان كان بعضهم لبعض  
ظهيرا .

اطلنا الوقوف امام التربة الاسلامية  
فقلب ، ونحلل ، ونتعرف على  
الخصائص النادرة التي تميز بها  
الاسلام ، وغذى ( بالبناء للمجهول )  
بها المسلمين الاولون .

وهم الشياطين ينحصر في محاولات  
التلبيس ، والتغريب ، والتخيل ،  
والتضليل ، والتمويه بالبدع ،  
 وبالنباتات الطفiliة التي تعشى  
الواجهة ، وتكتسو ظاهر الأرض .

وعلمـنا انـها خـصائـص لا تـنـتـبـتـ الا  
الـعـزـ ، وـلا تـجـودـ الاـ بـالـقـيـمـ الـمـثـلـ ،  
وـلا تـحـضـنـ الاـ الـاخـاءـ وـالـمـساـوـةـ ،  
وـالـعـدـالـةـ ، وـالـفـرـصـ الـمـتـكـافـئـةـ .

ومحاولات الشياطين قد تخدع  
البصر ، والحسائش الطفiliة قد  
تشكل طبقة عازلة تضعف المدد ، او  
توقف الرى ، او توهن التيار ،  
وحيثـذـ يـصـعـبـ اـتـصـالـ المـسـلـمـ بـتـرـبـيـتهـ ،  
وـيـعـسـرـ اـسـتـمـدـاـهـ ، اوـ اـمـتـصـاصـهـ منـ  
رـحـيقـ التـرـبـةـ ذاتـ الخـصـائـصـ المعـجزـةـ .  
وكـلـماـ طـالـ المـدىـ ، كـلـماـ اـشـتـدـ  
الـتـبـاـيـنـ بـيـنـ المـسـطـمـ وـتـرـبـيـتهـ . وـهـكـذاـ  
يـسـتـحـيلـ المـسـلـمـونـ إـلـىـ اـمـوـادـ باـهـةـ  
صـفـرـاءـ . ثـمـ يـسـقطـونـ حـطـاماـ ، ثـمـ

وـذـوبـ تـلـكـ الخـصـائـصـ هوـ الذـىـ  
أـرـوـىـ عـرـوقـ الـأـوـلـىـ ، وـغـذـىـ  
أـوـصـالـهـمـ ، وـوـحـدـ أـمـرـهـمـ حتـىـ بـدـواـ  
شـجـرـةـ فـيـنـانـةـ طـبـيـةـ الجـنـىـ ( ١ ) ( بـفـتـحـ  
الـجـيـمـ وـالـنـوـنـ ) وـارـفـةـ الـظـلـالـ ،  
مـبـيـوـطـةـ الـبـدـنـ ( ... ) وـمـثـلـهـمـ فـيـ  
الـانـجـيـلـ كـرـعـ اـخـرـجـ شـطـأـهـ ، فـأـزـرـهـ ) ،  
غـاسـتـغـلـاطـ ، فـاسـتـوـىـ عـلـىـ سـوـقـهـ ،  
يـعـجـبـ الزـرـاعـ لـيـفـيـظـ بـهـمـ الـكـفـارـ ) .

### « استطراد »

وتربة الاسلام لا تزال نجيبة ،

\* زعموا ان الاسلام حabi آل محمد فآثرهم بالصلوات وخصهم  
بالبركات . وان محمدا صلي الله عليه وسلم ميز ذوى قرباه حين  
طلب لهم معاملة مميزة .  
( ١ ) الثمار .

بل الحق الذى لا شك فيه أن واقعهم ينطق بمدى بعدهم عن قيم الاسلام، وفكرة الناصح المبين الذى يحيط بالدنيا والآخرة .

ان المسلمين — بلا شك — مختلفون تحتويم غيوبية مزمنة . ويتردون (١) ( بفتح الياء ، والتاء ، والراء والدال المشددة ) وهم يسيرون القهقري في غيابات الأرضحة ، ويركضون بأرجلهم يحرثون بها القبور ، ويشرون التراب وكأنهم أحسوا بأن مضاجع الموتى هي المكان الطبيعي للمختلفين .

اما الاسلام فان بيارقه العالية لا تزال تتقدّر ركب الانسانية رائدة هادية داعية .

### سر هذا الاستطراد

ولقد استطردت في الحديث ولكن لم اخرج عن الجادة ، وأمسكت المقام يغريني بمزيد من اللف والنشر ، والاستطراد ، وسر هذا حوار حار دار بيني وبين زمي (٢) ( بفتح الياء وكسر النون وتشديد الياء ) بعشى (٣) مادانى (٤) يزعم ان الاسلام كان

يذرون ( بالبناء للمجهول ) هشيم ادراج الرياح .

والمسلمون — في اوضاعهم الراهنة — يعانون الانقسام الفاجع بين الواقع ، والمنتـ . بين النظرية ، والتطبيق . بين السلوك ، والعقيدة . فهم — في وضعهم الراهن — لا يصلحون عنوانا للإسلام ، ولا يكونون حيـة من حـيات الحكم على هذا الدين .

نعم ان المقصـ الذى ينشـدـ الحق لا ينـفيـ ان يـنظـرـ الىـ الاسلامـ من خـلالـ المـسلـمـينـ الـذـينـ تـاكـلـواـ منـ الدـاخـلـ ، وـغـدوـ حـجاـ كـثـيفـةـ سـودـاءـ تـقطـىـ المـناـفذـ ، وـالـآـفـاقـ ، وـتـضـنىـ الـأـبـصـارـ .

فـاذـ فـاضـ دـنـيـاـ الـمـسـلـمـينـ بـالـجـوـىـ ، وـالـهـوـىـ ، وـالـاسـتـبـادـ » وـالـأـثـرـ ، وـالـأـنـطـوـانـيـةـ ، وـالـأـنـتـهـارـيـةـ ، وـالـغـشـ ، وـالـمـحـابـةـ ، وـالـمـسـوـبـيـةـ ، وـالـزـيفـ ، وـالـزـورـ ... الخـ .

وـاـذاـ بـداـ الـمـسـلـمـونـ هـيـاـكـلـ ، وـخـشـبـاـ مـسـنـدـةـ ، اوـ رـمـيـماـ ... الخـ فـليـسـ معـنىـ هـذـاـ اـنـ ذـلـكـ هـوـ الـاسـلـامـ .

(١) يسقطون .

(٢) الزمنى نسبة الى الزمن . والزمـيونـ يـزـعمـونـ أـنـ تـغـيرـ الـوعـاءـ يـقـضـىـ بـالـضـرـورةـ تـغـيرـ الـمـوـعـىـ . وـأـنـ لـكـلـ زـمانـ دـوـلـةـ وـرـجـالـ «ـ اـنـ هـىـ اـ حـيـاتـنـاـ الـدـنـيـاـ نـمـوتـ وـنـحـيـاـ وـمـاـ يـهـلـكـاـ اـلـدـهـرـ ». .

(٣) البعـثـيـونـ يـطـرحـونـ الـاسـلـامـ وـيـتـغـفـونـ بـالـعـرـوبـةـ وـالـقـومـيـةـ الـفـرـقـيـةـ . وـيـزـعـمـونـ أـنـ عـظـمةـ مـحـمـدـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ تـكـنـ فيـ عـرـوبـتـهـ .

(٤) المـادـانـيـةـ الـمـفـالـاـةـ فيـ تـقـديـسـ المـادـةـ كـمـاـ اـنـ الـعـلـمـانـيـةـ عـبـادـةـ الـعـلـمـ . وـكـلـ الـفـنـظـيـنـ يـوـحـيـانـ بـالـمـلـبـأـفـةـ الـطـاغـيـةـ

بعيني ملحداً أعرفه كما أعرف ابنائي، يأخذ بالأحسان شيخاً مرموقاً ذاتي الصيت، يتمسح بصدر الشیخ ويسيطر بالقبلات، ويلتمس البركات. ولما رأى انصرف كالشیطان ولهم ضراط. وسألت عنه الشیخ فمجد، وزنه، وأثني على دينه، وغيرته، وحمد سعيه المشكور لاعلاء كلمة الله.

وأخبرت الشیخ بأمره، فاسترجع، وحوقل، واستعاد من فتنة القول، وفتنة العمل.

ومن هؤلاء الملحدين الخطرين من استطاع — بطرقه — أن يعلو الحواجز، ويتحدى الأسوار، وينفذ إلى المملكة العربية السعودية. وبقي فيها سنوات — معاها أو متعاقداً — بيت السموم، ويفسد القلوب، ويعد لساعة الصفر.

وأجهن القطب الزمني بعد أن تابع محاضراتي في العشر الأواخر من رمضان.

١ — مستقلاً بقوله تعالى : — قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لأخوانهم هلم الينا . ولا يأتون الأساس إلا قليلاً ) الأحزاب .

٢ — وقال : — ما أشد جنایتكم على الشباب . الا ناعلموا ان الدنيا بكل زهراتها وايجابياتها تشكل القوة . والدين بكل روحياته ، وسلبياته يشكل مقاومة واهية هزيلة . وجنایتكم أنكم بتشكلكم في أوعية الدين

ققام نئـة محدودة ، في زـمـن مـحـدـودـ، في بـقـاع مـحـدـودـة . وـانـ الـحـضـارـةـ الـبـاتـيـةـ هـيـ حـضـارـةـ الـمـادـةـ ، وـانـ الـعـاقـبـةـ لـلـدـنـيـوـيـةـ الـقـائـمـةـ عـلـىـ الـمـادـانـيـةـ ، وـالـعـلـمـانـيـةـ . وـانـ الدـيـنـ يـنـبـغـيـ اـلـيـزـجـ بـرـاسـهـ فـيـ دـنـيـاـ مـطـلـورـةـ جـارـيـةـ ، وـانـ الـاسـلـامـيـنـ هـمـ الـمـعـوـقـونـ ، كـلـماـ اـحـسـواـ بـخـطـاـ تـقـدـمـيـةـ تـصـدـواـ لـهـاـ وـنـادـواـ هـامـ الـيـناـ .

والزمانيون — بل سـمـهمـ انـ شـنـتـ الزـمـنـيـ (١) — يـلـوـونـ عـنـقـ الـآـيـاتـ ، وـيـجـادـلـونـ بـالـقـرـآنـ جـدـالـ المـنـافـقـينـ . وـالـزـمـنـيـوـنـ وـأـمـثـالـهـمـ منـ صـنـائـعـ الـمـاسـوـنـيـةـ ، وـرـبـائـبـ أـنـدـيـةـ الـرـوـتـارـيـ . وـمـنـ طـلـائـعـ الـلـاحـادـ وـعـلـمـاءـ الـصـهـيـونـيـةـ ، وـالـصـلـيـبـيـةـ . يـفـشـلـونـ الـمـحـاـفـلـ الـدـيـنـيـةـ ، وـيـحـضـرـونـ الـنـدـوـاتـ الـإـسـلـامـيـةـ ، وـيـنـدـسـونـ بـمـهـارـةـ بـيـنـ الشـيـابـ الـمـسـلـمـ يـجـارـونـهـمـ ، وـرـيـدارـونـهـمـ ، وـرـبـماـ أـطـلـقـواـ الـلـحـىـ ، اوـ اـرـسـلـواـ الـعـذـبةـ اوـ اـمـسـكـواـ بـالـعـصـاـ وـقـصـرـواـ الـجـلـبـابـ ، وـرـبـماـ تـأـبـطـلـواـ الـأـسـفـارـ الصـفـراءـ ، وـرـبـماـ تـظـاهـرـواـ بـالـغـفـلـةـ . كـلـ ذـلـكـ طـبقـاـ لـخـطـةـ مـدـرـوـسـةـ تـبـيـعـ لـهـمـ آـنـ يـقـفـواـ عـلـىـ مـدـ الـاسـلـامـ ، وـيـزـنـواـ حـرـكـاتـ الشـيـابـ الـمـسـلـمـ . وـيـعـدـواـ سـجـلاتـ ضـافـيـةـ عـنـ الشـيـابـ وـلـاـ سـيـماـ الرـوـادـ . سـجـلاتـ تـعـدـ لـيـومـ الـكـرـيـهـ ، وـرـوـعـ ٠

وـهـؤـلـاءـ لـدـقـةـ تـنـكـرـهـ ، وـجـوـدـةـ تمـثـيلـهـمـ يـخـفـونـ عـلـىـ كـثـيرـ مـنـ اـخـوـانـاـ الـذـيـنـ يـتـصـدـرـونـ السـرـكـبـ وـيـؤـمـونـ قـوـافـلـ الشـيـابـ . وـلـقـدـ شـاهـدـتـ

(١) الزمني = المرضى .

بنص القرآن . لماذا حمل على عواتق هزيلة ، وعلق بکواهل متخاذلة عليلة ؟ ولماذا أنيط أمر الدين بأمة مقطوعة النفس سرعان ما تلهث وتعجز وتعيا ؟ لماذا العرب وقد كانوا في الجاهلية أحط الناس . وعاشوا رغم الاسلام أحط الناس بدليل انهم سرعان ما فرطوا في دينهم . وسرعان ما نسوا الأخوة والقيم وتطاھنوا بالقنا والرماح والسيوف ؟ .

الواهنة أضعمت كل شيء . وكتتم كالمرأة التي دخلت النار في هرة حبستها فلا هي أطمعتها ، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض . وكذلك فعلمتم بالشباب ، وبالامة . لم تخروا بينهم وبين الدنيا . ولم تقووا على شدهم الى الساحة الوحشة القراء . وكتتم وكانوا معكم كالميت لا ارضا قطع ، ولا ظهرا أبقى .

٥ — وقال : لو أن الله أراد لهذا الدين أن يستمر ويبلغ مغرب الشمس لاستدוע فكره الناصع المبين أمة من أمم الغرب . اذن لنصروه ، ونشروه . ولكن الله وكله الى العرب وهو عليم بضيق صدورهم . وقصر باعهم ، وأنفاسهم ، وطفیان عواطفهم وأهوانهم . ومفاد هذا أن المولى لا يريد لهذا الدين أن يستمر ظاهرا الى يوم القيمة . هذا قضاء الله ففيما التشبيث بأحكام أضحت — في زمننا هذا — غير ذات موضوع .

٦ — وقال : إنكم تصيرون ما صدى الصياغ ؟ تغیر بالوعود ، وتخدیر بمعسول الكلام ، وتغیر للمفاهيم بـأجهزة الاعلام ، واجهاض من بعد اجهاض ، من بعد اجهاض فمتهى تقفينون .

## والجواب ؟

ذلك سر من أسرار الاستطراد .

٣ — وقال : — بربك قل لي : ما قيمة فكركم الناصع المبين الذي لا يصد أمام مشاكل التطبيق ؟ ان الاسلام لم يدم عنفوانه إلا ساعة من نهار ، وان المسلمين لم يلبثوا الا أمدا هو بمقاييس الدهر يوم أو بعض يوم . وهب أن هذا اليوم امتد حتى غطى ثلاثة قرون مصدق حديث الرسول « خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ... » ماذا تساوى ثلاثة القرون بالنسبة لعمر الأمم ؟

٤ — وقال : — وهب أن الاسلام فكر ناصع مبين — كما يحلو لك دائمًا أن تردد — وهب ايضا أن العيب كل العيب في القوم الذين لم يؤدوا الأمانة ، ولم يفوا بحق الدين . ولم يذودوا عن حماه . فقل لي بربك : لماذا حمل — بالبناء للمجهول — ثقل هذا الدين . وهو جد ثقيل

تضييقها بصيرة ، ولا يحتويها تخطيط؟  
ومحنـة المسلمين في كل مكان . هل  
عمت انتقامـة أم جاءت ولـدة تدبـير ،  
وتـخطـيط ، وتأمـر ؟

أسئـلة مؤـرـقة لا بد أن تـوضع في  
الحسـبـان وترفع نـصـبـ الـاعـينـ عندـ  
تشـخـيـصـ الدـاءـ ، وعـنـدـ وـصـفـ الدـوـاءـ  
وـعـنـدـ تـحـدـيدـ شـكـلـهـ وـطـرـيـقـةـ تـعـاطـيـهـ ،  
حقـناـ فـيـ الدـمـ أوـ شـمـاـ بـالـأـنـفـ أوـ بلـعـاـ  
بـالـفـمـ أوـ كـيـاـ ، أوـ مـسـاـ بـالـأـشـعـةـ أوـ  
جـراـحةـ . . . الخـ

ذلك سـرـ منـ أـسـرـ الـاسـطـرـادـ  
والـسـرـ الآـخـرـ هوـ أـنـىـ أـرـدـتـ أـنـوـضـعـ  
أنـ المـحـنـةـ التـىـ ضـرـبـتـ اـطـنـابـهاـ عـلـىـ  
الـأـمـةـ الـإـسـلـامـيـةـ قـاطـبـةـ لـهـاـ عـلـقـةـ  
بـهـذـاـ خـبـلـ الذـىـ أـصـابـ فـكـرـ عـدـيدـ  
مـنـ يـنـتـقـونـ إـلـىـ هـذـهـ الـأـمـةـ . بلـ  
فـكـرـ كـثـيرـ مـنـ يـسـيـطـرـونـ عـلـىـ مـجـالـاتـ  
الـكـلـامـ ، وـيـحـتـلـونـ مـوـاقـعـ التـائـيـرـ ،  
وـيـتـمـتـعـونـ بـأـبـرـيقـ الـخـلـبـ ، وـالـأـقـابـ  
الـطـنـانـةـ ، وـأـرـائـكـ الـحـظـوـةـ التـىـ  
تـبـارـكـهـاـ الـقـوـىـ الـمـضـادـةـ لـلـإـسـلـامـ ،  
تـلـكـ الـقـوـىـ التـىـ لـاـ تـأـلـوـنـ خـبـالـاـ ، وـلـاـ  
تـضـمـرـ لـنـاـ إـلـاـ عـنـاـ ، وـبـغـضـاءـ (ـيـأـيـهـاـ  
الـذـيـ آـمـنـواـ لـاـ تـتـخـذـواـ بـطـانـةـ مـنـ  
دـوـنـكـمـ ، لـاـ يـأـلـوـنـكـمـ خـبـالـاـ ، وـدـنـوـاـ مـاـ  
عـنـقـمـ ، قـدـ بـدـتـ الـبـغـضـاءـ مـنـ أـفـواـهـهـمـ .  
وـمـاـ تـخـفـيـ صـدـورـهـمـ أـكـبـرـ ، قـدـ بـيـنـاـ  
لـكـ الـآـيـاتـ اـنـ كـنـتـ تـعـتـلـونـ . هـائـنـتـ  
أـوـلـاـ تـحـبـونـهـمـ ، وـلـاـ يـحـبـونـهـمـ وـتـؤـمـنـونـ  
بـالـكـلـابـ كـلـهـ ، وـاـذـ لـفـوكـمـ قـالـواـ

غـيرـ أـنـ لـنـ اـسـتـسـلـمـ لـأـغـرـائـهـ ، وـلـنـ  
أـسـبـحـ مـعـ تـيـارـهـ . بلـ سـأـعـودـ بـنـفـسـيـ  
إـلـىـ الـجـادـةـ الـأـوـلـىـ ، إـلـىـ مـوـضـعـ  
الـأـلـ وـالـأـهـلـ وـالـمـوـدـةـ فـيـ الـقـرـبـىـ .  
مـدـخـراـ الـجـوابـ لـفـاتـمـ آـخـرـ مـكـتـفـيـاـ  
بـتـسـجـيلـ تـلـكـ الـأـقاـوـيلـ الـضـالـةـ الـمـضـلـةـ،  
أـمـلـاـ أـنـ يـقـفـ الـقـرـاءـ مـلـيـاـ أـمـامـ هـذـهـ  
الـأـقاـوـيلـ مـتـمـعـنـينـ ، مـتـدـبـرـينـ ، وـجـبـذاـ  
أـنـ يـدـرـسـواـ جـوـانـبـ مـثـلـ هـذـهـ الـأـقاـوـيلـ  
وـيـشـتـرـكـواـ مـعـنـاـ فـيـ الرـدـ ، وـاحـقـاقـ  
الـحـقـ .

أـنـ يـبـحـثـوـ عـنـ قـيمـ الـإـسـلـامـ الـعـلـيـاـ،  
وـسـيـاسـةـ الـإـسـلـامـ الرـشـيـدـةـ ، وـعـزـةـ  
الـمـسـلـمـيـنـ الـمـجـيـدـةـ كـيـفـ ذـاـبـتـ وـأـيـنـ  
غـابـتـ ؟ فـيـمـ ضـلـواـ ؟ وـلـمـ ذـلـواـ ؟

مـاـ الـخـطـةـ الـمـثـلـىـ ، وـالـنـهـجـ انـقـوـيمـ  
الـذـىـ يـهـدـىـ إـلـىـ الرـشـدـ ؟ بـمـ نـوـاجـهـ  
مـكـرـ أـولـئـكـ ؟ وـكـيـفـ نـتـصـدـىـ لـكـيـدـ  
أـكـابـرـ الـمـجـرـمـينـ وـأـسـاغـرـهـمـ ؟  
كـيـفـ نـبـعـثـ هـذـهـ الـأـمـةـ الـفـانـيـةـ  
وـكـيـفـ نـفـرـيـهـاـ بـالـأـشـفـيـةـ ، وـنـسـتـيـهـاـ  
الـتـرـيـاقـ .

أـنـ أـصـوـاتـ انـقـوـيـ المـضـادـ أـعـلـىـ،  
وـوـسـائـلـهـمـ أـقـوـىـ ، وـأـمـكـانـاتـهـمـ اـوـسـعـ،  
وـبـأـسـهـمـ شـدـيدـ ، وـبـأـسـنـاـ بـيـنـنـاـ شـدـيدـ،  
وـقـلـوـبـنـاـ شـتـىـ .

شـمـ رـنـودـ الشـعلـ الصـادـرـةـ بـنـ  
الـضـفـوطـ الـمـسـتـمـرـةـ ، وـمـنـ ذـلـ السـنـينـ؟  
وـمـاـ الـعـبـرـةـ الـتـىـ نـذـخـدـهـ مـاـ سـنـتـ  
مـنـ تـخـبـطـ ، وـعـفـوـيـةـ ، وـانـفـعـالـيـةـ لـاـ

ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ،  
ولو ترى اذ الظالمون في غمرات  
الموت ، والملائكة باسطوا أيديهم ،  
اخروا أنفسكم ، اليوم تجزون  
عذاب الهون بما كنتم تقولون على  
الله غير الحق ، وكتنتم عن آياته  
تستكرون . ولقد جئمنا فرادى  
كما خلقناكم أول مرة ، وتركم ما  
خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم  
شفعاكم الذين زعمتم انهم فيكم  
شركاء ، لقد قطع بينكم ، وضل  
عنكم ما كنتم تزعمون ) الانعام ٩٣

ذلك ما نرى ونسمع من عدوان  
على مثام الرسول صلى الله عليه  
وسلم ووصمه بالمحسوبيّة ، والمحاباة  
من منطلق المقت ، أو من منطلق  
الجهل . ومن ..... ومن ..... ومن

زواياً قاصمة تلف دنيا المسلمين ،  
وتشور فوقهم وتحت ارجلهم مبرقة ،  
مرعدة وكلها تنم عن الوهن ، وتشى  
بالزلزال الذي هز الأركان ، وهدد  
البنيان .

ان الهزات وليدة المحن ، وهى  
بدورها أفضت الى مزيد من محن  
فمزيد من خبال ، فما أشد ترابط كل  
تلك الطواهر . وما اوضح انتساب  
بعضها لبعض .

پخاری احمد عبدہ

آمنا ، واذا خلوا عضوا عليكم الانماط  
من الغيظ ، قل موتوا بغيظكم ، ان  
الله عليم بذات الصدور . ان  
تمسكم حسنة تستؤهم ، وان  
تصنكم سئة يفرجوا بها ( ۰۰۰ )

آل عمران ۱۱۸ - ۱۲۰

والمولى قد حذر من مجرد تواجدهم  
في صفوفنا ، ونبه إلى الآخر السيء  
الذى يترتب على مجرد مواكبتهم  
لنا . فكيف لو استبطنونا ولمكوا  
الزمام ، وصاروا الأولياء ؟ (لو خرجوا  
فيكم ما زادوكم الا خبلا ، ولا وضعوا  
خلالكم بيفونكم الفتنة ، وفيكم  
سماعون لهم ، والله علیم بالظالمين)  
التوبية ٤٧

ومن مظاهر الخبال الذى رمينا  
به ما نرى ، ونسمع من : - تمجيد  
للمادة ، وتعن بالفن ، وتجريم  
لالمتدينين ، ونيل من جلال الشريعة،  
وتذكيب لواقق قرآنية ، وتندر  
بالجنة ، والنار ، وافتراء على  
الاسلام ، ودفاع عن الكافرين به ،  
وتهجم على مقام المولى جل وعلا  
باتتطاول عليه ، ونحله سبحانه ما لم  
يقل ، ومن دفاع عن هذا المتطاول  
الذى تجاوز قدره القمىء فراح  
ينسب الى الله نكره الفت السقيم،  
وكلماته الفاجرة المسمومة ( ومن  
أظلم من افترى على الله كذبا أو  
قتل أوحى الى ولم يوح اليه شيء )

# نفحات قرآن

## بقلم بخاري احمد رعبيه

آل ، والأهل ، وال媿ة في القرى \* \*

صلى الله عليه وسلم ( سئل ابن مسعود رضي الله عنه : ما الصراط المستقيم ؟ قال تركنا محمد صلى الله عليه وسلم في أدناه ، وظرفه في الجنة وعن يمينه جواد ( بتشديد الدال . جمع جادة والجادة الطريق ) وعن يساره جواد ، وثم ( بفتح الثاء ) رجال يدعون من مر بهم . فمن أخذ في تلك الجواد انتهت به إلى النار ، ومن أخذ على الصراط المستقيم انتهى به إلى الجنة ، ثم قرأ ابن مسعود : - ( وأن هذا صراطى مستقىما ... ) آخرجه رزين موقوفا .

اردنا بكل مأسفنا أن نعلم أن الاسلام حريص على ترابط المجتمع المسلم بروابط الأخوة والمودة ، والألفة ، والرحمة حريص على أن يظل هذا المجتمع بعيدا عن مزالق الآثرة ، والفردية ، والانتهازية ، والانحلالية ، والغنى ، والهوى ، وحمية الجاهلية .

وال المسلمين ان ضلوا ، فنزلوا ، فتردوا في المهالك ، وذلوا فلأنهم

\* زعموا أن الاسلام دين محاباة ، وبالصلوات ، والبركات ، وأضمر لهم مالم يضمرون لغيرهم ، وطلب لهم المودة ، والتكريم .

سبحنا مع نفحات « بت بت يدا » سبحا طويلا ، واستهدفتنا بكل ما بسطنا من نفحات ، اظهار أن الاسلام دين القيمة ، وأنه دائمًا على صراط مستقيم ناصع .

ولكن حكمة الله اقتضت أن يمد هذا الصراط بين سبل مضلة تعمّرها شياطين مصادق ماروى احمد والنمسائى عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خططا ثم قال : هذا سبيل الله ، ثم خط خطوطا عن يمينه ، وعن شماله وقال : هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعوه إليه ، ثم قرأ : - ( وأن هذا صراطى مستقىما فاتبعوه ... ) الأنعام .

فالأصوات التي ترتفع عليه مموهة بزخرف القول ، أو صاحبة ملتهبة بضرام الحقد هي أصوات الزيف والمكر ، والضلالة ، والتغريب .

ولقد أوضح لنا ابن مسعود رضي الله عنه معالم تلك اللوحة التي وضعت خطوطها بيد النبي الكريم

كتاب منير ، الموجلين في متأهات تسلّم  
إلى الضلال ، وتفضي إلى الضياع  
(من كان يريد حرث الآخرة نزد له في  
حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا  
نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب  
أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين  
ما لم يأذن به الله ، ولو لا كلامة الفصل  
لقضى بينهم ، وإن الظالمين لهم عذاب  
الايم . ترى الظالمين مشفقين مما  
كسبوا وهو واقع بهم ٠٠٠ ) الشوري

اسدلوا على وجوههم حجا فتلوها  
بأيديهم ، وحشوا اعينهم بأغشية  
نسجوها بأيديهم ، وخسروا أنفسهم  
في غيابات حفروها بأيديهم ، وباتوا  
يعانون من مخصصة مادية ، ومعنىوية  
حاكوا اعطافها بأنفسهم . فلا عجب  
وقد احتوتهم الغفلات — اذا صدقوا  
كل ناعق ، او شدقاوا بكل باطل  
زاهق . ولا غرابة اذا آبوا بشر  
السمع ، والبصر ، واللسان ، والرؤاد  
وغمموا خزى الدنيا ، والآخرة ،  
وعايشوا غلبة الدين وقهر الرجال .

صوت الحق دوى في سياق نذر  
تشهير سيف الحق ، وتلوح بقبضته  
العز ( أم يقولون افترى على الله  
كذبا ، فأن يشا الله يختم على قلبك  
ويمح الله الباطل ، ويحق الحق  
 بكلماته انه عليم بذات الصدور )  
الشوري ٢٤

والآن ، وبعد ذلك السبع الطويل  
الهدف نقف وجهاً لوجه مع مزاعم  
الحاتدين ، وتأويل الجاهلين ،  
مستفتحين بقوله سبحانه ( .....  
قل لا أسألكم عليه اجرا الا المودة في  
الفibri ..... )

وخلال هذه النذر تمضي بروق  
رخية السنى ، زكية الأرواح ، واعدة  
مبشرة (والذين آمنوا وعملوا  
الصالحات في روضات الجنات ، لهم  
ما يشauen عند ربهم ، ذلك هو  
الفضل الكبير . ذلك الذي يبشر الله  
عباده الذين آمنوا ، وعملوا  
الصالحات ) الشوري ٢٢ ، ٢٣

والنص الكريم ، في صيغته الموجة  
وأسلوبه الفخم هو صوت الحق علا  
مجلجلا عبر أجواء تثير الرغب  
والرهب ، واسترسل مصالحا في  
معية معلن تدهم الذين يجاجون في  
الله ، وتحض حجتهم ، وتتوعدهم  
بالويل ، والثبور (والذين يجاجون في  
الله من بعد ما استجيب له ، حجتهم  
داحضة عند ربيهم ، عليهم غصب ،  
ولهم عذاب شديد ) الشوري ١٦ .

وبعد تلك النذر التي تقدّف بالحّمْ وَهَذِهِ الْبَشَارَةُ الَّتِي تَرْخُرُ بِالْمَلَءِ ، وَتَذَكَّرُ بِالْفَضْلِ يُؤْمِرُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنْ يَرْفَعَ نَدَاءَ الْعَزَّةِ وَيَعْلَمَ أَكْتِفَاءَ بِاللَّهِ ، وَاسْتَغْنَاءَ عَنِ النَّاسِ ( قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا مَا وَدَعْتُ فِي التَّرْبِيَةِ )

وهو الأذان السماوى ارتفع فى  
بيئة قرآنية تنبذ الغافلين ، وترى  
آياتها بالمخلين الى الدنيا المنطوبين  
في زهرتها ، وحرثها ، السارين  
متخطفين بلا بصيرة ، ولا هدى ، ولا

## مفتضي السياق

٥ — ( ولو بسط الله الرزق لعباده  
لبغوا في الأرض ، ولكن ينزل  
بقدر ما يشاء ، انه بعباده  
ثبير بصير ) الشورى ٢٧

٦ — ( وهو الذي ينزل الغيث من  
بعد ما نظروا ، وينشر رحمته  
وهو الولي الحميد ) الشورى  
٢٨ . . . الخ

ان القوة المتجرة من مثل هذه  
الآيات حرية أن ترفع رعوس المؤمنين  
وتعصّمهم عن سؤال غير الله .

وإذا كان هذا هو شأن عامة  
المؤمنين فكيف بأول المؤمنين ؟ إن  
رسول الله أولى بالأنصاف موضع  
مشبوها ، موضع من يستجدى ، أو  
يُنْتَهَى من الناس عائداً مادياً ، أو  
معنوياً ، مباشراً أو غير مباشّر لقاء  
تبليغ الرسالة .

### أسلوب التقفين « قل »

ذلك عطاء البيئة ، وأيّحاء السياق .  
فما عطاء الأسلوب ؟ .

ان قرار الاحتساب ، والزهد فيما  
عند الناس ابتدأ بكلمة « قل » التي  
تنم عن عنابة فائقة بموضوع الحديث  
ومثل هذا الأسلوب يعرف « بالأسلوب  
التلقيني » وهو أسلوب مثير يربط  
كلمة الحق ، ويلقن الحجة البالغة ،  
ويأمر بقتفيها قذفاً يأخذ بالأباب  
ويحسم الموقف ، ويسد على الخصم  
كل طريق ، فلا يستطيع التفلت ، ولا  
يجد غير التسليم .

وارتباط النص بما سبق ، وبما  
لحق ، وارتقاعه في بيئه توحى بالقوة  
والقدرة ، والعزة يرجح وحدة الملامح  
بين أفراد البيئة الواحدة ، ووحدة  
الجو النفسي الذي يعم الوسط ويهب  
على قضيّاه .

والنص — بهذا المفتضي — يزخر  
بالشموخ ، ويزفر بالقوّة ، ويشّى  
بالثقة ، والاعتزاز .

والذى يقذف بمثل هذا الحق ينبغي  
ان يكون عزيزاً عملاقاً يسمى فوق  
ذل المسؤول أو مهانة الاستعطاف ،  
والنظر إلى المخلوق . كيف وعظمة  
الله تحيط بعده من كل جانب ،  
ورحمته تنزل متدايقة من كل صوب ؟

وايّحاء بهذا ، واعشاراً بالعزّة التي  
تحدق برسول الله صلى الله عليه  
 وسلم حفلت البيئة بلفظ الجلالة  
« الله » وبضمير الجلالة « هو » فلا  
مجال لفوة أخرى ، ولا مكان لمخلوق  
ولا لياذ الا بالخلق

١ — الله الذي أنزل الكتاب بالحق  
والميزان ) الشورى ١٧

٢ — ( الله لطيف بعباده يرزق من  
يشاء وهو القوى العزيز  
الشورى ١٩

٣ — ( ذلك الذي يبشر الله عباده )  
الشورى ٢٣

« ( ام يقولون أفترى على الله كذباً  
فإن يشا الله يختم على قلبك )  
الشورى ٤٤

- ٥ — وفي مقامات الوعيد والتهنئة .  
 ( قل سيروا في الارض ثم  
 انظروا كيف كان عاقبة المكذبين )  
 الانعام ١١ ( قل ياقوم اعملوا على  
 مكانتكم انى عامل فسوف تعلمون  
 من تكون له عاقبة الدار ) الانعام  
 ١٣٥
- ٦ — وفي مقامات المحاجة ، وتصنيف  
 الخناق على الخصوم ( قل لا اجد  
 فيما اوحى الى محrama على طاعم  
 يطعمه الا ان يكون ميتة ، او  
 دما مسفوها ، او لحم خنزير  
 فانه رجس ، او فسقا اهل  
 لغير الله به ... ) الانعام  
 ١٤٥ ( قل هلم شهداءكم الذين  
 يشهدون ان الله حرم هذا )  
 الانعام ١٥٠ ( قل تعالوا اتل  
 ما حرم ربكم ... )
- ٧ — وفي المقامات التي تتطلب جهرا  
 باليقين واعتدادا بالطريقة  
 ( قل انتي هداني ربى الى صراط  
 مستقيم ) الانعام ( قل انتي  
 على بينة من ربى ) الانعام .
- ٨ — وفي مقامات الاعتراف بالقدر  
 والحجم البشري ( قل انما أنا  
 بشر مثلكم ... ) الكهف ( قل  
 لا أقول لكم عندي خزائن الله ،  
 ولا اعلم الغيب ، ولا أقول لكم  
 انى ملك ... ) الانعام
- ٩ — وفي مقامات اظهار العبودية  
 والخشية ( قل انى لن يجيرنى  
 من الله أحد ، ولن اجدمن دونه  
 ملتحدا ) الجن
- ١٠ — وعند سوق أمر مستغرب  
 غير مألف ( قل اوحى الى  
 انه استمع نفر من الجن ... )  
 الجن
- ويكثر مجئ هذا الاسلوب في  
 المواقف التي تتطلب الصلابة ، او  
 الصراوة ، والجسم : -
- ١ — يجيء في مقامات توضيح  
 العقيدة ، بيان أسس اليمان  
 ( قل آمنا بالله ، وما نزل  
 علينا ... ) ٨٤ آل عمران
- ( قل انتي هداني ربى الى  
 صراط مستقيم دينا قيما ملة  
 ابراهيم حنيفا وما كان من  
 المشركين . قل ان صلاتي  
 ونسكي ، ومحيائى ، ومماتي  
 لله رب العالمين ) الانعام
- ٢ — وفي مقامات تقرير التوحيد ،  
 ونبذ نوازع الشرك ( ... قل  
 انما هو الله واحد ، وانى برئ  
 مما تشركون ) الانعام ١٩ ( قل  
 اغير الله ابفى ربا وهو رب  
 كل شيء ) الانعام ١٦٤
- ٣ — وفي مقامات التعريف بالله  
 وصفاته ( قل من ينجيك من  
 ظلمات البر ، والبحر تدعونه  
 تضرعا وخفية لئن أجانا من  
 هذه لنكونن من الشاكرين .  
 قل الله ينجيك منهما ومن كل  
 كرب ثم انت تشركون . قل  
 هو القادر ... ) ٦٣ الانعام
- ٤ — وفي مقامات التخويف والوعظ  
 البليغ ( قل أرأيتم ان أتكم  
 عذاب الله ، أو أتكم الساعة  
 أغير الله تدعون ان كنتم  
 صادقين . بل ايات تدعون  
 نيكشف ما تدعون اليه ان شاء  
 الانعام ٤٠
- قل أرأيتم ان أخذ الله سمعكم  
 وأبصاركم ، وختم على قلوبكم  
 من الله غير الله يأتكم به ... )

والسؤال — حينئذ — سؤال بلاغي يوحى بشدة الارتباط وعمق المشاركة بأن الداعية ، والمدعوين كالجسد الواحد . والسؤال — بهذا التأويل — قريب من قضية استقرار الله الناس في قوله تعالى : — ( وأقيموا الصلاة وآتوا الزكوة ، واقرضوا الله قرضا حسنا ) المزمل .

وبقوله سبحانه : — من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فليس بعده له ) البقرة ٢٤٥ — الحديد ١١

نهل يسوغ هنا — أن نأخذ « القرض » بمعنىه الارضي ؟ . وهل يسوغ أن نصيح كما صاحت يهود « ان الله عظيم ونحن أغنياء » ؟ وهل نفهم من تعدد آيات الاستقرار أن شدة الالاحاج ينم عن شدة حاجة الملح ، الملح ( بضم الميم وكسر اللام ، وتشديد الحاء ؟ سبحانه هو الغنى ، له ما في السموات ، وما في الارض .

### جوع العين ، وجوع الفؤاد

والاسلام يربى المؤمن على النزاهة وينشئه على تنزيه البصر ، والبصرة عما في حوزة الناس والقرآن يحد للأبصار ، والبصائر حدودا معنوية قوية ، ويلزم المؤمنين باحترامها ، وعدم تحطيمها .

عين المؤمن لا تبغي ، ولا تعدو ، ولا تتذبذب ، ولا تزيغ . والمؤمن يقاوم كل بوادر الزيغ التي تحوم حول عينيه دفعا لأخطرها . وخشية أن يفضي ذلك الى زيف القلوب ، وميلها عن الصراط . والى زيف

١١ — وعنده القهر وبكت الاعداء

( قل موتوا بغيظكم . . . )  
آل عمران

غافل فسوف تعلمون من تكون

١٢ — واستبراء ، وطمأنة للنفس  
الهلوس التي أشربت الشبح

( قل لا أسألكم عليه أجرا ،  
ان هو الا ذكرى للعاملين )

٩. الانعام ( قل ما أسألكم  
عليه من أجرا ، وما أنا من

المتكلفين ) ( قل ما سألكم من أجرا فهو لكم ان

اجرى الا على الله ) ٤٧ آية

( قل لا أسألكم عليه أجرا  
الا المودة في القربى . . . )

الشوري

هذه هي ابرز المقامات التي استعمل فيها أسلوب التقين « قل » . وقد تبرز — حين نستعرض الآيات التي عنيت بهذا الأسلوب — قد تبرز اغراض أخرى . ولكنها عند التمعن تقرب بل تتدخل في هذه الأغراض التي ذكرناها . وكلها في مجلها ننبئ عن الجسم ، والعزم ، وفصل المقال . كما توحى بأن القذف بالحق على هذا النحو لا يتم الا من فوق أرضية صلبة ولا ينم الا عن مركز قوة .

ومن كان يقذف بالحق قذما يدفع الباطل ويزهقه ، من كان يرمي من مركز القوة لا يمكن ان يستعطف الناس ، او يسأل العائد — هان هذا العائد او جل — الا ان يكون العائد المسؤول يرتد الى الناس أنفسهم ، موظعا النفوس ، ومذكيا الوجدان ، ورابطا الاواصر ، ورافعا دعائما المجتمع .

الدنيا ، ولا تطبع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا ، واتبع هواه ، وكان أمره فرطا ) وشجبا لكل الدوافع التي قد يظن أنها تبرر استقبال الأزدهار ، والمزدھرين ، والترف ، والمرتفين يدفع الرسول بأسلوب التلقين — إلى أن يصبح بين المزدھرين بصيحة الحق ( قوله الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر .) الكھف ٢٩

هذا يحد المولى الحدود للبصائر والابصار حتى لا تنزلق في نوبة زيفها الى وهة المحن والفتن والشبهات . وأما الذين في قلوبهم زيف فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة ، وابتغاء تأويله ) آل عمران

والاسلام يأمر بالرضا بما قسم ، ويغري بالقناعة بما أتيح بعد بذلك الجهد ، واتخاذ الاسباب .

والقناعة بما قسم ، والرضا بما قدر من خير ، أو شر يورثان سكينة واستقرارا واطمئنانا .

والاطمئنان ، والسكينة ، والاستقرار هي ( ٢ ) قرة عين البشر ومها فؤاد كل انسان : —

الألباب وتهافتها على القشور ، والترھات . والزيغ يلد مزيدا من زبغ ( فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم )

واتقاء كل هذا يوجه الله رسوله — ومن ورائه كل المؤمنين — إلى ضرورة ضبط الحواس ، وشك ( ١ ) الجوارح حتى تعتدل فلا تزيغ ، وتتعدو . ذلك قوله : ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفنتهم فيه ، ورزق ربك خير وأبقى ) طه ١٣١ . ومثل ذلك قوله سبحانه ( لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم ، ولا تحزن عليهم ، وأخفض جناحك للمؤمنين ) الحجر ٨٨ وكأن استديار النشرة الزائلة ، والزهرة الخادعة لا يتم الا بالاقبال الخالص على المؤمنين أولى المبادئ والقيم . ولعل هذا من اسرار اتباع النهى في ( لا تمدن ) ( ولا تحزن ) بالأمر الصادع الرشيد ( وأخفض جناحك للمؤمنين ) ولعله من اسرار الأمر بالملازمة ، والنهى عن التجاوز واطاعة الغافلين في قوله سبحانه : ( وأصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة ، والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم ترید زينة الحياة

( ١ ) شكم الجواب = الجمه وتحكم في حركته .

( ٢ ) قرة العين . استقرارها ، واطمئنانها ، ورضاها ، ونبذها نانبذب ، والزيغ . والمادة ( قررا توحى بالبرودة التي تتلاع الصدر ، وبالموضع الذى يهب الامن اذ القرار المطمئن من الارض . وتوحى بالثبات وانقطاع اسباب الهلع . تقول : — قرت عينه ، تقر ، قرة ، وقرروا اذا هدأت او رأت ما كانت تتشوق اليه . فالمادة تدور حول الرضا والهدوء والثبات ، والاطمئنان حول السعادة .

والأعين التي لم تحظ بالقرة لاتزال  
تدور حتى تفقد صاحبها الاتزان ،  
وتتصيبه بالدوار فيفدو ، ويروح  
أصم ، أعمى كأن في اذنيه وقرا ،  
وفوق عينيه سحابة ، وحول قلبه  
اغشية كأنها الأكنة . ومحشره مع  
الذين كانت أعيونهم في غطاء عن ذكر  
الله ، وكانوا لا يستطيعون سمعا .

العين الشبعى هي القريرة التي  
لا يخطفها بريق ، ولا يزيغها برج  
(فتح الباء ، والراء ، والبرج الحسن  
الفاتن) ولاتلهمت وراء كل بصيص ،  
هي عين المؤمن .

والعين الجوعى هي المتوترة القلقة  
التي لا ترى الاشياء على حقيقتها ،  
وتفق ما يبعث منها من شعاع بل  
وفق ما يبتلع في نفس صاحبها من  
نهم او قرم (شدة الشوق) او شبق  
(شدة الرغبة) هي العين التي تجر  
صاحبها الى تباب ، ولا يملؤها الا  
التراب . هي عين الفاجر .

وتهذيبا للأعين ، وصدما لشيطانها  
واطفاء لنارها أمر الاسلام بالغضير  
(قل للمؤمنين يغضوا) وحذر من  
النظرة الأولى ، وشدد النكير على  
الثانية توافرا لسلامن ، وضمانا  
للاستقرار .

بخاري أحمد عبده

١ - قرة العين مهفاً أفتءدة  
عبد الرحمن (والذين يقولون ربنا  
هب لنا من أزواجنا ، وذرياتنا قرة  
أعين ، واجعلنا للمتقين اماما )  
**الفرقان ٧٤**

٢ - واليها هفت نسخ امرأة  
فرعون وهي تتشبث بموسى ، وتغري  
فرعون باستحيائه (وقالت امرأة  
فرعون قرة عين لي ولك ، لا تقتلوه  
عسى ان ينفعنا ، او نتخذه ولدا ..)  
**القصص ٩**

٣ - وبها امتن الله على ام  
موسى (فردناه الى امة كى تقر  
عينها ، ولا تحزن ) التصوير ١٣

٤ - وهي التي وفرها الله  
لمريم في يوم محتتها ساعة زفت  
(يا ليتني مت قبل هذا و كنت نسيانا  
منسيا ) قال سبحانه : ( ... ألا  
تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا .  
وهزى اليك بجذع النخلة تساقط  
عليك رطبا جنبا . فكلى واشربى ،  
وقرى عينا ..) مريم

٥ - وهي ثمرة التشريع  
(... ذلك ادنى ان تقر أعينهن ، ولا  
يحزن ، ويرضي بما آتتهن كلهن )  
الاحزاب .

وكما أن زيف البصر يهدى بزيف  
القلوب فان قرة الأعين تنبع عن  
استقرار النفوس وهداة الأنفاس .

# نفحات القرآن

## بِقَلْمِ بُخَارِيِّ اَحْمَدَ عِبْدِهِ

\* الآل ، والأهل ، والمودة في القربي \*

فهو أذن في ذروة النزاهة المطلقة  
والعفة الشاملة ، والشبع الفياض  
وهو في غمرة الحب العلوى غنى ،  
رضى (كسر الصاد ، وتشديد الياء)  
سخى ، رزين الانفعال .

وهو صلى الله عليه وسلم برغم  
ثباته ، واطمئنانه ، وقرة عينه ،  
كان يتغوز كثيراً من شطط الحواس ،  
ويغنى الجوارح ، وجوع الفؤاد  
تنبيها ، وتعليمها ، وتقويمها لنسبيات  
الأمة : -

١ - كان يتغوز من الأربع : من  
علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشى ،  
ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا  
يستجاب لها . « أخرجه أحمد ،  
أبو داود ، وابن ماجه » .

٢ - وجوع الفؤاد يورث الجنون  
العاطفي ، ويدفع إلى حمأة الرذائل ،

علمنا أن المؤمن الحق قريب من الله  
ويظل يلتمس — بأعماله — مزيداً  
من قرب حتى يعلو إلى مقام المعية  
ويحظى بحب الرحمن ، وعندئذ  
يكون ربه سمعه ، وبصره ، ويده ،  
ورجله ( ولايزال عبدى يتقرب إلى  
بالنواقل حتى أحبه ، فإذا أحبته  
كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره  
الذى يبصر به ، ويده التى يبطش  
بها ، ورجله التى يسعى بها . . . )  
وأرباب هذه المنزلة الرفيعة دائماً  
مترفعون ينعمون بحواس شبعى ،  
ويعروفون بالنزاهة ، وعفة اليد ،  
والعين ، والأذن ، واللسان .  
والرسول صلى الله عليه وسلم  
أول المؤمنين . صنع على عين الله ،  
واشتغل بمحبة الله ( . . . والقيت  
عليك محبة منى ، ولتصنع على  
عينى ) طه .

\* باقيات من نفحات « تبت يداً » تدفع أباطيل الخصوم ، وتأكد أن  
الإسلام ليس كما زعموا بل هو دين العدالة الشاملة ، والاحسان الكامل  
والفرصة المتكافئة .

من الرياء ، ولسانى من الكذب ،  
وعينى من الخيانة ، فانك تعلم  
خائنة الأعين ، وماتخفي الصدور )

٥ — ورسول الله صلى الله عليه وسلم يشيد بالغفوة ، ويرفع المتعفف  
الأصيل ، وينفر من الخيانة ، ويوعد  
الخائن الوضيع .

في حديث يرفع على الانظار مشهد  
الجنة ، والنار ، ويصنف أهل  
المرتفقين إلى أصناف .  
(روى مسلم عن عياض بن حمار  
قال : قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم : أهل الجنة ثلاثة : ذو  
سلطان مقسط ، متصدق ، موفق  
ورجل رحيم ، رقيق القلب لكل ذي  
قربى ومسلم ، وعفيف متعفف ، ذو  
عيال . وأهل النار خمسة : الضعيف  
الذى لا زير له (١) الذين هم فیکم  
تبع لا يبغون أهلا ، ولا مالا ،  
والخائن الذى لا يخفى له طمع وان  
دق الاخانه، ورجل لا يصبح ، ولا يمسي  
 الا وهو يخادعك عن أهلك ومالك .  
وذكر البخل أو الكذب . والشنظير  
الفحاش « الشنظير سوء الخلق »

والمتمعن في الصفات التي ذكرت  
في الحديث يتبيّن — بلا عناء — أن

وتخوّنا من أن يتحقق هذا بأمته كان  
بيبيت ، ويصحو متعمدا حتى تتلقى  
عنه أمته . (روى الترمذى ، وأبن  
ماجه ، وأحمد والنسائي أن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم كان  
يقول : اللهم انى أعوذ بك من  
الجوع فإنه بئس الضجيع ، وأعوذ  
بك من الخيانة فإنها بئست البطانة).

٢ — وكان يرى ان الشر يستطير  
اذا بفت الحواس ، فعنـا الفؤاد ،  
وعدت الجوارح . فكان صلى الله  
عليه وسلم يلـنـ أصحابـهـ الاستـعاـذهـ  
من شـرـوـرـ النـفـسـ ، والـجـوـارـحـ (عنـ  
شـتـيرـ بنـ شـكـلـ بنـ حـمـيدـ عنـ اـبـيهـ  
قاـلـ : قـلـ يـابـىـ اللـهـ عـلـمـنـىـ تـعـوـيـداـ  
أـعـوـذـ بـهـ . قـالـ : قـلـ اللـهـ اـنـىـ اـعـوـذـ  
بـكـ مـنـ شـرـ سـمـعـىـ ، وـشـرـ بـصـرـىـ ،  
وـشـرـ النـاسـ ، وـشـرـ قـلـبـىـ ، وـشـرـ  
مـنـبـىـ ) اـخـرـجـهـ اـبـوـ دـاـودـ ، وـالـترـمـذـىـ  
وـالـنـسـائـىـ .

٤ — وكان صلى الله عليه وسلم  
يستجير من خائنة الأعين ، ودخنـ  
الصدور ، ويجهـرـ بهذاـ حتـىـ تـعـلـمـ  
الـأـمـةـ ، وـتـعـىـ ( روـىـ الـبـيـهـقـىـ عنـ أـمـهـ  
مـعـبدـ قـالـ : سـمـعـتـ رـسـوـلـ اللـهـ  
صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ يـقـولـ :ـ  
الـلـهـمـ طـهـرـ قـلـبـىـ مـنـ النـفـاقـ ، وـعـمـلـىـ

(١) لا زير له بفتح الزاي واستكان الباء اي لا عقل له يزيره ويمعنـهـ مما  
لا يبنيـ وـقـيلـ أـيـضاـ هوـ الذـىـ لاـ مـالـ لـهـ .

خلال أهل الجنة تنم عن شبع المؤواد  
وأن خصال أهل النار تشى بجوع  
المؤواد .

هكذا يربى رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمة على الترفع ،  
والعزّة ، ويهديهم إلى أشرفية تحمل  
الصحوة والسداد ، والصحّة  
النفسية . فهل يعقل بعد هذا أن  
نظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب المحبة أو التحبيب إلى  
أهلها ؟ كيف وقد روى أحمد عن أبي  
ذر قال : دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يشترط على  
« أن لا تسأل الناس شيئاً » قالت  
نعم . قال « ولا سوطك ان سقط  
منك حتى تنزل اليه فتأخذه » .

وتجرد المسلمين لله يجعلهم فوق  
الشاعر القبلية ، وفوق مقتضيات  
الانتهاء إلى بيت أو رهط : ( قالوا  
يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول ،  
وانا لزراك فيما ضعيفاً ولو لا رهطك  
لرجمناك ، وما أنت علينا بعزيز .  
قال ياقوم أرهطى أعز عليكم من  
الله ، واتخذتموه ورائكم ظهرياً ان  
ربى بما تعلمون محيط ) هود ٩١

ان الزهد فيما في حوزة الناس  
من مادة ، أو حول ، أو طول ، أو  
جاه أدعى إلى أن تحب ، وتقرب  
مصدق ماروى الترمذى ، وابن  
ماجه عن سهل بن سعد قال : جاء  
رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم  
فقال يا رسول الله : دلني على عمل  
إذا أنا عملته أحبني الله ، وأحبني  
الناس ، قال : ازهد في الدنيا يحبك  
الله ، وازهد فيما عند الناس يحبك  
الناس .

وترفع المسلمين يتجلى في صيحاتهم  
المتابعة التي تنم عن الورع ،  
والتنزه ، والاستغناء بالله :-

**التجرد والترفع سنة المسلمين**  
**المسلون صـلوات الله عليهم**

سألكم من أجر فهو لكم ، ان اجري  
الا على الله .. ) سبا ٤٧

ولقد عرف المشركون — بالمارسة  
— غبة رسول الله ، وترفعه ،  
وجاءت هذه الصيحات مؤكدة ..  
وبناء على هذا الأمر الذي تحقق ،  
وتأكد ، يرفض القرآن صدودهم ،  
واعراضهم ، في اسلوب استقامي ،  
انكارى ، تهكمى . ( أم تسألهם  
اجرا فهم من مفرم مثقلون ) الطور —  
القلم ( أم تسألهם خرجا ، فخرجوا  
ربك خير ، وهو خير الرازقين )  
المؤمنون . ٧٢

وعلى ضوء سنة المرسلين ..  
 واسترشادا بهذه الآيات البينة التي  
تجل مقام المرسلين عن ان تتحرك  
نفوسهم او تتمدد اعينهم الى اوعية  
الناس .. يمكن ان ننظر مرة اخرى  
في النص الكريم الذى استقطبنا  
واستوتقتنا هذا الوقوف الطويل :

« قل لا أسألكم عليه أجرا  
الا المودة في القربى »

ونبادر فنستبعد مالاكه المستشركون ،  
وردته المتصوفة من أن الآية تجعل  
ود اهل قرابة الرسول ثمنا لدعوة  
الخير .

ونرفض تلك الأحاديث التي

١ — يتجلى في صيحة نوح التي  
تزرى بمال ، وتعلى شأن خلة  
الإيمان ( وياقوم لا أسألكم عليه مالا  
ان اجري الاعلى الله ، وما انا بطارى  
الذين آمنوا ، انهم ملائق ربهم ،  
ولكنى اراكم قوما تجهلون . وياقوم  
من ينصرنى من الله ان طردتهم افلام  
تذكرون ) هود ٢٩ — ٣٠ ( وما  
أسألكم عليه من اجر ان اجري الا  
على رب العالمين ) الشعرااء ١٠٩

٢ — وفي صيحة هود التي تعلن  
ترفعه ، واحتسابه ، واستغناه  
بالله ( ياقوم لا أسألكم عليه اجرا  
ان اجري الا على الذى فطرنى ، افلام  
تعقولون ) هود ٥١

٣ — وتتابع الصيحات نفسها على  
لسان صالح ، ولوط ، وسائر  
المرسلين .

٤ — ويجابه محمد صلى الله عليه  
 وسلم عنـت المشركـين ، وتردد  
ال hairyـين بصـيحة الرـفعـة ، والـعـفة ،  
والـزـاهـة ، والـاحـسـابـ مؤـتمـراـ بأـمـرـ  
الـلـهـ ، مـنـهـجاـ نـهجـ اـخـوانـهـ المرـسلـينـ  
ـ( قـلـ ماـ اـسـأـلـكـمـ عـلـيـهـ مـنـ أـجـرـ الاـ مـنـ  
ـشـاءـ اـنـ يـتـخـذـ اـلـىـ رـبـهـ سـبـيلاـ )  
ـالـثـرـقـانـ ( قـلـ مـاـ اـسـأـلـكـمـ عـلـيـهـ مـنـ أـجـرـ  
ـوـمـاـ اـنـاـ مـنـ الـمـتـكـفـينـ ) صـ ٠ ( قـلـ مـاـ  
ـلـاـ اـسـأـلـكـمـ عـلـيـهـ اـجـرـ اـنـ هـوـ الـ ذـكـرىـ  
ـلـلـعـالـمـينـ ) الـأـنـعـامـ ٩٠ ( قـلـ مـاـ

والقبول أن الرسول صلى الله عليه وسلم : -

١ - أراد أن يعلى أحاسيس المودة التي كانت تتحكم فيهم ، وتحركهم أحياناً إلى الشر ومهماً في الشرك . « إنما اتخذتم من دون الله أو ثاناه مودة بينكم في الحياة الدنيا » أراد أن يستثمرها في الخير .

وانطلاقاً من هذا اهتم صلى الله عليه وسلم باثارة عاطفة الرحمة ، وأواصر القربي لتحرك في جميع الاتجاهات وناشد قومه المودة ان لم تكن بحق النبوة فبحق القرابة .  
وسائلهم أن يصلوا الرحم المشتركة فلا يكون غيرهم أولى منهم بحفظه ، ونصرته . ودعاهم إلى رعاية حق الدم ، والنسب بلا تجمهم ، ولا تنكر ولا ايذاء ، ولا صد ، ولا تعويق .  
ونادي مناشداً قومه « المودة في القربي » - أن يودوه لقرباته - فالرسول كان أوسط الناس في قريش . وكان يمت بصلة لكل بطون قريش . فإذا تضافروا على اعطائه حق القربي أمن جابتهم ، وضمن أن ينطلق في طريق الدعوة غير معوق « بابناء للمجهول » .

فوق أنه صلى الله عليه وسلم كان أولى الناس بالمؤمنين « النبي

سيقت لدعم مذهبهم ، ورأيهم المزيل « الا أن تودوا أهل قرباتي » من مثل مارووا معزواً إلى رسول الله ( حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي ، وأذانى في عترتي . ومن اصطنع صنيعة إلى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه فأنا أجازيه عليها غداً يوم القيمة اذا لقيني ) .  
ومن مثل : - ( من مات على حب آل محمد مات شهيداً ، ومن مات على حب آل محمد جعل الله زوار قبره الملائكة ، وداره الجنة ، ومن مات على بعض آل محمد جاء يوم القيمة مكتوباً بين عينيه : ايس اليوم من رحمة الله . ومن مات على بعض آل محمد لم يرح رائحة الجنة ، ولا نصيب له في شفاعتى ) .  
هذه ومثلها من وضع غلاة الشيعة ، وجهلة الصوفية .

والنفسية العربية - يومئذ - لم تكن مستعدة لتقبل هذا التفسير الصوفي ، الشيعي . فقد ورد أن الآية لما نزلت قال قوم : ما يريد محمد إلا أن يحثنا على قرباته من بعده . فأخبر صلى الله عليه وسلم بأنهم اتهموه فتلا قول الله « ألم يقولون افترى على الله كذباً » فلما ندموا تلا قوله سبحانه « وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويغفو عن السيئات » .

في مكة — كان يشكو إلى الله ضعف قوته ، وقلة حيلته ، وهو انه على الناس . فلا غرابة اذا راح يهدىء من ثأرهم بشتى الطرق الى ان يهيء الله امرا كان مفعولا . الى ان تتدفق روافد القوة ، وتتفتح مسالك النصر .

٢ — ومما قيل : — ان المعنى « الا ان تتوددوا الى الله بالطاعة ، والتقوى وشدة الحب لله » .

٣ — ومما قيل : — ان المعنى — الا ان يود بعضكم بعضا بحكم وشيعة الایمان .

٤ — وقيل : — ان النص دعوة الى المحافظة على ما بينهم من صلات ، وروابط وذلك لأن ايذاعهم رسول الله حرى أن يشير ثائرة عشراته الأقربين وحيثئذ تحدث المواجهة ، وتنقطع الاواصر .

وبهذه التأويل يكون عائد المودة راجعا الى المدعويين لا الى الداعي وحده . وهذا هو المطابق لمعنى قوله تعالى : ( قل ما سألتكم من اجر فهو لكم ، ان اجرى الا على الله ، وهو على كل شيء شهيد ) سبا ٤٨ .

يتبع  
بخارى احمد عبده

اولى بالمؤمنين من انفسهم » وهو قطب الرحى في الأخوة التي شد اواصرها الایمان . « انما المؤمنون اخوة » وهو صلى الله عليه وسلم — بهذا الاعتبار — ينبغي ان يتربوا ذروة القلوب « لا يؤمن احدكم حتى تكون أحب اليه من ماله ، وولده ، والناس أجمعين » .

وتتأويل الآية على هذا النحو هو الذي عليه الأئمة الراسخون اخذوا بما رواه البخارى ، وأحمد عن ابن عباس أنه سئل عن المودة في القربي فقال سعيد بن جبير : « القربي آل محمد» فقال ابن عباس : عجلت . ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش الا كان له فيه قرابة فقال : الا ان تصلوا ما بيني ، وبينكم من القرابة .

فالقربي على هذا مصدر كالقرابة . والاستثناء منقطع كما في قوله سبحانه « قل ما سألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا » فاتخاذ السبيل الى الله ليس اجرا . كذلك المودة في القربي . فالرسول لا يسأل اجرا ولكنه يطلب اعمال مقتضيات الرحمة والقربي ويسأل ان يكونوا عنه أيديهم ، ويذروه ان لم ينفروه .

والآية مكية نزلت قبل « والله يعصمك من الناس » والرسول —

# نفحات القرآن

## بقليلٍ بخاريٌّ أحمد رعبيه

الآل ، والأهل ، والمودة في القربي \*

السجايا وأن يحقنهم بترنيق (٤) الاباء ، والغفوة ، والحب . وأن يحسن الأمة ضد أدوات الخيانة ، والنفاق ، وشر الحواس ، وجوع الفؤاد الذي يورث الشره ، واللهاش . والله تبارك وتعالى حد ( بفتح الحاء وتشديد الدال ) لرسوله صلى الله عليه وسلم — من أول وهلة — حدوده وبين له أبعاد رسالته « إنما أنت منذر ، ولكل قوم هاد » « إن عليك إلا البلاغ » وأدبه بآيات شافية تمنعه من أن يضيق صدره ، أو يتشعب فكره ، أو تتذبذب نفسه ، وتطير شعاعاً أن هم أعرضوا أو استغشوا ثيابهم ، وأصرروا ، واستكروا استكبارا . ولقتنه ربها أصول الحسبة (٥) ليلوذ بها كلما اكفرت الأجواء « فان تولوا فقل حسبى الله لا الله الا هو ، عليه

تحقق أن رسول الله أباة ، مترفعون ، ذوو شمم .

وهم مطلوات الله وسلامه عليهم يحاولون أن يضفوا على أتباعهم من فيض هذه الخلال ، وأن يربوهم على عزة النفس ، والزهادة فيما عند الناس .

ومحمد صلى الله عليه وسلم بسواء (١) ( بالبناء للمجهول ) ذروة (٢) هذه الصفات ، وممكن ( بالبناء للمجهول ) على جادة (٣) الاحتساب ، وغنى النفس ، والاكتفاء بالله .

ولقد جاهد صلى الله عليه وسلم كفирه من الأنبياء عليهم السلام — كي يصهر صاحبته في بوتقة هذه

\* أرواح من نفحات « تبت يدا » تدحض الفري ( جمع فرية ) وتوكد أن الإسلام دين حياة تقوم على العدالة ، والاحسان ، والفرصة المتكافئة .

(٢) ذروة الجبل أعلىه .

(٤) الترياق الدواء .

(١) تمكنا ، واحتلنا .

(٣) الجادة الطريق .

(٥) الحسبة كلمة « حسبنا الله ». .

توكلت ، وهو رب العرش العظيم » أيدك بنصره ، وبالمؤمنين والفقير  
قلوبهم » الأنفال .

٣ - وأنا يؤكد القرآن منعة  
المتكلمين ، ويجعل نصرة المتقين  
وكفایتهم عهدا ، وقانونا لا يتلافى  
« ... ومن يتق الله يجعل له مخرجا  
ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن  
يتوكل على الله فهو حسبي ، ان الله  
بالغ أمره ، قد جعل الله لكل شيء  
قدرا » الطلاق .

٤ - ومرة يشيد القرآن ب موقف  
مؤمنين أرتفعوا بآياتهم فوق القروح ،  
والجروح ، وسما بهم يقينهم ،  
واعتزاهم بربهم إلى مستوى رفيع  
تنضاعل معه جموع الناس ، وتهون  
تؤدياتهم « .. الذين استجابوا  
للله والرسول من بعد ما أصابهم  
القرح ، للذين أحسنوا منهم ، واتقوا  
أجر عظيم . الذين قال لهم الناس  
ان الناس قد جمعوا لكم ما خشوه ،  
فزادهم آياتنا ، وقالوا حسينا الله ،  
ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من  
الله وفضل ، لم يمسسهم سوء ،  
وابيعوا رضوان الله ، والله ذو

والاحتساب أصل من أصول  
الإسلام « قل ان صلاتي ، ونسكي ،  
ومحبائي ، ومماتي لله رب العالمين ،  
لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول  
المسلمين » الأنعام .

ولخطورة شأن الاحتساب ،  
واقامة للمؤمن على درب التوكل  
الشرعى ، تعددت الآيات التي تأمر  
بالاحتساب ، وتحث على الحسبة ،  
وتثنى على المحسبيين ، المحسنين .

١ - تارة يثير القرآن - بناء  
النبوة - كل قوى العزم في نبيه عليه  
الصلاوة والسلام ، ثم يلقى إليه أنه  
مولاه وكابنه ، وعاصمه « أيها  
النبي حسبك الله ، ومن اتبعك من  
المؤمنين » (١) الأنفال .

٢ - وتارة يؤكد القرآن شمول  
رعاية الله لرسوله . يرد عنه كل  
كيد ، ويدحض كل مكر ، ويوفىنبيه  
الجانب الآمن المنبع « وان يريدوا أن  
يخدعوك فان حسبك الله ، هو الذي

(١) « من اتبعك » مخلوقة على انبيل الجلاله . ولا يقتدح هذا في  
حقيقة التوكل لأن المؤمنين أداة من أدوات نصرة الله لرسوله ، وذكروا  
على سبيل الامتنان ، والتبرير بنعمة الله المائة متمثلة في المؤمنين .

فضل عظيم » آل عمران .

٥ — وأخرى يعرض القرآن  
بنهم الحواس ، وجوع الفؤاد ، مبينا  
أن الخير كله في الترفع ، والرضى ،  
والاحتساب « ولو أنهم رضوا ما  
آتاهم الله ورسوله و قالوا حسينا  
الله ، سيء علينا الله من فضلاته ،  
ورسوله ، أنا إلى الله راغبون »  
التوبة .

٦ — حتى إذا ما توطدت جذور  
الحسينة ، ووجدت النفوس بردتها ،  
وأيقنت بعظمية الاحتساب ، وجلال  
أمر المحتسبين ... لقن الله رسوله ،  
والمؤمنين أن يعلوها عاليه ،  
وبطقوها حاسمة صادعة « فان  
تولوا فقل حسبي الله ... »  
التوبة .

« قل أفرأيتم ما تدعون من دون  
الله ان أرادي الله بضر هل هن  
كاشفات ضره ، أو أرادني برحمته  
هل هن ممسكات رحمته ، قل حسبي  
الله ، عليه يتوكلا المتوكلون » الزمر  
٣٩

هذا يؤصل القرآن الكريم معانى  
الرفعة ، والعزة ، والغفة ، وأسلام  
الوجه لأمولى في قلوب المؤمنين .  
وباجزئحة هذه المعانى الأصيلة يحلق  
المؤمنون ليستروا مثامن « حسينا الله ».  
ونفحات هذا المقام « حسينا الله »

### استطراد

والتكلف هو تخرص مالم نؤمر به ،  
والتشدق بما لم نحط به علما .

ليس لكم به علم » آل عمران . والذى يتزحزح عن العلم اما ان يبنى على الخرس ، والظن . والظن لا يغنى عن الحق شيئا ، والقرآن يشجب كل منطق او امر عmadه الظن « مالهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون » الزخرف . « ومالهم بذلك من علم ان هم الا يطنون » الجاثية ... الى غير ذلك من الآيات .

واما ان يهوى الى غيابة الجهل فيرجم بالغيب ، ويهرف بالحمق ، ويفترى الكذب ، ويقع تحت طائلة الآيات التى تتهدد الراجحين ، وتتنذر المفترين ، وما اكثراها .

واولئك الذين يتأولون القرآن بغير علم ، ويقولون على رسول الله ، ويبيتدعون قيما تخالف طبيعة الاسلام ويستولدون مثل قول الله : « قل لا اسألكم عليه اجرأ الا المودة في القربي » ولائدة ممسوحة ... الخ اولئك هم المتكلفون .

والرسول صلى الله عليه وسلم متزه عن التكلف . وهو صلى الله عليه وسلم ان سأله الاشحة المشركين مادة او معنى فقد تعاطى ما لا ينال وأهدر وقت الدعوة سدى ، وحاشاه ان يكون كذلك . كيف وهو الذى انكر التكلف في أهون صوره كما جاء فيما رواه الدارقطنى عن ابن عمر

والتكلف بمعنىيه كريه مرفوض . وصحابة رسول الله منذ وقفوا على قول الله « ... وما أنا من المتكلفين » ظلوا يتناصرون بالاعتدال ويتأهبون عن التخلف ، ويربئون بالنفس المؤمنة ان تذكر في عداد المتكلفين : -

روى عن ابن مسعود أنه قال : - من سئل عما لا يعلم فليقل لا اعلم ، ولا يتكلف ، فان قوله « لا اعلم » علم ، وقد قال الله لرسوله « ... وما أنا من المتكلفين » .

ومما روى : - للمتكلف ثلاث علامات . الاولى : « انه ينزع من فوقه » ومعنى ذلك انه غرجه ملؤ يتجاوز حجمه ولا يعرف قدر نفسه . والثانية « انه يتعاطى ما لا ينال » ومعنى ذلك انه يهفو الى السراب ، عليه يلهث او تتركه يلهث ، ومن بات كذلك فقد اذل نفسه اذ حملها ما لا تطيق ، وصدق رسول الله : لا ينبغي للمؤمن ان يذل نفسه ، قالوا وكيف يذل نفسه يا رسول الله ؟ قال : - يتحمل من البلاء ما لا يطيق . والثالثة « انه يقول ما لا يعلم » ومعنى هذا انه يخالف صريح الاسلام الذى يحتم على المسلم ان يصدر فيما يقول ، ويفعل عن علم ائتمارا بقوله سبحانه « ولا تتفق ما ليس لك به علم » وقوله سبحانه « نبئوني بعلم ... » الانعام وقوله سبحانه « ... فلم تجاجون فيما

من تحتها الانهار ، ويجعل لك  
قصورا » .

حق له أن يقول « ألم تسألهم  
خرجا ، فخرج ربك خير ، وهو خير  
الرازقين » وذلك في سياق آيات  
تسفيه الأحلام ، وتزدرى الأهواء التي  
لا يقاس بها حق ، ولا يقوم عليها  
صلاح « ألم يقولون به جنة ، بل  
جاءهم بالحق ، وأكثرهم للحق  
كارهون . ولو أتبع الحق أهواهم  
لفساد السموات والارض ، ومن

فيهن ، بل آتيناهم بذكرهم ، فهم  
عن ذكرهم معرضون . ألم تسألهم  
خرجا فخرج ربك خير ، وهو خير  
الرازقين . . . المؤمنون ٧٠ — ٧٢

أى لو كان الحق ما تراه الأهواء  
المختلفة المتضاربة لفسد نظام العالم.  
ولو نزل القرآن بما يرون ، ويهوون ،  
لفساد السموات ، والارض ، ومن  
فيهن .

والذين يريدون أن يجري الحق  
وفقاً لأهوائهم حمقى لا يندبون  
لكرمة ، ولا يسألون (بالبناء للمجهول)

انه قال : - خرج رسول الله صلى  
الله عليه وسلم في بعض اسفاره  
مسار ليلا ، فمروا على رجل جالس  
عند مقرأة له ( حوض ماء ) فقال  
عمر يا صاحب المقرأة : أولفت  
السباع الليلة في مقراتك ؟ فقال  
الرسول صلى الله عليه وسلم لا  
تخبره يا صاحب المقرأة . هذا متكلف  
لها ما حملت في بطونها ، ولنا  
ما بقى شراب طهور .

وإذا تأكّد سمو رسول الله صلى  
الله عليه وسلم عن التكليف ، وثبت  
ترفعه عما في حوزة الناس امكننا أن  
نرى الحاجة القوية التي تكمن وراء  
ذلك الاستهمام الانكاري التهمي  
الذى صدرت به آية من الآيات التي  
تنفى عن رسول الله أن يسأل أجرًا  
« ألم تسألهم أجرًا فهم من مفترم  
مثقلون » (١)

نعم اذا تأكّدت نزاهة رسول الله  
حق القرآن ان يندد بالناكثين  
الأشقاء ، وحق له أن يشيد بما أعد  
الله لربّه : « تبارك الذي أن شاء  
جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري

(١) لا يتکلفون بذلا ، ولا يتحملون مفارم ، بل هم الفانمون ، الظافرون .

محمدة طالما ظلوا عبيد الهوى ،  
وأسرى الشهوات .

كلمة « القربى » في القرآن يرى أنها لم ترد الا مسبوقة بمضاف هو « ذو » منصوبة او مجرورة ، مفردة او مجموعة ، او مسبوقة بـ « اولو » مرفوعة ، او منصوبة . وتستحضر مثل قول الله « فَاتَّ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَهُ... » الروم « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وابتاء ذى القربى .. » النحل « وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حِبَّهِ ذُو الْقُرْبَىٰ... » البقرة « واذا حضر القسمة اولو القربى ... » النساء « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستفرووا للمشركين

ولو كانوا أولى قربى ... » التوبه الخ اذن لماذا انفردت آيتها بهذا الاستعمال ؟ ولم سبقت كلمة «القربى» هنا بالظرف « في » الذي أفاد ان القرابة وعاء للمودة ؟ وهلا قيل : الا المودة لذى القربى او لذوى القرابة حتى يلتقي التعبير مع سائر الواقع الاخرى ؟ لا ريب ان وراء هذا الاستعمال الفريد سرا . فالقرآن العجز يفرد الكلم بميزان ، ويجمعها بميزان ، ويعرف بميزان وينكر بميزان ، ويضيف بميزان ، ويجرد بميزان ، ويجر الكلمة بقدر ، ويجعلها ظرفًا ومظروفا بقدر . ونرجو أن نتدارس في العدد القادم أمر هذا التعبير الفريد ان شاء الله ،

**بخاري أحمد عبده**

والرسول صلي الله عليه وسلم - بكل ما جاء به - يريد ان يفصم العرا الذى تشدهم الى الشهوات والاموهاء . وهو حين يذكرهم الرحيم ، ويسألهم المودة في القربى ، انما يحرك كامن الخير ، ويثير وشائع الدم الاسن (الخادم) بين الجوانح . لعله - ان نجح في اثارة الكوامن - ان يستنقذهم من نير الهوى وأغلال الشهوة ، واسرار التقاليد .

وبذرة الخير كامنة في كل بني الانسان ، فان تعهدت برفق وووليت حتى ترق، وتتفلق اينعت، وازدهرت، وأشرت الخير الفامر الذى يعم مرافق الحياة ، وجوانب المجتمع .

وابتقاء هذا كان رسول الله صلي الله عليه وسلم ينشدهم الرحمة ، ويسألهم المودة ، وينهيهم بخبر الدارين .

### **مفهوم المطرافية « في القربى »**

واذا رجعنا البصر في الآية الكريمة « قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى » تبينا اننا امام اسلوب فريد جعلت فيه كلمة « القربى » ظرقا للمودة . والمتبع لاستعمالات

# نفحات قرآن

## بقلعه بن حارث احمد رعبيه

الآل ، والأهل ، والمؤدة في القربي \*

ويروعنا ونحن نتذمّر شعار  
المصطفين ، ونقدر نظامه (٥) ،  
وكلمه عقدها الفريد بحباته  
الخائد (٦) .

ولقد علمنا أبعاد استلوب التقين ،  
وعلمنا ايحاء كلمة « قل » .

ويقى أن نقف أمام كلمة « القربي »  
التي وردت مسبوقة بحرف يفيد  
الظرفية « في » فبدت وكأنها وعاء  
حشوه المؤدة ، والبر .

فالمؤدة — بمقتضى هذا التركيب —  
روح كل قربي . وكل قرابة لا تورث  
التواطئ قرابة جواناء ، ميّة لا يعتد  
بها ، لأن العبرة بالمؤدة التي تعبر  
القرابة ، وتتركى أعماقها .

والذين ينعمون بقرابة تجود

من قرآن يقرى (١) مريديه ،  
ويحيط موائد الحكم ، والرحمة  
لوارديه ، ومن آيات تفرى  
بالاحتساب ، وتوكّد منعة المحتسبيين  
المتكلمين .. سرت نفحات تشدّد  
عرا (٢) الأنفس الشاردة ، وتبسط  
لعنات القلوب القلقة حتى لا تنتاثر  
ببدا (٣) بكل واد شعبة .

وتراجعت خلال النفحات أنفس دنيا  
تقطط في الغفلة ، وتغوص في الوحل .  
ولاحت أنفس عليا تدرج نزية ،  
رفيقه ، غنية ، نحو مقام « حسبنا  
الله » تستهدى قوله سبحانه : —  
( فان تولوا فقل حسبى الله لا اله  
الا هو ، عليه توكلت ، وهو رب  
العرش العظيم ) وتسقّع (٤)  
قوله سبحانه : — ( قل لا أسألكم  
عليه أجراء الا المؤدة في القربي ) .

\* باتيات من نفحات « بيت يدا » تجلو من كنوز الاسلام ، وتحقّم  
المطلعين ، وتنقد الملايين الحائرين ، وتوكّد أن الاسلام يهدى ، ويرضى ،  
ويبني ، ويزن بالقسطاس المستقيم .

(١) قرى الضيف أكرمه .

(٢) جمع عروة . والعروة من  
الثوب موضع الزر .

(٣) متفرقة .

- (٤) تتخذ شعرا .  
(٥) النظام كل خيط ينظم به لؤلؤ  
ونحوه .  
(٦) جمع خريدة والخريدة اللؤلؤة  
لم تثبت .

ومحمد صلى الله عليه وسلم  
بمشاعره الإنسانية الفياضة عترة  
قريش ، وعيتهم (٢) التي تبث  
الروح ، وتزخر باللودة ، والبر .  
اما كثار قريش فما كانوا ليتقوا  
إلى مكانة العترة ، والعيبة . كيف  
وقرباتهم متجردة من الروح وبواطنهم  
تفلي بالحق ، والغل ، والشنآن ؟

وقد يرى - برغم هذا - كثيرا ما ناشدت رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم ، وكثيرا ما ضربت له - على أوتار القرابة ، والآبوبة ، والبنوة ، والدم المشترك استغلالا لمشاعره العليا أو تقية ، أو سياسة ، وخديعة ، ومكر رجاء أن يكف رسول الله عنهم ، ويعفو :

١ - ناشدوه الرحم حين أصيروا بالقطط ، فرق ، ودعا لهم بالخصب رعاية للرحم .

٢ - وتوسلوا اليه بحق العمومية  
والأخوة والبنوة أن يكف عن دعوته،  
ويطلب ما ي يريد . (روى ابن اسحاق  
بسنده : أن عتبة بن ربيعة - وكان  
سيدا في قومه - قال يوما وهو  
جالس في نادى قريش ، رسول الله  
جالس في المسجد وحده : يا معاشر  
قريش . الا أقوم الى محمد فأكلمه ،  
وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها  
فقطعيه ايها شاء ، ويكتف عننا ؟  
قالوا : بل يا ابا الوليد . قم اليه

بالملودة ، وتقىض بالبر هم «العترة» .  
والعترة من معانٰيها : أنها قلادة  
تعجن بالمسك . فالوشيجة التي  
تسخو ، وتزهو ، وتطيب ، وتعلو  
حرية بأن تستعار لها كلامة  
«العترة» .

رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسع العالمين بقبله الكبير الفياض . وكان يائى بالغ الآسى كلما اعرض قومه عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستقرة ، فربت من قيسورة .

ولكم رأينا القرآن الكريم يخفي  
من لواعجه ، ويحد من أنساه ،  
ويكبح جماح مشاعره بمثل « لعلك  
باخ نفسك الا يكونوا مؤمنين »  
« فلعلك باخ نفسك على آثارهم  
ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا »  
ولكم وقتنا امام جوامع كلم رسول  
الله صلى الله عليه وسلم وهي  
تصور المعرضين فراشا ( بفتح  
الفاء ) يدنو بها الحتف الى جاحظ ( ١ )  
تتاجج ناره . ( عن أبي هريرة رضي  
الله عنه قال : — قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم : مثلى كمثل  
رجل استوقد نارا فلما أضاءت مسا  
حوله جعل الفراش ، وهذه الدواب  
التي تقع في النار يقعن فيها وجعل  
يحيزنها ، ويغلبنها فيتقحمن فيها ،  
فإنما أخذ بجزكم عن النار وأنتم  
تتقحمون فيها ) محقق عليه .

١) الجام = الجيم .

(٢) عيبة الرجل موضع سره ، وشقته .

ترتبط بين الآنسى . أما القرابة  
الخاوية الباردة فهى لا تليق الا  
بالانعام . فلا عجب اذا روى  
البخارى ، وأحمد ، والحافظ الطبرانى  
عن ابن عباس ما رووا من أن المعنى  
« لا أسألكم عليه اجرا الا أن تودونى  
في نفسى لقربتى منكم ... » القرابة  
اذن وعاء ، ومنبع .

ومودة رسول الله صلى الله عليه وسلم تكمن في اتباعه ، ومؤازرته ، ونشر دعوته . هذا هو حب رسول الله وهذا — في الوقت نفسه — عين حب الله ( قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله ) .

واعتباراً لهذه العلاقة الوطيدة بين حب الله وحب رسوله فسر قوم الآية ( قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربى ) بحب الله ، والتقرب إليه .

روى الامام احمد عن ابن عباس  
( ايضا ) ان النبي صلى الله عليه  
 وسلم قال : - لا اسالكم على ما  
 اتيتكم به من البيانات والهدى اجرا  
 الا ان تودوا الله تعالى ، وان  
 تقتربوا اليه بالطاعة .

ولقد ترددت في تأويل الآية أقوال  
لا تثبت عند التمييّص . منها : -

١ - منها ما زعم من أن الآية  
نزلت توجيهها لمن فاخر العباس من

فكلمه . فقام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا ابن اخي ، انك منا حيث قد عنيت من البسطة في العشيرة ، والمكان في النسب ، وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، وانا والله ما نعلم رجلا من العرب ادخل على قومه مثل ما ادخلت على قومك . فرقت جماعتهم ، وسفنت احلامهم ، وعبدت آلهتهم ، ودينهم ، وكفرت ( بتشديد الفاء ) من مرضى من آبائهم ، فاسمع مني يا ابن اخي ..... )

ومضى ابو الوليد يعرض على رسول الله ، ويقترح عليه بأسلوب ملطف رفيق آملاً أن يصل بالملائكة، والرقة الى ماله يصلوا اليه بالمواجهة، والمصادمة ، والتعيق .

وأبو الوليد وهو يتملق رسول الله  
 بكلماته المسئولة إنما كان يلوح  
 بقربة قاحلة جبارا خلت من المودة  
 فخلت من الروح . وأبو الوليد  
 وعصبته — وإن كانوا يمتنون السى  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم —  
 لا يمكن أن يكونوا عترة محمد مجرد  
 تلاميذه بكلمات : يا ابن أخي ، اخ  
 كريم ، وأبن اخ كريم ... الخ تلك  
 العبارات المتملقة التي لا تحوى الا  
 الجرس الرنان .

والقرآن حين أدخل آداة الظرف  
« في » على كلمة « القربى » إنما  
دعاهم إلى أن يملئوا الكلمة بالزيت  
للتضيء . ذلك شأن القرابة التي

لقليل « المودة لذوى القربى » ولم يقل « في القربى » فانه لا يقول من طلب المودة « أسألك المودة في فلان » ولا « في قربى فلان » ولكن « أسألك المودة لفلان » .

٣ — فوق أن النبي لا يسائل على تبليغ رسالة ربه أجرها البينة بل أجره على الله كما قال : « قل ما أسألكم عليه من أجر ، وما أنا من المتكلفين » .

« ألم تسألهم أجرًا فهم من مغرم مثقلون » .

« قل ما سألكم من أجر فهو لكم ، ان أجرى الا على الله » .

٤ — والقربى ذكرت معرفة بآل فهى اذن قربى معهودة معروفة لدى المخاطبين وهى القربى الذى بين الرسول وبينهم ) انتهى الاسترشاد بكلام الامام ابن تيمية .

وبعد فان المسلم تدعمه مفهومات منها الايمان ، والاخوة ، والحب في الله ، والبغض في الله .. الخ ومقومات المسلمين تظل تتجادب ، وتتعالى حتى تتجاوز بالمسلمين مستوى القربى : هذا المستوى الذى يقتضى — بالضرورة — المودة في القربى .

المودة في القربى سلوك يغذى الانفعال بالقربى ، ويفضى إلى

الانصار . ومثل هذا لا يعول عليه ، لأن السورة مكية ، والأية ذكرت في سياق آيات لا تمت إلى قضية المفاخرة بصلة .

٢ — ومنها ما رواه ابن أبي حاتم من أن الآية لما نزلت قالوا : يا رسول الله ، من هؤلاء الذين أمرنا بمودتهم؟ قال : فاطمة ، وولدها . اذ من الثابت أن فاطمة تزوجت بعد بدر في السنة الثانية من الهجرة ، فلم يكن لها في مكة زوج ولا ولد . ذلك فوق أن في اسناد الخبر شيئا لا يقبل خبره هو « حسين بن الأشقر » .

قال ابن تيمية رضى الله عنه في « منهاج السنة » .

١ — ( أن السورة مكية باتفاق أهل السنة . نزلت قبل أن تتزوج فاطمة . فكيف تفسر الآية بوجوب مودة قرابة لا تعرف ، ولم تخلق ؟ ) .

المعول اذن على ما اثر عن ترجمان القرآن ، وأعلم أهل البيت « ابن عباس رضى الله عنه » .

٢ — ويرى ابن تيمية أن جميع ما في القرآن من توصية بحقوق ذوى قربى الرسول صلى الله عليه وسلم وذوى قربى الانسان انما قيل فيها ( ذوى القربى ) والعدول عن هذا إلى « في القربى » يستوجب النظر . ذلك أنه لو أريد المودة لهم

عليه وسلم ذكرنا الله - صراحة -  
في أهل بيته بعبارات كأنها وصية  
ضمنية بهم ، وذلك في الحديث الذي  
رواه مسلم في صحيحه عن يزيد بن  
حيان (٢) قال : - ( انطلقت أنا  
وحسين بن سيرة ، وعمرو بن  
مسلمة إلى زيد بن أرقم . فلما  
جلسنا إليه قال له حسين : لقد  
لقيت يزيد خيراً كثيراً رأيت  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
وسمعت حدثه ، وغزوت معه ،  
وصليت خلفه ، لقد لقيت يزيد  
خيراً كثيراً . حدثنا يزيد ما سمعت  
من رسول الله صلى الله عليه  
وسلم . قال : يا بن أخي والله  
لقد كبرت سنى ، وقدم عهدي ،  
ونسيت بعض الذي كنت أعي من  
رسول الله فما حدثكم فاقبلاوا ،  
ومالا فلا تكفوني . ثم قال : قام  
رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فينا خطيباً بما يدعى خما بين مكة  
ومدينة . فحمد الله ، وأثنى عليه ،  
وععظ ، وذكر ثم قال : - أما بعد  
الآيها الناس ، إنما أنا بشر يوشك  
أن يأتيني رسول ربى فاجيب ، وإنما  
تارك فيكم ثقلين ، أولهما كتاب الله  
فيه الهدى والنور ، فخذوا يكتاب  
الله ، واستمسكوا به ، فتحث على  
كتاب الله ، ورغب فيه ثم قال : وأهل  
بيتي . انذركم الله في أهل بيتي  
( ثلاثة ) . فقال له حسين : ومن  
أهل بيته ؟ أليس نساؤه من أهل  
بيته ؟ قال : نساؤه من أهل بيته ،

مزيد من التألف والتدانى - إلى  
مزيد من قربى فمزيد من مودة  
يصورها الله تعالى في صورة عائد  
تقر به عين رسول الله صلى الله  
عليه وسلم اذ تقر به عين المسلمين (١)  
( قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة  
في القربى ) .

فالقريبي هنا أعم مفهوماً ،  
وارحب أفقاً . فهي تسع العشيرة  
الاقربين . وتشمل كل مفاهيم كلمات  
القربى التي وردت في القرآن  
مبوبة بـ « ذى » أو « ذا » أو  
« ذوى » أو « اولو » .. الخ  
وغير مسبوقة . وتشمل مفهوم  
الأرحام ، وأولى الأرحام الذين جعل  
الله بعضهم أولى ببعض .

ولا تزال الكلمة تنسع ، وتمثل  
حتى تنتظم المسلمين قاطبة ، فالإسلام  
رحم بين أهله ، والمسلمون كلهم  
اخوة بمنطق القرآن ، وصرح  
السنة ، وروح الشريعة الفراء  
( إنما المؤمنون اخوة ) والمؤمن مطالب  
بأن يدرج مشتملاً بمعنى القربى  
حتى يدرك منزلة الأخوة الحقة التي  
امتن الله بها على العباد ( واذكروا  
نعم الله عليكم اذ كنتم اعداء فائف  
بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخواناً ) (١)

### حديث ماء خم

ولتائل أن يقول : فيم المحاورة ،  
والمحاورة ورسول الله صلى الله

(١) راجع نفحات عدد شعبان ١٤٠٢

(٢) وثقة الذهبي ، وابن حبان وغيرهما .

ولكن أهل بيته من حرم الصدقة  
بعدة . قال ومن هم ؟ قال : هم آل  
على ، وآل عقيل ، وآل جعفر ،  
وآل عباس . قال كل هؤلاء حرم  
الصدقة ؟ قال نعم ) .

هاشم شرف النبوة ، وورمت أنوفها  
لما نالوا بمحمد صلى الله عليه وسلم  
من ذكر . فوو ق أن هذا الشرف  
الجديد قد يورث بنى هاشم شيئاً من  
الزهو والتغالي الذي يثير نوازع  
الفيرة ، والحسد ، والحقن في نفوس  
الآخرين . وقد يجمع بيني هاشم  
هذا الشعور فيرون أن ما غمر  
العرب من سيادة وشرف تراث  
محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنهم  
أولى العالمين بتراث محمد عليه  
الصلوة والسلام . وحينئذ تثور  
الفيرة ، وتضطرم الأحقاد ، ويحس  
الناس أن بنى هاشم بتعاليهم  
وخيالاتهم أضحووا عبنا وثقلًا لا يطاق .

ولكل هذه المعانى كان أهل البيت  
عرضة للكبت ، والقهر ، والاضطهاد .  
وكانوا ابشع على القلق ، وأوحى  
للوصية بهم فلاغروا إذا ذكرنا  
رسول الله بهم آمراً أن نقيم الوزن  
بالقسط ولا نخسر الميزان .

والحديث — بميزان الجرح  
والتعديل — يبعث على التوقف  
والنظر . وذلك لأن الراوى الأول  
للحديث ( زيد بن أرقم رضي الله  
عنده ) استبرا لنفسه حين شكا من  
كبير السن ، وقدم العهد ، وخشي

وهذا الحديث يتخذ منه  
المستشرقون ومن لف لفهم مدخلاً  
للطعن في عدالة الإسلام والتشكيك  
في صدق مبادئه ، ويتهمون بموجبه  
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمحاباة ، وتمييز خاصته ، وآلها .

ولقد تعرضت في مقال سابق (١)  
لهذا الحديث وقتلت : — أن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم لم ينسب  
في هذا الحديث إلى أهل بيته مزيد  
فضل يميزهم عند الله ، أو يرفعهم  
على الناس ، ولم يزن لهم بميزان  
يغاير ما يزن به لعامة المسلمين .  
كما أنه لم يوص لهم بدنيا زائدة ،  
ولا طلب لهم معاملة خاصة تمييزهم ،  
بل لم يزد على أن ذكرنا الله في  
أهل بيته . وذلك يقتضي إلا نحيف ،  
وألا نحابي ، وألا نغلو أو نعین عليهم  
للسatan . ولعله — عليه الصلاة  
والسلام — نظر بفراسة المؤمن  
فنتصور ما سوف يتحقق بأهل بيته ،  
ولا سيما من نفوس نفست على بنى

(١) راجع مجلة التوحيد عند ربى الآخر ١٤٠٢

ولكن بعوامل أخرى فأراد رسول الله أن يوجه ذلك الحب إلى وجهة صحيحة .

طرق النسيان ، فكانه رضى الله عنه يلقى بهذا عن كاهله مسؤولية ما يروى تورعا .

والحق أن الحديث سبق لغير ذلك . فهو يرفض بشدة أن يكون بين المؤمنين تباغض ، واحقاد ، ويستنكر بشدة أن يكون القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم سر الحقد وسبب الضغينة .

ونعود فنقول : نحن لا نمنع أن يتمكن من القلوب حب آل محمد القائم على منهج الله ، ورسوله . ولكننا نرى أن جهنم لا يترتب على هذه الآية الكريمة . بل يجري على قواعد أسلامية عامة منها : -

١ - أن الحب في الله ، والبغض فيه أوثق عرا الإيمان .

٢ - وأن المؤمنين دأبهم التراحم ، والتواصل ، والتواط ( مثل المؤمنين في توادهم ... الخ ) .

٣ - وأن تيار المودة يسري بين المؤمنين بفضل الله وكرمه ( إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا ) أى حبا تعقد أواصره في السماء ثم ينعكس شعاعه على الأرض . أى يحبهم الله ويحبهم إلى عباده . يتبع أن شاء الله .

**بخاري أحمد عبده**

## لا يدخلون الجنة حتى يحبوكم الله ولقرباتي

وقد يحل للبعض أن يحتاج بما ورد في السنن من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : - ( والذى نسى بيده لا يدخلون الجنة حتى يحبوكم الله ولقرباتي ) قال لها متخوفا من بوادر جنوة ، وغيره توشك أن تجتاح بعض القلوب المتوررة يوم تجهم أصحابها لخاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأعرضوا ، وتغامزوا .

والحديث - كما لا يخفى - لم يصدر لتحديد سبب حب موجود فعلا ، ولكنه يرتكز على أمر غير الذى ذكر . ولم يسع لايجاد حب معدوم أصلا كى يخلق الود ويزدهر مرتبطا بالسبعين الذكورين . لأن الحب انفعال غير ارادى ينبعق من عوامل ، وأسباب هى مركز الدائرة .

وكما أنه يستحيل على أحد أن يخلق حبا في قلب أحد ( والف بين قلوبهم ...) ( اللهم ان هذا قسمى فيما أملك ، فلا تؤاخذنى فيما لا أملك ) ( يامقلب القلوب ثبت قلبي ) .

كذلك من المستحيل فك حب من مركزه ووته ليشد ويوصل بسبب آخر . بمعنى أن أولئك كانوا يحبون

# نفحات القرآن

## بِقَلْمِ بُخَارِيٍّ أَحْمَدُ عَبْدِهِ

### الآل والأهل \*

فِي مَحَاوِلَةٍ لِتَبْصِيرِ الْمُتَخَبِطِينَ ،  
وَضَبْطِ لِنَفَثَاتِ الشَّارِدِينَ ذَهَبَنَا نَسْتَمْطِرُ  
فِي الْأَعْمَاقِ الْمُتَوَلِّةِ .

بَعْدَ أَنْ فَرَغَهَا ، وَهِيَاهَا لَمْ يَسْلِقِي  
مِنْ قَسْوَلَ جَدِيدٍ . ثَقِيلٌ ، عَرْشُهُ  
نَقْوَى ، وَإِيمَانٌ ، وَفَرْشُهُ تَنَاصُحٌ  
وَبَرٌ ، وَتَوَادٌ ، وَثَارٌ . هَدَاهُمْ تَوْلِهُ  
سَبْحَانَهُ ( وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ ،  
وَلَوْ كَانُوا بَهِمْ خَاصَّةً ، وَمَنْ يُوقِ  
شَيْخَ نَفْسِهِ ، فَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلُحُونَ )  
وَشَعَارُهُمْ قَوْلُهُ سَبْحَانَهُ ( وَيُطَعِّمُونَ  
الطَّعَامَ عَلَى حَبِّهِ مُسْكِنًا وَبِتِيمًا ،  
وَاسِيرًا . اتَّمَا نَطَعْمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ .  
لَا نَرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً ، وَلَا شَكُورًا .  
اَنَا نَخَافُ مِنْ رِبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا  
قَمْطَرِيرًا ) وَذَكْرُهُمُ الْمُرْتَلُ قَوْلُهُ  
سَبْحَانَهُ ( حَسَبَنَا اللَّهُ ، وَنَعَمْ  
الْوَكِيلُ ) .

وَظَنَنَتِي أَنِّي بِكُلِّ مَا قَدَّمْتُ ، الَّتِي تَبَيَّنَتْ  
أَصْنَوَاءَ عَلَى حَقِيقَةِ «الْمَوْدَةُ فِي الْقُرْبَى»  
جَلَّيَتْ بِهَا أَبْعَادُ هَذِهِ التَّضَيِّفَةِ ، وَانِّي  
نَفِيتُ عَنْهَا — بِتَوْفِيقِ اللَّهِ — تَحْرِيفٌ

سَمَوَاتِ الْقُرْآنِ ، وَسَنَخْلُصُ مِنْ  
أَشْفَيْتِهِ الرَّحْمَانِيَّةِ مَا يَزْكُي الْجَنَانَ ،  
وَيَصْقُلُ الْوَجْدَانَ .

وَعَلِمْنَا — يَوْمَئِذٍ — أَنَّ الْوَشِيجَةَ  
الَّتِي لَا تَفْرَزُ التَّرَاحِمَ ، وَالتَّحَابَ ،  
وَالتَّنَاصُحَ فِي اللَّهِ وَشِيجَةَ خَرْقَاءَ ،  
جَوْفَاءَ لَا تَشْنَى إِلَّا عَنْ حَمْيَةِ الْجَاهِلِيَّةِ ،  
وَعَصْبَيْتِهَا الْعُمَيَاءَ .

وَمُثِلُّ هَذِهِ الْوَشِيجَةِ الشَّاوِيَّةِ مِنْ  
أَفْرَازَاتِ التَّدِينِ الصَّحِيحِ ، وَمِنْ نَضْحِ  
الْعَوَاطِفِ السَّامِيَّةِ سَرْعَانَ مَا تَمْتَلِئُ  
بِأَفْرَازَاتِ الْفَرَائِزِ الدِّينِيَّةِ وَتَسْمِيلِ  
بِالْأَحْقَادِ ، وَالشَّنَآنِ ، وَالْأَسْفَانِ .

وَمَعْجَزَةُ الْقُرْآنِ أَنَّهُ وَاجَهَ هَذِهِ  
الْفَرَائِزِ الدِّينِيَّةِ فَطَبَّهَا ، وَأَعْلَاهَا ،  
وَغَيْرَ مَجَراها ، وَمَرْسَاهَا .

كُلُّ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ نَسْفَ شَحَنَاتِ

\* أَرْوَاحٌ مِنْ نَفْحَاتٍ «تَبَتْ يَدَا» تَدْحِضُ فَرَى الْمُفْتَرِينَ ، وَتَؤَكِّدُ أَنَّ  
الْإِسْلَامَ دِينُ النَّزَاهَةِ ، وَالْعَدْلَةِ ، وَالْفَرَصِ الْمُتَكَافِفَةِ .

ذلك الانتماء — حبوا ايماناً محاباة ، وكيل لهم بمكاييل دونها المكاييل التي كيل بها لسائر الناس ، مما يقترح في عدالة الاسلام المزعومة (٢) ، وينسف دعوى السواسية التي يتصدق بها المسلمين وهم يرددون أن الناس سواسية كأسنان المشط (٣) .

### «الآل»

قالوا : — ومن مظاهر تمييز الاسلام لعشيرة محمد الاقربين (٤) تلك الصلوات ، والبركات التي تغدق عليهم اغداقاً كلما تشهدنا ، او صلينا ، وسلمتنا على النبي الكريم صلى الله عليه وسلم .

والحق ان كلمة «آل» لا تلتزم بذوى الرحم الاقربين بحيث تستأثر بهم ، وتتسد المنافذ على غيرهم من اتباع ، وأصحاب ، وانصار . بل هي كلمة مرنة تسحب على أولئك وعلى غيرهم .

ولايوضح هذا لا بد ان نقف وقفة متأثرة نحيط فيها بأبعاد كلمة «آل» احاطة لغوية تستعرض الماهيم :

(١) روى البيهقي عن ابراهيم بن عبد الرحمن العذرى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : — يحمل هذا العلم من كل خلف عدوه . ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين . والحديث مرسل لأن (العذرى) تابعى . فوق أن الرواى عنه وهو «معاذ بن رفاعة» ليس بعمدة . الا أن الحديث صححه الامام احمد لأنه روى مرفوعاً من طريق جماعة من الصحابة .

(٢) منطق الصوفية .

(٣) على حد قولهم .  
(٤) كيد المستشرقين .  
(٥) من هاشميين وعلويين وعباسيين .. الخ

الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين مصدق ما اثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم . (١)

وسنحاول اليوم — مستعينين بالله — ان نتصدى — في موقع آخر — لثالث الغالين ، والمبطلين ، والجاهلين . فقد انتحلا ، وحرفو ، واولوا ، وهم يصولون ، ويجولون حول قضية «الآل ، والاهل» وزعموا ان ذوى قربى محمد صلى الله عليه وسلم لاطفهم الاسلام ملاطفة مكسوفة ، وخصهم برادة سامية تمنع عنهم صوابع الجنس، والرجس، وحرك السنة كل المسلمين كى تستطرر الرحمات والبركات لهذه الفتنة الدللة ، المحظوظة . واستخلصنا بخرصهم :

١ — ان اهل البيت — بفضل انتمائهم العرقى لرسول الله صلى الله عليه وسلم — صاروا فوق البشرية يملكون ما لا تملك ، ويفرون بقطاعات فى كون الله يصرعون شيئاً ، ويتحكمون فى مقدراتها (٢)

٢ — او ان اهل البيت — بحق

أمر فرعون ، وما أمر فرعون برشيد . يقمع قومه يوم القيمة ، فأوردهم النار ويُشَيَّن الورد المورود . واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ، ويوم القيمة يُثْشَن الرفد المرفود ) هود . ففرعون — بهذا الاعتبار — من الصور التي تعكسها الآية الكريمة:— ( ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيمة ، ومن أوزار الذين يضللونهم ، الا ساء ما يزرون ) التحل ٢٥ . نهوا بحكم ولایته المسئولة يبوء بايمه ، واثمهم ، ويحمل وزير الضلال ، وزر الأضلال .

٢ — آل الرجل قومه ، واتباعه ، واهل دينه . وربما لمحنا هذا المعنى في كثير من الآيات التي وردت فيها كلمة «آل» ومن ذلك قوله سبحانه ( واد نجيناكم من آل فرعون ... ) البقرة ٤٩ .

قال التاسمي : — المراد بآل فرعون فرعون واتباعه ، فمن آل يطلق على الشخص ، واتباعه .

وقال أبو عبد الله القرطبي : — ( آل فرعون قومه ، واتباعه ، واهل دينه ، وكذلك آل رسول الله ، من هو على ملته ، ودينه ، في عصره ، وفي كل الأعصار ، سواء كان نسيبا له ، او لم يكن ، ومن لم يكن على دينه وملته ، فليس من آله ولا اهله ، وان كان نسيبه ، وقريبه ، هـ )

٣ — وكلمة «الآل» تذكرنا بكلمات يمكن أن تكون مصادر لكلمة «آل»

١ — الآل كلمة واسعة الدلالة ، فقد يطلق على شخص واحد : «ا» أما على سبيل التشريف ، والتعظيم كما في قوله تعالى ( فيه سكينة من ربكم ، وبقية مما ترك آل موسى، وآل هارون ...) البقرة فالتابوت تركة موسى ، وهارون عليهما السلام . ومحظى مخلفاتهما ، وتعظيمها للنبيين ، وتخفيها لشأن التابوت نفسه ، سبقت كلمة «آل» اسم النبيين الكريمين . وكأنهما بما حققا ، وأنجزا ، وقاوما ، وجاهدا كانوا امة كابرائهم الذي قال الله فيه ( ان ابراهيم كان امة ) وهذا — في طني — أنساب من قول المفسرين :- اسند « بالبناء للمجهول » الترك الى آل موسى ، وآل هارون من حيث انتقال التابوت من يد ، الى يد ، الى يد ، وكلهم آل موسى ، وآل هارون .

«ب» وأما على سبيل النكالية ، والتهم كما في قوله تعالى ( ... . . . . . ) وحاق بآل فرعون سوء العذاب . النار يعرضون عليها غدوا ، وعشيا ، ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب ) غافر ٤٥ — ٤٦ .

قالوا : — لعل سوء العذاب قدر مشترك بين فرعون وأشياعه . ولعل أشد العذاب خاص بفرعون ذاته بحكم كونه صاحب أمرهم الذي يقدمهم يوم القيمة ، ويوردهم النار ( ولقد أرسلنا موسى بآياتنا ، وسلطان بين الى فرعون وملته ، نماذجوا

أى أصلاحه ، وساسته . وأآل الملك .  
رعايته ايا لا ساسهم . وأآل على .  
ال القوم ، ولى عليهم — وأفراد أآل  
يتعاون بعضهم بعضًا ، ويصلح  
بعضهم شئون بعض ، وبعضهم  
أولياء بعض .

و — ونذكر فيما نذكر كلمة «الآل»  
بمعنى السراب . وكذلك جل الناس .  
يمضون (فتح الياء وكسر الميم )  
من بعيد وميض البرق الخلب ،  
ويثلون «يلمعون» كسراب بقيمة  
يحسبه الظمان ماء ، حتى اذا جاءه  
لم يجده شيئاً — او لأن الحياة كلها  
سراب . والناس قريبهم ، وبعيدهم  
وهج كاذب يعكسه السراب . والمال  
المحتوم هو الانقسام ، والزوال ،  
وانطفاء كل بريق حسب قوله  
الشاعر : —

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا  
أنيس ، ولم يستمر بمكة سامر  
او كما قال الآخر :  
فلمَا تفرقنا كائني ومالكا  
لطول اجتماع ، لم نبت ليلة معا

ز — وأآل بعد كل ذلك الشخص  
نفسه . وأآل الرجل أتباعه ،  
وأولياؤه ، وأآل الله ، ورسوله  
أولياؤه «قاموس» .

\* \* \*

وأنا اذ أحرص على تسجيل هذه  
الفذكرة اللغوية ، لم اقصد التزويق ،  
ولا التغريب ، ولا الاستعراض .

وبكلمات أخرى يمكن أن تكون نظائر  
تقرب من كلمة «الآل» في المبني ،  
والمعنى .

ا — تذكرنا بكلمة «أهل» وقد  
قال أهل اللغة ان كلمة «أهل»  
أصل كلمة «آل» قلبت الهاء الى  
همزة تخفينا ، ثم ابدلت الهمزة  
الثانوية الفاء ، زيادة في التخفيف .  
قال صاحب القاموس : — الا ان  
كلمة «آل» لا تستعمل إلا فيما فيه  
شرف غالباً .

ب — وتذكرنا بكلمة «الآل» —  
بكسر الهمزة بعدها لام مشددة —  
والآل من معانيه العهد ، والفاء ،  
والجار ، والقرابة ، والأصل الجيد .  
فلملل هاء «أهل» ابدلت في الكلمة  
«آل» لاما وادغمت كما ابدلت هناك  
همزة . ويعحسن هذا القول أن أهل  
الرجل هم أصحاب عهده ، وهم —  
في الغالب — قرابتة ، وأصله . اذن  
العلاقة بين (آل) «بكسر الهمزة  
وتضييف اللام الأخيرة» وبين أآل  
علاقة وطيدة .

ج — وتذكرنا بـ آل يؤول أولاً وما لا  
بمعنى رجع — واهل الرجل عيشه  
ومرجع أمره .

د — وتذكرنا بـ آل الدهن اولاً  
بمعنى تماستك ، وخثر — وأآل الرجل  
عدته ، وسر تماستكه وقوته .

ه — وتذكرنا بقولهم «آل المال»

( أهمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ) الأعراف ٩٩

٣ — واثتمارا بأمر الله سبحانه فقد امرنا أن نصلى على نبيه الكريم وتنبئها إلى هذا ، وتربيه لشاعر الخوف الدائم من الله ، والرجاء الحار في الله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : — « اني وأنا رسول الله لا أدرى ماذا سيفعل بي » « لو كانت أحدي قدمي في الجنة ، والآخر خارجها ، ما امنت مكر الله » .

ومن شواهد هذا ما روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : — ( ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكا حتى أرى منه لهواته ( جمع لهاء وهي اللحمة المشرفة على الحلق في اقصى سقف الفم ) انما كان يبتسم . قالت : وكان اذا رأى غيما ، أو ريحًا عرف ، « بالبناء للمجهول » في وجهه ، قالت : يا رسول الله . الناس اذا رأوا الغيم فرحاوا رجاء ان يكون فيه المطر . واراك اذا رأيته عرف في وجهك الكراهة ؟ فقال : يا عائشة ما يؤمنني ان يكون فيه عذاب ؟ عذب قوم بالرياح . وقد رأى قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطربنا ( ١ ) )

ولكنى اردت ان يكون ذلك زادا للدعاة الذين يتصدون لأسوق المستشرقين ، ومحذقة المتصوفين . مهؤلاء يشقشدون بكلمات خداعية ، ويخرصون ، بل يختلقون مفاهيم ، ومعانى ، وتأويل لا أساس لها ، ما أنزل الله بها من سلطان .

اذا تحقق هذا فاعلم أن آل محمد هم الذين حددتهم أبو عبد الله القرطبي — ( ج ١ ص ٣٨١ تأويل آية : واذ نجينكم من آل فرعون ) — هم الذين على ملته ، ودينه ، في عصره ، وفي كل الأعصار ، سواء كانوا انسباء او لم يكونوا . ومن لم يكن على دينه ، وملته فليس من آلهم ولا أهله ، وأن كان نسيبا ، قريبا . والمؤمنون حين يلهجون في صلوائهم ، وفي غير صلوائهم ، بذكر آل محمد داعين ، مترجمين ، سائلين لهم البركة ، والنماء ، انما يصلى بعضهم على بعض ، ويبارك بعضهم لبعض . والمؤمنون اذ يصلون ، ويباركون على محمد ، وآلـه انما يفعلون هذا :

- ١ — شاكرا لله على نعمة اسداها .
- ٢ — واستيقاء لتلك النعمـةـ بالدعاء : لعلمـهمـ انـ مـكـرـ اللهـ غـيرـ مـأـمـونـ

( ١ ) رواه مسلم ، والترمذى أيضا ، والحديث يشير الى قول الله تعالى :—  
 ( فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتمهم قالوا هذا عارض ممطربنا بل هو ما اسرى محيطكم به ريح فيها عذاب اليم ، تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم كذلك نجرى القوم الجرميين . ولقد مكثـهمـ فيما انـ مـكـلـمـ فـيهـ ... الـاحـقـافـ ٢٤ — ٢٦ )

وَقَهْمَ عَذَابِ الْجَحِيمِ . رِبِّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتَ عِدْنَ الَّتِي وَعَدْتُهُمْ وَمِنْ مَلْعُونِهِمْ مِنْ أَبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذَرِيَّاتِهِمْ . . . . . وَقَهْمَ السَّيِّئَاتِ . . . . ) غَافِرٌ

أَنَّ الْمَلَأَ الْأَعْلَى كَلَهُ يَصْلِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَيَسْتَغْفِرُ ، وَيَطْلَبُ لَهُمْ جَنَّاتَ عِدْنَ ، وَالْوَقَايَاةَ مِنْ مَغْبَثِ الذَّنْوَبِ بَلْ تَنَاهَى ( تَمَدَّ ، وَتَتَسَعُ ) دَوَائِرَ الرَّحْمَةِ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى حَتَّى تَسْعَ أَهْلَ الْأَرْضِ ( تَكَادُ السَّمَوَاتِ يَتَقْطَرُنَّ مِنْ فَوْقِهِنَّ ، وَالْمَلَائِكَةُ يَسْبِحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ( ۱ ) ، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْفَغُورُ الرَّحِيمُ ) الشُّورِيٌّ ۝

وَإِذَا كَانَتِ الصَّلَاةُ تَنْدَفِقُ مِنْ كُلِّ صُوبٍ عَلَى مَنْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْتَ شِعْرِيْ ما الْمِيزَةُ الَّتِي تَمِيزُ بِهَا آلُ مُحَمَّدٍ — حَتَّى عَلَى نَفْرَضِ أَنَّ كُلَّهُمْ آلٌ يَقْصِدُ بِهَا خَاصَّتَهُ الْأَقْرَبُونَ مِنْ أَوْلَادٍ وَأَخْفَادٍ ، وَأَصْهَارٍ ، وَأَرْحَامٍ ؟

۴) — وَاسْتَرْزَادَةً لِنِعْمَةِ عَزِيزَةِ غَالِيَةٍ ( لَئِنْ شَكْرَتُمْ لَازِيدَنِكُمْ . . ) وَالنِّعْمَةِ الْمُسَدَّدَةِ الَّتِي نَدْعُوا كَيْ نَسْتَبِقُهَا وَنَسْتَرِيدُ مِنْهَا هِيَ نِعْمَةُ صَلَاةِ الْوَلِيِّ وَالْمَلَأِ الْأَعْلَى عَلَى رَسُولِهِ ، وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ . فَالصَّلَاةُ الَّتِي نَسْتَمْطِرُهَا وَاقْعَدَ ثَبَّتَهُ — أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَقْتَضِيُّ قَوْلِهِ سَبَّاحَهُ ( أَنَّ اللَّهَ ، وَمَلَائِكَتَهُ يَصْلُونَ عَلَى النَّبِيِّ ، يَأْيَاهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلَوَاتُهُ وَسَلَّمَوا تَسْلِيمًا ) الْأَحْزَابُ . وَأَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِسَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ فَبِمَقْتَضِيِّ قَوْلِهِ سَبَّاحَهُ : — ( هُوَ الَّذِي يَصْلِي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتَهُ ، لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ) الْأَحْزَابُ ۴۳ وَيَحْقِّقُ قَوْلَهُ سَبَّاحَهُ ( الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمِنْ حَوْلِهِ يَسْبِحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ، وَيَؤْمِنُونَ بِهِ ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ، رِبِّنَا . وَسَعَتْ كُلُّ شَيْءٍ رَحْمَةُ وَعِلْمًا ، فَاغْفَرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ

( ۱ ) ظَنَّى أَنَّ اسْتَغْفَارَهُمْ يَسْعِ الْمُوْهَدِينَ فِي الْأَرْضِ : صَالِحِيهِمْ ، وَعَاصِيهِمْ . أَمَّا غَيْرُ الْمُوْهَدِينِ فَلَا يَشْلُمُهُمْ هَذَا بِتَرْيِنَةٍ قَوْلُ اللَّهِ ( مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ، وَمَا كَانَ اسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِابْنِهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا أَيَّاهُ فَلَمَا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوُّ اللَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ . . . ) التَّوْبَةُ ۱۱۳ - ۱۱۴ .

وَالْمَلَائِكَةُ فِي ذِرْوَةِ الْإِيمَانِ، يَسْحَبُ عَلَيْهِمْ مَا يَنْسَحِبُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ . اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَقُولَ : أَنَّ اسْتَغْفَارَ الْمَلَائِكَةِ لِلْمُشْرِكِينَ يَعْنِي طَلَبُ الْهُدَى وَلِفَةُ ، وَاشْفَافُهَا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَدْعُو « اللَّهُمَّ أَهْدِ قَوْمَيْ فَانِهِمْ لَا يَعْلَمُونَ » .

## سنة الله

١ - أن يصوغهم صياغة تعينهم على أن يثبتوا عند الفتنة ويقولوا أمام تحديات المحن التي تجرها القوى المضادة للحق ، وأمام أسلحة قوامها الغواية ، والتمويه ، والصرف عن الجادة ، والاستهزاء ، والدعوى المفبركة المثيرة بغية ايجاد جو يورث الطيش والاضطراب ، ويدفع الى نصرفات حمقاء .

٢ - ومن سننهم أن يتقوى مكر القوى المضادة بالصلوات تقام في أوقاتها ، وبالنواقل تضوى في معارجها ، وبالذكر ، وبالصبر ، وبالقطنة ، والحكمة ، والحركة المدروسة . والقرآن الكريم يجلّى لرسول الله مقومات الصمود تجلية، وفي خلال ذلك يغريه بالتزام سنة الأولين والا ... ذلك ما تستوحيه من آيات الاسراء : — ( وان كادوا ليق奉ونك عن الذى اوحينا اليك لتفتري علينا غيره ، واذا لاتخذوك خليلا . ولو لا ان ثباتك لقد كدت ترکن اليهم شيئاً قليلاً . اذا لاذتك ضعف الحياة ، وضعف الممات ، ثم لا تجد لك علينا نصيراً . وان كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها ، واذا لا يلبيون خلافك الا قليلاً . سنة (١) من قد ارسلنا تبارك من رسالنا ، ولا تجد لسنتنا تحويلًا . اقم الصلاة لدولك الشمس الى غروبها .

والاسلام — كما هو معلوم — لم بين ( بالبناء للمجهول ) على غراغ . بل قام على سنن الموحدين ، ووصل الماضي بالحاضر ، ونسج على منوال الرسل السابقين ، ( يزيد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ... ) النساء .

الاسلام بكل تعاليمه يبني على ( سنة الله التي قد خلت من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلًا ) الفتح .

رسولنا صلى الله عليه وسلم هدى سنة المسلمين من قبله ، وفى « بالبناء للمجهول » مثلهم مواقف « الحرج ، وجنب » « بالبناء للمجهول » — كما جنباً — اسبابه ، وحمل « بالبناء للمجهول » على مناهج الفطرة الميسرة لكلا يكون عليه حرج . وصدق الله : — ( ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له ، سنة الله في الدين خلوا من قبل ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، الذين يبلغون رسالات الله ، ويخشونه ، ولا يخشون احداً الا الله ، وكفى بالله حسبياً ) الأحزاب ٣٩ — ٣٨ .

ومن سننة الله في المسلمين الذين خلوا :

(١) منصوبة على الاغراء .

ونحن له مسلمون ) البقرة ٢٣٠

٣ — وانت تستعيد من تعقيبه  
يعقوب عليه السلام على رؤيا يوسف  
قول الله ( وكذلك يجتبك ربك ويعلمك  
من تأويل الأحاديث ، ويتم نعمته  
عليك ، وعلى آل يعقوب ، كما أتمها  
على أبويك من قبل ) فلآلية توضح ان  
رأس الأمر اجتباء يعقبه ابتلاء ،  
وتکلیف . وأن قوام الأمر علم فياض  
يسع الأقربين والبعدين . وأن طريق  
الكمال يمتد فوق قواعد بنى عليها  
الأكرمون . وأن المنهج المرتضى هو  
منهج الابياع ( بتشديد الناء ) وكان  
يعقبه عليه السلام يوصى يوسف  
بالتزام درب الكمال الذى التزم  
الأصول الأكرمون ( ويتم نعمته عليك  
وعلى آل يعقوب كما أتمها على  
أبويك ) ولقد أتمها الله على الآبوين  
باليمان ، والجهاد ، والصبر ،  
والعطاء ، والعلم ، والحكمة والتواصى  
بالخير .

وهكذا نعلم أنه ليس من سنن  
المسلمين أن يعطوا الذراري فوق  
ما أعطى سائر الناس . . ومحمد  
صلى الله عليه وسلم كما أوضحتنا  
انما يتبع سنن المسلمين ، وينسج  
على منوالهم . فما يكون له أن يحيد  
عن السبيل ، أو ينحرف ليوصى لذويه  
بفضل تكريم مجرد أنهم ذووه .

يتعي

بخارى احمد عبده

الليل ، وقرآن الفجر ، ان نرآن  
الفجر كمان مشهودا . . ومـ الليل  
فتتجـد به نافـلة لك عـنى ان يـعـثـك  
ربـك مقـاما مـمـحـمـدا . . . . .  
انـ الـ باـطـلـ كانـ زـهـوـقا ) الاسراء

٨١ - ٧٣

٣ — ومن سنة المسلمين ان  
يوصوا ذويهم ، وذراريهـم بالعمل ،  
والتفوى ، وأسلام الوجه لله وحده .  
ذلك ما تلمـسه :

١ — وانت تستعيد القرار الربانى  
الذى سلطـخـ ابنـ نـوحـ عنـ نـوحـ ،  
وجـرـدـهـ منـ أـهـلـيـتـهـ ( ياـ نـوحـ اـنـهـ لـيـسـ  
مـنـ أـهـلـكـ . . . . )

٢ — وانت تستعيد نصوص وصية  
نبـيـنـ كـرـيـمـينـ اـقـبـلاـ عـلـىـ اـولـادـهـاـ  
مـوـصـيـنـ بـالـتـزـامـ الـجـادـةـ ،ـ وـبـالـاسـلامـ  
حـتـىـ الـمـوـتـ ( وـمـنـ يـرـغـبـ عـنـ مـلـةـ  
ابـرـاهـيمـ إـلـاـ مـنـ سـفـهـ نـفـسـهـ ،ـ وـلـقـدـ  
اصـطـفـيـنـاهـ فـيـ الدـنـيـاـ وـاـنـهـ فـيـ الـآـخـرـةـ  
لـمـ الـصـالـحـيـنـ .ـ اـذـ قـالـ لـهـ رـبـهـ اـسـلـمـ.  
قـالـ اـسـلـمـ لـرـبـ الـعـالـمـيـنـ .ـ مـيـصـىـ  
بـهـ اـبـرـاهـيمـ بـنـيـهـ وـيـعـقـوبـ يـاـ بـنـىـ اـنـ  
الـلـهـ اـصـطـفـيـ لـكـمـ الـدـيـنـ ،ـ فـلـاـ تـمـوـتـنـ  
إـلـاـ وـأـنـتـ مـسـلـمـونـ .ـ أـمـ كـتـمـ شـهـداءـ  
اـذـ حـضـرـ يـعـقـوبـ الـمـوـتـ ،ـ اـذـ قـالـ  
لـبـنـيـهـ مـاـ تـعـبـدـونـ مـنـ بـعـدـيـ .ـ قـالـواـ  
نـعـبـدـ الـهـ ،ـ وـالـهـ آـبـائـكـ ،ـ اـبـراهـيمـ ،ـ  
وـاسـمـاعـيلـ ،ـ وـاسـنـحـقـ ،ـ الـهـاـ وـاحـداـ

# نفحات القرآن

## بقلوب بناري احمد عبد الله

### \* الآل والأهل \*

بالسماء ، ويصلحهم في الأرض ،  
ويأسو علهم بالأشفية الرحمانية  
التي زود بها .

يتحركون حول محور رب  
الآفاق ، رخي السنى ، عبق الأرواح ،  
دسم العطاء .

محور هو بحكم وجданه العالى  
الرهف ، وقلبه الكبير الدافع بكلمات  
الله ، هو ( أولى بالمؤمنين من  
أنفسهم وزواجه أمهاتهم ) .

هذا المحور الذى يستقطب من معه  
من أصحاب ، ويجذب ، ويهدى الى  
من وراءه من أخوان يجدون صحفا  
فيها كتاب فنيؤمنون بما فيها - مصدق  
ما ورد عن رسول الله وهو يصنف  
أتباعه الى أصحاب يعايشونه فعلا ،

واوضحنا - هناك - بما لا يدع  
 مجالا لتعليق ، أن الإسلام وهو يشير  
الآلية كى تلهم ( ١ ) بالصلوات  
والرحمات ، وتستنزل البركات على  
آل محمد صلى الله عليه وسلم عدة  
مرات في اليوم ، والليلة ، إنما كان  
يصنع للمؤمنين قاطبة ، ويضعهم  
جيئوا على قلب رجل واحد ،  
ويتحركون - أصحابا ، وانصارا ،  
مدنيين ، وقططانيين ، مكيين ،  
ومدنين ، عربا ، وعجماء - حول  
محور حيوى رفيع ، عظيم يصلهم

\* بآيات من نفحات « تبت يدا » تدحض دين الصوفية ، وتدفع أباطيل  
الخصوم ، وتوكّد أن الإسلام ليس كما زعموا ، بل هو دين العدالة ،  
والاحسان ، والفرصة المتكافئة .

( ١ ) لمع بالامر اغري به ، فثابر عليه .

بها القلوب المؤمنة تتجاوب ، وتعبر عن نفسها بمثل تلك الصلوات التي يدعو بها بعضاً لبعض بظاهر غيب .

ولعل مما يؤيد أن الحقيقة هي ما قلت - ذلك الترتيل الشجي الذي نقدم به لتلك الصلوات التي نختتم بها شهادنا . الترتيل الذي تعم أرواحه كل المؤمنين ( السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ) ومن وحى هذه العبارة الموحية ( السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ) يمكن أن نفهم أن المؤمن سببه أن يبدأ بنفسه فيحيطها بكل روافد الآمن والسلام من توحيد ، وأيمان ، وصدق ، وأخلاص ، والتزام بكل ما أعدد الله .. ( الم أهدى إليكم يا بنى آدم لا تعبدوا الشيطان ، انه لكم عدو مبين . وان اعبدوني هذا صراط مستقيم ) .

ولن يشئ بعباد الله الصالحين ، على اختلاف أشكالهم ، والوانهم ، وبقاعهم ، وأزمانهم . يرجو لهم الرحمة ، وينتني السلام ، ويدعو من أحظمهم بظاهر غيب .

مُكان ديننا سلام ولكن على كل صلح . لما من انحرس عن رداء الصلاح فقد لضحي مكتشونا للشيطان بعيداً عن دوائر الأمان .

والصلوة ، والسلام يرددان دائمًا ، ويبيّنان في إطار واحد ،

وإخوان في هميس الفيسب يلتقطون دعوته ، وينشرون هداه ، ويذبون من حياضه ، ويؤمنون بالغيب . هذا المحور هو رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي اجتباه رباه كي يعكس على الأرض ما يستقبل من السماء .

· المؤمنون بهذا المقتضى أخوة لعلات . أمهاتهم شتى ، بلدانهم متباينة ، أزمانهم متباude ، هوياتهم مختلفة ، أعراقهم متشعبة . ولكنهم يغدون - بالبناء للمجهول - برب حيق واحد ، مصفي يربط بينهم ، ويؤلف بين قلوبهم ، وينمى مادياتهم ، ومعنىواتهم ، ويحوطهم بأرواح علوية .

وهذه الأرواح المشتركة التي تهب عليهم سخاء ، رحاء ، فتسرى في الأوصال وتجرى في العروق تشكل منهم رابطة محكمة الأواصر . تزرى بكل الروابط التي تنبت من فصيلة الدم ، أو وحدة العرق ، أو عنصرية الأصل ، أو عصبية النسب ، والتقبيلة .

وتلك الروابط السماوية توأمها علائق الروح . ورد فعلها وحدة الانفاس ، والاحساس والنopsis ( مثل المؤمنين في تعاطفهم ، وتراحمهم ) . وتعاضدهم كمثل الجسد الواحد . . . وهذه المعانى المشتركة التي تنبض

وأصل كل شيء ينطوى بالضرورة على جذور الحقائق التي يحملها فرعه ، كما أن الولي يرث من خصائص أصوله ، كذلك ترث الكلمة المشتقة — باعتبارها كانتا حياءً ينمو ويذوى ، يعمر « بالبناء للمجهول » وينتكس ، يحيا ويموت ... الخ — ترث من خصائص مصدرها ، كما ترث الكلمة المحورة من خصائص أصلها . ومقتضى هذا أن كلمة « أهل » تحمل ما يحمل فرعها من معانٍ (٢) . الا ان كلمة « آل » لما دخلها من ابدال ، وبينائها الجديد ، ترتبط أو تلهم بمادة « أول » (فتح المهمزة وسكون الواو ) وتصطبغ بمعانٍها ، تماماً كما تكتسب الشجرة المطممة من خصائص الشجرة الأخرى التي طعمت بها .

بيد أن الكلمة تستمد حياة أخرى من السياق (٣) ، وتتحوّل بها الاستعمالات المطردة منحى جديدة تُشَرِّى الكلمة ، وتضفي عليها حيوية ، عرفية ، أو شرعية ، أو مجازية لو ايجائية ) جديدة فوق حيويتها الأولى

ويصدران مقتربين . فإذا كان للسلام — وهو ند الصلاة — يهب على المؤمنين عما بلا تفرق فكيف إذن يتّأثير أن تضيق أكاف « الصلاة » حتى تشتمل اشتغال السماء (١) بفترة معينة ، أو بيت محدود ؟

## قضية الأهل

تلك أبعاد قضية « الأهل » فما قضية الأهل ؟ وما تأويل تلك الآية الكريمة التي تشدق بها خصوم الإسلام زاعمين أنها صريحة في التمييز ، والمحباة والكيل بأكثر من مكيل ؟ ما تأويل قوله سبحانه ( انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ) أهل البيت ، ويطهركم تطهيرًا ) هكذا بهذا الأسلوب الذي تتصدره « ان » المكونة عن العمل بـ ( « ما » الكائن ) حتى تشرع للتوكيد ، والحصر ؟

## وقفة لفوية

في تتبعنا لأشعاعات كلمة « آل » أشرنا إلى أن « آل » أصلها « أهل ».

(١) اشتغال السماء إن تختلف بشوك تلفقاً يصف جسمك ويعوق حركتك .

(٢) ولكنها تستقل باستعمالات لا تشاركها فيها الكلمة الثانية كما تستقل الثانية باستعمالات خاصة بها .

(٣) كما يقول البلاغيون .

ب - وأهل الأمر ولاته الذين يأنسون بالأمر ، ويأرذ إليهم الأمر .  
ج - وأهل البيت سكانه . وأهل المذهب من يدينون به .

د - وأهل الرجل زوجه .

ه - وأهل النبي أزواجه ، وبناته ، وصهره ، وأحفاده الذين كانوا يحركون فيه غريزة الاجتماع ، وعوامل الانس الانسانية الأولى .

و - وأهل كل بيبي اتباعه ، وأمته ، وآله الذين هم أولياؤه .

وهكذا نرى أن معنى الانس يلازم الكلمة «أهل» في كل هذه الاستعمالات .

ولسنا - كما ذكرنا في العدد الماضي - نقف هذه الوقفة اللغوية عشا ، ولا حشوا للمقال ، ولا استعراضا بل المراد :

١ - أن يظل جنى « ثمر » هذه الوقفة اللغوية زادا للدعاة ، دانياً أممهم يتصدرون بالآباق المستشرقين ، وهراء المتصوفة .

٢ - أن نسجل أن كلمة «أهل» تعطى هذا العطاء العام . فلا مجال لصرف الكلمة عن عموميتها وحصرها في ركن محدود الا بقرينة بينة .

وастعمالات القرآن الكريم للكلمة

وتتكامل الحيويات ليتولد من تلاقيهما شيء جديد ، ولكنه يirth من عنصرى التزاوج ويحمل من ملامحهما .

### كلمة « أهل » والمعانى العارضة

وكلمة « أهل » أضافت إليها الاستعمالات المختلفة مقاصد مختلفة ، تقرب ، أو تبعد من مفهومها اللغوى .  
والكلمة بوضعها الأول تعطى معنى الانس . تقول : أهل « بفتح الهمزة وكسر الهاء » أى « أنس » ثم توسع « بالبناء للمجهول » في الكلمة فأطلقت على مصادر الانس اطلاقا عرفيا .  
ودارت الكلمة في استعمالاتها العربية حتى رسخت ، وظن « بالبناء للمجهول » أنها أصل فيها ، من ذلك قولهم :-

١ - اهاله « كتابة » للزيت ، والشحم ، وكل ما يؤتدم به . لأن توفر الادام كان عامل بهة ، وانس للبيت كله .

٢ - وقولهم : - استأهل ملان كذا أى استحقه . لأن الظفر بالحق عامل استقرار ، وانس .

٣ - وجروا على هذا المثال  
قالوا :

٤ - أهل الرجل لعشيرته ، وذوى قريبه من يؤنسونه غالبا .

ـ دارت في هذا المدار ، وحملت مفهوماً تستعرض معه طائفة أخرى من معنى الإنسان ، ولم تخرج عن الدائرة الآيات التي اشتغلت على كلمة « أهل » من قبل أن ننظر في القراءن أو نناقش الآراء المختلفة التي حفلت بها التفاسير .

١ - ( قالوا اتعجبين من أمر الله رحمة الله ، وبركته عليكم أهل البيت ...) هود . والآية سبقت بالحديث عن الزوجة ( وامرأته قائمة فضحتك ، فبشرناها بأسحاق ) ، ومن وراء أسحاق يعقوب . قالت يا ولانا اللد وانا عجوز ...) وهذا السياق قرينة تعين المراد بكلمة « أهل »

٢ - ( ياها الذين آمنوا قوا أنفسكم ، وأهليكم نارا ...) التحرير . والآلية جاءت بعد الحديث عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، وبعد تقييع ، وحيث على العودة إلى الاعتدال من بعد ميل ( واذ اسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا ..... ان تتوبوا إلى الله فقد صفت قلوبكم ..... عسى ربكم أن طلقن ...) وهذا السياق قرينة ترجح أن آية ( قوا أنفسكم ...) تشير أول ما تشير إلى الأزواج . وكذلك آية ( وامر اهلك بالمسلاة ...)

٣ - واذا اصخنا السمع الى صحة اخوة يوسف ( ياها التي زيز

تدبر قول الله : - ( هل أدرككم على أهل بيت يكلونه لكم ) ( ما جزاء من أراد بأهلك سوءا ...) ( فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله ...) ( واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا ) ( قتل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم ، واهليهم يوم القيمة ) ( هو اهل التقوى ، واهل المغفرة ) ( ١) تجدر أن الأمر على ما أوضحتنا . وأن العموم حقيقة لا تخصم الا بقرينة السياق او الاضافة ، او العهد ... الخ .

وورود كلمة « أهل » في النظم القرآني دائرة بين تلك المعانى مرتكز ركين يتيح لنا ان نظن أنها في آيتها ( انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ) تحمل نفس المعانى ، وتؤدى عين الأداء وتصلح ان تستعار لأهل كل بيت ، اذا لم نعتبر القراءن التي وجهت تأويل المؤولين .

### نظرة تطبيقية في آيات

ولمزيد الامر وضوها ، وكى تطمئن القلوب اكثرا ، واثثرا ،

(١) اي المستحق للقوى ، المتولى أمر المغفرة .

٦ - وإذا ثلثت قوله سبحانه  
( إنما كان قبل في أهلاًنا مشفتين .  
من الله علينا ، ووقاتنا عذاب  
السموم ) الطور .

ننكر قول الله سبحانه : -  
( ثم ذهب إلى أهله يتمطى .. )  
الغية ايقنت أن الكلمة فيها سعة  
توحى بها حالتنا الأشغال ، والتمطى .  
هكذا كلمة « أهل » تسع بوضعها  
اللغوى ، والعرفي ، والشرعى ،  
أفرادا ، وإنرادا ، وأفرادا .

### المفهوم العرفي أو الشرعى

المفهوم العرفي لا ي كلمة فيه  
المفهوم اللغوى ، وزيادة . فالصلة  
مثلا تعنى في اللغة الدعاء ، وهى في  
عرف الشرع تعنى : - الأقوال ،  
والاعمال المخصوصة ، المفتحة  
بالتكبر ، الختيمة بالتسليم .

والصورة الشرعية للصلوة يسرى  
فيها المفهوم اللغوى لأن الدعاء  
المتضرع المذعن روح الصلاة ...  
والصوم لغة ، الامسك . وفي عرف  
الشرع ، امسك على وجه مخصوص ،  
والحجقصد ، وفي الشرع قصد  
مخصوص ، مصحوب بملابسات  
محبودة . وهكذا

ولقد نثارع أهل العرف الشرعى  
- من فقهاء ، وأصوليين ، ومحفظين

مسنا وأهلاًنا الفر ... ) وارتدتنا  
- مع صحيحتهم - إلى موطنهم ،  
وحوقتهم وهم يكتعون أباهم بأن  
يرسل معهم أخاهم حتى يتاح لهم أن  
يسموا الأهل ، ويزدادوا كيل بغير  
( ... فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا  
يا أباًنا متع منا الكيل ، فأرسل معنا  
أخانا نكل ، وانا له لحافظون .  
قال هل آمنكم عليه إلا كما آمنتكم  
على أخيه من قبل ، فالله خير  
حافظا ، وهو لرحم الراحمين . ولما  
فتحوا متعتهم ، وجدوا بضاعتهم ردت  
اليهم ، قالوا يا أباًنا ما نبغى ، هذه  
بضاعتنا ردت علينا ، ونمير أهلاًنا  
ونحفظ أخانا ، ونزيداد كيل بغير ...  
يوسف . بهذا ، وبما لحق هذا ،  
نعم أن المراد بكلمة « أهل »  
العشيرة كلها . ولا سيما إذا تدبرنا  
في قول يوسف عليه السلام ( واثنو  
بائعكم أجمعين ) .

٤ - وإذا قرأتنا قوله سبحانه  
( أنا منحوك ، وأهلك إلا امراتك )  
علمنا أن الكلمة - هنا - وفي  
( نأسر بأهلك بقطع من الليل ،  
ولا يلتفت منكم أحد ، إلا امراتك )  
تشمل الأسرة ، والزوجة والأبا ...  
كلن هناك ضرورة للاستثناء « إلا  
امراتك » .

٥ - ومثل هذا ما قبل لنوح عليه  
السلام ( احمل فيها من كل زوجين  
اثنين ، وأهلك ...) هود .

نظرة تمهيدية

وَمِمَّا يَبْدُو عِنْدَ التَّدْبِيرِ ، وَالْتَّحْمِيقِ  
١ - أَنْ ازْوَاجَ مُحَمَّدٍ مِّنْ أَهْلِ  
سَيِّتَهُ خَلَانَا لَمْ يَنْكِرْ ذَلِكَ

١ - وذلك مصدق ما روى مسلم  
في صحيحه عن زيد بن أرقم حين  
سئل : - ( من أهل بيته ؟ ) ليس  
نساؤه من أهل بيته ؟ قال :  
نساؤه من أهل بيته ، ولكن أهل  
بيته من حرم الصدقة بعده . قال  
حصين « السائل » ومن هم ؟ قال  
هم آل علي ، وآل عطيل ، وآل  
جعفر ، وآل عباس . قال كل هؤلاء  
حرم الصدقة ؟ قال نعم ( ١ )

٢ - ولما ورد في الصحيحين من أنه عليه الصلاة والسلام علهم الصلاة عليه « اللهم صل على محمد، وأزواجه ، وذريته (٢) » .

- فِي مَفْهُومِ كَلْمَةِ «اَهْلُ الْبَيْتِ»

  - ١ - قَيْلَ عَلَى وَفَاطِمَةَ وَلِبَنَاهُمَا.
  - ٢ - وَقَيْلَ - كَمَا قَيْلَ فِي كَلْمَةِ  
آل - هُمُ الْمُقْتُونُ مِنْ أُمَّتِهِ.
  - ٣ - وَقَيْلَ هُمْ كُلُّ مَنْ احْتَواهُم  
بَيْتُ النَّبِيِّ.
  - ٤ - وَقَيْلَ هُمْ أَزْوَاجُهُ خَاصَّةٌ.
  - ٥ - وَقَيْلَ أَزْوَاجُهُ لِسْنُ مِنْ أَهْلِ  
بَيْتِهِ.
  - ٦ - وَقَيْلَ هُمُ الَّذِينَ حَرَمُوا  
الصَّدَقَةَ مِنْ ذُوِّ قِرَابَتِهِ.
  - ٧ - وَقَيْلَ هُمْ بَنُو هَاشِمٍ.
  - ٨ - وَقَيْلَ هُمُ الْحَىٰ مِنْ قَرِيشٍ  
الَّذِينَ لَا تَدِينُ الْعَرَبُ إِلَّا لَهُمْ  
وَقَيْلَ كُلُّ أُمَّتِهِ أَى هُؤُلَاءِ الْمَذْكُورُونَ  
وَغَيْرُهُمْ.

(١) حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه ورد في معرض ذكر تخوف  
رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل بيته ، ووصايتها بهم على  
ما تقدم . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف من فتن جائحة  
لا تحد ، تضررها تفوس تخزن من نار الحسد ما تخزن ، وتقذفها فوق  
كل الرعوس التي يظن فيها الانحصار لبني هاشم . وفي مقدمة تلك الرعوس  
.. هذه الرعوس التي ذكرها زيد بن أرقم . فلا يفهم « بالبناء للمجهول »  
ان هؤلاء هم الذين نصلى عليهم . بل هؤلاء الذين يخشى عليهم ، وفرق  
بن الاعتبرين .

(٢) صلوات الشهد توقيفية مأثورة . والصلوة التي هنا نافلة توقيفية ، والرسول بحكم كونه انسانا ، وراعيا بالدرجة الاولى لبيته ، وعشيرته الاقربين ، ولائحة الناس لأهله ، ولأن الأهل هم المرتبة التي تلي مرتبة النفس ( قوا نفسكم وأهليكم نرا ) تأثر بكل هذه المعانى استرحم لأهله الاقربين . كما يقول احدنا لجمع « ادعوا الله لي » .

٣ — ولأنَّ امرأة إبراهيم ، وامرأة لوط من أهل بيتهما بنص القرآن .

٤ — فوق أن الآية « إنما يريد الله ... » وردت منسوقة « معطوفة على آيات تخاطب نساء النبي وتعالج بعض مشاكلهن . والمنسق يأخذ حكم المنسوق عليه .

ب — الانقياء من أمهاته أعلى درجة من هذا . فالانقياء أولياؤه لما ثبت في الصحيحين من أنه صلى الله عليه وسلم قال : — ( إن آل بنى فلان ليسوا لى بأولياء ، وإنما ولبي الله وصالحو المؤمنين ) وهذا الأثر — كما لا يخفى — يثبت الولاية لصالحي المؤمنين ، ولكن لا ينفي عنهم الأهلية .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة « الجزء الرابع ص ١٩ ، ٢٠ ... » : — ( وإذا كان كذلك فأولياؤه المتكون بينه ، وبينهم قرابة الدين والإيمان ، والتقوى . وهذه القرابة أعظم من القرابة الطبيعية لأنَّ القرب بين القلوب ، والأرواح أعظم من القرب بين الأبدان . وللهذا كان أفضل الخلق أولياؤه المتكون .

فأين المحاباة ؟

بخاري أحمد عبده

# نفحات قرآن

## بقلم بحاري احمد عبده

الآل والأهل والمودة في القربي \*

انها مخصوصة بأقرب الاقربين —  
فقد تضفي بريقا يخلب الباب الناس  
ولكنها عند الله لا ترفع ، ولا تخفض .  
بل ربما كان الحبيب الشبيب أحوج  
إلى العطف والدعاء من غيره ،  
لاحتمال أن يتكل ( بتشديد التاء  
الفتوحة ، وكسر الكاف ) وخشية  
أن يغتر بصلاته العرقية فيقصر ،  
أو يطغى ، أو يعمل لاستغلال هذه  
الصلات في أغراض شخصية دنيا ،  
وخوف أن ينتشى بالدخان الذي  
يتصاعد من مجامر المفرضين ،  
والبلهاء ، او يستطيع غلو الفاليين ،  
وتراويل المحاسب الرائين من مارقى  
( جمع مارق وهو الخارج عن  
الصراط ) الشيعة ، وحمقى المتصوفة .  
فإن ندبنا ( بالبناء للمجهول ) أن  
نصلي عليهم — كما ورد في حديث  
التعليم السابق — فذلك لأنهم على  
خطر عظيم يشكله كل تلك الاحتمالات

قلينا كلمة « أهل » على وجوهها  
المختلفة ، وتتبعنا ما ينبع من  
الكلمة من اشعاعات متشعبة  
متشابهة السنى « الضوء » لأنها  
تصدر من مشكاة واحدة .

واهتدينا في تعاملنا مع الكلمة  
بآيات كريمة أقتضت الأضواء ، وهدتنا  
السبيل .

وعرفنا — يومئذ — أن الإسلام  
أهل صالح المؤمنين منزلة رفيعة  
تضاعل إزاءها منازل الأهل ،  
وال أصحاب ، والأنساب ، والاصهار .  
فاللائق الذروة التي وطئت ( بضم  
الواو وتشديد الطاء المكسورة )  
للذين أنعم الله عليهم من النبيين ،  
والصديقين ، والشهداء ، والصالحين .  
وغير أولئك تتعدد مراتبهم على قدر  
أعمالهم ، وصدقهم ، وأخلاصهم .

اما الأهلية المجردة — وان ملنا  
التي ذكرناها .

---

\* باقيات من نفحات « بيت يدا » ولست آخرة — ان شاء الله —  
على قضية « الآل والأهل والمودة في القربي » .

## « لقاء أليس »

تخصص صفحات كاملة تروج لهذا العته . وتضحك — وشر البلية ما يضحك — وأنت ترى جريدة سيارة تفرد صفحة كاملة لأنباء مولد البدوي ، وتنشر فيما تنشر أن مطربا شابا ظهر بلقب فن خليع فنذر — شكرأ لله — أن يسوق الهدى الى ساحة الكفر البواح ، وأن يغنى في ليلة البدوى الختامية حتى الصباح ، وتأسف حين ينقل اليك عن مسئول كبير أشرف على عملية نقل رفات عشرة « الأولياء » الذين ظلوا رابضين بساحة أبي العباس المرسى دهرا طويلا مقدسين ، مؤلهين ، يلتمس رضاهم ، ويتقى سخطهم ، وترجي بركتهم — تأسف حين تسمع عن المسئول أنه كاد يصعق حين لم يجد في الحفائر غير أطراف ، وجماجم حيوانات ، وأنه اضطر أن يستمر في التمثيلية التي أنيطت به من قبل عظام الحمير ، وجماجم الكلاب ، وهياكل البفال الى مثواها الجديد في احتفال رهيب ، رجاء الا تحلف لعنتهم على الساحة التي أخليت كى تكون حرما لقبلة مشركي الاسكندرية . وهكذا أضحى لكل ناحية مشركونا . ولكن وثن سنته ، وكل مبادرة قبلة ،

والآلية « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهرا » حرية بأن نعود اليها مستمنحين . مستفحين (١) . فهي عند الصوفية دليل التمييز ، وعند الشيعة الرافضلية حجة العصمة ، وأصل الامامية ، وقاعدة الذهب (٢) الشيعي الذى استغل خطبه ، وتطاير شرره .

والصوفية ولidea تماس ( بتشدد السين ) تم بين الشيطان والرافضة ، فهما ( الشيعة والصوفية ) متكاملان . ومن ثمرات تكاملهما ما نرى من موالد ، ومناسبات ، وقباب واضرحة ، واغوات ، واقطاب ، وابدال ، وقداسات مفتراة ما انزل الله بها من سلطان .. قداسات أضفت على مقبولين يحج الى ساحتهم — ولا سيماء في لياليهم الختامية — ملايين من الأغرار ، والسذج ، يقدمهم منتفعون مضللون وتشجعهم أقلام ، وبيارك وفادتهم سلطات ويفمض عن غيرهم شياطين خرس ، ويبلغ الخطب أشدّه حين

(١) نطلب المنحة وتنشد النفحات

(٢) تدعى الرافضلية عصمة على رضى الله عنه ، وأنه بهذه العصمة صاحب الحق الأول في اماره المؤمنين . وأن ما حدث بعد موت رسول الله في سقيفة بنى ساعدة ظلم لعلى ، وسرقة بينة لحقه .

ضمان استقرار بيت النبوة استقراراً يكفل مسيرة صحيحة لا تشوبها قلائل ، ولا يعكرها توتر أو قلق . ذلك لأن الزوجية هي السكن وهي السكينة . والسكنية مهد كل صحة نفسية . وای اهتزاز في بيت النبوة — وان صفر — حری أن يهدى وقتا ثمينا من وقت النبوة . فوق أن اثر الاهتزاز — بلا شك — سيتجاوز رسول الله ليغم سائر المؤمنين ، كما كان يوم حدیث الافك ، ويوم شاع ان النبي طلق نساءه<sup>(١)</sup> .

وانتقاء هذا الاهتزاز ، وحفظها على استقرار بيت النبوة كانت السماء تدارك الامر ، وتتدخل في حسم بلين :

١ — تدخلت السماء يوم حمل الشيطان بحديث الافك ينطلق من فم الى فم .

٢ — ويوم تأمر على الرسول صلى الله عليه وسلم بعض نسائه وحملته على أمر كريه . يومئذ زجر

وحرم . وكذلك آلت قضايا التقديس ، والتزييه ، والعصمة ، ودعاؤى البركات والكرامات الى مهازل ، ومساخر ، واستخفاف بالعقل ، وابتزاز باسم الدين المظلوم .

ونحن حين نعيد ، ونزيد ، ونطيل الوقوف أمام عواصف الخبال المشرك ، إنما نفعل ذلك تقديرا لخطورة الأمر ، وأظهارا للحق ، وسدا للذرائع ، ورجاء أن نحاصر الداء الوبيلى حتى لا تستشرى العدوى .

### أهمية استقرار البيت التبوي

وآيتها ( إنما يريد الله ...) وضفت بين آيات تربطها وحدة البيئة القرآنية التي تمتد ما بين قول الله ( ياها النبي قل لا زواجك ان كنت تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحها جميلا ) ٢٨ الأحزاب ، وقوله سبحانه : — ( وما كان مؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امراً ان يكون لهم الخير من امرهم ...) الأحزاب ٣٦ .

والآيات تستهدف أول ما تستهدف

(١) روى الإمام أحمد عن عمر رضي الله عنه قال من حديث طويل ما معناه : — كنت أنا وجار لي نتباوب النزول على رسول الله نلتmes خبر الوحي وكنا نسكن في دار أمية بن زيد بالعواoli — قال وكنا نتحدث أن غسان تعد الجيل لتغزونا — فنزل صاحبنا يوما ثم عاد عشاء فضرب بابي فخرجت مفزعأناقول : — ماذا . أ جاءت غسان ؟ قال : لا بل أعظم من ذلك وأطول . طلق رسول الله نساءه ... الخ )

به رسول الله صلى الله عليه وسلم من عيش الكهاف مؤشرات ما عند الله ، واذ يأمركن بالاحسان ، والترفع ، والتعفف ، والقنوت ، واذ يلزمك بالتقوى ، والفضائل ، والكمال ... ان الله اذ يريد لكن كل هذا كى تتحقق الطهارة ، وتخلاص من كل الأدران ، وتوفرن اللياقات التى ترفعك الى مستوى بيوت النبي العاملة بآيات الله والحكمة ... ) وبهذا التفسير يتضح ان فعل الارادة — كونية كانت ام شرعية ، كما سنبين فيما بعد — لا يتسلط على اذهاب الرجس ، وانما يعمل في محفوظ تقديره «ذلك» اشارة الى ما ذكر من توجيهات ، وأوامر ، ونواه .

وظنى أن هذا التفسير يجنبنا مخاطر الرافضة ، ومتاهات الشيعة ، ويكتينا مئنة التكفار بين في تقسيم «الارادة» الى كونية وشرعية .

ولقد أشار القاسمي في تفسيره الى نحو هذا حين قال معقبا على قول الله ( انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ، ويطرركم تطهيرا ) : اى ما أمركن ، ونهاكن ، ووعظكن ، الا خيفة مقارفة المائم والحرص على النصون عنها بالتقوى ، فالجملة تعليلية لامهن ونهيهم على سبيل الاستئناف ) ١ . هـ

القرآن نساء النبي زجرا عنفها ( ان تتوبوا الى الله فقد صفت قلوبكم ، وان تظاهرا عليه فان الله هو مولا وجبريل ، وصالح المؤمنين ، والملائكة بعد ذلك ظهير . عسى ربكم ان طلقكم ان يبدلهم ازواجا خيرا منكم ... )

٣ - ويوم ضيقن عليه صلى الله عليه وسلم الخناق يسألنه الزينة ويطلبته بما ليس عنده — يومئذ كان التخيير بمقتضى قوله سبحانه « يا ايها النبي قل لا زواجك ان كنتن ..... » وكانت التربية القومية ، والتأديب البالغ بهذه الآيات التي تشكل بيئة متميزة للآلية التي نحن بصددتها ( انما يريد الله ..... ) .

### « آية تكليف »

والآلية — فيما ارى — تكليف لا تشريف ، ولتوسيع هذا اقول : ان الناظر في الآية تستوقفه كلمة « يريد » كما تستوقفه لام التعليل الداخلية على الفعل « ليذهب » والمعنى الذي يتبادر الى الذهن ان اذهاب الرجس نتيجة ، ومسبب ، وأن « اللام » اداة تعليل ، وأن ما سبق من توجيهات ، ومن حظر ، واغراء ، وتحذير أسباب نتيجتها ذهاب الرجس والتطهير . فكان المعنى ( يا نساء النبي : ان الله اذ يصرف انظاركم عن زهرة الدنيا وزينتها ، واد يحثكم على ان ترضين بما رضي

## مَارِجُ الْأَهْلِيَّةِ

مستوى يكون فيه رسول الله وليك ،  
وأولى الناس بك ( النبي أولى  
بالمؤمنين من أنفسهم ، وأزواجه  
أمهاتهم ) ٠٠٠

وهذه المدارج ليست وقنا على  
نساء الرسول صلى الله عليه وسلم ،  
بل هي متاحة ، رحمة الآفاق تسع  
الكافنة وتستحب خطأ كل المؤمنات ،  
والمؤمنين .

والاسلام — حين يعالج او  
يحاسب — يبتدىء غالباً بالرعيون ،  
وتوجيهه الخطاب في هذه الآيات الى  
حائل رسول الله من هذا القبيل :

١ — فهن السيدات الأوليات وهن  
القدوة . والتشديد عليهم — على  
هذا النحو — حرى ان يثير حماسة  
غيرهن لأن قربهن من منزل الوحي  
وارتباطهن برسول الله صلى الله  
عليه وسلم لم يغفهن . فما بال  
غيرهن ؟

٢ — وهن فوق هذا قريبات من  
مشاكى النبوة حريات ان يعكسن  
ما يتلقين ، وأن يكن امثلة تحذى .

٣ — وهن قد يهربن بالأضواء ،  
وقد يظنن ان مكانهن ربما نفع او  
شفع ، فإذا أخذن ( بالبناء للمجهول )  
بهذه الصيحة أيقن ( بالنون المشددة )  
وأيقن غيرهن أن العبرة في الاسلام  
بالعمل .

٤ — والقصور فيهن أقبح من  
القصور في غيرهن . وذلك لزيادة  
فرصتهن ، ولكمال النعمـة عليهم .  
الا ترى أن حد الحر ضعف حد  
العبد ، وأن حسنات الإبرار سبئاته

والأهلية المذكورة في الآية اهلية  
عملية لا تتحقق بمجرد النسب ،  
فال المجتمع بشرف الانتماء الى بيوت  
النبوة حظ الانتقاء الحسينين ، أما  
الفاوون المخلدون الى الارض فبيـنـهم  
وبيـنـ هذا الشرف بعد المشرقيـنـ ولو  
كانوا آباء ، أو اخوانا ، أو ابناء .  
والقرآن الكريم تأكـيدـاـ لهذا جـردـ  
ابن نوح من هذه الأهلية حين تمرد  
ومرق ( انه ليس من أهلك ، انهـ  
عمل غير صالح ) واقرارـاـ لهذا  
المفهـومـ بين القرآن الفوـاصـلـ التـىـ  
يـنـبـغـىـ انـ تـقـوـمـ بـيـنـ المؤـمـنـينـ بـالـلـهـ ،  
وـالـمـاحـدـيـنـ لـلـهـ ( لا تـجـدـ قـوـمـ يـؤـمـنـونـ  
بـالـلـهـ ، وـالـيـوـمـ الـآـخـرـ يـوـادـونـ مـنـ حـادـ  
الـلـهـ وـرـسـوـلـهـ ، وـلـوـ كـانـواـ آـبـاءـهـمـ اوـ  
أـبـنـاءـهـمـ اوـ أـخـوـانـهـمـ ، اوـ عـشـيرـتـهـمـ  
....) المـاجـدـةـ .

كما اعلن القرآن في سورة  
الأحزاب الخلال التي تؤهل المرءـ كـىـ  
ينعمـ بـشـرفـ الـأـنـتـمـاءـ إـلـىـ ظـلـالـ النـبـوـةـ  
الـوـارـفـةـ ، وـكـلـفـ اللـهـ — هـنـاكـ —  
رسـوـلـهـ الـكـرـيمـ أـنـ يـؤـكـدـ حـتـمـيـةـ تـلـكـ  
الـمـؤـهـلـاتـ لـكـلـ مـنـ أـرـادـ أـنـ يـنـضـوـيـ  
تحـتـ لـوـائـهـ . أـمـاـ مـنـ نـبـاـ وـمـالـ وـأـثـرـ  
الـحـيـاةـ الـدـنـيـاـ فـهـوـ مـطـلـقـ السـرـاحـ وـهـوـ  
محـرـومـ مـنـ هـذـاـ الشـرـفـ الرـفـيعـ .  
فـلاـ عـجـبـ إـذـ أـمـرـ رسولـ اللـهـ أـنـ  
يـخـيرـ أـزـوـاجـهـ بـيـنـ أـنـ يـلـتـرـمـنـ بـهـذـهـ  
الـقـيـمـ وـيـعـشـنـ فـيـ كـنـفـهـ ، وـبـيـنـ الـأـ  
يـلـتـرـمـنـ فـيـعـزـلـنـ ، وـيـقـصـيـنـ .

وفي هـذـاـ نـزـلتـ آـيـةـ التـخـيـرـ .  
وـتـوـالـتـ بـعـدـهـ آـيـاتـ تـقـيمـ المـارـجـ الـأـهـلـيـةـ  
تـرـفـعـكـ نحوـ الـمـسـتـوـيـ الـمـرـمـوقـ نحوـ

وبعد فيجدر بنا أن نعيش هنية  
في خضم الآيات فوق المدرج ، وعلى  
أجنحة القيم الأصيلة التي تكفل  
لأصحابها مستوى الأهلية ، ذلك  
المستوى الذي تتجرد فيه من الذاتية  
المضمة ، وترتفع فوق العواطف ،  
والأغراض ، وتحس برسول الله  
صلى الله عليه وسلم وهو يحوطك ،  
ويأخذ بجزتك (٢) حتى لا تهوى في  
الهلكات . ترتفع إلى حيث يكون  
رسول الله الأحب الأثير وفق ما جاء  
في الصحيح ( والذى نفسى بيده  
لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه  
من نفسه ، وما له ، وولده ، والناس  
اجمعين ) ومصداق ما جاء في الصحيح  
من أن عمر رضي الله عنه قال :  
يا رسول الله ، والله لانت أحب  
إلى من كل شيء الا من نفسى .  
فتقال صلى الله عليه وسلم :  
لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من  
نفسك ، فقال يا رسول الله ، والله  
لانت أحب إلى من كل شيء حتى من  
نفسى . فتقال صلى الله عليه وسلم :  
الآن يا عمر .

**بخارى أحمد عبده**

المقربين ، وأن الأنبياء عليهم السلام  
عوتبوا فيما لا يعاتب فيه غيرهم ؟  
لهذا ، ولغير هذا أوثرن بالخطاب .  
وخوطبت الأمة كلها من خلالهن اغراء  
بالطهارة ، وحفزاً للهمم ، وحثا على  
التصون ، والترفع والتقوى .

وظنى أن كل من جد ، وأخلص ،  
وعزم فصدق وحقق في نفسه كل  
هذه الخلال النبيلة الجليلة ، وتحلى  
 بكل هذه القيم العلوية أصبح حقيقة  
بالأهلية ، أهلاً للانضواء تحت  
فسطاط النبوة . ولعل رسول الله  
صلى الله عليه وسلم — أيامه إلى  
هذا — قال « سلمان من أهل  
البيت » . ولا غرو فالنبي أولى  
بالمؤمنين من أنفسهم ، وهذه الولاية  
التي تخمل (١) كل الأوصار كان  
رسول الله يؤكدها عملياً كلما  
سنحت فرصة . جاء في الصحيحين  
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
كان لا يصلى على ميت عليه دين ،  
فلمما فتح الله عليه الفتوح قال :  
( أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ،  
فمن تونى وعليه دين فعلى قضاوه ) ،  
ومن ترك مالا فلورثته ) .

٠ (١) تخلى .

(٢) أخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم قال : — ( إنما مثل ، ومثل أمتي كمثل رجل استوقد ناراً ،  
فجعلت الدواب ، والثراش يفعلن فيه ، وانا آخذ بجزك ، وأنت  
تقحمون فيه ) والجز ( بضم الصاء ، وفتح الجيم ) جمع حجزة ( بضم  
الحاء ، واسكان الجيم ) والجيم ( المراويل كالمعقد للازار ، فإذا أراد  
الرجل امساك من يخاف منه ، أو سقوطه أخذ بذلك الموضع منه ،  
وهذا مثل لاجتهاد نبينا صلى الله عليه وسلم في نجاتنا ، وحرصه على  
تلخيصنا من الهلكات التي بين أيدينا ١٠ هـ من القرطبي .

# نفحات القرآن

## بقلوب بني إسرارى أحمد دعيبه

الآل والأهل والمودة في القربي \*

مع آية « إنما يريد الله .... في بيتهما القرانية »

وضح مما مضى أن القرآن زاد مبسوط ، وأن الذكر قرى<sup>(١)</sup> متاح ، وإن الحكمة النبوية تعم الشعاراتها القاصي ، والداني . فمن انتثل ، ونهل من هذه البنابيع الثرة فقد اتخذ العدة وهي نفسه كى تظهر ، وتعلو ، وتدنو من مستوى الأهلية ، ودرجة الولاية . سواء في الحر ، والعبد ، والذكر ، والأنثى ، والعريق ، وغير العريق لا فضل ل أبيض على أسود ولا لأسود على أبيض ، ولا لعربي على عجمى ولا لجمى على عربي إلا بالعمل والتقوى وأياتنا التي نستهديها معالم مضيئة على طريق المساواة ، والعدالة المطلقة بلا تحيز ، ولا محاباة .

بل هي — كما أسلفت — تبين أن غرم نساء النبي أكثر من غنمهم ، وأن موقعهن يلقى عليهن أعباء أشد ، وأن مساعلتهن أعنصر بحكم كونهن

\* الحلقة الأخيرة من نفحات « تبت يدا » .

(١) القرى بكسر القاف ما يقتضي للضيف من طعام ونحوه .

آية التخيير بعد نظر

( يَعْدُ بِضْمِ الْبَاءِ وَسَكُونِ الْعَنْ )

والملاقبات التي صاحبت قضية التخدير كانت ملاقبات مشيرة . وساعة التخدير كانت ساعة عصبية . وأمكانات تقلب النزعات البشرية كانت قائمة . فلا عجب اذا رأينا رسول الله يقدر خطورة الامر فيأمر نساءه بالثانية والمشاورة ، والنظر . روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءها حين امره الله تعالى ان يخير ازواجه . قالت : فبدأ بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني ذاكر لك امرا ، فلا عليك الا تستعجل حتى تستأنرى ابويك وقد علم ان ابوي لم يكونا يامرانى بغراته — قالت : ثم قال : — ان الله تعالى قال : يا ايها النبي قل لا زواجك .. الى تمام الآيتين . قالت : قلت له نفني اى هذا استأنر ابوي ؟ فانى اريد الله ورسوله والدار الآخرة .

واجتنز جميعنا هذا الامتحان  
الصعب بنجاح ، وارتفعن بهذا معلم  
نيرة في طريق نساء العالمين ، ورجال  
العالمين ، وتقرر أن الاسلام قبل كل  
شيء « احسان » وكلمة « احسان »  
تشي بالعمل الذي بلغ أقصى درجات  
الجودة ، كما تنم ( بفتح الناء وكسر  
النون وتشديد الميم . أى تفصح  
وتطهر ) عن نفسية خيرة ، ووجودان  
رقيق .

والاسلام حين ينصرف بالنساء  
الأوليات عن النضارة المغربية المتبعة  
من الاعراض الثالثة ، وعن الازدهار  
الجذاب الذى يتلاؤ على وجوه ،  
وتصور غيرهن من النساء .. انها  
يفعل الاسلام ذلك كى يقيهن من  
التورط ، وملائحة الهوى ، ومن  
السلط ، والاستبداد اللذين تولدهما  
غريزة الآثرة ، وحب الاستئثار ..  
واللذين توجههما القدرات المتاحة  
بمقتضى قرب المكان أو المكانة من  
الحاكم .

وأهل هذا العصر ر بما يكونون  
أقدر الناس على وعي مرامي هذه  
النظيرية — نظرية ضرورة ابعاد النساء  
الأوليات عن دائرة الأضواء ،  
والرغبات — لأن المعاصراتن أكثر  
خلق الله معاناة من اهواه ، وآراء ،  
وأدواء النساء الأوليات اللوائي قد  
يتجلوزن الحدود ، ويبيغين فيعصفن  
في النهاية بالحاكم ، والمحكوم .

ان الاسلام كان بعيد النظر حين احاط نساء الذروة بمثل هذه التعليمات، وحين حد من لفاتهان ، وقيد من حركتهن ، وحين حسم في قضيتهان حسما بلি�غا بآية التخيير « يأيها النبى قل لآزواجك ان كتن تردن الحياة الدنيا ، وزينتها فتعالين امتعنك ، وأسرحكن سراحها جميلا . وان كتن تردن الله ، ورسوله ، والدار الآخرة

## تكليف هذا الاختيار

والبقاء في كف النبوة امر جليل ، وشرف الانتماء الى رسول الله الذى اخترنـه ، وأخترنـ سبيلـه شرف مـدى ( بـتشـديد الدـال المـفتوـحة ) يتـطلب مواصفـات عـسـيرـة ، وصلـاحـياتـ رـائـدة ، واـيـمانـاـ عـالـىـ يـعـينـ علىـ الـارـفـاعـ فـوـقـ الشـدـدـةـ ، وـفـوـقـ الرـخـاءـ ، وـصـبـراـ ، وـصـلـاـةـ ، وـيدـاـ طـولـىـ يـسـتعـانـ بـهـاـ عـلـىـ مشـاكـلـ الجـمـعـ ، وـنـواـزـعـ النـفـسـ ، وـعـقـبـاتـ الطـرـيقـ .

فـلاـ بدـ اذـنـ منـ تـرـيـةـ تصـوـغـ النـسـاءـ الـأـوـلـيـاتـ وـكـلـ النـسـاءـ ، صـيـاغـةـ ذـهـبـيـةـ نقـيـةـ .

هذه التربية الـهـادـفـةـ تـكـفـلـ بـهـاـ الآـيـاتـ التـلـتـ آـيـةـ التـخـيـرـ ، وـتـعـانـقـتـ كلـ آـيـاتـ الـبـيـئةـ الـقـرـآنـيـةـ لـتـقـيـدـ أـنـ النـسـاءـ اـذـ جـمـعـ كـلـ هـذـهـ السـجـاـيـاـ فـأـرـدـنـ اللـهـورـعـاتـ مـحـتـسـبـاتـ ، وـاقـبـلـ عـلـىـ رـسـوـلـهـ رـاضـيـاتـ ، مـلـقـمـاتـ ، وـقـنـنـ لـلـهـ خـاـشـعـاتـ ، هـامـلـاتـ ، وـتـرـفـعـنـ عـنـ النـواـزـعـ الدـنـيـاـ ذـاـكـرـاتـ زـكـيـاتـ ... الخـ كـنـ جـدـيرـاتـ بـالـتـامـ الـأـسـمـىـ لـاـ فـرـقـ فـيـ هـذـاـ بـيـنـ تـرـيـبـ وـبـعـيـدـ . فـالـلـهـ الـذـىـ لـاـ يـضـعـ أـجـرـ مـنـ أـحـسـنـ عـمـلـاـ هـوـ سـبـحـانـهـ القـائلـ « وـمـنـ يـطـعـ اللـهـ ، وـالـرـسـوـلـ فـأـوـلـئـكـ مـعـ الـذـيـنـ أـنـعـمـ اللـهـ عـلـيـهـمـ مـنـ النـبـيـنـ وـالـصـدـيقـيـنـ ، وـالـشـهـداءـ » وـالـصـالـحـيـنـ ، وـحـسـنـ أـوـلـئـكـ رـفـيـقـاـ » وـالـطـاعـةـ الـمـعـنـيـةـ هـىـ الـطـاعـةـ الدـائـمـةـ الـمـتـبـسـةـ بـالـخـشـوـعـ . هـىـ الـقـنـوتـ .

## الفـرمـ وـالـفـنـ

ويـحلـوـ لـأـعـدـاءـ الـحـقـيـقـةـ أـنـ يـقـنـوـاـ طـوـيـلاـ أـمـاـ قـوـلـهـ سـبـحـانـهـ « وـمـنـ يـقـنـتـ مـنـكـنـ لـلـهـ وـرـسـوـلـهـ ، وـتـعـمـلـ صـالـحـاـ نـؤـتـهـاـ أـجـرـهـاـ مـرـتـيـنـ . . . » زـاعـمـيـنـ أـنـ غـيرـهـنـ يـبـوـجـرـ مـرـةـ . أـمـاـ هـنـ فـيـجـرـنـ مـرـتـيـنـ . وـيـشـيـعـونـ أـنـ الـمـرـةـ الـثـانـيـةـ الـتـىـ خـصـصـنـ بـهـاـ فـائـدـةـ رـبـوـيـةـ فـكـبـ أـقـرـهـاـ الـاسـلـامـ دـيـنـ الـفـرـصـ الـمـتـكـافـئـةـ ؟

وـعـلـمـاؤـنـاـ يـقـلـوـنـ أـنـ الـمـضـاعـنـةـ قـرـبـتـ مـرـةـ عـلـىـ الطـاعـةـ ، وـأـخـرـىـ عـلـىـ طـلـبـهـنـ رـضاـ رسـوـلـهـ بـحـسـنـ الـخـلـقـ وـطـيـبـ الـمـعاـشـةـ . وـظـنـيـ أـنـ هـذـاـ التـبـرـيرـ - عـلـىـ وـجـاهـتـهـ - غـيرـ كـافـ .

وـالـحـقـ أـنـ الـتـاءـدـ الـمـرـاعـاـتـ هـنـاـ هـىـ قـاـعـدـةـ «ـ الـفـنـ بـالـفـرـمـ »ـ فـهـنـ أـنـ وـعـدـ بـأـجـرـيـنـ فـقـدـ أـوـعـدـ بـعـذـابـيـنـ . وـأـوـلـئـكـ الـذـيـنـ تـفـتـحـتـ أـعـيـنـهـمـ لـكـلـمـةـ «ـ مـرـتـيـنـ »ـ عـمـوـاـ وـصـمـوـاـ عـنـ كـلـمـةـ «ـ يـضـاعـفـ لـهـاـ الـعـذـابـ ضـعـفـيـنـ »ـ وـتـجـاهـلـوـاـ مـضـاعـفـةـ الـعـذـابـ الـتـىـ سـبـقـتـ مـضـاعـفـةـ الـعـذـابـ الـأـجـرـ :ـ «ـ يـاـ نـسـاءـ الـنـبـىـ مـنـ يـأـتـ مـنـكـنـ بـفـاحـشـةـ مـبـيـنـةـ يـضـاعـفـ لـهـاـ الـعـذـابـ ضـعـفـيـنـ ، وـكـانـ ذـلـكـ عـلـىـ اللـهـ يـسـيـرـاـ . وـمـنـ يـقـنـتـ مـنـكـنـ لـلـهـ وـرـسـوـلـهـ ، وـتـعـمـلـ صـالـحـاـ نـؤـتـهـاـ أـجـرـهـاـ مـرـتـيـنـ ، وـأـعـتـدـنـاـ لـهـ رـزـقـاـ كـرـيمـاـ »ـ .

الـعـدـالـةـ اـذـ قـائـمـةـ لـاـنـهـنـ اـنـ اـخـتـصـنـ بـحـسـنـ جـزـاءـ عـنـ الـاـحـسـانـ

هم بها فعملها كتبها الله له عند  
عشر حسنتاً إلى سبعين نة ضعفه  
إلى أضعاف (٤) كبيرة . ومن هم  
بسيئة فلم ي عملها كتبها الله عنه (٥)  
حسنة كاملة ، فان هو هم بها  
عملها كتبها الله عليه سبعة  
واحدة (٦) .

ولا شك أن مجال الذكر والتعلم  
متاح لأهل بيت النبوة المتصدقين به ،  
أكثر مما هو متاح لغيرهن وهذه  
ميزة تفضل الله بها عليهم . فان  
سارعن مع هذا إلى التقوى ،  
وتحلبن بالجلال وتوشحن بالهيبة  
وتتجنبن الشبهات .. الخ حظين  
بالسبق وانفردين وتميزن . وهذا  
من مفاد قوله سبحانه : « يا نساء النبي  
لستن كأحد من النساء ، ان اتقين  
فلا تخضعن (٧) بالقول فيطمع الذي  
في قلبه مرض ، وقتلن قولًا معروفاً ».  
وأجتمعـ هذه الخلال قد يكون عسراً  
اذا استمرأن البروز ، ومخالطة  
الناس والضرب في الطرقات . ومن

فقد اختصـنـ - دون غيرهن -  
بسوء عذاب عند الانحراف .

بل الحق أن غرمـنـ فوق غنمـنـ .  
ذلك لأن مضاعفة الحسنة أمر  
مشترك بين الجميع « مثل الذين  
يتفقون أموالهم في سبيل الله كمثل  
حبة انبـتـتـ سـبـعـ سـنـابـلـ في كل سـبـلـةـ  
مائة حبة والله يضـاعـفـ لـمـ يـشـاءـ ،  
والله واسـعـ عـلـيـمـ » البقرة .  
اما تشـدـيدـ النـكـيرـ ، ومضـاعـفةـ  
العـذـابـ فهو اجراء فـرـيدـ لا يـعـمـ  
النـاسـ جـمـيعـاـ . ذلك لأن عـامـةـ  
النـاسـ اـسـاعـواـ حـسـبـتـ اـسـاعـتـهمـ  
سـيـئةـ وـاحـدـةـ » ومن جاءـ بالـسـيـئةـ  
فـلـ يـجـزـىـ الاـ مـثـلـهاـ وـهـمـ لاـ يـظـلـمـونـ »  
والـسـنـةـ الشـرـيفـ اـكـدـتـ هـذـاـ المعـنىـ  
فـقـدـ أـخـرـجـ مـسـلـمـ عنـ اـبـنـ عـبـاسـ عنـ  
الـنـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ اـنـهـ  
قـالـ :ـ « اـنـ اللـهـ كـتـبـ الـحـسـنـاتـ  
وـالـسـيـئـاتـ ، ثمـ بـيـنـ (١)ـ ذـلـكـ . فـمـنـ  
هـمـ (٢)ـ بـحـسـنـةـ فـلـ يـعـمـلـهاـ كـتـبـهاـ اللـهـ  
لـهـ عـنـدـ حـسـنـةـ كـاملـةـ (٢)ـ . فـانـ هوـ

(١) بين ذلك اي نصل ذلك الجمل بما يتلوه .

(٢) الهم أول العزم والمراد العزم نفسه لما رواه احمد وصححه ابن حبان والحاكم « من هم بحسنـةـ يـعـلـمـ اللـهـ أـشـعـرـ بـهـاـ قـلـبـهـ وـحـرـصـ  
عليـهاـ ... » الخ

(٣) الوصف بالكمال لرفع توهـمـ نقصـ الحـسـنـةـ لـكـونـهاـ نـشـأتـ عنـ الـهـمـ  
المـجـرـدـ عـنـ الـعـمـلـ .

(٤) الضعفـ المـثـلـ اـيـ إـلـىـ سـبـعـمـائـةـ مـثـلـ إـلـىـ اـمـثالـ كـبـيرـةـ ، وـذـلـكـ بـحـسـبـ  
الـاخـلـاصـ وـمـدـقـ العـزـيمـةـ وـحـضـورـ القـلـبـ ، وـايـقـاعـ الـانـفـاقـ فـيـ اـحـسـنـ  
مـوـاقـعـهـ ، وـتـعـدـىـ النـفـعـ .

(٥) التـاكـيدـ بـالـواـحـدـةـ يـفـيدـ عـدـمـ المـضـاعـفـةـ .

(٦) منـ الخـضـوعـ بـالـقـولـ التـرـقـ ، وـالـتـمـيـعـ ، وـالـرـخـامـةـ وـالـقـبـعـ وـالـاثـارـةـ  
بـالـعـيـنـ وـالـحـاجـبـ وـالـشـفـتـيـنـ وـكـلـمـاـ زـائـلـ مـهـلـكـةـ تـعـمـ أـجـيـالـنـاـ الشـارـدةـ .

## حقيقة ارادة الله

وهذه الارادة التي جاءت في آية « انما يريد الله ... » ارادة مؤكدة « بانما » « واللام » « والمفعول المطلق المؤكد » .

فهي اذن ارادة نفاذة ، خارقة تقطع بحصول المراد . ويحق لنا - نحن - أن نتسائل : هل اثبات أمر لشيء يعني ثبوت هذا الأمر لأشياء أخرى ؟ وهل معنى ان يريد الله لنساء نبيه ما اراد انه سبحانه اراد لغيرهن الرجال ، والدنس ؟ ثم ما حقيقة الارادة التي يهلك لها التصوفة ، والشيعة ، والمستشرقون ؟ ان المولى بين في كتابه انه يريد بنا اليسر ، والاعتدال ، والتوبه ... الخ فهل تحقق هذا لكل المخاطبين ؟

قال الإمام ابن تيمية ( في الجزء الرابع من منهاج السنة ) « ليس في الآية دليل على مزاعم الشيعة وغيرهم ، وتحقيق ذلك في مقامين : أحدهما ان قوله « انما يريد الله » . كقوله « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج » المائدة ٦ . وكقوله « يريد الله بكم اليسر » . ولا يريد بكم العسر ... » البقرة . وكقوله « يريد الله لبيين لكم » . ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتبّع عليكم والله علیم حکیم . والله يريد ان

أجل هذا امرن بوقار يفضي الى الاستقرار . او باستقرار يحمله الوقار ، والرزانة ويملا جنباته الذكر ، والتبعـد ، والاحسان . « وقرن في بيتكن ، ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى (١) واقمن الصلاة ، وآتين الزكاة ... » وللأمر بالوقار او الاستقرار حكمة أخرى هي ان المرأة قد تكون عامل اثارة من حيث لا تدرى . ذلك لأن في الرجال من يعاني الحساسية المفرطة التي تورث للهات من لا شيء ومن أي شيء ، وتقتلع المعانى الإنسانية لتزرع مكانها الشبق ( شدة الشهوة ) وتضرم النار . وأصحاب هذه النفوس المريضة ربما حملوا ( بتشديد الميم ) الحركة العادمة ، والفتنة البريئة ، والنظرية المرسلة على سجيتها ، والكلمة الساذجة ... السخ فوق ما تحمل . وخسيبة عدوى ، وعدوان هؤلاء المرضى أمرت ( بالبناء للمجهول ) النساء بالوقار ، والقرار . وأولئك المرضى بداء الكلب يتملكهم السعال اذا اشتموا رائحة التبرج او التقطوا كلمة راقصة . فكيف بهم حين يسود العرى ، وتعتم الخلاعة ، ويفجر الجسد ، وتزنى العينان ؟ او عيت مغزى قول الله « فنطمع الذي في قلبه مرض » ؟ وهل فهمت ان تبرج الجاهلية الاولى هو سعادة الخلاعة ، وزنى الحواس ، وفجر الجوارح ، ونداء العينين وصراخ الجسد ؟

(١) الجاهلية الاولى كل جاهلية لم يهربها دين ولم يكبح جماحها القائم المثلى ، والعرف الكريم ، هم أصحابها الانطلاق كالسوائم او الضوارى . واستباحة كل ما يكفل اشباع الغريزة واطفاء اوار الشهوات .

أردت ان انتصح لكم ان كان الله ي يريد  
أن يغويكم » هود ٣٤ انتهى كلام  
الامام باختصار .

اذن فليست الآية بдалة على وقوع  
المراد — من تطهير ، واذهب رجس .

### دعاة الرسول

فإن قيل : دعنا من الآية . ويكتفي  
أن النبي دعا لأهل بيته بالتطهير ،  
واذهب الرجس . بل قد ورد أن  
النبي صلى الله عليه وسلم جمع  
عليا ، وناظمة ، والحسن ، والحسين ،  
ثم جلهم بكساء كان عليه ثم قال  
« هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم  
الرجس (١) .. » رواه الترمذى .  
قالوا : وتجليلهم بالكساء على هذا  
النحو يدل على حرص واهتمام  
وتخصيص . قالوا : والرسول  
مستجاب الدعاء وأهل بيته منحوا  
— بدعائه صلى الله عليه وسلم —  
درجة لم تتحقق لغيرهم . ونقول أن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم  
كان في مثل هذه المواقف أبا بكل ما  
تحمل كلمة « الاب » من معان .  
ومثله — هنا — كمثل والد اندفع  
إلى ابنه — اندفاعا فطريا — يضم  
وينتمي ، ويدعو له . والرسول

يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون  
الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً .  
يريد الله أن يخف عنكم وخلق  
الإنسان ضعيفاً » النساء ٢٦ — ٢٨ .  
فإن أرادة الله لهذه الآيات تتضمنه  
لحبة الله لذلك المراد ورضاه به ،  
وانه شرعه للمؤمنين وامرهم به .  
ليس في ذلك أنه خلق هذا المراد وأنه  
قضاه وقته ، ولا أنه يكون لا محالة  
... والدليل على ذلك أن النبي  
صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه  
الآية قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي  
فاذهب عنهم الرجس وطهرهم  
تطهيرا . فلو كانت الآية تتضمن  
أخبار الله بأنه قد اذهب عنهم  
الرجس ، وطهرهم ما احتاج إلى  
الطلب والدعاء . ثم قال الإمام رحمة  
للله : والإرادة في كتاب الله نوعان :

١ - أرادة شرعية دينية تتضمن  
محبته ورضاه . ( مثل تلوك الآيات  
التي سردت ) . ٢ - وارادة كونية  
قدرية تتضمن خلقه وتقديره كقوله  
سبحانه « فمن يرد الله أن يهديه  
يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن  
يضله يجعل صدره ضيقا ، حرجا  
كائناً يصعد في السماء » الأنعام ١٢٥  
وكل قول نوح « ولا ينفعكم نصحي إن

(١) اخرجه الترمذى الا ان الشيختين لم يصححاه اذ في اسناده  
نظر . هذا ولقد تقنن المتدروشة في حديث الكساء وزادوا فيه زيادات  
جعلته اشبه باللهاة او المسرحية الهزلية .

## فصل الله

ويعد

فلتد افضنا في الحديث عن قضية أهل البيت . ومرادنا أن نذود عن الإسلام ، وتنتصد للذئاب والثعالب والدببة (١) التي تنهش في عرض الإسلام ، وتشكك في قيمه المثلى .

وليس مرادنا أن ننفي أن هناك فاضلا ، ومحضولا . فقضية الفاضل والمفضول قضية كونية عامة . والله الذي لا يسأل عما يفعل يصطفى ، ويميز ، ويرفع درجات من يشاء « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلام الله ، ورفع بعضهم درجات ... » البقرة .

والله بفضله يتدارك كل العباد « ولو فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبدا ، ولكن الله يزكي من يشاء .. » النور ٢١ . ولكن سبحانه يختص برحمته من يشاء ، ويضفي من فضله على العباد بمقدار متفاوتة تبعا لحكمته التي لا تكتنه (٢) . ومظاهر فضل الله على الناس تشهدها في الفدو والرواح متفاوتة . ففضل الله لا يقاس بمقاييسنا ، وتوزيعه لا يخضع لحساباتنا .

صلى الله عليه وسلم لم يفطر على الصلاة والنظاظة ، والقسوة بل كان أغنى العالمين بالمشاعر الإنسانية التي كانت تؤل في كثير من المواقف إلى مشاركة وجданية عالية المستوى كما أوضحت آنفا .

وطنى أن دعوات الرسول عليهم السلام ليست محتملة الإجابة . فقد استغفر إبراهيم لأبيه ، واستغفر بلا جدوى . واستغفر رسول الله صلي الله عليه وسلم لمنافقين وكان الرد « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ، ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم .. » والرسول ان دعا لأهله فعلى قاعدة « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي » ونهجا لهجا الترآن في الترتيب « قوا أنفسكم ، وأهليكم نارا ... » وهو صلي الله عليه وسلم لم يوقف دعواته على أهله بل طالما دعا لأهله . والدليل على أن دعاء الرسول ليس حتمي الواقع - على النحو المظنون - قوله صلي الله عليه وسلم : - (لكل نبى دعوة مستجابة، فتجل كل نبى دعوته ، وأنى ادخلت دعوتى شفاعة لأمتى الى يوم القيمة .. ) انه صلي الله عليه وسلم ادخر دعوته العصماء لأهله ، لا لأهل بيته . فأين المسوبية ، وأين المحاباة ؟

(١) الذئاب ، والثعالب أمثلة لقدر الأعداء ، ومكرهم . والدببة جمع دب . والدب يضرب مثلا للصديق الجاهل كالمتصوفة .

(٢) لا تكتشف .

رسول الله صلى الله عليه ملك : - ان فيهم فلانا ليس منهم  
وسلم رب المسلمين على الا ينافشوا انما جاء لحاجة . فيقول الله : هم  
تصاريف القدر بالأسلوب الذى الجلساء لا يشقى بهم جليس .

٣ - ومن ذلك حديث الصحاح  
« انها بقاوكم فيما سلف قبلكم من

الامم كما بين صلاة العصر الى غروب الشمس . اوتى اهل التوراة فعملوا حتى اذا انتصف النهار عجزوا فاعطوا قيراطا ، قيراطا . ثم اوتى اهل الانجيل فعملوا الى صلاة العصر ثم عجزوا فاعطوا قيراطا ، قيراطا . ثم اوتينا القرآن فعملنا الى غروب الشمس فاعطينا قيراطين ، قيراطين . فقال اهل الكتابين اي ربنا : اعطيت هؤلاء اعملا . قال الله : هل ظلمتكم من اجركم من شيء ؟ قالوا : لا ، قال : فهو فضل اوتىه من اشياء » .

ان فضل الله غامر ، ورحمته واسعة لا تحجر ، وتصاريفه لا تناوش . وكلها خالية مما يوصف بالمحاباة — عندنا — فهى مقادير عامة لا ترتبط ببيت معين ، ولا تدور حول انسان معين . ولا يختص بها دين دون دين . ونصلى ونسلم على محمد وعلى آله وصحبه ومن نهج نجمه الى يوم الدين .  
**بخاري احمد عبده**

ينافش به تصرفات الناس ، وعلى ان يؤمنوا بالقدر خيره وشره .

١ - في خلق الله الغنى ، والفقير . والغنى يستطيع ان يحقق بامكانياته الواسعة ما يشق على الفقير ( عن ابى هريرة ان فقراء المهاجرين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : قد ذهب اهل الدثور ( ) بالدرجات العلى والنعيم المقيم . قال وماذاك : قالوا يصلون كما نصلى ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون ، ولا نصدق وبعثون ، ولا نعتق . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افلا اعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم ، وتسبقون به من بعدهم ، ولا يكون احد افضل منكم الا من صنع مثل ما صنعتم ؟ .

قالوا بلى . قال : تسبحون ، وتكبرون ، وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثة وثلاثين . قال فرجع فقراء المهاجرين الى رسول الله قائلا : سمع اخواننا اهل الاموال بما فعلنا ففعلوا مثله فقال رسول الله : — ( ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ) .

٢ - وفي حديث البخاري ( ان لله ملائكة يطوفون في الطرق يتلمسون اهل الذكر ) ان الله يقول للملائكة : اشهدوا فاني قد غفرت لهم . فيقول

(١) الدثور الاموال . هذا والاحاديث التى ذكرت هنا للدلالة على حكمة الله وفضله كلها صحيحة .

# نفحات قرآن

## بِقَلْمِ بُخَارِيِّ الْحَمْدُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ

قال تعالى : —

تطوع (١) خيراً فهو خير له وإن  
تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون .  
شهر (٢) رمضان (٣) الذي أنزل  
فيه القرآن هدى للناس ، وبيانات  
من الهدى ، والفرقان ، فمن شهد  
منكم الشهر فليصمه ، ومن كان  
مريضاً أو على سفر فعدة (٤) من أيام  
آخر ، وعلى الذين يطيقونه (٥)  
عدة (٦) طعام مسكين ، فمن

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم  
الصوم (١) كما كتب (٢) على الذين  
من قبلكم ، لعلكم تتقون . أياماً  
معدودات ، فمن كان منكم مريضاً  
أو على سفر فعدة (٣) من أيام  
آخر ، وعلى الذين يطيقونه (٤)  
عدة (٥) طعام مسكين ، فمن

(١) الصوم لغة مطلق الامساك عن الشيء . وشرعاً هو الامتناع عن  
شهوتى البطن والفرج بنية من طلوع الفجر إلى غروب الشمس . وكمال  
الصوم في اجتنابسائر المحرمات ، والتحلى بأداب الإسلام .

(٢) التشبيه في أصل الوجوب ، بصرف النظر عن الكم ، والكيف ،  
والوقت .

(٣) عليه أيام عدد ما فاته تقضى في وقت آخر .

(٤) الاطاقة القوة والقدرة عليه مع مشقة جسدية أو نفسية ، أو بلا  
مشقة فتكون بمعنى « الوسع » والواسع القدرة مع السهولة .

(٥) الندية مال ونحوه يجبر به الإنسان تقاصراً وقع منه في عبادة  
من العبادات .

(٦) يأن زاد فأطعم أكثر من مسكين أو تطوع فأطعم من غير تقدير أو  
اخلاً بواجب .

(٧) من الشهرة والظهور .

(٨) الرمض ، والرمضاء شدة حر الشمس . قال الزمخشري :  
عند تسمية الشهور وافق هذا الشهر أيام رمض الحر ، فسمي  
رمضان .

(٩) أوثرت كلمة (آخر) على كلمة (آخر) دفعاً لما قد يتوهم من أن  
« آخر » نعمت « لعنة » وحينئذ يلتبس المقصود بغيره .

للمجهول ) فلم يعد هناك مزيد لمستزيد . ولكله القرآن . لا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا تنتهي عجائبه . هو الذى لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد . فهو بحكم كونه يخاطب ذوى البداؤة السطحيين ، وذوى الوعي الفطئين ، وذوى التجارب من المتأخرین . ودعاة العلمانية والمادانية المفتونین المفرورين : لا تندى معانیه ، ولا يجد (١) ( بالبناء للمجهول ) عطاوه .

ينهل كل جيل من فيضه الزاخر بقدر حجمه ، ويعب كباء خبراته وعلمه . كلمات القرآن ستبقى حائلة بالمعانى ، جامعة للمدى ،

ولا يريد بكم العسر ، ولتكلموا (١) العدة ، ولتكبروا (٢) الله على ما هداكم ولعلمكم (٣) تشکرون » . بنقوس رمضان من هجير الحياة ، وحمت (٤) ( بضم الحاء وتشديد الميم المفتوحة ) بالجوى (٥) والاجواء التي تتعاقب على دنيا المسلمين وخيمة (٦) ، خانقة ، تستقبل برد هذه الآيات قانعين بالأرواح ، حسبنا ان نقبس (٧) منها القبسة ، ونستروح (٨) النفسة بل النسمات التي تحمل في تصاعيفها السنى ، والسناء ، والظهر ، والايام .

ولقد عولجت هذه الآيات حتى ظن ( بالبناء للمجهول ) انها استقرفت ( بالبناء للمجهول ) وأن معانیها استبيان وانتقلت ( بالبناء

(١) في العبارة . اشاره الى ان صيام رمضان لا يحصل المقصود منه الا بامتياز العدة كلها . هذا فوق أنها علة الأمر ببراءة العدة .

(٢) ولتكبروا : علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة النظر .

(٣) لعلمكم تشکرون علة الترخيص ، والتيسير . قلل الزمخشري : شرع المولى جملة ما ذكر من : امر الشاهد بصوم الشهور ، وأمر المسافر والريض ببراءة عدة ما افطر فيه ، ومن الترخيص في اباحة الفطر شحذا للهمم ودفعها نحو الحرمن ، وتوفير الفرص الشرك ، واظلالنا للأسنة كى تلهم بالتعظيم ، والتكبير .

هذا ، ويدخل في التكبير : التكبير الذى نمارسه منذ رؤية هلل شواله الى الفراغ من خطبة العيد .

(٤) أصييت بالحمى .

(٥) الجوى = الحرقة .

(٦) سينية .

(٧) قبس ، واقتبس ، اخذ واستقاد .

(٨) نستروح : نت sham .

(٩) لا ينقطع .

اليهود أفكار العرب الرازحين تحت  
وطأة عقدة الأمية التي استغلها  
اليهود أسوأ استغلال .

وتحقيقنا لهذه الغاية دابت السورة  
على تناول أهل الكتاب ، واسقط  
افتفيتهم ، وفضح الأعبيهم ، وكشف  
زيفهم ، ونبذ مواقفهم ، وتعرية  
تاریخهم ، وتجريدهم من الملاحم  
الكافحة التي احاطوا بها أنفسهم .

وهكذا تتحرر العقول من آثر  
الفزو الفكري الذي مارسه اليهود  
ضد العرب سنين طويلة وقرولا .  
وذلك تستخلص العبر مما حاق  
بهؤلاء ، وتتهيأ كى تستوعب حقائق  
الإسلام ، وتنتفع بنفحات القرآن ،  
وتشريعاته التي اقتضاها وضع  
المسلمين الجديد ، وتميزهم لامة  
مستقلة ذات منهج قويم ، ومقصد  
سلام .

وخلال ذلك تجيء آيات تجلو  
العقيدة ، وتعمق جذورها . وآيات  
تنحت من التاريخ ، وآيات تعرض  
من مشاهد القيمة ، وآيات تشير  
إلى أصول العلم ، وأخرى تتحدث  
عن علل النفس ، وتتتبع حركات  
المتوفين المنافقين . وكل هذه الهدايات  
التي حفلت بها السورة تتضافر على  
إعداد المسلم ، وتربيته حتى يحرس  
دوره القيادي على الأرض : خليفة ،  
ثائب الفكر ، بعيد النظر ، يتحرى  
الصلاح ، ويكسر كل الحواجز التي  
تعوق استتباب السلام . حتى يتبوأ  
المقام الأسمى والمحل الأرفع .

مددًا ثرًا غزيرا إلى يوم القيمة .  
كل شمس ترسل من شعاعها ما  
ترسل كل يوم . ولكن انقطاع الناس  
بأسرارها ، وأضوائتها ، وطاقاتها  
يختلف من جيل إلى جيل إلى  
جيل . كذلك القرآن وصدق الله  
( ولو أن ما في الأرض من شجرة  
أقلام والبحر يمد من بعده سبعة  
لحر ما نفذت كلمات الله ، إن الله  
عزيز حكيم ) لقمان .

بيان الآيات الكبرى تظهر ، وتحرر ،  
وتبني .

والآيات تشكل قطاعا في سورة  
البقرة التي تولي اهتماما لل المسلمين  
وقد ترکروا في المدينة جماعة مستقلة  
تبذر بذورها ، وتعمق جذورها ،  
وتعلى فروعها ، وتد ظلالها ،  
وتتطلع كى تنشئ دولة مبنية طيبة  
الجني ، مهيبة ، ذات شوكة . دولة  
تصمد أمام تحديات أهل الكتاب بكل  
ما جبلوا عليه من مكابرة وحداد  
وحسد ، وتحريف الكلم ، وقلب  
للحقيقة ، وغزو للأفكار التي طالما  
انخدعت بهم وتأثرت بأكاذيبهم  
باعتبارهم أهل كلب وعلم .

فالسورة تهتم أولاً بنزح مخلفات  
اليهود العفنة التي تراكمت على  
عقل العرب . ثانياً بهز الصورة  
الكافحة التي انطبع في أدمغة  
العرب عن اليهود . ثالثاً تهتم بأن  
تحل ( بضم الناء وكسر الحاء ) محل  
الباطل والترهات التي غزا بها

صفحات اتهام طويلة ينشرها القرآن . ورغم هذا وقع العرب في الشرك ، وسقطوا نهب الظفاري ، والآتيبا .

ويتهباً للكمال المقدر له في الدنيا ، والآخرة . حتى يجتاز ، ويدرج نحو مقام الشهادة . مقام خير آمة أخرجت الناس .

### البيئة الصفرى

وآيات الصيام ترد ضمن آيات تكون قطاعاً متميزاً من قطاعات السورة . قطاعاً يتناول المجتمع الجديد الذي تكامل ، ونما ، وازدهر في المدينة المنورة ، ويتضمن هذا القطاع شرائع جنائية ، وأحوالاً شخصية ، ومعاملات مالية ، واجتماعية ، وأوامر تعبدية ، وكلها تتبنق من التقوى ، وتحفز نحو مزيد من تقوى . تلمس هذا وأنت تقرأ من قول الله : ( يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام .... إلى قوله سبحانه : ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتسلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالاثم ، وأنتم تعلمون ) .

وتلمس — وأنت تقرأ — عنصر التقوى ينبعش بين الآيات كما تتشع الشجوم ، ويربط بينها بالرباط الوثيق . فعلة التصاص التقوى ( ولهم في الصيام حياة يا أولى الأbab لعلكم تتقدون ) والحاصل على الوصية التقوى ( كتب عليكم إذا حضر أحكم الموت ، أن ترك خيراً الوصية للوالدين ، والأقربين بالمعروف حقاً على المتدين ) وعلة الصيام القوى ( يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتبه على الذين من قبلكم لعلكم تتقدون )

### سورة البقرة اذن

١ — تنزع ما تراكم في العقليات ، والقلوب من قيم ، ومفاهيم ورؤى ما أنزل الله بها من سلطان .

٢ — تنسف قواعد الذين استعمروا يومئذ مقول العرب ، وانتصبوا في أعينهم ، وقلوبهم أوثاناً تضل ، وتبهر .

٣ — تجلو الأوعية التي ظلت زماناً منظوية على قاذورات اليهود حتى تنطف تماماً ، وتطهر ، وتعكس .

٤ — تشحن هذه الأوعية بقيم الإسلام ، وتقيمها على منهج الإسلام ، وتبذوها بحقائق الإسلام .

تلمس كل هذا في يسر وأنت ترجع بصرك — مثمنا — في آيات السورة الكريمة وهي تتدفق بالحق على الباطل فتدفعه ، فإذا هو زاهق . وتناديهم ، وتناشتهم فيما يثرون ، وفيما يزعمون ، وتورد من مواقف الخيانة والكفران ، والاجرام ما يدين السلف ، والخلف . واقرأ من قول الله : — يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ، وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم .... إلى قول الله : — ليس القرآن تولوا وجوهكم ... الخ .

والهدف من التبيين التقوى ( . . . . )  
ذلك يبين الله آياته للناس لعلهم  
يتقون ) ويؤازر التقوى — في عملية  
الربط — خصال هى في حقيقتها  
أباس من التقوى «ولعلمكم تشكرون»  
«لعلمهم يرشدون » .

الصيام ، فقد كفانا مئونة هذا  
انذاذ لا يشق لهم غبار ، ولم تعبيهم  
شاردة او واردة . فوق ان كثيرا  
من المسلمين يتقربون الى الله في  
هذا الشهر الكريم بنشر كل ما قيل  
في حق الآيات ، وفي شأن الصيام .  
ومنهجى الاثير ان اقرأ ، واقرأ ،  
فإذا انطبع في وجدانى معنى ، او  
هز فكري خاطر ، او القيت في رويعى  
نفحة .. تهيأت لها وتصيدت ،  
وقيدت .

ولكنى — وفاء بحق الشهير ،  
ومجارة لفيري ، وابشاعا للرغبات  
المطلعة — سأسوق معانى مجلمة  
موجزة للآيات ثم اعود بعدها الى  
منهجي الأثير .

— يجدهك — من اول وهلة —  
نداء اليمان . والنداء بصفة اليمان  
حرى ان يثير في المؤمنين كل قوى  
الإيمان وان يهينهم لما وراء النداء من  
تكليف ثقيلة على من لم يتذرع  
باليمان ، وان يحشدهم تحت ظلة  
الإيمان جماعة متكاملة ، متعاونة ،  
متواالية . وايحاء بأن رابطة اليمان  
هي القوة العاصمة الدافعة للمجتمع  
الإسلامي الوليد كانت كل الآيات

وتحس — وانت تقرأ — ان روح التحرير تتغلغل في هذا القطاع الاصغر تتغلله في ذلك القطاع الاعظم . تحسها في التصالص الذى يستأصل المولى به شأفة الاجرام من نفسك كى تتحرر من وطأة الشر، وضغوط الشيطان ، وتحكم الغرائز .

وتحسها في الوصيّة (١) التي  
تحطم بها أغلال المادّة ، وأطواق  
الأشّرة ، والانفرادية .

وتحسها في الصيام تهقر به  
الشهوة وتتحرر من استعباد المعدة ،  
ونزوات المزاج ، وشرك الشيطان .

حق الشهـر الـكـريم

وكمهنجى في النفحات - لست  
أنوى تناول الأحكام ، والمعانى  
المباشرة التي تسخو بها آيات

(١) كان ذلك قبل آيات المواريث التي حددت الأنصباء ونصل على حق الوالدين وغيرهما . ومن ورث فلا وصية له ويبقى النص قائمًا بالنسبة لغير الورثة من الأقربين .

نلاولك منهج ، وكيفيات ، ولنا منهج ، وكيفيات « لكل جعلنا منكم شرعة ، ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم ، فلستبقو الخيرات ، إلى الله مرجعكم جميعا ، فنبئكم بما كنتم فيه تختلفون » المائدة .

والمولى الذي بوا هذه الأمة مكانة تعلو على كل الأقدار « كنتم حير أمة أخرجت للناس » ورفعها حتى احتلت مستوى الشهادة على الناس « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس » لا يرضى منا إلا أن تكون السابعين السابعين ، والسبق في منازل الآخرة لا يتأتى بالتقريظ في أنصياثنا من الدنيا : نياويل المسلمين ان حشروا إلى الله عجانا مريشين (١) .

٣ — وغاية المستبقين التقوى .  
والصيام على النحو الذي أمر الإسلام به من أهم أسبابه اذ فيه : —

١ — امثال الأمر الربانى ، واجتناب النواهى الإلهية ، ومخالفة النفس بالامتناع عن المشتهيات انصياعا وزلفى ، ورجاء ، وخوفا .

التي بدت بهذا النداء « يايهما الذين آمنوا » آيات مدنية نزلت في المدينة بعد أن انتظم عقد المسلمين ، وتكونوا أمة متميزة ذات كيان ، ومنهج ، وأهداف عليا . فكان النداء بوصف الإيمان يشى بالمسؤولية الجماعية التي تحتم التأمر بالمعروف ، والتناهى عن المنكر ، والتعاون على البر ، والتفوى .

٢ — وبعد الاستجاشة ، وتهيئة الجو النفسي الملائم — بنداء الإيمان — يعلن المولى فرضية الصيام ، وبهون عليهم فيذكر أن هذا سنة الله في الأمم « كما كتب على الذين من قبلكم » والإشارة الى الأمم السابقة التي ابتليت بالصيام .. فيها تشبيط للأمة كى ينافسوا غيرهم ويسارعوا الى جميل الخلال ، وحيد الخصال . وايقاظ روح التنافس ، والاستباق بهذا الأسلوب يهون من الأصار والتكليف ، و يجعل الأمر حبيبا الى النفس — وان كان شاتا .

واشارة روح الاستباق لا تدل على أن ميدان التسابق يتشبه في كل نواحيه بل تدل فقط على وحدة الهدف « التقوى ، والظفر بالرضوان »

(١). مسلوخين .

خالصا لرب العالمين « الصيام لى ،  
وأنا أجزى به » .

والصوم — بهذا العطاء الجم —  
رحمة ، واحسان ، ونفحة ، ومنحة  
إلى الناس من رب العالمين .

٤ — والصوم بعد ذلك أيام  
معدودات هي أيام رمضان . ولم  
يكلفنا الله بصوم أشهر ، أو سنوات ،  
ولم يفرض علينا صوم الدهر . فما  
أهون الأيام التي تحصر ، وتعمد ،  
ولا سيما إذا قورنت بالصالح الجمة  
التي تنجم من الصيام . والمولى —  
زيادة في التهويء — يستعمل جمع  
القلة (١) « أيام » إيحاء بأنها قليلة  
لأن استفرق مخلصا وانشغل بتحقيق  
هداياته ، وتحرى كمالاته . فإنه  
يستقبل الشهر ، وسرعان ما يودعه  
متعجبا من سرعة انطوائه .

٥ — والصوم في غمرة هداياته  
خفيف الظل ، يسير . والمولى  
لا يكلفنا عسرا ، ولا يحمل علينا  
اصرا ، بل لا يفتّ سبحانه ييسر ،  
ويخفف ، ويشد الأزر حتى تهون  
التكليف علينا . فلما عجب إذا رأى

٦ — جانب أولئك المتبسين  
بالمشاق من مرضى ، ومسافرين .

ب — والصوم تدريب على  
المراقبة ، والصبر عما تجنب إليه  
النفس ، وهما يعينان على تبيين  
الطريق ، وتحمل المشاق التي تترافق  
بها طرائق التقوى .

ج — والصوم بحقائقه ، وأدابه  
يضيق مجاري الشيطان . والشيطان  
يجري من ابن آدم مجرى الدم .  
وكل هذه أن يعوق ويقطع طريق  
الصالحين إلى الله . والصوم —  
فوق ذلك — يحرك كامن العطف ،  
ويغزى بالطاعات . والطاعات تقوى ،  
ومدارج إلى مزيد من تقوى . والحق  
أن الصوم تربية لأنواع القوى التي  
يتسلح بها المؤمن . فالمؤمن في أوج  
قوته يكون في أوج تقواه ، فبين  
القوة ، والتقوى تناسب طردية  
(إذا زاد أحدهما زاد الآخر . . . )

إن الصوم يكبح جماح الأعضاء  
المنطلقة مع رياح الشهوات ويفطم  
النفوس الأمارة عن المأمورات ،  
ويعدل القوى الدنيا ، ويعليها ،  
ويوجهها نحو ما يزكيها ، ويسعدها  
في الدارين . فهو — بهذه المعانى —  
رياضة ، وجنة ، وايثار خالص لما  
عند الله .

ولذا كان — من دون العبادات —

(١) جمع القلة يستعمل فيما دون العشرة .

التخيير الذى كان ينسخ أيضا رخصة المسافر والمريض أعاد - بعد أن قرر حنمية الصوم بـ « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » أعاد سبحانه أمر الرخصة المنوحة لهما تأكيداً ودفعاً للوهم .

٨ - وأعلن المولى - هنا - صراحة قانون التيسير . هذا القانون الذي تضمنه كثير من المواقف الإسلامية والأوامر الالهية ثم ذكر صراحة في مثل قوله سبحانه « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » « وما جعل عليكم في الدين من حرج » « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

٩ - والمولى حين يفسر الأيام المعدودات بشهر رمضان ، وحين يأمر المريض والمسافر بقضاء عدة من أيام آخر ، إنما يهدف إلى اتّمام النعمة بأكمال العدة .

وحين يعلمنا هذا التعليم الشامل المحيط بكل جوانب الصوم يضطرنا إلى التكبير ، والتزويه ، والاجلال .

وحين يرعى جوانب الضعف نيلنا نحن البشر ، حين يشرع ، وحين يرعى الظروف فيخفف ، ويرخص ، يضطرنا إلى أن نحمده ونشكره .

بخاري أحمد عبده

فرخص لهم أن ينطروا ويقضوا أياماً بقدر الأيام التي انفطروا فيها .

ب - بل لا عجب إذا تدرج الله بالناس ففرض الصيام في أول الأمر اختياراً . من نشط صام ، ومن لم ينشط أفتر ، وأطعم عن كل يوم مسكيناً . حتى إذا دربت النفوس وتهيأت ، وافت القلوب ، وتعلقت .. تقررت حنمية الصوم بقوله سبحانه « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » وقد كان كتب قبل اختياراً بقوله سبحانه « ... وعلى الذين يطيفونه ندية طعام مسکین » فنسخ الحكم بالنسبة للأقوياء الأصحاء القادرين . وبقى في حق الشيخ ، والشيخة .

٦ - والشهر بعد هذا عظيم ، ومن جوانب عظمته اختياره ليكون شهر القرآن وما أدرك ما القرآن ؟ فكأننا حين نصوم هذا الشهر

١ - نمثل لأمر الله .

ب - ونحتفل بالقرآن وهدياته وبيناته .

ج - ونتزود ل أيام العام ، وسنى العمر . « شهر رمضان الذي أنزل به القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » .

٧ - وحتى لا يظن أن حكم نسخ

# نفحات القرآن

## بقلوب بخارات احمد رعبيه

« يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام ، كما كتب على الذين من قبلكم لعاقم تنتقون . أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام آخر ، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ، فمن تطوع خيراً فهو خير له ، وأن تصوموا خيراً لكم إن كنتم تعلمون . شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس ، وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً ، أو على سفر فعدة من أيام آخر ، يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر ، ولاتكموا العدة ، ولاتكروا الله على ما هداكם ، ولعلكم تشکرون » .

مسسنا في مثالنا السابق بعض نبضة من نبضات سورة البقرة التي تزيد الایمان ، وتعلى الأركان وتجلو ، وتتنزح ، وتغدو ، وتصنع للمسلمين .

وعجبنا لغفلة المسلمين ، وضياعة العرب ، رغم صفحات الاتهام الدائع التي ينشرها القرآن ، يكشف بها أحزاب الشيطان ، ويحلو قفساتهم ، ويفضح حركاتهم ، وسكناتهم .

ورأينا كيف يدرج المولى بال المسلمين ، وكيف يمهد لهم ، ويهيئهم لنهجات

وعلمنا — هنئ — أن آياتنا

يعمل على تحريرك يرفض أن تبنته عبد الأهواء ( أرأيت من اتخذ الله هواه أأنت تكون عليه وكيلًا ؟ أم تحسب أن أكثرهم يستمعون ، أو يعقلون ؟ إنهم لا كالاتمام بل هم أضل سبيلا ) الفرقان .

وتقديرا لأذار هذا النوع من العبودية أشادت الآثار بجهاد النفس ، وشكّلها عن نزعاتها . وارتقت بمنزلة هذا الجهاد « جهاد النفس » حتى عدته الجهاد الأكبر .

والصوم بكافة أدبياته يحطم أغلال الهوى ويحرر من أصفاد الشيطان وسلسله . تلك السلالس التي ترد إلى نحر الشيطان — في رمضان — ليبيت ويصبح مغلولا مدحورا .

والصائم إذا استخلص نفسه من أوضارها ، وحررها من نزعاتها فقد تبوا قمة يستطيع من علائهما أن يرى فيحكم الرؤية ، وأن يسدّد فيصيب السداد .

الصوم أذن — بعد كونه عبادة خالصة — مظهر تحرر ووسيلة إلى مزيد من تحرر .

وابرازاً لمعانى الحرية التي ترخر بها شعيرة الصوم جاءت الآيات التي تكتنف آيات الصيام دواعى تحرر .

رمضان ، ولابنه الجسيمة (١) .

## مدارج التحرير

تحس وأنت ترتع في رياض الآيات التي تكتنف آيات الصيام بأرواح الحرية تبعث فواحة مشطة ، وتشعر بعمليات « فك الارتباط » التي تقوم بها الآيات الكريمة . وتکاد تسمع وقع معاول الحق تحطم الأطواق التي غل بها أهل الكتاب أعناق العرب ، وتکاد تشم أرياح الفن الوبيء والقرآن ينجز مخلفات اليهود ، ورواسب الرزيف . ويفرى (٢) آثار غزوهم للأفكار في عقرية منقطعة النظير .

وشر الوان الرق أن تسبيك (٣) شهوانتك ، وأن تكبلك أهواوك ، أن تنسج بيديك القيد وتسسلم بنفسك فمامك للنزوات الدنيا وللشيطان فتمسى — منها — وفق المشهد الذي تعرضه آيات سورة « يس » ( لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون . أنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهم إلى الأذقان فهم مقهون . وجعلنا من بين أيديهم سدا ، ومن خلفهم سدا فأشتباهم فهم لا يتصرون ) .

واستمراء الغواية ، وارتفاع كل رغبات النفس يوهن الإرادة ، ويسلم لنير الشيطان (٤) . والاسلام الذي

(١) راجع الصفحتين الاوليين من مقال عدد رمضان .

(٢) ينجز .

(٣) النير : القيد .

ومدارج نحو القمة الشماء التى  
يتربع عليها الصائم .

والقرآن يحدد لنا رسالة محمد  
صلى الله عليه وسلم فيذكر خلا  
تحمل معانى التحرير - ضمنا -  
ويعود فينص على التحرير - صراحة  
- مما يدل على علو كعب قضية  
التحرير في الإسلام . ذلك ما تجده  
حين تتمعن في مغزى قوله سبحانه :  
( الذين يتبعون الرسول النبي الأمى  
الذى يجدونه مكتوبًا عندهم في  
التوراة ، والإنجيل يأمرهم بالمعروف ،  
وينهفهم عن المنكر ، ويحل لهم  
الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ،  
ويضع عنهم أصرهم ، والأغلال التي  
كانت عليهم ) الأعراف ١٥٧

فما أمرنا به ، وما نهينا عنه ،  
وما أحل من طيبات ، وما حرم من  
خبائث تتضاد فتصنع إنسانا  
لا يستهويه نداء الحيوان الكامن في  
الأعماق ولا يطويه الزبد الذي يتطاير  
كثيما من مستنقع الغريرة ، ولا يعميه  
الدخان الذي يتضاعد خانقا من  
التثاليد الموروثة والعادات .

ووضع الأصار ، والأغلال تصريح  
بأنه من بعد تلميح ، ونص على  
تضييق التحرير من بعد تضييق  
« يضع عنهم أصرهم ، والأغلال  
التي تكاثرت عليهم » .

## في موكب الحرية

والحديث عن التحرير في معرض  
ال الحديث عن الإسلام ، والصوم ،  
ليس بداعا ، ولا تكفا ، وافتuala .  
فالعلاقة بين الإسلام والتحرير علاقة  
وثيقة وبينة . الإسلام أن تسلم  
 وجهك لله ، وتنبذ كل القوى  
الأرضية التي تتنازعك وتحتويك ،  
وتتسلط عليك .

والإسلام أذ يأمرك بأن تبرئ  
وجهك ، وتظهر بالتوحيد عقيدتك  
انما يمنعك من أن تتعدد جهات ذلك ،  
وتطعن بين شركاء متشاكسين « ضرب  
الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون  
ورجلا سلما لرجل هل يستويان  
مثلا ، الحمد لله بل أكثرهم  
لا يعلمون » الزمر .

وهو أذ يحدد لك قبلتك ، وأذ  
يحدو نزعاتك ، وقلبك ، حتى  
لا يتشعب ويغدو بكل واد شعبة انما  
يريد أن يجمع شتاتك ، ويحررك من  
أن تخلد إلى الأرض أو تحبس رهن  
عنصر الطين الذي يؤودك ، ويغلك .

وهو أذ يفرض عليك ، ويستنفرك  
إلى تستبق الخيرات يوثق صلاتك  
بالله ، ويحكم رياحك حتى لا تكون

## عبودية النزعة المادية يحطمها اليمان بالغيب

أولاًها آية البقرة التي جعلت اليمان بالغيب أولى سمات المتقين ( ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ، ويقيمون الصلاة ، ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل إليك ، وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ) .

فاليمان بالغيب دليل التحرر من أصناف المادانية . وهو قبة اليمان ، وظاهر الثقة المثلث بكل ما يصدر من الرسول صلى الله عليه وسلم . بل هو اليمان كله لأن خبر السماء غيب كله . يعالج أموراً تنطوى في دائرة المحجوبات ، أو المعقودات ، أو المحسوسات .

واليمان بالغيب يتجلى أوضاع ما يكون الجلاء في الأميين الأوليين . فالغيب بالنسبة لهم غيب مطبق . وبالنسبة لغيرهم — من اللاحقين — غيب استثنى بالأضواء التي عكستها معارف السنماء ، والأرض . والقلب الذي يمتلك خاصية اليمان بالغيب قلب مؤهل يطيق أن يقام فوقه صرح اليمان بكل طوابقه وشعبه .

النزعة المادية غل يضم الأعناق إلى الأذقان ، ويقمع (١) المرء فيغدو كمثال شد شدا إلى جهة واحدة . وتغلغل النزعة المادية هو الذي يجعل الإنسان لا يؤمن إلا بالمحسوس الملموس . وتحت وطأة هذه النزعة ضعف الأدراك ، ووهى حس اليقين عند كثيرين فاستعظموا أن يعبدوا غير مرئى مدرك بالأبصار ، فأضافوا عظمة العبود على مواد يصنعونها ، أو صور ينحتونها أو مخلوقات يعظمونها ثم عکروا على ما صنعوا ، واختلفوا ، وقدسوا . والنزعـة المادية هي التي طمسـت نور الفطرة ، وأفسـدت على الإنسان رؤيـته ، ونوعـت له الشرـكـاء ، وعدـدت الآلهـة ، وأن تدعـهم إلى الهدـى لا يسمـعوا ، وترـاهـم ينظـرونـ إليـك ، وهم لا يـصـرونـ) وهـكـذا أـمـسـى الـإـنـسـانـ عـبـدـ هـذـهـ النـزـعـةـ في دـيـنـهـ ، وـدـنـيـاهـ .

وـحدـاـ منـ طـفـيـانـ هـذـهـ النـزـعـةـ ، وـاسـتـنـتـاذـاـ منـ عـبـودـيـةـ الـمـحـسـوسـ حـتـمـ الـإـسـلـامـ الـإـيمـانـ بـالـغـيـبـ ، وـأشـادـ الـقـرـآنـ بـالـمـؤـمـنـينـ بـالـغـيـبـ فـيـ آـيـاتـ جـمـةـ

(١) أقمع الفل الاسير ضيق الخناق على رأسه بحيث لا تتحرك ولا تنظر إلا في اتجاه واحد ، قال تعالى : « إنا جعلنا في عناقهم أغلالا ، فهى إلى الأذقان فهم مقمدون » .

وخاصية اليمان بالغيب تختلف في  
قوتها من قلب إلى قلب . فمن القلوب  
قلوب تعجز عن الفور والاستيعاب ،  
وقلوب تستوعب ، وتنفذ إلى عمق  
محدود ثم تلهث . وقلوب تذهب إلى  
نهاية الشوط .

انهما دعامتا كل الحريات التي  
يتیحها لك الاسلام الحنیف لتنطلق  
على اجنحتها نحو قمتك الشماء .

والاخلاص بعقيدة التوحید يورث  
الخبط ، والشلل ، والزلل الى قاع  
سھيق ( ومن يشرك بالله فكأنما  
خر من السماء ، فتخطفه الطير ،  
او تهوى به الريح في مكان سھيق ) .

واهتزاز اليمان بالغيب ينسف  
الدين كلھ ، ويحيل العبد أرضانيا (۱)  
يغوص في الظلام ، ويعيش في الحفر  
مع الدیدان .

وظنی ان هائین الحريتين اللتين  
تلثم بما سائر الحريات المشروعة  
ھما النور الذي من الله علينا به ،  
وامرنا ان نكون — باستمرار —  
الامة التي تشیع هذا النور وتنتشره .  
والقوة الضاربة التي تذود عنه ،  
وتنفعه ( يریدون ان يطفئوا نور  
الله بآفواهم ، ویأبی الله الا ان  
يتم نوره ولو كره الكافرون ) التویة

٣٢

وكلما كان الغیب ابعد عن التصور ،  
وأدخل في عالم ما وراء الطبيعة كلما  
كان المؤمن به أجل وجدانا ، وأعمق  
ایمانا . شریطة أن يعتمد ذلك الغیب  
على أثر معتمد صحيح .

وممن امتلك خاصية اليمان بالغيب  
في أعلى مستوياتها ، الصديق رضى  
الله عنه . ومن رحاب هذه الخاصية  
استمد موقفه من قصة الاسراء  
والمعراج ، ومن كل اخبار السماء .

ولقمان اليمان بالغيب ، ولشدة  
تأثيره في شعب اليمان الآخر ،  
أشاد رسول الله بالآخرين الذين  
يؤمنون به ولم يروه ، وعجب  
( بشدید الجیم المفتوحة ) من ایمان  
قوم يکونون من بعد ، يجدون صحفا  
فيها كتاب فیؤمنون بما فيها .

ان تحریر الوجدان بتحتیم اليمان  
بالغیب ، وتحریر الجنان بعقيدة  
التوحید التي تعصّم من ان تذل

(۱) نسبة إلى أرض تفید المبالغة .

وملكته ، وعن النفس وأوضارها ، وعن الغيب وأسراره ، وعن الدين وقيمه ، وعن الآخرة ومشاهدتها . أردت الا ن نحو منحى المسلم اللوذعى، الذى أشرب مقت الاسلام وال المسلمين . فهو ينبت وراء دينه نبيب التيوس(١) . وقلمه لا يسائل ولا يصل الا اذا صوب الى صدر الاسلام وال المسلمين . ولكن كتب يتندر بالاسلام ، ويزعم ان حضارته حضارة الكلمة . وأنها حضارة مطحونة تذروها الرياح ، رياح الآلة والتقدم العلمي ، وأن المنداده بالاسلام معناها الارتداد ، والقهقري ، ومواجهة عصر الآلة بمحصل لفظى . ونادي بضرورة التخلص من حضارة الكلمة (٢) . ومثل هذا الكاتب هو المتجم المغلول بأغلال تضم الى عنقه ذقنه وغضديه، وقلبه ، ومتنه كله . والاسلام انما جاء ليحرر أمثال هذا من آثار الجاهلية الأولى وهو حرى أن يحرر عبد المسونية، وضحايا المستشرقين، وصنائع اللحاد والصلبية التي تجد

والمسلمون منذ فرطوا في أمر التوحيد فأشركوا ، وأذعنوا لغير الله ، وقربوا ، ورجوا ، وخافوا . . . الخ

ومنذ اهتر موقفهم من الغيب فعكتوا على المادة ، وكروا بغير المعلم ، والخبر ، والتجربة . . . الخ أضحوا مهبي الجناح ، مشلولين ، مخنوقيين ، يرقدون دنيا غيرهم بدينهم .

ولست — بهذه الاشارة — أقلل من شأن التجربة ، والمعلم . كيف والاسلام هو الدين الوحد الذي طوف بك في الآفاق ، وحلق بك في الأجواء ، ونفذ بك إلى الأغوار ، وجال بك بين ظواهر الكون ، وأغراك بالتحليل ، ولفت نظرك إلى الشيء وأبعاده التي لا تنتهي ، وأوحى إليك — بهذا — أن تتخذ المعلم ، والمجهر ، والمرصد . . . الخ ؟

انما أردت الا يصرفنا عن الله

(١) النبيب صوت التيس حين يراود ويصبح . والتيس يصبح أول ما يصبح خلف أمه .

(٢) نشرت جريدة الاهرام — اثر معااهدة كامب دافيد — عدة مقالات بعنوان « مصر و معركة التحدى الحضارى مع اسرائيل » وأذكر منها ما جاء في اعداد ٦/٢٤ ، ٦/٢٧ ، ١٩٧٩/٧/١ ، هـ . واستغلا للمناخ الذى ساد البلاد وقتئذ ، هب كاتبنا يقرب القرابين راجيا من موالية القبول .

ومن أساليب الموالى أن يثروا كلابهم في وقت واحد وذلك :

### ١ - حتى تضيع في صخب النباح صوت الحق .

٢ - وحتى تنطلق قدائفهم من عدة جهات فيصعب التصدي ، وتعز المواجهة .

٣ - لما في التكرار ، وتععدد المصادر ، ومواصلة القول من أثر نفسي يورث الاقتناع .

٤ - وربما ليشغلوا الساحة الإسلامية عن التربية ، والبناء ، ويصرفوا الدعاء عن الجادة المثلى إلى الجدل والمهاترة ، والمواجهة التي تستنفذ الطاقات ( لا يألونكم خبلا ، ودوا ما عنتم ، قد بدلت البغضاء من أعواهم . . . )  
**بخاري أحمد عبد**

كى تفك الارتباط بين المسلم ودينه ، وقرآنها (١) متولدة إلى ذلك بصدور محمومة ، وأقلام مسمومة تشنن ثبث ، وتنفث ، وتعكس أصوات سادتها .

وهؤلاء أسرى مكبليون ، منومون مغناطيسيا . وظني أن حالة كثير منهم أضحت متأخرة لا تنفعها أشفيه . ولا ينقذها طب .. فأشفيه الإسلام لا تطب الصدور التي تأكلت ويليت . واصحابها سواء عليهم الذرتهم أم لم تذرهم ( ختم الله على قلوبهم ، وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ، ولهم عذاب عظيم ) البقرة .

والخطورة في أن موالي هؤلاء المكبلين جلوهم ، وموهوا ظواهرهم ، وأضفوا عليهم من بريق الشيطان ثم بوعوهم مواقع تأثير ليقذفوا من فوقها بغازاتهم السامة ويخدعوا . وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون .

(١) في مجلة الأمة القطرية ( عدد رجب ١٤٠٤ - أبريل ١٩٨٤ ) حديث عن : لغة القرآن بين مكر الأعداء وحرص البناء ، قدم له بما يأتي : مضى أربعة عشر قرنا من الزمان وأعداء الله لم يهدأ لهم بال ، ولن يهدأ وكتاب الله موجود يُؤرق ف惰هم . فالقضاء عليه هو الهدف والأمنية .

هذا ما دفع جلادستون رئيس وزراء بريطانيا إلى أن يقول أمام مجلس العموم « مadam القرآن موجوداً فلن تستطيع السيطرة على الشرق ، ولا أن تكون في أمان » أما البشر تاكلي فيقول : - « يجب أن نستخدم القرآن وهو أمضى سلاح في الإسلام ضد الإسلام نفسه حتى تنفي عليه تماما . يجب أن نبين للمسلمين أن الصحيح في القرآن ليس جديدا ، وأن الجديد فيه ليس صحيحا » هكذا يريدون استئصال شجرة الإسلام ولكن بأيدي مسلمين .

# نفحات القرآن

## ب讲解 بن حارث الحميري

- ٣ -

بسم الله الرحمن الرحيم

« يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من عبلكم لعلكم تتقون ٠ أيام معدودات ، فمن كان منكم مريضا ، أو على سفر فعدة من أيام آخر ، وعلى الذين يطريقونه فدية طعام مسكون ، فمن طوع خيرا فهو خير له ، وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون ٠ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس ، وبيانات من الهدي والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضا ، أو على سفر فعدة من أيام آخر ، يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر ، ولتكموا العدة ، ولتكروا الله على ما هداكما ، ولعلكم تشکرون » ٠

اسرار العقلانية ، ونبي العلمانية \*

ليحوز صلاحيات الخلافة في الأرض .  
ورأينا في غيابة تلك السجون  
قطعننا في غفلتها تعمه (١) ، وتصرخ  
وسمعوا نبيب التيوس يصلصل معلنا  
عن حيوانية دنيا ، لا ترودها (٢)  
قيم ، ولا يكبحها ايمان .

والآيادي التي تمشك بزمام تلك  
التيوس ، وتلعب بها مثيرة ، وموجهة ،  
تحرص على أن تحشو أديم (٣)  
التيوس بمغالطات ، وخدع تربيها (٤)

\* الاسار القيد والنير خشبة توضع على عنق الثور فتحدد جركته

(١) تختبط .  
(٢) تقودها .

(٤) تزيدها وتنميها .

استسلمنا لازواج الحرية التي  
تسترسل رخاء حول آيات الصيام  
تفتت ، وتذرو أثقال الهوى ، والطين ،  
ومادانية العميان .

والهوى ، والطين ، والمادانية  
تتلاحم بخصائصها العنصرية ،  
وتتوافق بعلاقتها الشيطانية ،  
وتفاعل ، ثم تستبك أطوانها ، وتصاغ  
سلالس ، وترتفع سجونا ترهق فيها  
أنفاس الحرية الربانية التي تتبع  
للعبد أن يرشد ، ويلطف ، ويعلو

(١) تختبط .

(٣) جلد .

الزمان ، والمكان ، والعقل جانب من جوانب هذا المحدود . أما ملكتوت الله بشهادته ، وغبيه ، ودنياه ، وأخرته ، فغير محدود . والله الذي لا يكفي نفسا إلا وسعها لم يكلف العقل أن يتتجاوز حجمه . ولكنه أطلق له العنان كي ينشط في عالم الشهادة . وكما سبانه عالم الغيب وتكرم فعرض أمامه من قضايا الغيب ومشاهد القيمة ، ومن تاريخ ما قبل التاريخ ما عرض .

وواجب العقل أن ينظر ، ويسرى ، ويستقرىء ، ويفرض الفروض ، ويتحقق النظريات في مجالاته الدنيوية . أما واجبه حيال الغيبيات التي صحت فهو ان يخشع ، ويؤمن . ولا باس من أن يتصر ويحاول أن يجد علة ، أو يستبطئ حكمة . أما ان يزن بقواه الثابت الصحيح فيقبل أن وافق الهوى ، ويرد ان لم يوافق .. فهذا هو الجموح المردى وهو العقلانية المرفوضة .

والعلم وليد القوى المقلية فهو — كامله — محدود . وصدق الله ( وما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ) ومحصولنا العلمي أهون من أن نقدر به كل حقائق الدين . والمولى جل وعلا يصنع للإنسان ، ويجر قصوره العلمي فيعلمه من شؤون دينه ،

ساقه إلى ذرائعه .

وتنكحها عقدة النقص التي تستحكم في أعماق كثيرين منا متولدة من الاننكasaة التي أصابت العرب وال المسلمين منذ هجروا الدين ، وجهلوا الدنيا ، فخسروا الدارين .

ومن الحيل التي تلعب بها القوى المضادة للإسلام : المبالغة في تقدير العقل ، حتى يمسى رباً يبعد من سوء الله ، والبغى في تقديس العلم حتى يحال المها يرجى من دون الله .

والعقل نور روحي . وهو — بحكم كونه نوراً — يكشف لك العلوم الضرورية والنظرية . وبحكم كونه روحياناً يأنس بالغيبيات التي جاءت في القرآن أو السنة الصحيحة . يعبر هذه الحياة المحدودة إلى حياة أخرى لا تحد ، وتجريد العقل من خاصيته ، وجعله اليكترونياً بحثاً يحيله إلى قيد يقتل (1) ويعبس في محيط محدود ، ويجرده من أحنته التي يضرب بها في الآفاق . وقوى العقل مستمدة من كل الطاقات التي ميز الله بها الإنسان من حواسه ، ومداركه ، ومشاعره ، ومخه ، وقلبه ، وروحه . فإذا عدنا العقل جهازاً قائماً بنفسه مستقلأً فتندأ علينا في الشسطط .

والإنسان بكل قواه محدود

(1) عقل الرجل البعير اذا شد

( ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ، وان الله لا يهدى القوم الكافرين . أولئك الذين طبع الله على قلوبهم ، وستمعهم ، وأبصارهم ، وأولئك هم الغافلون . لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون ) النحل ١٠٧ - ١٠٩

ان هؤلاء يهرون كالكلاب المسعورة خلف الاسلام ، وقيمه ، ويفقدون الصواب كلما رأوا مبادئ الاسلام تستثار باهتمامات الشباب ، ويفزعون كلما لحوا في وجوه ساداتهم ما ينم عن التبرم من اتساع المد الاسلامي . وهؤلاء اذ ينطلقون في كل اتجاه ، ويععون ، يضم اعناقهم حبل طويل طرفه الآخر في قبضة القوى المضادة للإسلام . فهم ليسوا احرارا ، وان زعموا انهم ينطلقون من قاعدة الفكر الحر . كيف وهم معبيون بشحنات مستوردة .

وليت هؤلاء المتشدقين بالقرن العشرين يعون مفزي تصنيف رسول الله صلى الله عليه وسلم للقرون تصنيفا تنازليا وذلك في حديث شريف متفق عليه : خير امتى قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم ان بعدهم قوما يشهدون ولا يستشهدون ، ويخونون ولا يؤتمنون ، ويذرون ولا يفون ، ويختلفون ولا يستختلفون ، ويظهر فيهم السين .

وهذه كلها صفات تدل على الاضطراب ، والخفة ، والطيش . ووطأة السمات التي تعترفهم تحط

وشئون حياته الاخرى ما به قوام أمره ، وصلاح حياته .

وانفصال الانسان بهذا العلم الضئيل الذى يتاح له ظاهرة مرضية تنذر بالدمار ( ... حتى اذا أخذت الارض زخرفها ، وازينت ، وظن اهلها انهم قادرون عليها اتها امرنا ليلا ، او نهارا ، فجعلناها حصينا كان لم تفن بالأمس ... ) يونس . وكمال الانسان ، وجماله فى ان يبحث ويتعلم علم الدنيا ، والآخرة . واهلية الانسان للخلافة تعظم ، او تصر بمقدار ما حقق من علم مورث للنقوى ( انما يخشى الله من عباده العلماء ) أما العلم الذى ينفع الأوداج ، ويطفى ، وينسى ، فهو علم قاروني قد يضفى بريقا محدودا ، وقد ي Kelvin مكانة مؤقتة ، ومتاعا قليلا ( قل متاع الدنيا قليل ) .

والحديث عن رق العقلانية ، ورق العلمانية حديث يطول . والذى يهمنى ، ان اشير الى قوم يتشدقون بالعقل ، والعلم ، ويخكونهما في مثل قصة الاسراء والمعراج . ينكرون ، ويردون ، ويتندرؤن بالاسلام ، وبال المسلمين الذين يرددون كالبيغواوات اساطير ينبذها القرن العشرون ، ويركلها العقل ، وينسفها العلم المعبود . ولقد قلنا ان هؤلاء موجهون مدفوعون بقوة نفح الاعداء ، ويتنازعون السموات التي حشيت بها بواطنهن

بهم ، وتقدهم الهمة ، وتحبسهم طى رغبات الجسد الملىء الجسيم وهى — بعد — سمانة جوفاء يملؤها الريح : وتفریقا بين المسلمين .

### الفراغ الفكري والفزو الفكري

ف صحيح مسلم عن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : — لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء أن يتركه ، فجعل أليس يطيف به ينظر ما هو ، فلما رأه أجوف عرف أنه خلق خلقا لا يمتلك .

ولعل الملائكة الكرام حين انصحوا عن الدهشة، والعجز عن الكتناه (١) الحكمة في اصطفاء آدم بقولهم (اتجعل فيها من يفسد فيها ، ويسيفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ، ونقدس لك ...) لعلهم نظروا الى هذا الفراغ الأجوف الذي أقيم عليه آدم . هذا الفراغ الذي لا يتبع لصاحبه أن يمتلك . فوق أنه عرضة لأن يمتلىء بأى شيء .. بالظاهر ، والنفس ، والنظيف ، والقدر . كالحفرة التي تستقبل كل عارض ، وتبتلع أى وارد .

والحق أن الخواء (٢) الأجوف واحدة الشيطان . يخرب (٣) فيه ، ويضع ،

اعيذها نظرات منك ثاقبة .. إن تحسب الشحم ثمين شحنه ورم « المتبني »

ولولئك المنتخون هم صنائع الشيطان . فالشيطان منذ أضحي في الملوك مذوما ، مدحورا يتبع الزفرات ، ويواصل النفح مستهدفا

### ١ — اطفاء نور الله

٢ — ملء تجاويف بعض جنوده بزفيره حتى يروا (بالبناء للمجهول) جساما مترهلين (أ) يغرون بمنظرهم (ب) وكى يستدوا مسد الطبل حين يبدو للشيطان أن يدق ، ويشير ، (ج) وحتى يغدو أنفواها للشيطان ، يفرغون ما اختزن (بالبناء للمجهول) في أجوفهم من ريح على مصادر نور الله ، وموارد دينه

(د) وهؤلاء — بحجمهم المنافق — لعبة الشيطان ، ومتعة رجليه ، يدحرجم بينهما ، ويقذف بهم نحو أهدافه التي منها ما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم : يشهدون ولا يستشهدون ويحلمون ولا يستحلفون ويختونون

(١) الكتناه بلوع الكنه . والكتنه جوهـ الشـيءـ ، ووقتهـ ، وغاـيـتهـ .

(٢) الخـواءـ الفـرـاغـ .

(٣) يـرـتفـعـ وـيـحـطـ

وبييض ، ويفرخ ، ويتحذه محط  
رحاله ومحتن آصاره ، وأغلاله .

والقرآن الكريم وهو يواجه الفزو  
الفكري المعتمد أساسا على الفراغ  
الفكري قام بعمليتين متراقبتين :

١ - بنزح ما تراكم في الاعماق من  
اباطيل أهل الكتاب

٢ - ويشغل ما كان أو ما نجم من  
فراغ ببدائل ذات شعاع يشفى ،  
ويضيء ، بدائل دسمة تفزو ،  
وتروى ، وتملا الفراغ .

### أمثلة هادية

١ - تحريرا من وطأة الفراغ بدأت  
سورة البقرة بالاشارة الى الكتاب  
بأداة توحى برفععة المنزلة « ذلك »  
ثم جاءت كلمة « الكتاب » محلاة  
بـ « آل » الموحية بالاستغرار ،  
والهيمنة ، والاستئثار — دون الكتب  
الأخرى المتداولة — بكل معطيات  
كلمة « كتاب » والأوصاف التي تبعث  
الموصوف « الكتاب » تؤكد هذه  
المعانى ، وتبيّن سر تميّزه عن كل  
الكتب المتداولة ، وهو انفراده بأنه  
« لا رب فيه » وبأن تذوقه التذوق  
الكامل حظ المؤمنين المتقيين « هدى  
للمتقيين »

وهذا الاسلوب — بكل جزيئاته  
الهادفة — فوق ما يحمل من هدایات ..

والفراغ متنفس المستعمررين ،  
ومجال الفزو الفكرى . والمولى الذى  
اصطفى آدم خليفة لم يكن ليتركه  
نهب هذا الفراغ البلوع . فلا عجب  
إذا سد الله الفراغ ، وحشا التجويف  
يعلم لا يعلم كنهه غير الله ( وعلم  
آدم الأسماء كلها ، ثم عرضهم على  
الملاك ، فقال انبثونى بأسماء هؤلاء  
انكتم صادقين قالوا سبحانك ،  
لا علم لنا الا ما علمتنا ، انك انت  
العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم  
بأسمائهم ، فلما أنبأهم بأسمائهم ،  
قال الم أقل لكم انى اعلم غيب  
السموات والارض وأعلم ما تبدون ،  
وما كنتم تكتمون ) البقرة .

الفراغ اذن متاهة مضلة ، ومطرح  
لشباك الفازين ، وهوة تحجب  
الاضواء ، وتخنق الانفاس .

والفراغ هو عين الجاهلية التى  
كان العرب يقايسونها قبل الاسلام .

وهذا الفراغ الذى ضاعف من  
وحشته عقدة الأمية التى أورثت  
العرب ما نسميه اليوم بمركب  
النقص . استغله اليهود اسوا  
استغلال فحشوه بالغث ، وهالوا  
عليه من قماماتهم ، واباطيلهم ما

المتأثر لبحرين فقدوا الهدى في يم  
متلاطم الأمواج .

سلسلة مثيرة كتلك الصلصلة التي  
كانت توأكب الوحي تنبئها ، وتهيئة  
نفس الرسول ، واستخلاصاً لوجданه  
من كل ما يشفل .

٢ - وفي طريق عمارة الفراغ  
العميق ينزع القرآن من التاريخ ،  
ومن تاريخ ما قبل التاريخ حتى تصح  
المعلومات وتتم دائرة المعرفة التي  
تحدد الموقف العلمي ، وتكون التربية  
التي تحضن جذور الشجرة الطيبة  
الوارفة الظلل . تعرض السورة  
قصة الحوار العلوى وتعكس أصوات  
الملا الأعلى ، وتبزر نشووز ابليس ،  
وفسقه عن أمر ربه كى نشكر ،  
ونقدر ، ونحذر من أن نتخد ابليس  
وذريته أولياء من دون الله . واقرأ  
في هذا من قوله سبحانه : ( واذ قال  
ربك للملائكة انى جاعل ۖ ۖ ۖ ) الى  
قوله تعالى : - ( قلنا اهبطوا منها  
جميعا ، فاما يأتينكم منى هدى فمن  
تبع هدای فلا خوف عليهم ولا هم  
يحزنون ) البقرة ٢٨ .

ومن هذا تلك النظارات السديدة  
في المجتمع ، وتلك الدراسة الثاقبة  
التي تقلب الناس ، وتبيّن أنماطهم ،  
ونفسياتهم واتجاهاتهم ( ومن الناس  
( ومن الناس ۖ ۖ ۖ ) ( ومن الناس ۖ ۖ ۖ )

فالناس هم رفقاء الطريق ، وأبطال  
مسرح الحياة ، والعملة الحيوية ،  
وسياسة الناس تبني على معرفة  
الناس فهم المحك . والمسلمون

والاشادة بالكتاب على هذا النحو  
تشد الانتباه ، وتشير الأذهان المتغيرة  
في فراغ الامية ، ومتاهات الجahليه .  
فما أشبهه هذا الاسلوب الوجيز  
البلغ بحب الانقاد تدليه الى مترد  
في بئر سحique ، ليحسس ، ويتعلق ،  
ويلتسم اسباب النجاۃ من الوھدة  
الخانقة ، فإذا ضمننا الى هذا ما  
تحده الأحرف المتقطعة ( أ ) ( م ) من اثاره  
وصلصلة زائدة ، علمنا مدى اهتمام  
القرآن بانتشار الھائمین في درب  
الفراغ .

وتبلغ عملية الانتشار مبلغها  
بآيتي التحدى ( وان كتم في ريب مما  
نزلنا على عبادنا فأتوا بسورة من مثله  
وادعوا شهادعكم من دون الله ان  
كتتم صادقين . فان لم تفعلوا ، ولن  
تفعلوا فانقووا النار التي وقودها  
الناس ، والحجارة أعدت للكافرين )

وعندئذ تشریب الأعناق ، وتنطليع  
الأئدیة ، وتعاد ( بالبناء للمجهول )  
الحسابات ، ويعظم الاحسان بوطأة  
الفراغ ، وضرورة التماس المخرج .  
والخرج يتمثل في هذا الجبل المدود  
في هذا الكتاب الذي يلوح كما تلوح

تستقيم المعلومات التاريخية سدا  
 ضد الأساطير والخرافات التي تتعق  
 في الفراغ نعيق البوم في الخربات  
 ( واذ قال موسى لقومه ..... )  
 البقرة ٥٤

( واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات ..... )  
 البقرة ١٢٤ ( الم تر الى الذين خرجوا  
 من ديارهم وهم الوف حذر الموت )  
 البقرة ( الم تر الى الملا من بني  
 اسرائيل من بعد موسى ) البقرة  
 ٥ — وامد سبحانه بشرائع قوية  
 تملأ الفراغ ، وتضبط الحياة ، وتشد  
 اواصر الاسرة ، وتحكم العلاقات  
 الاجتماعية بشرائع تناولت الاحوال  
 الشخصية من نكاح ، وطلاق ،  
 وارضاع ، ونفقة ... الخ ،  
 والأمراض الاجتماعية من خمر وميسر  
 وعدوان ... الخ ، والأحوال  
 الاقتصادية من ديون ، ورهن ، وزياء ،  
 وصدقات ، وزكاة .. الخ ، والعدل  
 النفسية من جزع ، وجبن ، ونهم ،  
 وأثرة ، وكمان للحق ... الخ ،  
 والحيل النفسية التي تدفع الى اعلاء  
 الصوت بالأمر ، والنهي دون أن  
 نتأمل ، وننتهي ( اثنرون الناس  
 بالبر ، وتنسون أنفسكم ..... )  
 الى غير ذلك من المعارف الدسمة  
 التي تستد الخصاصة ، وتملا خواء  
 العقيدة ، والفكر ، والوجودان .

بخاري أحمد عبده

أخرجوا للناس قاطبة . ودينهم يوفر  
 لهم دراسات شافية حتى لا ينشئوا  
 احتكاكهم ومعاملاتهم على فراغ .

٣ — وتبسيح السورة بالمؤمنين  
 سبحا طويلا عبر الكائنات ، والكون  
 تدريبا على النظر ، والاستقرار ،  
 والتحليل ، وتعميقا لروآفه اليمان ،  
 وطردا لما تكتس من اوهام ولدها  
 الفراغ الرهيب ( يأيها الناس أعبدوا  
 ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم  
 لعلكم تتقوون . الذي جعل لكم الارض  
 فرائسا ، والسماء بناء ، وأنزل من  
 السماء ماء فأنخرج به من الثمرات  
 رزقا لكم ، فلا تجعلوا لله اندادا ،  
 وإنتم تعلمون ) البقرة ٢٢ ( هو الذي  
 خلق لكم ما في الارض جميما ، ثم  
 استوى الى السماء فسوهاهن سبع  
 سموات ، وهو بكل شيء علیم )  
 البقرة ٢٩ ( ان في خلق السموات  
 والارض ، واختلاف الليل ، والنهر ،  
 والفالك التي تجري في البحر بما ينفع  
 الناس ، وما أنزل الله من السماء  
 من ماء فأنحيها به الارض بعد موتها ،  
 وبث فيها من كل دابة ، وتصريف  
 الرياح ، والسحب المسخر بين  
 السماء ، والارض لآيات لقوم  
 يعقلون ) البقرة ١٦٤

٤ — وتعرض السورة متأعرض من  
 تاريخ الامم وكماح المسلمين كى

# نفحات القرآن

## بِقَلْمِ بَخَارِيٍّ أَحْمَدْ عَبْدِهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُم الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقَوْنَ ۝ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخْرَى ۝ وَعَلَى الَّذِينَ يَطْبِقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامٌ مُسْكِنٌ فَمَنْ تَطْوعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ۝ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ شَهْرُ رَمَضَانُ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرآنُ هُدًى لِلنَّاسِ ۝ وَبِيَنَاتٍ مِنَ الْهُدَىِ ۝ وَالْفَرْقَانُ فَمَنْ شَهَدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ غَلِيْصَمِهِ ۝ وَمَنْ كَانَ مُرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخْرَى ۝ يَرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ ۝ وَلَا يَرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ۝ وَلَا تَكُمُوا الْعِدَةَ وَلَا تَكُرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ۝ وَلَعَلَّكُمْ تَشَكَّرُونَ ۝ »

### حس اليقين

وَمِنْ حَسِ الْيَقِينِ الَّذِي يُشَفِّعُ عَنِ النَّفْسِ مَكْلُومَةً انْطَلَقَ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَصِيحُ فِي بَنْيِهِ — وَقَدْ جَاءَهُ عَشَاءُ يَوْمَ الْيُكُونِ — ( بَلْ سَوْلَتْ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَمْرًا ، فَصَبَرْ جَمِيلًا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ) .

وَحِينَ تَكُرِّرُ الْمَأْسَاةُ أَسْعَفَهُ الْبَصِيرَةُ ، وَادْرَكَهُ حَسِ الْيَقِينُ ، وَكَانَ مَا حَكِيَ الْقُرآنُ ( بَلْ سَوْلَتْ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَمْرًا فَصَبَرْ جَمِيلًا ، عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ، أَنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ . وَتَولَّهُمْ ، وَقَاتَلَهُمْ يَا سَفَرًا عَلَى يُوسُفَ ، وَابْيَاضَتْ عَيْنَاهُ

وَقَفَنَا طَوِيلًا — وَسَنَقَ — نَتَشَمَّسُ عَبِيرَ الْحَرِيَّةِ الْمُتَهَادِيِّ حَوْلَ آيَاتِ الصِّيَامِ شَذِيَا سُخْيَا وَالْهَدَائِيَّاتِ التَّى تَصْدُرُهَا الْآيَاتُ غَزِيرَةً ، كَثِيرَةً . غَيْرَ أَنْ رَؤْيَا الْإِنْسَانَ تَدْ تَخْلُفُ مِنْ حَالَةِ الْحَالَةِ . وَالْآيَةُ مِنَ الْقُرآنِ تَنْتَفِعُ لَكَ وَفَقَ ظَرْوَفَكَ . تَرَى مِنْهَا فِي سَاعَاتِ الْعَسْرَةِ غَيْرَ مَا تَرَى فِي سَاعَاتِ الْيُسْرَةِ . وَتَنْشَدُ مِنْهَا فِي أَيَّامِ الْتَّحَارِيقِ غَيْرَ مَا تَنْشَدُ فِي أَيَّامِ الرَّخَاءِ .

وَالنَّفْسُ الْمَكْلُومَةُ قَدْ تَصْفُو ، وَتَرْقُ ، فَتَحْسُ — بَاذْنِ رَبِّهَا — حَسِ الْيَقِينِ .

من الحزن فهو كظيم ، قالوا تالله  
تفتاً تذكر يوسف حتى تكون حرضاً أو  
تكون من المالكين . قال إنما أشكوا  
بني ، وحزني إلى الله ، وأعلم من الله  
ما لا تعلمون . يا بنى  
اذهبا فتحسساً من يوسف ، واخيه  
ولا تيشوا من روح الله انه لا يئس  
من روح الله الا القوم الكافرون )

يوسف ٨٣ - ٨٧

ونحن بنفس نكتب في حريتها ،  
مكلومة ، نجوس خلال الآيات ننشد  
في رياضها أرواح الحرية ، وعيبر  
الجنة المفودة الذي يسرى خلال  
آيات تصدع هذه الأمة التي استمرات  
الرق برغم نداءات الحرية التي  
ترتفع من مآذن القرآن الكريم .

هذا الادراك الذي أسميناه حس  
اليقين يسمى أحياناً بالحساسة  
ال السادسة . ولعله الالمعية التي  
أشاد بها العرب ، وأجلوا أصحابها  
أيما اجلال . قال شاعرهم يرشى  
المعيار حل :-

### عمارة الفراغ أيضا

تبين لنا أن الفراغ الأجوف  
كالارض الموات ، تكون لم سبق ،  
وتثبت كل ما يذر فيها . بل  
كالحفرة التي تمتص كل ما ألقى فيها ،  
او سال نحوها من قدر ، او وحل ،  
او غير ذلك . ومن هنا كان اهتمام  
الاسلام بملء الفراغ الذي يتم جنباً  
إلى جنب مع عمليات اجتثاث  
الطفيليات ، ونزح المخلفات ، وتطهير  
القيعان .

وقد عشنا مع الهدىيات التي  
تواكب آيات الصيام وهي تجلو  
الأوعية ، وتخصب التربة حتى تغدو  
صالحة ، متقاعدة مع الحقائق  
القرآنية التي تخترق السحود ،  
وتنرج عن نزلاء سجون الفراغ .

أيتها العين أجملى جرعاً  
ان الذى تحذرين قد وقعا  
ان الذى جمع السماحة والنجدة  
والحزن ، والتقوى جمعاً  
الالهى الذى يطن بك الظن  
كان قد رأى ، وقد سمعاً  
أودى ، وما تنفع الشفاعة اذ  
أودى لمن قد يحاول البدعـا

ولعله فراسة المؤمن التي تعتمد  
على سداد البصر ، وجلاء البصيرة .

وقد حبا الله يعقوب عليه السلام  
بحظه من كل هذه المعانى التي جلتـها  
المصيبة ، حتى انه - بهذا الحس -  
يتشمـم - على بعد - ريح يوسف ،  
وفق ما جاء في القرآن الكريم (اذهبا  
بقميصـي هذا فالقوه على وجه ابى يأتـ  
بصيرا ، واثتوـنى بأهلكم اجمعـين .

الذين يكمنون بالويل ، والثبور ( ان الذين يكمنون ما أنزلنا من البيانات ، والهدي ، من بعد ما بناء للناس في الكتاب ، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون . الا الذين تابوا وأصلحوا ، وبينوا ، فأولئك أتوب عليهم وانا التواب الرحيم )

البقرة ١٥٩

ولخطورة امر الكتمان ، ووخامة عاقبته في الدنيا ، والآخرة شدد القرآن النكير على الكاتمين في آيات مختلفة تحتم جميعها متضامنة بث العلوم ، ونشر المعارف ، وتجسم مسؤولية الكاتمين طمما في متابل مادي أو معنوي .

١ - نعى (٢) القرآن على الكاتمين كتمانهم ما شهدوا من حق أو علم فقال :- ( فلا تلبسو الحق بالباطل ، وتكموا الحق وانتقم تعلمون ) البقرة . وقال ( ولا تكموا الشهادة ومن يكتمه فانه آثم قبله . . . ) البقرة ١٨٣ -

٢ - ذكر ان البيان عهد الله الموثق على الاولين ، والآخرين ( واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ، ولا تكتمونه ، فنبذوه وراء ظهورهم ، واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون ) آل عمران .

وظنى أن القرآن وهو يصدع الجاهلين بمثل قوله ( ان عندكم من سلطان بهذا ، اتقولون على الله ما لا تعلمون ) يونس ٦٨ ( . . . فلم تجاجون فيما ليس لكم به علم . . . ) آل عمرآن ٦٦ ( . . . هل عندكم من علم فتخرجوه لنا . . . ) الانعام ١٤٨ ( . . . نبئوني بعلم . . . ) الانعام ١٤٣ ( مالهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون ) الزخرف . وبمثل قوله : ( ام لكم كتاب فيه تدرسون ) القلم .

بل ظنى أن القرآن بكل آياته التي فيها من مادة ( ع ل م ) او من مادة ( ك ت ب ) انما كان يشجب الفراغ ، ويتحقق (١) صنيع الذين يتطلقون من فراغ ، ويحدوهم الى الموازنة الصحيحة بين الفارغ والمليء ، بين الجاهلية والاسلام .

وواكبنا آيات تملا خواء العقيدة ، وخواء الوجدان وخواب القيم ، وخواء الفكر . . . وآيات تربى بالتشريع الذي يغطي كل جوانب حياة المسلم (٢) حتى لا يكون فيها انكشاف ، او انفتاح يفرى الهوام المتلخصة .

وشعار الاسلام ( بلغوا عنى ، فرب مبلغ أوعى من سامع ، ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه ) والاسلام - لهذا . . . يأمر باشاعة البيانات ، والهدي ، ويتهجد

(١) يبعد

(٢) حياة المسلم حياة موصولة تمتد حتى الصراط المستقيم

(٣) شهر بهم تشهيرا واظهر عيوبهم .

على آثارهم يهرون) الصافات ٦٨ —  
٧٠

والقرآن — بغية تحطيم هذه الأغلال — يحرك فيهم قوى الارادك والفكر بأسلوب حكيم ينطوى على سخرية لاذعة تحمل على النظر ، والتفكير ( و اذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله ، والى الرسول ، قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آبائنا ، اولوا كان آباءهم لا يعلمون شيئاً ، ولا يهتدون ) المائدة ١٠٤

وسورتنا — البقرة — التي تهتم بتأصيل جذور الحرية ، واشاعة نورها في مجتمعات المسلمين ، لم تفل هذا الجانب ، بل واصلت الطرق على هذا النير حتى يفتق ، ويسقط . تقرأ هذا في الآيات التي تعرض مشاهد المتبوعين ، والأتباع وهم يحتاجون في النار ( اذ ترأوا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ، ورأوا العذاب وقطعت بهم الأسباب . وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرمة فنتبرأ منهم كما ترأوا منا . كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم ، وما هم بخارجين من النار ) البقرة ١٦٥ — ١٦٧

وفي الآية التي تعجب ( بضم التاء وتشديد الجيم المكسورة ) من يهرون أنعاما خلف أنعام ملفين كل القوى المدركة التي أنعم المولى عليهم بها ( و اذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله

٣ — واظهارا لشناعة الأمر  
أخرجه الله في صورة مجسمة ( ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلاً أولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار ) البقرة ١٧٤

والهدف أن ينتشر النور ، ويتدفق ليملأ كل فراغ ، ويسد كل خصاصة

### جمود التقليد

التقليد يشي بالفراغ ، ويورث الجمود . والجمود صمم ، وعمى، وشلل . والاسلام كما يقاسي من الجاحد يقاسي كذلك من الجامد . والقرآن يهتم بأن يحررك حتى يحررك ، وكل تلك الامواه (١) النقية الغنية التي يملأ بها القرآن الفراغ، تجرف — فيما تجرف — التقليد الأعمى ورواسبه ، وخبثه . وكسرأ لحواجز التقليد نعى القرآن كثيرا على المقلدين ، وأنكر مواقفهم ، ورفض منظتهم القائم على : (انا وجدنا آبائنا على امة ، وانا على آثارهم مقتدون ) ( وجدنا آبائنا لها عابدين ) ( وجدنا آبائنا كذلك يفعلون) وتلقى تراث الآباء بالتقديس بلا نظر ولا أعمال فكر بهمية لا تلبي بالانسان الحر ، فلا عجب اذا حشر المقلدون مع سائر الفئات التي انحطت الى درك الانعام ( ثم ان مرجعهم لالى الجحيم . انهم الفوا آباءهم ضالين . فهم

(١) المياد

يُكفر بالرَّحْمَن لِبِيوتِهِ سقفاً مِنْ فَضْةٍ ،  
وَمَعَارِجٌ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ . وَلِبِيوتِهِمْ  
أَبْوَابًا وَسُرُراً عَلَيْهَا يَتَكَبَّونَ . وَزَخْرَفَهَا  
وَانْ كُلَّ ذَلِكَ لِمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ،  
وَالْآخِرَةِ عِنْدِ رَبِّكَ لِلْمُتَقِّينَ ) الزُّخْرَفَ .

قالوا بل نُشَبِّعُ مَا فَيْنَا عَلَيْهِ آبَاعَا ،  
أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَمْقُولُونَ شَيْئاً ،  
وَلَا يَهْتَدُونَ . وَمِثْلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمِثْلِ  
الَّذِي يَنْعَقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً ،  
وَنَدَاءً ، صَمْ ، بَكْمَ ، عَمَى ، فَهُمْ لَا  
يَعْقُلُونَ ) ١٧١ - ١٧٢ البقرة

طُرْقَاتٍ ، بل طَلَقاتٍ تُصِيبُ عِرَاءَ  
الْأَغْلَالِ الَّتِي كَانَتْ تَكْلِهِمْ فَتَمْعُقُ  
نَوْهُمْ ، وَتُحرِّرُهُمْ ، وَتَطَوْرُهُمْ .  
فَإِذَا انْحلَّتْ عِرَاءَ هَذِهِ الْأَسْفَادِ وَسَقَطَتْ  
عَرْوَةَ مِنْ بَعْدِ عَرْوَةِ تَخْفُّفِ الْمُسْلِمِ ،  
وَانْتَصَبَ عَمَلَاقًا ، وَتَحْرَكَ وَقَدْ وَضَعَ  
آصَارَ الشَّهْوَةِ ، وَالْمَادَةِ ، وَتَخلَّصَ  
مِنْ ضَفْوَطِ التَّقْلِيدِ ، وَالتَّقَلِيدِ .

وَالْإِسْلَامُ بِكُلِّ تَعَالِيمِهِ يُخْلِقُ الرُّوحَ  
الْإِسْتِقلَالِيَّةَ فِي الْمُسْلِمِ ( لَا تَكُونُوا  
أَمْعَةً ، تَقُولُونَ : إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ  
أَحْسَنَا ، وَانْ ظَلَمُوا ظَلَمَنَا ، وَلَكِنْ  
وَطَنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ أَنْ  
تَحْسِنُوا ، وَانْ أَسَاعُوا فَلَا تَظْلَمُوا ) ( ١ )  
وَهَذِهِ الرُّوحُ الْإِسْتِقلَالِيَّةُ الَّتِي يَذَكِّرُها  
الْإِسْلَامُ هِيَ بَدَائِيَّةُ فَكَ الْإِرْتِبَاطِ بَيْنَ  
مَنْهُجِي الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ .

### غزو الألباب

وَالْقُرْآنُ - وَهُوَ يُزِيلُ الْأَغْشِيَّةَ ،  
وَيُمْزِقُ الشَّبَاكَ ، وَيُحرِّرُ الْأَغْرَارَ  
الْمَكْلِينَ - اهْتَمَ اهْتَمَامًا بِالْغَايَاتِ بِحَمْلَاتِ  
الْغَزوِ الْفَكْرِيِّ ، وَعَمِلَ عَلَى تَنْقِيةِ

بَلْ يَتَجاوزُ الْقُرْآنَ قَضِيَّةَ التَّقْلِيدِ  
إِلَى التَّقَلِيدِ الْمُسَوْرَةِ الْبَالِيَّةِ الَّتِي  
يَتَحَلَّمُونَ إِلَيْهَا ، وَيَقْدِرُونَ بِهَا وَالَّتِي  
تَجْلِي فِي قَالَةِ الْمَلَأِ مِنْ يَنْبَىِ  
إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ : ( وَقَالَ  
لَهُمْ نَبِيُّهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالِوتَ  
مَلِكًا ، قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمَلِكُ عَلَيْنَا ،  
وَنَحْنُ أَحْقَىٰ بِالْمَلِكِ مِنْهُ ، وَلَمْ يَؤْتِ سَعْةَ  
مِنِ الْمَالِ . قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ  
عَلَيْكُمْ ، وَزَادَهُ بِسْطَةً فِي الْعِلْمِ ،  
وَالْجَسْمِ ، وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكَهُ مِنْ يَشَاءُ ،  
وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِ ) البقرة

وَهَذِهِ النَّظِيرَةُ التَّقْلِيدِيَّةُ اِنْتَقَلَتْ  
( بِالْمَعْدُوِيِّ ) مِنْ يَهُودَةِ الْعَرَبِ  
فَقَالُوا : - ( لَوْلَا نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنَ  
عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرِيْتَيْنِ عَظِيمٍ . أَهُلَّ  
يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ ، نَحْنُ قَسْنَا  
بَيْنَهُمْ مَعِيشَتِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ،  
وَرَفَعُنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضِ درَجَاتِ  
لِيَتَخَذُ بَعْضَهُمْ بَعْضًا سَخْرِيَاً ، وَرَحْمَةَ  
رَبِّ خَيْرِ مَا يَجْمِعُونَ . وَلَوْلَا أَنْ  
يَكُونَ النَّاسُ أَمَةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِنَ

( ١ ) روى عن ابن مسعود موقعاً . ورواه الترمذى عن حذيفة بأسناد فيه ضعف .

فتكوننا من الطالين . فوسوس لها  
الشيطان ليدي لها ما يورى عنهم من  
سوءاتهما ، وقال ما نهاكم ربكما من  
هذه الشجرة الا ان تكونا ملkin ، او  
تكونا من الخالدين . وقلسمهما انى  
لکما لکن الناصحين . فدلاهم بغرور ،  
ناما ذاتنا الشجرة بدلت لها سوءاتهما  
وطفتا يخصفان عليهم من ورق الجنة ،  
وناداهما ربهم ، الم أنهكم عن تلکما  
الشجرة وأقل لکما ان الشيطان لکما  
عدو مبين ... الخ ) الاعراف ١٩ -

٠٢٧

وتردید هذه القصة ، وتكررها في  
مواطن عدة ، بأساليب متكاملة يدل  
على شدة اهتمام الاسلام بالغزو  
الفكري الخفي . وانتقاء هذا الغزو ،  
وابتفاء ان يطيش سهم الشيطان ،  
ذكر القرآن امر الشيطان ، وكیده ،  
وعدواته ، ووسوسنته ، وتغیريره ،  
وتزيينه ، وعدد امکاناته مرات ،  
ومرات .

والشيطان لا يلعب هذه اللعبة  
وحده ، بل ينطلق ومعه اولياوه ،  
وجنوده ( ويوم يحشرهم جميعا يامعشر  
الجن قد استكترتم من الانس ، وقال  
اولياوه من الانس ربنا استمتعبعضنا  
بي بعض ، وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا .  
الخ الانعام ١٢٨ .

الالباب (١) مما غشيها ، أو تراكم  
فيها من سموم الانفاسى ، وقىء  
الشياطين . ولا نزاع في ان الاجواف  
المفعمة بقىء الشياطين مرتع خصب  
للأفاسى ، ومسرح جيد لسمومها .

والشيطان — من اجل هذا —  
النکرى الذى يوجه لاجتياح نور الحق  
واحتلال القواعد التي يمكن ان يحط  
 فوقها الحق . او — على الأقل —  
لاطفاء ما تيسر من اصواته ، ومزاحمه  
في قواعده .

والشيطان من اجل هذا —  
يفرغ تقریفا ، ويحوف تجويها ، ويغير  
المفاهيم ، ويزيف تربیها . وهو الذى  
يسدل استار الففلة ، ويجد کي يلهمي ،  
ويensi ، ويبلى العزيمة ( ولقد عهدنا  
إلى آدم من قبل ، فنسى ، ولم نجد  
له عزما ) طه .

ولقد مارس الشيطان هذه اللعبة —  
اول ما مارس — مع آدم ، وحواء .  
وسوس لهما ، وقلسمهما ودلاهما  
بغرور ، ومناهما ، واطمعهما في  
الملکية ، والخلود ، ولم يزل بهما حتى  
ازلهم ، وبدلت لهما سوءاتهما وفق  
ما جاء في آيات جمة ( ويا آدم اسكن  
انت وزوجك الجنة ، فكلا من حيث  
شئتما ، ولا تقربا هذه الشجرة ،

ويكشف سبحانه الدوافع المحركة  
وراء نزعة العداون على محتوى الفكر  
( ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم  
من بعد إيمانكم كفارة حسدا من عند  
أنفسهم ، من بعد ما تبين لهم الحق ..  
الآلية ) البقرة ١٠٩

ويزدرى القرآن الكريم دعاواهم  
ويتبذلها نبذا بلا نقاش احياء بتفاهتها  
وسقوطها ( وقالوا لن يدخل الجنة إلا  
من كان هودا ، أو نصاري ، تلك  
آمناهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم  
صادقين . بلى من أسلم وجهه  
لله وهو محسن فله أجره عند ربها ،  
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ) .  
البقرة ١١٢ - ١١١

وارادة التعنيف حتى نبتلى بالتحبظ ،  
ونصاب بالخبال تعيناها حين تتذرر الآية  
الكريمة التي تكاد تكون نصا في  
محاولات الغزو الفكري ( يأيها الذين  
آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم ، لا  
يألونكم خبلا ، ودوا ما عنتم ، قد  
بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي  
صدرهم أكبر ) ١١٨ آل عمران ( ١ )

بخاري أحمد عبد

وأولياء الشيطان يردعونه ،  
ويصدون مسدده حين يسلسل في  
رمضان ( وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا  
شياطين الانس ، والجن ، يوحى  
بعضهم إلى بعض زخرف القول  
غرورا ... الآية ) الأنعام ١١٢

والحلفاء من شياطين الانس ،  
والجن يهتمون - بالدرجة الأولى -  
بالغزو الفكرى ، وما يتطلب من تعنيف ،  
وتخييل ، وتمويه ، وتغريب ، وتزييف  
حتى يسود الباطل ، أو على الأقل  
يلتبس الحق بالباطل .

وأهل الكتاب - بما حرفوا ، وبدلوا  
وابتدعوا ، وزيفوا - هم عادة  
الشيطان ، وأذرعه اليسرى ( ١ ) في هذا  
المجال الوبيء . والمولى جل وعلا  
يحذر من تحالف القوتين ضد محتوى  
ال الفكر المسلم ( ولن ترضى عنك اليهود ،  
ولا النصارى حتى تتبع ملتهم . قل إن  
هدي الله هو الهدى ، ولئن اتبعت  
أهواههم بعد الذي جاءك من العلم ،  
مالك من الله من ولى ، ولا نصير )  
البقرة ١٢٠ ، والذي جاء من العلم  
حرى أن يملا الفراغ ، ويوقف مدد  
الأهواه ، والاغواء .

( ١ ) ظنني أن الشيطان كلتا يديه شمال

( ٢ ) لنا أن شاء الله وقفه مع هذه الآية - ومع الغزو الفكرى ولكن في  
مقام آخر .

# نفحات القرآن

## بفضل الله تعالى بتحفه بمنارى الحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

« يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ٠ أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام آخر ، وعلى الذين يطريقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له ، وأن تصوموا خيراً لكم أن كنتم تعلمون ٠ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس ، وبيانات من المهدى ، والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضاً ، أو على سفر ، فعدة من أيام آخر ، يزيد الله بكم اليسر ، ولا يزيد بكم العسر ، ولتكملوا العدة ولتکبروا الله على ما هداكم ، ولعلكم تشکرون ٠ »

### عود إلى بدء

الكاميرا ، وتبارك الأنفس حتى تحدد الوجهة ، وتسلم الوجه المبارك إلى الله وحده . فلا تستفزها رقى (بضم الراء وفتح القاف) . جمع رقة بضم الراء واسكان القاف) الشيطان . ولا يستثار بها تراث الآباء ، أو تقليد البيئة ( وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله تعالى بل تتبع ما وجدهما عليه آباءنا ، ألو كأن الشيطان يدعوهم إلى عذاب الت夥ير . ومن يسلم وجهه إلى الله ، وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى ، والى الله عاقبة الأمور ) لقمان .

في رحلتنا البصيرة مع نفحات آيات الصيام راعتني « مفاعلات التحرير تشع خلال الآيات ، تبطل رق الموى ، وتنقض أحابيل الشيطان ، ثم تنقض (فتح القاف ، وتشديد الضاد) على مرباض الباطل تدمغ الفري (بكسر الفاء وفتح الراء جمع فرية) وتوهي العرا (جمع عروة) وترد كيد الكاذبين ..

ومفاعلات التحرير التي تنعش خلال الآيات تعمق الرقلب العائنة (الأسيرة) وتحرك قوى الإيمان

ولله ابتهل امتنا بنو الحس  
الصقيق المتبلد الذي يورث الجمود ،  
ويذر بالعنة ، والعمه .

وعلى هدى تلك الماعلات أبصرنا  
النعمة الزيت تعطير منتشر بالخفاء  
المأكرين ، وتنضح تدابير البحرين  
المتربيسين ،

والعمه تعنى به عمى الفؤاد

( أعلم يسروا في الأرض متكون لهم  
قلوب يعقلون بها ، أو آذان يسمعون  
بها ، فانها لا تعمي الأ بصار ، ولكن  
تعمي القلوب التي في الصدور ) الحج

وهو — بهذا المفهوم — دليل  
تخلى الولى عن العامهين ، وأنه  
سبحانه وكلهم الى النعيم الساقطة  
المتهالكة على الشعاب المنحرفة  
المضلة ( ... فنذر الذين لا يرجون  
لقاءنا في طغيانهم بعهمون ) يوئس .

ومهوى العمه مشحون بالعنف ، متربع بأجواء الفغلة ، منذر بالأخذ الوشيك ( لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون ، فأخذتهم الصيحة مشرقين . فجعلنا عاليها سانلها ، وامطربنا عليهم حجارة من سجيل . ان في ذلك لآيات للمتوسمين ) الحجر .

والعته نعنى به الفلة التي تسلب  
الى السكرة والى تعطل او تسليط  
قوى الحواس ، والادراك فيمسى  
الغافلون انعاما بل اضل ( ولقد ذرأنه  
لجهنم كثيرا من الجن ، والانس )

وفي رحلتنا — تلك — وأكبنا —  
بعقيدة ملولة ، وقتل مؤمن —  
أرواح الحرية ترفرف عبر كل الهدىيات  
القرآنية ، وتستنقذ من ظلمة الطين ،  
وأسر المحسوس ، ومن ذل الانداد  
المدافعة المتشاكسة التي لا تنتأ  
تغز ، وتغزى الانسان حتى يذل ،  
ويتحنى ، ثم يمضى مكبا على وجهه  
حشو أديمه ترهات ، وخدع تفاعل  
مع مركب النقص الذى أحكم عدته  
ذل السنين . يمضى ينبعق نعيق  
البهم ، وينب ثبيب التيوس ، ويهر  
هربير الكلاب .

ورأينا أمة احتواها الفراغ فغدت  
تختنق ، وتختبط صناء ، عمياً ،  
نهب حيلات غزو شكري وغير نكري .  
والقرآن يتداركهم فيوسع الخناق ،  
ويملأ الفراغ ، ويطلق من حقه قذائف  
تهشم الأغلال فتتك الرقاب .

وارواح الحرية الخفافرة لا يطمعها  
ولا يجد شذاها الا من رهفت مشاعره  
وسلمت له حواسه فغدت  
 تستقبل وترسل ما تستقبل تغدو به  
 كل قوى الادراك التي تنشط كى تعنى،  
 وتنثار، وتمثل، وتخزن.

اما المبتلون ذوو الحواس المتبلدة  
فأئن لهم ان يحسوا ؟

لهم قلوب لا يفهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالانعام بل هم أضل ، أولئك هم الفائلون ) الأعراف .

وأولئك ، وهؤلاء استبانة سبيلهم وتحدد مصيرهم ، فلا ينبغي ان يدعوا ( بالبناء للمجهول ) لريادة او يمكنوا من قيادة ، او يتركوا في موقع تأثير ( ولا تطبع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا ، واتبع هواه ، وكان أمره فرطا ) الكهف .

وأولئك وهؤلاء منهم الجاحدون المخلدون الى الارض .. المتشدقون بالمالانية ، والعلمانية .. المتذلون دين الله هزوا ، ولعبا .. المحتذلون حذو النعل النعل — خطأ الكافرين الموثورين شبرا بشبر ، وذراعا بذراع .

وتتنفيذ امر القطعية ، والمفاصلة حسبما ورد في آية المائدة جهاد . ولكن جهاد المستضعفين المتبسين حالة من حالات الضعف .

واستطرد (1) فاقول :- ان القوى المناوئة للإسلام تعتبرها في مواجهتها للمسلمين حالات :

١ - حالة الهيبة البالغة ( لأنتم اشد رهبة في صدورهم من الله )  
الحضر . وفيها يحذرون ان تبدرون منهم بادرة تشى بما في قلوبهم . فلا عجب اذا اتخذوا اللسان غطاء لما يعتمل في الجنان فاثنوا ، وهنثوا ، ونمقو الكلام وداهنو وأبدوا المودة ، وتشدقوا ، واعتذروا عن مواقف الشبهات ، وبرروا ... الخ . ولعل هذا ايهاء قول الله ( .... يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم .... )  
الفتح . ( كيف وان يظهروا عليكم لا تربووا فيكم الا ، ولا نمة ، يرضونكم

والكافرون الموثورون نهينا عن ان تتخذهم اولياء ، او ولية ، او بطانة ( يابها الذين آمنوا لا تخذوا الذين اخذوا دينكم هزوا ، ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ، والكفار اولياء ، واتقوا الله ان كتم مؤمنين ) المساعدة .

وهذه الآية التي تحرم الموالة ، وتترجم ( بضم الناء وفتح الجيم ، وكسر الراء المشددة ) الموالين دون ان تتعرض الى اكثر من هذا ..

(1) املى هذا الاستطراد غريبة الاسلام ، ومحنة المسلمين .

والغبيغان ، والبغوض فهو مساريف  
العidan ، ومكان الحشرات .

والمسلم في النبي حالاته ؟ يبني  
ان يحيط عن المستوى الذي يمكنه فيه  
أن يتخذ القرار ويصدّم ، أما أن يحشر  
إلى الله هشيمًا تذروه الرياح بذلك  
هو الخبران المبين .

ماذا كان ذلك هو موقف الإسلام  
من اتخاذ آيات الله هزوا من غير  
المسلمين ، فماذا عسى أن يكون  
موقفه من مسلمين يتطاولون على  
الشريعة ، ويستهزئون بأحكامها ،  
ويرتضون أن يصفعوا — بالسنتهم  
وأقلامهم ، وكل أمكناتهم — سهاماً  
في جعبه الشيطان ، ونصالاً في كفاهة  
الاعداء ؟

إن المسلم الذي من الإيمان  
شفاف قلبه يحكم — للتو — على  
 أصحاب مثل تلك الأقلام بالردة ،  
والمزوق ، ثم يكر عليهم بالوعظ  
الشلف ، والقول البليغ ، والأعراض  
الناجر الاليم اعمالاً لقول الله (أولئك  
الذين يعلم الله ما في قلوبهم ، فاعرض  
عنهم ، وعظهم وقل لهم في انفسهم  
قولاً بليغاً ) النساء ٦٣ . ذلك هو  
المباح في ظروفه غيبة الشريعة ،  
وانتشار مد الطاغوت ( الم تر إلى  
الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل  
البik وما أنزل من قبلك يريدون أن  
يتحكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن  
يكرروا به ) النساء ٦٠

يكتوا بهم ، وظبي قلوبهم ) الغيبة ٤  
( لأنتم أشد رهبة في صدورهم من  
الله ) الحضر .

٢ — حالة الفرحة الأمينة . وهذه  
تلمسها وأنت تقرأ قوله سبحانه  
( وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ،  
وإذا خلوا إلى شياطينهم قاتلوا ، أنا  
معكم إنما نحن مستهزئون ) البقرة .  
وقوله سبحانه ( وإذا لقوا الذين  
آمنوا قالوا آمنا ، وإذا خلا بعضهم  
إلى بعض قاتلوا اتحذثرون بما  
فتح الله عليكم ليحاجوك به عند  
ربكم أولاً تعقولون ) البقرة .

٣ — حالة انتشار القيمة وأفلات  
اللسان ( ... فإذا جاء الخوف رأيتم  
ينظرون إليك تدور أعينهم كالذى  
يقطن علىه من الموت ، فإذا ذهب  
الخوف سطعوك بالسنة حداد اشحة  
على الخير ) الأحزاب

٤ — حالة الظهور والتمن . فلا  
مودة ، ولا مجللة ، ولا مبالغة  
بل عوران واسنانة ، وطمأن ( إن  
يتفقونكم يكونوا لكم أعداء ، ويسقطوا  
عليكم أديهم ، والستهم بالسوء )  
المتحنة .

و واضح أن كل حالة من هذه  
الحالات رد فعل بلغ ينم عن مكانة  
المسلمين ومستواهم العسكري .  
والمستوى الذي يرضى الله هو مستوى  
الظهور والتمن ، مستوى القيمة ،  
والثرا . <sup>الـ</sup> مستوى الحضر ،

عن مجالة العالم ، وملحنة الركب ،  
ومن ادراله سفن المولى في الكون ،  
وعن استثمار نعيم الله المنشئ في  
تضاعيف الوجود .

والجامدون قد ينطون على خيره  
ولكتهم في مسيس الحاجة الى يد  
آسية تقع في تلك الغير المنفذ ، وتجلو  
ما انعد حوله او نوقه من قتام ،  
وغمام ، وعل نفسيه جلية ، وخنيه ،  
تفقد التوازن ، وتغري بعشق الذات ،  
والتحور — بلا فقه — حول ما  
عرفوا ، وألفوا .

نعم هم في مسيس الحاجة الى  
قيادة رشيدة تجمع بين خصائص  
أمام الدعوة ، وامام السياسة  
والدولة .

ولكن لم هذا اللف ، والفسر ،  
والحديث ذو الشجون عن الجمود ،  
والجامدين ؟

ثم ما علاقة هذا الحديث الساخن  
بالفحات ، وآيات الصيام ؟ اهنى  
الملاسة الوثيقة التي بين الجمود ،  
والقيود ، وبين التطور ، والتحرر ؟

قد يكون ادراك تلك العلاقة  
حافظا من الحوانز . ولكن الذي  
اهمنى أمر وراء هذا . أمر محصور  
رمضان ، والعيد ، وزيفة الحكماء ،  
فالى لقاء قريب والله المستعان .  
بخاري أحمد عبده

ومن أولئك ، ومؤلاء جامدون  
يشتملون بمعلوماتهم اشتتمل الصماء  
والاسلام مع طلة تعاليمه مرن ،  
فضاض فسع بمحبوحته الاولين ،  
والآخرين . هؤلاء تمرق بهم الأيام  
فلا ينتبهون وتغري امتهن الاحداث  
ولا ينتفعون ، وتدحر جهوم الاقدام  
فلا يتأوهون ، تحسبهم — حين تنعم  
فيهم النظر — ايقاظا وهم رقود ،  
وتظنبهم — بجامع السنمت والهيئة —  
وحدة متعاطفة . والحق انهم صورة  
ناطقة لنقول الحق جل وعلا « بأسمهم  
يعفهم شديد ، تحسبيهم جميعا وقلوبهم  
شئى ... » فائهم فهم مقتضى الحال ،  
وادراك عامل الزمن وعامل المكان .

وهوؤلاء افرزعنهم فرقعة السياط ،  
وحشرتهم صيحات الزجر ، ودفعات  
الركل حتى انزواوا وتقوّموا في  
محارات ضيقة ظنواها كل الدين .  
والذين ارحب ، وارغد ، وارفع مما  
برروا ، وخالوا

ـ هؤلاء الجامدون — ايضا — آفتهم  
تبلاج الحس .

والبلاد كما تناهى مما ران على  
القلب من شر .. تتولد كذلك من  
طول المعاناة او من عضة اليأس ،  
او من غمرة الحيرة ، او من استحال  
عقدة النقص او .. او .. وحينئذ  
تركد العقول ، ويجمد الفكر ، ويتسننه  
ويأسن ، فيعجز المصابون بهذا الداء

# فَاتِحَةُ الْقُرْآنِ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتُبُ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتُبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقَوْنَ ۝ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُوْيِضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخْرَى ۝ وَعَلَى الَّذِينَ يَطْبِقُونَهُ فَدِيَةٌ طَعَامٌ مُسْكِنٌ فَمَنْ تَطْوِعْ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ۝ وَأَنْ تَجْعِيْهُ مُوْلَاهُ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًىٰ لِلنَّاسِ ۝ وَبِيَنَاتٍ مِنَ الْهُدَىٰ ۝ وَالْفِرْقَانِ ۝ فَوْنَ شَهَدَ مِنْكُمُ الشَّهْرُ فَلِيَصُمِّمَهُ ۝ وَمَنْ كَانَ مُرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخْرَى ۝ يَرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ ۝ وَلَا يَرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ۝ وَلَتَكُمُوا الْعِدَةُ وَلَتَكْبُرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَكُمْ ۝ وَلَعَلَّكُمْ تَشَكَّرُونَ ۝ »

دِينُ الْيُسْرَ

يَقْفَ الْمُؤْمِنُ خَائِسًا أَمَّا مَنْ تَفَمَّرَ الْبَرِّيَّةَ ، قَاصِيَّهَا ، وَدَانِيَّهَا ،  
يَهْيَجَانِهَا « يَرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ ۝ يَتَقْيِيَا وَعَاصِيَهَا ۝ ( لَيْسَ أَحَدٌ أَصْبَرَ  
وَلَا يَرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ۝ ) وَيَسْتَحْضُرُ عَلَىٰ أَذْى سَمْعِهِ مِنَ اللَّهِ ، إِنَّهُمْ  
وَهُوَ يَتَمَّنُ كُلَّ صَفَاتِ الْجَمَالِ لِيَدْعُونَ لَهُ وَلَدًا ، وَإِنَّهُ لِيَعْلَمُهُمْ ،  
الَّتِي نَعْتَرَ ( بِالْبَنَاءِ لِلْمَجْهُولِ ) بِهَا زَبَ وَيَرْزُقُهُمْ ( الْبَخَارِيَ ۝ . . . وَلَوْ يَعْلَمَ  
الْعَالَمُينَ ۝ ، مَنْ حَلَّ ، وَرَحْمَةً ،  
وَسَلَامً ، وَوَدً ، وَغَرَانً ، وَرَأْفَةً  
مِنْ جَنْتَهُ أَحَدٌ ) مُتَفَقٌ عَلَيْهِ . . . . .

وَمُثِلَّ هَذِهِ الْوَقْفَةِ الْخَائِسَةِ حَرِيَّةٌ  
أَنْ تَتَدَاعَى لَهَا الْآيَاتُ ، وَتَتَنَادَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .  
الْأَحْسَادِيَّةُ الَّتِي تَعْمَقُ الْأَحْسَادَ لِمَا يَفْقَدُ عَاشَ يَتَطَلَّعُ إِلَيْهَا ، وَيَسْتَمْرِرُ هُنَّا  
بِالْيُسْرَ ، وَالرَّفْقِ ، وَسَائِرِ الْأَطْافِلِ وَيَشْكُرُهَا وَيَهْدِيَ الْمُسْلِمِينَ إِلَيْهَا . . .

صحيحة المعرفة النفسية وضيق الصدر .  
كان يغشاها وهو يجلس ربه الضحوة واللهم اجعلني في ما  
رواه ابن أبي بردة قال : - بعث  
النبي صلى الله عليه وسلم أبا موسى ،  
ومعاذًا إلى التيم نقال : - يسرا ،  
ولاتعسرًا ويشروا ولا تنفرا ، وتطاوعاً ،  
ولا تختلفا ) متفق عليه . وليس معنى  
هذا أن نعدل ، ونغير في الحقائق  
ولكن المعنى أن نوغل برقق ، وأن  
نرعنى عند التطبيق حسن المدخل ،  
وننشد روح الإسلام حين يغزى  
عطاء النص .

ومبدأ التيسير المطلق الذي يسود  
آفاق الإسلام فوق أنه يوفر المناخ  
الصحي السلس الذي يطلق الطاقات  
يفسح - كذلك - مجالات الحرية ،  
ويطلق اعنتها ( يكسر العين وتشديد  
اللون المفتوحة . جمع عنان ) ذلك  
لأن التعسیر تعتمد ، وتقيد ، وحد  
لفاعلية المعنويات التي تحفز للطموح ،  
وتغري بالنهوض .

والإسلام - حدا من أوزار المعركة  
والتعسیر - يكفل للمسلم كل الأجراء  
النقية التي تشرح الصدور ، وتتوفر  
الصحة النفسية . والصحة النفسية  
هي طيب النفس . وطيب النفس  
النعم وانتشار الصدر ، وانفكاكه عن  
الأوزار التي تشد إلى أسفل ، وتصد  
عن السبيل ، أول بواعث الوثوب  
وبسائر النجاح ( ألم شرح الله  
صرره للإسلام فهو على نور من ربه  
فويل للناسية قلوبهم من ذكر الله )  
أولئك في ضلال مبين ) الزمر .

والله - عليه السلام والسلام -  
كن بعمي نوراً وهر بمن ربه الضحوة واللهم اجعلني في  
وفي بعمي نوراً وفي سمعي نوراً ،  
وعن يمفي نوراً ، وعن يسارى  
نوراً ، وفوقى نوراً ، وتحتى نوراً ،  
وامامى نوراً ، وخلفى نوراً ، واجعل  
لى نوراً ) رواه الحمسة .

ظليس الطف ، ولا ارق واصفى من  
الأنوار الربانية ( الله نور السموات ،  
والارض ، مثل نوره كمشكاة فيها  
مصباح . المصباح في زجاجة .  
الزجاجة كأنها كوكب درى ، يوقد من  
شجرة مباركة زيتونة ، لا شرقية ،  
ولا غربية ، يكاد زيتها يضيء ولو لم  
تمسيه نار . )

والمولى سبحانه رفيق يحب الرفق ،  
ويعطي على الرفق ما لا يعطى على  
العنف ، وما لا يعطى على سواه )  
رواه مسلم . وفي رواية له انه  
صلي الله عليه وسلم قال لعائشة :  
عليك بالرفق واياك ، والعنف ،  
والفحش ، ان الرفق لا يكون في شيء  
الآزاده ، ولا ينزع من شيء الا  
شانه .

وشعار الإسلام الذي عليه خاتم  
محمد صلى الله عليه وسلم ( يشروا ،  
ولا تنفروا ، ويسروا ، ولا تعسروا )  
متفق عليه ، وكمال هذا الشعار  
وثيرته « التطابع والوفاق » فانهما  
يبدلان على السماحة ، وطيب النفس  
ويسراها . أما التنافر والشتاق فهما

فإن كان أثناً كان بعد الخلق عنه .  
مصدق ما جاء في الصحيح .

والعسر قد تذر بذوره في طريقك  
وقد تضاعد أبخرته من أعمالك .  
وقد تنعد سحبه في آفاقك منبتة من  
عقلك ، عالقة بأفكارك . ولعل  
الإسلام حين كره الشؤم والطيرة ،  
والعيادة ، والطرق (١) ، وحين نهى  
المعدوى ، والسلطة (٢) ومشن الغول ،  
أراد أن يحرر النفوس والمعقول من  
وطأة هذه المعتقدات التي تكبل  
العقل ، وتحجب الرؤية ، وتقتل  
من حرية الحركة .

ان الإسلام حريص على حسو  
دون العقول ، وخيث النفوس ،  
والعسرة التي تجثم في الصدور  
وتحقيقاً لهذا أولى رسول الله صلى  
الله عليه وسلم قضيوا الشعوذة ،  
والخبار اهتماماً زائداً ، وحذر في  
مواقف عدّة من الاستسلام المخزي  
لأنكار الجاهلية وعدها من حيث  
« من السحر والكمامة » . قال صلى

وظني أن الولي جل وعلا أذ يقرر  
رسوله صلى الله عليه وسلم بتعظيمه  
شرح الصندور ، ووضع الوزر ، وتحrir  
الظهر ، وأذهب العسر .. إنما  
يدين على الرسول الكريم بهذه النعم  
التي تتبع له صلى الله عليه وسلم ،  
وللمسلمين أن يمضوا أصحاء ،  
أسوياء ، مستبشرين ، متخففين نحو  
الغاية المثلى التي حددت لهم ( الم  
نشرح لك صدرك ) ، ووضعت عنك  
وزرك الذي انقض ظهرك ، ورفعت عنك  
لك ذكرك . فان مع العسر يسراً .  
ان مع العسر يسراً . فإذا فرغت  
غائب . وإلى ربك فارغب .  
نعم . اذا خلص الانسان من او ضاره  
ونفرغ من وطأة اوزاره فلا شيء يعوقه  
عن ان يكبح الى ربه ، وينصب في  
سبيل مولاه متخففا من كل العوانق ،  
متحررا .

وادراماً لغيات العسر كان صلى  
الله عليه وسلم لا يخفي بين امرئين  
لا اختار اي شرها ما لم يكن اثنا .

---

(١) العيادة زجر الطير ، والتفاول بأسماها وأسمواتها . والطرق نوع من  
التكهن . ومنه الضرب بالحصى ، والخط في الرمل ، واللعب بالودع  
ونحوها من التهائم ... والغول واحد الغيلان وهي جنس من الجن ،  
والشياطين . وكانت العرب تزعم أن الغول يتراءى للناس في الفلاة  
وتتلون لهم تلونا في صور شتى وتضلهم عن الطريق وتملهم فنفاه النبي ،  
وابطله . فتح الجيد ص ٤١٠ .

(٢) الهمة اسم طير كانوا يتشارعون به . او هي اشارة الى ما كانوا  
يعتقدون من ان روح الميت تنقلب همة طير . وصفر ما كانوا يعتقدون  
من ان في البطن دابة تهيج عند الجوع وربما قتلت صاحبها .. الى  
غير ذلك من قولهم انه المعدوى ، او حية في البطن ، او ما كانوا  
يعتقدون من ان شهر صفر شهر شؤم .

الله عليه وسلم فيما رواه البخاري  
وتحتوا من الجبال واتخذوا المصانع  
( اتبون بكل ربيع آية تعبتون )  
وتحذون مصانع لكم تخدون )  
الشعراء ( اشتركون في ما ها هنا  
آمنين . في جنات وعيون ، وزروع )  
ونخل طلعها هضيم ، وتحتتون من  
الجبل بيوتا فارهين . . . ) الشعراء ،  
وحيين يذكر سوق كثير من الأحجار ،  
والرهبان الذين يأكلون أموال الناس  
بالياطل ، ويصدون عن سبيل الله ،  
وحيين يذكر انتقام اقوام بالاحجار ،  
والرهبان ( اتخذوا احجارهم ورهبانهم  
اربابا . . . ) . . . الاسلام بمثل هذا  
يسشهد تربية المسلمين تربية استقلالية  
تكلل له الا يعيش ذهرة ترنسا في  
عجلة ، يدور حيث دارت العجلة ،  
او ذنبنا في « تبر » يصبصل ، او  
يرتفع وينخفض ، ويهتز بارادة  
حيوان ، كيف وقد يواك الاسلام  
الصدر ، وضمن لك مثام الشهادة ،  
وأباح فرض الكمية المطلقة ( لك  
الصدر دون العالمين او القبر ) ؟

وقد تشبع صحبة رسول الله  
صلى الله عليه وسلم بهذه الروح  
الاسلامية المفتحة الفطنة ، وصاغوا  
من روحهم ، الوثابة ، ومن تشبعهم  
بالرحيق السماوى ، ومن وعيهم ،  
وانتقامهم بهدايات الاسلام ، ومن  
رؤيتهم الشفحة من النبغين الثريين ،  
صاغوا وصايا حكمة سيدة نبى  
متناهى ومصالح على الطريق تتضاعف  
كلها على توفير المناخ الصحي الذى  
ترزدهن فيه شجرة الحرية .

١ — من ذلك ما رواه الدارمي .

الله عليه وسلم فيما رواه البخاري  
( لا غدو ولا طيرة ولا هامة ،  
ولا صفر ، وهو من المذوم كما يفر  
من الاسد ) وقال فيما رواه ابو داود  
( العيادة ، والطرق ، والطيرة ، من  
الجبت ) . . .

### اتقوا زيفة الحكيم

والاسلام الذى حرر العقول من  
التبيبة العميانة للباء ، والاجداد ،  
والذى حرر من الامعنة ، ومن  
الدوران الاصم في تلك المترفين اولى  
الشمعة ، او المرموقين ارباب الاسنة  
او الانكمار او الانكار . . . حررنا  
ذلك من ان تظن العصمة بشر خلا  
الرسول صلوات الله وسلامه عليه .  
فلا حصانة لفكر يشرى ، ولا قدرة  
لرأى يشرى ، ولا ثبات في علم يشرى  
يسقى مقدماته من الرؤية القاصرة  
المحدودة ، ويبنى نتائجه على فروض  
قد تشنط وتجمح ، وقد تضل ،  
وتقص ، ولا في عالم قد تتعدد رؤاه  
مقلبس اموره ، وقد تتنازعه النوازع  
فيبعد عن الموضوعية . . . وقد . . .  
وقد . . . والتصور العلمي قدر  
البشرية « وما لو اتيتم من العلم الا  
تليل ) والليلة هنا تعنى قلة الكل ،  
وتعنى ضالة القدرة على الاستفادة  
بما نستظهر ، فرب حامل فقه غير  
فقيه » . . .

ولقتل الاسلام وهو يذكر فتنة  
قارون بعلمه ( قال ائمها اوبيته على  
علم عندي ) وحيين يذكر على مصائر  
اقوام اثاروا الارض ، وعمروها ،

بسند صحيح . عن زياد بن حذير قال : — قال لي عمر : هل تعرف التي يقال فيها ما بهذه ، ولا يثبت ذلك عنه ، فانه لعله ان يراجع الحق . وتلقى ( بفتح اللام وتشديد المثلثة بالكتاب ) اذا سمعته ، فان علىي الحق نورا ) فتح الحسين من ٢٧٣ .

وظني ان معاذ رضى الله عنه يشير ( بزيغة الحكم ) الى زلة العالم ، ويدعوه الى موضوعية العلم ، والتحرر من كل تأثير خارجي .

وهذه الاشارات الى ذكرناها ، او المخالفة لها ، تتضمن كلها لتعلن :

١ - ان الاسلام — برغم وضوح معاناته ، ودقته نبوصه ، وتحليه اهدافه — فيه مجال للنظر وتعنى الرؤى بشرط الا نتجلوز الفطافة ، الذي تفرضه النصوص الفاطمية الصحيحة .

٢ - وان المسلم اذا شعبت امامته الشتبه يتحرى السلك الایسر الذى يصل به الى الغاية . مظللا ( بضم الميم ، وفتح الظاء ) ، وتشديد اللام الاولى منقوحة ) ( بالستكينة ) مجنبا مشاكل الوعورة ، وبولاعث اللهم .

٣ - وان الموفق :

(ا) ان يترفق بنفسك الذى بين جنبيك فلا تكفهم شمططا ، ولا تحملها من البلاء ما لا تطبق ، ولا تزج بها

بسند صحيح . عن زياد بن حذير قال : — قال لي عمر : هل تعرف ما يهم الاسلام ؟ قال : — قلت لا . قال ( يهدمه زلة العالم ، وجداول المثلثة بالكتاب ) ، وحكم الائمة المصلحين ) . وكل واحد من هؤلاء الثلاثة ينطلق من موقع تأثيره . الا ان العالم قد لا يأمن — بعلمه — غواصات البشرية ، وقد تثور في دمه اعراض المذلة والهوى فيتعثر ، او ينزل ، ويسقط ، وينهار . والاماكن يغوي من موقع تأثيره . والمناطق يماري ملوها بالكتاب الكريم ذي التأثير ولكن ليموه ويمكر ويخدع .

وال المؤمن الحصيف ينبغي الا يمزج بين الواقع ، والواقع ( بضم الميم ، وفتح العين ) والا ينسى ان الاناء قد يصدأ ، او يترخ او يشدو ويكسر ، ويتفتت . وارتباط المؤمن بالأشخاص ارتبطانا ثم ، وتلقفه لكن اقوالهم بالاتمحص ، يشنل كياسته ، ويعطل فنهنته ، ويعجز حركته ، ويسبك حريته — المذلة — في ائمه غيره . ليعيش مسلوب الحرية اهيمة ، ليعيش ذيلا .

ب — ومن ذلك ما رواه يزيد بن عمير قال : — كان معاذ لا يجلس مجلسا للذكر الا هلال : — الله حكم تسط . هلك المرتابون . فاحذروا زيفة الحكم ، فان الشيطان قد يقول الفضالة على لسان الحكم ، وقد يقول المافق الحق . قال : — قلت لعاذ : وما يدريني ؟ فقال : —

فِي دِيَاجِيرِ الشَّهَابَةِ ، وَمُخَاطَرِ لِلْفَحْشَةِ ، وَلَا اجْتِهَادٍ فِي حَضَرَةِ نَصْوَصِهِ ،  
الْمُشَبَّهَاتِ . . . ، لِلْفَحْشَةِ ، وَلَا طَاغُوتٍ يَرْعِي فِي سَاحَتِهِ . . .

(ب) وَأَنْ تُرْفَقَ بِفَسِيكَ فَتَجْبَرَ كُسْرَهُ ، وَتَرْعَى جَوَافِدَ ضَعْفَهُ فِي كُلِّ الْمَوْاقِفِ ( رَحْمَ اللَّهِ رَجُلًا سَمِحًا إِذَا بَاعَ ، وَإِذَا أَشْتَرَى ، وَإِذَا أَقْتَضَى ) رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ .

وَالرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُنَّ يَدْعُونَ إِلَى التَّسْمَاحَةِ الْمُرْفَقَةِ ، مِيسَرَةً ( . . . )

(1) يُؤكِّدُ مَضْمُونُ الآيَةِ الْكَرِيمَةِ ( وَأَنْ كَانَ نَوْصِرَةً ، فَنَظَرَةُ إِلَى

(2) وَيَحْدُوكُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى أَخْلَاقِ الْمَوْلَى جَلَّ وَعَلَا الَّذِي يُحِبُّ الْمُضْطَرُ وَيُكْثِفُ السَّوْءَ ، وَيَغْتَسِرُ لِكُلِّ مَنْ أَضْطَرَ فِي مُخْصَبِهِ غَيْرِ مُتَجَاهِلٍ لَّا تَمْ .

وَمِنْ الرَّفِقِ بِالْغَيْرِ إِنْ تَهْدِيهِ إِذَا أَدْلَمْتَ — عَلَيْهِ — السَّبِيلَ ، وَإِنْ تَخْتَلِلَهُ إِذَا التَّبَسَّتِ — عَلَيْهِ — الْأَسْوَرَ ، وَأَنْ تَغْضِيَ عَنْ هَنَاءِهِ ، وَتَصْنِفِيَعَ عَنْ صَفَائِرِهِ ، وَلَا تَتَبَعَ عُورَاتِهِ . أَنْ تَقْتَمْ بِهِ ، وَبِمَصَالِحِهِ ، حَاضِرًا مَعَكَ أَوْ غَائِبًا عَنْكَ .

٤ - وَأَنَّ الْاسْلَامَ أَشْبَعَ ، وَأَغْنَى ، فَلَا عَطَاءٌ يَعْلُو عَلَى عَطَائِهِ ،

٥ - وَأَنَّ النَّاسَ خَلْقَهُ ، يَخْلُفُ الْلَّاحِقَ مِنْهُمُ الْسَّابِقَ . وَالْذَّوَاتُ تَعْظِمُ ، أَوْ تَصْفَرُ بِمَقْدَارِ قَرْبَهَا ، أَوْ بَعْدَهَا مِنَ اللَّهِ ، وَهَدَائِيهِ ، وَشَرِيعَتِهِ . وَأَنَّ القيَمَ الَّتِي عَلَى بَهَا الْعَالَوْنَ بَاتِيَّةً ، وَأَنَّ نِعْمَةَ الْوَعِيِّ الَّتِي فَقَهَ بِهَا الْأَوْلَوْنَ مَاضِيَّةً ، وَأَنَّ كَلْمَاتَ اللَّهِ الَّتِي اغْتَرَفُوا مِنْهَا لَا تَنْفَدُ .

٦ - وَأَنَّ رُوحَ الْاسْلَامَ تَخْفِقُ مِنْ حَوْلِ الْمُسْلِمِينَ ، وَتَنْفَعُهُمْ فَلَا يَمْكُنُ لَعِينَ مُؤْمِنَةً أَنْ تَخْطُلَهُ ، وَهِيَ الْمَلَذُ أَنْ تَعْجِدَ الرُّؤْيَ ، وَكَثُرَتُ الْفَاهِمِ .

٧ - وَأَنَّ رَانِدَ الْمُسْلِمِينَ دَائِمًا أَحَادِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ، وَمِنْهَا مَا رَوَاهُ أَبْنَى مَسْعُودَ ، وَزَيْدَ بْنَ ثَابَتَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : ( نَضَرَ اللَّهُ عِبْدًا سَمِعَ مَتَالِقِيَ ، فَخَنَقَهُمَا ، وَوَعَاهُمَا ، وَأَدَاهُمَا : فَرَبُّ حَامِلِ فَقَهِ غَيْرِ فَقِيهِ وَرَبُّ حَامِلِ فَقَهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَنْتَهُ مِنْهُ . ثَلَاثَ لَا يَقْلُ ( ١ ) عَلَيْهِنَّ طَلْبُ مُسْلِمٍ : أَخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ ، وَالنَّصِيحَةُ لِلْمُسْلِمِينَ ، وَلِزُومُ جَمَاعَتِهِمْ فَإِنَّ دُعَوْتَهُمْ تُحِيطُهُمْ بِمِنْ وَرَائِهِمْ ) .

يَقْبَعُ

بَخَارِيُّ أَحْمَدُ عَبْدِهِ

(١) لَا يَنْخُلُهُ حَقْدٌ ، وَلَا يَخُونُ . وَالْمَعْنَى أَنَّ هَذِهِ الْخَلَالَ الْثَّلَاثَ تَسْتَصلِحُ بِهَا الْقُلُوبُ ، فَمِنْ تَمْسِكِهَا طَهْرُ قَلْبِهِ مِنَ الْخِيَانَةِ وَالدُّخْلِ وَاللَّشْرِ ، ١ ، هـ « مَشْكَاهَةً »

# نفحات القرآن

## بقلوب بخارى احمد رعبيده

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : -

« يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أيا ماما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام آخر ، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكون فمن تطوع خيرا فهو خير له ، وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون . شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس ، وبيانات من الهدى ، والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضا ، أو على سفر ، فعدة من أيام آخر ، يريده الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر ، ولتكلموا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ، ولعلكم تشکرون » .

ذهب رمضان الشهير ، ولكن ونفحات بقيت النقوس المحمومة التي تتقلب في رمضان (١) حياة قفرة عجفاء (٢) بقيت نقوس لھفى (٣) (بتسكين الھاء ، وفتح الفاء ) تعوزها السكينة والعزة ، والوئام ، والصحة النفسية ، ويتزودها الجحود والجمود ، والغلظة ، والامعنة ، والتبغية الذليلة .

فلا ملامة اذا شبّتنا بهذه الآيات ، وظنني ان الارتباط الطويل بالآء نحتلب درها ، ونحيها بربها ، للصيام ، وأشفيه القرآن ، ونستمطر فيضها عسى ان يساقط

(١) الرمضان القيظ الشديد . (٢) ذهب خيرها

(٤) الرضاب الشهد

(٣) حسيرة تستغیث .

العباب ، وتراءى لابصار غرقى  
لاهتين يعانون ذل التربية ، وحر  
المسفبة . وحقاره الاذناب ، وضفت  
القيود ، واغلال الجمود .

واطللنا من الفضاء القرآنى على  
عالم المسلمين فأطللنا الاطللة .  
ورصدنا — متأثرين بما نعاني من  
جوى ، وقهر — ما كان — كما هو  
كائن اليوم — من فراغ وجданى ،  
ومن غزو فكري ، ومن استثمار  
خسيس لشاعر الجهالة ، وعقد  
التخلف ، والتفص .

واطللنا فرأينا يد الاسلام الاسية  
تسل سخيمة الصدور ، وتمحو علل  
الموى ، والشهوة ، والمادانية  
العمياء ، وكل الآفات التي يبذر  
بذورها الشيطان ، ويصلى نارها  
الحمقى .

### تنطع وتصدع

واطللنا — متأثرين بما نعاني —  
فرأينا عينا حثة ، آسنة يعمرها  
قوم لا يكادون يفathom قولًا داؤهم  
القطنط ، ودبهم التحجر ، وطابعهم  
الجمود الذى يورث الشلل ، ويشى  
بالفراغ الرهيب . لا يسمون ،  
ولا يغفون ، تحسبهم أيقاظا وهم  
رقود ، بأسهم بينهم شديد ، تحسبهم  
جميعا وقلوبهم شتى ، ترودهم  
الرؤى ، وتلفهم أغشية تحجب عنهم

(١) بتشديد السين المفتوحة ) غدا ( )  
فوق أجداث (٢) رمت فينبت ما فيها  
من هشيم كما تنبت الحبة في حميل  
السيل (٣)

فوق اتنا — اذ نظر مشتبلين  
بآيات الصيام متلبسين بأرواحها —  
نظر نجتر أمجاد الشهر ، ونستحضر  
طلاؤته وحلوته ، ونعيش أجواءه  
العبقة نغالب بها عفن الواقع ،  
وضراوة الأيام .

### الفضاء القرآنى

والفضاء القرآنى كالفضاء  
الكونى . هذا لا يدرك مذاه . وذاك  
لا تنقضى عجائبه . مصدق ما اثر  
عن رسول الله . وكلاهما يأسر ،  
ويدهش ، ويثير باعجاذة مشاعر  
العجز ، والضالة في هذا الانسان .  
وكلاهما يفتح كل يوم عن آفاق  
جديدة تهدى ، وتربي ( بضم التاء  
وتسكين الراء ) حقيقة الایمان .

ولقد سبحنا سبحا طويلا في  
الفضاء القرآنى المهيب ، مقتدين  
هدى آيات تزخر بالحياة ، وتبث من  
أصوات الحرية ، والشتم ما تبث .  
 واستقامت اشارات القرآن اللطيفة  
إلى مدارج التحرير وأسباب  
الخلاص ، وإلى مقومات الشخصية  
الاسلامية المستقلة — استقامت  
معالم بل مفاعلات بناءة تتوجه رشيدة  
وكانها أطواق النجاة تطفو فوق

(١) غزيرا . (٢) الأجداث القبور والمراد من فيها

(٣) حميل السيـل : ما فيه من طين ونحوه مما يساعد على الانبات .

٣ - وأنه اذا عالج سعار المادانية  
بترياق الروحانية سلم ، وأمن .

٤ - وإذا تعاهد وعورة النفس  
بيلسم السماحة وسائر صفات الجمال  
طاب ، وغنم .

٥ - وإذا سالت أوديته بقدرها  
فلم يفل (باسكان الغين وضم اللام)  
ولم يتقرر ، وغدا ، وراح رحب  
الشمائل فضفاض الرداء رضي ،  
وارضي ، ونزل سهلا ، وحل في كل  
مكان أهلا .

٦ - وأنه اذا جمد نبذ ، وأذ ركد  
أسن ، وتعفن ، وإذا اشتمل بعقده  
اشتمال الصماء افتقد مرونة المسلم ،  
وتحلف ، وبات على الصورة التي  
جاءت في حديث «أم زرع» (٢) على  
لسان الزوجة الأولى التي وصفت  
زوجها بأنه : — (لحم جمل غث ،  
على رأس جبل ، لا سهل فيرتقى ،  
ولا سمين فينتقل ...) .

٧ - وأن الاسلام يحرك ،  
ويحرر ، ويكر على الانفلال النفسية ،  
وغير النفسية ينقضها ويحطّمها حلقة ،  
حلقة ، وعروة ، عروة ، ويتيح  
بهذا — للمسلم أن يحمل غيره ،  
ويسبق عصره .

٨ - وأن الخلل السمحنة التي  
الزمنا بها الاسلام هي قوام الحرية ،

يسير الاسلام ، ورفقه ، وسماحته ،  
وقدرته على التطوير ، والاظهار .  
وحول العين الحمئة (١) ، حيث  
تغرب الشمس رأينا تيوساً جادة  
تعرّب ، وتتب ، حتى أديمها بالجذع  
والمفاطلات ، والمقت الشديد للنور ،  
ثم اطلقت لتعيّث وتقسد ، ودارت  
حول أممائها كما يدور الحمار  
بالرحي ، لا يفطن الى أنه معلق ،  
ولا يدرك أن زمامه في يد غيره .

وأولئك ، وهولاء ذوق حسن متبدلة  
صفيق ( .. لهم قلوب لا يعقلون  
بها ، ولهم أعين لا يصرون بها ،  
ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك  
كلالئام بل هم أضل .. ) فأني لهم  
أن يحسوا بمثل الاسلام ، وقيمه ،  
وشاؤه الرفيع ؟

أني لأمثال هؤلاء المطويين في  
لائئف الجمود ، وأولئك  
المستهلكين (٢) المتشتتين بعمرى  
(بضم العين واسكان الراء) الجحود  
أن يدركون :-

١ - أن المؤمن اذا امتلا فراغه  
بالإيمان است تمام على الطريقة ،  
وسكن .

٢ - وأنه اذا داوى علل عالم  
الشهادة باشفية من عالم الغيب  
صح ، وatzن (بتشديد القاء  
المفتوحة) .

(٢) ذات طين اسود .

(٣) حديث صحيح تناول مؤتمراً نسائياً تحدثت فيه الزوجات عن

﴿زواجهن بصراحة﴾ .

وهي المركب الميمون الى سدة ( بضم السين وتشديد الدال المفتوحة ، اي الباب ) التقارب ، والتكامل ، والوفاق . وهذه الصفات تعد من دعائم المجتمع الاسلامي المنيع . وهي ، ومثلاتها من رفق ، ويسر ، وحلم وليدة الانفس الابية ، السوية التي ظهرت من احساسات الهوان ، وعقد النقص .

ان انسانية المسلم ت sclها ، وتجلوها هذه الخلال . واصالة المجتمع المسلم ترسخ وتتأكد اذا اعتمد البناء على لبيات مسلمة قوامها تلك الخلال .

### قداسة الزمان

والاسلام بكل شعائره يستهدف فيما يستهدف تنمية المعنويات العليا في الانسان ، ثم يحرص على ان « يعسكر » بالسلم في اوقات ومواسم خاصة حتى تبقى لياقته ، وتنمو قدراته على مغابلة ما ركب فيه من لدد ولجاج ، وهووية ، وأنانية ، وهلع ، وطغيان .... الخ فما أحراه بعد هذا أن يغزو كل أشهر العام بمعطيات شهر رمضان ، وأن ينفق فيها مما اكتسب في رمضان .

والحق ان الاسلام ميز ازمنة ، وفضل أيام ، وكرم اشهر ، وحرم أخرى .

الا أن فيض هذه الاوقات المختارة فيض متعد غير لازم . بمعنى أن

الايات التي اجتبيت ، وخصت بزيده فضل تبث خيرها ، وتمد شعاعها ، وتشحن بسنها القلوب المترمة ، وتنقيض هذه القلوب بدورها فتملا بنورها الارجاء ، وتم باريجهما كل الازمنة ، فكان الاوقات التي ميزها الاسلام محطات تقوية لكهربية الآييان ، وفاعلية الخير ، وديومة الاخلاص ، والاحسان ، والاخوة . وهذه الاوقات المميزة لا تلد هذه الخلال ، ولا تصدرها اصدار قرص الشمس للحرارة ، والضوء ، ولكنها مستودع ، ومستقر . والمولى جل وعلا اقتضت حكمته ان يصدر الينا أمره السامي الكريم بأن تنعوا أيام هذه المقدسات — الزمانية او المكانية — وامتزجوا بها حتى يحدث تفاعل مهيب بينكم وبينها . ومصدر هذه القوة المقاولة امثال امر الله ، وتعظيم حرام الله ، وتقدير شعائر الله ، والقبول ، والرضى — بلا ادنى شك — بحكم الله ، والوقف — بلا عدوان — عند المعلم الذي رفعها الله .

وثمرة هذا التفاعل ان يدعم المولى هذه الوقفات ، وأن يباركها ، ويربيها حتى تغدو ساحة ضخامة ، فياضة ، وأن يوفق هذا الانسان المبارك الى ان يشحن هذه الاوعية بالخير .

وهكذا نعلم ان هذه المقدسات تأخذ من الانسان ، وتعطيه ، لتأخذ منه المزيد ، ثم تعطيه ازيد وأزيد على مدار العام كله ، وال عمر كله .

اما اذا جنا الانسان ، وقلما ،  
سوانفك فلم يندمج ، ولم ينفع ، او  
اكتفى بعلاقات شكلية جوفاء او ملا  
 تلك الاوقات بأشياء مبتدعة ، او  
 منكرة ... الخ اذن لنضب العين ،  
 وانقطع التيار ، وجف الضرع الثرار ،  
 ورفعت البركة التي يتفضل بها الله .  
 وأثار الانتفاع بخير هذه الاوقات  
 تتجلى وثاما ، والثاما ، وجمعا  
 للكلمة ، ووحدة في الصف ، وتقديسا  
 للهدف ، واستعمالا للحكمة ، وفقها  
 للسنن ، ومبررات التطور .

وعند المارسة ، والاتصال بهذه  
 المقامات يتم تفاعل لا يدرك كنهه بين  
 المشاعر ، وبين الامين ، الناسكين ،  
 وتتفتح في الطائفين ، والعالقين ،  
 والركع السجود آفاق ، وتحرك  
 اسرار ، وتزكي اشواق ، وتتدفق  
 معانى الاجلال ، والهيبة ، والروحانية  
 من تلك النفوس المؤمنة المشوقة  
 لتلتبس بهذه المشاهد ، وتلتزم ،  
 ويختلط النبع بالصب . فالشعرية  
 التي يحسها العاكس تتبعث من ذاته  
 .. من نفسه المؤمنة الخائعة التي  
 تهيأت لتكون أداة حساسة تستقبل  
 وترسل . ( ... تقشعر منه جلود  
 الذين يخشون ربهم ... ) والمعانى  
 التي في تلك الملامات بتأثير ذلك  
 الاتصال يياركتها المولى ، ويربيها حتى  
 تغدو زادا مباركا يمتد خيره لكل  
 مكان ( وتزودوا فان خير الزاد  
 التقوى ) .

ان الازمنة التي آثرها الاسلام ،  
 والأمكنة التي قدسها الاسلام وخصها  
 بالشرف ، والرقة .. هي في الحقيقة  
 طاقات بث ، بل شواحن تدور ،

ما اذا انتقت هذه الخلل وحل  
 محلها التنافر ، والتدابر ، والفظلة ،  
 والشقاق ، وعشق الذات ، والتزمت  
 الخ ... فان لنا ان نومن بان هناك  
 انفصاما بين العقيدة والسلوك ، وان  
 الارتباط بال المقدسات ارتباط شكلي ،  
 سوان دعوى الالتزام يكتبه الواقع ،  
 ويعوزها الدليل .. مهما ضخت  
 العمامة ، او عظمت اللحية ، او  
 طابت الخطبة ، او خلبت القراءة ،  
 او حسن السمت ، او قصر اللباس .

ان الاسلام مخبر ومظهر .  
 والشكليات الحضرة تحيل أصحابها  
 الى دمى ( جمع دمية ) وتورث النفاق  
 وتشي بالعلته ، والفراغ .

### وقداسة المكان

كذلك اصطفى الله اراضي وامكنة ،  
 وأضفي عليها من القدسية ، والجلال  
 بما اضفي ، وامر ان تتخذها مشاعر

( مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع  
تميلها الربيع تارة ، وتعدلها أخرى . . . )  
ووجب أن يكون هينا ، لينا ،  
مصدق الحديث ( . . . كالجمل الأنف )  
ن تيد انقاد ، وان أنيخ على صخرة  
استanax )

فأين نحن من هذا ؟

ان معظمنا شارد ، ناب ، يظهر  
ونق صورة أخرى سجلها حديثه  
ام زرع ( قالت السابعة : زوجي  
غيابا (٧) ، او غيابا (٨) ، طباقا (٩) ،  
كل داء له داء ، شجك (١٠) ، او  
ملك ، او جمع كلالك )

معظمنا يرزح في أغلال الخيبة ،  
ويئوء تحت أطباق العجز ويشكوا  
متبرما من كل شيء ، ومن لا شيء ،  
ويثور فيفقد توازنه ، ويؤذى — قبل  
البعداء — الاترباء . فهل يؤتمن مثله  
هذا على الاسلام ، والمسلمين ؟

يتبع  
بخارى احمد عبده

او تؤم (١) ( بالبناء للمجهول اي  
تقصد ) فتقرع من حمولاتها في القلوب  
لتزكي بها ، ولتحسن — منها — (٢)  
ذخرا للأيام ، وتنشر — منها —  
اغاثة للأنام . فهى اذ ترائي ،  
لا تغيب ضئينة ، وهى اذ تغيب  
لا تغيب موعية (٣) ممسكة .. بل  
تفتح ، ولا تستيقى ، وترسل دائمًا  
سحائبها مثارة لتنظيم الأرجاء ،  
والآناء (٤) .

والإنسان المؤمن الذي جلا الإيمان  
شغاف قلبه هو الذي يستوعب كل  
هذه النفحات ثم ينشرها ، ويغمر  
بها العباد ، والبلاد .

فإذا جمد المسلم ، وغلظت قشرته  
أضحي مصمتا (٥) ، مختنق المسام ،  
رديء التوصيل . وإذا ماع ، وتسيب  
تسبيب الكثيب الهيل (٦) افتقد  
التماسك ، وعجز عن الفاعلية ،  
والتأثير .

ومن هنا وجب أن يكون المؤمن  
سرير التكيف ، مرتنا مصدق الحديث

(١) تقصد .

(٢) مختزنة ، مخفية .

(٣) المصمت الذي لا جوف له .

(٤) الكثيب الهيل : الرمل المتاثر . من قوله سبحانه : ( يوم ترجمت الأرض والجبال وكانت الجبال كثياما هيلا ) اى رملًا مجتمعا متاثرا بعد أن كانت حجارة صلبة متماسكة .

(٥) من الغى الذي هو الضلال والخيبة .

(٦) العيني العاجز الضعيف .

(٧) تطبق عليه الأمور وتستغل فلا يرى لها حلا .

(٨) كنایة عن تخبطه ، وتهوره وعدوانيته .

# نفحات قرآن

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى : -

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتُبَ عَلَيْكُم الصِّيَامُ كَمَا كُتُبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لِعَلَّكُمْ تَتَّقَوْنَ ۝ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخْرَى ، وَعَلَى الَّذِينَ يَطْبِقُونَهُ فَدِيَةٌ طَعَامٌ مُسْكِنٌ فَمَنْ تَطْوعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ، وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ ، وَبِيَنَاتٍ مِنَ الْهُدَى ، وَالْفُرْقَانَ ، فَمَنْ شَهَدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلِيَصُمِّمْهُ ، وَمَنْ كَانَ مُرِيضًا ، أَوْ عَلَى سَفَرٍ ، فَعِدَةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخْرَى ، يَرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ ، وَلَا يَرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ، وَلْتَكُمُوا الْعِدَةُ وَلْتَكْبِرُوا اللَّهُ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ، وَلْعَلَّكُمْ تَشَكَّرُونَ ۝ »

النفحات التي ترجيها هذه الآيات  
نفحات ذات شجون (١) ، وهي —  
وان خيلت (بالبناء للمجهول) مشرقة ،  
مغربة ، او تبدت للرأيين منتشرة ،  
متفرقة — حلقات يمسك بعضها  
بحجز بعض ، وتدور كلها — من  
قريب ، او من بعيد — حول المحاور  
الخلقة التي استبانت لنا منذ الوقفة  
الأولى ، وتعييت أصولاً ، ومعالم  
تحدد المسار ، وتشئ باللغالية ،  
ولقد وقنا — في المقال الماضي —  
وقفة متأنية حيال مقدسات الإسلام

(١) مصلحة

المتغيرات ، وأحجام الناس المقاوطة . ينکرون وجود سلطة غبية وراء الطبيعة تتحكم في الكون بما وتصف ، وتدبر . والقرآن الكريم وهو يزرع في القلوب شجرة التوحيد — لم يعرض لهؤلاء الجاحدين كثيرا تخثيرا لشائيم ، وتسفيها لذهبيهم الذي يتعارض مع الفطرة ، والعقل . وأمام الجساميون ففي كثير منهم أخلاق ، وعند كثير منهم غيره على الدين ، وحب للإسلام . إلا أن لهم عليهم لعامل الظروف — المكانية ، والزمانية ، والواقعية — ابطئ ماعالية ذلك الحب ، وعزلهم عن روح الإسلام المرن ، الفيتان . وآوقفهم موقف الدب الذي قتل صاحبه ظانا أنه يذب عنه .

واعتبارا لجوائب الخير الدينية — يتبين الا نقطع عنهم انانا ، وأن بواليهم حتى تلئم الحلقة التي تأكلت بقطعت التيار ، وافتقدت المaulية والانصار ، وحضرتهم في قوائم خائفة خالوها الوجود فمحجروا الدين ، وجعلوا عمومية الإسلام ، وشموليته ، وأسفوا ( بفتح السين وتشديد الفاء المضمة ) فرضوا بأن يكونوا مع الخوالف قيد الاوهام والاحلام ، وإذا قدر لهم أن يغوصوا ففي الحفر مع

الداعية الذي لا يعي الحقائق ، ولا يقدر الظروف ، ولا يستبين الأحجام ، داعية يصرخ — كمن يقولون — ف واد ، ويتفتح في رماد ، هيتفق بما لا يفهم ( بالبناء للمجهول ) هو داعية أصم ، أعمى ، مشلول .

### ( النرى والتريا )

واستطرب مثرا أخرى (١) — « عتبرا وقتل ابن أشع النقط على الحروف — فأعود الى « الظروف » الزمانية أو « المكانية » ، ولو الواقعية التي تلبس حياة الإنسان فتؤثر ، وتغير ، وتعلن ، وتختف ، وتبني ، وتهدم على أن يكون العجائب المستفيض بحدى لفنشات تعيش على هامش الزرطن ، والمكبان ، دون أن يلوا الواقع ، أو يقدروا الغلروف ، ذيولا ، أو نفاليات تحت السنابك ، والعلجلات .

ولقد علمنا أن آفة المسلمين ، ومشكلة الإسلام تفتركت في الجاحدين من ابنائه ، وفي الجامدين .

أما الجاحدون فمثلهم كمثل الذين ينکرون الربوبية ، واللوهية ،

(١) هدفنا من هذا الاستطراد الطويل توطيد ارضية علمية ونكرية صلبة يتأكد من خلالها أن الانسان يتفاعل تفاعلا كيمايا مع الاجواء التي تحتويه ، وأن روئته — البشرية — تتكيف بهذا التفاعل ، وأن افرازاته تخضع لتأثير الزمان والمكان والملابسات — لعلنا بهذا البيان نزحزح أولئك الذين اتخذوا رؤى الفقهاء ديننا وأسفارهم دسائير ، فأنطوا فيها وانسلخوا عن زمانهم المميز .

عاش ما عاش يجاهد كى برفع  
الناس الى مستوى الدين .

وظننى أن من ظل قانعاً بالوهاد ،  
يعطى الدنيا منكساً ، وضعيماً ينبعى  
عليه ان يقوم ( بتشديد الواو  
المكسورة ) من جديد درجة انتمائى  
للإسلام الرفيع العزيز .

اذا انت غمت عليك السماء  
ووصلت حواسك عن صبحها  
فعش دودة في ظلام القبور  
تغوص ، وتسبح في قيحها

### ( درس كونى على الطريق )

تعاقب الليل ، والنهر ظاهرة  
كونية تطوى ، وتبشر كل الكائنات ،  
وهي ظاهرة معلومة بالضرورة ، ووغم  
هذا اطل القرآن الوقوف عندها ،  
والتمعن في اعراضها ، وأثارها .  
تلمس هذا وانت تتذمّر مثل قوله  
تعمالى : — ( خلق السموات ،  
والارض بالحق ، يكور الليل على  
النهار ، ويكور النهر على الليل ،  
وسخر الشمس ، والقمر كل يجري  
لاجل مستحبى ... ) الزمر ٥ .

ومثل قوله تعالى : — ( ان ربكم  
الله الذى خلق السموات ، والارض  
في ستة ايام ثم استوى على العرش ،  
يفشى الليل النهر يطلبه حيثاً ... )

الاعراف ٤

الدينان والهوان . وانما حلقاً كان  
سماؤهم المهدى المتظر آية آخر  
الزمان . ولا غرابة فقد شاهدناهم ،  
واستمعنا لهم في حضرة عالم كبير  
شدوا اليه الرحال ، وعبروا البحار  
ليسألوه عن اجساد الآباء هل  
تأكلها الارض فقبلى ؟ وعن درجة  
الکفر الذى يتبوأها منكر المهدى  
المتظر وعن عدد الذبذبات التي ينبعى  
ان تصدرها السيبة والمصلى في وضع  
التشهد (١) ... الخ اى بؤس هذا ؟  
وأى انحدار ؟ ذلك وعدونا يقطع  
بمراكمه اجوز الفضاء ، ويحط على  
الزهرة ، والمريخ ، ويرى ، ويسمع  
بالاهتمام فما أبعد الثرى من الثريا !

ان الله ارسل رسوله بالمهدى  
ودين الحق ليظهره على الدين كله .  
 وكلمة « الدين » باداتها « الـ »  
التي تفيد الاستفرار ويتبعها « كله »  
الذى ينيد التوكيد ، تعنى كافة  
المذاهب ، والآيديولوجيات الغابرة ،  
والمعاصرة سماوتها وأرضيتها ، ولكن  
الدين نزل رفيعاً ظاهراً ، وانتشر ،  
وتمكن رفيعاً ظاهراً ، فما معنى  
« ليظهره » ؟ :

ان الدين هو المعتصم والملاذ ،  
والمعراج ، واظهاره يعني — ضمن  
ما يعني — ظهور الملتزمين ، ورفعة  
المعنقين ( لقد انزلنا اليكم كتاباً فيه  
ذكركم ) ( وانه لذكر لك ولقومك ) .

ومالصطفى صلى الله عليه وسلم

(١) كان هذا في موسم الحج الماضي ١٤٠٤

منقلب المرضين ، أو منقلب الشاكرين  
ـ . ومن ينقلب على عتبته فلن يضر  
الله شيئا ، وسيجزى الله الشاكرين  
الفرقان ٦٢

وتروعك — خلال الآيات —  
الحركة الدائبة ، والحيوية الفيضة ،  
والنبض الذي تجد صداه في قلبك  
حين تندمج في الآيات ، وتتفذ منها  
إلى الحياة ، ثم تشد (بالبناء للمجهول)  
بأسبابها إلى الممات .

وستهويك الإيحاءات الدقيقة التي  
تبعث هادية معيرة .

من تلك الإيحاءات :

١ — أن الكون فلك حوار ، وأن  
كل ما فيه يدور تلقائيا ، وبالبنية .

٢ — وأن من فقد الحركة الذاتية  
فلم يدر طوعا ، انفردت به البنية  
ندار كرها بلا اتزان ، ولا انضباط ،  
ولا ارادة . وتبارك الذي ( استوى  
إلى السماء وهي دخان فتال لها ،  
وللأرض ،اثنيا طوعا أو كرها ،  
قالنا أتينا طائعين ) فصلت .

٣ — وأن الكائنات — ولا سيما  
الأنساني — لم توجد لتظل خامدة  
هامدة ، بل لتنتعش ، وتنشط حول  
محاورها — محكمة بسنن الله ،  
وقوانينه التي تحل في الزمان وفي  
المكان — مستبقة ، جادة حتى مغرب  
الشمس . ( لا الشمس ينبع لها

ومثل قوله سبحانه : — ( وهو  
الذى جعل الليل ، والنهر خلقة لـ  
أراد ان يذكر ، أو أراد شكورا )

ومثل قوله تبارك وتعالى : —  
( وآية لهم الليل نسلخ منه النهر  
ـ فإذا هم مظلمون . والشمس تجري  
ـ لستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم .  
ـ والقمر قدرناهـ منازل حتى عاد  
ـ كالمرجون القديم . لا الشمس ينبعى  
ـ لها ان ترك القمر ، ولا الليل سابق  
ـ النهر ، وكل في ملك يسبحون )  
ـ سيس ٣٧ — ٤٠ .

وطني أن مثل هذه الفتايات الكريمة  
ـ فوق أنها تبصر بعظمة الله ،  
ـ وقدرتـه ، وعلمه ، وفوق أنها تربـي  
ـ في المسلم القدرة على التأمل ،  
ـ والتدبر ، والبحث العلمـي — تربط  
ـ الناس بما وراء هذه الظاهرة من : —

١ — مضـاء الزـمن — كالسيـف  
ـ القاطـع — واقتـراهـ اـشمـاءـ كل  
ـ الكـائنـات .

٢ — مضـيه — كالبرـقـ الخـاطـفـ —  
ـ يـوقـلـبهـ بماـ حـوىـ ، وأـوعـىـ ، بـكلـمةـ  
ـ اللهـ الذـىـ قـدرـ المـقلـبـ ، والمـثـوىـ

ـ ( يـقلـبـ اللهـ اللـيلـ وـالـنـهـارـ ، انـ فيـ  
ـ ذـكـرـ لـعـبـرـةـ لـأـولـىـ الـبـصـارـ ) .

٣ — ومن تـأـثيرـهـ ، وتـغـلـفـلـ  
ـ اـشـعـاعـاتـهـ فيـ الـاعـمـاقـ بشـكـلـ يـورـثـ  
ـ للـبـهـاثـ ، ويـورـدـ المـقـلـبـ المـحتـومـ ،

أَنْ تُرِكَ الْقَمَرُ ، وَلَا اللَّيْلَ سَابِقٌ أَمَةً أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَخْرُونَ ) الْحَجْرُ ٥٠  
النَّهَارُ ) .

٣ — وَلِيلْتَمِ الْقَرِىٰ ( وَمَا أَهْلَكَهُ  
مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ )  
الْحَجْرُ ٤٧

وَلَعِلَّ مِنْ مَظَاهِرِ الْاسْتِبَاقِ الَّذِي  
تَخْوِضُهُ الْكَائِنَاتُ : —

مَصَائِرُ مَبْصِرَةٍ تَتَرِصُ بِكُلِّ  
الْكَائِنَاتِ . يَسْجُلُهَا الْمُولَى بَارِزَةً كَيْ  
تَرْفَعَ زَاجِرَةً ، وَاعْتَدَةً مُحَرَّكَةً لِلضَّمَائِرِ  
مُوقَظَةً مِنِ السَّبَاتِ الْعُمَيقِ ( فَكَانُوا  
مِنْ قَرِيَةِ أَهْلَكَاهَا وَهِيَ ظَالَّةٌ ، فَهِيَ  
خَاوِيَّةٌ عَلَى عَرْوَشِهَا ، وَبَثَّ مَعْطَلَةً ،  
وَقَصْرَ مَشِيدٍ . أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ  
فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقُلُونَ بِهَا ، أَوْ  
آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ، فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى  
الْأَبْصَارُ ، وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي  
فِي الصُّدُورِ ) الْحَجْرُ ٤٥ — ٤٦

١ — اِختِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ طَوْلًا ،  
وَقُصْرًا حَسْبَ تَبَيَّنِ الْفَصُولِ ، أَوْ  
مَوْاقِعِ الْبَلَادِ .

ب — وَاخْتِلَافُ الصِّيفِ ، وَالشَّتَاءِ  
وَغَيْرِهِمَا مِنِ الْفَصُولِ ضِيقًا ،  
وَاتِّساعًا ، وَحِرَارَةً ، وَبِرِدًا .

ج — وَاخْتِلَافُ الْبَقَاعِ الْمُحْكَمَةِ  
بِقَوَانِينِ اللَّهِ فِي الزَّمَانِ ، وَالْمَكَانِ  
ازْدَهَارًا ، وَاقْفَارًا ، وَامْتِلَاءً ،  
وَخُوَاءً ، وَقُوَّةً ، وَضُعْفًا .

د — وَامْتدَادُ النَّهَارِ فِي بَعْضِ  
الْبَلَادِ ، وَالتَّقَافُ بِلَادٍ أَخْرَى فِي لَيْلٍ  
طَوْلِيْنِ .

### ( نحو حُفَّةٍ بِظَلْفَهِ )

أَنَّ الْكَوْنَ بِكُلِّ « مَفَاعِلَاتِهِ »  
وَمَحْتَوِيَّاتِهِ يَسْتَحْثِ الخَطَا إِلَى الْأَجْلِ  
الْمُسْمَى الْفَاغِرِ فِيهِ :

١ — لِيلْتَمِ الْأَفْرَادِ ( لِيَنْمَا تَكُونُوا  
يَدِرُكُكُمُ الْمَوْتُ ، وَلَوْ كَنْتُمْ فِي بَرْوَجٍ  
مُشَيَّدَةً ) ٧٨ النِّسَاءُ .

٢ — وَلِيلْتَمِ الْأَمْمِ ( مَا تَسْبِقُ مِنْ

السماء وهي دخان نقال لها ، وللأرض  
أتنينا طوعا ، او كرها ، قالتا  
أتنينا طائعين . فقضاهن سبع  
سالوات في يومين ، واوحي في كل  
سماء أمرها ، وزينا السماء الدنيا  
بمباصبٍ ، وحفظا ذلك تقدير العزيز  
العليم ) فصلت ٩ - ١٢ .

ولرتحال الدنيا على اجنحة الليالي  
والأيام حقيقة ملموسة . أما ارتحال  
الآخرة فامر اعتبارى . فهى تدنو  
منك بقدر ما تبتعد انت عن الدنيا ..  
بقدر ما يتناقص عمرك ، تماما كما  
تدنو البقعة المطلوبة من المسافر كلما  
طوى نحوها الاشواط . والدنيا  
المتحركة كالركبة المتحركة  
لا بد ان يسايرها الراكب بكل كفته ،  
متحاوبا ، متاثرا منسجما . فلن  
فقد الانسجام فقد اتزانه وانقلب .  
وعلى رضى الله عنه استعار بهذا  
التصوير من نبينا — عليه الصلاة  
والسلام — الذي ألح الى ان قدر  
الاتساع ان يكون دائما متحركا غير  
جمد ، وإن الأيام مركب الآنام إلى  
مرآياتهم . فقال فيما رواه احمد  
وابن ماجه و القرمذى عن ابن مسعود  
( ما لى ول الدنيا ؟ وما لنا ول الدنيا إلا  
كراكب استظل تحت ظل شجرة ثم  
راح ، وتركها ) .

ذلك لأن الدنيا تتغير التلاشية  
عرض زائل وفق ما روى عمرو عن  
النبي صلى الله عليه وسلم انه  
خطب يوما فقال : — ( الا ان الدنيا

واقتضت حكمته كذلك ان يظل هذا  
الكون متغريا ، مقطورا نشطا حتى  
يعدو الانسان قدره ويعبد ظنه ،  
ويعميه غروره ، ويبلغ الذروة التي  
تشرف على الهاوية ( إنما مثل الحياة  
الدنيا كما انزلناه من السماء فاختلط  
بـ نبات الأرض مما يأكل الناس  
والانعام ، حتى اذا اخذت الأرض  
زخرفها ، وازينت ، وظن اهلها انهم  
قادرون عليها ، ايقاها أمرنا ليلًا ،  
او نهارا ، مجعلناها حسيدا كان لم  
تفن بالامس ، كذلك نحصل الآيات  
لقوم يتذكرون ) يوئس ٢٤

### ( كون على سفر )

روى البخارى عن علي رضى الله  
عنہ انه قال : — ( ارتحلت الدنيا  
 مدبرة ، وارتحلت الآخرة مقبلة ) \* .

---

\* ورد هذا المعنى في حديث رواه البيهقي « في الشعب » عن حابر  
رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ( ..... وهذه الدنيا  
..... ، وهذه الآخرة مرتحلة قادمة ..... )

هرض حاضر يأكل منه البر والفاجر ،  
الرايح النارك — والحق أن الفتن  
هي المركب ، وعلى متنها العريض  
المتد تنتظم أفواج من بعد أفواج .  
ولكل فوج « محطةه » الخروبة ،  
ومنزله المثوم . أما القطار —  
بعرباته الجمة — فماض حتى يأتى  
أمر الله .

الحركة اذن في الأصل حركة  
المركب . أما الراكب فتابع ، ودوره  
التنسيق ، وأيجاد الانسجام ،  
 واستثمار حركة المركب ، والركب ،  
في هدى الدين على التحو الذي يرضي  
المولى (جل وعلا) ويتحقق الخلافة .  
وهواء الذين يعمرون الدنيا —  
متعاقبين — معادن متفاوتة . وهم  
— منكمليين — يتبعون مركز الخلافة  
في صياغة هذه الدنيا . واللاحقون  
— بحكم انقاضهم بتراث السابقين ،  
واثرائهم للتراث بما استحدثوا وجمعوا  
اوعوا — اوضح رؤية ، واضبط  
حركة ، واحسن مرتفقا ، واعظم  
مسئوليية من السابقين . وهم —  
بما أتيح لهم — رفعوا (بالبناء  
للمجهول ) درجات دنيوية عن  
الأولين ، فبلغوهم أشد ، ومحظتهم  
أجل . وظنني أن هذه المعانى هي

ويجدر — قبل أن نمضي — أن  
نوميء أيام إلى إحياء كلمات : —  
« راكب » « استظل » « راح وتركها »  
فكلاها كلمات تشي بالحركة ، والعلو  
وبيان المؤمن لا يهم الدنيا اهملها بل  
ينعم ببردها ، ويستظل بظلها ، وبأن  
حق اتخاذ القرار مكتوب للمؤمن ،  
هي المثلية ، وهو باختياره يعرض  
« راح وتركها »

والدنيا كل الأعراض حائلة ثائرة ،  
متقلبة تضم فتحنو ، وتطف (٢)  
فتغصر ، وتطوى ، وتنشر . والمرء  
— كى يأمن — لا بد أن يكون مرتنا ،  
يحسن استخدام القوى الفعالة التي  
حباه الله بها ، والتي تعتمل في  
داخله . فإذا تجاوب مستمسكا بعرا  
الإسلام ، مسترشدا بنور الإيمان بذ  
الاتزان وسبق ، والا اختل توازنه  
وسقط نهب المدى ، وتحت القدر ،  
ولا يكتبه ان يتعلق بأذىالقادرين .

والحركة في حديث ابن مسعود  
( مالى ول الدنيا . . . ) تبدو وكأنها  
تبعد عن الراكب وحده — فهو

(١) رواه الشافعى ، وروى نحوه أبو نعيم « في الحلية » بأسناد ضعيف .

(٢) تضم بشدة .

وقد يسمق شجرة طيبة أصلها ثابت ،  
وفرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين  
باذن ربها ....

ولكن الانسان — مع هذا — حفيد  
امسه ووليد يومه وصدى طروفه .  
فصلته بماضيه وثيقه ، وصلته بحاضره  
اوائق ، لأن الماضي بجميع احواله  
رافد من روافد الحاضر ، وملامح  
الماضى دائمًا ترقص على محياناً  
(بضم الميم) ، وفتح الحاء ، وتشديد  
الباء ) الحاضر ، وعلى ضوء هذا  
البيان يمكن أن نفهم ما رواه أبو هريرة  
قال : - ( سئل رسول الله صلى  
الله عليه وسلم : أى الناس أكرم ؟  
قال « أكرمهم عند الله أتقاهم »  
قالوا : ليس عن هذا نسألك ، قال :  
« فاكمرون الناس يوسف نبى الله ، ابن  
نبى الله ابن نبى الله ، ابن خليل  
الله » قالوا ليس عن هذا نسألك ،  
قال : « فعن معادن العرب تسألون ؟ »  
قالوا : نعم ، قال : « فخياركم في  
الجاهلية خياركم في الإسلام اذا  
فهوا » متفق عليه .

والمعنى : أن أربع الأصول العطر  
يزكى الفروع ، من شهر  
وعبارة « اصطلاح الش

التي تسيق الى خواطرنا حين نتذير  
قوله سبحانه : - ( وهو الذى  
جعلكم خلائف الارض ، ورفع بعضكم  
عوq بعض درجات ليلاوكم فيما  
آتاكم ، ان ربكم سريع العقاب ،  
وانه لنفور رحيم ) ١٦٥ الانعام .

## ٤) طبیع الارض ، و صبغة الظروف )

· مما رواه احمد والترمذى عن أبي  
موسى عن رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم انه قال : - « ان الله خلق آدم  
 من قبضة قبضها من جميع الارض ،  
 فجاء بنو آدم على قدر الارض ، فنفهم  
 الاحمر ، والابيض ، والاسود ، وبين  
 ذلك ، والسهل والحزن ، والخيث ،  
 والطيب ». ·

فالانسان - كما يقولون - طرح  
الارض « منها خلقناكم . . . . »  
وهو - كالارض - يخضع لعوامل  
التعرية ، وعوامل التنمية ( وترى  
الارض هامدة ، فما زلنا عليهما  
الماء اهتزت ، وربت ، وأنبتت من كل  
زوج بسيج ) وهو - بكل ما ثبتت  
الارض - قد يسمى شجرة حشيشة ،

ملهم الشعوس فجورها ، وتقواها  
وهدادها النجدين .

وانفعال الانفس بالاجواء الكونية  
التي تكتنفها تحسه وانت تتدبر آيات  
قرآنية ثلثت النهي الى آيات كونية  
ثم تتحدث عن النفس باعتبارها آية ،  
ولايحاء بارتباطها العميق الدقيق بتلك  
الظواهر التي سبقت ، وبحركتها ،  
واشتعاعاتها .. الخ وتبنيها الى ان  
النفس تتاثر بما تبث هذه الاجرام ،  
وبما تعكس ، (والسمسم ، وضاحها  
والقمر اذا نلاها . والنهر اذا جلاها  
والليل اذا يغشاها . والسماء وما  
بنها والارض وما طحاهما . ونفس  
وما سواها . فاللهما فجورها ،  
وتقواها .. )

وعطاء هذه الاجرام . يختلف بلا  
شك من بيته لبيته . واذا اخذنا في  
الاعمار قدرة اهل هذا القرن على  
ارتفاع الآفاق ، واستغلال الفضاء ،  
والاستقادة بالطاقة الشمسية امكنا  
ان نقول : ان عطاءها يختلف من زمان  
إلى زمان .

والنتيجة المستقادة من كل ما سردنا  
هي :- ان انسان اليوم واسع  
الامكانات ، جم المعلومات متشابك  
الصلات ، مزدحم الفكر ، فلابد له  
من اسلوب عصري باهر يتنعم  
ويتمتع ، ويؤثر فيه

د. قيثارة يحيى  
بخاري احمد عبد

شخصية الانسان - اذن - تتأثر  
بالتاريخ ، وبالزمان ، والمكان ،  
وبالظروف المادية ، والمعنوية الملائمة

وليس معنى هذا ان الانساني الذين  
تجتمعهم مؤثرات متماثلة يتساون  
بالضرورة ، كيف وهناك حظ الانسان  
من امه الارض ؟ هذا الحظ الذى  
يختلف قوة وضاغعا ، كثرة ، وقلة ،  
ويقع دفة التغير الذى بين نبرات  
الاصوات ، او بين بصمات المثان  
(بلى قادرين على ان نسوى بنائه) .

ان ليرات الارض وزنا بين  
الصفات المتراعلة التي تبني شخصية  
اى انسان .

وبادر فنعلن ان هذا التفاعل  
الخيوى سنته الله في الكون ،  
والكتائب ، فهو بعيد كل البعد عما  
ادعاه الطبيعيون أصحاب شعار  
« .. ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ،  
ونحيانا ، وما يهلکنا الا الدهر ... »  
من ان هذا الكون ازل العناصر ،  
تقيم المركبات ، وأن عناصره تتفاعل  
منذ القدم ذاتية ، فتلتسم وتتفضم  
موجة تجتمع ، وتفرق ، ... الخ هكذا  
بلا مدبر ، ولا موجه ، ولا مهممن ،  
بل بقواها الساذجة المكتومة التي  
لاتعني . ان وراء كل الظواهر الكونية  
قوة الخالق ، الباري ، المصوّر ،

# نفحات قرآن

# بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

( 1 )

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُم الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الظَّاهِرِيِّ مِنْ قَطْعَكُمْ لِعِلْمِكُمْ تَتَقَوَّنُ . أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخْرَى ، وَعَلَى الَّذِينَ يَطْغِيُونَهُ فَذِيَّةٌ طَعَامٌ مَسْكِينٌ فَمَنْ تَطْوعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ، وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ ، وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَىِ وَالْفُرْقَانِ ، فَمَنْ شَهَدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلِيَصُمِّمْهُ ، وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً ، أَوْ عَلَى سَفَرٍ ، فَعِدَةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخْرَى ، يَرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ ، وَلَا يَرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ، وَلَتَكُملُوا الْعِدَةَ وَلَا تُكْبِرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ، وَلِعِلْمِكُمْ تَشَكَّرُونَ » .

ذکر و تبریر

الدعوة يصنعون الصحوة ، ويرجون الانقضاضة .

رمضان كان مقاعدة العمل الإسلامي  
الأول « شهر رمضان الذي أنزل  
غيبة القرآن »

وهو — باعتباره مهد الدين ،  
ومنطلق أولى اشعاعاته — لا يزال  
المثابة ، والمحفز ، ومصدر الالهام  
لكل الفيورين العاملين في حقل

(١) الزند عود تدح به النار او جسم صلب يحك بجسم مماثل لتنقد النار ، وتقول تدحت بالزند اذا حككها في زندة سفلی طلبا للنار ، وتقول لمن انجذب ناعانك ( ورت بك زندي او مصلد الزند . ملوكها اذا لم يعود . وصلاد ( بضم اللام ) بخل — وتقول تدح فاورى اذا اشعل ، وتدح غاصد اذا فشل في الایقاد .

عسى أن نخرج مما نعاني من ملود  
وخطوه — عسى أن تندح فنورى .  
هذا الغضم الماير محفوف بالكاره ،  
لا مجىء إذا اهلانا الوقوف أمام  
الظاهرة المرفقة المتمثلة في اهدار الخائبين » واستقبالها يتطلب لية  
بعض الذين يحبون ( بفتح الياء سامية ) ، وقدرات عالية . « وما يلقاها  
وسكون الحاء ) ، أو يجتمعون على  
الساحة الإسلامية قيمة الظروف في  
تشكيل الناس ، وتكيف الدعاة ،  
وتحديد الأسلوب .

عسى أن نخرج مما نعاني من ملود  
وخطوه — عسى أن تندح فنورى .  
هذا الغضم الماير محفوف بالكاره ،  
لا مجىء إذا اهلانا الوقوف أمام  
الظاهرة المرفقة المتمثلة في اهدار الخائبين » واستقبالها يتطلب لية  
بعض الذين يحبون ( بفتح الياء سامية ) ، وقدرات عالية . « وما يلقاها  
وسكون الحاء ) ، أو يجتمعون على  
الساحة الإسلامية قيمة الظروف في  
تشكيل الناس ، وتكيف الدعاة ،  
وتحديد الأسلوب .

فنحن إذ نصدر المقالات بآيات  
الصيام ثم نتجاوزها إلى متعطفات ،  
واهتممات قد تخل ب بعيدة عن نطاق  
الآيات لا شطح ، أو نستطرد فنوغل  
في البعد ، والحق أن مثلنا كمثل من  
يرقب السماء بليل نيري — فيها  
ميرى — زحل وطارد والثريا ،  
وسبيلا ، والزهرة .. الخ .

أو كمثل من يشعل عود الثقب  
يبحث عن شيء بعينه ، نيري — مع  
الشيء — أشياء وأشياء .

### لياقة مدغومة

والأنوار التي ننشدها تتكامل  
متضادة ، متلاحمة ، لتغدو أطواق  
النجاة ، بل تلك السلامة الذي  
نعتزم به في خضم الحياة بين  
الاعاصير ، والأنواء ، وجبار الجليد  
.. لتكون الصارف التي تقذف  
بالشرور ، والشرر ، بعيدا ، حوالينا  
ولا علينا .

ونزار فنقول : إن كل تلك  
الأعراض المعايرة الصاخبة التي  
تنتاب الوجود ليست تلقائية ، ولا  
وليدة قوى الطبيعة العميماء . ولا  
نتيجة التفاعل العشوائي بين عناصر  
الكون .. بل وراءها — كما أسلفنا  
— قدر الله ، وقدرته ، وتصاريحه ،  
وارادته الحاكمة القاهرة » « والهكمة  
الله واحد ، لا الله إلا هو للرحمتين

ولله علمنا أن الإسلام بكل روانده  
فضاء مهيب يقع بالأنوار . وان  
هذه الأنوار تتعامل مع زمان بركانى  
يثور ثورة عارمة ، ويغتدىل ،  
ويسكن ، الا أنه حين يسكن يستجمع  
جاشه ، ويعبئ حمه ، وقذائفه ،  
أو قل : مع زمان كالبحر المحيط  
يكتب بالدم ، والجزر ، والسيولة ،  
والتجدد ، والبرودة ، والدفء ،  
والهياج ، والمدوء ، تبعاً لتفاير  
الازمة ؛ واختلف الأمكة .

«الرحيم» . ان في خلق السموات ، والارض ، واختلاف الليل ، والنهر ، والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فاحيا به الأرض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح ، والسحب المسخر بين السماء ، والارض ، لآيات لقوم يمقلون . ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حباً لله . . . .

البقرة ١٦٤ - ١٦٥

ان ينام « بساله من في السموات والارض كل يوم هو في شأن » الرحمن . ومخاتنة مكره ، ورهاء عطائه علينا رسول الله ان نكون دائماً في مقمة الساللين ، وأن نستعيذ به من التقلب . ( عن انس رضي الله عنه قال : - كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول : يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك . فقلت : يا نبى الله آمنا بك ، وبما جئت به ، فهل تخاف علينا ؟ قال : نعم ، ان القلوب بين اصحابين من اصياع الله ، يتقلبهما كيف يشاء ) رواه الترمذى ، وابن ماجه ، وهو على شرط مسلم .

ان الكون كله بخومه الوعرة ، واجوانه المتقلبة ، وأحواله المتغيرة مستنقع الكائنات . فمن اتخذ العدة ، ونظر في طبائع الاشياء ، ورصد المزالق ، والماوى مستهدياً بالأنوار الروابية ، مستشفيهاً بالأشفية الرحمانية جبر الله قصوره ، وأحاطه بأنضاله .

#### · عود الى فاعلية الظروف ·

ان الدهر قلوب (١) ، والزمان في تقلب ودورانه يطوى ، وينشر ، ويدمج ، كاللة الطباعة تترك طلبعها على ما تضم من شيء ، كذلك الزمان

هو وحده الذى يشير ، ويجزى ، ويؤجج ، ويحمد ، ويصيب بالصواعق ، ويصرف ، ويقلب الأزمنة ، والأمكنة ، والمحسوس ، والمعنى ، والافتدة ، والابصار ( ولله ملك السموات ، والارض ، والى الله المصير . المتر ان الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ، ثم يجعله ركاماً ، فترى الودق يخرج من خلاه ، وينزل من السماء من جبال فيها من برد ، غاصب به من يشاء ، ويصرفه عن يشاء ، يكاد سنا برقة يذهب بالابصار . يقلب الله الليل ، والنهر ، ان في ذلك لعبرة لأولى الابصار )

النور ٤٢ - ٤٤

انه سبحانه لا ينام ، ولا ينبعى

(١) القلوب = المقلب الكثير التقلب . والمراد بالدهر هنا حقيقته اي جماع الأزمنة كلها . أما اطلاق الدهر على الله في الحديث « لا تسبوا الدهر فان الدهر هو الله » فعن باب المجاز المرسل ، الا ان البعض قد كلام « الدهر » في الأسماء الحسنی ، متمسكاً بهذا الحديث .

ورأى اهل اللغة انه الامد ، او الابد ، والحول التقلب ( بضم الحاء ، والكاف . . . . وفتح الواو واللام مشددين ) البصیر بتقلب الامور .

أدراك الأولين ، ومعارفهم مستمدّة من تراهم المحدود ، ومن زادهم الناح ، وأدراك الآخرين رهن بتراثهم المحدود ، وزادهم المتزايد . وصفع الله (..... فسالت أودية بقدرها...) الحق أن الإنسان مرتبط بذاته ، وأى اتفصال عن عصره يطرحه أرضاً نهب الحوافر ، والآلاف ، والآدم ، والجلات ، إن الفضول الأريمة — وهي تتتعاقب في حيز محدود — لها تأثيرها البالغ على النفس ، فكيف إذا طال المدى .

### (عصرة الدين وأدب الدعوة)

الإسلام دين كل الأزمنة والأمكنة . فهل يتعرض — كالإنسان — لعوامل التعرية ، والتربية ؟ للتغير ، والتensus ، والزيادة ؟

ان الله الذي انزل هذا الدين للأولين ، والآخرين ، والبادين ، والحاضرين (١) كتب على نفسه ان يحفظ الذكر وان هان الذاكرون « انا نحن ننزلنا الذكر وانا له لحافظون »

وكل رفعة الدين ، واستمر في المسيرة وان تهوى الدعاة ، وذل المسلمون « هو الذي ارسل رسوله بالهدى ، ودين الحق ليظهره على الدين كله »

وتعهد سبحانه ان تظل نفحات

نبحدث في الأجيال تغييرات مباشرة ، وغير مباشرة في النفس ، والمزاج ، والفكر ، وكما تتمدد نقوش آلة الطياعة وتتغير ، كذلك تتعدد نقوش الزمن وتتغير ، وتبعاً لهذا تغير الأجيال وتتميز برغم السمات المشتركة التي تجمع بينها — برغم العرق المشترك . ومقتضى هذا أن الإنسان الذي ان فعل بزمان غير له ملامحه ، وسماته غير « الإنسان الذي ان فعل بزمان حاضر تطور ، وتحضر . والأنسان الذي تأثر بيئته مزدهر خراء ، غير الذي ان فعل بيئته مقرفة جراء ، والذي تأثر بأجواء الضباب ، غير الذي تأثر بالدو (٢) ، والكتبان ، والسراب .

والنتيجة ان لكل فوج من تلك الأمواج روبيته المتأثرة بظروفه النابعة من موقفه على السلم الزمني . وله كذلك طريقته في الإرسال ، والاستقبال ، والتحليل ، والتتمثل ، والاستبطاط . والاتناع ، والتأثير .

وعلى هذه الملابسات التي تعرض للناس هو — في ظني — من الحكمة التي نوه المولى بها وهو يضع للناس أصول الدعوة إلى سبيله ( ادع إلى سبيل ربك بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن ، ان ربك هو أعلم بمن فل عن سبيله ، وهو أعلم بالمهتدين )

الفصل ١٢٥ ٠ ٠

(١) الدو بالواو الشديدة الصحراء . والكتبان جمع كتب اي الرمال .

(٢) البلدون هم أهل بلاد ، والحاضرون هم أهل الحضر .

وهكذا تظل أصول الدين منيعة ،  
وتظل ساحتها مقدسة لا يقتسمها فكر  
بشرى غير معصوم .

صفحة الدين قد يشوب صفوها  
غبار يثيره ركب الشيطان ، أو كيد  
الاعداء او سقوط الاتصار . الا ان  
المولى جل ، عولا ، قيض ( بتشهيد  
الياء المفتوحة ) للدين من يجليه ،  
ويجدد رواهه . قال صلى الله عليه  
 وسلم : ( يحمل ( ١ ) هذا الدين من كل  
خلف عدوه ، ينفون عنده تحريف  
الغالين ، وانتحال المبطلين وتأويل  
الجاهلين )

ومثل هذا ما رواه أبو هريرة  
رثى الله عنه عن الرسول صلى الله  
عليه وسلم قال : — ( ان الله يبعث  
لهذه الأمة على رأس كل مائة عام  
من يجدد لها دينها ) رواه أبو داود ،  
والحاكم في المستدرك وصححه الذهبي

### شيفوفة الحياة

وكما تراكم الغبار ، او تكاثف  
الزبد هيأ الله لدينه من يلتصق ،  
ويجلو صفحته .

وكما ظهرت البدع ، وتتناثرت  
التحريف ، والتخريف قيض الله من  
يصد ، ويحمى .

وكما عظم الكيد ، وبريت السهام ،  
وكيلت للدين ، الضربات يبعث الله من  
يغود ، ويرد .

القرآن ندية ، سحاء ، مشرقة ،  
تنبع وضوح الرؤية ، وترشد حملة  
المشاعل حتى يواصلوا السرى  
متتابعين ، ويلفوا بالإسلام المغرب  
الشمس وان طال المدى وتضاعلت  
الفرص ( انا بقاوكم فيما سلف قبلكم  
من الامم كما بين صلاة العصر الى  
غروب الشمس ، اوتى اهل التوراة  
التوراة فعملوا حتى اذا انتصف النهار  
عجزوا فاعطوا قيراطا ، قيراطا ، ثم  
اوتي اهل الانجيل فعملوا الى  
صلاة العصر ثم عجزوا فاعطوا قيراطا ،  
قيراطا ، ثم اوتيانا القرآن فعملنا الى  
غروب الشمس فاعطينا قيراطين ،  
قيراطين . . . ( الخ ) البخاري  
والموالي تحقيقا لكل هذا ، وعصبة  
لدينه من تقلبات الأجواء ، والآهوء  
ثبت أصول هذا الدين وحسن جذوره  
من ان تمسمها آفات او يصيبها نحر  
أونغر . فاللزم بالابتعاد وانكر الابتداع ،  
وحرم تعدى الحدود ، والحوم حول  
الحمى ( عن النعمان بن بشير عن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم  
قال : الحال بين والحرام بين ،  
وبينهما شبئات لا يعلمها كثير من  
الناس ) ، فمن اتقى الشبهات فقد  
استبرا لعرضه ، ودينه ، ومن وقع  
في الشبهات وقع كراع يرعى حول  
الحمى يوشك ان يوacuteقه ، الا وان  
لكل ملك حمى ، الا وان حمى الله  
في ارضه محارمه . . . ( البخاري )

( ١ ) الحديث رواه ابراهيم بن عبد الرحمن مرسلا ، ولكنه روى موصولا  
عن طريق جماعة من الصحابة ، وصححه الامام أحمد .

نخرجكم طفلاً ، ثم لتبلغوا أشدهم ،  
ومنكم من يتوفى ، ومنكم من يردد  
إلى أرذل العمر لكن لا يعلم من بعد  
علم شيئاً . . . ) الحج

فاليام مركب الإنسان إلى أرذل  
العمر ، وهي - أيضاً - مركب  
الأجيال ، ومركب الحياة نفسها  
وصدق الله « ومن نعمه ننكسه في  
الخلق » يس

وشيخوخة الحياة بما تخبيء من  
مخاطر ، وبما تدخر من ويلات كان  
يتمثلها رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم نبراع ، ويقلق خوفاً على أمته  
 أن يتضامن ، أو تقتلون ، وتتسعر (١)  
(بالبناء للمجهول) وطالما حذر الرسول  
 صلى الله عليه وسلم من آخر الزمان  
 تحذيراً يكتشف المخامر ، ويصور  
 المخالف ، والآثياب . من ذلك :

١ - ( يأتي على أمتى زمان  
 الصابر فيه على دينه كالثابض على  
 الجمر ) رواه الترمذى عن أنس  
 وقال : غريب الأسناد .

٢ - وما رواه أحمد عن معاذ بن  
 جبل قال : قتل رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم : ( يكون في آخر الزمان  
 أقوام أخوان العلانية أعداء السريرة ،  
 قليل : وكيف يكون ذلك يا رسول الله )

هكذا تظل طائفة من الأمة ظاهرين  
 على الحق لا يضرهم من خلفهم  
 مصدق حديث رسول الله .

وهكذا . حتى إذا تپن العلم ،  
 وقضى الأمر شاخت الدنيا ، وتهيات  
 لشرار الناس .

ويومئذ فقط يعنى (بالبناء للمجهول)  
 المجاهد ، وترفع فريضة الجهاد  
 مصدق ما أخرجه أبو داود عن أنس  
 رضى الله عنه عن النبي صلى الله  
 عليه وسلم قال : - ( . . . . )  
 والجهاد ماض منذ بعثة الله إلى  
 أن يقاتل آخر أمتى الدجال (٢)  
 ومصدق ما جاء في صحيح مسلم (٣)  
 من أنه إذا قتل الدجال ، وظهرت  
 ياجوج ، وما ياجوج لجا عيسى عليه  
 السلام بمن معه إلى الجبال - لعدم  
 قدرته عليهم ، فلما يجب عليه قتالهم  
 - حتى إذا أهلتهم الله بأمر من  
 عذبه ، وظهر الأرض منهم ، بعث  
 ريحًا طيبة تقيض رون كل مؤمن  
 ومسلم من عصمه الله أمن فتنة  
 الدجال ، ولا يبقى بعدهم إلا شرار  
 الناس حتى تقوم الساعة .

والساعة توافق شيخوخة الحياة.  
 فالحياة بكل معنياتها يجري عليها  
 ما يجري على الأحياء . . . ثم

(١) الحديث في سنته مجهول هو يزيد بن أبي شيبة الراوى عن أنس ،  
 لكن معنى الحديث صحيح .

(٢) كتاب الفتن وأشراط الساعة : ج ٤ / ٢٢٤٠ باب ١٨ - وانظر  
 كنور السنة الحديث ١٣ « حقيقة الإيمان والاسلام »

(٣) السمار الجنون والجوع والحر ، والمسعور الحريص على  
 الأكل وإن مليء بطنه .

## • والمؤثرات الأخرى

وهولاء وغيرهم ممن أشارت إليهم الأحاديث هم صنائع الزمان ، شكلوا في بوتنته ، وصيغوا بضواغطه ، وعرضوا ( بالبناء للمجهول ) ليقروا براهنين على فعل الزمان ووشم الزمان ، ووصم الزمان .

والانسان يتفاعل تفاعلاً يكاد يكون كيميائياً مع الظروف الواقعية التي تعيشه او تلبسها . فهو يطغى ان راه استغنى ، وهو يضطرب بين النتائج حين يليل ( ان الانسان خلق هلوعا ، اذا مسه الشر جزوا ، واذا مسه الخير منوعا ، وهو يغيب عن رشده اذا مسنه ضراء ، ويثوب اذا مسنه ضراء « اذا انعمنا على الانسان اعرض ، ونای بجانبه ، اذا مسه الشر فدو دعاء عريض » فصلت . وهو - في جملته - اسير حالتين رهيبتين تتأرجحان به ان لم يعتصم بالله « ولئن اذتنا الانسان منا رحمة ، ثم نزعنها منه انه ليوس كهور . ولئن اذتناه نعماء بعد ضراء مسنته ، ليقولن ذهب السينات عنى انه لفرح فخور . الا الذين صبروا . . . »

هود ٩ - ١١

قال ذلك برغبة بعضهم في بعض ، ورحبة بعضهم من بعض ) هذا ولعل العلانية هنا تشي بالملائكة التي لا تؤمن الا بالمشاهد المحسوس وليد التجربة .

٣ - وما رواه البيهقي في شعب اليمان عن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : - ( انه يصيب امتي في آخر الزمان من ابطائهم شدائداً ، لا ينجو منها الا رجل عرف دين الله مجاهد عليه بلسانه ، ويده ، وقلبه ، فذلك الذي سبقت له السوابق ، ورجل عرف دين الله نصدق به ، ورجل عرف دين الله نسكت عليه ، من رأى من يعمل الخير احبه ، وان رأى من يعمل بباطل ابغضه ، فذلك ينجو على ابطائه كله ) (١)

٤ - وما رواه الترمذى عن ابى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : - ( يخرج في آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين ، يلبسون للناس جلود الضأن من اللين ، يستقهم احلى من السكر ، وقلوبهم قلوب الذئاب . يقول الله : ابى يفترون ؟ ام على يحرثون ؟ نبى حلفت لا يبعثن على اولئك منهم فتنة تدع الحليم ففيهم حربان )

(١) في سنته كلام .

وهو أن لم يوغُل في هذه الحالات عرف ، فنلت إلى حيث النصرة ،  
أيغلا مسنته نفحة منها . فالثروة  
والرقة ، والماء ، والخضرة . فلبيت  
— مثلا — إذا هبطت على أمرىء هناك ما لبث ثم عاود الخليفة يقصد  
في مجلسه القصيدة العذبة المشهورة  
التي مطلعها

عيون المها بين الرصافة والجسر  
جلب الموى من حيث أدرى ، ولا أدرى  
ذلك تأثير الظروف ، وطابع

البيئة . والداعية الذى يشقشق  
دون أن يحسب حساب هذه التوازع ،  
ودون أن يقطن إلى طابع الزمان ،  
ومطلبات العصر يتعاطى مالا يحسن ،  
ويتحمل من البلاء مالا يطيق .

والسلف الصالح راعوا النوازع  
البشرية بقدر ما أتيح لهم . فقد  
روى البخارى عن هكرمة عن ابن  
عباس قال : — حدث الناس كل

جمعة مرة ، فان أبيت فمرتين ، فان  
اكترت ثلاث مرات ولا تمل الناس  
هذا القرآن ، ولا الفينك تأتى القوم  
وهم في حديث من حديثهم فنتقص  
عليهم فنقطع حديثهم فتملهم ، ولكن  
أنصت ، فإذا أمروك فحدثهم وهو  
يشتهون ، وانظر السجع من الدعاء  
ما جتبه ، فانى عهدت أصحاب  
رسول الله لا يفعلون ذلك (٢) .

يتبَع  
بخارى احمد عبده

أيغلا مسنته نفحة منها . فالثروة  
— مثلا — إذا هبطت على أمرىء  
ما تغير حاله فجدت له أشواق ،  
واستحدث اهتمامات ، وظهرت  
تلعلعات ، واجذبته ساحات ،  
وتولدت فيه طاقات . . حتى ان  
العين لتکاد تتقرب ، وتتکرر أمره .

وكذلك الجاه ، والشهرة ، وكذلك  
كل ارتقاء من حال إلى حال ، وليس  
شرطًا أن يكون التغيير إلى أسوأ .  
ولكنه على أية حال تغير غريب كثيراً  
ما يؤثر على أمكاره ، وتصوراته ،  
وعطائه .. الخ .

ولقد روى تاريخ الأدب قصة ذلك  
الشاعر البيوبي (١) الذى اخترب  
مناظر البايدية فراح ينضح بما فيه  
وقصد الخليفة مادحا فقال :

أنت كالكلب في حفاظك للسود  
وكالتبش في قراء الخطوب  
أنت كالدلو لاعدمتك من دلو  
صفيق الهماب غمر رحيب

فتثار عليه في مجلس الخليفة من  
ثار ، وزجره من زجر ، وسبه من  
سب . ولكن الخليفة أدرك أنه  
شاعر يعكس ما رأى ، ويشبه بما

(١) هو — كما قيل — على بن الجهم الشاعر العباسى المتوفى سنة ٢٤٩ هـ سنة ٨٦٣ م

(٢) أى لا يتمدونه .

# نفحات القرآن

## ب讲解 بخاري أحمد بن عبيدة

- ١٠ -

بسم الله الرحمن الرحيم

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتَيْنَاكُمْ كِتَابًا كَمَا كَتَبْتُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعْلَمْتُمُوهُنَّا مَعْذُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ هُرِيَّضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَمُدْعَةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخْرَى ، وَعَلَى الَّذِينَ يَطْبِقُونَهُ فَدِيمَةٌ طَعَامٌ مَسْكِنٌ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ، وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَطْمَمُونَ »  
شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أَنْزَلَ فِيهِ الْقُرآنَ هُدًى لِلنَّاسِ ، وَبِيَنَاتٍ مِنَ الْهُدَى ، وَالْفُرْقَانَ ، فَمَنْ شَهَدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلِيَصُمِّمْهُ ، وَمَنْ كَانَ هُرِيَّضًا ، لَوْ طَغَى سَفَرٌ ، فَمُدْعَةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخْرَى ، يَرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ ، وَلَا يَرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ، وَلَا تَحْمِلُوا أَعْدَادًا وَلَا تَكْبُرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ، وَلَعْلَمْتُمُوهُنَّا مَسْكِنٌ

هُوَ الْبَرُ الرَّحِيمُ فِي الْجَنَّةِ - السَّنَةُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَبِمَا رَحِمَهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ « أَنَّهُ هُوَ

قَاتَلَ الْمُهُودَ : - ( يَدِ اللَّهِ بِغَلَوَةٍ ، الْبَرُ الرَّحِيمُ ) .  
فَلَتَ أَيْدِيهِمْ ، وَلَعْنُوا بِهَا قَالُوا ،  
بَلْ يَدَاهُ مِبْسُوطَتَانِ ، يَنْفَقُ كَيْفَ  
يَشَاءُ . . . ) الْمُتَّدَّةُ ٦٤

نَاطِدَارُ الْعِبَادِ التَّقِيلِينَ بِنَفْسِ اللَّهِ  
الْعَالِمِ ، وَنَفَتْ شَائِسَةُ هَذِهِ وَسَعْيُهِ  
مَكْتَبَةُ بِهَاتِينِ الْكَلْمَتَيْنِ الَّتِيْنِ جَاءَ  
صَدِيْقِي لِأَحْسَانِ الْمُتَّقِينَ الْعَيْقِ بِهَا  
أَكْثَنَتُهُمْ مِنْ نَعِيمِ الْأَيْجَلِبِ ، وَالسَّلْطَبِ  
وَالْتَّكْرِيمِ بِالْمَسْوِسِ ، وَبِالْمَغْنُوِيِّ ،  
عَلَى النَّعْوِ الَّذِيْنَ عَرَضَ فِي أَيْسَلَتِ  
« الْطَّورِ » حَتَّى كَانَ الْقَارِئُ يَلْمِسُ  
الْمَشَاهِدَ « هِبَعْ مَهْمَدَ » وَيَجِدُ  
الْمَذَاقَ ، وَيَشَمُ الْمَبَرِّ : - ( أَنْ  
الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتِ ، وَنَعِيمِ . نَاكِبِينَ

وَالْبَرِّيَّةِ تَاطِيَّةٌ لَنْ تَحْصِي تَنَاهِ  
عَلَيْهِ . هُوَ كَمَا الَّتِي عَلَى ثَلَاثَتِهِ ،  
وَلَوْ تَنْهَكَ الْبَرِّيَّةَ هَلْظَلَ كَلَمُ الْحَمْدِ  
تَسْبِيرًا مِنَ الْمَرْفَسَانِ وَانْتَهَالًا بِالنَّعْمَ  
الَّتِي لَا تَحْصِي ، وَالْبَرُ الَّذِي نَاضَ  
نَفْرَ الدَّارِينَ ، وَوَسْعَ الْجَاهِينَ ،  
مَا وَجَدَتْ كَلِيلَتُ أَرْجَبِ ، وَأَوْجَزَ  
وَأَقْنَى مِنْ كَلْمَتَيْنِ الْمُتَّقِينَ رَدِّتَهُمَا -

بها آلامهم ريم ، ووقاهم حذاب  
الجحيم . تلوا ، وأشريوا فيها بما  
كلتم نعملون . متكلمين على سرر  
مصنفوة ، وزوجناهم بخور عين .  
والذين آمنوا ، واتبعتهم ذريتهم  
يليمان الحقنا بهم ذريتهم ، وما التفاص  
من علمهم من شيء . كل أمرىء  
بما كتب رهين ، وأمدتناهم بفاكهته ،  
ولحم مما يشتتهن ، يثأرعن فيها  
كائنا ، لا لغو فيها ولا ثائيم .  
ويطوف عليهم عثمان لهم كانوا لهم لعلو  
مكتون . وأقبل بعضهم على بعض  
يتسلطون قالوا أنا كان قبل في أهلنا  
متغرين . فمن الله علينا ، ووقانا  
عذاب السموات . أنا كنت من قبل  
ندعوه أنه هو البر الرحيم ) .

ذلك الملا الأعلى . تلمع —  
ستجعية لطرتها ، ملقطة بما  
حولها — تالداعاء لأصل الأرض  
وستفتر للإقليم ، كل الإنعام مصدق  
ما ذكر القرآن : — ( لَمَّا فِي  
السموات ، وما في الأرض وهو  
على العظيم . تکاد السموات  
يتضرون من حوتون والملائكة يسبحون  
بحمد ربهم ، ويستغفرون لمن في  
الارض ، إلا أن الله هو القنور  
الرحيم ) الشوري .

والملا الأعلى في شهر الصيام يرون  
( بالبناء للمجهول ) أكثر اهتماماً ،  
ورأفة ، واحتفاء بالذاريين الصائمين ،  
صدق ما تروى البيهقي في الشعب  
— عن أنس رضي الله عنه قال : —  
تقال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
( إذا كان ليلة القدر نزل جبريل في  
كبحة من الملائكة ، يصلون على كل  
عبد قائم ، أو شارد ، يذكر الله ) .

ذلك رسولنا صلى الله عليه  
وسلم — كما روی عن ابن عباس  
رضي الله عنه في الصحاح — ( أجره  
الناس بالخير ، وبكل لجوء ما يكون  
في رمضان ) .

كلمان — كما ترى — ذوانا  
سعة ، وفيها كثيبة ، لاتها  
مشمولتان برضي الأولى ، ولاته  
سبحانه أتش جهنا على نفسه ،  
وارضي يهدا اشكانا ، برغم أن  
نفسه لا يهضي ، وأن يده سبحانه  
سحاء الليل ، والنهر .

وحيبي — نيلوك وشمالي — ( اذا  
دخل رمضان كان اجزل متوية ،  
وابسط يدا ، وأوسع رحمة ، مصدق  
ما جاء عن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ( اذا دخل رمضان غلخت  
ثبور باب السماء . بيف روابة تتحت  
باب الوجهة ) متفق عليه .

او مصدق ما رواه الترمذى ،  
مولين ناجحة عن ابن هيررة قال : —  
( اخال رسول الله صلى الله عليه  
في رمضان ) .

يتغير اذا امتنلا ، ويتغير اذا علم ،  
و اذا ارتفع او أنسى وجها ، و اذا  
حق شهرا ، لو نعم بصحة ، او  
ابتل بقعة . . . الخ .

ويتأثر كذلك بكل ضموري يطرأ  
عليه في علمه ، او جسمه ، او  
جاهه ، او ماله ، او ... ، او ...  
والتفاعل الاول خطير ، لانه ايجابي .  
وخطورته تكمن في انه قد يورث  
عقوا ، وتطلولا او انحرافا ، وتشياها ،  
او ترقما ، واخلادا الى الأرض .

اما الثاني فسلبي قد يحد من  
القدرة ، وقد يرجعه الفهري ،  
ويحدره به ، ويسلمه الى الفتور  
والخمول ، والعجز ، شيئا فشيئا .

كذلك الاجيال ، تتقلب بين الزيادة ،  
والنقص ، وتأثر بعوامل التعرية .

والاسلام يحكم عاليته ، وشموله ،  
وخلوده ، ينشد الحياة المهدبة ،  
ويجدو نحو الاساليب التي تحمل  
التفاعل المبارك بين الدين ، وقيمه ،  
وهدياته — من جهة — وبين قوى  
الواقع ، ومتسلكلات الحياة بكل  
عقدها ، ومنحنياتها — من جهة  
اخرى .

فالحق ان الاسلام قد يدعوه الى  
فتح الآفاق ، ويستوعب مشاكل  
الدنيا ، لأنسه — برغم مثاليته —  
رحب ، مرن ، بعيد مدى الرؤية .

والداعية الحصيف يضع نصبه  
نظريه كل هذه الحقائق ، ويصل

ويكتلك المسلمين . يتبعوا في هذا  
الشهر بمزيد عبادة ، وطهر ، وبر ،  
وأمروا ( بالبناء للمجمل ) — وفق  
ما روى في الصحاح عن ابن عباس  
— بزكاة الفطر على العبد ، والحر ،  
والذكر ، والاثني ، والصغرى ، والكبير  
من المسلمين ، وأمر بها ان تؤدى  
قبل خروج الناس الى الصلاة .  
متفق عليه .

وأخرج أبو داود بسناد جيد عن  
ابن عباس رضي الله عنه قال : —  
( فرض رسول الله صلى الله عليه  
وسلم زكاة الفطر طهر الصيام من  
اللغو ، والرغث ، وطعمية للمساكين ) .

ان ملا عجب اذا اطلنا المقام مع  
نفحات آيات الصيام ، ولا غرابة اذا  
ازدحمت المعاني ، وتواردت سخية  
سحاء ، محيبة بمجتمع المسلمين ،  
ثانصة من الشوارد ، نافذة الى  
الأشوار ، فياضة بالخيرات كثيرة  
الصيام .

سلفيون وايضا عصريون  
ولقد افضنا — وسنفيض — في  
ال الحديث عن مخالفة الظروف ، وقابلية  
الانسان .

وهذا الانسان الذي يدعوه الى  
ان يتفاعل مع روح هذا الدين ،  
وان ينسق بخطة بين الدعوة وبين  
الظروف المتعددة المتغيرة غير ياغ ،  
ولا عذر ، هذا الانسان — كما تبين  
— مجيد تتألق «كيميايته» بالأعراض  
التي تتباه ، أو تعترىه .

التدبر (١) . كما ثُمَّ عن الحكمة ،  
والالتزام .

٢ - وهي تحمل في تضاعيفها  
معانى « التربية » القائمة على  
الدرج والتسلق إلى المتصود بصفارِ  
العلم قبل كباره الأمر الذي يتطلب  
منها ، وسياسة (٢) .

٣ - وربما كانت الكلمة - كما  
أثر عن البرد - جمعاً واحداً  
« ريان » من قولهم رب يرب فهو  
ريان اذا دبر وأصلح ، وبني على  
علم ، فهى - اذن - توحى بالاصلاح ،  
وتدبر امور الناس ، الأمر الذي  
يتطلب بصراً ، وحنقاً ، ومعرفة  
بمشاكل التطبيق مع العلم بالخلال ،  
والحرام ، والوقوف على انباء الائم ،  
وما كان ، وما يكون (٣) .

٤ - وجاء كل هذا ما قيل  
من أن الريانى هو الذى يجمع الى  
العلم البصر بالسياسة ، ويربط  
الحاضر بالماضى مستعيناً بالقراءة ،  
وحسن القياس ، والالمعية .

٥ - ومراعاة لابعاد الكلمة  
تالوا : - الريانيون فوق الاجمار (٤) ،  
لأن الخبر قد لا يتجاوز العلم الى  
البصر بالسياسة ، وحسن تناول  
الأمور ، ومعرفة الداخل ، والخارج .

المقصى بالحاضر على هدى و بصيرة  
كلما تاد ، وخطط ، أو جال ، ونفذ ،  
أو سكر ، وفر ، والا اضطررت رؤيته ،  
واختلط خطاه ، لا يلمث لهاث الكلاب  
وراء اي جديد نابذا كل قديم حتى  
لا يفند الاصلة ، ويضحي بالقومات .  
ولا يرتبط ارتباطاً اعمى بكل قديم  
غيفقد الانسجام وتلفظه الحياة وراءها  
ظهرياً .

وهذا الفقه الواهى للحياة في كف  
الدين ، او قل ان شئت للدين في  
كف الحياة هو السياسة الشرعية ،  
او السلبية الحقة . لأن السلف كانوا  
على وعي عال بحياتهم ، وبمشاكل  
عصرهم وكانتوا يطلون - من خلال  
الاسلام - على عالمهم وما يدور  
فيه .

#### ريانيون لا رهبانيون

بل ذلك الفقه هو الريانية التي  
اغريتنا بها في قول الله سبحانه : -  
(ولكن كونوا ريانين بما كنتم تعلمون  
الكتاب ، وبما كنتم تدرسون ٧٦  
آل عمران .

١ - والريانى قد يكون منسوباً  
إلى الرب . فالكلمة - حينئذ -  
تحوى بالثراء ، والعطاء ، والاقتداء  
بالرب سبحانه في التيسير ، وسداد

(١) نقل هذا عن ابن عباس .

(٢) روى معنى هذا عن عبد الله بن مسعود .

(٣) روى هذا عن أبي عبد الله .

(٤) روى هذا عن مجاهد ، وحسن التخايس .

هذا . . . ومن النجاح المليا للربانية حبر الامامة ، عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقد تميز بفقهه النظري ، وسداد التأويل ، والستيعاب مشاكل التطبيق . قال محمد بن الحنفية يوم مات ابن عباس : - « اليوم مات رباني هذه الامة » . كل تلك المعانى تستشعرها اذا استرجعت الآيات الكريمة التى وردت فيها الكلمة .

بـ ووردت في قول الله « إنَّا  
أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم  
بها النبيون الذين أسلموا للذين  
هادوا والريانيون والأخبار بما  
استحفظوا من كتاب الله ، وكانتوا  
عليه شهداء ٤٠٠٠ المائدة ٤٤ )

والآلية رتبت العاملين في ساحات المسرح  
الدمشقية ترتيباً تناظرياً « النبيون » .  
الرياتيون ، الأجراء » وذكرت —  
ذلك — من أسباب المكينة ،  
والطمأنينة ، والسداد : الحكم والمهدى  
والنور . وفكرة تمكّنهم من الكتاب  
تمكناً يتيح لهم وضوح الرؤية وصدق  
الشهادة ، والحفاظ على الوديمة  
واعتراض المولى اعتراضاً تهون معه  
المخاطر ، وتنضال الامدار « اقدار  
المريضين » ( ... بما استحفظوا  
من كتاب الله ، وكانت عليه شهادة ،  
فلا تخسروا الناس ، واجبون ) .  
ولا تستتروا بلياتي ثمنا قليلاً ... )  
ان الرياتيين في الآية هم الصنف  
الثاني .

هذا . . . ومن النماذج العلمية للروايات  
حبر الأمة ، عبد الله بن عباس  
رضي الله عنهما فقد تميز بلغته  
النظيرية ، وسداد التأويل ، واستيعاب  
مشاكل التطبيق . قال محمد بن  
الحنفية يوم مات ابن عباس : -  
« اليوم مات ريانى هذه الأمة » .  
كل تلك المعانى تستشعرها اذا  
استرجعت الآيات الكريمة التى وردت  
فيها الكلمة .

١ - وردت في قول الله : -  
« ما كلن لبشر ان يؤتنيه الله الكتاب ،  
والحكم ، والنبوة ، ثم يقول للناس  
كونوا عباداً لي من دون الله ، ولكن  
كونوا رصيدين بما كتم تعلمون  
الكتاب ، وبما كتم تدرسون »  
آل عمران ٧٩

آل عمران ۷۹

والآية تنتزه للأنبياء عن الاستفال ، والليل ، والانصات لصوت الطين وزرعاته التي تغير ، وتتغير بالتمالى . وتنزهه كذلك للدعاة « ورثة الأنبياء » عن أن يجحدوا عن دروب العلم ، والحكمة ، وأخلاق الأنبياء . وعلة ذلك التنزه إنهم أتوا أهلي السداد ، والنراوة ، و Medina إلى الصراط « الكتاب والحكم والثبوة » والأنبياء — بما عندهم من خفتر — على قمة شامخة فلا ينهمقون ولا ينسفون ، بل يحرضون على ابجاد الصنف الثاني والعرج

جـ - وورثت في حول ٤١ (الولا  
سينهام الريانيون والأخيلو عن هولهم  
هولم ، والكلهم الصوت لبيش ما كانوا  
يصنعنون ) المائدة ٦٣

الرياضية ، والأمراء في العادة

والانقطاع — جسدياً أو نفرياً —

عن الناس إيهاراً للعزلة وعمرًا عن

محارة الحياة . فهن هروب من

السلطة وانطواء في مهام مقتنة

ضيق ، وأكثر للشلل على العركة .

وحمل للنفس — على غير سجيتها —

على العزوف عن زينة الله التي أخرج

لعباده بالامتناع عن المطعم ، والشرب ،

والنکاح وبالتعلق بالمسوامع ،

والكموف ، واتكال الجناب . ولا زانع

في أن هذا تزرت ياباه الاسلام ،

وتفتوسح يتشنى السى الجمود ،

والتبطل (١) المولدى .

ويقين ما تجده في الريانية من

انتشار ، وتجلق ، وازران ، وبمعنة

افق ، تجد في الريانية انطواء ،

وانتها ، واحتلا ، وضيق افق .

هي أنن جنديه ، وسكرية ، وخشوارية .

والاسلام يرفض كل انواع الربي ،

ويرى ان الارتداد الحضارى او

السلوكى هيى طسى المفترى .

والخوب اذا طوى في تلايفه والتقم

ياقاوا عيلاته مجنبة الارتداد الحضارى .

والأية جللت بين آيات تعظ

لبراضنا طيبة ، وآخلاقيه الجتماعية

تضفت في محفلات أهل الكتاب في

غيبة الآباء ، وتستحب الصف الثاني

«الريانيين» والصف الثالث «الاحجار»

كي ينهضوا ضد هذه المكرمات ،

ويحملوا رسالة الآباء .

ومواجهة الضرائب الاجتماعية

تعطلب احتكارها بالمجتمع وعلما

بالفسائل ، ولهاطية بالدوافع

والظواهرو ... الخ تتطلب خبرة ،

ويضرأ ، وسيطرة .. تتطلب رياضية

.. ان الريانى (٢) يضيف الى العلم

البيضة . والنطفة . والحكمة . والحركة

البعضية (الى تعلمها المجتمع .

### والريانية ؟

الكلمة ياخونه من « رعب » بمعنى

بغاف ، فهو نسبة الى الرهبان (فتح

الرءاء المضدة ) وحسو الخائف .

والخوب اذا طوى في تلايفه والتقم

ياقاوا عيلاته مجنبة الارتداد الحضارى .

(١) اذا اتقنا على ان الكلمة نسبة الى الرب فاصلبها : ربى .  
وزيت الالف . والنون للمبالغة كماليل : يوحانى وعلمانى ، ومادانى ،

بولحيانى لعظيم الحياة .  
(٢) القبل الانقطاع .

بمسداق ما روى عن مسلمة بن الأكوع ، واتخذوا المسواع وتخلاوا عن الدعوة ،  
أنه حمل على الحاج مقتل له : وجدوا في قواعدهم فلم ينتشروا ،  
( يا ابن الأكوع : أرثدت عليَّ وكأنوا يحسبون إنهم يحسنون صنماً )  
عقبلك ؟ تعرّيت ؟ قال : لا ولكن ويتغدون بما ابتدعوا رضوان الله .  
رسول الله أذن لي في البيو ) .  
وهو لؤاء بصنعيهم هذا ارتكبوا عدة  
جرائم : جريمة التخلُّ عن الواقع  
والرسالة ، وجريمة الابتداع ، وجريمة  
المظہرية والتنازع على الرياسة .  
وليتم حين عزموا أظهروا رجولة  
وصلابة بل سرعان ما أخلوا ،  
وأهملوا ،

روى أحمد عن أبي أمامة الباهلي  
رضي الله عنه قال : - ( خرجنا  
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم  
في سرية من سراياه فقال ( مر رجل  
بعفار فيه شيء من ماء ، فحدث نفسه  
بأن يقيم في ذلك الغار ، فنيقتات بما  
نبهه من ماء ويصيب مما حوله من  
العقل ويختلي عن الدنيا . قال :

لو أتيت رسول الله صلى الله  
عليه وسلم فذكرت له ذلك فلن ان  
لني فعلت ، وأن لم ياذن لم أفعل .  
فأثناء ذكر له الأمر فقتل صلى الله  
عليه وسلم : أنى لم أبعث باليهودية ،  
ولا بالنصرانية ، ولكن بعثت بالحقيقة  
السمحة ، والذى نفس محمد بيده  
لعدوه أو روحه في سبيل الله خير من  
الدنيا وما فيها . ولما قام أحدهم في  
الصف الأول خير من صلاته ستين  
سنة ) إن السلم لا يتبين له أن  
يتبتل بجسمه كيف والاسلام في

وأيثر سكون الباية على حيوية  
الحضر - بلا داع شرعى - نوع  
من الرهبة والتبتل لا يقرها الاسلام .

### ورهبة ابتدعوها

والرهبة وان صاحبها حسن  
النية بدعة مذمومة وهروب من معنة  
الحياة المكتوية على الناس ( . . . .  
الذى خلق الموت ، والحياة لي Lolokum  
ايمكم احسن عملا . . . ) الملك .

والآية الكريمة ( . . . . ورهبة  
ابتدعوها .. ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء  
رضوان الله مما رأعواها حق رعايتها )  
الحادي .. تقص قصة مؤمنين جبنوا  
عن مواجهة الشر ، ومقاومة الطغيان  
فأثاروا السلامة واعتزلوا . نقل  
الضحاك بن رواية عن ابن عباس  
أن ملوكاً من بعد عيسى مجردوا ،  
وأهربوا ، ومصروا بالأمراء بالمعروف  
الناهرين عن المكر ، ودخلت الرهبة  
بنية باقية من المترمين ففروا ،

مبني الحاجة الى قواه ، وطاقاته يعرف انه لا رهبانية في الاسلام ،  
وغدوه ، ورواحه .

ولا ينبغي له ان يتبتل بذكره ، مصدق ما اخرجه ابو دلود عن انس  
لان مفترك الحياة هو الرائد الذى رضى الله عنه قال : - قال رسول  
يهد ، ويروى الانكار ، واحتکاك الله على الله عليه وسلم ( ٠ ٠ ٠ )  
الافكار بالانكار يبطوها ، ويغدوها ، والجهاد ماض منذ بعثتى الله الى  
ان يقاتل آخر امتى الدجال ، لا يبطله ويكتبها المضاء . والتفتح على آيات  
الآفاق وصفحات الكون التي تنشر جور جلور ولا عدل عادل ( ٢ ) ٠ ٠ ٠ )

يجدد الدم ، ويكلل حسن التجاوب ولكن الذي يهمني - هنا - ان  
مع عالم يتطور كل يوم .

احذر من تبتل جيد طوى . بعض الناس في اسمى بالية ، فبدوا  
والرهبانية لا يوجد سند لها في جامدين مشتبئين بأسمائهم اشتتمل  
الكتب المقدسة الاولى ، ولا في سنة الصناء ، وفقدوا القدرة على المواجهة  
الاتباع عليهم السلام ، بل ان الناظر  
في سيرة المسيح وأصحابه ليجد ما  
يصاد هذه النزعة التبتلية . وهذه  
الروح الانعزالية لم تظهر في الكائس الكهنة ، ودعواى المتصوفين . ولكنها  
الا في اواخر الجيل الثاني ، وأوائل تتلق معها في النتائج . نكلاهما  
الجيل الثالث .. مقتولة اليها من الغلة ، وعجز عن التكيف بالأحوال  
الهنود الوثنين ( ١ ) .

والاتسجام مع موكب الحياة الحال  
ولا يهمني - هنا - ان اتعرض بكل بذيع .

للتناصيل الرهانية والاعتزال ،  
والتنشف ، والقتل .. الخ فكنا

( ١ ) انظر محسن التأويل من ٥٦٩٨ من الجزء السادس عشر .  
ففيه تناول شاف لقضية الرهبانية نقلًا من مؤلفات علماء المسلمين  
المتأخرين .

( ٢ ) في سنته « يزيد بن أبي نشبة » وهو مجہول لكن معنى  
الحديث صحيح .

# نفحات القرآن

بفضلها بخوارى احمد رعبيده

- ١١ -

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : « يأيها الذين أمنوا كتب عليكم الصيام ، كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقوون . أيا ما معدودات ، فمن كان منكم مريضا ، أو على سفر ، فعدة من أيام آخر ، وعلى الذين يطريقونه فدية طعام مسكون ، فعن تطوع خيرا فهو خير له ، وأن تصوموا خيرا لكم إن كتم معلمون . تبهر رمضان الذي تنزل فيه القرآن هدى للناس ، وبيانات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم المشهور فليصمه ، ومنه كان مريضا ، أو على سفر فعدة من أيام آخر ، يزيد الله بكم اليسر ، ولا يزيد بكم العسر ولتكملوا العدة ، ولتكبروا الله على ما هداكم ، ولعلكم تشكون » .

وعذرى : ١) ان قدر الوعاء

« التعبير » من قدر الوعاء « نفحات

القرآن » والقرآن هو ما علمنا إعجازاً ،

وبلاغة ، وقوة سبك ، وعمقاً ،

ووجالاً معنى ، ونحن إنما نيندنا ،

ونرفرف حول أضواء القرآن ، ونجو

عطایاه . ومن الأدب . وفنون في

محراب القرآن تتبعـد . أن نترفع

خاشعين ، عن التهافت ، والتفاهة ،

والإسفاف .

ونفحات القرآن أجمل من أن

خفوا زيلنكم

تجانيفي . وأنا استهل المقال .

نوازع شتى ، كل نازعة منها تشيد

معنى جديد .

والناتعة التي استثارت يimbادرتى

تمثل في أن مخلصين كرلما تناولوا

معى أمر النفحات فكان مما أخذوا :

١ - فخامة الكلم ، ورصانة

السبك ، و أناقة الأسلوب ، ورواوا أن

مثل هذه الصياغة قد يجعل النفحات

عزيزة المثال ، منيعة المستقى .

نعرضها في اسمال باللة ، مطروحة  
في الطريق .

ثم من تدخر ( بالبناء للمجهول )  
الكلمة المختارة ، والسبك الرحمن  
إذا ختن ( بالبناء للمجهول ) بهما  
على القرآن العظيم ؟

إن الكلمة العابرة - ولا سيما في  
هذا المجال - من الباقيات  
الصالحات ، فهي تحمل أح韶لا ثرة  
وتهدى إلى قواعد طيبة ، وتنشر من  
أربيع القرآن . فالواجب أن ترسل  
رصينة ، فضفاضة بلا افتعال .  
واحتمال بقائها طويلا قائم ، وربما  
عبرت الأزمنة ، والأمكنة ، وانتقلت  
إلى أقدار متفاوتة ، فما أحسن أن  
تكون مرنة في دقة ، موحية ، حمالة  
أوجه .

ب) وقرأؤنا أكرمهم الله ، علموا من القرآن ، ثم علموا من السنة ، وقرعوا ، وسمعوا ، فمن المخجل أن نقدم لأمثالهم الفت الهزيل ، ومثل هذه المساياغة حرى أن يؤنس الماخرين على الطريق ، وأن يشجع المتردددين ، ويحفز المقيمين على ما الفوا .

ح) وتحن - في كل محاولاتنا -  
نتبعد في محارب القرآن على أضواء  
السنة ، فما أحزانا أن نأخذ زينتنا  
في معبدنا المهيء .

د) ولقد اثر عن الإمام البخاري  
أنه قال : ( ما وضعت في كتاب  
الصحيح حديثاً إلا اغتسلت وصلحت  
ركعتين ) وحنن البخاري رحمة الله .

## استطراد .

### لا تهويمن ولكن مشاكل تطبيق

٢٠٠ وكان مما أخذنا : أنني سرحت ، سرحاً كانت التهوييم ، وأوغلت في الفلسفة بمحبي عن الزمان والمكان وفي الفضاء ، والكون ، وكمائنة الإنسان ... الخ . ومثل هذا التهوييم يحرم كثيرين من المتابعة والفلاندة .

والذى أعرقه ان التهوييم ، ونظائره أمور نسبية ، فاحلام بعض الناس حقائق واقمة عند آخرين ، والمشاركة الروجدانية - وهي مطلب إسلام - حساسية تورث الجنون في مذهب الأنبياء . والنظرية الشمولية العميقة التي تبصّر الهوى (يضم الهاء وفتح الواو جمع هوة) . وتحيط بالمخاطر ، والتي ترصد في الوقت نفسه اتفاق الأعداء تجمع بالصواريخ ، والموابك ، والاقمار ثم توانى بعد ذلك بين ثراثا ، وذراثا . تلك النظرة عند المنطوبين ، وتهوييم ، وربما رأواها ميسورة وتسليما .

والحق أن ابصار بعض الناس لا تتجاوز موضع اقدامهم ، والإسلام في نظرهم لا يعدهم قوائمهم ومحاراتهم ومؤلاء . وغيرهم من النظريين لا ينفذون إلى مشاكل التطبيق ؛ ولا تروعهم العقبات ، وال نهايات المشئومة للثورات

هذا . . ويحسن هنا أن نذكر - تماماً لفائدة - أن السلف أخذوا من الآية ، ومن قوله تعالى بعد الآية « قل من حرم زينة الله التي أخرج العباده ) مشروعة ارتداء الرفيع من الشياطين تجملا ، وإظهارا للنفعه ، واحتقاء بالجمع ، والأعياد ، وعنده مزاولة الإخوان . فقد ورد أن المسلمين كانوا إذا تزاوروا تجعلوا . ويروى عن نعيم الداري أنه أشتري الصلاة حلة بalf درهم . . والصلاف في ترقيمه عن الثواب الدون ، وتخيرهم الأجدود للصلوات وللمناسبات استرشدوا بمثال ما روى مكحول عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : ( كان نفر من أصحاب رسول الله ينتظرون على الباب ، فخرج يريدهم ، وفي الدار ركوة فيها ماء ، فجعل ينظر في الماء ، ويسمى لحيته ، وشعره ، قال : يا رسول الله وانت المزروين في فتر(٢) صغير من ساحة الإسلام المترامية ، إفلات زمام ، وتهوييم ، وربما رأواها ميسورة جميل ، يحب الجمال ) . وعن هذا ما أخرج مسلم عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال ( لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ) . فقال رجل : إن الرجل يحب ثوبه حسنا ، ونعله حسنة ؟ قال : إن الله جميل يحب(١) الجمال . الكبر يطر الحق ، وغبط الناس ) .

(١) فain هذا من نبين الصوفية الذين يحرمون زينة الله ، مدعين انهم مكتفون بلباس التقوى ، وهم يصنفهم هذا يرفضون منه انتى العالمين .

(٢) الفتر ما بين طرف الابهام والسبابة - كنایة عن الصغر والضيق .

الحركة ، ومقتضيات الظروف ،  
وسائل الإنفتاح على الناس .

٩ - وحيل الواقع ذي البيئة  
المادية ، والمجتمع الواقعى بالمتالية  
الشرعية أمر شاق يتطلب قدرات  
عالية ، وتدرجاً وفقها بأولويات  
والأولويات دقيقاً ، وبلا استغراف فى  
المتالية ، بل نتعامل مع السنن ،  
ولا ننتظر المعجزات .

٦ - اتساع قاعدة اليمان  
يكفل فرص النجاح . فلابد من جميع  
الشامل والتغافل السياسي كي تلتقي  
ولو على حد ادنى .

٧ - الدين تحرن ، والتوحيد  
خلاص ، وابنبعث ، أما الجمود  
فمحسوسة تتغير بالاستبداد ، وتفضي  
إلى الاستعباد \*

٨- ما أهوج السليبيين الجامدين  
الى هزات توقظهم ، وتحمّلهم نحو  
منبع يقع على التوالي العميق بطبيعة  
الأمة ، ويذبح العصر ، وواقع البيئة ،  
واخاذيد السياسة ، واللاعب

السياسية (٢) . . . . الخ  
٦١٤ إن كل الدلائل تشير إلى أهمية وضع كل القوى الواقعية في الحسبان كى «نواتم»، بينها، وبين مثاليات الإسلام ومعابرته الدقيقة . . .

ومن هنالك الإيمان بهذه الحقيقة ،  
ومن خلال الرؤية المروعة «للانقسام»  
الشديد بين العقيدة ، والسلوك ،

والثروات والمحفوظات، والسياسات، والحركات، والشخصيات،  
والأحداث، وأهميتها، والمتغيرات التي ترتفع  
من ديار المسلمين هنار الهشيم  
والحق أن سعيتنا هو علينا البصر  
بمشاكل التلبيق - وعلان المؤمن أن  
يتصور أفعال الدين، وينظير طبيعته،  
وان يستحضر مشاكل التطبيق المقترن  
في الحلول، وذلك - كما أسلفت -  
عين الربانية التي ندبنا إليها بقوله  
سبحانه «ولكن كونوا ربانيين» :  
وبهمن - كي تتضمن خطبورة

٢ - **ضرورة الإحاطة** بطبيعة الموقع، و**جغرافية الميدان**، مع اليسوس **بأعراف المجتمع**، و**ظروف معاشرهم** .

٣ - إمكان **تغير الأحكام «الفرعية»**، **بتغير الأزمنة** .

٤- زرؤاد العمل الإسلامي يتبين  
أن يتمتعوا بحسن مرتفع حسادق ،  
وغير شاقق ، وفطنة تحفظ بأيمان

(١) أثيرت هذه القضية في أعداد : ربيع الأول ، وربيع الآخر ١٤٥٠هـ في حوار المجلة مع الدكتور حسن الترابي الموقوف على أصداء التجربة الميدانية التي يخوضها السودان وهو يطبق الشريعة وينتقل بالمبادئ إلى طور التنفيذ .

<sup>(٢)</sup> انظر « الأمة » عدد جمادى الأولى ١٤٠٥هـ « المنبع العصرى فى سلفية الإمام ابن باديس » هذا ويجد أن أشير هنا إلى أن مقالات « التوحيد » هي السابقة .

عصربيون . ومضت أهدر من تبت  
جديد طوي بعض الناس في أكتان  
بالية ، وحضرم في رهابية حديثة  
تفتق في النتائج مع ربانية  
الصوماع ، وتبتل الرعبان ، فكلما  
غفلة عن السنن ، ورحلة مع الظلام  
في سراديب الموت .

ولقد قمن الله علينا بالحق نبأ  
اصحاب الكهف والرقيم ( ام جسيت  
ان اصحابي الكهف والرقيم كانوا  
من آيمتنا حببا . إذ اوى الفتية الى  
الكهف ، ف قالوا ربنا اتنا من لدنك  
رحمة ، ومهىء لنا من امرنا رشدا ) .  
قللوا : فالقمة صريحة في  
مشروعية التعامل مع الكهوف (٢)  
والغيران ، واعتزال الأمل والأوطان  
فرأوا بالدين ، وأستجابة للأمر  
الكريم « وإذ اعتزلتموه وما يبعدون  
إلا الله ، فاولوا إلى الكهف ينشر لكم  
ربكم من دحمنه ، ويهيء لكم من  
امركم مرفقا ، الكهف .  
وحللة اهل الكهف - بكل ملابساتها  
- لا تمدو القبول إلى الله الذي جعل  
لنا عن العيال أكتانا ) (٣) .

والحق : ١ - ان الفتية كانوا  
يدعون بدين محدود الجوانب ، يتفق  
مع حجم الإنسانية يومذا (٤) ، اما

مضيت انظر إلى المستقبل واتصال :  
يلن الحياة في عصور الإسلام الأولى  
كانت محدودة . وكانت رقعة البلاد  
- رغم اتساعها - ضيقة ، وهي  
بالتسبة لحياتنا ، وببلادنا الترامية  
- الآن - شيء ضئيل . والذين الذي  
غطى حياة الأولين ، واستجاب ،  
لتطلباتها ، رحب فضفاض نزل  
صالحا لتنطية حياتنا المديدة ، كما  
غطى تلك الحياة المديدة . ولكن  
كيف ؟ إذا رزقنا بصيرة المرنة التي  
تهدينا إلى أن حقوق الدين ثابتة ،  
وأصوله راسخة . أما الفرعيات ،  
والاجتماعيات وكل المسائل التي تتعدد  
عبيها الرؤى فيمكن التصرف فيها على  
نحو يربطها بالواقع ، ولا يخرجها عن  
نطاق الإسلام .

وأعود فأقول : إنني مراعاة لبعض  
المستويات حرمت - برغم وحدة  
الموضوع - على أن أرخص المقالات  
بيانات ، وأحاديث هي - بلا شك -  
تخدم الموضوع ، ولكنها يمكن أن  
تنفرد بعطائها سخية تجمع زادا لكل  
الرأيين (١) .

### فاولوا إلى الكهف

هذا . ولقد ذكرت - في مقالى  
السابق - افنا سلفيون ، وأيضا

(١) وشغل بعض النابن حلقات مداعيب متى تكمل العدة ، وكثير  
له وقول المؤلم مداعيبا « ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهور الى كتاب الله » .

(٢) الكهف : النقب المنسع في الجبل ، فان لم يتسع فهو غار .

(٣) الأكتان جميع كن : وهي الغيران في الجبال .

(٤) تابع الله بين الأديان وفق تطور الإنسانية ، ونوعها المكوى - بكل حين يقتضي  
الجرعة التي تتناسب مع العمر الفعلى للبشرية ، أما الاسلام فقد جاء ليشربة بلطف  
عاشدها ، واستقرت ، وداعي ما سيكون من تطور داخل نطاق يبلغ الاشد .

الإسلام شفرين عام ، شامل خطاب  
للدارين ، ورسى للعبيتين ، وقد  
القواعد ، فلتن . ونظم ووضع  
أسس المعاملات ، وحمل أهل مستقبلية  
الدعوة ، والدولة ، والسياسة ،  
والعلاقات . فمسئوليية المسلم جسيمة ،  
وحياته موصولة تبديء بالмиلا ،  
وتصبب — إن شاء الله — في الجنة .  
ولعل هذا هو بيحام الاثر الذى رواه  
رزين عن ابن مسعود انه رضى الله عنه  
سئل ما الصراط المستقيم فقال :  
«تركتنا محمد صلوات الله عليه في أدناه ، وطرفه  
في الجنة ، وعن يمينه جواد(١) ،  
ومن يساره جواد ، وشم رجال يدعون  
من مر بهم . فمن أخذ في تلك الجواد  
انتهت به إلى النار ، ومن أخذ على  
الصراط المستقيم انتهى به إلى الجنة ،  
ثم قرأ . ابن مسعود ( وأن هذا  
صراطي مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا  
السبيل ، فتفرق بكم عن سبيله ) .

والمسلم مبهج بهذه الحياة  
الموصولة الصافية بالمناقصات ، وقدره  
أن يجاهد ، ويتيمرر الجواد ويراجه  
المخاطر ، ويقاوم قوى الشر ، فإذا  
انطوى في كهف ، أو انزوى في غار  
فتقذر من الميدان . وهو في قراره قد  
يتجوّب ببعض دينه مخلفاً وراءه جل  
دينه ، ومعظم مسئoliاته . هو إذن  
لم يفر بدينه ، بل فر من دينه .

٢ - وأهنت الكهف لم يعتذروا  
مؤمنين ، وإنما اعتذروا الشرك ،

(١) الجواد يتشبيب الدال جمع جادة ، والجلدة الطريق .

(٢) المثرا العقيدة .

(٣) الترقق عاً يرتقى به أي ما يستعن به على بلوع الطيبة .

لنج إن استطاع النجاء ، اللهم هل  
يمنت . ثلاثة . . . الخ ) فالحديث  
يسير إلى الفتن التي تمرج كموج  
البحر ، ويعلمنا كيف تتقمق العواصف  
وتطأ على للتراويف حسر ، فإذا  
مرت أعدنا على ضونها حساباتنا ،  
وأصلحنا من وضتنا ، وغيرنا  
ما بانفسنا .

والتي تلون الجدد بعيدون - بعد  
المشرفين - عن مخصوص الحديث ،  
ومهم لم يتبعوا شعف الجبال ، ولا أورا  
إلى غيران وكهوف ، ولا تجردوا من  
فضول الأموال . ولكنهم انحرروا  
في نقوب (٢) بأذنهن ، وفي مساقط  
ومحصودات في عقولهم ، ومن خلالها  
ابصروا الدين فظنوه أستاذًا ضيقاً  
وهو دين الواسع العليم ، رحمته  
واسعة ، وأرضه واسعة ، ودينه  
واسع ، يستوعب الأولين والآخرين ،  
ويكفل للبشر خير الدارين .

وال المسلم حمل أمانة الدين بما في  
الدين من رحابة وسعة ، ونقل ، راعت  
السموات والأرض ثابتين ، وأشفقت  
وهو كى يعان على هذا العبء غذاء  
المولى بهدايات ونفحات ، وقيم تتبته  
« رادارى » البصيرة ، « الكترونى »  
الفكر ، مكرا ، مفرا (٣) . وتخلى  
المقطعين عن هذا المقام المحمود  
أصحابهم بالصمم ، والعزم ، وتبدل  
الحواس ، وأطاح بهم إلى حيث  
الضمة والهوان . وكانهم لضيق  
الدنيا في وجههم ، وشقق الذل من  
فوقهم ، وتفجره من تحدهم ، أضيحا  
على النحو الذي ذكر الله : « لو يجدون  
ملجا ، أو مغارات ، أو مدخلًا ، لولوا  
إليه وهم يجمرون » ، التوبة ٥٧ .

بخارى أحمد عبد

ويصبر على آذامهم الفضل من المؤمن  
الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على  
آذام (١) .

٦ - ولقد حلمنا مما روى عن  
رسول الله ﷺ أن شر الناس يطال  
أخذًا وضع الاستعداد . فالجهاد في  
حق المسلم ماض حتى يقاتل أحى  
الأمة الرجال . ووضع الاستعداد  
يتطلب يقظة ، وحركة ، واطلاعًا على  
شتون الناس ، ورصداً لذبذبات  
الأعداء ، ورباطاً إلى يوم القبرة  
تحقيقاً لقوله ﷺ فيما أخرج مسلم  
عن جابر ابن سمرة (لن ييرح هذا  
الدين قاتل يقاتل عليه عصابة من  
ال المسلمين حتى تقوم الساعة ) .

نعم : روى البخارى عن أبي سعيد  
عن رسول الله ﷺ أنه قال : ( يوشك  
أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع  
بها شعف الجبال ، ومواقع القطر ،  
يفر بيده من الفتن ) .

والحديث كما ترى - يصور  
طاردة قاهرة ، وبيبيع عن تكالب  
الأخطار واستئثارها ، وتهديدها  
الأنفس ، والأموال . وهذه حالة  
خطيرة ، لا تستحكم إلا إذا افلت  
الزمام ، وانحلت عراجمة العامة .

هي الحالة التي صورها حديث  
مسطم عن أبي بكر قال : قال ﷺ  
( إنها ستكون فتن ، إلا ثم تكون فتن ،  
الا ثم تكون فتن ، القاعد فيها خير  
من الماشي والماشي فيها خير من الساعي  
إليها ، إلا إذا وقعت فمن كان له  
إيل فليلحق بابله ، ومن كان له غنم  
فليلحق بغنمه ، ومن كانت له أرض  
فليلحق بارضه . فقال رجل يا رسول  
الله : أرأيت من لم يكن له إيل ،  
ولا غنم ولا أرض؟ قال : يمهد إلى  
سيفه ، فيدق على حده بحجر ، ثم

(١) رواه البهوي عن ابن عمر .

(٢) جمع ثقب ، والنقب الشق .

(٣) يجيد القدام ، ويعرف مواضع الأحجام « ويتقن أساليب الكر ، والفر .

# نفحات القرآن

## بقلم بحترى احمد رحيم

١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

«يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتذرون . أياماً معدودات ، فمن كان منكم مريضاً ، أو على سفر ، فعدة من أيام آخر ، وعلى الذين يطريقونه قدية طعام مسكون ، فمن تطوع خيراً فهو خير له ، وأن تصوموا خيراً لكم إن كنتم تعلمون . شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدي للناس ، وبيانات من الهدي ، والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضاً ، أو على سفر فعدة من أيام آخر ، يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر ، ولتكلموا العدة ، ولتكبروا الله على ما هداكم ، ولعلكم تشکرون » .

### ضفاعة في قلمام ليل نجاوين

في حديث عن سراديبي معنوية ويجرد الله برحمته ، أتوا إلى الكهف طوب في أخشارتها مسلمين انهم قد غدوا أيام تتناقلها فرط ما بين واقع المسلمين وبين القرون ، وقصة ملهمة تغرس بالزهار الصياغة الإسلامية من بعد فظولوا الإيمان .

من المهوول يعودون القهقرى حتى والمتبللون - باعتبارهم كاذبات تردو ، وانطروا وتبتلوا .

حيث - فيهم طاقات تبحث عن متنفس - تناولنا قصة فتية مهتدين اعتزلوا مجتمعهم الغشوم ، الظلوم ، والأنواع الوطنية ، بل الإسلامي الصحيح حرية بكل ما طروا ، ورموا إلى الكهف ريثما ان تعصفت بمحظيات الأقدار ، ومناورات العملاء المضاربين ، حرية لهذا الأنفاس ، ويسكن الطلب ،

ان تتكامل ، وتصوغ المجاهد الرهيب  
الذى يدرك شبحه ليل الصليبية ،  
والالحاد ، الذى لمحه اغراى فى  
تضاعيف الحسورة الحاشرة ماردا  
بل قوة مدرعة ، طاحنة فارقاعت ،  
وصرخت مجددة تتعرض على إيجاخص  
الصحوة ، وأقطاب الجنين ، وإلا ،  
فالريل للغرب ، وللشرق(١) .

ذلك كل مسلمي الجيل ، دواجن  
تموه ، وتشغوا ، وترغو ، وتحصله (٣)،  
وفيهم من ينق (٤) نقيق الخفافع  
ولا هدف ، ولا عائد ، فهم كما قال  
الشاعر :

تفق بلا شيء شيخ محارب  
ولم تك فى تريش<sup>(٥)</sup> ولا تبرى  
ضيادع فى ظلماء ليل تجاوبت  
فدل عليها صوتها حية البحر

إِصَاءُ عَنْ مَوْاقِعِ التَّائِبِ

ال الطبيعي إن يحسبوا حساب هذه الاحتمالات ، وأن يهتئوا بين الفينة ، والفينية أجزاء مصنوعة - في مجالات نائية عن مناطق ثفوذهم - تمارس فيها عمليات التنفس ، وتخفيض الضغوط التي ينوء بها طلقات المطيقين ، وفي هذه المجالات المعدة بالحكم ، والبعيدة كل البعد عن الواقع

وتصدى كل هذا أن خاعت الجهات المعادية من قواها ، وتنوعت من أساليبها ، وأحكمت من شياكها حتى يضيق الفناء ، ويحتوى (بالبناء للجهول) المجال ، وتحتفظ الطاقات ،

فهـم لا يـزـالـون يـضـرـبـون فـي رـمـادـ  
الـسـلـمـيـنـ الـحـتـقـ خـشـيـةـ اـنـ يـكـونـ  
تحـتـ الرـعـاهـ وـهـيـضـ نـارـ يـنـفـزـ بـضـرـامـ

وهم القوى المخادة لإشباع الرغبات الدفينة ، وتأمين العبوات التي في الصدور حتى لا تنفجر فيهم . وهم يعلمون أن البر قد يحكى انتقاماً صولة الأسد ، وأن البغاث (٦) ربما عدا قدره واستنقسر ، وأن الصفادع قد تجتمع ، وتتشكل بتنقيتها جرقة (٧) شيطانية تحطم الأعصاب ، ومن

(١) هكذا قالت اسرائيل وهي تحذر من نشوء الجماعات الاسلامية ، والمسلمين ،

(٣) الثناء صوت الغنم . والرغاء صوت البعير ، والنعام ، والصهيل للخيل .

(٤) ينق بفتح الياء ، وكسر النون ، وتشديد القاف .

(٥) تبرى السهام وتضع فيها الريش استعدادا للرعن .

## (٤) الثالث: مفهوم الطلاق .

## (٢) الجرعة : الفرقة الوسيطة .

بینها وبين المدارات العلیا حيث  
الأنسام ، والأضواء ، والحرية ،  
موت متجردة إلى الحضيض لتعاب -  
بين أرجل أبليس - دورها المشئوم ،  
لتخون ، وتهون ، وتسرق وتفسق ،  
وتعدو على الغافلات ، الآمنات (١) .

أو تضاغطت (٢) ذليلة متكمشة ،  
ياكل بعضها ببعضها ، وتتنفذ - بلاوعي  
- مخطط الأعداء (٣) .

لها أن تنتشر ، وتلتفر ، وأن ترتبط  
بسفن الله وتقابل ، وأن تنطلق بهمة  
عالية نحو غایات غالبية رفيعة ،  
ولسان حالها قول الشاعر :

بلغنا السماء سرداً ومكانة  
وأنا لزوجي فوق ذلك مظهراً

بل قرانياً المحرك دعوة سليمان .  
عليه السلام ( ٠٠ ) رب اغفر لي  
وهب لى ملكاً لا ينفي لأحد من بعدي  
إنه أنت الوهاب ) من (٤) .

التأثير ، نصوص ، ونجلول ، ونطلب  
الطعن وحدها ، والنزال ، وفق ما قال  
الشاعر :

إذا ما خلا الضعيف بارض  
طلب الطعن وحده ، والنزال

ومن علوم الأعداء أن الطاقات  
المجمة ( بضم الميم الأولى ) ، وفتح  
الجيم « اسم مفعول » قوة عباء ،  
يحطم بعضها ببعضها . وأنها إن حيل

### وأنت الأعلون

والإسلام بكل تعاليمه يزكي الأنفس  
حتى تعيش أبية ، ويهدى العواطف  
حتى ترسى نقية سوية ، ويأسو  
الفرائض حتى لا تجمع بهميمة عاصفة ،  
ثم يطلق عنان الطاقات كي تجتمع  
رشيدة نحو مقام « وأنت الأعلون » ،  
بلا ضيعة ولا انطواء ، ولا تبتل .

ومقام « وأنت الأعلون » خلقن -  
بنطق الهي كريم - للامة التي تتتوفر  
فيها خصائص هقدية ، وذممية ،  
وسلوكية ، وتنتمي بقدرات عالية تتبع

(١) كظاهرة قطع الطريق ، واحتلال النساء ، والعدوان عليهم .

(٢) ضغط بعضها ببعضها .

(٣) لعل من أساليب الأعداء في إيجاد الطاقات شغلهم العالم الإسلامي كله  
بطاهرة النعال التي يقشو في أسفلها اسم الجلة ثم غمرا بها كل الأسواق ، وظاهرة  
« الالبيسة » التي كتبوا على جوانب حساسة فيها عبارات مقدسة . والهدف أن  
تنجول ، ونصول ، وتحاول ، وتنقض مع الصدى ، فتنفس عمما نعاني من كبت ثم نعود  
منتخفين ظانين أننا قهرنا الاتحاد والملحدين ، والمعية في الواقع لعبه العدو الذي  
ما من صداقته بد .

(٤) مثل هذا الطلب لا يعتبر تعدياً وتطاولاً على المفهوم من « لا ينفي لأحد  
من بعدي » ، لأن سليمان عليه السلام لم يرد أن يجر على من بعده من الناس ،  
وأنما مراده : لا ينفي لأحد أن يسلبنيه ، والمملوك الذي نسأله غير الله الذي خلص  
سليمان فلا تعارض . أما ما عرض لرسولنا ﷺ من أن عذرتنا من الجن قتلت عليه

والمحدثات ، وكل العجائب المرتقبة ،  
واللبيالي من عن الزمان حبسالي  
مشقلات يلدن كل عجيبة

والبحث في الصحف قدر مشترك  
بين الناس بل هو مستحب البشرية  
قاطبة . وإشارة إلى هذا أعن  
القرآن أن التعامل مع السين امر يهم  
كل الناس « هذا بيان للناس » ولكن  
المؤمنين بما أوتوا من حلاوة بصري ،  
ومن نفاذ بصيره ، هم أعلم الناس  
بها ، وأفهم الناس لها . وأرجي  
الناس لفافيمها « هذا بيان للناس ،  
وهدى ، وموعظة للمتقين »

٢ - والنفس الإنسانية تنطوي  
على مولدات الوهن ، والحزن ،  
فالإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر  
جزوعا . وإذا مسه الخير متوعا .  
المعارج :

بل دعاؤها الضارع كلمة محمد  
عليها ( اللهم اثروا ، ولا تؤثر  
القام المرموق تبرق حول آية التي  
تحمل - فيما تحمل - قرار العلو )  
( ولا تهوا ، ولا تحرمنا ، وانت  
الأعلون إن كنتم مؤمنين )  
آل عمران ١٢٩ .

١ - فالإيمان مجوهر ، وأصل ،  
ومن لوازمه أن تتطلق ، وتنظر ،  
وتعنى ، وتعتبر بسنن الله ( قد خلت  
من قبلكم سنن ، فسيروا في الأرض ،  
فانظروا كيف كان عاقبة المذنبين )  
آل عمران ١٢٧ .

وهذه الحركة البصيرة التي أمرنا  
بها هي عنون الأمة على وطأة الأعباء  
التي القت على كاهلها وعلى سطوة  
الأعداء المحقين بها متصدرين لها ،  
وعلى التقلبات ، والغيرات ،

لقطع عليه صلةه . وانه تعالى تمكن منه وهم أن يوشّه لولا دعوة سليمان ، لا ينبغي  
لأحد من يهدى . وفق ما جاء في الصحيحين . وللقطع لما ثلم عن ترمذ .  
( قال : قام رسول الله ﷺ فسمعناه يقول : أعود يا الله منك ، ثم قال : العنك بعلة  
الله التامة ، ثلثا ، وبسط يده كأنه يتناول شيئا . فلما فرغ قلقا : يا رسول الله سمعناك  
تقول في الصلاة شيئا لم نسمعك تقوله قبل ذلك ، ورأيتك بسط يدك ، قال عليه  
الصلوة والسلام : ان عدو الله ابليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي فقلت :  
أعود يا الله منك ، ثلثا . ثم قلت : العنك بعلة الله التامة ، ثلثا فلم يستاخر ،  
ثم أردت ان أخذه ، وأوثقنا إلى سارية من سواري المسجد ، والله لولا دعوة أخي  
سليمان لأصبح موثقا ، يلعب به مبيان أهل المدينه ) وهذا لأن إيثاق الجن ومعاقبتهم  
من جملة الملك الذي خص به سليمان . فسخرنا له الربيع تجري بأمره رحاء حيث  
أصاب . والشياطين كل بناء ، وغواص . وأخرين مقرئين في الأسفاد .

(١) جزء من حديث أخرجه الترمذى عن ابن الخطاب وتمامه : اللهم زدنا ولا  
تلقمتنا ، وآكينا ولا تهنا ، واعطينا ولا تحرمنا ، وأنثرنا ولا تؤثر علينا ، وارضنا  
وارض عننا .

(٢) رابع آيات آل عمران من الآيات ١٣٧ - ١٥٢ .

وهو يتقلب بين نزعتين تتنقلان به من يأس كافر ، إلى زهو ناسف (ولئن أذقنا الإنسان هنا رحمة ثم فزعنها منه ، إنه ليس كفور ولئن أذقناه نعماً يعد ضياء مصته ، ليقولن ذهب السبات عنى إنه لغفرانه ) هود ٩ ، ١٠ .

٣ - والمولى بعد هذه الأشفيه الكريمة . الغنية بالعناصر الفلاحية ، يضع للأمة قاعدة وثقي ، جلية القدرات ، حتى تنتهي النتائج ، تصدقها كل السنن التي قد خلت (يا أيها الذين اهتموا ، إن تطيموا الذين كفروا يريدونكم على أعقابكم ، فتقليدوا خاسرين . بل الله مولاكم ، وهو خير الناصريين . سنقلي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ، وما واهم النار ، وبنفس مشوش الطالبين ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بياته ، حتى إذا فشلت ، وتنازعتم في الأمر ، وعصيتم من بعد ما أراكם ما تحبون ، منكم من يريد الدنيا ، ومنكم من يريد الآخرة ، ثم حرفكم عنهم ليحيطكم ، ولقد عفا عنكم ، والله ذو فضل على المؤمنين ) آل عمران ١٥٠ - ١٥٢ .

آيات كريمة تجسم أمام أمينة المذاق ، والمهارى . وتحذر الأدواء ، والثالب . ولقد تكست كلها في أمتنا الحاضرة :

١ - قلوب مريضة تصارع في الأعداء : يقولون تخشى أن تصيبنا داءة .

وسبيل المؤمنين المقيمين أن يكسروا حواجز الوهن ، ويتدبروا دواعي الحرث ( ولا تهنو ، ولا تعزنوا ، وإنتم الأعلون ، إن كنتم مؤمنين ) .

وما المطلب قد يرى عبيدا ، ولكن الذي يبصر ، ويتدبر ، ويستهدي قضايا التاريخ ، ويعتبر سرعان ما يكتشف قدراته ، ويضيق عملاقا إلى غايته ، وابتغاء إيقاظ قوى النفس العليا يضرب القرآن لنا الأمثال ، ويعرض علينا نماذج عالية استثنائية دواعي الوهن ، ورأوا روح الاستكانة والجزع ثم سالوا الله تزكيته الوجدان ، وإذكاء جذوة الإيمان . ذلك قول الله : (وكاين من نبى قاتل معه ربيون<sup>(١)</sup> كثير ، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله ، وما حسقوا ، وما استكانوا ، والله يحب الصابرين . وما كان قوله إلا أن قالوا ربنا أغر لنا ذنبينا ، وإسرافنا في أمرنا ، وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . فأتاهم الله ثواب الدنيا ، وحسن ثواب الآخرة ،

(١) كاين بمعنى « كم » ، الخبرية التي تفيد التكثير ، والربيعون هم الرباعيون كلذين نوهنا بشانهم في المقال السابق .

- ٢ - وإنفس تطهيرت شعاعا ، تمرد ، وشوق ، وقلاع ، وأ glands التي التوازع السطحي ، وتصب بعيت ، ورسوب شائخ في كل امتحان . فلا عجب إذا تناولت الطاقات أشلاء ، ولا غرابة إذا حصدنا الوهن ، والحزن ، والاستكانة ، والتشلل الذريع . إن الله إذ نهانا عنها عن الوهن والحزن نهانا في الواقع عن هذه الأدواء ، وتلك المثالب التي لا تجلب غير الوهن ، والحزن ، والفشل .
- ٣ - ومرأبين تقرب إلى المبدئ ولا يتبدل .
- ٤ - وأرقاء<sup>(١)</sup> يبيرون لهم بالطاعة العيام .
- ٥ - وتزيد - من أجلهم - في مهاوى الشرك الجلية ، والخفية .
- ٦ - وعمى مطبق عن الأسس التي ارتفع بها الأنلاف الأولون ، ثم

### وتبطل إليه تبليلا

في أنفسهم أن يصوموا النهار ، ويقوموا الليل ، ويعزلوا النساء ، وبيندوا الأطابيب ويرفضوا الدنيا ، ويتربسوا ... الخ . فتداركمهم رسول الله ، وردمهم إلى سنته قائلًا : ولكنني أصلى ، وأنام ، وأصوم ، وأفتر ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني<sup>(٢)</sup> .

رإذا وضح مما سقناه من أحاديث ، وعن مثل ما أخرجه الشیخان عن سعد بن أبي وقاص قال : « أراد عثمان بن مظعون أن يتبدل ، فنهاه النبي ﷺ ، ولو أجاز له ذلك لاختصينا » . وما يستوحى مما جاء في الصحيح من قصة أولئك الرهط الذين تقلدوا عبادة رسول الله وبيتوا

### (١) جمع رقيق .

(٢) اردت من هذا الموضوع ، ومن الذي قبله - فوق استكمال البحث ، وتنصي حذافيره - توفير جرعات مرضية ( بسكون الراه ) لاشواننا الذين قد ترهقهم المتابعة فيستعجلون الشرة .

(٢) جزء من حديث خرجه مسلم عن أنس ، وخرج البخاري نحوه عن أنس أيضًا قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيته أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته ، فلما أخبروا كأنهم تقالوا - فقالوا : وأين نحن من النبي ﷺ ؟ قد غفر الله من ذنبه ما تقدم ، وما تأخر . فقال أحدهم : أما أنا فاني أصلى الليل أبدا . وقال آخر : أما أنا فأصوم الدهر ، ولا انظر ، وقال آخر : أما أنا فاعتزل النساء ولا أتزوج أبدا . فجاء رسول الله ﷺ فقال : ( أنت الذين قلت كذا ، وكذا ، أما والله إنى بخدمكم ) ، وألقاكم له . لكنني أصوم ، والنظر ، وأصلى ، وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني .

وتنبيه بالآية الكريمة : « قل لغافر  
الله أتَخْذُ وَلِيَا ، فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضِ . وَمَوْرِ يَطْعَمُ وَلَا يَطْعَمُ قَلْ  
إِنِّي أَمْرَتُ أَنْ أَكُونَ أَوْلَى مِنْ أَسْلَمْ ١٥  
وَلَا تَكُونُنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ » الأنعام ١٥

وخلصة القضية قاتل الله :  
« وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا »  
النساء ٣٦ .

إن المولى أذ يدعوك ( هنا ) إلى  
التبتل إنما يأمر بتجريد النفس عن  
غيره ، وخلاص العبادة له سبحانه  
كما قال تعالى : « وَمَا أَمْرَوْا إِلَّا  
لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حَنَفاءَ »  
فالتبتل المعنى هو الانقطاع إليه  
بمجامع الهمة ، واستفراد للعزيمة  
في مراقبته ، وتجريد النفس حتى  
العرائق الصادرة عنه . والذى  
لا يتبتل ( بهذا المعنى ) تتشعب به  
السبيل ، ويضطرب - مكبا على وجهه  
- بين المشرق والمغارب ، غائلا عن  
رب المشارق ، والمغارب .

فإذا انزع القرآن ( هنا ) بالتبتل ،  
ونهت المسنة عنه ، فإن متعلق  
الأمر غير متعلق النهي فلا تناقض ،  
لأن المأمور به هو الانقطاع إلى الله  
بخلاص العبادة له . والنهى عنه هو  
سلوك مسلك النصارى في اعتزال  
الحياة ، والترهب في الصوامع .

إذا وضع أن الإسلام يرفض التبتل  
فما الرأى في آية أمرت بالتبتل أمرا  
مؤكدا « بِالْمَفْعُولِ الْمُطْلَقِ » ؟ ما تأويل  
قول الله : « وَتَبْتَلُ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا » ؟

إن الآية تضمنت توحيد الإيجاب  
بقررتها الأولى « واذكر اسم ربه »  
وتضمنت توحيد السالب بقرارتها  
الثانية « وَتَبْتَلُ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا » فهو تعنى  
أن تفردك بالعبادة ، وأن تتبرأ مما  
عداه . مستحضرنا الأسس التي أودعها  
الله آيات الأنعام : « قَلْ إِنِّي هَدَانِي  
رَبِّي إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ ، دِينِنَا قِيمَا ،  
مَلَةَ ابْرَاهِيمَ حَنِيفَا ، وَمَا كَانَ مِنَ  
الْمُشْرِكِينَ . قَلْ إِنْ حِلْلَتِي ، وَنُسْكِي ،  
وَمَحِيَايِ ، وَمَمَاتِي لَهُ يَدُ الْعَالَمِينَ .  
لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَيُذَكِّرُ أَمْرَتُ ، وَإِنَّا أَوْلَى<sup>١</sup>  
الْمُسْلِمِينَ . قَلْ أَغْيَرَ اللَّهَ أَيْمَنِ رِبِّي ،  
وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ... » الأنعام  
١٦٤ - ١٦١ .

والاعتصام برکائز التوحيد المتينة  
في هذه الآيات يحتم لا تتجاوز دائرة  
الشرع الحنيف .

فأية الزلم بمعنطها الموجب ،  
ومضمونها السالب ، تدور حول كلمة  
الشهادة « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، أَشْبَاتَا ،  
وَنَفِيَا ... كَمَا تَصِلُّ بِقَوْلِ اللَّهِ سَبَّاحَه  
( ... أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ ، وَاجْتَبَرُوا  
الظَّاغُوتَ ) النحل ٣٦ .

(١) التبتل : الانقطاع يقال بتأثر الشيء أى يخليه ، وسمى الراهب متييلا  
للانقطاع عن الناس :

باغية . إن حياة المرء بكل أبعادها نوع من العبادة في الإسلام .  
والمجتمع المسلم لا تتشكله الأهواء ،  
ولا يدير أمره مسلطون . كيف وقد  
نظمت الشريعة مساره ، وحددت  
أصول سياسته . وتحتت أن يكون  
الولاء لكل الله .

فراعنة نظم الاسلام في  
ال العبادات ، والمعاملات ، والسلوكيات ،  
في السياسة ، والعرب والسلم ،  
وفى وقت الفراغ .. الخ مراعاة  
باعثها امتنال امر الله ، وابقاء رضى  
الله تبلى الى الله .

وَمَكَذَا تَتْسِعُ دَائِرَةُ التَّبْلِيلِ ،  
وَتَتَعَدُّ مَظَاهِرُهُ .

والقتل قد يوجد مشوباً بما ينال  
من رواةٍ كان يداخله ريبةٌ ، أو  
يصاحبُهُ حوىٌ ، أو يعكره ملأةٌ ،  
وضيقٌ ، أو ضعفٌ .

ولذا التبس التبتل بشيء من هذه الأمور لم يعط الثمرة المرجوة . وكى تجرد ثباتك وتحرص كل العرص على أن يكون نقيا خالصا ، ذيل الفعل « وتبطل » بمفعول مطلق يشد المزعومة ، ويغدو التركيد « تبتلا » ،

پخاری احمد عبدہ

والتنبل : بالتجدد ، والاخلاص ،  
والاستقرار في المرافقية إعداد وتدريب  
للميسول الله تعالى حتى يتأهل لل مهمة  
الثقلية المهمة من قول الله : « انا  
سنلق عليك قوله تقليلاً » ، وهذا  
التبيين مع المطالب الأخرى التي ذكرت  
في المسورة من : الحركة ، والتجدد ،  
والترتيب ، والذكر ، والصبر ،  
والهجر(١) . . . الخ تجلو نفسيه  
الدعاة وتشتمهم قوة ، وترزدهم  
بصيرة ، وتنبع لهم بصيرة ،  
والحركة ، والصمود :

والتبلي - بهذا المعنى - ربما  
افتضى عزلة مؤقتة كالتي كان رسول  
الله عليه السلام يمارسها في غار حراء  
أو كالتي يبادرها المunkف ، أو  
العاكف على علم . إلا أن مثل هذا  
لا يمتد تبلياً عن الناس بل هو تبلي من  
أجل الناس .

والتبتيل المشروع مكفول لل المسلم  
في كل مسكناته ، وحر坎اته ، حتى  
حين يأتي شهوره ، ذلك لأن المسلم  
يمكنه أن يعبد الله بكل فعاله ، ولأن  
الإسلام منهج حياة ، ينظر إلى الحياة  
نظرة شاملة ، ويحظرها بقوانين ،  
وقيم تدللها ، وتنهيها ، وتسجحها  
حتى لا تخفي هrogاء ، عياء عالية ،

(١) المولى بأوائل سورة المزمل يهوي «رسوله لطور الحركة ، واليقظة والعناء ، ويضع على الطريق قواعد تذكى الجذوة ، وتعديل النفسية ، وتعين على التواصي » قم الليل الطلقلا ، « .. ورتل القرآن ترتيللا » ، « .. واذكر اسم ربكه وتبتلي اليه تبتيللا ، رب الشرق والمغرب لا الله الا هو فاتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون » ، « .. وامحرهم هجراء جيلا ، وذرني والمكتبيين أولى النعمة . ومهلهم قليلا » .

# نفحات القرآن

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى : - « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتَيْنَاكُمُ الصَّيَامَ ، كُلُّكُمْ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لِعِلْمِكُمْ تَتَقَوَّنُ . أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا ، أَوْ عَلَى سَفَرٍ ، فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخْرَى ، وَعَلَى الَّذِينَ يَطِيقُونَهُ نَهْيٌ طَلْمَمٌ مُسْكِنٌ ، فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ، وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرًا لَكُمْ أَنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرآنُ هُدًى لِلنَّاسِ ، وَبِيَنَاهُ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ، فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلِيَصُمِّمْهُ ، وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخْرَى ، يَرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيَسِيرَ ، وَلَا يَرِيدُ بِكُمُ الْمُسُرَ ، وَلَتَكُمُوا الْمُدْدَةَ ، وَلَتَكْبِرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ، وَلَعِلْكُمْ شَكَرُونَ » .

### نداء الائمه مرة أخرى

يؤاد توشة الاحداث ، وترتفع شجي ، وشجون<sup>(١)</sup> ، وبحرك الضغوط ، تعود الى نداء الائمه احسايس تتفق والحالة النفسية تستوجه ، وتستهدى وتردده التي تولدها الفروق ، وتلاؤهما بمستوى دامي النبرات حسر . الاحداث .

ونداء الائمان ورد ثر<sup>(٢)</sup> ، لا ولقد وقنا وقتلة خاطفة مع نداء ينضب<sup>(٣)</sup> معينه<sup>(٤)</sup> ، يعطيك كلما الائمان في أولى حلقات هذه استندبطة<sup>(٥)</sup> ، ويثير فيك ما يثير من السلسلة<sup>(٦)</sup> . ولكن توارد الخطوب

---

\* مراعاة لحق الشهور سلكتنا بهذا المقال مسلكا آخر ، ولنا ان شاء الورجنة الى السلسلة الفرعونية حتى تستكمل .

(١) للثر الفزير . (٢) لا يجف .

(٣) المراد النسج . (٤) طلبت نداء وجوده .

(٥) الحزن ، والهم ، وكلمة « شجا » من الاضداد ، تقول شجاء ، وأشجام بمعنى هزمه ، وبمعنى طربه .

(٦) انظر مجلة التوحيد عدد رمضان ١٤٠٤ .

على آلة المسیام منق الرؤیسة ،  
واعطى النداء مذاقا آخر .  
وقد علمنا ان المؤمن لا يستهزئ  
احدات عاله ، ولا يبتلى ، او يترهق  
مكتفيا بالحوقيقة (١) والحقيقة ،  
 والاسترجاع ، والشظايا تتطلب من  
حوله .  
لذا بكل هذا شجعت الى نداء  
الإيمان « يأيها الذين آمنوا » .

وتذاعت اللقالل ، وشخ الموقن  
بحشد من الآيات لفن درفع مثل  
هذا النداء المثير .

١ - منها آيات تأثر (١)  
الآمنة ، وتجلو (٥) النفسوس ،  
وتحذر لها العذود المأومة :

« يأيها الذين آمنوا ، اتقوا الله  
حق نياته ، ولا تموتون الا وانتم  
مشللون » .

« يأيها الذين آمنوا استجيبوا الله ولرموه اذا دعاهم لا يحبكم  
واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه » .

« يأيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا » .

« يأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلوة » .

« يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول » .

« يأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله » .

ولايقع واجها ، ابله ، يعلل بما  
تعلل به الظليل ، ويقتل بما  
تشغل به الدواجن .

والإسكن لا يسمى بن يظل  
المؤمنون سكارى ، مترفين . آمالهم  
سراب ، وألقاهم ضباب وزادهم  
أمنى ، وأحلام بقظة ، وأسفات (٢)

كيف والاسلام يشير بتعاليمه روح  
المشاركة الوجودانية ، ويجيل  
البصرة ، والبصر في الانف لفتح ،

« يأيها الذين آمنوا استجيبوا الله ولرموه اذا دعاهم لا يحبكم  
واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه » .

(١) الحولة كلمة « لا حول ولا قوة الا بالله » والحقيقة ان تكون  
« حسينا الله ونعم الوكيل » والاسترجاع توكلا « انا الله واما اليه راجعون »  
وكلها كلمات تغير التصور ، ولكنها لا تغير التقصير .

(٢) أسفات الاحلام كل رؤيا مختلطة لا تقبل التاويل .

(٣) يمننا ويفطينا .

(٤) تأسى = يعالج .

(٥) تصقلها ، وتدفع عنها لهم .

٢ - ومنها آيات تكبح جماح المطعون ، وترتبط بالطبيات ، وتتنزه من التفسيت

« يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ٠٠٠ »

« يأيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ٠٠٠ »

« يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا ٠٠٠ »

« يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم ٠٠٠ »

٣ - ومنها آيات تعرف بالاعداء الدائرين ، وتوظف روح الحذر من كيدهم ومكرهم

« يأيها الذين آمنوا ان تطيموا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين ٠٠ »

« يأيها الذين آمنوا ان تطيموا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتناقلبوا حاسرين »

« يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين »

« يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ٠٠ »

« يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لايألونكم خبلاً ودواً ماعتقتم »

« يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء ٠٠ »

٤ - ومنها آيات تلزم وضع الاستعداد ، وتحرض المؤمنين على القتال :

« يأيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميراً »

« يأيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض »

« يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ٠٠ »

« يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابر واورابطوا ٠٠ »

٥ - ومنها آيات تشذب نفسية المسلم وتهذب قواه :

« يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ٠٠ »

« يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعهود ٠٠ »

«يأيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ..»

٦ - وآيات تقوم الملوک ، وتسد الفرائص ، وتؤدب التحبيث  
التأديب :

«يأيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا ..»

«يأيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ..»

«يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيومكم حتى تستأنسوها

«يأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم ..»

«يأيها الذين آمنوا لم تقولون ملا تفعلون . كبر مقتا عند الله  
أن تقولوا ملا تفعلون»

وآيات ، وآيات ، وآيات ..

ولكلها تفضيل على صنم المسلم الذي ينطأ به أمر هذا الدين ،  
وتتوفر - بما تحمل من هدایات - لل المسلمين الاكتفاء الذاتي . وتقيم  
مبنيات الضياع . فعجبًا للمسلمين . أوثروا بكل هذا الخير ، ولهم  
استبدوا الذي هو أدنى بالذي هو خير . فخررت عليهم الذلة  
والمسكمة ..

تلوهم ، وذا تلية عليهم آياته  
زانتهم آياتنا . وعلى ربهم يتوكلون .  
الذين يتعينون الصلاة ، ويسارعون  
يتلقون . أولئك هم المؤمنون حتى  
الانفال ..

ويمثل قوله سبحانه : - « هو  
الذى أنزل السكينة في قلوب المؤمنين  
ليرذدوا ايمانا ايمانا مع ايمانهم ... »  
الفتح ..

ويمثل ما اخرجه الخمسة من  
ابن هيررة عن رسول الله ﷺ تال :  
« الایمان بضع وستون شعبة ،  
او بضع وسبعون شعبة ، مائشلها

لن النساء

مذهب اهل السنة ان اليمان  
يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة ،  
وينقص حتى يدخل صاحبه النار .  
ذلك لانه تصدقه ، وقول ، وعمل  
« انما المؤمنون الذين آمنوا بالله  
ورسوله ثم لم يرتباوا وجاهدوا  
بأموالهم واتقشهم في سبيل الله »  
الحجرات ..

والآثار الدالة على قبول اليمان  
للزيادة والنقص كثيرة نكتفي (١) منها  
هنا بممثل قوله سبحانه : « انما  
المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت

(١) نرجو ان نعود الى هذا البحث مستوفى في فرقه اخرى .

قول لا إله إلا الله ، وأذنهاها اماطة  
الذى من الطريق ، والسباه شعبه  
من الآيات » واللقط لسلم .

وصور شائعة ، ونبرات ماجنة تصب  
في لوبيته النش ، فتصرهم عن  
العادة ، وتصنع منهم المردة ،  
النجرة ، العلثين . بل تحطمهم  
« صابئة » يمبعون نجوما ، وكواكب  
السماء أحجزة الأسلام ، وجلتها  
لتتصدر البريق الكاذب الذى يثير  
الشهوة ، ويسيل اللعاب ، ويوقظ  
الصوان الكامن في الاعماق .

وصابئة الجيل ادنى شأننا من  
الصابنة الاول الذين عرض بهم  
القرآن بمثل قوله سبحانه : -  
( ان الذين آمنوا ، والذين هادوا ،  
والصابئين ، والنصارى ، والجوس ،  
والذين اشروا ان الله يفصل بينهم  
يوم القيمة ) الخ . ذلك لأن صابئة  
القرآن راعهم في الفحوم ضياؤها ،  
ولشرارها ، وهدايتها ، ... الخ .  
فبعدوها أما صابئة اليوم فقد اخذوا  
بالتضليل ، وغروا بالتجليل ،  
وقدروا بسلسل الاهواء ،  
والشهوات ، والرغبات الى كواكب  
معتقدة تحمل ، ولا تهدى . وهذا  
غدا الفن مثلا أعلى وأممت المهارة  
قبلة ، وقمة .

هذا احالت الاجواء الموبوءة التي  
تنفسها ذلك التاذين القرائي القارع  
« يابها الذين آمنوا » أحالته « اذانا

والموى - بنداء الإيمان -  
يخلط المؤمنين في مختلف مستوياتهم  
وأقدارهم ، من كان منهم في القمة  
ومن لا يزال على الطريق . وكل  
مستوى يلتقي ، ويستجيب بقدر  
حجمه الإيماني . وعلى قدر حجمه  
يكون التواب ، وعلى قدر حجمه  
يكون قرب الله ، او بعده عنه .

والموى - في آية الصيام -  
يخص المؤمنين بشرف الصيام (١) ،  
لا يتجاززهم هذا الشرف ، فتعبر  
الذين همون من ان يرتفعوا بهذه  
الدرجة المزدوجة المضدية الى التقوى  
« لعلكم تفقرون » .

### عمر رسمي وصبوء\*

ووهم نداءات الآيات التي تضوى  
في آفاق القرآن ، والتي تشعر  
بحسية استقبال شهر الصيام  
استقبال مؤمنين ، وضرورة احاطته  
بتظاهر التقوى تورط المسلمين فيما  
توريضا فيه واستقبال الشهر بتهرير  
 رسمي شامل يفرق الشهر كله  
بعرض داعرة ، ومنون غانجة ،

(١) تخصيص المؤمنين بهذا الشرف مستوحى من تعبير الحار ، والمرور  
« علیکم » على نائب الفاعل « الصيام » في قول الله « يابها الذين آمنوا كتب  
عليكم العذاب ... » لأن هذا الصنف يفند التصر ، والحر . والقصر -  
هذا - يوحى بمكانة الصوم الرفيعة ، وشرف منزلة الصائمين .  
\* العز يفتح العين الغجر والفحش ، والصبوء الخروج من دين  
الذين ، والصابنة عبدة الكواكب وهذا ما اعنيه .

والفداء يصيّط بينَانَ الإنسان  
لثقاتِ المُسْلِم ، وحركانه وتوارعه  
ويقيم المؤمن فوق أرضية صلبة  
لأتبيّد ، ولا تسوخ<sup>(1)</sup>

ما يain هذا من آمة تتقدّم أطراها  
وتتجاهج مرابعها الرلازل ، وينتهر  
تحت أندامها البراكين  
أنَّ المُنادين — بلا شك — غيرنا

وظفّيَ لهم هم الذين نكدهم الله  
في معرضٍ وعدٍ ، وتهديدٍ ينذر  
الناكسين . ولكن ما نعاني من  
من تهـرـ ، وضياعـ أبـدـ لـنـاـ الـوعـيدـ  
وكانـهـ وـعـدـ .

نعم لعلهم الذين الشار المولى  
اللهم بقوله : « ... وإن تهـلـواـ  
يـستـهـلـ قـوـماـ غـيـرـكـمـ ثـمـ لاـ يـكـونـواـ  
أـمـثـالـكـ » محمد

لعلمـ النـجـدةـ ، والـبـدـئـلـ الـقـيـدـ  
تهـلـ لـهـ صـفـلتـ العـزـوةـ ، والـقوـةـ  
والـعـبـةـ ، والـرـابـطـ الصـادـقةـ .  
ـ يـلـيـهاـ أـفـيـنـ آمـنـواـ مـنـ يـرـقـ جـنـكـ  
مـنـ حـيـنـهـ خـسـونـ حـيـاتـ اللهـ بـقـومـ يـعـبـهمـ  
وـيـحـبـونـ ، اـذـلـةـ عـلـىـ الـمـؤـمـنـينـ ، اـعـزـةـ  
عـلـىـ الـكـافـرـينـ ، يـجـاهـدـونـ فـيـ سـبـيلـ  
الـهـ وـلـاـ يـخـافـونـ لـوـمـةـ لـاتـ ٠٠٠

وـعـمـ بـدـائـلـ يـصـخـرـهـ اللهـ ، وـيـعـدـهـمـ  
حـتـىـ يـتـسـلـبـواـ الزـيـامـ ، وـيـحـتـلـواـ  
الـصـدـارـةـ ، وـيـسـابـرـواـ — اـوـلـ  
ماـ يـيـادـرواـ — إـلـىـ موـارـاةـ سـوـءـةـ  
الـهـامـيـنـ ، وـيـنـجـيـنـ الجـنـثـ الـتـيـ جـيـنـتـ  
— وـهـيـ تـقـنـقـنـ — وـتـشـوـهـتـ حـتـىـ  
آمـسـتـ تـذـىـ فـيـ الـعـيـنـ ، وـأـسـىـ فـيـ  
الـصـدـورـ .

فـنـمـلـطـلـةـ » لـوـنـحـاءـ لـخـيـورـينـ الـخـوـقـهـ  
غـيـرـيـوـجـةـ الـقـلـلـ ، وـتـطـالـعـاتـ رـوـسـهـ ،  
وـدـارـاتـ أـعـيـبـهـ كـالـذـيـ يـفـشـىـ عـلـيـهـ  
مـنـ الـمـوـتـ ، بلـ أـشـحـواـ فـيـ غـيـرـتـهـ  
كـمـ قـالـ اللهـ سـبـبـهـ » وـمـثـلـ الـذـيـ كـفـرـواـ  
كـمـ كـلـهـ الـذـيـ يـنـسـقـ بـمـاـ لـاـ يـسـمـعـ الـ  
دـعـاءـ ، وـنـدـاءـ ، صـمـ ، بـكـمـ ، عـمـ  
فـهـمـ لـاـ يـعـتـلـونـ » ١٧٢ـ الـبـرـةـ .

لـقـدـ لـسـمـتـ الـلـادـيـتـ حـيـاـ

وـلـكـنـ لـأـحـيـاقـلـانـ قـنـادـىـ  
وـفـيـ فـمـيـتـنـاـ الـطـبـقـةـ ، وـيـجـوـاسـنـاـ  
لـلـتـسـلـلـ مـنـ سـبـيلـ خـدـاعـلـتـ الـإـيمـانـ ،  
وـنـتـلـلـتـ حـيـارـىـ نـبـحـثـ مـنـ لـلـنـادـيـنـ  
مـوقـنـ أـنـاـ لـسـنـاـ الـعـنـيـنـ .

ذـكـلـ لـأـنـ النـدـاءـ يـزـخـرـ بـالـتـكـرـيمـ ،  
وـالـتـشـرـيفـ ، وـالـمـسـلـمـونـ خـلـصـ ،  
عـجـافـ تـتـدـاعـيـ مـلـيـمـ الـأـمـ كـمـ  
تـتـدـاعـيـ الـأـكـلـةـ إـلـىـ تـقـعـهـاـ ،  
وـيـجـرـلـوـنـ فـنـاءـ كـنـشـاءـ السـيـلـ ،  
وـيـدـورـوـنـ «ـ كـلـكـرـةـ » بـيـنـ الـأـقـدـامـ ،  
وـنـهـيـ الـأـحـذـيـةـ . مـاـيـ كـرـامـةـ ، وـأـيـ  
شـرـ ؟

وـالـنـدـاءـ تـرـكـيـزـ عـلـىـ الصـنـفـ الـتـيـ  
تـدـنـيـ مـنـ اللهـ وـأـشـارـةـ بـالـرـابـطـةـ الـتـيـ  
تـرـيـطـ بـالـهـ ، وـالـمـسـلـمـونـ مـنـذـ اـبـدـعـواـ  
وـفـيـواـ ، وـأـحـدـوـاـ ، تـقـلـعـتـ بـهـمـ  
الـأـسـبـابـ ، وـأـقـصـوـاـ عـنـ الـجـادـةـ ،  
وـحـلـ بـيـنـهـ مـبـيـنـ وـبـيـنـ مـاـ يـشـتـهـيـنـ ،  
ـ هـلـ هـمـ الـنـادـيـنـ ؟

وـالـنـدـاءـ يـخـاطـبـ مـرـكـ الـقـوـةـ  
«ـ الـإـيمـانـ » وـيـحـركـ فـيـ الـمـنـادـيـنـ  
«ـ مـهـاـعـلـاتـ » جـيـارـةـ لـأـهـلـنـ ، وـلـاتـخـدـمـ  
مـاـيـنـ هـذـاـ مـنـ سـلـمـيـنـ شـقـتـ شـلـمـهـ  
وـنـسـفـتـ مـنـأـعـلـاتـهـ وـعـرـيدـ بـلـسـهـمـ  
بـيـنـهـ هـاـهـلـكـ بـعـضـهـ بـعـضاـ ؟

(1) مـاـدـ اـسـطـرـبـ ، وـسـانـ رـسـبـ وـانـخـسـفـ .

الذين آمنوا لا تقولوا راعنا<sup>(٢)</sup> ،  
وقولوا انتظروا » ارتفع بعد مقدمة  
هيأت القلوب ، وحددت معالم  
الإيمان ، وساقت صوراً تزيد من  
كثافته في الصدور .

وتحتم تلك المقدمة بتحبيب مواقف  
الإيمان ، والتسويق لجزاء الجميل  
« ولو انهم آمنوا ، واتقوا لثوبة  
من عند الله خير لو كانوا يعلمون »  
ويظلو هذا نداء اليمان « يأيها  
الذين آمنوا لا تقولوا راعنا ، وقولوا  
انتظروا واسمعوا وللكافرين عذاب  
اليم »

الا انه نداء لا يفصح عن الكمال  
لما يحمل من تعريف ، وجزر ،  
ونهي عن كامة « راعنا » التي  
جرت على لسان اليهود واشياعهم  
من أهل الاهواء ، وهي كلمة كانوا  
يورون بها عما تحمل نفوسهم من  
كراهية للرسول ، وينفسون  
بامثالها عما يجدون من حسرة ،  
وغبيظ « من الذين هادوا  
يحرفون الكلم عن مواضعه ،  
ويقولون سمعنا وعصينا ، واسمع  
غير مسمع ، وراعنا ، ليما بالسنن  
وطعننا في الدين ، ولو انهم قالوا  
سمعنا ، وأطغنا ، واسمع  
وانظرنا لكان خيرا لهم واقوم ،  
ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون  
الا قليلا » ٤٦ النساء .

والمولى اذ يؤدين بمثل هذه  
التوجيهات الكريمة ائما يريد ان  
يوفر لنا اسباب الاستقلال  
السلوكي وأن يجنبنا مغبات التشبه

ان النداء يقرع الاذان ونخاله من  
هول ما اصلبنا تمجيدا ، وهو  
— في ظني — تنديد بأمة منحت  
اسباب الرشد ولم ترشد ، ومكنته  
على طريق الكمال ولم تثبت ،  
واعطيت التزجين وفجرت خلالها  
اتهار الزيت تفجيرا ولم توقد على  
زاد ، ولم تتأهل لسداد ، ولم تنعم  
برشاد ، وأخذت بالبأساء ،  
والضراء فما آبى ، ولا تضرعت .

والبدائل المرتجاة تلوح بشائرهم  
ويمضون<sup>(١)</sup> خلال المد الاسلامي  
الذى شرق وغرب ، وابت في بلاد  
ناثية مسلمين جددا لم يطبعوا  
بمسمى الذل . ولم يصفدوا بعقد  
الخلاف ، بالعتقد الذى أفقدتهم  
الشخصية ، وأورثتهم التبعية  
المياه .

مجرد أفكار متشائمة عممت نفسا  
ارهقها هم المسلمين ، او قل — ان  
شتت — مجرد أخيلة . والحق  
اننا لا ننیأس من روح الله الذى  
يخرج من بين فرث ، ودم ، لبناء  
الحالما سائغا للشاربين .

#### « نداءات متكاملة »

وإذا ما رجعنا البصر ، وانعمنا  
ال الفكر في النداءات التي مهدت  
لنداء الصيام استبان ان النداء  
بصفة اليمان قد تكرر أربع مرات  
ووضح لنا ان كل نداء سبق  
يهاديات تصلق النفس ، وتجلو  
الباطن ، وتعلو بالسلوك .  
٤ — والنداء الاول « يأيها

(١) يمض بكسر الميم من الوميض وهو اللمعان .

(٢) راعنا كامة ظاهرها الرعائية ولكنهم أرادوا الرعونة والطيش .

بأهل الاعواء ، والافتتان بأموالكم  
وأقوالهم — هكذا — بعد أن  
ساحت القلوب ، وبذرت فيها  
بذور الاميلن — انطلق النساء  
مجلجا يضم اليهود ، وبينى  
قواعد الشخصية المسلمة .

٢ — وتمضي آيات سوره  
البقرة فنسج على تلك المنوال ،  
وتعلى ألسن اليمان ، وتندى من  
صور الفسال ، وتحذر من عوائق  
الطرف ، وتعكس على الجاده  
اضواء من سنن الله ومن التاريخ  
ثم تشير الى قارب النجاة في يس  
الحياة المتلاطم ممثلا في آية كريمه  
تختصر المسافة بين الله والناس  
« ناذكروني انكركم ، واثركوا  
لي ولا تكفرون »

والذكر وليد الاميلن . وهو  
المزع في دنيا تموي بالشر ، وهو  
قارب التجاه ، والمجدان  
المساعدان بلوحان خلال النساء  
الثانى « يابها الذين آمنوا استعينوا  
بالصبر ، والصلة .. »

والصبر ، والصلة كذلك من  
ولاد اليمان ، ويدفع هذه الشعائر  
على اجحتها يناح للمؤمن ان  
يقطع اشواطا نحو الغاية المرتجاه  
٣ — وتمضي الآيات تندى على  
المدوان في كل صورة ، وتنظر  
استباحة المحaram ، واستمراء

الشهوات ، والنزوات ، وتنفذ من  
خلال النساء يعم كل الناس ، الى  
 النساء آخر يدعوه الشلة المؤمنة وخاصة  
 الى مائدة الرحمة « يابها الذين  
 آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ،  
 واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون »  
 ٤ — وتنغير بك السورة آية  
 البر(١) بما تحمل من جوانب الخير  
 حتى اذا اكتمل الصقل وأرسنت  
 الدعائم واستوى المؤمن عملاقا  
 يسمى للاصار والانتقال جاء نداء  
 القصاصين يشنف القوة الفاشية  
 ويکبح الجماح « يابها الذين آمنوا  
 كتب عليكم القصاص »

٥ — وعلى مدارج هذه النساء  
يرقى المسلم الى حيث يتلقى نداء  
 الصيام « يابها الذين آمنوا كتب  
 عليكم الصيام ..... » .

والمؤمن في كتف هذه النساء  
المتكاملة ، ويفصل ما فيها من شفاء  
 ونقاء يعمو ، ويزيد ايمانه ، وتنوب  
 احرانه ، وتحف لوزاره ، ويسى  
 ويصبح ربانيا يسمع — من خلف  
 آيات الصيام — بشرى المبشرة  
 « يزيد الله بكم السير ولا يزيد بكم  
 العسر » ويرى يدي الله مبوسطتين  
 ويهس جلال المعية ونعمه الترب  
 « اذا سألك عبادي عنى هانى  
 قريب(٢) » .

**بخارى احمد عبده**

(١) « ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق ، والمغرب ، ولكن  
 البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين ، وآمن المال على  
 حبه ذوى التربى ، واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل ، والمسائلين ،  
 وفي الرقلب واقلم الصلاة ، وآمن الزكاة والمؤلفون بهدهم اذا عاهدوا ،  
 والصلبرين في الbasاء ، والضراء وحين البأس ، اولنك الذين صدقوا ،  
 اولنك هم المتقون » .

(٢) لانا ان شاء الله لقاء قريب مع هذه الآية .

# نفحات القرآن

## رسالة بخاري أحلى رعية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : ( شعر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس ، وبيت من المدى والفرقان ) ٠٠

كتبه العزيز : ( لم تروا ان الله  
سخر لكم ما في السموات ، وما في  
الارض واسبغ عليكم نعمه ، ظاهره ،  
وسلطنة ، وجن الناس ين يجاذب  
ف الله يغير علم ، ولا هدى ،  
ولا كتب ينير ) لشان ٢٠ .  
واللقاء على الله فرع الاحسان  
بنعم الله ، كلما عظم الاحسان ،  
جل الثناء ، والمكمن صحيح .

لقد تقرر أن الاخطاء التصوی ،  
او الاحسان الكامل بنعم الله فوق  
المقدرة ، وصدق الله : ( وان تعدوا  
نعم الله لا تحصوها ) .  
ولنا ان نتفق متسائلين ، لم  
جmet الكلمة « نعمة » في « اسبغ  
عليكم نعمة » ولم جات بمرد في  
« وان تعدوا نعمة الله » .

وطني أن الجم هناك يتناسب  
مع الكلمة « اسبغ » الدالة على  
الاخطاء ، والشمول ، والسيءاء  
وان الامراء هنا يتناسب مع قيود  
التصور ، والعجز ، حجر الانسان  
عن الاخطاء بنعمه واحدة من نعم  
الله سبحانه .  
والموالي الذي لا يكله نعما إلا

### جريدة توحيد

الاطحة بنعم الله خالية لا درك ،  
والانسان وهو يندو ، ويروح ،  
ويرقد ، ويصحو ويشيق ، ويزفر  
مجللا بنعم الله ، لانسو مداركه  
ولا تبلغ احساسه الدرجة التي تتبع  
لها مجرد القبة الى كل ما يجلنه  
من نعم .

والانسان العاجز عن مجرد  
الاحسان بما في معيته من نعم ،  
اشد عجزا عن ادراك شيء في  
مصدر هذه النعم . والخوض في  
شيء مما يتصل بالموالي سبحانه  
خارج نطاق ما بين الله تبرد على  
الحجم ، وتجاوز للقدر ، وتطاول  
نحو آفاق لا تكتنه ولا تحد « وما  
قدروا الله حق قدره والأرض جنبا  
فيضته يوم القيمة ، والسموات  
مطويات بيته ، سبحانه وتعالى  
عما يشركون » الزمر ١٧ .

ومثل هذه التطاؤل عدوان ،  
وجلال في الله يغير علم .  
وطني ان الموالي ، انسانية  
الى هذا ، وتنبئها الى جلل نعمه ،  
ولنكران لفظة الملحقة ، تصال في

وسيعها » رفعي منا ان نقىء في « يقال : تلك عذر ، او حسنة ؟  
فيهاب الرجل ، ينقول : لا يارب ،  
يبيتال ثليل ، ان لك هندا حسناً  
وانه لا ظلم عليك ، فيخرج اه  
بطاقة فيها « أشهد الا الله الا الله  
واشهد ان محمد عبده ورسوله »  
غ يقول : يارب ، ما هذه البطاقة  
مع هذه السجلات ؟ يقال : انك  
لا تنظم ، فتوضع السجلات في  
كتف ، والبطاقة في كفة ، فطاشت  
السجلات » ، وقتلت البطاقة »  
وكلم الله غزيرة ، كثيرة ( ونو  
إن ما في الأرض من شجرة اقلام ،  
والبحر يمد من بعده سبعة اجر ،  
ما ندنت كلمات الله ، ان الله عزيز  
حكيم ) لقمان ٢٧ .

أنا مستنقى عليك قولاً نقلاً  
ومن نعم المولى على العباد أن  
اضيف على بعض الأزمات ،  
والآذلة جللاً يعم خيره كل من  
لم الامكحة او استقبل الأزمات مؤتمراً  
بلبعه الله ، ويتباهى غير مبدع ، مخلصاً  
فلاروسات ،  
ومن نعمه كذلك ان اودع بعض  
الانكار ، او بعض الكلمات قيمها  
خليفة ، ولكنها ثقيلة ، ثقيلة .

وهى - ايضاً - ذات وطأة  
تقليلية «انا سئلنى عليك قولاً ثقلياً»  
الزمل .  
وثقل القرآن حقيقة معنوية تد  
لا تستوعبها الأذهان . والقرآن -  
كى ينذر أمر ذلك الثقل - بوضوح  
المحتوى المحسوس ، ويورد صوراً  
تمثيلية تعين على الاحساس بمدى  
الثقل المنوه به .

١ - ضرب لنا مثلاً بجسم شدة  
أثر القرآن ، وقوة تأثيره ، وحيوية  
غلبته فتقال : ( لو أنزلنا هذا القرآن  
على جبل لرأيته خائضاً متصدعاً  
من خشية الله ) ، وتلك الأمثلة  
تضريها للناس لعلهم يتنكرون  
الحشر : ٢١

وظنى أن مركـز التـقلـل فـي القرآنـ هو حـقائق التـوحـيد .. وـايـحـاء بـهـذاـ اـتـبـعـتـ (ـبـالـبـنـاءـ لـلـمـجـهـولـ)ـ آـيـةـ التـشـلـلـ بـأـيـاتـ مـاـشـرـةـ تـقـنـاـولـ رـكـائزـ التـوحـيدـ ،ـ وـتـهـدىـ إـلـىـ صـفـاتـ الـكـمالـ

أنا مستنقٌ عليك قولاً تقليلاً  
ومن نعم المولى على العباد أن  
أضفي على بعض الأزمنة ،  
والآئكة جللاً بعمر خيره كل من  
أم الامكـة أو استقبل الأزمنة مؤتمراً  
بغير الله ، ويتبعـ غير مبدع ، مخلصاً  
بالرسـامـ .  
ومن نعمـهـ كـتـلـكـ آنـ اـودـعـ بـعـضـ  
الـاذـكـارـ ، لـوـ يـمـضـ الـكـلـمـاتـ قـيـماـ  
خـلـيقـةـ ، وـلـكـنـهاـ ثـقـيلـةـ ، ثـقـيلـةـ .  
وـالـمـؤـمـنـ يـوـحـذـ وـهـ يـقـدـرـ ثـقـلـ  
كلـمـةـ التـوـحـيدـ «ـ لـاـ اللـهـ اـلـلـهـ »  
يـمـيزـانـ الـوـحـيـ وـفـقـ ماـ رـوـاهـ أـبـوـ  
سـعـيدـ الـخـدـرـيـ عـنـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـيـلـهـ عـلـيـهـ وـسـلـيـلـهـ  
قـالـ : «ـ قـالـ مـوـسـىـ : يـارـبـ عـلـمـنـيـ  
شـيـئـاـ ذـكـرـكـ ، وـأـدـعـوكـ بـهـ ، قـالـ :  
هـلـ يـاـ مـوـسـىـ : لـاـ اللـهـ اـلـلـهـ . قـالـ  
مـوـسـىـ : يـارـبـ كـلـ عـبـادـكـ يـقـولـونـ  
هـذـاـ ، قـالـ : يـاـ مـوـسـىـ ، لـوـ أـنـ  
الـسـهـوـاتـ التـسـبـعـ ، وـعـاـمـرـهـنـ غـيـرـيـ  
وـالـأـرـضـينـ السـبـعـ فـيـ كـنـةـ ، وـلـاـ اللـهـ  
اـلـلـهـ فـيـ كـنـةـ ، مـالـتـ بـهـنـ لـاـ اللـهـ  
اـلـلـهـ »ـ رـوـاهـ أـبـنـ حـبـانـ وـالـحـاـكـمـ

ويؤخذ ثانية وهو يكبر مارواه  
عبد الله بن عمرو مرتين « يصاح  
بوبيل بن ثقى على رعوس الخلائق  
ي يوم القيمة ؛ فنشر له تسعة  
وسبعين سجلا ، كل سجل منها  
مد البصر ، ثم يتناول ؛ اتفكر من  
هذا شيئا ؟ فيتقول ن لا يارد بـ .

تمييز رمضان بعد ان كان في الجاهليه  
ذكرى هجر ، ورمضان ، اضحي به  
ينتصح بالانداء ، والاسواء ، والعبير  
الجميل .

ولقد كان — من قبل — عاطلا  
متحلى ، وازدان ، وكان حاوياتا  
شاملات ، وعظم ، وكان مجبردكم  
تفكيك<sup>(٢)</sup> ، وزخر بالمعنى .

واستمرار العلاقة بين الوعاء<sup>(١)</sup>  
والمعنى<sup>(٢)</sup> . بين الشهر ، والقرآن  
— تلاوة ، ووعيما ، وتطبيقا —  
عزيزية ، وأمر مطلوب . وتحقيقها  
لهذا كان جبريل عليه السلام  
يلتئى الرسول<sup>عليه السلام</sup> كل ليلة في رمضان  
يعرض عليه النبي<sup>عليه السلام</sup> القرآن .  
وكل تلك ندب المسلمين الى متى  
من العبادات «من قام رمضان ايمانا  
واحتسابا خفر له ما تقدم من ذنبه»  
رواه مسلم .

وابقاء هذا الجزء كانوا  
بحرصون على قيام دسم حشواديه  
قرآن . روى الامام مالك باسناد  
صحيح عن السائب بن يزيد قال :  
( أمر عمر أبى بن كعب ، وتبينا  
الدارى أن يقروا للناس فى رمضان  
باحدى عشرة ركعة ، فكان التارى  
يقرأ بالمثلين حتى كنا نعتقد على  
العصا من طول القيام ، مما كنا  
تقترف الا في غرور<sup>(٣)</sup> العجز ) .  
وروى مالك — أيضا — باسناد  
صحيح عن الاعرج قال : ( ما ادركتنا  
الناس الا وهم يلعنون الكفرة فى  
رمضان قال : وكان التارى يقرأ

والجلال والجمال : ( هو الله الذى  
لا اله الا هو ، علام الغيب ،  
والشهادة ، هو الرحمن الرحيم ،  
هو الله الذى لا اله الا هو ، الملك ،  
القدوس ، السلام ، المؤمن ،  
المؤمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ،  
سبحان الله عما يشركون . هو الله  
الخالق ، البارى ، المصور ، له  
الاسماء الحسنى ، يسبح له ما فى  
السموات ، والارض ، وهو العزيز  
الحكيم ) الحشر ٢٢ — ٤٤ ،  
ومثل لنا جمامه المسئولة ،  
خطورة العاقبة التي تتاتى من  
التغريط فيما حملنا من امة فقال :  
( انا عرضنا الامالة على السموات ،  
والارض والجبال ثابن ان يحملنها ،  
واشفقن منها ، وحللها الانسان  
انه كان ظلوما جهولا ) ٧٢ الاحزاب

### الوعاء والمعنى

وشهر رمضان شهر اضف عليه  
من الماهية ، والجلال ، وال الكريم  
ما اضفي . ولا عجب فهو الوعاء  
الزمي الاول لبيانات القرآن ،  
واشفيته الاسمية الماهية ، ولا نزاع  
في ان قدر الوعاء من قدر الموعى<sup>(١)</sup> .  
والمولى جل وعلا — في ايجاز معجز  
جمع كل صنوف الشرف لرمضان  
وارتفع بقدر ارتقاها لا يداني <sup>هـ</sup>  
اجمل كل هذا في كلمات ثلاث حمل  
في تصاعيفهن معانى تزخر بالتجيد  
وال الكريم : ( انزل فيه القرآن ) .  
وبهذا الثناء الوجيز الملىء

(١) الوعاء شهر رمضان ، والمعنى هو القرآن .

(٢) تكفي اي صار كينا .

(٣) غرور الفجر او ائله واعاليه .

يُشَفِّعُنِي فِيهِ ، وَقُوْلُ الْقُرْآنِ : مِنْعَتِهِ  
النِّسُومُ بِاللَّيْلِ يُشَفِّعُنِي فِيهِ  
يُشَفِّعُنِي » .

وَبِسْمِ الْقُلُوبِ  
نَوْيِ الْأَلَامِ احْمَدُ ، وَانِ  
جَهَانُ ، وَالْحَكَمُ « وَصَحَّهُ » (١)  
عَنْ أَبْنِ مَسْوُدٍ عَنْ النَّبِيِّ قَالَ :  
(مَا أَصَابَ عِبْدًا هُمْ ، وَلَا حَزْنٌ لِقَاتِلِ)  
اللَّهُمَّ أَنِي عِبْدُكَ ، أَبْنَ عِبْدَكَ ، أَبْنَ  
أَمْكَ ، نَاصِيَتْ يَسِيدَكَ ، مَاضِنَ فِي  
حَكْمَكَ ، عَدْلٌ فِي قَضَاوَكَ ، اسْتَأْكَ  
بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ ، سَمِيتُ بِهِ نَفْسِكَ ،  
أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ ، أَوْ عَلَمْتَهُ أَحَدًا  
مِنْ خَلْقِكَ ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ  
الْغَيْبِ عَنْكَ .. انْ تَجْعَلُ الْقُرْآنَ  
الْعَظِيمِ بِيَعْ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجَلَاءَ  
حَزْنِي ، وَذَهَابِهِ ، أَلَا أَذْهَبَ  
اللَّهُ حَزْنَهُ ، وَهُمْ ، وَبِدِلَهُ مَكَانًا  
مَرْحًا) .

وَطَلَبَ أَنْ يَكُونَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ  
الْقُلُوبِ دُعَاءً مُرِيدًا يَسْتَرْعِي  
الْأَنْتِيَادَ ، وَيَسْتَدْعِي التَّنْكِيرَ ، وَالْحَقَّ  
لِنَ الْمُبَارَأَةَ « انْ تَجْعَلُ الْقُرْآنَ  
الْعَظِيمِ رَبِيعَ قَلْبِي » جَامِعَ دُعَاءِ  
وَجَمَاعِ خَيْرٍ .. ذَلِكَ لَانَ السُّؤَالُ :  
أَسْتَعِذُ بِهِ ، يَقُولُ الصِّيَامُ : أَيْ رَبُّ ، أَنِي  
مَنْعَتِهِ الْعِلْمُ وَالشَّهْوَاتُ بِالنَّهْشَاءِ

صُورَةُ الْبَقَرَةِ فِي شَيْءٍ (١) رَكْعَاتٍ  
وَإِذَا نَفَقَ بِهَا فِي شَيْءٍ (٢) عَشَرَةً  
رَحْكَةً رَأَى النَّاسُ أَنَّهُ تَنَدَّ خَلَقَهُ  
وَإِذَا سَخَّنَتْ هَذِهِ الْمُبَلَّةَ  
بَيْنَ الْقُرْآنِ وَالشَّهْرِ آتَتْ لَكُمَا ،  
وَرَسَخَتْ وَسِرَى تِيَارَاهَا مِنْ رَمَضَانَ  
إِلَى سَائِرِ الشَّهُورِ ، وَالْمُنْتَجَةُ أَنَّ  
يَحْطُولِي الْمُؤْمِنُ ، وَيُطَبِّبَ مَسْدَاقَ  
مَا يَرَوِي فِي الصَّاحِحَ عنْ أَبِي مُوسَى  
الْأَشْعَرِي قَالَ : قَاتَلَ رَسُولُ اللَّهِ كَلَّئِيلٍ  
(مِثْلُ الْمُؤْمِنِ) الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مِنْ  
الْأَتْرِاجَ (٣) رِيحَهَا طَيِّبَ ، وَطَعْمَهَا  
طَيِّبَ ، فَمِثْلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ  
الْقُرْآنَ مِثْلُ الشَّمْرَةِ ، لَا رِيحَ لَهَا ،  
وَطَعْمَهَا جَلُوٌّ ، وَمِثْلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي  
يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مِثْلُ الْرِّيحَانَةِ رِيحَهَا  
طَيِّبَ ، وَطَعْمَهَا مَرٌّ ، وَمِثْلُ الْمُنَافِقِ  
الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمِثْلُ الْحَنْظَلَةِ  
لَيْسَ لَهَا رِيحَ وَطَعْمَهَا مَرٌّ) .

وَنَتْيَاجَهُ هَذَا الْإِرْتِبَاطُ الْمُقْدِسُ  
بَيْنَ الْقُرْآنِ وَالصِّيَامِ أَنْ يَشْفَعَا يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ فِي صَاحِبِيهِمَا وَفَقَ مَا رَوَاهُ  
أَحْمَدُ ، وَالْبِيْهَقِيُّ ، وَالْحَكَمُ وَصَحَّهُ  
مِنْ عِبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرُو لَأنَّ رَسُولَ اللَّهِ  
كَلَّئِيلٍ قَالَ : « الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعُانِ  
لِلْعَيْدِ » ، يَقُولُ الصِّيَامُ : أَيْ رَبُّ ، أَنِي  
مَنْعَتِهِ الْعِلْمُ وَالشَّهْوَاتُ بِالنَّهْشَاءِ

(١) هِيَ رَكْعَاتُ الْمُعْشَاءِ وَالنَّرْوَافِ .  
(٢) تَكَاهْتَهُ تَمْيِيزَ بِالظَّعْمِ الْمُسَاغِ وَالرَّائِحةِ الطَّيِّبَةِ قَالَ هِيَ التَّرْنِجُ .  
جَاءَ فِي الْقَامِوسِ : وَالْأَتْرِاجُ وَالْأَتْرِاجَ ، وَالْتَّرْنِجَةُ وَالْتَّرْنِجَ مَعْرُوفٌ ، حَامِضٌ  
يُسْكِنُ غَلْمَةَ النِّسَاءِ ، وَيَجْلُوُ اللَّوْنَ ، وَالْكَلْفَ ، وَتَشَرِّهُ فِي الشَّيَامِ يَمْنَعُ  
السَّوْسَ . قَالَ صَاحِبُ التَّوْشِيحِ : انَّ الْجَنَّ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ اتْرِاجٌ . قَالَ  
وَمِنْهُ تَظَهُرُ حَكْمَةُ تَشْبِيهِ تَارِيَةِ الْقُرْآنِ بِهِ فِي حَدِيثِ الصَّحْدِيْنِ .  
(٣) قَالَ الْحَكَمُ هُوَ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ أَنْ سَلَمَ مِنْ الرَّسُولِ عِبْدُ  
الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِيهِ ، خَانَهُ مُخْتَلِفٌ فِي سِيَاهَهُ مِنْ أَبِيهِ .

الطاء ، وي يوم النجائب الحبيب  
 مع الناس طيبة .  
 ٧ - وستوحى عظمة القرآن ،  
 وبكل ندره من : ( ) الصياغ الذي  
 يشى عن غاية الغضب ويفهم  
 التذلل ، والاذعان ، والاتساع  
 « اني عبدك ا بن عبدك ، ا بن عبدك  
 ناصيتي ... الخ » .  
 (ب) ومن الآيات البارزة الذي  
 يهوى من « الله » و« الحاجة » ، والشهادة  
 « الله » الامان بكل حسر حسر  
 ... الخ » .  
 (ج) ومن الامثلة المثيرة التي  
 تظهر في آيات الله عز وجل مثل  
 المستهدين بـ « الله » المنحة  
 بالنسبة ، والشهادة ، والشهادة الصالحة  
 « رب يحي كلبي دعوة سترى ، يجلأ  
 حزني ، ذهاب همي » وظنى ان  
 المطلب الثالثة البارزة قررت عن  
 المطلب الاول « وتضع من تحنته ..  
 وتحسدا اليهاد المفاسد علقتها  
 يشتهي باهنة المحبين بالشوكه ،  
 صلبت ، وروكت ، موتلاطف ، وشلت  
 تجعل شهيد اجنوبيه للمستهدة ، ورافقته  
 الاخوة » ، وطليمه الصحركة المرة  
 الرشيدة .  
 انسحقة القبور مغفوت الشخصيات  
 مزدهرة ناصرة ينبع خيمتا الفلاح  
 الكريم : ( ومتهم في العين درج  
 الخرج ، حطاما ، مازروه ، للمسفاته  
 لمستوى على سوطه ، يصعب الواقع  
 يغيظ بهم الكفار ... ) .

وسوء الطابع . وقطع الى الطهارة ،  
 و الشفاء ، والذين ، وحسن الطالع .  
 ٣ - ويوحي بنان القرآن فت  
 طلبه ، وان التلوب حيلة تصنف  
 على النحو الذي جاء في الحديث  
 الصحيح : ( مثل ما بعثني الله به  
 من الهدى ، والعلم كمثل الغيث  
 الكثير أصاب أرضا ، فكانت منها  
 طائفة طيبة قيلت « الماء » كثيرة الكلا  
 والمشب الكبير . وكانت منها  
 اصحاب ( ) استكثروا ، فمنع الله  
 بها الناس ، فشرعوا ، وسلوا ،  
 وزرعوا وأصاب منها طائفة آخرى ،  
 ائما هي شيعان ( ) لا تستكثروا ،  
 ولا تنتسب كللا . تلك مثل من نصه  
 في حين الله ؟ ولعله ما يعنى الله  
 به علم ، وعلم ، فمثل من لم يرمع  
 بذلك رأسنا ، ولم يقبل علدي « الله  
 الذي ارسلت به » متنق عليه .  
 ٤ - والسؤال يشى طلب ثبات  
 التلوب ، وعمرتها بالآيمان حتى  
 ت فهو خصبة جيدة زراعة بلا تحرر ،  
 او مروعة - حتى تندو مهيبة تقويم  
 القرآن .  
 ٥ - وفيه تشوق لبركة رباتية تمس  
 التلوب فتكسيها قدرة على التفاعل  
 مع هدایات القرآن .  
 ٦ - وفيه طلب تهر نوازع النفس  
 الدنيا من شح ، وبغض ، حتى يطيب

(١) جمع الحدب والمراد الأرض الصلبة التي تمسك الله فلا يصوب .  
 (٢) جمع شاع وهي الأرض المسطبة

يعلمون وليس أضلهم (١)  
الذؤوس ، وينطون يائرين غاشية (٢)  
القلم : ( ) . قد جاءكم من الله  
نور وكتاب بهن يهدى به الله من اتبع  
رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم  
من الظلمات الى النور بانفه ،  
ويهدىهم الى سراط مستقيم (٣)  
المائدة ١٦ .

ولقد علموه مدد حياة مصدق قول  
الله : ( يلهم الذين آمنوا استجبوا  
لله ولرسوله إذا دعكم لما يحبكم )  
٤ الانفال .

غراوه يعننا ، وهيرونة متدققة  
وصدق قوله سبحانه : ( أو من كان  
هنا ، فاحببناه ، وجعلنا له نورا  
يشعر به فهو الناس كمن مثله في  
الظلمات ، ليس يخرج منها ) .

١٢. الانعام :  
وأركمه ووها تنسوى في تجمع  
الاسلام العضوي توحد بين القلوب  
وأن شدّيت المأساد وبين الغاليات  
وأن لاختلطت الوسائل ، وتطبع  
للمجتمع بطريق المشاركة الوجدانية  
( لهذا اشتكى منه هضو تداعسي  
لهمسات الجسد بالسمير ، والحمى ).  
وأتخنوه خلقا ، وحافرا ،  
وستحلا ، وحسنوا التعامل ،  
والتفاعل مع هملياته .

(١) الأضلون دون التلوك . (٢) الغاشية - بضم الغين وتسكين الباء  
الظلمة . (٣) متعرضون من يمساهمها أشد الاهتزاز . (٤) مكتفين بالقرآن .  
أو مستكثرين بمحاورهم للبيت . (٥) تعرضون عن القرآن ، وتتسارعون  
ليلًا بالطعن فيه ، والتعریض به . الكلمة « تهجرون » أدا من المهر - بفتح  
الماء واطي من المهر - بضم الماء . بمعنى الفحش في التلوك .  
(٦) اي من المهدى والحق غراوه غيرها ما يستدعوه واستبعده لانه غير  
ملوك ، وجملوا ان المألوف قد يكون باطلًا . وأن غير المألوف قد يكون حقا .

# نفحات القرآن

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(الشهر رمضان الذي أنزل (١) فيه القرآن هدى للناس ، وبيانات (٢) من  
الهدي ، والفرقان .. \*

\* لازلنا في موقف الوفاء لذكرى شهر الكريم

(١) أنزل القرآن من اللوح المحفوظ جملة واحدة إلى بيت العزة في السماء الدنيا ، ثم نزل به جبريل نجما ، نجما ، وفق الدواعي ، وذلك في نحو عشرين ، أو احدى وعشرين سنة حسبما أثر عن ابن عباس ، أو ابتدأه نزوله في ليلة القدر في رمضان كما ذكر الشعبي بناء على رواية أخرى عن ابن عباس .

(٢) هدى أي هاديا ، والهدي : الارشاد . وبينات جمع بينة من بيان الأمر اذا وضح ، وإعلان المراد بالبيانات المحكمات من حلال ، وحرام ، وموانع واحكام ، تشفى وتجلو البصائر فلا يلتبس عليها أمر بل يضحي الحق بينما أبلج ، والباطل فاضحا ، أسود فوق أن الهدي القرآني منارات ، وبراهين دامفة تكتب الخصم الألد ، فالقرآن هدى مفعم بالبيانات ، أو بينات تزخر بالهدي ، وتسطع فتفرق بين منهجي الحق والباطل فلا يختلطان — ظنى ان هذا عطاء الكلمة « بينة » أو « بينات » في القرآن . ولقد أردت — بهذا — أن أجيب على تساؤل يسبق إلى الذهان هو : لماذا أعيدت الكلمة « الهدي » مسبوقة « بمن » بعد أن سبقت منكرة ، عامة في « هدى للناس » — وما الفرق بين هذه الصياغة القرآنية ، وبين قولنا : — القرآن أنزل هدى ، وبينات ، وفرقانا ؟ ان صياغة القرآن توحى بأن في قيام القرآن بالهدي حرى أن يجعله بينات تقطع الطريق على كل مكابر ، وأن في قيامه بالحجج حرى أن يهدى إلى الصراط كل متخطط يتحسّن ، أما شر الدواب فهم لا يرون ولا يسمعون ولا يعون . وصدق الله : ( ... قل هو للذين آمنوا هدى ، وشفاء ، والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر ، وهو عليهم عمى ، أولئك ينادون من مكان بعيد )

فصلت ..

قال به صدق ، ومن عمل به أغير ،  
ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه  
هدى إلى صراط مستقيم «(١)» .  
فالقرآن بمقاييسه المتلاحمه ، وبكل

ما فيه من حواجز ، وزواجر .  
ومشاهد قيامة . هسو الصراط  
المستقيم لا يزال يطوى — بمن  
يقطهم ، بضم الباء وكسر التاء  
وتشديد اللام المضمة » الأماد  
ويجوز بهم المخاطر حتى يلتهم  
ملئهم في دار السلام .

وهو بمناهيمه المتكاملة ، ومعاله  
الهاديه داعي الله على رأس الصراط  
كما يفهم مما رواه الترمذى وغيره  
من حديث النواس بن سمعان من  
رسول الله ﷺ قال : « ضرب الله  
مثلا صراطاً مستقيماً ، وعلى جنبي  
الصراط سوران . وفي السورتين  
ابواب مفتوحة ، وعلى الابواب ستور  
مرخاة ، وداع يدعسو من خوق  
الصراط ، وداع يدعسو على رأس  
الصراط قال فالصراط المستقيم هو  
الاسلام »(٢) . والسوران حدود الله ،  
والابواب المفتحة محارم الله ، والداعي  
على رأس الصراط كتاب الله ،  
والداعي خوق الصراط واعظ الله في  
قلب كل مؤمن » وهو المحجة البيضاء  
ليلها كثارها لا يزيغ عنها الا هالك .

القرآن بحيوياته التي أشرنا إليها  
في مقالنا السابق ، كان للمسلمين  
الحسن النفع ، بل العمق الذي  
يلونون به ، ويرتدون إليه كلما  
حزبهم حازب ، أو كلما عربدت  
المحن ، وهاجت الفتن ، وادهمت  
الخطوب ».

ولعل هذا هو ما يوحى به الآخر  
الذى روى عن الحارث الأعور قال :  
مررت في المسجد فإذا الناس  
يخوضون في الأحاديث ، فدخلت على  
على رضى الله عنه ، فأخبرته فقال :  
أوقد فعلوها ؟ قلت : نعم ، قال :  
اما انى سمعت رسول الله ﷺ يقول :  
« الا انها ستكون فتنة » قلت :  
ما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال :  
كتاب الله ، فيه بنا ما تعلمكم ، وخبر  
ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو  
الفصل ليس بالهزل من تركه من  
جبار قصمه الله ، ومن ابتلى الهدى  
في غيره أضلله الله ، وهو حبل الله  
المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو  
الصراط المستقيم ، هو الذى لا تريغ  
به الأهواء ، ولا تلتبس به الآلسنة ،  
ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق  
عن كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ،  
هو الذى لم تنته الجن اذ سمعته  
حتى قالوا : ( انا سمعنا قرآنا عجبا  
يهدى الى الرشد فاما به ) . من

(١) اثر رواه الدارمي ، والترمذى وقال : « مجهول الاسناد » وفي اسناده  
الحارث الأعور الموصوف بالضعف الشديد . ولقد اثبته اقتداء بالائمه  
الذين اثبتوه — رغم علمهم بضعفه — اهتماما بما فيه من معنى صحيح .  
— وكى يقف القراء على حقيقة وزنه لأن الناس يرددونه كثيرا . — ولأن  
ابن نعيم رواه من طرق متعددة .

(٢) لا يخفى أن الاسلام هو اتباع القرآن .

تركتنا محمد عليه السلام في أولها وطرفه الآخر في الجنة كما جاء من أن ابن مسعود سئل عن الصراط المستقيم فقال : تركنا محمد عليه السلام في أدناه وطرفه في الجنة ، وعن يمينه جواد ، وعن يساره جواد ، وثم رجال يدعون من مر بهم ، فمن أخذ في تلك الجواد(١) انتهت به إلى النار ، ومن أخذ على الصراط المستقيم انتهى به إلى الجنة . ثم قرأ ابن مسعود ( وأن هذا صراط مستقىما ، فاتبعوه ، ولا تبعوا السبيل فتفرق بكم عن سبيله ) .

فالصراط خلق قرآني يفضي بنا إلى السعادة الأبدية ، واستشهاد ابن مسعود بالآلية : ( وأن هذا ) يوحى بأنه أراد القرآن بما حوى ، وبما استتبع من بيان شاف ، وافتتنه رسول الله عليه السلام للناس بقوله ، وفعله ، وتقريره . ذلك لأن كلمة « هذا » إشارة إلى كل هدایات القرآن .

ولكن ما معنى « تركنا محمد في أدناه » ورسول الله لم ينتقل إلى الرقيق الأعلى إلا بعد كمال الدين ، وتمام النعمة ، وان بلاج السبيل ؟

والجواب أنه لا نزاع في كمال

الدين بيانا ، وتعلينا ، أما انتهاج منهج القرآن ، واقتفاء خطى رسول الله شبرا بشبر ، وذراعا بذراع غامر متجدد بالنسبة للأولين ، والآخرين ، وكل مكلف يبدأ من مفتح الطريق . خاما أن يواصل ثابتنا ، وأما أن يتربّع فيسقط ، أو يشد فيصل فالعمل الدنيوي يمثل أدنى الطريق . وبين البداية ، والنهاية عقبات ، ومزالق ، ومخاطر ، ومهماوى وهذه المخاطر واجهت خير القرون ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم باعتبارهم افرادا ، وباعتبارهم مجتمع ، تماما ، وجمالا ، الدين كمالا ، وشعاعا ، الخ والناس هم الذين يتلهمون ، أو لا يتلهمون مع النعمة المسبقة فـ « بـالبناء للمجهول » عرايا أو يبدون مكتشوفـ السـوـءـةـ ، مـضـوـحـينـ ، حـاسـرـينـ(٢)ـ .

والقرآن كذلك . لا يبلى ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولكن القلوب هي التي تخلق ، وتخلق(٣) حتى تغدو مرقا ، مرقا . ونسبة البلى إلى القرآن في الأثر المروي عن معاذ رضي الله عنه : ( سبئي القرآن في صدور أقوام كما يليل الثوب فـ « تـهـافتـ » ، يقرعونـهـ

(١) جمع جادة ، والجادـةـ بـتشـديـدـ الدـالـ . وـسـطـ الطـرـيقـ وـمـتـسـعـهـ ، ولكن المرادـ الجوـانـبـ وـالـأـطـرـافـ المـضـلـةـ — من افراط وتغريط وتعدد باعـ فـهـيـ آذـنـ جـوـانـبـ ضـيـقةـ وـأـطـرـافـ تـؤـذـنـ بالـأـنـهـيـارـ ، الاـ أنـ الـأـهـوـاءـ فـوـهـتهاـ ، وبـهـرجـتهاـ حتـىـ بدـتـ لـعـشـاقـهـاـ وـاسـعـةـ ، مـعـيـدةـ ، آمنـةـ .

(٢) الحاسـرـ منـ يـوـاجـهـ المـعـامـعـ دونـ أـنـ يـحـصـنـ نـفـسـهـ بمـغـفـرـ ، أوـ درـعـ ، أوـ جـنـةـ ، الخـ .

(٣) خـلـقـ الثـوـبـ بـلـىـ .

لا يجدون له شهوة ، ولا لذة ،  
يلبسون جلود الضأن على قلوب  
الذئاب ، أعملهم طمع لا يخالطه  
خوف ، ان قصروا قالوا سنبلغ ،  
وان اساعوا قالوا : سيففر لنا انا  
لا نشرك بالله ، نسبة مجازية —  
من قبيل المجاز المرسل لعلاقة  
الحالية ، والمحليه(١) .

وهو لاء الاعطال(٢) الحاسرون  
هم اظلم الناس(٣) ، ذكروا «بضم  
الذال ، وكسر الكاف المشددة» «  
فأعرضوا ، ودعوا «بالبناء للمجهول»  
فلم تصادف الدعوة غير قلوب غافل ،  
ومدارك متجردة ، فهم كفاء قول  
الله : ( ومن اظلم من ذكر بآيات  
ربه ، فاعرض عنها ، ونسى  
ما قدمت يداه ، انا جعلنا على قلوبهم  
اكتة ان ينفعه ، وفي آذانهم وقرا ،  
وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا  
اذن ابدا ) الكهف .

بل هم المجرمون مصدق قول  
الله : ( ومن اظلم من ذكر بآيات ربه  
ثم اعرض عنها ، انا من المجرمين  
منتقمون ) السجدة

وانتقام المولى ممن عموا ،  
وصموا ، واتخذوا القرآن مهجورا  
يتنزل شظف عيش وضنك معيشة ،  
واضطراب احوال ، وكما انطمست

(١) اي ذكر الحال ، وأريد محل .

(٢) الاعطال الرجال لا سلاح معهم والعاطل المرأة التي لا حلى عليها .

(٣) اظلم الناس من هانت عليه نفسه فظلمها لأنه حينئذ يكون على

البعدين أبرا وأظلم ،

(٤) ومن ذلك ما جاء في سورة ص : « انزل عليه الذكر من بيننا ،

بل هم في شك من ذكري » .

ولقد حرص رسول الله ﷺ على ربط الأمة بكتوز القرآن ، ومناهله الفراة ، ولبث فيهم ما لبث يغريهم به ، ويحدوهم إليه ، ويحفزهم إلى يستبقوا خيراته ، ويختلقو بآياته . وعلى هذا الدرب سمعنا من أحاديث رسول الله ﷺ :

١ - مثل ما رواه مسلم عن عقبة بن عامر قال : خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصفة (١) فقال : (إيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو العقيق فيائى بناقتين كوماويين (٢) في غير أثم ، ولا قطيعة رحم ؟ فقلنا يا رسول الله كلنا نحب ذلك . فقال : أهلاً يغدو لأحدهم إلى المسجد فيعلم ، أو يقرأ آياتين من كتاب الله خير له من ناقة ، أو ناقتين ، وثلاث خير له من ثلاثة ، وأربع خير له من أربع ، ومن أعدادهن من الأبل ) .

٢ - ومثل ما روى عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : (لا حسد إلا على اثنين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل ، وأناء النهار ، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفق منه آناء الليل ، وأناء النهار ) متفق عليه .

٣ - ومثل ما روى عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ ( بئس ما لأحد هم أن يقول نسيت آية كذا ، وكذا ، بل نسي ) (بضم النون ، وكسر السين المشددة وفتح الياء) واستذكروا القرآن فإنه أشد تفصياً (٣) من صدور الرجال من النعم (٤) . متفق عليه .

والآثار التي تحفز الهم إلى القرآن جمة ، والقرآن يعرض عن مشاهد القيامة صوراً رهيبة تبرز من أعراض عن الذكر فظلم نفسه حسيراً يتعرّث في أذىال الخيبة ، ويأكل بعضه بعضاً : ( ويوم يغض الظالم على يديه يقول يا يتنى اتخذت مع الرسول سبيلاً . يا يوليلى ليتنى لم اتخاذ فلانا خليلاً لقد أضلنى عن الذكر بعد أذ جاعنى ، وكان الشيطان للإسان خذولاً (٥) .

الفرقان

ويعرض القرآن موقف رسول الله ﷺ ضائق الصدر شاكراً ضيضة القرآن ، ومرارة الهجران وضراوة العداون ( وقال الرسول يارب ان قومي اخنعوا هذا القرآن مهجوراً وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من

(١) الصفة مكان في مؤخر المسجد أعد لنزول من لا مأوى لهم ولا أهل .

(٣) تفاتاً وذهاباً .

(٢) عظيمتي السنام .

(٤) النعم = الأبل والشاة ، والجمع انعام وجمع الجمع أناعيم .

(٥) قيل الظالم عقبة بن أبي معيط ، وخليله هو أمية ، أو أبي بن خلف . وكان من أمر عقبة أنه تمرد وعتا عتوا كبيراً ارضاء لخليله ابن خلف ، وانصياعاً لأميره الشيطان والآيات تتناول كل من نحا نحوهما ولن لفهمها .

## المجرمين (١٠٠) . الفرقان

١٠٠١٠٠ بالقرآن ، ولكن

ان الله يرعن بهذا القرآن اقواماً  
ويضع آخرين . وفق مارواه مسلم  
عن عمر بن الخطاب عن الرسول  
الكريم فالقرآن اما لك يهديك  
وينجيك ، ويرفعك . واما عليك  
ي حاجك ، ويخصمك ان ازدرت  
وليلتك . والمسلم حيال القرآن اما  
م قبل يحصد خير الاعمال ، واما  
مدبر يحمل وزر الاهمال .

يدل على هذا (١) ما روى في  
شرح السنة عن عبد الرحمن بن  
عوف عن النبي ﷺ قال : ( ثلاثة  
تحت العرش يوم القيمة : القرآن  
ي حاج العباد له ظهر ، وبطن (٢) ،  
والأمانة ، والرحم تنادي : الا من  
وصلني وصله الله ، ومن قطعني  
قطعه الله ) .

(ب) وما رواه احمد والترمذى  
وابو داود والنسائى ، باسناد صحيح  
عن عبد الله بن عمرو قال : قال

والاعداء الجرمون من شياطين  
الانس ، والجن همهم صرف السableة  
عن الصراط ، وصدتهم عن القرآن ،  
وصرفهم الى اهتمامات أخرى من  
لهو الحديث ، ولغوه ، ومن بهرج  
الدنيا ومطالب الهوى ، وما رب  
الطين ، ونتيجة الانصياع مع  
شياطين الانس ، والجن تتجلى  
يوم القيمة تخبطا ، وتعثرا ، وخردلة  
على الصراط ، وهويا في النار ،  
وذدوا عن الحوض .. الخ .

ويعلم يومئذ رسول الله انهم بدلاً  
بعده ، وغيروا فيقول : سحقنا  
سحقنا لمن بدل ، وغير ، وظنني أن  
هذا المقام مقام مهيأ للادلاء بمثل تلك  
الشهادة ، بل الشكایة التي تفيض  
مرارة ( يارب ان قومي اتخذوا هذا  
القرآن مهجورا ) .

وابراز هذا المشهد المأساوي ،  
حرى ان يسدد الوجهة ، ويربط

- (١) ثليل ان الآية « وقال الرسول ... » تحكي مشهداً من مشاهد  
القيمة ، ومن الهجران ان يجعلوه مجرد ترانيم لا تتجاوز الحاجز ، او  
احتراضاً يقوم على الصوت ومقاماته ، او انحرافاً الى المآتم والمدافن ، او  
تمائم وتعاويذ ، ورقى ، على نحو لم يصح عن الرسول الكريم .. الخ وقيل  
بل اشتكتي الرسول الى ربها من تعنت المشركين وزعمهم ان القرآن سحر ،  
وشعر ، ومن اعراضهم ، وتواصيهم باللغو فيه ( وقال الذين كفروا لا تسمعوا  
لهذا القرآن ، والغوا فيه ... ) وعندى ان الرأى الأول اقرب ، وذلك لأن  
كلمة « الهجر » مهجوراً تنبئ عن قطبيعة من بعد الفة واتصال ، وهذا  
لا يصدق الا اذا كان المعنيون مسلمين - على شاكلتنا - تركوا تفهم القرآن ،  
وتذربه ، وتحكيمه ، وتطبيقه واستبدلوا الذي هو ادنى بالذى هو خير .  
(٢) الظهر ما وضح للعامة والخاصة والبطن ما دق واحتاج الى تدبر .

— رغم الطنطنة — تحت طائلة  
ملروى الدارمى ، والترمذى عن ابن  
عباس قال قال رسول الله ﷺ :  
( ان الذى ليس فى جوفه شيء من  
القرآن كالبيت الخرب ) — حسن  
الاسناد — ويفيد ما ذكرت مارواه  
يسلم عن التوابن بن سمعان قال :  
قال رسول الله ﷺ : . يؤتى يوم  
القيمة بالقرآن وأهله الذين كانوا  
يعملون به تقدمه البقرة وآل عمران  
كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان  
بينهما شرق «نور» أو كأنهما فرقان  
من طير صواف تحاجان عن صاحبهما)

**بخارى احمد عبده**

رسول الله ﷺ : ( يقال لصاحب  
القرآن : اقرا ، وارتق ، ورثل كما  
كنت ترثل في الدنيا ، فإن منزلتك عند  
آخر آية تقرؤها ) .

والانتفاع بالقرآن لا يكمل إلا من  
عمر القرآن جوفه ، فحكم قواه ،  
ووجه طاقاته أما لوكه باللسان  
وخنق كلماته ثم ارسالها راقصة  
من أولئك الذين يرجعون بالقرآن  
ترجيع الفناء والنوح ، لا يجاوز  
حناجرهم مفتونين ، فاتندين ،  
متعجلين الأجر لا متاجلين ، لوكه  
ومضفه هكذا شأنه لا يحيي موانا ،  
ولا يعمر فؤادا ، وهؤلاء لا يزالون

### احفظ الله

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم ( أى على دابته ) يوما فقال : « يا غلام انى أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك . احفظ الله تجده تجاهك . اذا سألت فسائل الله .  
وإذا استعنست فاستعن بالله . واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك . وان اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك . رفعت الأقلام وجفت الصحف » .

**رواوه الترمذى**

# نفحات القرآن

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدي للناس ، وبيانات من هدي ، والغريقان»

«نلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا»

كذلك كان رسول الله ﷺ يلتقي مسيحيون من قبائله . بل يزيد كل امرىء منهم ان يؤتى بمناجاة منشة )  
والصورة - كما نرى - ذرية تثير السخرية ، وتذل كباراهم لهلوك المتخفين ، المعرضين جهالة وحمقا ، وبقى وحشاً ابى يؤثر الله محددا دونهم بهذا القرآن العظيم .

والصورة تستدعي قول الله سبحانه : ( و قالوا لولا نزل هنا القرآن على رجل من القويين عظيم . اهم يقصون رحمة ربك ؟ نحن تمسنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ، ورفعنا بهبتهم فوق بعض درجات ... ) الزخرف .

وادررت الظاهرة القرآنية رأس المشركيين فطفقوا يشهدون (١) « ببناء للمجهول » ويعظضون (٢) بلا ذمي - في كل اتجاهه من دون ، متخفيين ، وفق الصورة التي أبرزهم فيها القرآن الكريم ( بما لهم من التذكرة معرضين . كائنة حمر الشياطين .

وادررت الظاهرة القرآنية رأس المشركيين فطفقوا يشهدون (١) « ببناء للمجهول » ويعظضون (٢) بلا ذمي - في كل اتجاهه من دون ، متخفيين ، وفق الصورة التي أبرزهم فيها القرآن الكريم ( بما لهم من التذكرة معرضين . كائنة حمر

\* بذلت مرتبها بموقف الوفاء لحق الشهر الكريم الراحل ، واعتذر للأخوة الذين يحسون بعضاً الجوع كلما راجعوا آيات الصيام .

(١) يذهبون ، ويتحمرون .

(٢) وغض بغض ، وأوغض بغض عدا ، وأسرع .

والية التنفس معنها بهذه المقاييس  
« غلا طمع الكافرين » وجاءتهم به  
جهاداً كبيراً من سورة الزرقان  
و هذه السورة المكية التي وصفت الأذى  
الجهاد بالقرآن « ترصد مواتسخ  
المطهرين فتنفذ بالنهش على الباطل  
نديمه فإذا هو راهق .

والرسورة يايتها نفس حرباً  
شعراً على الضالين الشاذين ،  
ويتباهي لهم بمحبوبين وبمحظوظين ،  
ويختلرون غير عذون : ( إن هذا آلة  
ألك افتراء ) وأمانة طيبة قيم  
آخرون ... ) ويضالون بغير قرون  
( وقالوا أمساكير الأولين اكتبهما هن  
على طبلة بكرة وأصيلاً ) ويزجرون  
ويفرون ( إن تخمسون لا رجالاً  
مسحوراً ) ويتهمون فيهمون ( آخذ  
الذى يعذ الله رسولاً ) ويختلرون  
احجمهم ويمتصرون : — لولا .

لولا . لولا .  
هذا ، وغير هذا ، والتناقض هي  
الشكل تحبيب ، وتنسم ، وتناج ،  
وتنفس ، وتحزى على قلوب المؤمنين  
برؤس ، وسلاماً ، وقلبي ، وتشعر  
من مصالع المكابدين من المؤمنين  
ونوح ، وحاد ، وفود ، وأصحاب

وتحت وطأة ما اعتراهم من هلمج  
وحشد ، وشلل عقلنا أمسوا يطلبون  
( لولا أنزل علينا الملائكة لو ندري  
ربنا ... ) وأصبحوا ولطباتي الحق  
تند لحلهم ( لقد استكروا في  
أنفسهم ، وعثروا كباراً . يوم  
يسرون الملائكة لا يشري يومئذ  
للمجرمين ... ) .

ولملاوة يهجرون ( ) ، ويفرون  
( لولا لفزي عليه القرآن جملة  
واحدة ... ) في أضحوى وقد كفروا  
والشوا « بالبقاء للمحبوب » حسروا  
( كذلك ثبتت به خواص ... ) ولقد  
ثبت خواص رسول الله ، وأطهان ،  
وامتناعه فيه العانس للواكية إلى  
نور ووليق وحسنة واحدة يقتبس  
خطاها المؤمنون ، ويندرجون في  
مراكبها رويداً رويداً ، فلا يختلفون ،  
ولا ينفكون ( ) بل وجبلات محسومة  
روعن غيبها لبر الحلمة ، والتبايبة ،  
والهمم ، والتفيل وغيثاً طلاق  
محسوسة رومي فيها حلقة العدو ،  
وموقمه ، ودرجة انحرافاته ، والهدف  
من مواجهته ... الخ ( انزل من  
السماء ما شئت أوعية بقدرها )  
الزهد .

(1) الهجر « بضم الناء » الهيثان .

(2) لفخم بالطعام أى امتلاء جوفه فتضمر به .

(3) مثل ضربه الله يشى بيته التدبير  
في كل أمر . وهو بعد مثل للحق ، والباطل . الحق هادي ، يؤدى به ،  
في آثار ، وتأكلية ، واطمئنان . والباطل نقاش منتفع ولكن عناصره غثاء ،  
وقام لا تتلام ، ولا يفتأم ، ولا ينتهي ، وإن تراوت صلبيستة ، غالبية  
متaramية الأطراف . هذا ولقد استهدينا هنا بآيات من سورة الزرقان منتفع  
من المعاك للحقيقة بين الحق والباطل ، ولا فهو نسورة القرآن ممجدة  
باستيعاب قلال الضالين الشاذين .

الرمن صوراً جديرة بإن تقييم  
الأخادع ، وتنبك الأوصال .

وتعرض مشاهد أخرى تجسم  
المصير المخيف لكونه مهيب ، تزلزل  
جوانيه ، وترفعها سوق رعوس  
العمى المطاولين واتعا مشهوداً  
يشئ بالاختلال المحظوم المحكم به  
على نظمان هذا الكون ، وأوضاعه ،  
وجاذبياته ، وحياته من أخلاق ،  
وأقام ، وكواكب ، ... الخ ( ويوم  
تشق السماء بالغشم ، وتزل الملائكة  
تزللاً ، الملك يومئذ الحق للرحمن ،  
وكان يوماً على الكافرين عسراً )

والآية هذه تتحدث عن يوم  
تخرق فيه طيائع الأشياء ، وتتوتف  
السفن بأمر الذي وضعها فاحكمها ،  
وتنزل الملائكة لا هلى النحو الذي  
تب فهو حين قالوا : ( لو لا أنزل علينا  
الملائكة ) بل على نحو آخر مخيف  
يورث الروع ، وينذر بالعذاب  
اللهم ن

والآية هذه تستدعي كل النظائر  
التي هوضها القرآن كي تكون وسائل  
جميل وكى تفت في الأعضا ، وتثال  
من حلبة النساء المتحجرات .  
بل ومن نظائر تتحدث عن انقلاب  
يعم الكائنات خي烛تها يوم تأخذ  
الارض زخرفها ، وتنزيرن ويظلن  
أهلها أنهم قادرون عليها ( حتى إذا  
أخذت الأرض زخرفها ، وازيت  
وكلن أهلها أنهم قادرون عليها ...  
الآية

تلغر بمصادر مستشرق السماء  
( إذا السماء انطربت ) ( إذا السماء  
تشقت ) ( فإذا انشقت السماء  
فيكانت وردة كالدهان ) ( السماء  
منظر به ) ( وإذا السماء فرجت )

( يوم نطوى السماء كطى السجل  
للكتب ) ( وانشققت السماء عن يومئذ واهية ) ( يوم تكون السماء  
كالمهل ) .

وتتناول الكواكب والأملاك  
( اذا الشمس كورت ، وإذا النجوم  
انكربت ) ( وإذا الكواكب انتشرت  
( اذا برق البصر وخسف القمر ،  
وجمع الشمس والقمر ) ( فإذا النجوم  
طمسن ، وإذا السماء فرجت ) .  
وتتناول الجبال والناس والبحار  
( اذا الجبال سرت ... وإذا  
البحار سجرت ) ( يوم يكون الناس  
كالفراش المبثوث . وتكون الجبال  
كالمهن المنقوش ) ( ويسألونك عن  
الجبال فقل ينسقها وبين نسقاً ) ،  
وتتناول الأرض وما تقل ومن تقل :  
( فإذا نفح في الصور نفحة واحدة .  
وحملت الأرض والجبال مدكتها بدقة  
واحدة . فيومئذ وقعت الواقعة )  
( كلا اذا نكت الأرض دكا ، دكا )  
( يوم تبدل الأرض غير الأرض ،  
والسموات ) الخ الخ .

آيات ، وأيات تبهر خالما الكون  
والأملاك تهارى ، والكائنات الضخمة  
ترتج وتبس بسا ، فتفدوا هباء  
منبتا ) .. اذا رجت الأرض رجا .  
ويست الجبال بسا . وكانت هباء  
منبتا ) .

وتشمع خلل وقع كلماتها هدير ،  
واطيطا ، وفرجت ، وهؤيا يحده  
تاجع النيران ، وتفجر الذرات وتکاد  
تشهد الوانا سوداء وحراء تفطر  
الافق ، وتصبِّع الكون .

والنظرية التقنية حين تذكر بهذه  
المشاهد ، ترجع الى الواقع الملىء  
بالفواجع ، والكوارث ، والأهان

ومرحلة الجهاد - بكل الوانه - تقتضى التجدد والتخلص من اسوار الاعداء . مما يصدرون من انفاس واغراء ، وما يمارسون من توهين وبيتون من شائعات ، وينصبون من احابيل . تقتضى الا بثق في الكافرين مهما تغنو بالصدقة ، او عزفوا الحان السلام . وايحله بكل هذا قدم القرآن لقضية الجهاد يقوله « فلا تطبع الكافرين » فلا ظلطفهم مهمهم ، ولا مداراة ، بل اتقىهم ، ومحاصلة حاسبة ، وجهاد « يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم » اما التردد ، والانسياع لااعيائهم فيه اصحاب الحق ، وتفضية عليه ، واطالة لامد ضيائمه ، فالقرآن « فلا تطبع الكافرين » دعوة صريحة الى المخالفة . ودعوة ضمنية الى الثبات ، والتشدد ، والصبر .

واطاعة رسول الله لهم على متصرفه . ولذا قال القاسمي : « أرند بهذا النهي تهيجه كذلك وتهيج المؤمنين ، وتحريكم ، واثارة غيرهم » .

وذهب أن الآية تمتد تمسك بتلابيب هذا الجيل المتعاصي الذي استطاب أن ياتر بأمرهم ، وينتهي بهم ، ويؤمن في ضياعه ، وصغار على أقوالهم ، ويصيصن بذنبها وبهرع ملهموا إلى قملاتهم ، كذلك بدافع الذل الذليل يتنازل ، ويتنازل ، ويتنازل حتى يتجرد من كل أسمائه ، ويقف مفصولاً السوء على وعدهما للعالمين . هاني لامثال همّوا لغيرهم بجاهدوا ؟ .

والى التاريخ الذي يزخر بالرسوم الدارسة ، والدين ، والأطلال ، ويشهد بحقيقة التغير ، والبسلي ، والزوال . وعندئذ توقن أن الصور متكاملة ، أن الأمر جد خطير ، وهذا اليقين المتجدد يساعد الانفس على ان تسمع ، وتقبل ، وتجيب داعي الله ( ومن لا يحب داعي الله فليس بمعجز في الأرض ، وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين ) الاحتف وأية الصدارة « فلا تطبع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً » تبين أن القرآن عدة جهاد ، وتدعسو الى مواجهة النافرین بقوى القرآن ، والى مجاهدة الانس الامارة ببياناته مجاهدة لا يخالطها فتور ، بل الى مجاهدة النفس البشرية المبتلاة بغرائز ، وعواطف ، ومبول عاصفة مالاشفية للرحمانية التي يوفرها القرآن .

قال أبو السنود : « جاهدهم بالقرآن ، وما نزل اليك من الحق جهاداً كبيراً لا يخالطه فتور . بأن تلزمهم بالحجج ، والآيات ، وتدعوهم الى النظر في مسائل الآيات لترتلزل عقائدهم ، وتسجح في اعينهم عوائلهم . . . » .

قال القاسمي : « وهذه الآية من اصرح الأدلة في وجوب مجادلة المبطلين ، ودعوتهم الى الحق بقوة ، والتفتن في محاجتهم بألئكين الأدلة . « فان الحق يتضح بالأدلة كما ان الشهور تشتهر بالأهلة » .

ان الجهاد في الاسلام تأسيس بالقرآن ، وأنholm بالبيان ، وطمأن في الميدان . وكل حالة ليس

مراحل الواجهة بين القراء والكتفران

٢ - مرحلة السكن المبغي،  
والغدر الوضع، والمرية الطاغية.  
وتحل القرآن هذه المرحلة في مثل  
قوله سبحانه:

(١) ومنهم من يستمتع اليك ،  
وجعلنا على قلوبهم لثة أن يفتهوه ،  
وفي آفائهم وقرا ، وأن يروا كل  
آية لا يؤمنوا بها ، حتى اذا جاءوك  
يجلوونك ، يقول الذين كفروا ان  
هذا لا اسلطير الاولين . وهم  
يجهون عنه ، ويتأتون عنه ، وأن  
يملكون لا أنفسهم ، وما يشعرون (٢)  
الاشتم

( ب ) ( ولأنه تلقى عليهم آياتنا  
قالوا قد سمعنا ، لو نشام لقفلنا مثل  
هذا ، ان هذا الا اساطير الالوه .  
واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق  
من عندك فامطر علينا حجارة من  
السماء ، او انتشا بعذاب اليم .  
الافتخار :

( وقالوا أرسلناكما الأولين أكتبهما  
نحو تعلّم علميه بكرة ، وأصلحلا  
الفرقان . )

٣ - مرحلة الاحساس بدبيب الخاذ يخامر البابم ، واقتدهم . ويرصد الفرائين هذه المرحلة ، وبسحل من تلاتهم مثل :

(١) ( هل هذا الا بشر مثلكم  
الذاتون السمحون ، وأنتم تسمرون ) .  
الأشنف

(ب) (ولَا نهضَّ عليهمْ أَيْمَانُهُ  
بِينَمَا قَاتَلُوكُمْ مَعَهُذَا الْأَوْرَجَلِهِ يَزِيدُ أَنْ

ووجهه المذهبين المدحويين الذين  
استقطبوا أن يعتنوا بحمد ربنا  
بسم الله العبد والتبصّر في  
الارض ، والسماء ، وتمثلوه في  
اللهم ، وفي الماء ، وفي الخصوبة  
والثبات ، وبين الذكران ، وفي  
السماء ... الخ جهاد هؤلاء وعلاجهم  
بالقرآن أجمل مراحل نشئي بتنزيذ  
المشركين حول الحق ، وتأثيرهم به ،  
وموتهم منه فربما ، وبعدا ، وصلابة ،  
ولعنة ، وبطلا ورغضا ... الخ

١. - موجلة المباغطة التي أثارت  
المجده والاستغراب ، ويسجل  
الفنان الكريم هذه المرحلة في آيات  
كتبه فـ منها :

(١) (اكلن للناس عجبا ان اوحينا  
الى رجل منهم ان انذر الناس . . . )  
جونسون

(بـ) (أ) عجبتم أن جاعكم ذكر  
عن ويكتم على رجله منكم لينذركم )  
الله أعلم

(ج) ٠٠٠ مل عجبوا ان جاءهم  
مشتري منهم ، فقتل الكسافرون هذا  
شيء عجيب ) ق

وَهُنَّ الْمُبَاخِثُ الَّتِي هُنْ كَيْلَاهُمْ  
أَوْرَثُوكُمُ الْكُلُولَةَ وَأَطْلَقُوكُمُ الْسُّنْنَةَ  
تَكْتُرُوا وَمُسْفِرُوا وَتَوْهِعُوا وَقَنَّ  
سَاءَ مَدْرَفُ سُورَةِ الْفَرْقَانِ : ( وَإِذَا  
رَأَوْكُمْ لَمْ يَتَفَنَّوْكُمْ إِلَّا هُنُّوا ، أَعْذُّهُ  
الَّذِي يَعْصِمُ اللَّهُ وَسُوْلَا . اَنْ كَلَّا  
لِهِنَّا حَسْنٌ لِمَنْ تَنَاهَى عَنْ حِجْرَنَا  
عَلَيْهَا )

يصدكم عنها كأن يبعد أباً لكم ، وتألوا  
ما هذا إلا إلك منقري ، وحال الذين  
كثروا للحق لما جاءهم أن هذا إلا  
سحر مبين ) سبا .

( ج ) ( وعجبوا من جادهم شفاعة  
بهم ، وقال الكافرون هذا سحر  
كتاب ) ص .

ـ ـ ـ مرحلة التراجع ، والغور  
المضروب ، وفيها اكتشفوا أن القرآن  
أعظم من أن يفتره رجل واحد أو  
رجلان مقتولان :

( ١ ) ( وإنك انتقام وأعانه عليه  
يكلمنا الله أو يأتينا آية ) . البقرة

( إيه ) ( لولا لغز التي ملأكم  
ممه نذير ) . الفرقان

( ج ) ( لولا أتزل هذا القرآن على  
رجل من العزيقين عظيم ) . الرعد

ـ ـ ـ مرحلة التبرير والخلاص  
الافتخار . من ذلك : ( وتألوا أن تتبعوا  
الهدى معك تستخلص من الرضا ) .  
الشخص .

ـ ـ ـ مرحلة الأخلاص المطلق .  
وغيها تواصوا بالتهريج ، والأعراض :  
( وقال الذين كثروا لا تسمعوا لهذا  
القرآن ، وألغوا فيه لعلكم تغلبون )  
فصلت .

هذه كلها مراحل تحكي مواجهة  
الماديين لهدى الرحمن ، ونور القرآن  
وصور المواجهة هذه تدل على فضل  
الله ، وحده ، وسعة رحمته ،  
وتهدى الدعاة إلى الأسلوب الذي  
يتسم بالرفق ، والحلم ، والأناء ،  
وسعة الصدر . إلا ترى القرآن  
ال الكريم يلقن الرسول عن طريق الأسلوب

( ١ ) ( وإذا قتلى عليهم آياتنا بينت  
قال اللذين لا يرجون لقائنا أئتم بقرآن  
غير هذا أو بطله ، قل ما يكون لى  
أن أبدل من تلقاه نفسي . أن أتبع  
الا ما يوحى إلى ، أنى أخاف أن  
عصيت ربى عذاب يوم عظيم :  
قتل لو شاء الله ما تلوته عليكم ،  
ولا أدرأكم به ، فقد لبست فيكم عمرا  
من قبله أفلأ تعقلون ) يومن .

ـ ـ ـ مرحلة التعجيز الأهوج .  
وغيها اقترحوا ، وغالوا في الطلب .  
من ذلك ما قص القرآن : ( وقالوا  
لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض  
ينبوعا . أو تكون لك جنة من نخيل  
وعنب فتفجر الأنهر خلالها فتجيرا )

والعنف ، والتنميم ، والتجهيل .

ولقد أشاد القرآن بهذا النهج الذي هدى إليه النبي الكريم ( قبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فتى غليظ القلب لانقضوا من حولك ... ) .

والزم كل المؤمنين بتحري هذا النهج الكريم ( ادع إلى سبيل ربك بالحكمة ، والموهنة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن ... ) .

وإذا كان هذا هو شأن الداعي على رأس الصراط ... فان الداعي من هموق الصراط بين مسلمين ارتبطوا وجداً نيا بهذا الدين يتبغي ان يكون أكثر لينا ، وأكثر لباقة وابشاراً للوجدة ، والتاخى - والحب .

ان الجهاد الكبير بالقرآن ليس معناه التقادف بالالفاظ ، وليس معناه اسفار الصدور ، واثارة نموزع التعصب ، وتمزيق الروابط .

بخارى أحمد عبيده

الهادىء المتن الذى يؤلف القلوب ( وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه ، قل إنما الآيات عند الله ، وإنما أنا نذير وبين ، أو لم يكفهم إنما أنزلنا عليك الكتاب يتلهم عليهم ، إن في ذلك لرحمة ، وذكرى لقوم يومون ) المنيكوت .

ويستوتفنا كلمة « يتنى عليهم فيها أحباء يسر القرآن ، ونفاده إلى القلوب دون عناء يذكر ، وفيها اشباع لعاطفة « اعتبار الذات » التي تعمقل في أعماق كثيرين اذ هي تحمل دلائل تقدير الداعى مكانة المخاطبين . نكتفهم في مفرطة رغبة يكتفى معها بمجرد التلاوة . إنما سماهم « وتفهومهم ، والترأهم غلور تكفلهما نظرهم السليمة ، وعقلهم الراجحة وظيل هذا الاسلوب فيه تلطف ، وفيه تكره ، والترفسق بالمخاطبين على هذا النحو شيمة الاسلام ومنهج الدعاة ، الذين يفهون أهمية التاليف ، والتجمیع وخطورة الغلظة ،

# نفحات القرآن

## بِسْمِ رَحْمَنِ رَحِيمٍ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس ، وبيانات من  
الهدى ، والفرقان ٠٠٠ »

### جريدة إيمان

مضينا نستلهم القرآن ، ونستفتح آياته ، ووقفنا نستهدى قوله  
سبحانه : « فلا تطع الكافرين ، وجاهدهم به جهاداً كبيراً » ٠

وعلمنا أن من القرآن قدائق تصمى ، وأن فيه أسفية تبرئ ،  
وتأسو ، وأرواحا تتخلل فتحيى ، وأجواء تعم بلطفها كل الناس ، كل  
الناس ٠ وذلك لأن القرآن نعمة الله الكبرى ، ونعم الله مباحة ، مسبحة ،  
تضفي على المؤمن ، والكافر ، والبر والفاجر ، على الناس قاطبة ٠ وتمايز  
الناس بعضهم عن بعض يكون بقدر المنعم حق قدره ، وبشكراً النعمة حق  
الشكر ٠

والقرآن يستحق الناس قاطبة أن يروا أفضال المولى المنبثة من  
حولهم ، وأن يتحسوا نعم الله المسبحة ، ثم يصنف الناس إلى متمرد  
يثنى عطفه ، ويجادل في الله بغير علم مؤثراً منهج الآباء ، وخطئة  
الشيطان ٠٠٠ ، إلى مسلم ، محسن يتحرى خطط الرشد ويلوز بالعروة  
الوثقى ٠ ( ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات ، وما في الأرض ،  
وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة ، وباطنة ، ومن الناس من يجادل في الله بغير  
علم ، ولا هدى ، ولا كتاب مني ٠ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ،  
قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا ، أولو كان الشيطان يدعوههم إلى

عذاب السعير ٠ ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى ، والى الله عاقبة الامور ومن كفر فلا يحزنك كفره ، اليها مرجعهم ، فنبئهم بما عملوا ، ان الله عليم بذات الصدور ٠ نمتعهم قليلا ، ثم نضطرهم الى عذاب غليظ ) لقمان ٢٠ - ٢٤ ٠

ان كلام الفريقين : من متمردين على الحق ، ومن منصاعين للحق يوفون حظوظهم ، وربما أغدق الله على المتمردين اغداقا يثير الدهشة ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحل هذه المعادلة التي قد تبدو صعبة حين يقول فيما يرويه أحمد بساند جيد عن عقبة بن عامر ( اذا رأيت الله عز وجل يعطي العبد من الدنيا - على معاصيه - ما يحب ، فانما هو استدراج ، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم « فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء ، حتى اذا فرحوا بما أتوا ، أخذناهم بفترة فإذا هم مبلسون » الأنعام ٤٤ ) ٠

ووأدا لما يقذفه الشيطان في قلوب المؤمنين من ارتياح ، أو اعتراض على بسط الرزق لغير المؤمنين مع التضييق على المؤمنين ، يولي رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه القضية اهتماما زائدا ٠

١ - عن عمر بن الخطاب قال : ( دخلت على رسول الله فإذا هو مضطجع على رمال ، حصير ليس بينه ، وبينه فراش ، قد أثرت الرمان بجبينه ، متكئا على وسادة من أدم حشوها ليف ٠ قلت : يارسول الله ادع الله ، فليوسع على أمتك ، فان فارس ، والروم ، قد وسع عليهم ، وهم لا يعبدون الله ، فقال : أو في هذا أنت يا ابن الخطاب ؟ أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا ) متفق عليه ٠

٢ - عن سهل بن سعد قال : ( قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء ) رواه أحمد والترمذى وابن ماجه ٠

٣ - وروى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( من كانت نيته طلب الآخرة جعل الله غناه في قلبه ، وجمع له شمله ، وأنته الدنيا وهي راغمة ، ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه ،

وشتت عليه أمره ، ولا يأتيه منها الا ما كتب له ) رواه أحمد والترمذى .  
وملاك ذلك كله قول الله سبحانه : ( من كان يريد العاجلة عجلنا له  
فيها ما نشاء ، ملئ نريد ، ثم جعلنا له جهنم يصلها مذموماً مدحوراً .  
ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن ، فأولئك كان سعيهم  
مشكوراً . كلام نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربكم ، وما كان عطاء ربكم  
محظوراً . أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض ولآخرة أكبر درجات ،  
وأكبر تفضيلاً ) الآسراء .

وقوله جل ، وعلا ( من كان يريد الحياة وزينتها نواف اليهم أعمالهم  
فيها ، وهم فيها لا يبخسون . أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار ،  
وحيط ما صنعوا فيها ، وباطل ما كانوا يعملون ) هود ١٥ - ١٦

وفي آية تتبه الغافلين ، وتلتفت أنظارهم — المتسمرة على الذي هو  
أدنى — إلى الذي هو خير يقول سبحانه ( من كان يريد ثواب الدنيا ،  
فخذ الله ثواب الدنيا ، والآخرة ، وكان الله سميعاً ، بصيراً ) النساء ١٣٤

والمولى حين يلوح لعباده بالعطاء غير المجدوذ يحمل البرية المسئولية  
كاملة حين ينحرفون باراتهم نحو العرض الحاضر ( ٠٠٠ ومن يرد ثواب  
الدنيا نؤته منها ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها ، وسنجزي الشاكرين )  
آل عمران ١٤٥

ويشيد القرآن بمؤمنين رزقوا خير الدارين حين ترفعوا عن شرك  
الوهن ، والجزع ، والاستكانة ( وكأئن من نبي قاتل معه ربوبون كثير ،  
فما ونهوا لما أصابهم في سبيل الله ، وما ضغفوا وما استكانوا ، والله يحب  
الصابرين . وما كان قولهم الا أن قالوا ، ربنا أغرنا لنا ذنوبنا ، واسرافنا  
في أمرنا ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين . فآتاهم الله  
ثواب الدنيا ، وحسن ثواب الآخرة ، والله يحب الحسنين ) آل عمران

١٤٨ - ١٤٦

وخطة الرشد أن نسأل الله خيره كله ، عاجله ، وآجله ، وأن نبتغى  
فيما آتنا الله الدار الآخرة دون أن نتخلى — للأعداء — عن نصيحتنا في

الدنيا . ذلك قول الله ( وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنفي  
نصيئك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك ) القصص .  
وقول الله ( فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا ، وما له في  
الآخرة من خلاق . ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة  
حسنة وقنا عذاب النار . أولئك لهم نصيب مما كسبوا ، والله سريع  
الحساب ) البقرة .

ونقرأ مثل ذلك في ضراعة موسى عليه السلام ، وصفوته من قومه  
حوله يرجفون رجيفا ينذر بهلاك : ( واختار موسى قومه سبعين رجلا  
ليقاتنا ، فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل ،  
وأيام . أتلهكتنا بما فعل السفهاء منا ، إن هي إلا فتنتك ، تضل بها من  
تشاء ، وتهدي من تشاء ، أنت ولينا ، فاغفر لنا ، وارحمنا ، وأنت خير  
الغافرين . واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة ، وفي الآخرة إنا هدنا إليك ،  
قال عذابي أصيب به من أشاء ، ورحمتي وسعت كل شيء ٠٠ ) الأعراف .  
وكان موسى عليه السلام خشى أن تكون الرجفة التي اعتبرتهم  
نقطة(١) لا محنة وظن أن الله أخذهم بالرجفة جزاء اتخاذهم العجل ،

#### (١) اختلف المفسرون في توجيه الآيات :

أ — من قائل أن موسى أصطفى سبعين رجلا من خيار بني إسرائيل  
كي يتطلقو أتقياء ، أزكياء إلى الله ، يسألونه التوبة لأنفسهم ولن خلفهم على  
ما كان من اتخاذهم العجل ، وأنهم نعموا — في معية موسى — بسماع كلام  
الموالي ، ولكنهم سرعان ما تجاوزوا حجمهم ، وطلبوا رؤية الله جهرة فأخذتهم  
صاعقة فحصل اضطراب شديد فماتوا جميعا ، وجزع موسى وخشي مغبة  
مواجهة بني إسرائيل إذا عاد إليهم منفردا .

ب — ومن قائل : بل توسل موسى إلى الله بعفوه عنهم من قبل حين  
وقفوا من عبده العجل موقفا سلبيا ، والتمس أن يشملهم عطف الله اليوم كما  
وسعتهم رحمته من قبل .

ج — ومن قائل : لم تكن تلك الرجفة موتا ، ولكن القوم راهم المقام  
فارتدعوا حتى اثبرت أوصالهم ، وبرزت مناصلهم فلما رأى موسى ذلك  
ارتاع وخاف عليهم الموت ، وأشتد عليه فقدهم ، فتضارع ، ودعا ، مكتشف  
الله عنهم تلك الرجفة . وهذه الأقوال اجتهادية لا يسندها دليل والله أعلم .

ويوشك أن يعمهم جميعاً بعذاب بئيس ، فانطلق يعتذر ، ويناشد ربه « أتلهلتنا بما فعل السفهاء هنا ، إن هي إلا فتنتك ٠٠٠ » ويتوسل إلى الله بما أحدهوا من توبة « هدنا إليك » (١) ويطلب خير الدنيا من عفو ، وعافية ، وخير الآخرة من مثوبة حسني ، وجنة ٠

قال صاحب المحسن نقاً عن الجشمي : « تدل الآية على حسن سؤال نعيم الدنيا ، كما يحسن سؤال نعيم الآخرة ، وتدرك على أن الواجب على الداعي أن يقرن بدعائه التوبة ، والأخلاص ٠ لذا قالوا : أنا هدنا إليك ٠ وتدل على أنه تعالى ينعم على البر ، والفاجر ، ويخص بالثواب المؤمن ، فلذلك فصل ، ومن تأمل هذا السؤال ، والجواب ، عرف عظيم محل هذا البيان ، لأنه عليه السلام ، سأله نعيم الدنيا ، والدين ، عقيب الرجفة ، فكان من الجواب ، أن العذاب خاصة يصاب به من يستحقه ، فأما النعم فما كان من باب الدنيا يسع كل شيء يصح عليه التنعم ، وما كان من باب الآخرة يكتب له صفات ذكرها ، وت遁 على أن الرحمة لا تتناول بمجرد الإيمان الذي هو التصديق ، حتى ينضم إليه الطاعات ، فيبطل قول المرجئة » انتهى ٠

هذا وحسنة الدنيا ليست — بالضرورة — مala ، أو جاما ، أو نجابة ، أو صحة ، بل قد تتحقق — أحسن ما تكون — في الاطمئنان ، والاستقرار ، وانشراح الصدر ، والسكنينة ، والرهي ، والسداد الموفق ، ٠٠٠ الخ ٠

### حسنة ٠٠٠ وحسنات

القرآن الكريم اختيرت ألفاظه ، وصيغت عباراته ، ونسقت وفق ميزان دقيق ٠

(١) هدنا إليك أى تبنا إليك . من هاد ، يهود اذا رجع وتاب فهو هائد ، قال بعضهم : ياراكب الذنب هد ، هد ... وأسجد كأنك هدهد ، وقوى هدنا بكسر الهاء ، والكلمة حينئذ من هاد ، يهيد اذا تحرك ، وحرك أى حركة إليك نتوسلنا ... اذن ليس المعنى صرنا يهودا ، كما رأى البعض ٠

والسر الذى يكمن وراء السبک القرآنى ، وطى ألفاظه ، وعباراته قد يستعلن ، ويدرك ، وقد يدق ، ويتعذر ، وهو في كل الحالات يولد في النفس احساسا بالرصانة ، والفخامة ، والعمق ، والمذاق الجميل .

والقائم في محارب القرآن يروعه كل شيء في القرآن ، ويطيب له أن يقتن ، ويتشمم الأغوار ، ويهدو إلى الأسرار .

ونحن — استجابة لجاذبية القرآن ، وارضاء للداعي التي تعتمل في النفس ، واستكمالا للمفادة — يهمنا أن نقف إزاء كلمة « حسنة » التي وردت في الآيتين السابقتين ( ٠٠ ) ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ( ٠٠ ) ( واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة ، وفي الآخرة ٠٠٠ ) .

نقف متسائلين عن سر افراد ، وتنكير الكلمتين مع أن القرآن تصرف في الكلمة « حسنة » على أنحاء متعددة :

١ — جاء بها مفردة ، معرفة بـ « ألل » الدالة على العهد « ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا و قالوا قد مس آباءنا ضراء ، والسراء ، فأخذناهم بعنة ، وهم لا يشعرون » الأعراف ٩٥ .

فـ « ألل » في كلمة « السيئة » عهدية تشير إلى ما أخذوا به من بأساء ، وما عهدوه من ضراء . من فقر مدقع ، ومرض شديد .

و « ألل » في كلمة « الحسنة » عهدية أيضا ، تشير إلى ما عهدوا بعد ذلك من سراء ، من سعة وصحة ، وتکاثر أسلفهم إلى البطر ، والأشر ، والغرور ، وأعقبهم الملاك المفاجئ « فأخذناهم بعنة » .

٢ — جاء بها مفردة معرفة ولكن بـ « ألل » الدالة على الجنس ( من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها ) الأئمما ١٦٠ فالمراد أن جنس الحسنة — أيها كان نوعها — يضاعف أضعافا كثيرة ، أما جنس السيئة فلا يربو ، ولا يضاعف .

٣ — جاء بها جمعا ، معرفا كما في قول الله : « وقطعناهما في

الارض أهاما ، منهم الصالحون ومنهم دون ذلك ، وبلغوا ناهم بالحسنات ، والسيئات ، لعلهم يرجعون » الأعراف ١٦٨ وقول الله : ( وأقم المصلحة طرق النهار ، وزلها من الليل ، أن الحسنات يذهبن السيئات ٠٠ ) هود ١١٤ . فـأـلـ فـيـ الـمـوـضـعـيـنـ دـالـةـ عـلـىـ الجـنـسـ .ـ وـالـذـىـ سـوـغـ جـمـعـ الكلـمـةـ «ـ الـحـسـنـاتـ »ـ فـيـ الـآـيـةـ الـأـوـلـىـ هوـ :ـ أـنـ الـبـلـتـلـيـنـ بـالـحـسـنـاتـ والـسـيـئـاتـ عـدـيـدـوـنـ ،ـ وـهـذـاـ يـسـتـلـزـمـ تـعـدـدـ ،ـ وـتـنـوـعـ ماـ يـبـلـوـنـ بـهـ مـنـ حـسـنـاتـ وـهـنـ سـيـئـاتـ .ـ وـالـذـىـ سـوـغـ ذـلـكـ فـيـ الـآـيـةـ الـثـانـيـةـ «ـ وـأـقـمـ الـمـلـحـةـ »ـ هـوـ أـنـ تـعـدـ الـأـوـقـاتـ اـقـتـفـيـ تـعـدـدـ ماـ تـحـسـوـيـ فـتـعـدـ الـظـرـوفـ يـوـحـىـ بـتـعـدـ الـمـفـرـوفـ .ـ

٤ - وجاء بها جمعا ، منكرا مثل : ( ٠٠٠ الا من تاب ، وآمن ،  
و عمل عملا صالحـا ، فأولـتـكـ يـبـدـلـ اللهـ سـيـئـاتـهـ حـسـنـاتـ ٠٠٠ ) الفرقـانـ ٧٠

فالجمع هنا « حسنات » جاء على بابه لافادة الكثرة الدالة على عظيم فضل الله أما التنکير فيوحى بالوفرة ، والعظمة ، وبينم عن كرم المولى .

وجاء بها مفردة منكرة . وهي - حينئذ - تستمد دلالتها من السياق ، وتأتى :

( أ ) للتلطيل كقول الله : ( ان تصبـكـ حـسـنـةـ تـسـؤـهـمـ ) التوبـةـ ٥٠  
( ب ) أو للتصغير كقول الله : ( ان تـمـسـكـ حـسـنـةـ تـسـؤـهـمـ )  
آلـ عمرـانـ ١٢٠

( ج ) أو للتبعيض كقول الله : ( ما أصـابـكـ مـنـ حـسـنـةـ فـمـنـ اللهـ )  
النسـاءـ ٧٩

( د ) وكثيرا ما تأتى للتعظيم كما في آيتينا ، وكما في قول الله :  
(والـذـينـ هـاجـرـواـ فـيـ سـبـيلـ اللهـ مـنـ بـعـدـ ماـ ظـلـمـواـ النـبـوـئـنـهـمـ فـيـ الدـنـيـاـ حـسـنـةـ)  
النـحلـ ٤١

وقول الله : ( وـأـتـيـنـاهـ فـيـ الدـنـيـاـ حـسـنـةـ ) النـحلـ ١٢٢

# نفحات القرآن

## بقلوب بخارى احمد عبد

« شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ، هدى للناس ، وبيانات من الهدى والفرقان » ٠٠٠

في معرض الحديث عن القرآن استقبلنا آية كريمة ، غزيرة النفحات ، رحبة المأوى « فلا تطع الكافرين ، وجاهمهم به جهادا كبيرا » ٠

والآية الأئية المستأثرة ، حركت في الأعمق الواقع ، وأثارت الشجون ، لعل هذا لأن موضوعها تحرير الإرادة ، وتحقيق السيادة ، وتقرير الجهاد ٠

و قضية الجهاد — بالنسبة ل المسلمين مسختمم الضعة ، وضررت عليهم الذلة ، وباعوا بغضب من الله — أصبحت قضية متخفية متواها أرشيف التاريخ ٠

أو لعل هذا لأن مجرد ترديد لفظة الجهاد عد « بالبناء للمجهول » تطرفا ، وتحرشا بالأنظمة ، وتأمرا على الوضع عد شرا يهرب كل ذي ناب ٠

والجهاد بالقرآن في أمة أراقت قرأتها على المقابر ، وبطته بالماطن ، والمناسبات أمر غريب غير ذي موضوع ، شيء يرثى ، ولا يتذمر « بالبناء للمجهول » ٠

وأمتنا التي دمعتها المسكتة ، واحتوتها القيود ، وتداولتها أسواق النخامة هي في حاجة شديدة إلى أن تصدع « بالبناء للمجهول » بالآية ، وتجاهد بالقرآن جهادا كبيرا ٠

وتروعنا صيغة المفعول المطلق فلم أثرت ؟ ولم جاء المفعول  
مشفوعا بالصفة التي تبين النوع ، وتضفي على القضية مزيدا من  
توكيد « جهادا كبيرا » ؟

لماذا ، وكلمة « جاهدهم » — منفردة — تفيد بذل الجهد ،  
والغالبة ؟

إن هذه الصيغة المؤكدة توحى بأن الآية تخطط لمرحلة  
جديدة ، ومتميزة ، من مراحل الجهاد بالقرآن ° ولقد سبقت هذه  
المرحلة بمراحل أخرى كان قوامها مجرد التلاوة التي تمس الأوتار ،  
وتتسرب إلى الأعماق تسurg في الفطرة ، وتروي موات القلوب °

ويهمني — قبل أن أتناول معطيات مادة « تلاوة ، ومشتقاتها »  
في القرآن — أن أبادر ، فأبين أن الجهاد بالقرآن منه جهاد النفوس  
المؤمنة للتزداد يقينا ، ومناعة وصمودا أمام قوى الشر ، وتلاوة  
التحصين هذه قد تستقبل ، وقد يمارسها المؤمن نفسه ، وأبتجاء  
ذلك المناعة ، وذلك الصمود ، أمرنا — مع حقائق التوحيد وشعائر  
الإسلام — بتلاوة القرآن مصداق آيات سورة النمل ( انما أمرت أن  
أعبد رب هذه البلدة الذي حرمتها ، وله كل شيء ، وأمرت أن أكون من  
المسلمين ° وأن أتلوا القرآن ، فمن اهتدى ، فانما يهتدى لنفسه ، ومن  
ضل فقل انما أنا من المذرين ) ° وظنى ، أن ما ورد في الصحاح من  
( أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، كان اذا أوى الى فراشه كل  
ليلة ، جمع كفيه ، ثم نفث فيهما ، فقرأ فيهما « قل هو الله أحد »  
و « قل أعوذ برب الفلق » و « قل أعوذ برب الناس » ثم يمسح  
بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ بهما على رأسه ، ووجهه ، وما  
أقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلث مرات ) متفق عليه ° فلنرى ، أن  
هذا ، ومثل هذا ، يستهدف — فيما يستهدف — تسكين ثائرة النفوس  
بالذكر واذکاء نوازع الایمان بالقرآن ، والایمان المتزايد يستقيم  
سورا معنويا منيعا يرد غوائل كل شيطان

والعمليات التي صاحبت القراءة - من نفث - ومسح ،  
وتكرار - سجية بشرية تورث القشعريرة ، وتساعد على لين  
الجلود ، والقلوب حتى تصبح ، وتمسى وفق قول الله : « الله نزل  
أحسن الحديث ، كتاباً متشابهاً ، مثاني ، تتشعر منه جلود الذين  
يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم ، وقلوبهم إلى ذكر الله ، ذلك  
هدى الله يهدى به من يشاء ، ومن يضل الله فما له من هاد » ٠  
الزمر ٢٣

وجهاد النفس بالقرآن يهيئها لاستقبال الحق ، وقبوله ،  
ويجردتها من أسباب التصرّر ، والتصرّف ( ألم يأن للذين آمنوا ،  
أن تخشع قلوبهم لذكر الله ، وما نزل من الحق ، ولا يكونوا كالذين  
أوتوا الكتاب من قبل ، فطال عليهم الأمد ، فقسّت قلوبهم ، وكثير  
منهم فاسقون ) الحديـد ١٦ ٠

والتماس طمأنينة النفس على النحو الذي ورد في حديث  
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتقييد بأوقات الليل ، بل يتأتى  
بالليل ، وبالنهار ، استناداً إلى ما رواه الترمذى ، وأبو داود ،  
والنسائى عن عبد الله بن خبيب قال ( خرجنا في ليلة مطر ، وظلمة  
شديدة نطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأدركناه ، فقال :  
« قل » قلت : ما أقول ؟ قال : « ( قل هو الله أحد ) والموذتين حين  
تصبح ، وحين تمسى ، ثلاث مرات ، تكفيك من كل شيء » ٠

ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يطيب النفوس بهذا  
الأسلوب ، وعلمنا أن ارتباط المؤمن بالقرآن منبع النور ، ومصدر  
الأمن ، ومستودع الأسفية الرحمانية ، يكفل الصحة النفسية ،  
ويوفر طيب النفس ، وطيب النفس هو التعيم كله ، مصدق ما أثر  
عن رسول الله في حديث آخر ( ١ ) ٠

---

( ١ ) هو الحديث الذى رواه أحمد ، وابن ماجه ، بأسناد صحيح ،  
عن رجل من أصحاب النبي قال : كنا في مجلس فطلع علينا رسول الله =

وظنى أن ليلة المطر ، والظلمة الشديدة التي تحدث عنها ابن خبيب ، هي المسيرة التي تحدث عنها عقبة بن عامر — فيما رواه أبو داود بأسناد جيد — قال : بينما أنا أسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الجحفة <sup>(١)</sup> ، والأبواء ، اذ غشيتنا ريح ، وظلمة شديدة ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ بـ ( أَعُوذ بِرَبِّ الْفَلَقِ ) ، و ( أَعُوذ بِرَبِّ النَّاسِ ) ويقول : « يا عقبة ، تعوذ بهما ، فما تعوذ متعوذ بمثلهما » ٠

وأثر مثل هذا الارتباط بالقرآن في النفوس تؤكده التجربة ، اذ مما لا ينكر أن اللياذ بكلف الله ، ومناجاته بقرآن يولد في الأنفس أنسا ، وسكينة ، بل ويفجر فيها هلاقات فعالة ، يقف أمامها الطب النفسي عاجزا <sup>(٢)</sup> ٠

### دلالات مادة التلاوة

مشتقات لفظة « التلاوة » تكررت في القرآن أكثر من ستين مرة ، كلها <sup>(٣)</sup> تدور حول معنى القراءة ، والاعلام ٠ وتتحلى

= صلى الله عليه وسلم وعلى رأسه أثر ماء ، فقلنا : يا رسول الله نراك طيب النفس ، قال : « أجل » قال : ثم خاض القوم في ذكر الغنى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يأس بالغنى لمن اتقى الله عز وجل ، والصحة لمن اتقى الله خير من الغنى ، وطيب النفس من النعيم »   
 (١) الجحفة هي ميقات أهل الشام ، والأبواء : موضع بين مكة ، والمدينة ٠

(٢) وظنى أن الرقى المشروعة تؤثر — بالدرجة الأولى — في نفسية المريض ، فتنقى مقاومته ، ويجمل صبره ، ويشتد تحمله . وأرجو ان اتناول قضية الرقى ، في مقام لاحق ان شاء الله .

(٣) الا قول الله : « والقمر اذا تلاها » وقول الله : « ائمن كان على بيته من ربه ويتلوه شاهد منه » فالكلمة في الآيتين تفيد التبعية « اذا تبعها ... » « يتبعه شاهد » ٠

المتابعة ، والحركة التي تتعقب الخير ، حرضا ، واسترادة (١) .  
وتعدد الكلمة على هذا النحو ، يدل على مدى حرص الاسلام  
على التبين ، والتبيين وعلى أن المؤمن طلعة (٢) (بضم الطاء ، وفتح  
اللام ) يسبق المعرفة ، ويرسل (٣) .

وظنى أن مادة « تلاوة » في القرآن ، جاءت تحمل دلالات ،  
وتؤدي بحالات واجهتها الدعوة في أطوار لينها ، وشدتتها ، وقدفها  
بالحق الدامغ على الباطل الزاهق ، في مراتب جهادها بالقرآن .  
ولعلنا نصيب ظل الحقيقة اذا اجتهدنا فقلنا :

١ - ان الكلمة قد تتفرغ للاعلام ، والحكاية كما في الآيات : ( واتل  
عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه ، يا قوم ، ان كان كبر عليكم  
مقامي ، وتذكيري بآيات الله ، فعلى الله توكلت ٠٠٠٠ )  
يونس ٧١ ( واتل عليهم نبأ ابراهيم ) الشعراء ٤٩ .

٢ - وقد تضم الى الهدف الاعلامي ارادة ترتيب النفوس ،  
وتخصيب تربتها حتى تنفع بما تستقبل من « حيا » (٤)  
وتنستوى على خير المراتب التي جاءت في الحديث النبوى  
المتفق عليه : عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم « مثل ما يبعثنـى الله به من الهدى ، والعلم ، كمثل  
الغيث الكثير أصاب أرضا ، فكانت منها طائفة طيبة قبلت  
الماء ، فأنبـتـتـتـ الكـلـأـ ، وـالـعـشـبـ الـكـثـيرـ ، وـكـانـتـ منـهاـ  
أجـادـبـ (٥) ، أمسـكـتـ المـاءـ فـنـفـعـ اللـهـ بـهـاـ النـاسـ ، فـشـرـبـواـ ،  
وـسـقـواـ ، وـزـرـعـواـ ، وأـصـابـ منـهاـ طـائـفـةـ أـخـرىـ ، انـماـ هـيـ

(١) يقال تلى « باللام المشددة المفتوحة » تالية اي شفع المكتوبة  
بتطوع .

(٢) طلعة اي عنده حب استطلاع .

(٣) وهذه هي ثمرة التلاوة .

(٤) من رى - والحايا المطر الذى يحيى الأرض .

(٥) جمع « أجـدبـ » وهـيـ الـأـرـضـ الـصـلـبةـ الـتـيـ تـمـسـكـ المـاءـ .

قيعان (١) ، لا تمسك ماء ، ولا تنبت كلاً ، فذلك مثل من فقه دين الله ، ونفعه ما بعثني الله به ، فعلم ، وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ، ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به » وهذا كما في الآيات : (ربنا ، وابعث فيهم رسولاً منهم ، يتلو عليهم آياتك ، ويعلمهم الكتاب ، والحكمة ، ويزكيهم ، إنك أنت العزيز الحكيم ) البقرة ٢٩٠ ، (كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ، ويزكيكم ، ويعلّمكم الكتاب ، والحكمة ، ويعلّمكم ما لم تكونوا تعلّمون ) البقرة ١٥١ ، (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ٠٠٠٠٠ ) آل عمران ١٦٤ ، (هو الذى بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ٠٠٠٠ ) الجمعة ٧ فالتلاؤة هنا تجلو المعادن ، وتخترق جودة القلوب ، وتميّز الخبيث من الطيب ٠

٣ — وقد تجيء التلاؤة على بابها ، وتكتشف في الوقت نفسه مدى انفعال النفوس بالمتلو ومدى اقبالها ، أو ادبارها :

(أ) من الناس ذوي فطرة مخلوقة ، وحسن رهيف ، رفيع يتجاوب — من أول وهلة — مع ما استشعرت من صدق : كما في الآيات : (و اذا تلية عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون ) الأنفال (ان الذين يتلون كتاب الله ، وأقاموا الصلاة ، وأنفقوا مما رزقناهم سراً ، وعلانية ، يرجون تجارة لن تبور ) فاطر ٢٩ ٠

(ب) ومن الناس ذوي خلفية علمية يدركون — من أول وهلة — أن ما يسمعون ، وما يعلّمون يصدر من مشكاة واحدة ، كما في الآيات : (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاؤته ، أولئك يؤمنون به ٠٠٠ ) (٠٠٠ اذا تلتى

(١) جمع قاع . وهي الأرض المستوية التي لا تحتفظ بالماء .

عليهم آيات الرحمن خروا سجدا ، وبكيا ) مريم  
 ( الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ، واذا  
 يتلى عليهم قالوا آمنا به ، انه الحق من ربنا ٠٠٠٠ )  
 القصص ٥٢ - ٥٣ ( من أهل الكتاب أمة قائمة  
 يتلون آيات الله آناء الليل ، وهم يسجدون ) آل عمران  
 ١١٣ ( قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ، ان الذين أوتوا العلم  
 من قبله ، اذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ٠  
 ويقولون سبحان ربنا ، ان كان وعد ربنا لفعلا ٠  
 ويخرون للأذقان ي يكون ، ويزيدهم خشوعا ) الاسراء ٠  
 ( ج ) ومن الناس ذوو قلوب منكوبة عليهة تتمرد على الحق ،  
 وتکذب فور السماع بلا أناة ، ولا تدبـر ٠ وهؤلاء تراهم  
 في الآيات : ( قد كانت آياتى تتلى عليكم ، فكنتم على  
 أعقابكم تتکصون ) المؤمنون ٦٦ ( ألم تكن آياتى تتلى  
 عليكم ، فكنتم بها تکذبون ) المؤمنون ( ويل لكل أفاك  
 أثيم ٠ يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر (١) مستكبرا )  
 الجاثية ٧ - ٨ ( اذا تتلى عليه آياتنا ، قال أسطير  
 الأولين ) القلم ١٥ ( اذا تتلى عليه آياتنا ولـى  
 مستكبرا ) لقمان ٠

( د ) ومنهم مردة متغطرون كلما ألحت عليهم البینات لجوا  
 في عتو ونفور ، وولوا على أدبارهم ٠ وهؤلاء ترى  
 أشباحهم في الآيات : ( اذا تتلى عليهم آياتنا بینات  
 قالوا ما هذا الا رجل يريد أن يصدكم ) سباء ٤٣  
 ( اذا تتلى عليهم آياتنا بینات ما كان حجتهم ، الا أن  
 قالوا ائتوا بآياتنا ٠٠٠ ) الجاثية ٢٥ ( اذا تتلى عليهم  
 آياتنا بینات ، قال الذين لا يرجون لقاءنا ائـت بـقـرآنـ غيرـ

(١) والآية توحى بالتكرار والتلاوة مـرة من بعد مـرة ، اـخذـا من قولـه  
 سبحانـه : « ثم يـصـرـ ٠٠٠ » ٠

هذا أو بدله ٠٠٠ ) ( وإذا تتلى عليهم آياتنا ببينات تعرف في وجوه الذين كفروا المسكر ٠٠٠ ) الحج ٧٢ ( وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا ، قد سمعنا ، لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا الا أسلطير الأولين ) الأنفال ٦

٤ - وكثيرا ما تأتي الكلمة موحية بالتكريم ، والمن ، كما في الآيات : ( تلك آيات الله نتلوها عليك ٠٠٠ ) البقرة ، الجاثية ، آل عمران ٥٠ ( ذلك نتلوه عليك من الآيات ، والذكر الحكيم ) آل عمران ٥٥ ( أو لم يكفهم أنها أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ) العنكبوت ٥١ ٠

٥ - وقد تأتي حاملة معنى العبادة ، والخشوع المتذمّر ، كما في الآيات : ( اتى ما أوحى إليك من الكتاب ، وأقم الصلاة ٠٠٠ ) العنكبوت ٤٥ ( اتى ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ٠٠٠ ) الكهف ( إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمتها ، وله كل شيء ، وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلوا القرآن ٠٠٠ ) النمل ٠

٦ - وكثيرا ما تجيء مرضية لفکرthem عن أنفسهم ، مشبعة عاطفة اعتبار الذات فيهم ، ويتجلى هذا في قوله سبحانه : ( قل تعالوا أتلت ما حرم ربكم عليكم ٠٠٠ ) قال الشيخ محمود شلتوت رحمة الله (١) : ( وفي الاقتصار على التلاوة « أتلت » ايهاء قوى لتقدير المتكلم مكانة المخاطبين ، وارتفاعهم إلى درجة لا تكشفه في لفت الأنظار إلى ما يقول أكثر من أن يتلو عليهم ، فهم عنده بعقلهم ، وحسن استعدادهم لقبول الحق ، هريصون على أن يسمعوا ، وحربيصون على أن يعملوا بما يسمعون ، فاقترضوا على أن يتلو عليهم ، دون أن يكلفهم شيئاً ما حتى السمع ، فضلاً عن التنفيذ ، وكأنه قدر أن السماع ، والتنفيذ مما تكفله فطرهم السليمة ، دون حاجة إلى أن

(١) في كتابه تفسير القرآن الكريم « الأجزاء العشرة الأولى » .

يؤمروا به ، أو يطلب منهم ، وهذا غاية في اللطف ، وغاية في التكريم ، وغاية في حسن الموعظة ، وتوجيه الخطاب ) أمه

٧ - والمادة قد توحى بالكثرة والتكرار كما في قوله تعالى :  
واذکر ما يبتلى فی بیوتکن ۰۰۰ ) أی ، صباح ، مساء ۰ ( ألم  
یألكم رسلا منکم یتلون علیکم آیات ربکم ) الزمر ۷۱ أی :  
مرارا ، وترکارا ۰ ( وما کان ربک مھلک القری ، حتى یبعث  
فی أمه رسولا یتلع علیهم آیاتنا ۰۰۰ ) القصص ۵۹ أی  
تلاؤة تلزمهم الحجة ۰

ويهمني أن أنبه إلى أن الآية الواحدة قد تحمل أكثر من وجه ،  
فلا عجب اذا استشهد بها في أكثر من موطن ۰

وعلى ضوء ما استعرضنا من دلالات نقول : إن مجرد التلاؤة  
قد يجدى مع من لم تلت فطرته ، ولم يتمرد قلبه ، أما العترة  
المفترعنون ، فلابد أن يخصوا بجهد زائد ، وجihad متميز عماده  
العزيمة ، والثابرة ، والمصابرة (۱) ۰

فالوصوف ، والصفة « جهادا كبيرا » يوحيان باستقصاء  
الجهاد ، وطول النفس ، والتخطيط للحكيم الذي یؤمن بالحركة ،  
ويمكن من زمام المبادرة ۰

والخطة المدرسة ، القائمة على الأنفة ، والبصرة ، ديدن  
الاسلام ۰ ومقتضى الخطة المدرسة قد يكون اقداما ، وقد يكون  
احجاما ، والولى جل ، وعلا ، عد القرار المنبع من الدراسة الحكيمه  
ـ أيا كان مضمونه ـ من عزم الأمور ، وذلك في قوله سبحانه :  
( لتبلون فی أموالکم ، وأنفسکم ، ولتسمعن من الذين أتوا الكتاب  
من قبلکم ، ومن الذين أشرکوا ، أذى كثیرا ، وان تصبروا ، وتنقروا  
فإن ذلك من عزم الأمور ) ۰

---

(۱) يقال « ثابر » اذا واظب ، واستمر متثبتا ، أما المصابرة فهي  
التوافق بالصبر على شدائدي الجهاد ۰

فالآلية تلمس أصول الدعوة ، وفقه الداعية ، فطريق الداعية  
محفوفة بالأرzaء ، والمكاره ، والداعية الحصيف يقطع الطريق  
رزينا ، هادئا ، لا يتخيط ولا يتشنج ، ولقد كان رسول الله أملك  
البرية لأعصابه في مواجهة المشاكل . في الصحيحين أنه صلى الله  
عليه وسلم ، مر بابن أبي ، رأس النفاق ، وهو — عليه السلام —  
على حماره ، فدعاه إلى الله ، فقال ابن أبي . إن كان ما تقول حقا  
فلا تؤذنا به في مجالسنا ، ارجع إلى رحلتك ، فمن جاءك فاقصص  
عليه ، وقبض ابن أبي على أنفه تأففا ، فقال ابن رواحة : نعم  
يا رسول الله ، فاغشنا في مجالسنا ، فانا نحب ذلك ، واستب  
المشركون ، والملعون ، الذين كانوا في الموقع ، وما زال النبي  
صلى الله عليه وسلم يسكنهم ، حتى سكروا ، ثم دخل على سعد  
ابن عبادة — يعوده ، وهو مريض — فقال : ألم تسمع ما قال

يتبع

فلان ؟ ٠٠٠٠٠

بخاري أحمد عبده

# نفحات القرآن

## بقلم بخاري احمد رعبيه

بسم الله الرحمن الرحيم

«شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ، هدى للناس ، وبينات من الهدى ، والفرقان» .

فـ «ما كبرتنا» للاية الكريمة (فلا تطع الكافرين ، وجاهدهم به جهاداً كبيراً) علمنا أن الإسلام لا يقر العشوائية ، ولا العفوية ، ولا التخبط ، ولا التشنج ، ولا الاستسلام لأحلام اليقظة ، ومنهجه الذي ارتفاه يتمثل في قول المولى : (قل هذه سبيلي ، أدعوا إلى الله على بصيرة ، أنا ومن اتبعني ) ٠٠ ٠

وشعاره المرفوع «قل سيروا» «قل انظروا» «أولم يتذكروا» عوبيانه الشاف قوله صلى الله عليه وسلم «٠٠ احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ، ولا تعجز ٠٠٠» واستهدينا بعلم رسول الله في مواجهته لأحقاد ابن أبي رأس النفاق يومئذ \* ورأينا أن القرآن شجب العشوائية

\* علمنا — في العدد الماضي — أن ابن أبي ، تجهم في وجه رسول الله ، وأساء الأدب ، وأوشكت الفتنة أن تطل برأسها لو لاحصافة رسول الله ، وحطمه «ولقد ذكر القرطبي تهويين سعد بن عبدة على رسول الله ، واعتذر عنه عما بدر من ابن أبي ، حتى عفا رسول الله ، قال القرطبي : ونزلت «لتباون» قبل نزول القتال ، ثم قال : والأظهر أنه ليس بمنسوخ ، فأن الجدال بالحسن : والمداراة أبداً مندوب إليها ، وكان رسول الله مع الامر بالقتال يوادع اليهود ، ويداريهم ، ويصفح عن المنافقين » ١٠ هـ .

التي قد تقضى الى التخبط ، أو توقع في كمين ٠ واستهدينا بالآية الكريمة « لتبلون في أموالكم ، وأنفسكم ، ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ، ومن الذين أشركوا أذى كثيرا ، وان تصبروا وتنقروا ، فان ذلك من عزم الأمور ٠ »

والآية — كما أسلفنا — تعالج الانفعالية المتشنجـة التي تصيب كثـيراً من المسلمين فتورـدهم المخـاطر ، وتجهـض كل انتفـاضـاتـهم ٠

وقصة هذه الآية أن الصديق رضي الله عنه رأى يهودياً يتندر بالقرآن  
ويستخف بآياته ، ويهلل : « ان الله فقير ، ونحن أغنياء ٠٠ ٠ » تعقيباً على  
قول الله تعالى : ( من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً ) فلطمته لطمة تقييم  
الأخادع المائلة . ورفع اليهودي الأمر إلى رسول الله ، فنزلت الآية تحت

ومثل هذا ما ذكره البخاري ورواه ابن جرير ، وحكاہ ابن اسحاق فـ سبب نزول الآية : ( يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . ) المنافقون . قال القاسمي : يجمع كل الروايات ما رواه ابن اسحاق في غزوة بنى المصطلق : أن الله أظفر نبيه بهم على ماء يقال له المريسيع ، وبينما الناس على الماء ، وردت واردة الناس غازدحم « جهجاہ » اجير عمر بن الخطاب ، وستان الجندي ، حليف بنى موسوف بن الخزرغ فاقتتلوا ، فصرخ الجندي « يا معشر الانتصار » وصرخ جهجاہ « يا معشر المهاجرين » وركب أن أبا الموجة غارغى ، وأزيد ، وحرض ، وقال « لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل » ورفع الأمر الى رسول الله فواجه الموقف بالطم وحمل الناس على الرحيل السريع ، وسار بهم حتى أرهقهم ، وذلك شفلا للناس بمثاق السفر ، وقطعا للشائعات ، والمزايدات ، والقيل والقال ، وتلطف أسميد بن حضير برسول الله ، واعتذر عن صاحبهم « ابن أبي » وقال : أنت يا رسول الله الأعز ، وهو الأذل . ثم قال : ارفق به ، فوالله لتد جاعنا الله بك ، وان قومه ابعدون له الخرز ليتووجه ملكا ، فانه ليرى انك قد استتبته ملكه . وصفح رسول الله ، وقال لعمر - وقد طالب بقتله - ( مكيف ياعمر اذا تحدث الناس ان محمدًا يقتل أصحابه ؟ لا ) .

على الأنأة ، وتهدى الى الرشد ٠  
 والاسلام طالما ندبنا الى الصبر الجميل ، والهجر الجميل ، والمداراة ،  
 والجادلة بالتي هي أحسن ٠ والرسول عليه الصلاة والسلام كان — بعد  
 الاذن بالقتال — يوادع ويداري ، ويصفح ، تألفاً للقلوب ، وايشاراً  
 للسلام ، أو اعذاراً ، وسياسة أو تحكماً في «ساعة الصفر» وانتظاراً  
 للوقت المناسب ٠

والآيات التي تربى المسلمين على الأنأة ، والهادنة ، والصبر المترن ،  
 لم تنسخ — كما يظن — بآيات القتال ، بل هي محبطة ، ومتطلباتها ماضية ،  
 في مستودع الاسلام ذخائر يسعين بها المسلم ، حين تستدعيها الظروف ،  
 عندئذ تستهدى بمثل قول الله : (كفوا أيديكم ، وأقيموا الصلاة) (ان  
 تصبروا ، وتتقوا ، فان ذلك من عزم الأمور) (فاصبر . كما صبر أولو العزم  
 من الرسل ، ولا تستعجل لهم ٠٠) (فاصبر ، صبرا جميلا) (واصبر على  
 ما يقولون ، واهجرهم هجرا جميلا) الى غير ذلك من الآيات التي تكبح  
 الجماح ، وتكتل الرزانة ، والاتزان ٠

وهم القوى المضادة لزححة الصحوة الاسلامية عن الدرب المطمئن  
 الى الخفة ، والطيش والرعونة العمياء ، حتى تمسى حياة المسلمين  
 عجيجاً(١) ، وضجيجاً ، وغباراً، ذلك في الوقت الذي يفكرون — هم — فيه ،  
 بتؤدة ، ويتحركون وفق أسس علمية ، ونفسية ، بأساليب ماكرة ، وتحت  
 رايات ، توراتية ، وانجيلية . هم الأعداء تهييج القمة على القاعدة ،  
 والقاعدة على القمة ، وتخبيل ذات البين ، حتى يستطير الجنون ، ويستحكم  
 الخبال ( لا يألونكم خبالاً ، ودوا ما عنتم ، قد بدلت البعضاً من أفواههم ،  
 وما تخفي صدورهم أكبر ٠٠ ) (٢)

---

(١) العجيج الصياح ، واشتداد الريح مثيرة للغبار .

(٢) من الآية رقم ١١٨ من سورة آل عمران . والخبال : الجنون ،  
 والشلل ، والفساد ، والهلاك . والآية تحذر المؤمنين من مثل ما أوغلنا فيه  
 من : موالة الأعداء ، ومواظتهم على كل أمر ومن اسلام الوجه لهم ، وتلقى  
 الوحي منهم ... الخ وتخبيل ذات البين : افساد ما بين العامة والخاصة ،  
 وايفار صدور بعضنا ، على بعض .

وتحقق هذا الهدف يكفل للأعداء اتخاذ المسلمين حشايا<sup>(١)</sup> ومطايا  
الى أن يقضى الله أمراً .

والقرآن بهذه الآية ، ونظائرها ، يجاهد انحراف بعض المسلمين ،  
ويعالج مرض القلوب الذين يسارعون فيهم ، ويقولون « نخشى أن تصيينا  
دائرة » .

### من موافق الجهاد بالقرآن

القرآن ، وهو يتخلل القلوب ، كان يحدث فيها أحدهما مختلفة ،  
تطابق مقتضى الحال ، تارة يأسو وتارة يبعد ، وتارة يضم اللمسات  
الأخيرة ، وتارة يثير فرض الإيمان ، وتارة يزلزل قواعد الكفر ، وحواجز  
المكابرة ، والعناد ، وسأرسد — هنا — موافق مسندة تنطق بمضاء السلاح  
القرآنى ، وفاعلية الجهاد بالقرآن .

- ١ -

ونستفتح بما رواه الدارقطنى في سنته ، وذكره ابن إسحاق مطولاً  
في سيرته ، من أن عمر رضي الله عنه خرج ، وغایته تل رسول الله<sup>(٢)</sup> لأنَّه  
فرق ، وسفه ، وسب الألهة . فلقى نعيم بن عبد الله وبصره بعواقب  
ما يريد وصرفه إلى أخته فاطمة ، وزوجها سعيد بن زيد ، اللذين تابعا  
محمدًا على دينه ، فانصرف إليهما ، وفي بيتهما خباب بن الأرت ، يقرئهما  
من سورة « طه » فلما أحسن أهل البيت بعمر ، اختبا خباب ، وأخفى  
فاطمة الصحيفة القرآنية ، وهاج عمر ما سمعه من دندة وهمية ، فسأل  
عما سمع ، وبطش بخنته سعيد ، وشج أخته ، فثارا ، وجاهرا بالاسلام  
في تحد شديد لعمر ، ودخلت عمر رقة ، وأسف على ما فعل بأهله ،  
وتحايل حتى أخذ الصحيفة ، وقرأ فيها « طه » فلما قرأ منها صدرا قال :

---

(١) الحشايا : الفرش ، والوسائل والمطاييا : الدواب .

(٢) لا يخفى أن هذا كان قبل اسلامه .

ما أحسن ، وأكرم هذا الكلام ، فلما سمع ذلك خباب ، خرج من مخبئه  
تائلاً : يا عمر ، والله أنى لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبىه  
صلى الله عليه وسلم ، أنى سمعته أمس يقول : اللهم أيد الإسلام  
بابى الحكم ابن هشام ، أو بعمر بن الخطاب ، فالله ، الله يا عمر ، وأسرع  
إلى رسول الله يعلن إسلامه .

فآيات « طه » أيقظت كامن الفطرة ، ومحت البقية الباقية من  
الكبارة ، والعناد . ووضعت اللمسات الأخيرة على قلب مفطور على  
التذوق ، والتقبل ، والوعي ، وعقلية راجحة ، تقدر الحق ، وتعرف أقدار  
الرجال .

ان آيات « طه » ضبطت « الزوايا » حتى لا تتارجح المسيرة ، أو  
تضطرب ، وعمر رضى الله عنه تلقفته هذه الآيات وهو بين يدي الصراط ،  
يوشك أن يقتحمه .

- ٣ -

والقرآن الكريم حافل بالآيات التي تقذف بالحق ، وتحمل الداعية  
على المواجهة ، والقول الصادع ، البليغ ، بالآيات التي تزود بالذخيرة ،  
وتلقن الحجة التي تكتب الخصم ، وتحدق به من جميع جوانبه ، حتى  
لا يجد سبيلاً إلى افلات .

ولعل الآيات التي سيقت في أسلوب تلقين « قل » وحالت بحجتها  
في مجالات التوحيد ، والإيمان ، والرسالة ، والوعد ، والوعيد ، والتحليل ،  
والترحيم . . . الخ لعل هذه الآيات أمثلة واضحة على ما تطلق الآيات  
من قذائف ترد إلى الصواب .

ونضرب مثلاً بآيات سورة الأنعام « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم  
عليكم » فقد أثر عن على رضى الله عنه أنه قال : خرج رسول الله إلى  
« منى » يعرض نفسه على القبائل – وأنا ، وأبو بكر معه – فوقف  
رسول الله على منازل القوم ، ومضاربهم . وكان في القوم مفروق بن عمر ،

وهانىء بن قبيصة ، والثنتى بن حارثة ، والنعمان بن شريك ، وكان مفروق  
أغلب القوم لسانا ، وأوضحهم بيانا ، فالتفتت إلى رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم ، وقال له : الام تدعوا يا أخا قريش ؟ فقال النبي صلى الله عليه  
 وسلم : أدعوكم إلى شهادة ألا إله إلا الله ، وحده ، لا شريك له ، وأنى  
 رسول الله ، وأن تؤووني ، وتنصروني ، وتمعنوني ، حتى أؤدي حق الله  
 الذي أمرني به ، فان قريشا قد ظاهرت على أمر الله ، وكذبت رسوله ،  
 واستغفت بالباطل عن الحق ، والله هو الغنى الحميد . فقال مفروق :  
 والام تدعو أيضا ؟ فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قل تعالوا  
 أتل ما حرم ربكم عليكم ۰۰۰ » الآيات الثلاث . فقال مفروق : والله  
 ما هذا من كلام أهل الأرض ، ولو كان من كلامهم لعرفناه . وأخذت  
 الآيات بباب القوم ، فكانوا بين مسترید ، ومستحسن ، مبهور بالأسلوب  
 المعجز الذى جمع فضائل تعد بحق أساس الحياة المستقرة المائنة .

وهذه الآيات « قل تعالوا » لا تزال — منذ نزلت ، إلى يومنا هذا —  
 تكتب الخصوم ، وتواصلون الجماد ، وتعلن ربانية القرآن ، وحقيقة  
 الإسلام . قال أحد المستشرقين المنصفين : « لو لم يقم الإسلام الا على  
 هذه الوصايا لكان معتمدا على دستور عظيم ، رصين » .

### — ٣ —

ومن الآيات ، آيات تفجر في رسول الله صلى الله عليه وسلم طاقات  
 المواصلة ، وتشحنه ارادة ، وحركة ، وتمدده بمعنى تحاصر الخصم ،  
 وتقطع أمامهم كل السبل . ومن تلك الآيات آيات سورة الطور : ( فذكر  
 فما أنت بنبعة ربك بكاهن ، ولا مجانون . أم يقولون شاعر نترقص به  
 رب المئون . قل تربصوا ، فاني معكم من المتربيسين . أم تأمرهم أحلامهم  
 بهذا ، أم هم قوم ظاغون . أم يقولون بتقوله ، بل لا يؤمنون . فليأتوا  
 بحديث مثله ان كانوا صادقين . أم خلقوا من غير شيء ، أم هم  
 الخالقون . أم خلقوا السموات ، والأرض ، بل لا يؤمنون . أم عندهم  
 خزانة رب ، أم هم المسيطرون . أم لهم سلم يستمعون فيه ، فليأت

مستمعهم بسلطان مبين . أم له البناء ، ولهم البناء . أم تسألهم أجرا  
فهم من مغرم مثقلون . أم عندهم الغيب فهم يكتبون ، أم ي يريدون كيدا ،  
فالذين كفروا هم المكيدون . أم لهم الله غير الله ، سبحانه الله عما يشركون  
وان يروا كفرا من السماء ساقطا ، يقولوا سهاب مرکوم . فذرهم ، حتى  
ياللهوا يومهم الذي فيه يصعدون . يوم لا يعني عنهم كيدهم شيئا ،  
ولا هم ينحررون ) الطور ٤٩ - ٤٦

ويروعك أن الآيات ابتدأت بالرسول فملأته ثقة ، واعتدادا ، والزمنه وضع الاستعداد (فذكر ، فما أنت بنعمه ربك بكاهن ولا مجنون) وانتهت به ذكرته بمكانه من مولاه الذى يكلؤه ، ويعصمه من الناس (وامبر لحكم ربك ، فانك بأعيننا) .

والأيات ، وهى تأمره أن يجاهد قومه بالقرآن ، وتبين له أنه سوى ،  
رشيد ، تكر كرا على المفترين تدحض قالاتهم ، وبنات أفكارهم ،  
وتستهزئ بأحلامهم ، وتتهدأهم .

روى محمد بن اسحاق عن مجاهد ، عن ابن عباس رضى الله عنهما  
أن قريشاً لما أهملهم أمر محمد صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا في دار الندوة  
لدارسة الوضع ، قال قائل منهم : احتبسوا محمداً ، في وثائق ، وتربصوا  
به ريب المنون حتى يهلك كما هلك الشعراة من قبله .

والى جانب التهدى ، وتسفيه الأحلام تضمنت الآيات جرعة توحيد  
دسمة تثبت الربوبية وتؤكد الألوهية ، وتعلن القدرة ، والقوة ، والملك  
(أم خلقوا من غير شيء .. سبعان الله عما يشركون) .

جاء في المسحيين (أن جبير بن مطعم - وكان قد قدم على النبي صلى الله عليه وسلم بعد وقعة بدر في فداء الأسرى - وكان اذ ذاك مشركاً - قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالتطور فلما بلغ هذه الآية : «أَمْ خلقوه من غير شئ ، أَمْ هُمُ الظالِّونْ» . خلقوا السموات ، والأرض ، بل لا يوقنون . أَمْ عندهم خزانٌ ربك ، أَمْ هُمُ الْمُسْيِطُونْ» كاد قلبني أن يطير ) وهكذا كان سماعه هذه الآيات من

هذه السورة من جملة ما حمله على الدخول في الاسلام بعد ذلك .  
والأيات أسقطت اعتبارهم ، وهونت من شأنهم لأنهم تطاولوا ،  
ولجوا في العناد فقالوا : (٠٠٠ أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفـا )  
الاسراء ( فأسقط علينا كسفـا من السماء ، ان كنت من الصادقين ) الشعراـء  
وكفروا بكل الآيات التي تذر ، وتتوعد ، وتحذرهم محنـة الأولـين ( ان نشـأ  
نخـسـبـ بـهـمـ الـأـرـضـ ، أو نـسـقـطـ عـلـيـهـمـ كـسـفـاـ مـنـ السـمـاءـ ) سـبـأـ . والـفـاءـ  
اعتـبـارـهـمـ يـتـجـلـىـ فـيـ الـآـيـاتـ : ( وـانـ يـرـوـاـ كـسـفـاـ مـنـ السـمـاءـ سـاقـطـاـ ، يـقـولـواـ  
سـحـابـ هـرـكـومـ . فـذـرـهـمـ ٠٠٠ )

والآيات اذ تضرب حولهم حصارا ، وتشل حركتهم ، تشد وثاقهم بالحرف «أم» الذي يوحى بثبتوت التهم ، وتقررها ، ويوجهى بالتوبیخ ، والتهم بمقولاتهم ، ويفيد تخبطهم ، وتأرجحهم بين قلالات تشي بالجهل ، والافلاس .

• مرة خمس عشرة « تكرر المحرف الخنّاق ، وتفبيق العصّار لاحكام

— 1 —

ومن نذر سورة الطور التي روعت الكافرين ، وصقلت قلوب المؤمنين  
قول المولى – في جواب القسم بالطور ، والكتاب ، والبيت المعمور ،  
والسقف المرفوع ، والبحر المسجور – « ان عذاب ربك لواقع » ماله من  
دافع « يوم ثمور السماء مورا » وتنصير الجبال سيرا « فويل يوم شد  
للمكذبين » الذين هم في خنوص يلعبون « يوم يدعون الى نار جهنم  
دعا ٠٠٠ »

(١) مما أثر عن جبير بن مطعم - فوق ما سبق - أنه قال : لما سمعت رسول الله يقرأ بقول الله : ( ان عذاب ربك لواقى ) . ماله من دافع . فكأنما صدع قلبي فأسلمت خوفاً من نزول العذاب ، وما كنت أظن أن أقوم من مقامي حتى يقع بي العذاب .

(ب) وحکی الحافظ أبو بکر بن أبي الدنيا قال : خرج ابن الخطاب يعس ذات لیلة ، فمر بدار رجل ، فوافقة قائمًا يصلی بـ « الطور » حتى إذا بلغ قوله تعالى « ان عذاب ربک لواقع ۰ ماله من دافع ۰ » قال فسم درب الكعبۃ حق ۰ هننزل عن دابتہ واستند الى حائط ، فمکث مليا ، يسقرا نفاسه ، ثم رجع الى منزله ، والاعیاء باد عليه ۰

(ج) وقال هشام بن حسان : انطلقت ، أنا ، ومالك بن دينار الى الحسن ، وعنه رجل يقرأ ۰ والطور « حتى بلغ « ان عذاب ربک لواقع ۰ ماله من دافع ۰ » فبكى الحسن وبكى أصحابه ، وجعل مالک يضطرب حتى غنى عليه ۰

(د) وروى أن بكارا ، لما ولی القضاء ، جاء اليه رجال يختصمان ، فتوجهت على أحدهما اليمين ، فرحب الى الصلح وبذل عوضا يفتدى به اليمين ، فأبى خصميه الا اليمين ، فاحلفه بالله الذي أنزل « والطور ۰۰۰ » ثم قال له : قل : ان عذاب الله بي ل الواقع ، ان كنت كاذبا ۰ فقال لها مضطربا ، وخرج مأخوذًا بمؤل الأية فتعثر ، وأصيب ۰

هذا كان القرآن يجاهد القلوب ، أحيانا بالحجۃ المهممة ، وأحيانا بآيات الترهيب ، وأحيانا بآيات الترغيب التي تفيض تشويقا ، واغراء ، وايقاظا لروح التنافس ، والاستباق ۰

وعلني أن ايراد حالة المتقين ، عقيب ذكر العذاب - في سورة الطور - القمس به جهاد الترغيب ، بعد جهاد الترهيب : ( ان المتقين في جنات ونعميم ۰ فاكھین بما آتاهم ربهم ، ووقاهم ربهم عذاب الجحيم ۰ كلوا ، واشريوا ، هنيئا بما كنتم تعملون ۰ متكئين على سور مصفوفة ، وزوجناهم ببعور عين ) الطور ۱۷ - ۲۰

وبالترغيب ، والترهيب يصنع القرآن الأمة الوسط التي لا تفرط في التفاؤل ، وتغيرها الأمانی ، ولا توغل في التشاؤم ، فيحتويها القنوط ، وبهما يهتّل المسلمون الصدارة ويتجنبون الحواشی ، والأطراف ليتمركزوا في المقام الوسط الذي يکفل الاتزان والاطمئنان ، ووضوح الرؤية ،

## بقية مقال (نفحات قرآن)

وسلامة الشهادة على الناس « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس » ٠

— ٥ —

والمؤمن قد يطلب بالقرآن القشعريرة ، ويلتمس مزيداً من التأثر ، والجلاء ، مهما كان مستوى اليماني ٠ فكما يطلب المؤمن بالعبادات ، الزلفي ، والرفع ، والاشراق ، يلتمس ذلك بالقرآن أيضاً ٠ وتحقيق هذا ما رواه الشيخان — وغيرهما بطرق متعددة — ( عن عبد الله بن مسعود قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « اقرأ على » فقلت يا رسول الله : آقرأ عليك ، وعليك أنزل ؟ قال « نعم انى أحب أن أسمعه من غيري » فقرأت سورة النساء ، حتى أتيت الى هذه الآية « فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد ، وجئنا بك على هؤلاء شهيداً » فقال : « حسبك الآن » فاذَا عيناه تذرفان ) ٠

يتبع

بخارى أحمد عبده

# نفحات القرآن

## بِسْمِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس ، وبيانات من  
الهدي والفرقان»

مع شواهد الجهاد الكبير

● في معية القرآن الكريم أخذنا نورد من مواقف المجاهدة بالقرآن  
ماشاء الله لنا أن نورد

● ودرجنا - يومئذ - مع آيات بصائر - تقدّف بالحق فتسحج  
قلوبًا وتعمر قلوبًا ، وتهز أوتار قلوب . وتصنم بالختم ، والخلف قلوبًا .

● ووقفنا على مشهد رسول الله ﷺ يستقرىء ابن مسعود رضى الله  
عنه ، ويتابع قراءته وعيناه تذرفان لفرط ما يجد من روعة القرآن ، وجلال  
وقيعه ، ودقة منفذه إلى قلوب ترداد به سموا ، ولألة .

يُقْدَفُ بِالْحَقِّ عَلَامُ الْغَيْوَبِ

● آيات القرآن - اذن - قدّائف حق يطلقها علام الغيوب ، هي  
للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمّنون في آذانهم وقر وهي عليهم  
عمى .

● وهي اذ تلتحم بالقلوب ، تلتحم شافية هادية ، أو رادعة ،  
صادعة أو نافحة محيبة أو مصممة موجبة لمن استغشوا ثيابهم ، وأصرروا ،  
واستكباوا استكبارا

• والحق أن الخلائق في شتى مستوياتها تتفعل بالقرآن ، وترتتأر  
بـه ، وردود الفعل هي التي تختلف من قلب الى قلب ، ومن مستوى الى  
مستوى ، ومن حالة الى حالة

### • فانفعال المستويات العليا بالقرآن يمكن أن : -

(أ) يتمثل فيما كان يلقاه رسول الله ﷺ من معاناة ، ووطأة شديدة  
حين يتغشى الوحى ، فقد كان عليه الصلاة والسلام يتقصد جبينه عرقا  
والليلة باردة ويعلو زفيره وشهيقه ، ويصدر غطيطا غير معتاد .  
ويثقل جسمه ، وتتقل أعضاؤه حتى يحس بذلك من يلاصقه « انا سلقي  
عليك قولا ثقيلا »

(ب) وانفعال الملا الأعلى بالقرآن يتجلى فيما اتفق عليه من حديث  
أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن أبي سعيد بن حضير رضي الله عنه  
قال : بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده اذ جالت  
الفرس فسكت ، فسكت فقرأ فجالت ، فسكت فسكت ، ثم قرأ فجالت  
الفرس . فانصرف ، وكان ابنه « يحيى » قريبا منها ، فأشفق أن تصيبه ،  
ولما أخره رفع رأسه إلى السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح . فلما  
أصبح حدث النبي ﷺ فقال : اقرأ يا ابن حضير . اقرأ يا ابن حضير .  
قال : فأشفقت يا رسول الله أن تطا « يحيى » وكان منها قريبا ، فانصرفت  
إليه ، ورفعت رأسى إلى السماء ، فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح  
فمرجت في الجو ، حتى لا أراها ، قال : - وتدرى ماذاك « يا ابن حضير » ؟  
قال : لا ، قال تلك الملائكة دنت لصوتك . ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس  
إليها لا تتوارى عنهم .

### حتى اذا فزع عن قلوبهم

(ج) كذلك يتجلى في الحالات التي تعشى الملا الأعلى حين تضمهم  
دوائر الوحى ، أو تأثرهم هيبة الفرقان

• والعبرة القرآنية التي قدمنا بها الفقرة ( حتى اذا فزع عن

قلوبهم ) جزء من آية كريمة في سورة « سباء » ، ونصها : ( ولا تتفعم الشفاعة عنده الامن أذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم . قالوا الحق وهو العلي الكبير ) الآية ٢٣

● ولقد تعددت رؤى المفسرين وتأويلاتهم للجزء المختار من الآية الكريمة : -

١ - قيل هو تصوير لحال المشركين عند الاحضار حين يكشف  
غطاء الغفلة وتصدق الرؤية ، أو يوم القيمة حين تبعث العقول ، وتحيا  
القلوب .

٢ - وقيل المراد : حتى اذا كشف الفزع عن قلوب الشافعيين ،  
والمشفوع لهم .

٣ - ورأى ابن جرير أن الضمير في «قلوبهم» عائد على الملائكة .

٤ - قال ابن كثير « وهذا هو الحق الذى لا مريء فيه لصحة الأحاديث فيه والآثار » .

٥ - وظنى أن الملائكة المعينين هم الكائنون في دائرة الوحي المهيّب الرهيب ، استناداً إلى ما أوحى به الآثار الآتية :

١ - عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :  
ان المولى اذا قضى في السماء امرا ضربت الملائكة بأجنحتها - خضعنا  
لقوله - كأنها سلسلة على صفوان « الصخر الأملس » فإذا فزع  
« زال الفزع » عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق ،  
وهو العلي الكبير ) . رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

والحاديـث الشـرـيف - كـمـا لا يـخـفـى - وـثـيقـ الـصـلـةـ بـالـجـزـءـ المختارـ منـ الآـيـةـ الـكـرـيمـةـ ٠ قالـ ابنـ كـثـيرـ - فـيـ الآـيـةـ - «ـ هـذـاـ مـقـامـ رـفـيعـ فـيـ الـعـظـمـةـ ، وـهـوـ أـنـهـ تـكـلـمـ بـالـوـحـىـ ، فـسـمـعـ أـهـلـ السـمـوـاتـ كـلـامـهـ أـرـعـدـوـاـ مـنـ الـهـبـيـةـ حـتـىـ يـلـقـهـمـ مـثـلـ الغـشـىـ ٠

٢ - وروى ابن أبي حاتم عن النواس بن سمعان • وروى ابن جرير ، وابن خزيمة عن زكريا بن أببان : أن النبي صلى الله عليه

وسلم قال : ( ان الله اذا اراد ان يوحى بالأمر تكلم بالوحى فاذا تكلم أخذت السموات منه رجفة ، او رعدة شديدة خوفا من الله ) . فاذا سمع اهل السموات ذلك ضعقوا ، وخرعوا لله سجدا . فيكون أول من يرفع رأسه جبريل ، فيكلمه الله تعالى ، ويقول له من وحيه ما اراد . ثم يمر جبريل بالملائكة . كلما مر بسماء سأله ملائكتها : ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول جبريل : قال الحق ، وهو العلي الكبير . قال في يقول لهم كما قال جبريل ، فينتهي جبريل بالوحى الى حيث أمره الله .

٣ — والعمدة ما أورده البخارى عند تفسير قول الله « حتى اذا فزع » فقد روى عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ( اذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعا لقوله كأنها سلسلة على صفوان ، فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم . قالوا الحق ، وهو العلي الكبير ) .

• القرآن — بلا شك — قضاء رباني ، ووحى مهيب تتباين به السموات ، وتعنوا لرهبته الملائكة ، والملائكة ، وإذا كانت أقضية السماء كلها تحفل بالرهبة والهيبة ، فإن القرآن لغزارة محتواه أجمل وقعا ، ورعبا .

• وتنبع اعظم الرهبة ، وتجل الهيبة اذا حل الحدث بعد طول انقطاع ، وطول انتظار ، ومن هنا طاب لبعض المفسرين أن يروا أن المشهد يرتبط بابتداء احياء الله الى محمد صلى الله عليه وسلم بعد الفترة التي كانت بينه وبين عيسى عليه السلام ( ٥٥٠ سنة ) وان بعد عهد الملائكة بالوحى الذى يخترق حواجز السموات فى رحلته نحو الأرض ، له مدخل فى تحقيق ذلك المشهد ، واغنائه بالأسرار المؤثرة والمعانى الهيبة .

• هكذا ينفع الملا الأعلى بالوحى ، وهم أقرب الخلق من منبره ، ومشكالاته ، وكذلك يجاهدون ، فيجهرون ( بالبناء للمجهول ) ويخرجون للأذقان ، ويزدادون خشوعا ، وخصوصا ، وحنينا الى فحوى القرآن ، ونسقه ، وكلماته ( ان لله ملائكة يتlossen أهل الذكر ) . الخ الحديث .

## قاعدة من قواعد اطلاق قذائف الحق

وفي معرض الحديث عن قذائف الحق التي تجلو القلوب ، وتعمر ، أو تدمغ ، وترهق ، استشهدينا بأيتين كريمتين هما : ( ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ، ماذا قال ربكم ، قالوا الحق ، وهو العلي الكبير ) والأخرى ( قل ان ربى يقذف بالحق عالم الغيوب ٠٠ ) .

والآياتان من سورة سباء ، وهى سورة مكية اذا استثنينا الآية السادسة ( ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل اليك من ربك هو الحق ، ويهدى الى صراط العزيز الحميد ) وفي مكة كان شغل رسول الله صلى الله عليه وسلم البناء . ببناء العقيدة . وبناء الأنفس التى يناظر بها حمل الولية هذا الدين ، ونشر شعاعه ، وبث مفاهيمه .

وفي مكة كان الشعار ( كفوا أيديكم ٠٠ ) والسلمون تحقيقاً لهذا الأمر الحكيم لم ينتصروا سيفاً في مكة ، ولكنهم كانوا يجاهدون ، ويكسبون باستمرار أرضاً جديدة ، كانوا يتصدون للعداوة الحمراء بقذائف الحق ، ويجاهدون حمية الجاهلية بخلق القرآن .

● والحق أن سورة سباء كلها قاعدة قذائف . قذائف مثلها كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً ٠٠ الحديث

● ويتحقق هذا ، ويتأكد ، حين نقف حيال السورة وقفنة عابرة ، وننظر نظرات هي اجمالية ولكنها لا تخطي الحقائق ، والأهداف ، والأساليب والمحاور التي تدور حولها السورة .

١ - فالمولى في الآيتين الأوليين ( الحمد لله الذي له ما في السموات ، وما في الأرض ، وله الحمد في الآخرة ، وهو الحكيم الخبير . يعلم ما يلتحم في الأرض ، وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء ، وما يعرج فيها ، وهو الرحيم الغفور ) .

المولى - فيما - يلوح بشيء من عظمته التي لا تحدد . ويعلن

انفراده بالملك كله ، والعلم كله ، والتصرف كله ، والقدرة ، والقوة كلها ، ويؤدي بـأـنـمـنـاـ لـمـ يـأـتـهـ طـوـعـاـ سـيـقـ الـيـهـ كـرـهـاـ وـفـيـ هـذـاـ تـعـرـيـضـ بـيـنـ بـالـهـتـمـ ، وـازـدـرـاءـ بـيـنـ لـعـنـتـاـتـهـمـ ، وـتـسـفـيـهـ بـيـنـ لـأـحـلـامـهـ وـتـهـدـيدـ خـصـمـنـىـ اـنـ لـمـ يـفـيـقـواـ وـيـرـعـوـواـ ، وـيـلـغـ التـتـدـيدـ ، وـالتـهـدـيدـ مـدـاهـمـاـ فـيـ الـآـيـاتـ الـتـىـ تـتـعـقـبـ الـأـقـاوـيلـ (وقـالـ الـذـيـنـ كـفـرـوـاـ لـاـ تـأـتـيـنـاـ السـاعـةـ ٠٠ـ الـخـ) اوـ تـرـدـرـىـ الـجـهـالـةـ (وـيـرـىـ الـذـيـنـ أـوـتـوـاـ الـعـلـمـ الـذـىـ أـنـزـلـ الـيـكـ مـنـ رـبـكـ ٠٠٠ـ) اوـ تـفـنـدـ الـمـزـاعـمـ (وقـالـ الـذـيـنـ كـفـرـوـاـ هـلـ نـذـلـكـ عـلـىـ رـجـلـ يـبـيـكـمـ اـذـاـ مـزـقـ اـنـكـمـ لـفـىـ خـلـقـ جـدـيدـ ٠٠ـ الـخـ) ثـمـ تـقـذـفـ فـتـفـجـرـ (أـفـلـمـ يـرـوـاـ الـىـ مـاـ بـيـنـ أـيـدـيـهـمـ ، وـمـاـ خـلـفـهـمـ مـنـ السـمـاءـ وـالـأـرـضـ ، اـنـ نـشـأـ نـخـسـفـ بـهـمـ الـأـرـضـ ، اوـ نـسـقـطـ عـلـيـهـمـ كـسـفـاـ مـنـ السـمـاءـ ٠٠ـ الـخـ) وـيـعـودـ الـمـوـلـىـ الـىـ قـدـرـتـهـ الـتـىـ لـاـ تـدـانـىـ فـيـتـحـدـثـ عـنـ دـاـوـدـ وـالـحـدـيدـ الـمـلـانـ ، وـعـنـ سـلـيـمـانـ وـالـجـنـ الـمـسـخـ ، وـعـنـ الشـكـرـ الصـادـقـ الـذـىـ تـتـرـجـمـهـ الـأـعـمـالـ (اعـمـلـوـاـ آـلـ دـاـوـدـ شـكـرـاـ ، وـقـلـيـلـ مـنـ عـبـادـيـ الشـكـورـ) وـالـذـيـنـ لـاـ يـشـكـرـوـنـ يـورـدـوـنـ مـوـارـدـ سـبـاـ ٠ مـوـارـدـ مـنـ كـانـوـاـ أـشـدـ مـنـ قـرـيـشـ قـوـةـ ، وـأـكـثـرـ جـمـعـاـ (لـقـدـ كـانـ لـسـبـاـ فـيـ مـسـكـنـهـ ٠٠٠ـ الـآـيـاتـ) وـلـاـ شـكـ أـنـ الـاشـارـةـ — فـيـ هـذـاـ الـمـوـقـعـ — إـلـىـ أـمـرـ سـبـاـ ، فـيـهـ مـاـ فـيـهـ مـنـ تـهـدـيدـ وـوـعـيدـ ٠

وـتـرـوـعـكـ بـعـدـ هـذـاـ صـورـةـ مـتـفـجـرـةـ ، فـيـ أـحـشـائـهـ ظـالـمـونـ استـكـبـرـاـ ، وـظـالـمـونـ اـسـتـخـذـوـاـ ، وـاسـتـسـلـمـوـاـ ، وـهـمـ يـتـحـاجـجـونـ فـيـ النـارـ : (وقـالـ الـذـيـنـ كـفـرـوـاـ لـنـ نـؤـمـنـ بـهـذـاـ الـقـرـآنـ وـلـاـ بـالـذـىـ بـيـنـ يـدـيـهـ ٠ وـلـوـ تـرـىـ اـذـ الـظـالـمـونـ مـوـقـوفـوـنـ عـنـ دـبـبـهـمـ ، يـرـجـعـ بـعـضـهـمـ إـلـىـ بـعـضـ الـقـوـلـ ، يـقـولـ الـذـيـنـ اـسـتـضـعـفـوـاـ لـلـذـيـنـ اـسـتـكـبـرـوـاـ ، لـوـلـاـ أـنـتـمـ لـكـنـاـ مـؤـمـنـيـنـ ٠ قـالـ الـذـيـنـ اـسـتـكـبـرـوـاـ لـلـذـيـنـ اـسـتـضـعـفـوـاـ أـنـحـنـ صـدـدـنـاـكـمـ عـنـ الـهـدـىـ بـعـدـ اـذـ جـاءـكـمـ ، بـلـ كـنـتـمـ مـحـرـمـيـنـ ٠ وـقـالـ الـذـيـنـ اـسـتـضـعـفـوـاـ لـلـذـيـنـ اـسـتـكـبـرـوـاـ بـلـ مـكـرـ الـلـيـلـ ، وـالـنـهـارـ ، اـذـ تـأـمـرـوـنـاـ أـنـ نـكـفـرـ بـالـلـهـ وـنـجـعـلـ لـهـ أـنـدـادـاـ ، وـأـسـرـوـاـ النـدـامـةـ لـمـ رـأـوـاـ الـعـذـابـ وـجـعـلـنـاـ الـأـغـلـالـ فـيـ أـعـنـاقـ الـذـيـنـ كـفـرـوـاـ ، هـلـ يـجـزـونـ الـأـمـاـكـنـاـ يـعـمـلـوـنـ) سـبـاـ مـنـ ٣١ـ ٠٣٣ـ

• وـهـذـهـ الـشـاهـدـ الـمـتـقـولـةـ مـنـ يـوـمـ الـدـيـنـ تـجـاهـدـ الـقـلـوبـ الـمـؤـمـنـةـ ،

وتقيها شرك الاستخذاء وذل التبعية العميماء ، وتجاهد الفئات الكافرة  
لتتردد عن سبيل الضلاله ، والاغواء ٠

● والقوم في قراره أنفسهم ، كانوا يستشعرون صدق محمد ،  
وحقيقة القرآن ، الا أن هذا الاحساس كان يغالبه ما طبعوا عليه من  
كبير ، وحسد ، ونفاسة ، وما حرصوا عليه من سيادة ، وملكه ، واذا  
قذفت هذه الأنفس المذنبة بمثل هذا المشهد ، أخذت ، وريعت ،  
واضطربت بين خطى الحق والباطل بعد أن كانت جامدة ، متشبّثة  
بالباطل ٠

● والقرآن يستخدم – في مقام المجاهدة ، والافحام – أسلوب  
التلقين ، ويحرك بكلمة « قل » الزناد ، ويفجر قذائف الحق التي تكتب  
الخصم الألد ، وتكسر ما ضرب حوله من حواجز تعوق وتصد ٠ وأسلوب  
التلقين المبني على كلمة « قل » له في القرآن فاعليته ، ووقعه الذي  
لا ينكر ٠ واعتداداً بهذا الأسلوب وتقديرًا للقوة التي تولده كلمة « قل »  
في الداعية ، وللآثار التي تتركه القذائف المدفوعة بها – لكن هذا حفل  
القرآن بأسلوب التلقين « قل » حتى أن الكلمة تكررت في القرآن نحو  
٣٣٢ مرة ٠

وأكثر سور استعمالاً لهذا الأسلوب سورة الأنعام فقد تكررت  
فيها كلمة « قل » نحو ٤٤ مرة ؛ وتليها سورة يومنس : تكررت فيها الكلمة  
نحو ٤٤ مرة ثم سورة سباء التي استعملت الأسلوب التلقيني نحو  
خمس عشرة مرة وجاءت فيها مادة القول – في غير صيغة الأمر – نحو  
عشرين مرة . فيما من التسفيه والإزدراء ، والتجهيل ما يقيم الأخذاء ٠  
وتoward مادة « القول » هكذا يوحى بتقدير القرآن بأسلوب الحوار ،  
واهتمامه بمنطق وفکر الناس ٠

● وآخر ما جاء في السورة من هذا الأسلوب هو قوله الله :  
( قل ان ربى يقذف بالحق علام الغيوب . قل جاء الحق ، وما يبديء  
الباطل ، وما يعید ، قل ان ضلللت فانما أضل على نفسى ، وان اهتديت )

فبما يوحى إلى ربى انه سميع قريب ٠٠٠

والآية الاولى تربى المؤمنين على أن يأخذوا ما أتوا بقوة ٠ وأن  
يجبوا الأعداء بقوة وتنشئهم على ألا يهونوا ، أو يهنو ، أو يتهاونوا في  
حق أبدا ٠

والآية الثانية تذكر بآية مكية أخرى هي ( قل جاء الحق ، وزهق  
الباطل ) ٠٠٠

واعلان مجىء الحق بهذا الأسلوب — وال المسلمين في مكة يلاقون  
ما يلاقون من عنت ، وارهاق — أمر جدير بالتقدير ٠ والحق ان المولى  
بمثلك هذا الاعلان ، يشن على الكافرين حربا نفسية تزرع في قلوبهم  
الشك ، وتفقدتهم الثقة ، وتورثهم القلق ، والتوتر وهذا الاعلان نفسه  
يقوى أمل المؤمنين ، ويشد عضدهم ، ويمنيهم بعد مشرق قريب تتكشف  
معالمه يوما بعد يوم ٠

والحق الذى يقذف به علام العيوب هو القرآن كما روى عن  
قتادة ٠

والحق الذى جاء هو القرآن الذى يحق الحق ، ويبطل للباطل ،  
ويجتث جذوره أو هو الاسلام بكل قيمه ، وكل قواه ، ومجيئه تتحققه ،  
وظهوره حتى لا تقوم لدولة الباطل قائمة ٠ وظنني أن هذا هو معنى قول  
الله : ( ٠٠٠ وما يبديء الباطل ، وما يعيده ) فالآية كتيبة عن زهوق الباطل ،  
ومحو أثره ، لأن الزاهق الممحوق لا يبديء ، ولا يعيده ، لأنه لا وجود  
له هكذا تقلب آيات سبا الأفئدة ، والأبصار ، وتهزاً بمفاهيمهم  
وتتحداهم ، وتدرك حصنون الأمان التى نسجوها بأخيلتهم ، فلا يملكون  
الآن يرضخوا للحق ان كانوا من يسمعون ويعقلون ٠

### بخارى أحمد عبده

يتبع

# كتاب وعثائب

بِقَلْمَنْ بخاري الحمراني

الدعوة الى الصحوة طابع جل دعاة العصر . أرقتهم الغفلة التي  
تطوى المسلمين ، وأفزعتهم الرقدة التي ضربت على آذانهم ، وأبصارهم ،  
وبصائرهم سنين عددا . فأنذروا ، ودقوا الأجراس ، وأيقظوا ، وأقاموا  
المعالم ، وحدوا ، وهدوا .

وفضيلة الشيخ محمد الغزالى بين الدعاة رائد ركن . جمع من  
الحيوية ، والصدق ، والمغيرة ، وحرارة العاطفة ما يحله في الصدارة .  
والحق أن فضيلته راقد ثر من روافد المكتبة الاسلامية ، يمدّها من  
ذوب فؤاده ، ومن معارفه التي تنسى بسعة الأفق ، وغزاره العلم ،  
وسداد الرأى ، ونبيل الوجهة ، ومعارفه — إلى جانب كونها زادا طيبا  
للواردين — تتفجر في وجه الأعداء قذائف ، وشهبا .  
وآثار فضيلته كلها تنطق بأن فضيلته يحمل — فيما يحمل — هم  
العروبة ، والاسلام ، وهم بنى جنسه .  
ومن كتبه التي ترخر بالأحساس السامي كتاب « سر تأخر العرب ،  
والمسلمين » .

وهو كسائر كتبه مشبع ، ممتع . غنى برهافة الحس ، ووحدة  
البصر ، ودقة التشخص ، والحرارة العالمية التي تتوجه — أحيانا —  
فتتصيب كتاباته الحديدية بالتمدد ، وتبدّيها للأعين جانحة ، خارجة عن  
منهجه الحكيم ، وخطّته الراشدة .  
ولا عجب فالحماس المتقد ، والمغيرة العارمة ، قد يرميان بشر تشرد  
منه الأقلام شرود النوق .

---

(١) أما الكتاب فهو (سر تأخر العرب وال المسلمين) وأما العتاب فعلى فضيلة  
الشيخ : محمد الغزالى مؤلف الكتاب .

ولسنا بهذا نمهد للاحقة ناقة من نوقه الشاردة ٠ كيف وفضيلته  
أدرى بنوقه ، وأقدر على قيادتها ، وتوجيهها ، وعلى اناختها ، وسياستها ؟  
أدرى بمرامي كلماته ، وموقع سياطه ؟

غاية جهتنا أن نلفت النظر ، ونشير إلى الخطر الكامن في الزوايا ،  
وخلف النفات ٠ ويقيني أن فضيلة الشيخ حين تسكن أحاسيس المخاض ،  
ويبرد انفعال الولادة فيراجع ما كتب ٠ يقيني أنه — حينئذ — سيعرف  
من كتاباته ، وينكر ٠

ونحن أذ نحصى عليه — و « كفى المرء نبلًا أن تعدد معايه » —  
لا نتهمه ، ولا ننجزه ، ولكنه العتاب الذي لا يفسد للود قضية ٠

\* \* \*

ومعلوم أن كل أمرٍ يؤخذ من قوله ، ويترك (١) ، وأن لكل عالم  
هفوة ، وأن لكل ساقطة لقطة ٠

والهفوات الصغائر تتاسب تناسباً طردياً مع أ福德ار أصحابها ٠

والشيخ في أعيننا كبير ، وصغاره — أذن — بين أترابها كبائر ٠  
فلا عجب إذا استوقفتنا ، فعكرت صفو استمتاعنا بالغرر التي تحفل  
بها أفكار فضيلة الشيخ ، وبالتوجيهات السديدة الهديئة التي تتبعها  
كتاباته ٠

### عقدة السلفية

ومن الحواجز التي تصد بعض الناس عن ملاحقة روائع الشيخ  
« عقدة السلفية » التي تنتابه أحياناً فتحمله على أن يغور ، ويجور ،  
ويحكم ، فيعمم الأحكام ، ولا يبتنى ٠ ذلك وهو المعروف بالأناء ،  
والكياسة ، وسعة الأفق وقد سجل فضيلته — في كتابه المذكور (٢) —  
حواراً ، دار بينه ، وبين سلفي رآه فضيلة الشيخ متحفزاً ، يتربص ٠  
والحوار — كما بدا لي — شخصي ، يعبر عن صاحبيه ، ولكن الصاحب  
السلفي ، تراءى متتمراً ، شرساً إلى الحد الذي أثار الحفيظة ، وحرك

كامل « العقدة » فأخذ فضيلة الشيخ يرمي في كل اتجاه ، ويصدر أحكامه القاسية بلا تفريق . من ذلك قوله في مواجهة خصمه السلفي : -

( انكم تترbcون بالخطأ لتأكلوا صاحبه ) ( انكم تجمعون جملة من صفات العناد ، والتحدي ) ( انكم تخدشون أقدار الأئمة ) ( تصوركم أن الفقه المذهبى يسنتقى من نبع آخر غير الكتاب والسنة غير صحيح ) ( لا يلام مسلم تبع مذهبا كما لا تلامون أنتم في اتباع الشووكانى ، أو الألبانى ، أو الصناعى ) ( أحب أن تعلموا أن الاجتهاد الفقهي خطأ ، وصوابه مأجور ) ( المأساة خلقية لا علمية وأولى بكم أن تتواضعوا ٠٠٠ وتصلحوا ٠٠٠ وتطامنوا الاخوانكم ) ٠٠٠ الخ ٠٠٠

ولكن هل كان الصاحب السلفي متربصا ، متممرا ؟ الانصاف يقتضينا أن نقول : لا : بل كان الشيخ معبأ يتميز ، والدليل أن الصاحب السلفي يؤمن على ما يقول الشيخ ، ويعقب على فضيلته قائلا : ( ذاك ما تقول ) ص ٥٣ فيصبح به فضيلته قائلا : ( لا انكم ترون رأيكم الذى تابعتم فيه أحد الناس هو الحق وحده ) انكم ، انكم ، الأحكام اذن لم تتبع من صميم الحوار ، ولكنها انفجرت في مستودع قديم ، وعبرت عن ثأر – كما يقولون – بait و كل الذين حاوروه – في كتابه – طلبة ، أى صغار يتجاوزون مراحل اعتبار الذات وتحقيق الشخصية ، واستعراض العضلات . فإذا تعصبوا ، أو توتوروا فعدرهم واقعهم الكريه الذى يفقد الوزن ، ويزرع الشك ، ويورث السخط الشديد .

والجميل أن فضيلة الشيخ يصرح – في الكتاب ص ٥٧ – بأننا منهبون عن التأويل جملة ، وتفصيلا ، وأن اللجوء الى التأويل ضرورة . والأجمل أنه سلفي يعتقد أن الحق مع السلف الأول من صحابة رسول الله ، ومع دولة الخلافة الراشدة ، لا مع الأشعرى والماتريدى – رضى الله عنهم أجمعين – فيم الثورة اذن وصاحبك الذى يحاورك يلتقي معك في العقيدة ، ولا ينكر آراءك التى تحبذ الاعتدال وتحترم حرية الرأى ، وتدعوا الى التحاب ؟

انها العقدة . تنشط ، وتستطيل حتى تصل الى القبور ، وتنبني ، فتتال من أفضوا الى ربهم . قال فضيلته ( ان زعيم السلفية الأسبق في

٥٣ - ٥٤ ص

ويؤيد فضيلة الشيخ قضيته ، ورأيه بحوار شخصى دار بيته ، وبين طالب - لا اخالة الا في السعودية - ثم يمضى فينصف المعتزلة ، والأشاعرة ، وسائل الأئمة . يمضى وظل ذلك الطالب (ال سعودي ) يلازمه فلا يرى بدا من حسم التزاع بضربة قاضية تتمثل في قوله ( ان الغلام مملوء بالجهالة ، وأنه مثل غيره من أدعياء السلفية ، لا تصلح الأرض معهم ، ولا بهم ) ٠

والضمير في قوله «لأنها وجه دميم» يعود إلى السلفية . ولو أورد فضيلته الضمير مذكرا «لأنه» لاحتتمل أن يعود إلى نشاط سلفي مستحدث . أما الضمير مؤنثا فإنه يغرق السلفية – كل السلفية – في وابل من الدمامنة ، والقذارة ، بل والخيانة ٠٠ ؟

والسلفيون في تضليلهم ، وموالاتهم لأعداء الإسلام – كما يزعم الشيخ – اما ان يفعلوا ذلك وهم يعلمون • فهم اذن «مُثِّلُهُم» كفارة بمنص القرآن ، وحينئذ يكون الشيخ قد وقع فيما أنكره على الشيخ حامد رحمة الله • واما ان يفعلوا ذلك وهم لا يعلمون ، فيكونون بهذا من ذرائهم الله لجهنم (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن ، والانس ، لهم قلوب لا يفهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها

أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون ) الأعراف ١٧٩  
ليت شعري هل السلفيون كذلك ؟ كيف والشيخ سلفي ؟ اذن ما سر  
هذا التحامل الذي يشى بالبردة ؟

اننا لا نأخذ على الشيخ نظراته ، ورؤاه ، ولكننا نربأ بمثله عن أن  
يلتهب حماسه ، ويتقد حتى يتفجر ، ويتطاير ، شظايا ، ودخانا ، يصيب  
المخطيء والمصيبة .

١ - نأخذ عليه ما في أحكامه من شمولية جائزة ، تتنافي مع آداب  
الاسلام الذي يتحدث عن أهل الكتاب فيحرص على استعمال أداة  
التبعيض « من » حتى لا يدين البريء « ومن أهل الكتاب من ان تأمهنه  
بقنطرار يؤده اليك ، ومنهم من ان تأمهنه بدينار لا يؤده اليك ٠٠٠٠ » « ود  
كثير من أهل الكتاب ٠٠ » « من أهل الكتاب أمة قائمة ٠٠٠ »

والقرآن الكريم في حديثه عن المنافقين لا يعمم ، بل يستعمل « من »  
لتقييد التسويف ، وربما التبعيض : « ومن أهل المدينة مردوا على  
النفاق ٠٠٠ » « ومنهم من يلمزك ٠٠٠ » « ومنهم الذين يؤذون النبي ٠٠  
» « ومنهم من عاهد الله ٠٠٠ الخ (١)

٢ - والاسلام علمنا أن ننصح ، لا أن ننصلح ، واذا اعتبرنا  
سياط الشيخ نصحا ، فان النصح على رءوس الأشهاد مشجوب  
مرفوض ، فكيف بالتشهير المثير ، والتجريح الأليم ؟ ولا سيما اذا صدر  
من عالم جليل دأبه أن يأسو ، لا أن يقسو ؟ ظنني أن مثل هذا يجافي  
الحكمة ، والمعونة الحسنة لأنه يثير ، ولا ينير ، يفرق ، ولا يوفق .

**« لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا » رواه البخاري**

٣ - الأموات بمقتضى هذا الحديث لهم حصانة ، ومشايخنا -  
مهما تباعدت رؤاهم - مؤمنون ، ودعاؤنا ( ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين  
سبقونا بالآيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رعوف  
رحيم ) .

وهذا الحديث الشريف يعلن عن أدب رفيع لا يدانى ، أدب يحمل في

---

(١) كان الأولى أن نأتي بالأيات مرتبة حسب ورودها في السورة فممددة .

تضاعيفه انسانية رحيمة لا يدرك شاؤه • وفضيلة الشيخ حين استكثر من مثل الشيخ هامد الفقى زعيم السلفية - تكبير مثل أبي حنيفة الامام المفضل ، إنما كان منفلاً بهذا الأدب الاسلامي الرفيع ، فلتأنره بهذا الأدب ، سجل في كتابه • ص ٥٨ - ٥٩ عبارات رشيدة منها : - ( وواجبنا في هذا العصر ألا نجدد العراك بين الموتى ، وألا نجتر الخلافات القديمة لنقطع بها أرحام المؤمنين في هذه الأيام النحسات ٠٠٠ ) •

فضيلة الشيخ يعلم أن الموتى قد سكنوا ، وأفضوا إلى ما قدموا فلا مشاحة ، ولا اختصار ، ولا عراك يقطع الأرحام • ولكن يحذر من قماسك أتباع الموتى وأشياعهم • فكيف غاب عن الشيخ أن الرجلين (أبا حنيفة ، والشيخ حامد) قد أفضا إلى الله ، وأن وراءهما أشياعاً ، ومربيدين ؟ انه حين تعرض لقصة التكبير تلك كان من حيث لا يدرى ينفع في النار لتضطرم • كان يوقد نار الحرب ليخب فيها المسلمين والمذهبيون ، ويضعوا •

٤ - ونأخذ على الشيخ أنه حين عرض بزعيم السلفية في مصر لم يذكر القضية التي اختلفا فيها • فلعلها قضية خلق القرآن • وقد ذكر الحافظ الذهبي عن أبي يوسف أن الامام أبا حنيفة كان يقول بخلق القرآن ثم أناب • ولعلها قضية أخرى - هذا ان صح ما نسب إلى الشيخ حامد - وبيانها - بلاشك - يحدد المراد من كلمة « كفر » وفضيلة الشيخ الغزالى أعلم الناس بان هناك كفراً دون كفر •

٥ - ولقد أجاد الشيخ وهو بين دلالات كلمتي « رجل وقدم » اللتين وردتا في حديث روى في الصحاح عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : - لا تزال جهنم يلقي فيها ، وتقول هل من مزيد حتى يضم رب العزة فيها قدمه فينزو بعضها عن بعض ، وتقول : قط ، قط ، بعزتك وكرمك ٠٠٠٠ الخ • وفي رواية أخرى من حديث أبي هريرة : -- ٠٠٠٠ حتى يضم الله عليها رجله •

ذكر فضيلته مشكوراً أن الكلمتين تحتملان مفاهيم أخرى غير المعنى الذي يتبادر إلى الذهن •

وحبذا لو اتسعت روح الانصاف ، وحسن الظن . هذه فننظر أيضاً في

دلائل كلمة «كفر» لغة وفي اصطلاح الفقهاء • إذن لو جد للشيخ حامد مخارج تبرئه من التهمة الشنيعة ، لأن مادة «كفر» مشتركة بين معانٍ عدّة (انظر القاموس) •

انك يا فضيلة الشيخ دعوت – في كتابك – إلى ضرورة تكرير الأموات • ولكن يبدو أن الشيخ حامد لم ينفع اليك بعد •

وهذه التهمة التي رمى بها الشيخ حامد عقوبتها الكفر • ففي الحديث الصحيح : اذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باه بأحدهما • وفضيلة الشيخ الغزالى يوقن – كما نوقن – أن أبا حنيفة رضى الله عنه ليس بكافر • ومقتضى هذا أن يبوء الآخر بالكفر • وهكذا يتهمم الشيخ الغزالى الشيخ حامد بالكفر • ولكن ما العجب ؟ أليس كلا الرجلين سلفيين ، والتکفير – عند الشيخ – دأب السلفيين •

نحن مع فضيلة الشيخ في استئثاره للشطط الذى يطبع الحركة الفكرية لكثير من ينتمون إلى السلفية • كذلك لا نقر أن نعالج الشطط بشطط آخر يغلى ، ويقذف بالزبد •

سألت أودية بقدرها

وعقدة السلفية ظاهرة جديدة ما عهدناها قبلًا في فضيلة الشيخ  
فما السر ؟  
لعله تبجح بعض شباب السلفية ، وتجاوزهم حجمهم في حضرة  
الشيخ •

بل لعله المعاناة التي وجدها فضيلته في السعودية حمى السلفيين •  
أم تراه استغناه السلفيين بالتفويض عن مزاقي التأويل •  
وبالامساك عن مخاطر الأقاويل ؟ إن الله يقول : « فسألت أودية بقدرها »  
والآية توحى بأن القلوب تحمل حين تحمل بقدرها ، كما تسيل الأودية  
بقدرها فكل مهيأ لما خلق له • والرسول العظيم بين أن المسلمين بالنسبة  
إلى الهدى والعلم فرقاء : فريق أوتي – مع قوة الحفظ ، أو بغيرها – قوة  
الفقه ، والبصر بالتأويل • يفجرون من النصوص أنهمار العلوم •  
ويستبطون كنوز الحكمة • سئل على رضى الله عنه : هل خصمكم رسول الله

بشيء دون الناس ؟ فقال : لا والذى برأ النسمة ، الا فهما يؤتى به  
عبدا في كتابه .

وفريق غايته الحفظ والضبط ، وحسن الأداء ، وكلا الطائفتين حظيتا  
بتقدير في الحديث الصحيح المشهور « مثل ما بعثني الله به كمثل الغيث  
الكثير أصحاب أرضاً .. الخ . »

والفريق الذي يلتزم حدود الحفظ ، والأداء قد نظره جامداً آسناً ،  
أو آلياً ، أو ... ولكن الرسول الكريم حرص - لحكمة ، أو لحكم - على  
أن يدعو له بالنضارة التي تفضي غالباً إلى الازدهار ، والاثمار « نصر الله  
اماً سمع مقالتي فوعاها ، وأدعاها كما سمعها ، فرب حامل فقه غير فقيه ،  
ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه » .

وأبو هريرة حافظ الأمة على الاطلاق ، انصرفت همته إلى الحفظ  
والتبليغ فكان يؤدي ما سمعه كما سمعه .

وابن عباس حبر الأمة ، وترجمان القرآن ، والرجوع في كل تأويل .  
انصرفت همته إلى الاستقباط وتفجير النصوص . فمن حباء الله فقها ،  
وعمقاً ، وبعد نظر لا ينكر على من حباء الله حفظاً ، وضبطاً ، وسلامة  
أداء .

وتعاون الفريقين ( أهل الأثر وأهل النظر ) طريق كمال ، وعامل  
اتزان .

والشقاء كله عند القيعان التي لا تمسك ماء ، ولا تبت كلاماً .

كلنا سلفيون ، وأيضاً عصريون نحس - كما قال فضيلة الشيخ :  
بأننا مصابون من داخلنا وبأن هناك ازوراً عن تعاليم الإسلام . وبأن  
هناك سقوطاً في كل الميادين ، وبأننا ... وبأننا ... وبأننا ... ،  
والكاتب الكبير طالما دعا إلى التماس الأعذار للمسلمين في تفرقهم  
واوضاعهم المختلفة . فأين من هذا ما حمل الكتاب من هجوم مكثف ،  
لا مبرر له ( ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ... )

بخارى أحمد عبد

# نفحات القرآن

## بقلوب بخاري احمد عبد الله

بسم الله الرحمن الرحيم

فِي مَقَامِ الْاِشَادَةِ بِنَضْلِ الْكَلْمَةِ ، وَالْمَجَاهِدَةِ بِالْقُرْآنِ ، وَقَفَنَا طَوِيلًا  
مَعْ سُورَةِ سَبَأً ، بِاعتِبارِهَا قَاعِدَةُ اطْلَاقٍ ، وَمَرْكَزُ تَوجِيهٍ ، وَتَعْرِضُنَا يَوْمَئِذٍ  
لِمَرْسَلَاتِ الْقُرْآنِ ، وَقَذَائِفِهِ الْمُوجَهَةِ بِكَلْمَةِ « قُلْ » قَذَائِفُ لَوْ اسْتَعْدَنَا هَا  
لِأَحْسَنَنَا بِمَا أَفْرَغَ فِيهَا مِنْ قُوَىِ الْمَحَاجَةِ ، وَالْأَفْحَامِ ، وَالْمَدْعَعِ . وَلَأَيْقَنَّا  
أَنَّهَا لَا تَرَالَ — وَسْتَقْلَ — مَحْشُوَّةُ بِالْقُوَىِ ، حَافَلَةُ بِالْحَيَاةِ ، وَبِكُلِّ  
عَوَافِلِ التَّقْوِيمِ .

وَلِنَسْتَذَكِرْ — مَعًا — بَعْضَ تِلْكَ الْآيَاتِ ، وَالذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ : -

١ - ( وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ . قُلْ بِلَى ، وَرَبِّي  
لَتَأْتِنَّكُمْ عَالَمُ الْغَيْبِ ، لَا يَعْزِبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ ، وَلَا فِي  
الْأَرْضِ ، وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ ، وَلَا أَكْبَرُ ٠٠٠ ) .

٢ - ( قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ  
ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ ، وَلَا فِي الْأَرْضِ ، وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرِكٍ ، وَمَا لَهُ  
مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ، وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عَنْهُ ٠٠٠ ) .

٣ - ( قُلْ مَنْ يَرْزَقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ ، وَالْأَرْضِ ، قُلْ اللَّهُ ) .

٤ - ( قُلْ يَجْمِعُ بَيْنَنَا زِبْنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ ٠٠٠ . قُلْ أَرْوَنِي  
الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شَرِكَاءَ ٠٠٠ ) .

٥ - ( قُلْ لَكُمْ مَيْعَادٌ يَوْمًا لَا تَشْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً ، وَلَا  
تَسْتَقْدِمُونَ ) .

٦ - ( وقالوا نحن أكثر أموالا ، وأولادا ٠٠٠ قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ، ويقدر ٠٠ وما أموالكم ، ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى ٠٠٠ ) ٠

٧ - ( قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ٠ وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ، وهو خير الرازقين ) ٠

٨ - ( قل انما أعظمكم بواحدة ، أن تقوموا الله مثنى ، وفرادي ، ثم تتفكروا ٠٠٠ ) ٠

٩ - ( قل ان ربى يقذف بالحق عالم الغيوب ٠ قل جاء الحق وما يبديء الباطل ، وما يعيده ٠ قل ان ضلالت فانما أضل على نفسي ، وإن اهتديت فيما يوحى الى ربى ) ٠

كلها قدائق تخر بالقوى ، وتحضر المفتريات ، وتترهق المزاعم ، وتتحدى ، وتتهدد ، وتهزا ، وتتوعد ، وتروع ، وتغري ، وتحتكم الى الفكر المجرد عن الهوى ٠٠٠٠ ثم تعلن أن السيادة – أبدا – للحق ، وأن الكرامة والغلبة لأهل الحق طالما كانوا يأخذون ما آتاهم الله بقوه ، ويقذفون به بقوة ٠

والقرآن ينزل ما تقرر في علم الله أنه سيكون ، منزلة ما هو فعلان – كائن ٠ ويستعمل الماضي في أحداث لا تزال في أحشاء المستقبل ، احياء بالحتمية التي لا تحتمل الشك ، للدلالة على أن ذلك شيء قد تقرر ، ومنصى ٠

وكان قوله تعالى : – ( قل ان ربى يقذف بالحق ٠٠٠ قل جاء الحق ٠٠٠ من هذا القبيل ، فقد تحقق مضمون الآيات بعد سنوات ، ومثلثاً مثولاً في وقفة رسول الله على أهل القليب – قليب بدر – يدعوههم باسمائهم ، ويسألهم : ( هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ، فاني قد وجدت ما وعدني ربى حقا ) ٠

والزمن الذي بين نزول الآية وبين المضمون هو فترة التولى والانتظار اللذين أمر بهما رب العالمين في قوله : ( ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المسلمين . إنهم لهم المنصوروون ، وإن جندنا لهم الفالبون . فتول عنهم

حتى حين ٠ وأبصراهم فسوف ييصرؤن ٠ أفعىذابنا يستعجلون ٠ فإذا  
نزل بساحتهم فسأء صباح المنذرين ٠ وتول عنهم حتى حين ٠ وأبصرا  
فسوف ييصرؤن ) الصافات ١٧١ - ١٧٨ ٠

واعتبارا للمجازة التي بين آيات « الصافات » هذه ، وآيات  
« سباء » تلك ، وبين أحداث وقعة بدر ، رأى بعض المفسرين أن قول الله  
تعالى عقب آيات (قل ان ربى ٠٠٠) : - (ولو ترى اذ فزعوا ، فلا فوت ،  
وأخذوا من مكان قريب : وقالوا آمنا به ، وأنى لهم التناوش من مكان  
بعيد ، وقد كفروا به من قبل ، ويقذفون بالغيب من مكان بعيد ٠ وحيل  
بينهم ، وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل ، انهم كانوا في شك  
مريرب ) ٠

رأوا أن هذا قد يكون تصويرا لفزع الكافرين قاطبة عند الموت أو في  
القبور حيث لا فوت ، ولا منجي ، بل استسلام وتمسح بالليمان ،  
وتشدق بالندم اذ قذفوا جزاء ما افتروا ، وبغوا الى بيداء سحيقة ،  
موبة ٠

ويمكن أن يكون تصويرا مبكرا لأزمة المشركين في بدر : -

فزعوا حين ظنوا أنهم أحبط بهم ، وحين اختنقوا تحت ضغوط  
المسلمين تهاوا ، وطاف بهم في محنتهم ما طاف برأس فرعون عند  
الغرغرة ( حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت أنه لا الله الا الذي آمنت به  
بني اسرائيل ، وأنا من المسلمين ٠ آلان وقد عصيت قبل وكتت من  
المفسدين ) يوൺ ٩٠ - ٩١ ٠

أنى لهم ذلك وقد تغطروا ، وتطاولوا ، وبهتوا ، ورجموا  
بالغيب ٠

فالآيات - على هذا - من المبشرات التي يثبت الله بها الذين آمنوا ٠  
تنترع من المستقبل مشاهد حق نيرة لتكون نبراسا ، وعامل سكينة ،  
ومصدر أمل للمؤمنين ٠

وهي - على كل حال - تؤدى في جهاد النفوس دورها : -

تجاهد بالترهيب أنفسا شاردة ، ماردة ٠ وتأسو بالترغيب أنفسا  
تغالب أسباب الوهن ، والقنوط ، وتدافع أرياح الشيطان لتخلو القلوب  
لأرواح الملائكة ، وحينئذ يتربون بمثل ما كان يهتف به سفيان الثوري  
حين يسمع قول الله : - **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِرَحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ**  
**أَنْسَجَدَ لِمَا تَأْمُرُنَا ، وَزَادُهُمْ نُفُورًا ) (١)** ٠

### **والملائكة الأدنى**

استطرد بنا الحديث حتى أوشكنا أن نخرج من دائرة تأثير القرآن  
في الملائكة الأعلى ، ولكن أحاديث القرآن ذات شجون ، والأخذ بأطرافها  
مبارك ميمون ٠

وقد اختلف الحق كما تكون بردا وسلاما على قلوب ، تساقط حمما ،  
وشهاما على قلوب شياطين الانس ، والجن المعرضين عن التذكرة كأنهم  
حرير مستقرة ٠ فرت من قسوة ٠ ولا يزالون مدبرين حتى يلفهم  
الضباب ، وتحتويهم قواعق من ظلمات بعضها فوق بعض ٠ وصدق الله : -  
( **وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حَجَابًا**  
**مُسْتَوْرًا . وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكْنَةً أَنْ يَفْقُهُوهُ ، وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ، وَإِذَا**  
**ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا )** ٠

والذين لا يؤمنون بالآخرة هم : شياطين الجن ، والانس ٠ وكما أن  
معشر الانس ينفعلون بالقرآن انفعال اقبال ، أو اعراض ، كذلك معشر  
الجن ، **معشر الملائكة الأدنى** ٠

وتسمية مجتمع الملائكة بالملائكة الأعلى ، مأخوذة من قوله تعالى : -  
( **مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَائِكَةِ إِذْ يَخْتَصِّمُونَ ) (٢) ص ٦٩**

(١) كان يقول : الهى . زادنى لك خضوعا مازاد ادعائك نفورا .

(٢) قال القاشاني : وفرق بين اختصاص الملائكة الأعلى ، واختصاص أهل النار المذكور في : ( إن ذلك لحق تخاصم أهل النار ) سورة ص ٦٤ فهذا تخاصم حقيقي لا ينتهي إلى وفاق .

اما تخاصم الملائكة فعارض نشأ من عدم معرفتهم بكمال آدم عليه السلام  
وآل الى المعرفة ، والتسليم ( قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا )

فيل : هو اختصاص الملائكة ، وتقاولهم المشار اليه في الآية : –  
( واذ قال ربك للملائكة انى جاعل في الأرض خليفة ، قالوا ، أتجعل فيها  
من يفسد ) الآيات ٠٠٠ من

وقال ابن كثير : عنى به ما كان في شأن آدم ، وامتناع ابليس عن  
السجود ، ومحاجته ربه ٠ قال : وقوله تعالى بعد ذلك : – اذ قال ربك  
للملائكة انى خالق ٠٠٠ الخ ) الآيات ، تفسير للمخاصمة ٠

أما تسمية مجتمع الجن بـ « الملا الأدنى » فهى :

- ١ – على سبيل المقابلة لأن الملائكة ، والجن على طرفى نقىض ٠
- ٢ – ولأن كبارهم « ابليس » لعن ، ونبذ ، وحق عليه قرار  
الهبوط جراء أنوثيته ، وضرب عليه الصغار جراء استكباره : ( قال ما منعك  
ألا تسدج اذ أمرتك ، قال أنا خير منه ، خلقتني من نار ، وخلقته من

---

= (المخاصمة) استعملت على سبيل الاستعارة البنية على تشبيهه « المقاولة ،  
والحوار » بالمخاصمة بجامع السؤال والجواب في كل . والآية تتضمن – فيما  
تتضمن – نفي علم الغيب عنه صلى الله عليه وسلم . هذا وورد تخاصم  
الملا الأعلى ، في أمر مغایر لما تقدم . روى الترمذى في حديث حسن صحيح ،  
والأمام أحمد عن معاذ رضى الله عنه قال : احتبس علينا رسول الله صلى  
الله عليه وسلم ذات غداة عن صلاة الصبح حتى كدنا أن نتراءى قرن الشمس  
فخرج سريعا ، فثوب بالصلاوة ، فصلى وتتجوز في صلاته ، فلما سلم قال :  
كم أنت ، ثم أقبل علينا فقال : انى قمت من الليل فصليت ما قدر لي . فنعت  
في صلاتي حتى استيقظت ، فإذا أنا بربى عز وجل في احسن صورة فقال  
يا محمد . أتدركني فيم يختصم الملا الأعلى ؟ قات لا ادرى يارب – أعادها  
ثلاثا – فرأيه وضع كفه بين كتفى حتى وجدت برد أنا مله بين صدري .  
فتجلى لي كل شيء وعرفت ، فقال يامحمد . فيم يختصم الملا الأعلى . قلت  
في الكفارات . . قال : وما الكفارات ؟ قلت : نقل الأقدام الى الجماعات ،  
والجلوس في المسجد بعد الصلوات ، واسباب الوضوء عند الكريهات . قال .  
وما الدرجات ؟ قلت : اطعام الطعام ، ولين الكلام ، والصلاة بالليل والناس  
نائم . قال : سل . قلت اللهم انى أسألك فعل الخيرات ، وترك المكررات ،  
وان تغفر لي وترحمني ، واذا اردت فتنة بقوم ختوفنى غير مفتون . وأسألك  
حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربنى الى حبك . قال الرسول صلى الله عليه  
 وسلم : انها حق فادرسوها وتعلموها ) روى في البنن وبرواه الترمذى عن  
جهضم بن عبد الله – والحديث حديث منام ٠

طين ٠ قال فاذهب منها فما يكرون لك أن تتكبر فيها ، فاخترج إنك من المصاغرين ) الأعراف ١٣ -

( قال اخرج منها مذعوما ، مدحورا ٠٠٠ ) الأعراف ١٨

انفرد الرجيم بهذا القرار ، ثم شمله قرار مماثل آخر سلكه في جملة الهابطين ( قلنا اهبطوا منها جميعا ٠٠٠ ) البقرة ٤

هكذا تضاعف هبوطه فهو لا يزال يرجم ، ويُلعن ، ويُمْوَى ٠  
٣ - ولأنه حريص على أن يدل إلى ضحاياه حتى يوردهم الدرك الأسفل ( فدلاهم بغرور ٠٠٠ ) ٠  
ومن هنا يتبيّن أن الوصف ( الأدنى ) من الدناءة ، والفسقة ،  
لامن القرب ٠

### يا قومنا أجيبيـوا داعي الله

والقرآن الكريم بين لنا كيف جوهر الجن بالقرآن ، وكيف انفعلا به ، فانطلقا — مأخوذين — يلهجون بذلكـره ، ويشـيدون بروائـه ٠  
والقرآن أذ يوحـي بمثل هذه الحقائق ، يـريـد — فيـمـا يـريـد — توبـيـخ البشرية المنصرفة عن المهدـى ، برغم ما بينـهـم ، وبين رـسـولـهـىـ من مجـانـسـة ، وقربـى — بـحـكمـ كـونـهـ صـثـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ «ـمـنـهـمـ» «ـمـنـأـنـهـمـ» — فـيـ الـوقـتـ الذـىـ تـأـثـرـتـ فـيـهـ الجنـ ، وـطـعـمـتـ منـ حـلـوةـ القرآنـ برـغـمـ المـبـاـيـنـ ، وـالـتـبـاعـدـ الـعـرـقـىـ ، وـالـجـبـلـىـ ٠

وانفعـالـ المـلـأـ الأـدـنـىـ تـتـجـلـىـ أـبـعـادـهـ ، وـتـتـجـاـوبـ أـصـدـاؤـهـ فـيـ سورـتـيـنـ كـرـيمـتـيـنـ : ـ

١ - في سورة الأحقاف قال المولى جل ، وعلا : ( واذ صرنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا ، فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين . قالوا يا قومناانا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى ، مصدق لـا بين يديه ، يهدى إلى الحق ، وإلى طريق مستقيم . يا قومنا

أجيبوا داعي الله ، وآمنوا به ، يغفر لكم من ذنوبكم ، ويجركم من عذاب أليم . ومن لا يحب داعي الله فليس بمعجز في الأرض ، وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين ) ٣١ - ٢٩

والرسول صلى الله عليه وسلم منذ أمر أن يهجر الدعوة ، ويطرح عنه الدثار ، ويترفغ للتبرير ، والانذار ويذري بالصبر الجميل ، علم صلى الله عليه وسلم أن مركز التقلل في دعوته يمثل في أنها دعوة غير محدودة بزمان ، أو مكان ، أو جنس من البرية ، دون جنس . في أنها دعوة تنتظم القريب والبعيد ، والأحمر والأبيض ، والأسود .

وهذه الشمولية التي ميزت دعوة محمد صلى الله عليه وسلم ، نفهمها مما رواه مسلم عن جابر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم اذ قال : - ( أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى . كان كلنبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى كل أحمر ، وأسود ، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى ، وجعلت لى الأرض طيبة ظهورا ومسجدًا ، فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان ، ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر ، وأعطيت الشفاعة ) وفي رواية لأبي هريرة : - وبعثت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون .

واتصال النبي صلى الله عليه وسلم بمن يشاكله من البشر أمر ميسور : يدعوهـم ، حتى اذا احتشدوا حولهـ بلـغ ، فأوضـع . وأعلن أنهـ نذير لهمـ بين يـديـ عـذـابـ شـدـيدـ .

اما مباشرة الدعوة في اوساط غير بشرية فأمر عسير . والمولى جل وعلا ، الذى حشر لسليمان جنوده من الجن ، والانس ، والطير ، ٠٠٠ ذلك لحمد صلى الله عليه وسلم العقبات ، وحشر له ما حشر من جنود السموات والأرض ، وصرف اليـهـ نـفـراـ منـ الجنـ يـسـتـمـعـونـ القرآنـ .

المتدبر للقرآن يقف مفكرا أمام جملة « يستمعون القرآن » . ويتسائل : لماذا لم تستعمل « هنا » الأدوات التي تقيد التعليل ؟ لماذا لم يقول القرآن « ليستمعوا القرآن » أو « كى يستمعوا القرآن » أو

« حتى يستمعوا القرآن » ؟ ما سر العدول إلى صيغة « يستمعون » وهي جملة وقعت صفة لكلمة « نفرا » ؟

المظن أن ذلك للإيحاء بأن النفر الذين اختيروا لهذه المهمة كانوا يتميزون بكماءات لا تتوفّر في غيرهم . يحسّنون الاستماع ، ويدركون المضامين ، ويقطّعون إلى الأبعاد ، ويذوقون العلوا ، ويؤمنون بالعجز ، ويؤتمنون على غيرهم ، ينطّوون على مفاعلات الخير .

كانوا يتمتعون بحسن رهيف ، ومشاعر رفيعة تتفعل مع جاذبية القرآن فور استماعهم للقرآن .

والتأثير الفوري أفضى إلى تجاوب فوري يتضح من استعمال « الفاء » التي تقيد الترتيب ، والتعليق « فلما حضروه ٠٠ » ( فلما قضى ولوا ٠٠ ) « ٠٠٠ استمع نفر من الجن ، فقالوا ٠٠٠ ٠٠ فآمنا به ٠٠ ) وشدة حرصهم تتجلى في تناديهم « أنصتوا (١) » فور دخولهم في نطاق جاذبية القرآن .

وخلفيتهم العلمية اليمانية تتجلى في ادراكهم الرابطة التي بين محمد ، وموسى عليهما الصلاة ، والسلام وفي فقههم للمشكلة التي بين التوراة ، والقرآن (٢) .

وفظّتهم تتجلى في احاطتهم بالأبعاد ، ونفاذهم إلى العواقب « يهدى إلى الحق ، وإلى طريق مستقيم » .

وامتلاؤهم بالخير يتجلّى في سرعة تذكرهم لمن وراءهم حتى يعم الخير ، وتقرّ أعين الجميع .

وحكمتهم في الدعوة تتجلى في اعتمادهم على أسلوبي الترهيب ، والترهيب ( ياقومنا أجيروا داعي الله ، وأمنوا به ، يغفر لكم من ذنوبكم ، ويجركم من عذاب أليم . ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في

(١) والجملة تدل « أيضاً » على قوة اسر القرآن ، وشدة جاذبيته .

(٢) ذلك قوله سبحانه : « قالوا ياقومنا أنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى ، محدثا لما بين يديه يهدى إلى الحق . وإلى طريق مستقيم ، »

الأرض . وليس له من دونه أولياء ، أولئك في ضلال مبين ) .  
انهم اذن نفر متميز . يستقبلون بدقة ، وكفاءة عاليتين ، ويرسلون  
بحكمة ، وبصيرة بالغتين .

وظني أن نفرا من هذا القبيل . يشدون — هكذا — من أول وهلة  
إلى القرآن ويتفاعلون مع آياته هذا التفاعل العجيب ، لا يمكن أن يصبروا  
عنه مكتفين بلقاء يتيم بل لابد أن يدنو بهم الشوق إلى الحياض ، وأن  
يحدوهم الحنين — مرة ومرة — إلى أرواح الرياض . هم اذن — كما  
يرى كثير من فقهائنا — عاودوا الاستماع ، وجددوا اللقاء حتى أحسوا  
بالرُّى يسرى في أوصالهم . ولعل عبارة « فلما قضى ٠٠٠ » معناها  
« بعد أن ارتووا » .

والسرد القرآني لقصة الجن يشتم منه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
لم يعلم بأمر الجن المروفيين إليه ، والحق أنه صلى الله عليه وسلم لم  
يشعر بهم أولا ، ولكنهم توافدوا إليه بعد ذلك أرسالا . روى الحافظ  
البيهقي عن جابر قال : (قرأ رسول الله سورة « الرحمن » حتى ختمها  
ثم قال : مائى أراكم سكوتا ؟ للجن كانوا أحسن منكم ردا ، ما قرأت من  
مرة عليهم هذه الآية : « فبأى آلاء ربكم تذذبان » الا قالوا : ولا بشيء  
من آلاتك ، أو نعمك ربنا نكذب ، فلك الحمد ) رواه الترمذى وغربه .

وراية مسلم عن علامة تفید — أيضا — علم الرسول بأمر الجن .  
قال علامة : هل شهد أحد منكم مع رسول الله ليلة الجن ؟ قالوا : لا . ولكننا  
كنا مع رسول الله ذات ليلة ، ففقدناه ، فالتمسناه في الأودية ، والشعاب  
فقيل : استطير ، اغتيل . قال : فبتنا بشر ليلة بات بها قوم . فلما  
أصبحنا اذا هو جاء من قبل حراء . قال فقلنا يا رسول الله فقدناك ،  
فطلبناك ، فلم نجدك ، فبتنا بشر ليلة بات بها قوم . فقال : أتنى داعي  
الجن ، فذهبت معهم ، فقرأت عليهم القرآن ، قال : فانطلق بنا فأرانا  
آثارهم .

والقول : أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يشعر بهم أولا .  
ويؤيد هذا ما رواه البخاري عن ابن عباس — وروى نحوه أحمد ،

والترمذى ، والنسائى — قال : — انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه عامدين الى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء • وأرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين فقالوا : — ما نكم ؟ قالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأرسلت علينا الشهب ، قال : ما حال بينكم ، وبين خبر السماء الا حادث ، فاضربوا مشارق الأرض وغاربها ، فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث • فانطلقوا ، فاضربوا مشارق الأرض وغاربها ، ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء • قال : فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة فرأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم « بنخلة » وهو عائد الى سوق عكاظ وهو يصلى بآصحابه صلاة الفجر • فلما سمعوا القرآن تسمعوا له ، فقالوا : هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء — فهناك رجعوا الى قومهم فقالوا : يا قومنا انا سمعنا قرآنًا عجبا — وأنزل الله : « قل أوحى » رواه البخاري ، ومسلم •

والآيات كما تفيد أن رسول الله لم يعلم بهم — أولا — تشي — كذلك — بأنهم آمنوا فور سماع القرآن ، وربما كان هذا لأن عندهم علما من الكتب الأولى ، أو لأنهم استطعموا حلاوة القرآن ، وغنمواحقيقة الاعجاز ، فوقع لهم العلم بصدق الرسول وساعد على هذا استعدادهم العالى ، ومستواهم المتميز ، وروحهم القيادية السامية •

وتقديرا لكتفاءاتهم المتنوعة ارتضاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم ، وفق ما روى ابن جرير عن ابن عباس •

هكذا جاهد رسول الله بالقرآن المشرعين ، وهكذا احتوت الجن أقطار الجاذبية القرآنية فتأثروا ، ولأنوا وانصاعوا ، برغم ، ما جبلوا عليه من تمرد ، وفسق ، موروثين •

بخاري أحمد عبده

# نفحات في آداب

## بقلوب بمحارب أحرى عجيبة

« قد أفلح من قرگى \* »

### تذاكر و تبرير

رغم احساسى بتبريم أقوام ، وبتساؤل أقوام ، واستنكار آخرين  
مضيت صابرا في حديثي الطويل عن الزمان ، والمكان ، والكون ،  
والكائنات . وأسبحت في الحديث عن الانسان ، وتاثره بالأجناء ،  
وتفاعله المهيب مع الظروف التي تحتويه .

تلك الظروف التي تحتم عليه أن يكون ممنا كالخامة من الزرع ،

(\*) المقال امتداد لسلسلة مقالات شهر رمضان . والأية التي صدرنا بها المقال ، توحى بالانتقال إلى فرعية جديدة من فرعيات الصيام هي « زكاة الفطر » والأية ليست نصا في صدقة الفطر ، وإن يختلف علماؤنا في أنها — بالدرجة الأولى — حد على التطهير من ذنس الشرك ، والاعتصام ..  
والاعتصام يعروء التوحيد الوشقى : روى البزار عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من تركني « من شهد إلا الله إلا الله ، وخلع الأنداد ، وشهد أنى رسول الله » هي أذن تعنى التشهير من كل رجس طهارة تزيد الإيمان وتحلّ البركة . وصدرنا المقال بالأية — ونحن بصدّ معالجة مشاكل صدقة الفطر — لما ورد من أنها نزلت في زكاة الفطر ، وإن المعنى خرج فصلى بعدما أدى زكاة الفطر . ولما أثر عن كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أخرج زكاة الفطر . وسورة الأعلى مكية نزلت قبل العيد ، وقبل صدقة الفطر ، ولكن لا مانع من أن تكون الآية إشارة مبكرة وتهييداً لما سيكون من أمر صدقة الفطر ، وفي هذا تلميح لعظم شأن هذه الزكاة . ولذا كان أهل المدينة يرونها أهم أنواع الزكاة . وصدقة الفطر لم تذكر صراحة في القرآن ، ولكن الفقهاء اشتمنوا رائحتها في آياتنا هذه ، وفي آية البقرة ( واقيموا الصلاة وآتوا الزكوة وركعوا مع الراكعين ) .

أن يتعامل مع المظروف بأسلوب يوفر له الانسجام ، والتلائم ، والملازمة  
بين الحقائق الثابتة ، ومطالب المظروف

وانتهيت إلى أن رؤية الإنسان تتكيّف — بدرجة كبيرة — مما يكتنفه  
ومما يطأ عليه ٠ وهو — بوضعه هذا — ربما استغرب رؤية السابقين ،  
 وأنكر فكرهم ، ورفض أن يتخذ مذاهب السابقين دينا ، وأسفارهم  
دستير ٠

وحملت — يومئذ — على أقوام يعيشون على هامش الزمان ، والمكان  
كتلاً جامدة ، دون أن ييلوا الواقع ، ودون أن يضيّفوا من ثقلهم على  
موقع الأولين كى تعلو ، وتربو ، ومن معارفهم على تراث الأجداد كى  
تصهر ، وتصاغ من جديد صياغة تتفق والصياغة الذهنية المسبوكة في  
قوالب العصر دون أن يصلوا الماضي بالحاضر ، من غير بغي ،  
ولا عداون ٠

وذكرت أن الفقه الوعي للحياة في كنف الدين ، وللدين في كف  
الحياة ، هي السياسة الشرعية ، الحصينة الرفيقة ، وهي السلفية ،  
بل والربانية التي تحنى فهم روح الدين القائم على البيسر، ووعي مشاكل  
التطبيق المحتاجة إلى الحكمة ٠

وعلمنا أن الإسلام دين رحب المدى ، واسع الأرجاء ، ملء آفاقه  
الحيوية والحركة المهدفة المحسوبة ٠ فهو — لهذا — يرفض الجمود  
ويلفظ الجامدين المشتملين اشتغال الصماء بمعلوماتهم الراكدة ٠  
ومقاساة هذا الدين من الجامد الملتئ في أسمائه ، كمقاساته — من  
الجاد المربي الذي يعرض أعراض حمر مستقرة فرت من قسوة ٠  
والتقليد الأعمى وليدجمود ، وبورث مزيدا من جمود ٠ فهو —  
كأصله مرفوض مذموم ٠

والتجديد الأربعن وليدجمود ، فهو — كأصله — مدحور مذعوم ٠  
أما التجديد في إطار الأصول النهينية ، وعلى ضوء النصوص القطعية ،  
 فهو حركة فكر ، ورؤية ثانية عميقة ، واجتهاد مشروع

والمولى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها • والتجدد يعني استثمار معارف العصر في كشف الخفايا ، وقنص الشوارد ، ويعني العرض الجذاب المتماشي مع أوضاع عصر آيته الكبرى روعة العرض والاعلام الآسر ، ويعني الصيانة ، والتقيية من التشوائب التي ت تعرض ، والبدع التي تعكر الصفو ، وتمسح الواجهة ، وتهدد الأعمق •

والفهم العصري ، والعرض الحكيم ، والصيانة الوعائية ٠٠ كلها عوامل تكفل اليسر ، واليسير طابع الاسلام •

والفهم العصري ، والعرض الحكيم ، والصيانة الوعائية ٠٠ كلها والمؤنى جل وعلا يريد بهذا الضعيف اليسر ، ولا يريد به العسر • فهو — سبحانه — رفيق يحب الرفق ، ويحب من عباده أن يوغلوا برفق • والتبتل الجديد الذي طوى بعض الناس في أكفان خلقه ، يعكس الكآبة ، ويورث الارهاق العسير •

والمشادة الشرسة التي تعرّب في بعض الأوساط بيراً منها الاسلام ، لأن الاسلام قوامه التطابع ، والوفاق ٠٠ لا التناحر والشقاق ، اذ فيما العسر كله • وما صفتان تشيان بالمرتبة النفسية ، وتهددان بدمار وشيك لا ننتبه الى نذرها — من وطأة العسر ، وشدة الظلم •

ان التيسير مبدأ يوفر المناخ الصحى الذى يطلق الطاقات • أما التعسir فتعتيم مر Herc ، ووأد للمعنويات • والرسول صلى الله عليه وسلم ما خير بين أمرتين الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما •

نعم أطلت الوقوف أمام الظاهرة المرضية المتمثلة في اغفال الظروف ، وأثر الظروف في تشكيل الناس ، وتكيف الدعاة ، وتحديد الأساليب ، لأنى رأيت الاسلام فضاء مهيبا يعج بأضواء تخوض غمار بحر الزمان الالجي • والقدرة على استخلاص نفحات الفضاء الاسلامى من بين الأعاصير ، والزوابع ، والأنواء قدرة لا يوفرها غير الاسلام بروحه الفينانة المزدهرة — وهى قدرة تعقد عليها الآمال •

وأؤكد أننى يوم أفضت فى حديث الظروف ، واستقصيت **لِم** أكن  
أشطح ، أو أهوم أو أستعرض . وإنما كنت أؤسس ، وأمهد لقضية  
رمضانية تتجدد ، وتتأجج كما انفرجت أسارير الزمان عن رمضان ،  
وكلما أسلمنا رمضان إلى العيد وذكرة الفطر . فرأيت قبل عرض  
القضية **أن** : -

- ١ - أحذر من زينة الحكمة .
- ٢ - ومن الرهبانية الجديدة التى تقطعنَا عن العصر ، وتعجزنا  
عن التكيف ، والنفاذ إلى روح الإسلام .
- ٣ - وأدعوا إلى منهج يقوم على فهم الحياة ووعى المشاكل ،  
والادرار السليم لمعطيات النصوص ، ودللات المواقف ، ورؤى  
الفقهاء ، ادراكا يوجد الانسجام ، ويوفر التوافق .

### **فذلـة أصـولـية**

عظمة الإسلام تبدو في وسطيته التي تأبى خطئي الافراط ،  
والتفريط .

وشرعيته القائمة على التوسط ، والاعتدال ، شريعة بصيرة تتسم  
بالمرونة التي تورث سعة بتليق بالشمولية التي تميز الإسلام . وقيام  
الإسلام على هذه المعانى هو سر انتشاره ، وظهوره .

واعتدال شريعتنا الغراء يؤدى إلى ١ - اكمال الشخصية  
الدينية ٢ - تكريم العقلية الإنسانية ٣ - مراعاة القصور  
البشرى ، فالبشرية لم تؤت من العلم إلا قليلاً .

ومن الاعتدال أن الإسلام (أ) لم يلغ شخصية المسلم تماماً ،  
ولم يقيده بتشريعات في كل صغيرة ، وكبيرة .

(ب) كذلك لم يترك للناس الحبل على الغارب كى يجمحوا ،  
ويشطحوا ، بلا ضوابط تعقلهم ، وبلا معلم ينتهون إليها .

ولكن الإسلام راعى القصور البشري فشرع للناس ، وراعى  
الطموح البشري فهو ضيق .

شرع ١ - فيما لا تدركه العقول - كالعبادات - ٢ - وفيما لا تختلف فيه المصلحة باختلاف الأزمنة والأمكنة ، والأشخاص - كالمواريث وأصول المعاملات - من بيع وشراء وربا ٠٠٠ الخ .  
وفوض الناس كى يجتهدوا فيشرعوا لأنفسهم فيما تدركه العقول،  
وفيما تختلف فيه المصلحة باختلاف الظروف .

والنص ، والتقويض - على هذا النحو فيما - فوق ما مضى - رحمة بالناس وتربيّة ، وتحريك للمواعب ، وشحذ للعقول كى تتبع بتدبر ما يطأ عنى هذا العالم من تطور ، وتغيير مستمرٍ .

### روح التشريع

والاسلام - اذ يفوض للناس كى يشرعوا فيما أتيح لهم -  
يحتم عليهم أن يلتزموا بروح التشريع .

وروح التشريع تستمد ١ - من الأصول الاعتقادية - كالتوحيد  
الخلص من الشوائب ، السالم من الشروخ ، والثغرات ، وكسائر أركان  
الاسلام ٢ - ومن الأصول التشريعية كدرء المفاسد ، وجلب المصالح  
« لا ضرر ، ولا ضرار » ٣ - وعد الفقهاء في الأصول التشريعية :  
مراجعة الزمان والمكان ، ورأوا أن حسن مراجعة هذا الأصل هو الذي يمنحك  
الاسلام الهيمنة ، ويعطيه القدرة على المواجهة الوعائية لشئون الأحداث التي  
تختلف على العالم ٤ - وعدوا فيها الآداب الاسلامية التي تشكل  
خلق المسلم ، وترتبطه بالمكان .

واعمالا لأصل مراجعة الزمان والمكان ، ففتح الاسلام بباب الاجتهاد  
عربيضا حتى يوائم المسلمون به بين حقائق الدين ، وبين ما يوجد من  
تطور حضاري ، أو تقدم علمي ، أو تغير اجتماعي .

### حقيقة الاجتهد

الاسلام باعتباره دينا عاما شاملا يصنع لأمم تختلف اختلافا كبيرا  
في البنية ، والبيئة ، والأمزجة ، والثقافة ، والحضارة ، والذكاء ٠٠٠ الخ

والاسلام الذى وسع العالم المترامي الأطراف ، واستوعب الأوضاع المتباينة ، أحاط بمتطلبات العالمين بالتشريع لهم ، وبالتفويض اليهم .

وبذلك انحصرت مصادر التشريع في : الكتاب ، ثم السنة ، ثم رأى الخبراء أهل الذكر .

واعمال الفكر المجتهد يتأنى ١ - فيما لم يرد فيه نص ٢ - أو في تفهم نص حمال أوجه ٣ - أو في تقدير ، وعلاج المشكلات التي تتعرض التطبيق .

والاجتهاد الذى خص به الاسلام حق للمسلمين مكتسب بمقتضى قول الله ( ولو ردوه الى الرسول والى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستبطونه منهم ) النساء ٨٣

وقوله الله : - ( يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول ، وأولى الأمر منكم ، فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ) النساء ٥٩ - وعموم قول الله ( فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ) .

وقد يتذرع ، أو يتعرسر اجتماع أولى الأمر . وحينئذ يرخص للفرد أن يجتهد أخذًا مما أثر عن معاذ رضي الله عنه أنه قال حين سئل : بم تحكم ان لم تجد الأمر في كتاب الله ، ولا في سنة رسوله ( اجتهدرأيي ولا آلو ) .

والاجتهاد - وان كان يستوحى روح التشريع - لا يخلو من صبغة شخصية ، أو زمنية أو محلية . ومن أجل هذا قالوا : ان اجتهاد فقهاء زمان ، قد لا يتنقق وأوضاع زمان آخر .

ان الاجتهاد مظهر من مظاهر حيوية الاسلام ، وآية من آيات اهتمامه بحرية الفكر والاجتهاد - بوسائله - ماض الى يوم الدين ، لا يغلق بابه ، ولا يوقف مده .

وقيام الاجتهاد : النظر في قضية على ١ - أضواء روح

التشريع ٢ - أو على هدى القواعد العامة التي تحرم الفرر ، والضرار ، وتحبذ الرفق ، واليسير ، وتحث على تحري ما ينفع الناس ٣ - أو على ضوء معطيات اللغة ، ودلالات الألفاظ التي تتعدد حولها الرؤى ٠ والرأي الذي يتولد من الاجتهاد الدائر في نطاق هذه المعامل حرى أن يسلم من أعراض الهوى ومن الحاج الرغبات ، والاتجاهات الفكرية المختلفة ، كما يتتيح للمسلمين حرية الفكر كى يلاحقوا شئون الحياة المتتجدة ، ويستثمروا معارف العصر ، وكى يقدروا - بما اكتسبوا من علوم - ماورثوا من ذخائر ٠

### مثال مبين

وقف الفقهاء أمام آية الطهارة : - ( يأيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة ، فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق ، وامسحوا برعوسكم ، وأرجلكم الى الكعبين ، وان كتم جنبا فاطهروا ، وان كنتم مرضى أو على سفر ، أو جاء أحد منكم من الغائط ، أو لامستم النساء . فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا ، فامسحوا بوجوهكم ، وأيديكم منه ، ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ، ولكن يريد ليطهركم وليتهم نعمته عليكم ، لعلكم تشكرون ) المائدة ٦

وبحر الآية عميق ، واسمع ٠ ولكن يهمنى : ١ - أن أنبه - بالدرجة الأولى - الى جملة «ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج» فهى أذان رباني يرتفع ليعود سماء تتظل ، وشعارا يهدى ٢ - وأن أشير بايجاز الى نتاج وقفات الفقهاء المتأنية تجاه الآية الكريمة : -

و واضح أن أركان الوضوء - برغم ذكرها في القرآن - اختلت رؤية العلماء لها ٠

١ - رأى بعضهم أن الباء في - برعوسكم - للتبعيض ٠ وحينئذ يكتفى بمسح بعض الرأس كما في صحيح مسلم من أن النبي ﷺ أدخل يده من تحت العمامة فمسح مقدم رأسه ولم ينقض العمامة ٠

ورأى آخرون أن الباء تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق فكأنه

قيل : والصقوا المسح برعوسكم فيكون الواجب مطلق المسح - كلاماً أو بعضاً - واستدلوا بما ورد في الصحيح من أن النبي صلى الله عليه وسلم مسح رأسه بيديه فأقبل بهما ، وأدبر ، بادئاً بقدم رأسه حتى ذهب بهما إلى قفاه ثم رددهما إلى المكان الذي بدأ منه .

ورأى غيرهم حتمية المسح على كل أثرأس . قال ابن القيم : لم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث واحد ، أنه اقتصر على بعض رأسه البتة . ولكن كان إذا مسح بناصيته كمل على العمامة . وتأول ابن القيم ما رواه أبو داود عن أنس رضي عنه (١) .

٢ - وعطف بعضهم الأرجل على الوجوه ، وعطفها بعضهم على الرءوس . ولذا تشعبت المذاهب في طهارة الرجلين فمن قائل أن طهارتهما الغسل ، ومن قائل أنها المسح ومن قائل بالتخbir .

٣ - ووقفوا أمام « إلى » الجارة (للمرافق) والتي تفيء الغاية ، فمن قائل ان المرافق داخلة ولا بد أن تغسل ، ومن قائل أنها خارجة فلا يتحتم غسلها .

٤ - واختلفوا في الأذنين : هل من الرأس ؟ وحينئذ يسرى عليهم حكم المسح . أم من الوجه فينبغي غسلهما ؟ وهل يجب الانتهاء بالمرافق أم يجوز أن تعكس ؟ . الخ .

وتعدد الاحتمالات - كما رأينا - دليل واضح على أن الإسلام

---

(١) من أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ وعليه عمامة فطرية ، فادخل يده من تحت العمامة فمسح مقدم رأسه ولم ينقض العمامة . قال ابن القيم إن المقصود عدم نقض العمامة ، ومنطق الحديث لا ينفي التكميل على العمامة ، هذا وقد روى مسلم عن المغيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه مسح بناصيته وعلى العمامة وعلى خفيه .

يرعى حين يشرع عدم ارهاق أتباعه بتقييدهم بحكم معين يتحقق القصد منه على احتمال ذهب اليه الفقيه تبعاً لما أتيح له من قرائن ، وأدلة (١) .

## بداية النهاية (٢)

الدولة المسلمة ترتفع على دعامتى الأمانة ، والعدل « ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » ومن الأمانة الحرص على إيصال المفاسع التي تتضمنها الأعين ، فلو تصدقت بعين لا يرجى منها نفع فما تصدقت . والزكاة حق الفقير . وهو حق عيني . والأعين التي تعلقت بها الزكاة ينبغي أن تكون في حالة جيدة يمكن الانتفاع بها . والعين المبذولة ان فقدت في زمان من الأزمة أو مكان من الأمكنة – صلاحية الانتفاع فليس من الأمانة ولا من العدل أن نبتلى بها الفقير وحينئذ يرد الأمر الى أولى الأمر ليحددوها بديلاً عن السلعة التي أصبحت غير ذات موضوع وأولو الأمر ليسوا هم الحكم والأمراء . ولكنهم أهل الحل ، والعقد من الخبراء المتخصصين في المجالات المختصة نلتجيء اليهم ليروا رأيهم فيما فقد اعتباره من الأشياء التي لم تتغير لذاتها – كالاقط وغيره بالنسبة لنا – وحق الاسقاط ، والتبدل المكتوب لأولى الأمر مستوحى من قضية اسقاط المؤلفة قلوبهم من مصارف الزكاة ، من حين فقدوا اعتبارهم .

مبادىء يجب أن نتذكرها لنوعى على ضوئها ما سيجيء به العدد  
القادم ان شاء الله .

بخارى أحمد عبده

- 
- (١) والأثار التي وردت موهمة انحصر صدقة الفطر في الانواع المحددة التي ذكرت تتحمل وجهات نظر كثيرة كما سترى . وابتلاء الفقير بها ظناً منها أنها اختيار لخاصية فيها ، وقصدت لذواتها حرمان للفقير ، وتغريبه في الأمانة ، وتعطيل لشرعية الاجتهد ، وجحود غير محمود .
  - (٢) أقدم هذه الفقرة بين يدي « بيت التصعيد » المستهدف من كل ما سبق من لف ، ونشر وتلميح ، وتصريح ، وتدنئة حول الزمان والمكان .

# نفحات القرآن

## بقلوب بخاري أحمد دعبيده

بسم الله الرحمن الرحيم

« وما أبرىء نفسي ، ان النفس لأمارة بالسوء ٠٠٠ »

### المائمة سريعة

آية — في سورة يوسف — تبين ديدن الأنفس ، وتقرب مبدأ  
نقد الذات ٠

\* وسورة يوسف بما تبث من اشارات ، وترسل من هدایات ،  
وتكشف من معادن ، وتوصل من حقائق ، كوكب دری في الكون  
القرآنی ، يسلط الأضواء على مشاهد فيها عبرة لمن اعتبر ،  
عبرة تورث القدرة على استيعاب المشاهد ، والنفاد من المشهود  
إلى ما ليس بمشهود ٠

فالسورة مكية في جملتها ، أو برأمتها — على أرجح الأقوال  
في ظني — نزلت تأسو آثار الفترة القلقة ، الموحشة ، التي  
استطالت فملاة أبعاد عام الحزن ، وامتدت حتى طوتها  
بيعتا العقبة فاستبان الفرج ، ووضحت المخرج ٠ فكأن السورة —  
وهي تعمر جنبات هذه الفترة الحرجة — نزلت منحة لتجلو  
محنة ، لتحكى محنۃ الايمان ، ومتاعب المؤمنين ٠

\* نزلت تعبي الطاقات ، وتتفتح في الأرواح ، وتهون ، وتسرى عن  
محمد صلى الله عليه وسلم وصحابه ٠ والا فلأين محنتهم من  
محنة الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب ؟

وأين هم من محن الكيد والغدر ، والتزويع ، والجب ، والرق  
والاغراء بالفاحشة ، والسجن ، والغربة ، ثم فتنة الملك ،  
والرخاء بعد الحرمان ؟

\* ان الذى قدر على تفريج كروب يوسف عليه السلام ، ورفعه  
إلى القمة بعد الحضيض هو ولی محمد ، وصحابه ، بيده  
الميزان يرفع ويخفض ، ويدافع عن المؤمنين ، ويعز الأصفياء  
الثابتين .

\* وحينئذ يذكرون ، ويشكرون ، ويسألون ، ويقفون — متذربرين  
— ازاء آيات في يوسف توجز القصة ، وتصور العاقبة ، وتعلن  
انتصار المؤمن الذي يخلص قلبه لله ، محسنا ، مستمسكا  
بالعروة الوثقى ، منخلعا تماما من رقة المنصب ، ولمئات  
الشيطان صابرا في الضراء ، شاكرا في السراء : ( فلما دخلوا  
على يوسف آوى اليه أبويه ، وقال ادخلوا مصر ان شاء الله  
آمنين . ورفع أبويه على العرش ، وخرعوا له سجدا ، وقال يا  
أبىت هذا تأويلي رؤيائى من قبل ، قد جعلها ربى حقا ،  
وقد أحسن بى اذ أخرجنى من السجن ، وجاء بكم من البدو  
من بعد أن نزع الشيطان بيئى وبين اخوتى ، ان ربى لطيف لما  
يشاء ، انه هو العليم الحكيم . رب قد آتتني من الملك ،  
وعلمته من تأويل الأحاديث ، فاطر السموات ، والأرض ، أنت  
ولىي في الدنيا ، والآخرة ، توفى مسلما ، وألحقتى بالصالحين )

يوسف ٩٩ - ١٠١ .

### ما كنت بداعا من الرسول

\* ان السورة وهى تصور أطباقا من المحن تداعت على فرد واحد  
— لما يبلغ أشدده ، ولما يستوي — فكانت عقدة لا حل لها  
في حساب البشر ، ثم انفرجت حلقاتها عن « حل » لا يخطر  
على بال البشر . انما تثيرى روافد اليقين فى قلوب المؤمنين ،

وتربىهم على أن يرتفعوا فوق المحن ، ويعلوا بأنفسهم عن جاذبية الأرض ، وصبغة الطين التي تدنس غير المؤمنين : ( ان الانسان خلق هلوعا ، اذا مسه الشر جزوا ، واذا مسه الخير منوا ، الا المصلين ) المارج ١٩ - ٢٢

\* ( لا يسلم الانسان من دعاء الخير ، وان مسه الشر ، فيئوس ، قنوط ، ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسنه ، ليقولن هذا لى ، وما أظن الساعة قائمة ، ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى ، فلننبئ الذين كفروا بما عملوا ، ولنذيقنهم من عذاب غليظ ، واذا أنعمنا على الانسان أعرض ، ونؤى بجانبه ، واذا مسه الشر فذو دعاء عريض ) فصلت ٤٩ - ٥١

\* ( فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا ، ان عليك الا البلاغ ، وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة فرح بها ، وان تصببهم سيئة بما قدمت أيديهم ، فان الانسان كفور ) الشورى ٤٨

\* ( ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليئوس كفور ) ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسنه ليقولن ذهب السيئات عنى ، انه لفرح فخور ) الا الذين صبروا ، وعملوا الصالحات ، أولئك لهم مغفرة ، وأجر كبير ) هود ٩ - ١١

\* هذه الآيات ، وأمثالها تبرز الانسان قرما ، غشوما ، طباشير اللب

\* والمولى بالقصص الهدافة ذات العبر يقف الأسفار على مدارج الایمان ثم يواليهم بال التربية ، ويشملهم بالمعية حتى يبلغوا أشدتهم ، ويستووا في سكينة لا يشوبها ضيق ، ولا يصاحبها توتر ) وتأكيدا لهذا المعنى جاء عقيب آيات هود تلك ، قوله سبحانه : ( فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك ، وخفائق به صدرك ، أن يقولوا لولا أنتزل عليه كنز ، أو جاء معه

ملك ، انما أنت نذير والله على كل شيء وكييل ) ١٣ هود

\* فالسورة بأحداثها كأنها تقول لرسول الله « ما كنتم بدعوا من الرسل » الا أن هذا المفهوم صدى كل المواقف التي وردت تحكى المواجهة بين الرسل وأقوامهم ، والفرق أن القصة « في يوسف » قصة ممتدة فيها الاثارة ، والتثبيق ، والحكمة ، والعقدة ، والحل ، وفيها الحركة الصادرة عن شخصيات رئيسية ، وجانبية . أما في غير يوسف ، فغالباً ما تسرد القصص سرداً يكاد يكون برقياً ، ينشد المغزى بأقصر عبارة .

ومرااعة لهذا الامتلاء الذي حفلت به السورة ، بدأ الله القصة ممتنا بما يقص ، وختمنا كذلك ممتنا : ( نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن ، وان كنت من قبله لمن الغافلين ) يوسف ٣

( ذلك من أنبياء الغيب نوحيه إليك ، وما كنت لديهم ، اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون ) يوسف ١٠٢ ( لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ، ما كان حديثاً يفترى ٠٠٠ ) يوسف ١١١

والسورة لا تقف عند حد المؤاساة ، ومعالجة الكآبة التي داحت النفوس عام الحزن ، بل تتخطى الأعوام ، والأجيال ، وتنتفتح على عيوننا الكليلة التي تطرف تحت أطباق الحيرة ، والضيافة ، والخزي .

١ - لته دينا انسبيل .

٢ - وتدلنا على تأليل العدوانية ، والخبث في سلالة اسرائيل عليه السلام .

٣ - ولتعمق جذور الأمل ، وتجثث دواعي القنوط الخيمة على كثير من النفوس : « حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا ٠٠٠ » .

## الطبيعة القريبة

وأهم ما في السورة بعد ذلك ، أن اشعاعاتها تتغلل في كيان سلالة إسرائيل فتكتشف جوانب الخسارة ، ومكامن اللؤم ، وتفضح الطبيعة القريبة التي انفردوا بها دون العالمين ، مما يجعلنا نومن بتأصيل الشر في هذه السلالة ، ونحذر فلا نأمن لهم أبدا ، ولا ننزل فنتخذ منهم بطانة ، وأولياء .

\* واسرائيل هو الكريم ، ابن الكريم يعقوب ، بن اسحاق ابن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام ، فليت شعرى ما الذى أورثهم تلك الطبيعة ؟

ان علماء الوراثة يتحدثون عن الخلايا التنسالية وما تحمل من كروموسومات تحتوى على جينات تحمل من الصفات الوراثية ما تحمل ، ويرون ان تلك الكروموسومات قد تطرأ فتتخطى أجيالا لظهور بخصائصها في جيل متاخر .

وظنى أن أساس تلك الكروموسومات ، والجينات ، هو التراب جاء في الأثر ( أن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، فيهم الأحمر ، والأسود ، والسهل ، والحزن ، وبين ، بين ) .

وهذه الأصول الترابية المحمولة في الكروموسومات ، والجينات والحفالة بالشر تخطت – في ظنى – من تخطت من أنسى ، وعبرت أجيالا لتتمرkr في سلالة إسرائيل ، الا من عزم الله . وسورة يوسف ، كشفت مستودع الشر المستقر في هذه السلالة .

واسرائيل عليه السلام كان يدرى أن حظ سلالته من الشر حظ عظيم ، وانطلاقا من احساسه بهذا نصيحة ولده يوسف بأن يحذر ، ويكتتم رؤيه البشرة ( اذ قال يوسف لأبيه ، يَا أَبَتِ افْرَادُ أَهْدَى شَرَّ كَوْكَبٍ ، وَالشَّمْسَ ، وَالقَمَرَ ، رَأَيْتُمْ لِى

ساجدين ٠ قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك ، فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين ) ( بل سوت لكم أنفسكم أمرا ، فصبر جميل ٠٠٠ ) ٠

والانفجار الشرانى تلحظه وأنت تستعرض من سورة يوسف :

١ - الآية التي تنقل الى السطح ما يعتمل بين الجوانح ويغلى في الأعماق ( اذ قالوا ليوسف ، وأخوه أحب الى أبينا مما ونحن عصبة ) ٠

٢ - وفي قحة باللغة يرمون والدهم عليه السلام بأبشع التهم ٠ ( ان أبانا لفى ضلال مبين ) « تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضا ، أو تكون من الماكين » « تالله انك لفى ضلالك القديم » ٠

٣ - وابن آدم الاول عدا على أخيه فقتله ثم ندم ، أما ورثته فقد تملكتهم الجريمة فارتکبواها ثم عادوا قريرى الأعين سعداء ٠ ( اقتلتوا يوسف ٠٠٠ ) ٠

٤ - وتلحظ طابع الخديعة وهم يحتالون على أبيهم ويلبسون له ثياب الصان من اللين ( يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وانا له لنامحون ٠ أرسله معنا غدا يرتفع ويلعب ، وانا له لحافظون ) « لئن أكله الذئب ، ونحن عصبة انا اذا لخاسرون » ٠

٥ - استحلال الكذب مع قدرة فائقة على التزييف ، والتمثيل : ( وجاءوا أباهم عشاء يبيكون ٠ قالوا يا أبانا انا ذهبتا نستيق ، وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب ، وما أنت بمؤمن لنا ولو كان صادقين ٠ وجاءوا على قميصه بدم كذب ٠٠٠ ) ( ان يسرق فقد سرق أخ لـ من قبل ) ٠

٦ - وتجيء شهادة يوسف عليه السلام تدمفهم بوصمة الشر

( أنتم شر مکانا ، والله أعلم بما تصفون ) ٠

هؤلاء هم سلالة اسرائیل : تآمروا ضد أبيهم ، وعدوا على  
أخيهم فكيف بغير أبيهم وأخيهم ؟

## أنماط من الناس

والسورة فوق كل ما مضى لوحنة مضيئة تتبع بالحياة ،  
وتعكس أنماطا من الناس ، وأشتاتا من النفسيات ، ولا نزاع في أن التأمل  
في هذه النفسيات ، وتلك الانماط يزيد خبرة المؤمنين ، ويثيرى  
ما ياهيمهم عن رفقاء الطريق ، ويحملهم على أن يتذروا لكل حالة  
لبوسا ، وكل مقام مقلا ٠

\* وابتغاء هذا اهتم القرآن الكريم بلفت أنظار المؤمنين إلى  
معادن الناس ، وطبائع الناس ، ومناهج الناس ، ومذاهب الناس:  
« ومن الناس ٠٠٠ ومن الناس ٠٠٠ فمن الناس » ذلك حتى ينظر  
الملمون ، ويعلموا أنهم لا يعيشون حياة موحدة النغم ،  
رتيبة الایقاع ٠٠٠ بل حياة مبعثرة الخطا ، موزعة النظرات  
متنافرة الوجهات ٠ وإن المؤمن الذي صهر في بوتقة القرآن ،  
يستطيع بما أوتي من وضوح رؤية ، وبالغ حكمة ، وحسن  
تصرف ، أن ينظر ، وينقد ، ويجمع النظائر الخيرة ليصوغها  
في قلب ، ويحدوها إلى الطريق المستقيم ٠ والمهمة هذه  
بحق ثقيلة دونها أشواك السعدان التي يخترطها الشيطان ،  
ويبيثها في الطريق ، فهى — لهذا — تقع في دائرة ما قال الله  
فيه : ( وما يلقاها إلا الذين صبروا ، وما يلقاها إلا ذو حظ  
عظيم ) ٠

\* نعم ان السورة تکاد تكون معرضا لنفسيات مختلفة ذكر منها  
على سبيل المثال :

١ - نفسية ساذجة شريفة ، تفتحت بأمر الله ، رقيقة شفافة

وَعَرَجَتْ بِاَذْنِهِ ، رَزِينَةَ رِفَافَةَ ، وَاسْتَقْبَلَتْ مُسْوِرَا نُورَانِيَّةَ  
بِيَثِمَا الْقَدْرِ لِتَقْنِي فِي الرُّوْحِ ، وَلِتَهْبِيَّ لِلْأَهْدَافِ ( اذْ هَالَ  
يُوسُفَ لِأَبِيهِ ، يَا أَبَتِ اَنِي رَأَيْتُ اَهْدَى شَرِّ كَوْكَبِـا ،  
وَالشَّمْسِ ، وَالقَمَرِ رَأَيْتُمْ لِى سَاجِدِينَ ٠٠٠ ) وَمُثَلِـ  
هَذِهِ النُّفُسِيَّةِ حُرْيَةً اَنْ تَرَى لِلْبَشَرِيَّ بَيْنَ نَذْرِ الْهَلَالِـ  
وَأَنْ تَلْهُمْ بِمَا فِي ضَمِيرِ الْمُسْتَقْبِلِ ( فَلَمَا ذَهَبُوا بِهِ ،  
وَأَجْمَعُوا اَنْ يَعْمَلُوهُ فِي غِيَابِ الْجَبِ وَأَوْحَيْنَا اِلَيْهِ لِتَبَيَّنُنَّهُمْ  
بِأَمْرِهِمْ هَذِهِ ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ٠ )

٢ - نُفُسِيَّةُ نَبُوَيَّةُ عَالِيَّةٍ ٠٠٠ أَحْسَتْ بِمَا تَمَيَّزَ بِهِ يُوسُفَ ، فَأَلْفَتْهُ  
وَأَثْرَتْهُ لِـا بَيْنَ نُفُسِيَّهُمَا مِنْ نَسْبٍ ، وَلِـا بَيْنَ رُوحِهِمَا مِنْ  
مَشَاكِلَةَ ، فَانطَلَقَتْ تَحْذَرُ ، وَتَبَشِّرُ ، ( يَا بْنَى لَا تَتَصَصِّنُ  
رَؤْيَاكَ عَلَى اخْوَتِكَ ، فَيُكَيِّدُوكَ كِيدَا ، اَنَ الشَّيْطَانُ  
لِلْاَنْسَانِ عَدُوٌ مَبِينٌ . وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيَعْلَمُكَ مِنْ  
تَأْوِيلِ الْأَهَادِيَّةِ ، وَيَقْتَمُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ، وَعَلَى اَكْلِيْلِ  
كَمَا اَتَمْهَا عَلَى اَبُوِيكَ مِنْ قَبْلٍ : اَبْرَاهِيمَ وَاسْحَاقَ ، اَنَ رَبُّكَ  
عَلَيْكُمْ حَكِيمٌ ) هَذِهِ اَبْصَرَتِ النُّفُسِيَّةُ النَّبُوَيَّةُ اَكَالِيلَ النَّارِ  
تَعْدُدَ فِي الْأَفْقَعِ عَلَى جَبَنِيْنِ يُوسُفَ ، وَأَبْصَرَتِ بَشَائِرَ النَّعْمَةِ  
الْمُسْبَغَةِ ٠

٣ - وَهَذِهِ النُّفُسِيَّةُ النَّبُوَيَّةُ ذَاتُ وَجْهَتَيْنِ ، فَهِيَ مِنْ زَاوِيَّةِ اَخْرَى  
نُفُسِيَّةِ اَبُوَيْةَ ، رَأَتْ بَعْضَ الْأَبْوَةَ ، شَرُورَا ، وَدَخَلَانَا يَتَكَافَفُ  
هَوْلَ اَبْنَهُ اَلْأَثْيَرَ ، نَتْيِيجَةً تَمِيزَهُ الْمَرْمُوقُ ، وَأَبْصَرَتْ خَلَالَ  
الْدَّخَانِ شَيَاطِينَ تَتَكَالَّبُ ، فَيَسْتَرِيبُ ، وَلِـا يَضْعُ يَدَهُ عَلَى  
مَكْنَنِ الْفَطْرِ ( اَنِي لِيَعْزِنَنِي اَنْ تَذَهَّبُوا بِهِ ، وَأَخَافُ ٠٠٠ )  
( بَلْ سَوْلَتْ لَكُمْ اَنْفُسَكُمْ اُمَراً ، فَصِبْرٌ جَمِيلٌ ، وَاللَّهُ  
الْمُسْتَعَنُ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ) ٠

٤ - نُفُسِيَّةُ بَلْ نُفُسِيَّاتِ اَسْرَائِيلِيَّةِ مُتَرْعَةٌ بِالْعَقْدِ ، تَطْنَئُ فِي  
فِي الْفَصْوَمَةِ ، وَتَكِيدُ فَتَسْرِفُ فِي الْكِيدِ ، وَتَحْتَالُ ، فَتَلْبِسُ

جلود الضأن على قلوب الذئاب «٠٠٠ اقتلوا يوسف »  
( مالك لا تأمنا على يوسف ) دأبها أن تلح - وتلحف  
الحافا دعواها حتى يتحقق المأرب « أرسله معنا فدا ٠٠٠ »  
وهي في جموحها المودي تتغنى بذاتها ، وتتدلل بقوتها  
كلما استشعرت قوتها ( أحب إلى أبيينا منا ونحن عصبة )  
( لئن أكله الذئب ونحن عصبة ) ودأبها التزييف ،  
ومبدؤها « الغاية تبرر الوسيلة » ( وجاءوا أباهم عشاء  
يبكون ) ٠

٠ - نفسية غلت ماديتها انسانيتها تتشدد الثروة من كل طريق  
( وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم ، فأدللي دلوه ، قال يا  
بشرى ، هذا غلام ، وأسروه بضاعة ، والله عليم بما  
يعملون • وشروعو بثمن بخس دراهم معدودة ، وكانوا  
فيه من الزاهدين ) ٠

٦ - نفسية وادعة تتعمب بمشاعر الحنان ، والبر « وقال الذي  
اشتراء من مصر لأمراته ، أكرمي مثواه ، عسى أن ينفعنا  
أو نتخذه ولدا ٠٠٠ » ٠

٧ - نفسية جائعة ، اجتاحتها الرغبة ، وأنثارها نداء المهد  
المجنون ، وأنقذها رشدها الأهداء المنبعثة من النفسية  
الآخرى ، الزكية ، السوية ، التي برئت على الطهر ، ورببت  
على مراقبة الله : ( ورأودته التي هو في بيتها عن نفسه ،  
وغلقت الأبواب ، وقالت هيتك ، قال معاذ الله ، انه  
ربى أحسن مثواى ، انه لا يفلح الظالمون • ولقد همت  
به ، وهم بها ، لو لا أن رأى برهان ربى ، كذلك لنصرف  
عنه السوء ، والفحشاء ، انه من عبادنا المخلصين ) ٠

\* والنفسية الجائعة التي تعانى السعار تتطفىء فيها كل معانى  
الإنسانية لتحول محلها معانى الاشباع ، والانتقام ( ما جراء  
من أراد بأهلك سوءا الا أن يسجن ، أو عذاب أليم ) ٠ ( ولئن  
لم يفعل ما أمهله ليسجنن ، ول يكنا من المصاغرين ) ٠

٨ - ووجه آخر للنفسية الوادعة تلك تتميز - بالإضافة إلى ما سبق - ببرودة في الطبع ، ونقصان في الرجولة ، فمراهقة للفراغ العاطفي الذي تعشه زوجه نتيجة تراخيه ، واسترخائه « يوسف أعرض عن هذا واستغفرى لذنبك » ٠

٩ - ونفسية النسوة تتسم بـ طفولة الأخبار ، وتتناقل فقط الأسرار وتناولن الأعراض ، قادحات مزريات ، ايجاء بأئمه وحدهن الطاهرات العفيفات ( وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاتها عن نفسه قد شفتها حبا ، انا لنراها في ضلال مبين ) وامرأة العزيز بنفسيتها الجائعة كادت لهن حتى يسقطن ، كما سقطت ، وسقطن واشتركن في المراودة ، فاستعمم يوسف ولاذ بجناب ربه ( قال رب السجن أحب الى مما يدعونني اليه ، والا تصرف عنى كيدهن ، أسب اليهن ) ٠

١٠ - ونفسية المكروب أرهقته القيود ( ودخل معه السجن فتیان ) ونفسية المكروب طوته فرحة الخلاص ( يا صاحبى السجن أما أحدكم فيسكنى ربه خمرا ٠٠٠ ) ( وقال للذى ظن أنه ناج منها اذكرنى عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه ٠٠٠ ) ٠

١١ - ونفسية الملك ، هالته رؤيا غريبة ، مركبة متنافرة العناصر فقد توازنه ، وتتجسس شرا ( وقال الملك انى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ، وسبعين سبنلات خضرا وأخر يابسات ، يأيها الملأ أفتونى في رؤياى ، ان كنتم للرؤيا تعبرون ) ٠

وبعد - فلست بصادف الخوض في غمار القصة ، ولا أنا مقدم على تفسير السورة ولكن بما قدمت أردت أن أهتم لما أردت من حديث عن النقد الذاتي على ضوء ( وما أبلى نفسى ، ان النفس لأهارة بالسوء ) ٠

**بخاري أحمد عبده**

## مَوْلَانَاتُ الْمُؤْمِنِينَ

## بقلہ بناری احمد رعیدہ

(( وما أبرىء نفسى ))

جسنا خلال سورة «يوسف» مشدودين ، متأثرين بواقع العصر  
مبصرين بمنظار الأحداث ، حقائق التاريخ ، خاسعين أمام أبناء فيها  
مزدجر ، وعبر ، الا أننا لم نزدجر ، ولم نعتبر .

ولعل من أسباب ارتباطنا المثلث بالسورة الكريمة أنها سجلت الوقت الذي شتلت فيه فروع من شجرة إسرائيل ، لتزرع في مصر ،منذرة بالتكاثر ، والتكاثف ، لولا أن ابتلاهم الله بفرعون ، فطاردهم حتى الموت ، وبعض السُّم ترافق بعض .

ومضيناً غايتنا أن نتذمّر آية كريمة ، تقرّر مبدأ النقد الذاتي، القائم على البصيرة التي تستهدى الدوافع وتبصر العلل التي يمكن أن تؤثر إيجاباً ، وسلباً ، وأعلاه ، وخفقاً ، وشرّاً وطيا ( وما أبى نفسي ، ان النفس لأماره بالسوء ، الا ما رحم ربها ) .

واستروحنا بأشفية قرآنية ، تأسو ، وتحفز الهمم ، هادبة ،  
حادية إلى موكب النور .

وقرأنا قرآننا يربى بالرؤى ، ويؤدب بالقصة ، ويعظ بالتاريخ ،  
ويعرض من الصور ، والأحداث ، والمواقف ما يكشف المعادن ،  
ويبرز المزالق ، ويؤكد علو كلمة الله ، ويتحقق مبدأ أن الأرض لله،  
يورثها عباده الصالحين - بكل ما تحمل مادة « من لح » من  
معانٍ الصلاح ، والاصلاح ، والصلاحية ، والصلاح ، ( ولقد كتبنا في  
الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون )  
وكلها - كما ترى - معان تتطلب يقطلة ، ووعيا ، وتنقضي الحركة

## المخلصة ، والقلب السليم .

ووقفنا طويلاً مع سلالة إسرائيل ، نتعمق في كيانهم ، ونسمع عواء الذئاب ، وصليل الطين في أجوافهم ، ونتمثّلهم وقد بدت البعضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر .

### (تراث وبيء)

وصلالة إسرائيل أملاً السلالات . بقدرة الطين ، وأشدّها انجداباً إلى عنصر الطين .

وتوجيهها إلى ما تميّزا به من خواص عجيبة ، اهتم القرآن بتشريحهم ، وتحليلهم ، وركز على خلال تكاد تكون مرجع معظم الشرور ، خلال ترمي بالشرر ، وتعمى بالدخان .

(أ) من ذلك قول الله مشيراً إلى تعلق المدانية ، وتمكنها ، وجريانها في كيانهم كله كما يجري الدم في الأوصال ، والعروق «أشربوا في قلوبهم العجل بکفرهم » .

فالصورة توحى بالنهم ، والجحش ، وسعة الوعاء ، مع قدرة فائقة على البلع ، لا تتوفر إلا في الأفاسى ، ولقد وصفوا صراحة في الانجيل بأنهم الأفاسى ، أبناء الأفاسى .

واختيار الكلمة قلوب « في قلوبهم » — والقلب هو المضخة التي تضخ الدم إلى كل الخلايا — يوحى بأن خلاياهم كلها امترجت بهذا الداء الوبيء .

فوق أن الكلمة « أشربوا » توحى بالقوة الخفية التي جرعتهم المزيج الشراني الشيطاني ، وأن مثل هذا لا يطال إلا سلطان شيطان والعجل ، إشارة إلى عجلهم الذهبي ، والكلمة — فوق هذا — توحى بتلاعبهم بالذهب ، وتنبع فتشمل كل مازين للناس من حب الشهوات « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب ، والفضة ، والخيول المسومة ، والأنعمام ، والحرث . . . . . » .

(ب) ومن ذلك قول الله — في آية تعد محورا ، وعلة لكل المصفات ، والأحوال التي سبقتها ، والتي لحقتها « ولتجدنهم أحقر الناس على حياة »

فالعبارة — على قصرها — تحفل بالدلائل المؤكدة ، تأكيد بالام القسم ، وتأكيد بالنون الثقيلة ، وتأكيد باختيار صيغة أ فعل « أحقر » الذلة على التفوق في هذه الصفة ، وتأكيد يشتم من التعليم المفهوم من اختيار كلمة « الناس » وتأكيد يتضاعد من تذكر كلمة « حياة » أي : مهما كانت حقيقة فهم أشد العالمين حرضا عليها ، وتشبثا بها . والمعنى يرى أن كل الدلالات التي تتواكب بين الآيات السابقة ، واللاحقة ، تأرخ ، وتنتهي إلى عبارة « ولتجدنهم أحقر الناس على حياة »

فهذا الحرص علة مسبق من : تول ، واعراض ، ومن تظاهر بالاثم ، والعدوان ، ومن اجتراء على التكذيب ، واعتداء على الرسل ٠٠٠ الخ ، وعلة ما لحق من حب الدنيا ، وكراهية الموت ، ومن معاداة الملائكة التي تنزل بغير ما تهوى أنفسهم ، ومن نبذ للبيانات ، وتنكر للمعهود ، ومن ضلوع مع الشياطين ، ومن أثرة تجعلهم لا يطيقون أن يذوق غيرهم من خير (١) « ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ، ولا المشركين ، أن ينزل عليكم من خير من ربكم ، والله يختص برحمته من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم » البقرة ١٠٥

### « فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم »

ذلك ميراث بنى اسرائيل من الحما المسنون ، وتحت وطأة هذا التراث العجيب :

١ - تطاولوا على المولى جل وعلا ، متمردين ، متوجهين فقالوا : « أن الله فقير ، ونحن أغنياء » وقالوا : « يد الله مغلولة » وفي تورانهم :

(١) راجع من سورة البقرة الآيات من الآية رقم ٤ إلى الآية رقم ١٢٢ .

«انتبه ، كم تناه يارب ، استيقظ من رقدتك »(١) .

٢ - وأعظموا على الله الفرية فقالوا : « نحن أبناء الله وأحبابه » « لن تمسنا النار » « لن يدخل الجنة إلا من كان هدا ، أو نصاري » وزعموا : أن لهم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس .

٣ - وتطاولوا على المقدسات فبدلوا ، وغيروا ، وحرفوا ، وكتموا ، ونسوا حظا مما ذكروا به ، وصدق الله : « فيما نقضهم ميثاقهم ، لعنهم ، وجعلنا قلوبهم قاسية ، يحرفون الكلم عن مواضعه ، ونسوا حظا مما ذكروا به ، ولا تزال تطلع على خائنة منهم » ٠٠

المائدة ١٣

٤ - وقعدوا لأنبياء الله كل مرصد ونالوا منهم كل نيل : باللسان فوصوهم - في كتبهم المقدسة - بكل زذيلة واتهموا بعضهم بالبردة ، وبالسحر ، وبالغدر ، وبالسكر ، وبالزنى ، ومضاجعة بناتهم ٠٠ الخ . ونالوا منهم باليد « أفكاما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون » ٠٠٠ البقرة ٨٧

٥ - وانطعوا في مادانية حجرية ، واشتملوا بعقلانية صلدة فكانوا مصداق قول الله : - ( وقالوا قلوبنا غلف ، بل لعنهم الله بکفرهم ، فقليل ما يؤمنون ) البقرة ٨٧

٦ - وتوهوا فزعموا - في التوراة - أن يعقوب اختلف مع الله فتشاحنا ، وتصارعا ، فصرعه يعقوب وضرب به الأرض

٧ - وفجروا فزعموا في التوراة أن ابنتي لوط مكنتا أبيها لوطا من نفسيهما « عمدا » وأنجبتا - منه - مواب ، وعمون ، جدي كثير من الأنبياء .

وأن يهوذا بن يعقوب زنى بأرملا ولده وأنجب منها ولدا هو جد داود عليه السلام .

---

(١) والله التوراة متعدد ، يتخذ القرار ثم ينهار ويندم ، ففي التوراة : أن الرب ضاق بفساد الأدميين فندم على خلقهم واكتسحهم بالطوفان ، ثم بكى ندما حتى رمدت عيناه ، وعادته الملائكة في مرضه .

وفي العشر الأوائل من « محرم » يصلون قائلين : - « يأباناه  
 كى يقر كل مخلوق بأنك الملك الأحد ، المهيمن . أمتنا على جميع أهل  
 الأرض » . ومفهوم هذا أنه - جل شأنه - ان لم يفعل فليس بشيء .  
 ٨ - واعتقدوا أن الله يغفر ، بل يبارك كل لكتمة يسذدونها إلى  
 الأيمين « غير اليهود » الأئم الذين خلقهم الله خدما ، وعيدها  
 لليهود ، وخلع عليهم الشكل الآدمي ايناسا لسادتهم اليهود .  
 ٩ - وفي توراتهم : « اكتسحوا كل سكان الأرض من أمامكم ، والا  
 كانوا أشواكا في أعينكم ، ومناخس في جنوبكم ، وعقبات في طريقكم .  
 كل موضع تدوشه أقدامكم أعطيته لكم ، من نهر مصر إلى النهر الكبير  
 « الفرات » والبرية ولبنان ، وجميع أرض الحبيبين ، إلى مغرب  
 الشمس » تكوين ح ١٥ ع ٢١ - ٢٠ ويشوع ح ١ .

١٠ - وبمقتضى نصوص توراتية يستبيحون دماء البشر . ولم لا ؟  
 ألم يعد موسى عليه السلام على المصري ، ويقتله ؟ ألم يغفر الله ذلك  
 له ؟ « ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتلان ،  
 هذا من شيعته ، وهذا من عدوه ، واستغاثه الذي من شيعته على الذي  
 من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه ٠٠٠ » القصص ١٥  
 وقالوا : ان الله عهد إلى بني إسرائيل أن يغفر لهم وان جاءوه بقرباب  
 الأرض خطايا ، وبمقتضى هذا العهد غفر لموسى « قال رب انى ظلمت  
 نفسي فاغفر لي ، فغفر له انه هو التغور الرحيم » القصص ١٦ . وغفر  
 لداود عليه السلام فتنة الخصم اذ تصوروا المحراب « فغفرنا له  
 ذلك ، وان له عندنا لزلفي ، وحسن مايب » ص ٢٥ هكذا يريدون  
 لأنفسهم مسيرة لا تتعرض لمقاومة من السماء ، أو الأرض ، وغنية  
 باردة لا يعترض سبيلهم إليها أحد في السماء أو الأرض ، وتفويضا  
 مطلقاً من المولى لهم كى يكونوا هم وحدهم على خزائن السموات  
 والأرض .

### «أثرة بغية وعواقب وخيمة»

وسلالة إسرائيل تعيش بهذا التراث داخل دوائر : دائرة كبرى  
 تفصلهم عن سائر الناس . ودوائر أخرى تفصل المحيط عن البسيط ،

والبطون عن البطون ، والأفخاذ عن الأفخاذ ٠٠٠ هكذا حتى ينتهي كل فرد إلى أن يتقوّع في نفسه « تحسّبهم جميعاً وقلوبهم شتى » فلا عجب إذا علمت أن بعضهم يعني على بعض ، ومن هذا المنظور استرتبط داؤه عليه السلام الحكمة التي ذيل بها حكمه في قضية الخصمين « قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه ، وإن كثيراً من الخلطاء لي يعني بعضهم على بعض ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وقليل ما هم » ٢٤ ص ٠٠

وتطاول بعضهم على بعض تحكيه الآيات الكريمة : - ( واذ أخذنا مياثاكم ، لا تسفكون دماءكم ، ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ، ثم أقررتـم وأنتـم شهـدون ، ثم أنتـم هؤـلاء تقتلـون أنـفسـكم ، وتخرجـون فـريـقاً مـنـكـمـ مـنـ دـيـارـهـمـ ، تـظـاهـرـونـ عـلـيـهـمـ بـالـاثـمـ ، وـالـعـدـوـانـ ، وـانـ يـأـتـوكـمـ أـسـارـيـ تـقـادـوـهـمـ ، وـهـوـ مـحـرـمـ عـلـيـكـمـ اـخـرـاجـهـمـ ، أـفـتـؤـمـنـونـ بـعـضـ الـكـتـابـ وـتـكـفـرـونـ بـعـضـ ، فـمـاـ جـزـاءـ مـنـ يـفـعـلـ ذـلـكـ مـنـكـمـ الا خـزـىـ فـيـ الـحـيـاةـ الـدـنـيـاـ ، وـيـوـمـ الـقـيـامـةـ يـرـدـونـ إـلـىـ أـشـدـ الـعـذـابـ ، وـمـاـ اللـهـ يـعـافـلـ عـمـاـ تـعـمـلـوـنـ ٠ أـوـلـئـكـ الـذـينـ اـشـتـرـوـاـ الـحـيـاةـ الـدـنـيـاـ بـالـآـخـرـةـ ٠٠ ) البقرة ٨٤

وهذه الأثرة المطبقة لابد أن تجعل منهم شركاء متشاكسين ، وأن تنتهي بهم إلى المهاوى التي صورها القرآن ٠

١ - إلى الذل « ٠٠٠ وضربت عليهم الذلة والمسكنة ، وباءوا بغضب من الله ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بأيات الله ، ويقتلون التبيين بغير الحق ، ذلك بما عصوا ، وكأنوا يعثرون ٦١ ) البقرة ٦١

٢ - إلى المسكنة ، وغضب الله - ( ٠٠٠ ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم ، منهم المؤمنون ، وأكثرهم الفاسقون ٠ لن يضروكم إلا أذى ، وإن (١) يقاتلكم بيلووكم الأديار ، ثم لا ينصرون ٠ ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا ، إلا بحبل من الله ، وحبل من الناس ، وباءوا بغضب من الله ، وضربت عليهم المسكنة ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بأيات

(١) هذا مشروط بتحقق مضمون الآية السابقة « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرن بالمعروف ، وتنهون عن المنكر وتومنون بالله ٠٠٠ »

الله ويقطون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا ، وكانوا يعتدون )  
آل عمران ١١٢ - ١١٣

٣ - إلى التشريد ، والتهي ، والتمزق : « قال فإنها محرمة عليهم  
أربعين سنة يتيمون في الأرض ) المائدة ٢٦

٤ - للمسخ : - ( قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله ،  
من لعنه الله ، وغضب عليه ، وجعل منهم القردة ، والخنازير  
وعبد الطاغوت ، أولئك شر مكانا ، وأضل عن سواء السبيل ) المائدة ٦٠

٥ - واستقبلوا اللعنات : « لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل  
على لسان داود ، وعيسى بن مریم ذلك بما عصوا ، وكانوا يعتدون .  
كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبعض مما كانوا يفعلون . ترى كثيرا  
منهم يتولون الذين كفروا ، لبعض ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط  
الله عليهم ) المائدة ٧٨

ومتابعة القرآن لخصال بنى إسرائيل معددا لها ، محددا  
لأبعادها - قوّق أنها تبصير ، وتحذير - توحى بأنّ الاسرائيلية  
ليست عنصرا فقط ، بل هي عنصر يفرز الصديد ، فيؤذى ، ويُعدى .  
ووحدة الأصل بين الأناسي . « من صلصال من حما مسنون »  
تورث كل الناس صلاحية الاصابة بتلك الصفات المرذولة التي أصابت  
بني إسرائيل . فهي فيهم بالفعل ، وفي غيرهم بالقوة ( بالاستعداد )  
وصدق الله : « ونفس ما سواها . فالمهمها فجورها ، وتقوها .  
قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها » ومعنى ذلك أن كل  
نفس تتطوى على أجنة الخير ، وأجنة الشر ، فإذا ألمت أجنة الشر  
ثدى ابليس ، انتبرت ، واستشرت ، وأفرزت قيحا وسماما وخلالا منكرة ،  
وأينما تجمعت تلك الخلال المنكرة فثم اللعنات ، والمزالق ، والمهالك ،  
وثم اليهود .

### وهديّنّاه النجدين

فالطين ليس شرًا محضا ، بل هو كل شيء - مادة يمكن أن  
تحتضن جذور الخير ، والشر . والمولى الذي جعل لكل داء دواء ،  
أنزل من لذنه حكمة تذوّى جذور الشر ، وتربي جذور الخير ، ففتردهر  
وتشتجر حتى تكون وفق الصورة الكريمة : ( ومثلهم في الانجيل كزرع

أخرج شطأه فآزره ، فاستغلظ فاستوى على سوقة ، يعجب الزراع  
ليغيظ بهم الكفار ( ٠٠٠ )

و تلك الحكمة التي تميت ، وتحبي ، تتمثل فيما بعث الله به  
الأنبياء من الهدى ، والعلم ( مثل ما بعثنى الله به من الهدى ، والعلم  
كمثل الغيث الكبير أصاب أرضا ، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء ،  
 فأنبتت الكلأ ، والعشب الكبير . وكانت منها أجاذب أمسكت الماء فنفع  
الله بها الناس ، فشربوا ، وسقوا ، وزرعوا ، وأصاب منها طائفة  
أخرى ، إنما هي قياع لا تمسك ماء ، ولا تنبت كلأ . فذلك مثل  
من فقه في دين الله ، ونفعه ما بعثنى الله به فعلم ، وعلم ، ومثل  
من لم يرفع بذلك رأسا ، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به ) حديث  
متყى عليه .

ومما يرشح هذا المثل النبوى ، حديث الأمانة ، الذي يصور  
الأمانة بذرة تنطوى عليها القلوب ، والقرآن ، والسنة ريا ، وشعاعا  
يفتفت ، ويفلق الحب والنوى ، ويسور العفلات حسبانا يحتاج معاً  
الهدى في القلوب حتى تغدو صعيدا زلقا : ( عن حذيفة قال : حدثنا  
رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حديثين ، قد رأيت أحدهما ، وأنا أنتظر الآخر .  
حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ، ثم نزل القرآن ،  
فعلموا من القرآن ، وعلموا من السنة . ثم حدثنا عن رفع  
الأمانة قال : ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه ، فيظل  
أثرها مثل الوكت ، ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه ، فيظل  
أثرها مثل المجل ، كجمر درجته على رجل فنفط فتراء منبرا وليس  
فيه شيء ( الخ ) . رواه مسلم

ان دين الله رسول طاهر ، ولقاح القلوب ، يوفر للقيم فرص  
النمو بمنأى عن الآفات والجواح التي تتباين من أعماق الطين ،  
وتنتحل أيماناً استفحال حين تتفاعل مع الأجراء الموبوءة المعممة بلقاح  
المادانية ، وغازات الطين ، وأرياح الشياطين .

واليهود بحكم عصيانهم الطويل ، وبحكم تمردتهم على أنبيائهم ،  
وبحكم الميراث ، هم النموذج الجيد لحملة الميكروب ، بل هم المزرعة  
الجرثومية ، تتوالد فيها المicroبات ، وتنتشر منها .

بخاري أحمد عبده

# نفحات القرآن

## بقلم بخاري احمد عبيده

وما أبرىء نفسي

وقفنا نتفحص « دمعة » الطين ، ونتسمع عواء الذئاب في أجواض سلالة اسرائيل .

ولهنا – ونحن نصعى ، ونرصد – النسب الوثيق بين الحما المسنون ، والعواء المجنون الذي تترفر به بعض الصدور ، وكأنه « تكبير » أو « تطوير » لذلك الصليل الذي ينبعث من صلصال كالفارار .

وبصمات الأرض « الأم الأولى » واضحة في كل ما تنبت الأرض . والانسان – على قدره – معدود في العائلة النباتية « والله أنتكم من الأرض نباتا . ثم يعيدهم فيها ، ويخرجكم اخراجا . والله جعل لكم الأرض بساطا . لتسلكوا منها سبلًا فجاجا » .

والأرض حين تتعامل مع ما يُطرح ، أو « قل » تلفظ ، لا تحيف ، ولا تحابي . تعطى الأجناس بقدر ، وتعطى الأنواع بقدر ، وتعطى الأفراد فتخص هذا بطبع ، وذاك بلون ، والآخر بسمة ٠٠٠ الخ .

وهكذا تختلف الأصداء ، وتختلف الطعوم من فرد إلى فرد ، ومن فئة إلى فئة ، وصدق الله : ( وفي الأرض قطع متباورات ،

وجنات من أعناب ، ورزرع ، ونخيل صنوان<sup>(١)</sup> ، وغير صنوان ،  
يسقى بماء واحد ، ونفضل بعضها على بعض في الأكل ، إن في  
ذلك لآيات لقوم يعقلون (الرعد ٤) .

### من بين فرت ودم لبنا خالصا<sup>(٢)</sup>

والطين – كما أسلفت – ليس شرا كلّه . فكم من خامة  
خضراء تردهر على دمن ، وترهق فوق أطلال . وكم من ثمرة طيبة ،  
تحت أشجارها ما تحتها من قمامات ، وعضويات ، وكم من زهور ،  
وكم من أريج ، وشهد ، ورزق حسن .

فلا عجب اذا رأينا في سلالة اسرائيل أنبياء كراما متابعين .  
همهم التطهير ، واستلال سخائم الصدور ، وهدّة غليان البؤر  
العفنة في الأعماق ، واحتواها حتى لا تثور ، وتجرف .

حتى عيسى عليه السلام استهدف بكل تعاليمه خراف بني اسرائيل . روت الأنجليل عن عيسى عليه السلام أنه وجه تلاميذه  
غقال : « الى طريق أمم لا تذهبوا . والى مدينة السامريين لا تمضوا .  
بل اذهبوا الى خراف بني اسرائيل الضالة » .

وتعدد أنبياء ، « أو قل أطباء » بني اسرائيل ، يتناسب  
تناسبا طرديا مع ما يحملون من أدواء .

وسنة الله ، ألا يرسل الى قوم رسولا من سوي أنفسهم .  
ألا يزرع في جسد عضوا غريبا . وهذه الحقيقة سجلها القرآن .

(١) جمع « صنو » وهي النخلتان ، والنخلات يجمعن اسل واحد .  
وتتشعب منه رعوس فتصير نخيلا ، ولعل المراد : التشبع مع وحدة  
الأصل ، والشكل ، مع التمايز .

(٢) انظر الآية رقم ٦٦ من سورة النحل .

مؤكدة — في مواضع كثيرة ، واعتبر ذلك نعمة ، ومنه ٠ « لقد جاءكم رسول من أنفسكم » « هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم » « لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم » « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ، ليبيّن لهم » ٠

وقدرة المولى الذي يخرج من بين فرث ، ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين ، تتجلى في أنه سبحانه استخلاص من تلك السلالة الموسومة بكل قبيحة ، رسلا تنتقشى المرارة حولهم ويحللون ، ويخط من حولهم في المهاوى ويعلنون ، ويثلوث من عادهم ، ويطهرون ٠

وايحاه بأن استخلاص الرسل من تلك السلالة أمر خطير ، وأن اصطفاء الملوك من بين من ضربت عليهم الذلة ، والمسنة أمر جليل ، امتن الله عليهم فقال سبحانه مذكرا ، متخدزا هذا الأمر عامل دفع نحو الجهاد ، انصياعا للأوامر ، وشكرا على النعمة « واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم ، اذ جعل فيكم أنبياء ، وجعلكم ملوكا ، وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين ٠ يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ، ولا ترتدوا على أدباركم فتنتقلبوا خاسرين » المائدة ٢٠ - ٢١ ٠

والمشاكلة بين الرسل ، وأممهم لا يتحتم أن تكون من جميع الوجوه ، بل هي — كوجه الشبه الذي يجمع بين الشبه ، والمشبه به — تتحقق : بأدنى ملابسة ٠

ورسل بنى إسرائيل فيهم خصائص إسرائيلية تتحقق بها المشاكلة ، ولكتهم — عليهم السلام — لعايشتهم برهان الله ، وتمتعهم بعصمة الله ، ولأنهم صنعوا على عين الله ، هذبت فيهم تلك الخصائص الموروثة ، وعلت ، وبدت بيضاء مثل الصفا ، لا تضرها فتنة مادامت السموات ، والأرض ، بل معطاء تجود بكل خير ٠

ومن الخصائص المشتركة بين سلالة إسرائيل ، وأنبيائهم

«حب الخير» من مال ، ونحوه ، ولكن ، على نحو لا يثير الفهم ، ولا الجشع ، ولا يشكل طغياناً على حقوق الغير ، بل — على العكس — يعود بالخير على الناس ، ويケفل الأمان للناس ، ويتحقق العدالة بين الناس .

وحب الخير في فطرة كل الناس «وانه لحب الخير لشديد» والفرق أن داء بني اسرائيل حب الاستئثار بكل خير ، وألا يرزق أحد الا من خلالهم .

### (يوسف وأيوب عليهما السلام)

الناس جميعاً — وان كانوا أنبياء — يخلقون أولاً على طبع البشر ، غرائز ، وأنفعالات ، وعواطف ، ثم يخترط الله الأنبياء خرطاً خاصاً ويصنفهم على عينه . وي يوسف عليه السلام تجاوب مع عاطفة حب الخير، وحب السلطة ، فطلب من الملك أن يجعله على خزائن الأرض ، كل الأرض (وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي ، فلما كلامه قال انك اليوم لدينا مكين أمين . قال اجعلنى على خزائن الأرض انى حفيظ عليم) .

ولكنه — عليه السلام — لم يطلب السلطة للتسلط ، والاستئثار ، بل أراد أن يسخر موهبته في سياسة المال ، وعلمه وأمانته وتقواه لنفع الناس ، فهو — عليه السلام قد ألقى — بطلبه هذا — على كاهله الأباء ، وتحمل مسئولية جسمية ينوء بحملها كل من عداه . ومركز القوة هذا أتاح له أن يباشر مهام رسالته ، ويعثر التأثير المنشود .

فوق أن تخليه ، أو اعراضه عن حمل المسئولية ، في مثل تلك الظروف ، مع علمه بخصائصه الفريدة ، وامكاناته الموهوبة ، يعد ايثاراً للدعة ، وهروباً من الميدان .

واعاطفة حب الخير ظهرت مخايلها على أئوب عليه السلام  
أ ) وهو على الراجح من أنبياء بنى اسرائيل . بل جزم الألوسى  
وغيره بهذا ، وحکى أنه كان متزوجا من « رحمة » بنت افرائيم  
ابن يوسف بن يعقوب ، وروى القرطبي أن أئوب كان أحد الأغنياء  
من الأنبياء ، قبل البلاء ، وبعده ) .

روى البخاري ، عن أبي هريرة ، عن الرسول ﷺ أنه قال :  
( بينما أئوب يغسل عريانا ، فخر عليه جراد من ذهب ، فجعل  
أئوب يحشى في ثوبه ، فناداه ربه : يا أئوب : ألم أكن أغنتك بما  
ترى ؟ قال : بل عزتك ، ولكن لا غنى بي عن بركتك ) .

وأئوب عليه السلام ، لم تدفعه مteryة نفس لا تشبع ،  
ولا ابتغى بطرأ ، أو رباء . ولكنه اندفع بعاطفة عبد يحس بأن  
كل ما يملك قطرة من فيض بحر الغنى الحميد ( يأيها الناس  
أنتم الفقراء الى الله ، والله هو الغنى الحميد ) ، ( ما عندكم  
ينفذ ) ، ( انى لما أنزلت الى من خير فقير ) والزهداد في رزق  
رباني هبط من غير تمن ، ولا استشراف نفس ، ولا نهم سوء  
أدب مع المولى .

عن عمر بن الخطاب قال : ( كان النبي ﷺ يعطيه العطاء  
فأقول : أعطه أفقر إليه مني . فقال : خذه وتموله ، وتصدق  
به . فما جاءك من هذا المال ، وأنت غير مشرف ، ولا سائل  
فخذه ، وما لا ، فلا تتبعه نفسك ) متفق عليه .

### وسليمان عليه السلام

وسليمان عليه السلام كان أكثر أنبيائهم تأثرا بتلك العاطفة ،  
واعترافاً بأثارها : ( فقال انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى  
حتى توارت بالحجاب ) ص ٢٢

وتجاوياً مع هذه العاطفة ( عاطفة حب الخير ) طلب سليمان عليه السلام من ربه ذلك المطلب الفريد ( قال رب اغفر لى ، وهب لى ملكاً لا ينبعى لأحد من بعدي انك أنت الوهاب ) ص ٣٥ . طلب أن يتميز عن العالمين ، الا أن هذا التميز ألقى عليه من المسؤوليات والتوكيلات ما ألقى . والا فما الظن بحساب عبد مسئول عن سياسة رعية تتصنف من الجن ، والانسان ، والطير ؟ « وحشر لسليمان جنوده من الجن ، والانسان ، والطير ، فهم يوزعون » النمل ١٧ .

ان الله امتحن داود عليه السلام بمسئوليية سياسة الناس . الناس فقط ، ومع ذلك حذره ، وأنذره ، وشدد عليه التحذير ( يا داود انا جعلناك خليفة في الأرض ، فاحكم بين الناس بالحق ، ولا تتبع الهوى فيفضلك عن سبيل الله ، ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ) ص ٢٦ . فما بالنا اذن بمحننة سليمان ؟

لا يقال : كيف أقدم سليمان على طلب الدنيا المذمومة من الله ؟ لأن هذا الطلب – فوق أنه تشريف – فيه من التكليف ما فيه ، فهو محمول على أداء حقوق الله ، وسياسة ملكه ، وترتيب منازل خلقه ، واقامة حدوده ، والمحافظة على رسومه ، وتعظيم شعائره ، وظهور عبادته ، ولزوم طاعته ، ونظم قانون الحكم النافذ عليهم منه .. الخ « من القرطبي »

فحاشا سليمان أن يطلب الدنيا لنفس الدنيا ، وإنما سأله مملكتها لله ، كما سأله نوح دمارها لله ، ولقد أدى سليمان عليه السلام حق الشكر ، وسأل الله أن يعينه على القيام بمزيد من الشكر ( ٠٠٠ ) وقال رب أوزعنى أنأشكر نعمتك التي أنعمت على وعلى والدى ( ٠٠٠ ) النمل ١٩ .

وبمفهومه بمسئوليية الشكر استحق من الله الثناء ، كما استحق يوئس عين هذا الثناء لصبره الفريد ، قال الله عن يوئس ( ٠٠٠ ) انا

وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ ، اَنْهُ أَوَّبٌ ) ص ٤٤ ٠ وَقَالَ عَنْ سَلِيمَانَ :  
( وَوَهْبِنَا لَدَاؤِدُ سَلِيمَانَ ، نَعْمَ الْعَبْدُ اَنْهُ أَوَّبٌ ) ص ٣٠ ٠

## آثَرْنَا وَلَا تَؤْثِرْ عَلَيْنَا

قَدْ يُقَالُ : اَنْ سَلِيمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَكُنْ بَدْعًا فِي طَلْبِهِ ذَلِكُ ٠  
فَقَدْ رَوَى التَّرمِذِيُّ ، عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : « كَانَ رَسُولُ  
اللَّهِ ﷺ اَذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ ، يَسْمَعُ عِنْدَ وَجْهِهِ كَدْوِيَ النَّحْلِ ،  
فَأَنْزَلَ عَلَيْهِ يَوْمًا ، فَمَكَثْنَا سَاعَةً ، فَسَرَى عَنْهُ ، فَاسْتَقْبَلَ الْقَبْلَةَ ،  
وَرَفَعَ يَدِيهِ ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ زِدْنَا ، وَلَا تَنْقُصْنَا ، وَأَكْرَمْنَا ، وَلَا تَهْنَا ،  
وَأَعْطِنَا ، وَلَا تَحْرِمْنَا ، وَآثَرْنَا ، وَلَا تَؤْثِرْ عَلَيْنَا ، وَأَرْضَنَا ، وَارْضَنَا  
عَنَا ، ثُمَّ قَالَ : أَنْزَلْتَ عَلَى عَشَرِ آيَاتٍ ، مِنْ أَقْامَهُنَّ دَخْلَ الْجَنَّةِ ، ثُمَّ  
قَرَأَ « قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ » حَتَّى خَتَمَ عَشَرَ آيَاتٍ ٠

فَكَلِمَةُ : « آثَرْنَا ، وَلَا تَؤْثِرْ عَلَيْنَا » مُثْلِّهُ سَلِيمَانُ : « ۝ وَهُبْ لِى  
مَلَكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِى ۝ ۝ » كَلَاهُمَا يَعْنِي : التَّفْضِيلُ عَلَى  
سَائِرِ النَّاسِ ٠

وَالْحَقُّ أَنَّ اللَّهَ امْتَدَحَ الْمُؤْثِرِينَ ، وَبَيْنَ أَنَّ الْإِيَّاثَارَ (١) مُظَهَّرٌ مِنْ  
مَظَاهِرِ التَّحرُّرِ مِنْ أَغْلَالِ الشَّحِّ ، وَبِرَايَنِ الْمُتَرْبَةِ النَّفْسِيَّةِ ، « ۝ وَيَؤْثِرُونَ  
عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانُوا بَعْنَمِ خَاصَّةٍ ، وَمِنْ يُوقَ شَحَّ نَفْسِهِ ، فَأَوْلَئِكَ  
هُمُ الْمَفْلُحُونَ » أَمَا الْإِسْتَئْثَارُ ، فَقَدْ نَهَيْنَا عَنْهُ فِي الْحَظْوَنَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ ،  
أَمَا اسْتِبَاقُ الْخَيْرَاتِ ، وَالْتَّمَاسُ مِرَاتِبُ الْحَظْوَةِ عَنْ اللَّهِ فَانْهَمَا  
مِسْتَبِقُ الْأَوْمَنِيَّنِ « وَفِي ذَلِكَ فَلِيَتَنافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ » ٠

وَالرَّسُولُ الْكَرِيمُ حِينَ سَأَلَ الْإِيَّاثَارَ ، وَالدَّرْجَةَ الرَّفِيعَةَ ، كَانَ

(١) الْمَرَادُ الْإِيَّاثَارُ عَلَى النَّفْسِ ، أَمَّا إِيَّاثَارُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَهُوَ مَذْمُومٌ  
كَمَا لَا يَخْفِي ٠

قد أللهم ما أعد له ، ولأمته ، من منازل الكرامة عند الله ، فدعنا  
بها ، راجيا أن يكون أحق بها وأهلها (١) .

ذلك — فوق أن رسول الله ﷺ الذي أدخل الدعوة المستجابة  
المنوحة له ذخرا لأمته ، حين تعجل كلنبي دعوته ، لم يستأثر —  
بما طلب — دون أمته ، فلم يقل « آثرني » بل أشرك معه الأمة  
فقال « آثرنا ، أرضنا ، أعطنا ، زدنا » .

ولا عجب فاحساس رسولنا ﷺ بأمته كان احساساً يفوق  
الوصف « لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين » ولقد صور القرآن  
الكريم رهافة حسه ، وعظمة خلقه ، وفرط حبه لأمته . وأبرز كل  
ذلك ابرازاً بليغاً ، ناطقاً في تلكم الآيات التي كانت من آخر القرآن  
عهداً بالسماء « لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، عزيز عليه ما عنتم ،  
حربيص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » .

### من المتكلّم؟

قبل أن ننفيّ الظلال ، ونستفتح ، ونسقّمنح الآية الكريمة  
« وما أبْرَىءُ » نقف متسائلين : هل العبارة من قول امرأة العزيز ؟ .

لقد رأى ذلك كثيرون منهم : ابن كثير ، والماوردي ، والأمام  
أبو العباس ابن تيمية .

وهؤلاء ربّطوا بين الآية الكريمة ( ذلك ليعلم أنّي لم أخنّه  
بالغيب ، وأنّ الله لا يهدى كيد الخائنين ) وبين هذه الآية . ثم  
قالوا : إنّها بعد تبجحها أمّام النسوة ، واستنكارها ما كان من

---

(١) وقد استجيبت له مكان أول من يقرع باب الجنة ، وبوىء أعلى درجات الجنة ، وكانت أمته خير أمّة أخرجت للناس ، وجعلت أول من يجوز الصراط .

استعاصمه ، وتهديدها يوسف بالوليل ، والثبور ، ( قالت فذلکن  
الذى لتنى فيه ، ولقد راودته عن نفسه ، فاستعصم ، ولئن لم  
يفعل ما أمره ليسجن ، ول يكن من الصاغرين ) عاد اليها بعد  
ذلك رشدها ، وصحا ضمیرها ، فأدانت نفسها « قالت امرأة العزيز  
الآن ح شخص الحق ، أنا راودته عن نفسه ، وأنه لم الصادقين » .

قالوا : وكأنها لما أقرت أحست بوطأة العار ، وخشيت أن تتهافت أمام نظرات الازدراء والاستكبار ، فتلافت كل هذا ، وتغنت بتناصل فيها ، وأن ما حديث كان مجرد نزوة عارضة . فليعلم العزيز وينوسف ، ولليعلم الجميع أن امرأة العزيز لم تزل انطلاقا من بؤرة خيانية ، متقيحة ، بل الأمر مجرد سكرة اعترتها ، فأفقدتها الوزن ، وسلبتها الرشد ، فتمايلت ، وترنحت ، ثم تمالكت .

وقالوا : انها فطنت الى أن المقام مقام أوبة ، وندم ، وأن في قولها من تركية النفس ما فيه ، فعادت تقرر أنها مذنبة ، الا أن محنتها محننة النفس البشرية المخلوقة من صلصال من حما مسنون ، طيء شوائب ، وأوضار . قالوا : وذلك قولهما : « وما أبرئ نفسي ، إن النفس لأمارة بالسوء » .

فالنفس بطبعها تحن ، وترنح ، وليس لها من عصمة ذاتية  
تمنعها ان لم يتغمدها الله برحمته ( ولو لا فضل الله  
عليكم ، ورحمته ما زکى منكم من أحد أبدا ) ( ولو لا فضل  
الله عليكم ورحمته لاتبعتكم الشيطان الا قليلا ) .

وأيد القائلون بهذا مذهبهم بأن السياق كله من كلام امرأة العزيز بحضرة الملك ، في غيبة يوسف .

وظني أن نسبة العبارة ( وما أبلىء ) الى امرأة العزيز -  
وان قال به الأثثرون - لا يتمشى مع سياق القصة . فالقصة  
تسجل أنها غوت ، وهوت ، وتسلطت ، وكذبت ، وتبجحت ،  
فجاهرت برغبتها أمام النسوة ، وكادت ، وظلمت . وهي بلا شك

كانت راغبة في المحظوظ الأكبر الذي لم يقع — رغم توفر الدوافع ، وتأجج الرغبة — لأمر خارج عن ارادتها « لو لا أن رأى برهان ربه ، كذلك لنصرف عنه السوء ، والفحشاء ، انه من عبادنا المخلصين » .

فكيف تتشدق بالأمانة — مع كل هذه الملابسات — وكيف تتبرى — بلا استحياء — لتقذم الغدر والخيانة ، ولترعم أنها بنت الحسب ، والنسب ، وربة الصون ، والعفاف ، ثم لتعلن في تواضع أنها لا تبرىء نفسها . كيف وفيها من تراث الجنس ما فيها ؟ ولقد تعجب يوسف عن الجلسة الملكية التي أعلن فيها براءة يوسف . ولكن هل يمكن هذا من أن ينقل الله علينا ما حاك في صدر يوسف ، وما جرى به لسانه ساعة علم أن الحق حمحص ، وأن الخصوم اعترفوا ؟ ألم يحدثنا القرآن عما أسر يوسف في نفسه ؟ ( فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم ، قال أنتم شر مكانا ، والله أعلم بما تصفون ) يوسف ٧٧

حکی ابن کثیر أن يوسف أسر في نفسه مقول القول کله أی : ( أنتم شر مكانا ، والله أعلم بما تصفون ) ومعنى هذا أن ضمير المفعول في « فأسرها » يعود على غير مذكور قبلا ، الا أن الاضماء قبل الذکر کثیر في کلام العرب من ذلك قول الشاعر

جزی بنوه أبا الغیلان عن کبر وحسن فعل ، كما یجزی سنمار

ونسب العوف هذا الرأی إلى ابن عباس رضي الله عنهم ، وحکی القرطبي عنه أن يوسف أسر في نفسه كلمة ( أنتم شر مكانا ) ثم جھر فقال « والله أعلم بما تصفون » .

ان الذي خلق الانسان ، ويعلم ما توسوس به نفسه ، هو سبحانه الذي نقل علينا خلجان نفس يوسف . فلا عبرة لما قيل من أن يوسف كان غائبا عن جلسة الاعتراف والبراءة .

يتبیع

بخاری أحمد عبده

# نفحات القرآن

## بقلها بحاري الحمد العبد

« وما أبرى نفسي »

تركنا يوسف عليه السلام وقد أزكنته أرياح الحقد المتبعة من  
فلتات السنّة اخوته ، ف Paxac صدره ولم ينطق لسانه . وليت شعرى  
هل شقت الأرياح طريقها الى العقل الباطن لتضاف الى ما فيه من  
آثار الصدمة الأولى . ولتوirth الى الاحفاد ؟

وتركتنا « العصبة » وغازات الحقد الدفين تتسرّب من باطنهم لتعلن  
أنهم — مهما كان — هم ، هم وغازات الحقد المتصاعدة استعلن ،  
واستبانة في :

- ١ — سرعة تسليمهم بتهمة السرقة فور أن أيقنوا أنها تجاوزتهم ،  
وللخطف « بنiamين » وحده .
- ٢ — وفي تطوعهم بتلقيق تهمة مماثلة ليوسف مؤكدين بذلك  
عراقة الجريمة في هذا البطن من اسرائيل .
- ٣ — وهم في الوقت نفسه يدلون بطهارة ذيلهم ، ويتنصلون  
ما حدث ، ويبيرعون ( قالوا أن يسرق فقد سرق آخر له من قبل )  
وبنيامين عندهم صورة من شقيقه ، لأن وحدة العرق تورث المشاكلة  
في الأخلاق أما « العصبة » فعرقهم غير العرق ، وأمهاتهم غير الأم ،  
وأخلاقهم غير الأخلاق .

وليت شعرى متى سرق يوسف عليه السلام وماذا سرق ؟  
من زاعم أن يوسف كان في حضانة « عمه » التي أحبتـه ،  
وتعلقتـ به ، وخشيـتـ أن يـسـترـدـهـ يـعقوـبـ فـتحـايـلـتـ ، وـمنـطـقـتـهـ بـمنـطـقـةـ

في حوزتها ، ثم أعلنت أنها تفتقد المنطقة التي ورثتها عن أسحاق عليه السلام ، وبالتفتيش عثر عليها مع يوسف ، فطالبت باعمال قانون « من سرق استبعد » وهكذا ظل يوسف معها حتى ماتت .

ومن زاعم أنه كان قد غافل جده لأمه ، وسطا على صنم له كان يعبد من دون الله ، فحطمه ، وألقى إلى الطريق بأجزائه .

ومن قائل انه كان يخفي من طعام أهله ، وبذله لمساكين .

وكل هذه أقوال لا سند لها ، ولا ظل لها من الحقيقة ، وظنني أنهم كذبوا فيما نسبوه اليه ليشتقو أكثر ، وأكثر ، وأن الأمر لا يعود أن يكون أمر غازات حقد دفين تتربّ - شيئاً ما - عن صدور موتورة .

والحق أن صدورهم تخففت بما زعموا ، وارتاحت . فطفقاً يعطفون يوسف ، ويتوسلون اليه بحق والد شيخ مفجوع ، يجد في ابنه المأمور سلوى . بل زادوا ، فأبدوا استعدادهم لفائدة بأنفسهم ، مما أعجب هذا الانقلاب ؟

ذلك دأب الأئمة العلية . تغتمم أيما اغتمام ان حل بساحة غيرهم خير ، وتنشرح صدرا ، وتصح حين تحل المصائب بغيرهم ، وصدق الله : ( ان تصبك حسنة تسوءهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمراً من قبل . ويقولوا لهم فرحون . قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا ، هو مولانا ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون ) التوبة ٥٠ ، ٥١ .

وكأنهم حين صاحوا : « تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض ، وما كنا سارقين » انما كانوا يعنون عصبتهم . ولما تناقضت الخطوب - على من لا يحبون - تتفسوا الصعداء وجمعوا من شمل انسانيتهم المبعثرة . وعلى ضوء ما استبان ، يمكن أن نرجح البصر في الآيات : ( فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ، ثم أذن مؤذن ، أيتها العير انكم لسارقون . قالوا وأقبلوا عليهم ، ماذا تفقدون . قالوا نفقد صواع الملك ، ولمن جاء به حمل بعير ،

وأنا به زعيم ٠ قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض ،  
وما كنا سارقين ٠ قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من  
وجد في رحله فهو جزء ذلك نجزى الظالمين ٠ فبدأ بأوعيتهم قبل  
وعاء أخيه ، ثم استخرجها من وعاء أخيه ٠ كذلك كدنا ليوسف ما كان  
ليأخذ أخاه في دين الملك ، الا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء ،  
وفوق كل ذي علم عليم ٠ قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل  
فأسرها يوسف في نفسه ، ولم يبدها لهم ، قال أنتم شر مكانا ،  
والله أعلم بما تصفون ٠ قالوا يائيا العزيز ، ان له أبا شيئا كبيرا ،  
فخذ أحدهنا مكانه ، انا نراك من المحسنين » ٠

والمراجعة — دائمًا — مدد للمحات جديدة ، ومما تراءى خلال هذه المراجعة الأخيرة : أن العصبة كانت تبطئ لشقيق يوسف غير  
ما كانت تبطئ ليوسف عليه السلام ٠ كانت تتنمنى في قراره نفسها أن  
لو أزيح « بنiamين » من طريقهم حتى يخلو لهم وجه أبيهم تماما ٠  
وهذا الاحساس الباطنى حملهم على أن يصيروا — مصدرين الحكم —  
فور أن سئلوا : ما جزاؤه ؟ ( قالوا جزاؤه من وجد في رحله ، فهو  
جزاؤه ، كذلك نجزى الظالمين ) ولم لا ؟ وقد ستحت فرصة شرعية  
ثمينة ، تريحهم من ريح يوسف التي يشتمنها أبوهم كلما لقى بنiamين ،  
يجدها تتضاعد من أعطاوه ، وتتمثل في نبراته ، ونظراته ٠٠٠ الخ ٠

والتدبير الحكم الذى دبره يوسف عليه السلام ليحتجز عنده  
أخاه ، تطوير نبوى لروح التآمر الذى جبلت عليه سالة اسرائيل ،  
بل ارتقاء بحيلة القتل ، وال默 ، والاستعداد العجيب لحبك المؤامرات  
كى تتحول الى تدبير ذكى ، وتسخير لوهبة التآمر في احقاق الحق ،  
وكتشف المبطلين ٠

واعلاء الغرائز الدنيا ، وشكם شرة النزعات العرقية أمر صعب ،  
يعى طاقات البشر الا أن يصاحبها توفيق الله ، وأشاره الى أن توفيق  
الله كان يرود يوسف عليه السلام وهد يدبر وي Kidd ، نسب المولى  
الكيد ، والتدبير الى ذاته ، فقال : كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ

أخاه في دين الملك ، الا أن يشاء الله ، نرفع درجات من نشاء ، وفوق كل ذي علم عليم » .

لا تكلني إلى نفسي ، ولا إلى أحد من خلقك طرفة عين

والنفس البشرية اذا جانبها التوفيق ، مضت تتتمايل على دقات الشيطان ، وتتبختر في اطواقها ، وأشاره إلى أن النفس لا تنتفع بمحاصنة ذاتية ، وأنها لا تبرأ من أدوائها البرء كلها ، الا بفضل الله وحده قال يوسف « وما أبرىء نفسى » تأكيدا لاعترافه المتصر ع السابق « والا تصرف عنى كيدهن ، أصب اليهـن ، وأكن من الجاهلين » .

فالآلية « وما أبرىء » فيها من كسر النفس وهضمها ما فيها . فالانسان لا شيء ، ان هو وكل الى قواه المجردة ، اذ النفس — بحسبتها — وخيمة ، وبيئة ، لابد أن تتوالى بالمراقبة ، والمحاسبة ، والنقد وأن تحمل حملا على موازین الدين الذي يقومها ، ويوجهها ، وينصرها على كل قوى الشر ، ويوفر لها الصحة النفسية ، ويخرجها من نطاق النفس الامارة ، الى نطاق النفس اللوامة الى نطاق النفس المطمئنة .

وابتناء هذا علمنا رسول الله أدعية تطب النفس الامارة ، وتقوظ قوى المراقبة ، والمحاسبة والتقويم . تلك القوى التي تعد بحق — من أهم مقومات النقد الذاتي .

روى الترمذى أن رسول الله ﷺ قال لحسين بن المنذر الخزاعى رضى الله عنه : كم تعبد لها ؟ قال سبعة ، ستة في الأرض ، وواحدا في السماء ، قال فمن تعبد لرغبتك ، ورهبتك ؟ قال الذى في السماء ، قال رسول الله ﷺ : أما لو أسلمت لعلمتك كلمتين تنفعانك فلما أسلم قال : يا رسول الله علمنى الكلمتين ، قال : قل : اللهم ألمى رشدى ، وقنى شر نفسي — حديث صحيح — ذلك لأن نفسك أصدقائك بك وأقدرهم عليك ، كما هي أصدقائك بك .

والنفس كما تذكر صراحة — قد تذكر بكتاباتها ، أو أبعاضها ، من ذلك ما رواه أبو داود والترمذى ، والنسائى عن شnier بن شكل ابن حميد عن أبيه قال : قلت يا رسول الله علمتني تعويذاً أتعوذ به ، قال : قل « اللهم انى أعوذ بك من شر سمعى ، وشر بصرى ، وشر لسانى ، وشر قلبى ، وشر منبى » فكل هذه تعد روافد للكيان النفسي .

والنفس في كل مستوياتها متهمة ، وتأكيداً لهذا كان رسول الله كثيراً ما يستعيذون من شر النفس ويكترون من الاستغفار ، ويتوبون إلى الله عشرات المرات في اليوم الواحد ، ليقينهم أن النفس البشرية لا تخلو — مهما صفت — من دخن ، ولا تأمن إلا إذا تجاوز المولى عن هناتها « ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة » .

عن أم معبد قالت : سمعت رسول الله ص يقول : « اللهم طهر قلبى من النفاق ، وعملى من الرياء ، ولسانى من الكذب ، وعينى من الخيانة فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور » رواه البهقى .  
وعن أبي موسى الأشعري عن النبي ص أنه كان يدعو بهذا الدعاء : اللهم اغفر لى خطئي وجهلى ، واسرافى في أمرى ، وما أنت أعلم به منى ، اللهم اغفر لى جدى ، وهزلى ، وخطئى ، وعمدى ، وكل ذلك عندي ٠٠٠ متفق عليه .

ولقد سأله رسول الله ص ربه أن يجمع عليه نعيم الإيجاب ، والسلب ، ومنه التعطير ، والتطهير : روى مسلم عن زيد بن أرقم ، أن رسول الله ص كان يقول : « ٠٠٠ اللهم آت نفسى تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت ولها ، ومولاها ، اللهم انى أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشى ، ومن دعوة لا يستجاب لها » .  
ان الاستغفار والاستعاذه ، والاستهداء دأب النفس اللوامة التي تعذر عن القصور والتقصير .

والنفس اللوامة لاتزال تتقلب بين الشكر ، والصبر ، والاستغفار ،

والذكر ، حتى تحيط صاحبها بسد منيع يعجز كل شيطان ، بيد أن الشيطان ، لا يُأس ، بل يظل يطوف ، ويطوف حول السد متمنساً غرة ، أو مرتقباً خلسة ، يوجه من خلالها ضرية يظنها قاضية ، وهي بفضل الله هادبة ، تورث حسن الأولية ، وتذكى حرارة القصرع ، وتمنح التوفيق : « إن الذين انتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا ، فإذا هم مبصرون . وآخوانهم يمدونهم في الغنى ، ثم لا يقصرون » الأعراف ٢٠١ - ٢٠٢ . والنفس اللوامة إذا احتوتها آفاق التوفيق ، صعدت - موقفة - إلى مراتب النفس المطمئنة التي لا تضرها فتنة مادامت السموات والأرض . وحينئذ يغدو المرء ربانياً مشمولاً بولالية الله ، وحبه . به يسمع وبه سبحانه يبصر ، وبه يطش ، وبه يمشي ، مصدق ما جاء في الحديث الصحيح ، وتلك منزلة التوفيق .

ان التوفيق ألا ت وكل الى نفسك طرفة عين ، هو أن تمنح قوى الكبح ، وتحدى نحو مقام العبودية الحقة حيث تبصر الافتقار ، وتحمل على الانكسار وتستطرأ أفضال الله ، ورحمته « ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكي منكم من أحد أبداً » .

ومستوى العبودية الحقة ، القائمة على معرفة فعالة بالله ، وبالنفس الإنسانية ، وأدواتها ، هو المستوى الذي تلحظ مدارجه في الحديث الصحيح : « سيد الاستغفار : اللهم أنت ربي ، لا إله إلا أنت خلقتني ، وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك على ، وأبوء بذنبي ، فاغفر لى ، انه لا يغفر الذنوب الا أنت » .

ان الامتلاء بدم هذا الحديث ، والانفعال بحقائقه ، ودقائقه ، من بصر بالنعم ، واقرار بالقصور ، ولياذ بالله هو العبودية المتمة التي تحمل على الانكسار ، وتحفز الى التوبة ، والاستغفار ، وتهدي الى مزيد من القصرع الى الله ، ألا يكلنا الى أنفسنا في سراء ، أو

ضراء . محدثان ما روى أبو داود عن أبي بكر رضي الله عنه . عن رسول الله ﷺ قال : « دعوات المكروب : اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لى شأنى كله ، لا إله إلا أنت » .  
 ان رسول الله ﷺ ، وهو يتوب ، ويستغفر ، ويستعيذ ، ووسائل تزكية شخصه ، كان يستوحى الآية الكريمة : « وما أبرى ، نفسي ، ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربى » وكان يتحقق كل الآيات التي تأمره هو بالاستغفار . « فاصبر ان وعد الله حق ، واستغفر لذنبك .. » « فاعلم أنه لا إله الا الله ، واستغفر لذنبك » « واستغفر الله ، ان الله كان غفورا رحيم ، « فسبح بحمد ربك ، واستغفره انه كان توابا » « وقل رب اغفر ، وارحم ، وأنت خير الراحمين » .

وكان أيضا يوجه المؤمنين إلى الآيات الجمة التي تربطهم بالاستغفار . والاستغفار وليد المراجعة المستمرة لحركات ، وخطرات ، وسكنات النفس ، نقر فيها ما يرضي الله ، ونستهجن ، وننكر مالا يرضيه وننذرلها بالعلاج العلل التي تطرأ فتقتل من كثافة النفس ، وتصيبها بالفتور .

روى مسلم عن الأغر المزنى عن رسول الله ﷺ قال : « انه ليغار(1) على قلبي ، وانى لأستغفر الله في اليوم مائة مرة » وفي رواية عنه : يأيها الناس : توبوا الى الله فانى أتوب اليه في اليوم مائة مرة » .

والتفكير في مثالب الذات ( أو النقد الذاتي ) بخيبة تعديل السلوك ، وتصحيح الشخصية كان طابع كل المرسلين ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

(1) ليغار : مثل ليغام ، اي تعترىه غيامة ، فيفتر عن الذكر ، ويغافل : هو ما يحتوى التلب مما يقع من حديث النفس وفي التأوصس ( غين على قلبه علينا : تفشت الشبوة ، او غشى عليه ، او احاط به الرين ) وظنى أن المراد هنا تأثر النفس بضفوط الحياة ، ومشكلتها :

والتعديل الذى ينشدونه — كان يتحقق تارة بالتوقيف ، والعون المباشر ، أو بالتوقيف والعون غير المباشر ، ويهمنى أن أسوق — على سبيل المثال — نماذج ، وموافقات نبوية ، تم فيما التعديل والتقويم باستعمال الطريقتين : الطريقة التوفيقية ، أو الطريقة التوقيفية .

### (أ) ظلمنا أنفسنا

روى مسلم في صحيحه عن أنس رضي الله عنه ، أن رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ قال : ( لما صور الله آدم في الجنة تركه ماشاء الله أن يتراكه ، فجعل أبليس يطيف <sup>(١)</sup> به ، ينظر ما هو . فلما رأه أجوف عرف أنه خلق خلقا لا يمتلك ) وذلك التجويف كان مدخل الشيطان إلى نفس آدم . كما أن تجاويف بني آدم مستظل مسرح الشيطان ، ومسراه إلى نفوسهم ، ولقد تلطى الله فعلاً مساحة شاسعة من تجويف آدم بالعلم « وعلم آدم الأسماء كلها .. » ولكن الشيطان — بما منح من امكانات — استطاع أن يجد في آدم عليه السلام ثغرة يتسلل منها ، ( فدلاهما بغرور ) فما لبث آدم ، وزوجه عليهما السلام ، أن مسهما في مأمنهما طائف من الشيطان ، ولكنهما سرعان ما أفاقا بعد غفلة ، وتذكرا من بعد نسيان ، وطفقا يهتفان ( ظلمنا أنفسنا ، وإن لم تغفر لنا ، وترحمنا لنكونن من الخاسرين ) .

وتجربة آدم عليه السلام مع أبليس تجربة رائدة . إلا أنها كانت يومئذ بدعا ، وقعت على غير مثال سبق . وسجلت في صفحة البشرية البيضاء ، والمولى الذي تعمد البشرية بألوان من التربية ، وأعانتها بتجارب وأنباء فيها مزدجر ، وتبصير ، قدر خلو دنيا آدم من تاريخ واعظ ، أو صديق ناصح ، أو عشير بصير ، أو مثال يحتذيه ، فتداركه — سبحانه — وأعانه ، وألهمه كلمات تركيه ،

---

(١) طاف بالشيء يطوف ، وأطاف به يطيف ، اذا استدار حواليه .

وتدرج به الى مكانته ( فتلقى آدم من ربه كلمات ، فتاتب عليه ، انه هو التواب الرحيم ) .

وهكذا — بالعون المباشر — أفاق آدم من غفوته ، وانتشل من وهدته ( وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاتب عليه وهدى ) .

أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم

ونوح عليه السلام عجم أقدار الناس ، وبasher الدعوة ألفا الا خمسين ، واكتسب من التجارب ما فاق تجاربه الموروثة ولكنه — كآدم — خاض تجربة فريدة لم يكن لها نظير . فلا عجب اذا (1) على قلبه من هول الطوفان ، وفداحة الفقدان ، فنسى ، ونادى : ( رب ، ان ابني من اهلى ، وان وعدك الحق ، وأنت أحكم الحاكمين ) وأفاق من صدمته ، بصدمة أخرى قارعة ، فيها تبكيت ، وتهديد ، وتبصير . أفاق على صوت الحق : ( ۰۰ يا نوح انه ليس من أهلك ، انه عمل غير صالح ، فلا تسألن ما ليس لك به علم ، انى أعطيك ان تكون من الجاهلين ) فتذكر ، وأبصر ، واستعاد بالله من نفسه الأمارة : ( قال رب انى اعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم ، والا تغفر لى ، وترحمنى ، أكن من الخاسرين . شيل يا نوح اهبط بسلام هنا ، وبركات عليك ، وعلى أمم من معك ۰۰۰ ) تاب عليه الذى تاب على آدم وتداركه بالعون المباشر ، فعلمه كلمات ، فأتممن : ( فإذا استويت ، أنت ، ومن معك ، على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين . وقل رب أنزلنى منزلا مباركا ، وأنت خير المنزلين ) .

### «المنيب الأول»

وابراهيم عليه الصلاة والسلام ، كان دائم التفكير في القصور البشري ، وما يمكن أن يصدر عنه من افرازات قد تحول بين النفس ،

(1) غشى عليه .

وبين أن تشكر حق الشكران . ذلك برغم أنه وفي ، وابتلى بكلمات ، فأتمنه : ( وابراهيم الذى وفي ) ( واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمنه ٠٠٠ ) وذلك لأن من كمال العبودية ألا تأمن بذكر الله ولو كانت احدى قدموك في الجنة ، والأخرى خارجها ، كما علمنا رسول الله ﷺ ، وكذلك قدر ابراهيم عليه السلام كبده ، وجهاده ، ومعاناته فرأها لا شيء بجانب نعم الله عليه ، وعلى الله ، فظن بنفسه التغريب أو التقصير . وظل لهذا ، يتاؤه ، ويستغفر ( ان ابراهيم ، لطه ، أواه ، منيب ) .

هكذا — بعون غير مباشر — كان ابراهيم ينقد نفسه ، ويندب تقصيرها ، ويشكمها حتى لا تشرد ، أو تستمرى ، التقصير ، حتى لا تألو جهدا .

### « انى ظلمت نفسي »

ويونس عليه السلام اعتبرته نوبة ضيق ، فترك موقعه ، وفر من الميدان آبقا إلى الفلك المشحون فابتلى بما هو أنكى ، وأقسى فأبصر ، وظن أنه فتن ، ونادى في الظلمات مستجيرا من نفسه : ( وذا النون اذ ذهب معاضا ، فظن أن لن نقدر عليه ، فنادى في الظلمات ألا الله الا أنت ، سبطاك انى كنت من الخاطلين ، فاستجينا له ونجينا من الغم وكذلك ننجي المؤمنين ) .

وموسى عليه السلام ، داهمه — في فتوته — من تراث اسرائيل ما داهمه . تعصب ، وحمى ثم اشتد فعدا ، وأسقط عدوه بالوكرة القاضية ، وسرعان ما أفاق ، فانطلق يستغفر وينهى باللائمة على نفسه ( ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها ، فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته ، وهذا من عدوه ، فاستغاثه الذي من شيعته ، على الذي من عدوه ، فوكره موسى ، فقضى عليه ، قال هذا من عمل الشيطان ، انه عدو مضل مبين . قال رب انى ظلمت نفسي ، فاغفر لى ، فغفر له ، انه هو الغفور الرحيم . قال رب بما أنعمت على ، فلن

## أكون ظهيراً للمجرمين )

وعاد موسى فسائل ربه ما ليس له به علم ، وظن أن مقام الكلام  
كمقام المشاهدة وأن من سمع من الله يحق له أن يطمع في الرؤية ، ثم  
فطن إلى حقيقته ، ورد إلى حجمه ، فعاد ينقد ذاته ، ويعنف نفسه :  
( ولما جاء موسى ليقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن  
تراني ، ولكن انظر إلى الجبل ، فان استقر مكانه ، فسوف تراني ،  
فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا ، وخر موسى صعقا ، فلما أفاق قال  
سبحانك تبت إليك ، وأنا أول المؤمنين ٠٠٠ )

وداود عليه السلام ضجت الكائنات - معه - بالتسبيح ،  
وجاوبته الجبال ، ولكنه كان دائم الاستصغر لشأنه ، والاستقلال  
لشكره ربه الشكر العملى المطلوب ( اعملوا آل داود شakra ، وقليل  
من عبادى الشكور ) فكان دائم المراجعة ، والأوبة إلى الله ، وابتلى  
بخصمين ، يناسدanh الحق ، ويحذرانه الشسلط ، فحكم ، ثم بدا له ،  
فطن أنه فتن ، فاستغفر ربه ، وخر راكعا ، وأناب .

وسليمان ، وأيوب عليهم السلام ، وغيرهما ، وغيرهما ، أنكروا  
من أنفسهم ما أنكروا ، وكل ما أنكروه من أنفسهم من باب ( حسنان  
الأبرار سيئات المقربين ) وبعضها لا يعدو أن يكون من انرازات الجبلا  
البشرية التي برئت من حلصال من حما مسنون ، ونسلت من ماء مهين  
دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب ، ثم غذيت بدر استخلاص من ( ١ )  
بين فرت ، ودم ، أما التهم التي كيلت للأنبياء في توراة بنى اسرائيل  
فقد حيكت مما في نقوصهم من تقيح ، وعدوانية ، وافتراء على الله .

يتبع

بخاري أحمد عبده

---

( ١ ) الدر : اللبن ، والفترث ما يحتويه الكرش من إخلاط متسنئة .

# نفحات القرآن

## بقلوب بخاري أحمد عبد الله

### وَمَا أَبْرَىءُ نَفْسِي

يغضب البشر ، وانى قد اتخذت عنك عهدا لن تخلفنيه ، فائما مؤمن آذيته ، او سببته ، او جلته ، فاجعلها له كفارة ، وقربة ، تقربه بها اليك يوم القيمة » .

ذلك روى عن جابر بن عبد الله ان رسول الله ﷺ قال : « انما أنا بشر ، وانى اشترطت على ربى عز وجل ، اي عبد من المسلمين سببته ، او شتمته ، ان يكون له

ذلك زكاة وأجرا » .

ولقد صدق الله حدس رسوله ﷺ ، فوقع ما تخوفه من نفسه - الأديمية - التي تبلغ بالنسبيان وبيفلات اللسان .

روى مسلم عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : دخل على رسول الله ﷺ رجلان . فكلماه بشيء لا ادرى ما هو . فاغضباه ، فلعنهما ، وسبهما . فلما خرجا قلت : يا رسول الله . من أصاب من الخير شيئا ما أصابه هذان . قال : وما ذاك ؟ قالت : قلت : لعنتهما وسببتهما . قال : او ما علمت ما شارطت عليه ربي ؟ قلت : اللهم انما أنا بشر ، فلما المسلمين لعنته او سببته فاجعله له زكاة وأجرا » .

بينت أن تعمق الذات ، واستقصاء أبعاد النفس ايجابا ، وسلبا ، كان دين الأنبياء صلوات الله وسلماته عليهم أجمعين . وتتبعت - لتوضيح هذه القضية - مواقف في سيرة الأنبياء كرام ، ظننت أنها تلقى الأضواء ، أو تخدم الفكرة التي مضيت أعلاجهما ، واستكمالا لما بدأت ، اختتم تلك الحلقة بلحمة من سيرة خاتم الأنبياء « انما أنا بشر »

ونبينا عليه الصلاة والسلام ، ذهب في نقد الذات الى بعد مما ذهب اليه اخوانه المرسلون عليهم السلام . فهو ﷺ لم ينقد نفسه على ضوء التجاوزات التي تصدر - فعلا - عنها ، بل فقه طبيعة الجبلة البشرية الخطاء ، وتمثل ما يمكن ان ينضح به الحما المسنون من افرازات ، وشغل بذلك ايمانا شفلا ، فأخذ يتضرع الى الله أن يغفر له ، ان وقع منه شيء من ذلك . بل نظر الى من اوذى ، وطلب من الله أن يحيل بليته عطية ، ومحنته منحة ، والمكره محبوبا .

روى مسلم عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول اللهم انما محمد بشر ، يغضب كما

وال المسلم قد ينزعج لكلمة يجهل تأولها ، وقد يجرح احساسه رداً كان - هو - يرجو نتيشه ، فيأسى ، ولقد عمل رسول الله ﷺ حساب هذا أيضاً ، وأدخله ضمن ما اشترط على الله : ..

روى مسلم عن أنس بن مالك قال : كانت عند أم سليم - وهي أم أنس - يتيمة . فرأى رسول الله ﷺ اليتيمه . فقال : « أنت فيه ؟ لقد كبرت ، لا بكر سنك » فرجعت اليتيمه الى أم سليم تبكي ، فقلت أم سليم : مالك يا بنيه قالت الجارية : دعا على نبى الله الا يكبر سنى . خالان لا يكبر سنى ابداً . فخرجت أم سليم مستعجلة تلوث خمارها ، حتى لقيت رسول الله ﷺ . فقال لها رسول الله ﷺ : « مالك يا أم سليم ؟ » فقلت : يا نبى الله - أدعوت على يتيمى ؟ قال : « وما ذاك يا أم سليم ؟ » قالت : زعمت أنك دعوت الا يكبر سفها . قال - أنس - : فضحك رسول الله ﷺ ثم قال : « يا أم سليم : أما تعلمين شرطى على ربى ؟ أنى اشتربطت على ربى فقلت : « أنت أنا بشر أرضى كما يرضى البشر ، وأغضب كما يغضب البشر » .

(أ) فلقد قرر القرآن بشريه الرسول بأسلوب التقين « قل » ، وأكد بالتكريير ، والهدف تحريك مفاعلات النفس اللوامة ، وإثارة نوازع النقد الذاتي حتى لا تنسى النفس أنها قاصرة ، عاجزة ، محدودة الأنفاق ، ضيقة العطن ، معبأة في وعاء بشري لا يتمالك : « قل إنما أنا بشر مثلكم ، يوحى إلى ... » « قل سبحان ربى » هل كنت إلا بشرا ، رسولًا » فالكلمة توحى بالعجز ، والقصور ، والافتقار الشديد .

(ب) والكلمة - كما دارت على السنة المسلمين - دارت على السنة الكافرين ، يظلونها حجة تدحض دعوى المسلمين . وكأنهم - بلوك هذه الكلمة - كانوا يشيرون الى قصور البشرية ، ومثالب البشر ، ويحركون نوازع النقد الذاتي ، حتى يبصروا في أنفسهم ، ويعوا قدرهم ، فيرجعوا عن دعواهم :

روى مسلم عن أنس بن مالك قالت الجارية : دعا على نبى الله الا يكبر سنى . خالان لا يكبر سنى ابداً . فخرجت أم سليم مستعجلة تلوث خمارها ، حتى لقيت رسول الله ﷺ . فقال لها رسول الله ﷺ : « مالك يا أم سليم ؟ » فقلت : يا نبى الله - أدعوت على يتيمى ؟ قال : « وما ذاك يا أم سليم ؟ » قالت : زعمت أنك دعوت الا يكبر سفها . قال - أنس - : فضحك رسول الله ﷺ ثم قال : « يا أم سليم : أما تعلمين شرطى على ربى ؟ أنى اشتربطت على ربى فقلت : « أنت أنا بشر أرضى كما يرضى البشر ، وأغضب كما يغضب البشر » . وهكذا كان رسول الله ﷺ رحمة للعالمين في حال الرضا ، والغضب . وكلمة « بشر » التي ترددت كثيراً في القرآن الكريم بأساليب مختلفة

فأقضى له على نحو ما أسمع منه ، فبن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذنه ، فاتماً أقطع له قطعة من النار » متفق عليه .

**« يوم القيمة والنفس اللوامة »**  
ومواصلة شكم النفس ، وكبح جماحها ، بتذكيرها ببشريتها المحفوظة بالعلل ، المعرضة للبل ، تورث السكينة ، والتواضع ، وتدنى من الله ، وترقى بالنفس على مدارج النفس المطمئنة ، الا ان النفوس - وهي على مراقيها - لابد لها - مهما احقرزت - من غفلات ، وغرات ، توجه اليها من خلالها وكزة من عدوها الشيطان الذي لا يفتا يتلخص حولها .

والقرآن اشار الى النفس التي لا تفتا تتقى ذاتها ، وتنعم تقصيرها - مهما اجهدت في الطاعات - اشارة توحى بالتقدير ، فقد جمع بينها ، وبين يوم القيمة ، في القسم بهما تعظيمها لشأنهما ، وتبنيها للمناسبة التي بينهما ، اذ النفس اللوامة تؤمن بيوم الدين ، وتنشد السلامة من اهواله ، ومن يوق اهواله يومئذ فقد رحم وفار . « لا اقسم(1) بيوم القيمة ، ولا اقسم

« ما هذا الا بشر مثلكم ، يريد ان يتفضل عليكم ، ولو شاء الله » لأنزل ملائكة .. » « ما هذا الا بشر مثلكم ، يأكل مما تأكلون منه ، ويشرب مما تشربون . ولئن أطعم بشراً مثلكم ، انكم اذا لخسرون » « وما أنت الا بشر مثنا ، فتأت بايضة ... » « انؤمن لبشرين مثنا ... » « ان هذا الا قول البشر » .

رسول الله ﷺ كان يتعلّب ببشريته تبريراً لخطأ متوقع ، او قصور محتمل ، فالبشرية صبغة بني آدم ، وكل ابن آدم خطاء . ١ - فهو ﷺ بحكم بشريته ينسى ، ويسهو كما يسهو غيره : عن عبدالله ابن مسعود عن النبي ﷺ انه قال : « انما أنا بشر مثلكم أنسى ، كما تنسون ، فإذا نسيت فاذكروني » متفق عليه .

٢ - وهو - بحكم بشريته قد يخدع بمسؤول الكلام ، وقد ينطلي عليه التمويه ، ففي حكم بغير الصواب : عن أم سلمة عن رسول الله ﷺ قال : « انما أنا بشر ، وأنكم تختصمون إلى ، ولعل بعضكم أن يكون الحن بحجه من بعض

(1) ادخال لا النافية على فعل القسم شائع . قال أبو السعود : فائدتها توكيد القسم . والاقرب ما نقله القرطبي من أن « لا » صلة وجاز وقوعها في أول السورة لأن القرآن متصل ببعضه ببعض ، فهو في حكم كلام واحد . فالمعنى اذن اقسام بيوم القيمة ، وظنني أن « لا » على بابها نافية ، لأن الاقسام تعظيم للمقسم به ، وكل عظيم أمام جلال المولى حقير ، فإذا قال المولى « لا اقسام » فهو جل جلاله لا يقسم . الا ان الجملة المنافية « لا اقسام تضفي على ما جاء على صورة المقسم

ان اعتلاء السلوك هو ثمرة نقد الذات ، ولو لم تكن النفس « أو نقدها » انما يجدها اذا وقعت في الحياة الدنيا . أما في الآخرة فلات حسین مندم . والندم ، والتلاوم — يومئذ — دأب كل النفيسيين مصدق ما جاء في الاثر : « ليس من نفس برة ، ولا فاجرة ، الا وتلوم نفسها يوم القيمة : ان عملت خيراً قالت : كيف لم ازدد ؟ وان عملت شراً قالت : ليتنى كنت قصرت ». واللوامة هي المستقلة للعمل المتعلقة بالامثل ، المنطلقة الى الاكمال ، المترعة دائمًا للنفس الامارة ، تنزعج ان فاتتها كمال ، فكيف بها ان فرطت ، او اخطأته ، او بدرت منها بادرة غفلة ، او نسيان ؟ . والقرآن يقدر في النفس اللوامة تفاعلاها مع كلام الله ، وتركبيها بآياته ، وازدجاجارها بآياته ، فانفعال النفس اللوامة يتولد — اكثراً ما

«الاسلام يتصدى»

الاسلام يوقد على معانى الأخوة ، ويحرکها حتى تنضج ، وتربو ، وتسود . فيغدو المؤمن — بها — هينا ، لينا ، كالجمل الانف ، ان قيد انتقاد ، وان انيخ على صخرة استئناف ، لا لانه أمעה ، ولا لانه ضعيف لا زَرْ له ، يستمر حياة التبعية ، والعملة . ولا لانه سلى يخشى المعارضة ، ويفر من تكاليف الایجابية ، بل لانه رأى بنور اليمان فرأى بصر ، وأدرك ان السماحة والرغق والمطاوعة النابعة من الاحساس العميق بالأخوة ، حكمة ورشد ، وان المشادة والنظاظة والعر

واللوامة هي المستقلة للعمل  
المتعلقة بالأمثل ، المنطلقة الى الأكمل ،  
المترعة دائمًا للنفس الامارة ، تتنزعج  
ان فاتتها كمال ، فكيف بها ان فرطت ،  
أو اخطأت ، أو بدرت منها بادرة  
غفلة ، أو نسيان ؟ .

والقرآن يقدر في النفس اللوامة  
تفاعلها مع كلام الله ، وتركيزها  
بآياته ، وازدجارها بآياته ، فانفعال  
النفس اللوامة يتولد — أكثر ما  
يتولد — من حرارة الایمان ، ودفع  
القرآن ، ويوزن ، ويترن ، بمعايير  
وقيم الاسلام .

وهذا الانفعال الایمانى قد يظل  
داخليا ، وقد يستعلن . وهو — في  
الحالين — لا يزال يربو ، ويتوقد  
حتى تتولد العزيمة التي تترجم  
النزعات الهووية ، وتكتفى طيب  
السلوك . والعزم اذا خار ، وانهار  
أمام اغواء الشيطان ، واغراء  
النفس الامارة ، حلت الطامة الكبرى  
التي حلت بآدم عليه السلام يوم  
افتقد العزم ، ونسى « ولقد عهدنا  
إلى آدم من قبل ، فنسى ولم نجد  
له عزما » .

به جلا ، وتنبه اليه الاذهان ، فكأن المعنى : ان يوم القيمة شأنه خطير ، وهو بالنسبة لكل الكائنات يوم عظيم يستحق ان يأتي في اسلوب قسم ، على صورة المقسم به ، ومع ذلك غان الله ينبيه الى عظمته ، ولا يقسم به . وهكذا — فيما اظن — يقال في كل ما جاء على نحو هذا التركيب ، والله اعلم .

(٢) أى نفس المؤمن الذى لا تراه الا معاقباً نفسه ، يقول : ما اردت بكلامى ، ويفعلى ، وبحديث نبى ؟ لم قارفت الشر ؟ لم ام استكثر من الخير ؟ لم لا اقول دائمًا للناس حسنا ؟ لم ، لم .. ؟

غى وحق ، وأن المؤمن في حربه  
وسلمه ، كيس فقط عزيز .  
والبين ، اللين ، يسمع النص  
ويقبل النقد ، ويعالج — باسقمار

— وعورة نفسه . إن النقد ، والنتد  
الذاتي منزلة بياركتها الاسلام »  
ويربي من أجلها ، ولا يزال يحدو  
اليها ، ويحدو ، حتى يصير منطقه :  
رحم الله امراً أهدى الى عيوبى .  
ولكن الانسان يتأثر كثيراً  
بعاطفتين نشطتين ، تسلطان  
عليه ، وتقبسان على زمامه ،  
وتسلمانه — ان طفتا — الى علّ

نفسية موية . هاتان العاطفتان  
هما : الانبوية ، وعشق الذات .  
والانسان طى قبضتها ، مختال ،  
فخور ، بالفعل ، او بالقوة . ياتر  
بالعجب ، ويتوشح الخياء »  
ويتعرض لسخط الله الذي لا يحب  
من كان مختالاً ، فخوراً . فهما  
عاطفتان تذغان باللهب ، وتصدران  
أرياحاً قابضة خائفة .

دائماً يشتئى الثناء ، ويتشوق الى  
الاطراء . وينشرح بهما صدراً وان  
صدراً عن نفاق أو تملق أو تلاعب ،  
وتهكم . فان لم يظفر بما يشتئى  
رأى ، وسمع ، وأسبل الازار ،  
وتبخر ، وغنى لنفسه .

والاسلام بكل تعاليمه ، يخبط  
الانسان ، ويربيه تربية تنضو  
أشواكه ، وتقيم اخادعه . ولذلك  
نند بالكبر ، والمرح والزهو ،  
والغرور ، والخياء ، وحب الظهور ،  
وسائل الصفات التي تقصى عن  
الجادة ، وتحدو الى المهالك .

ثم نقف بعد ذلك - معا - أمام آثار أخرى تتعش خاللها تلك الروح بشكل مباشر ، أو غير مباشر .

(( هل كنت الا بشر ))

عائد نقد الذات كثيراً ما يعود إلى  
السابعين ، وتذكير الرسول في  
آيات جمة ببشريته ، وانطاقه  
بحقيقته يستهدف — فيما يستهدف —

(١) ذلك الجيل الأول ، الذى طالب رسول الله ﷺ بـمطابـقـة تتجاوز قدر البشر . مما يدل على أن مفهـومـ الرسـالـةـ عـنـهـمـ مـفـهـومـ خـاطـئـ،ـ وـأـنـهـمـ يـجـورـونـ خـيـلـطـوـنـ بـيـنـ اللهـ وـرـسـولـهـ .

( ب ) او هذا الجيل المتأخر الذى  
كعاد يؤله الرسول او يخرجه من  
نطاق البشرية المحدودة القوى ،  
والقدرات ، او يميزه بميزات ما  
انزل الله بها من سلطان ، بل يخلع  
على غير رسول الله من المقربين  
صفات ، وينحله قدرات لا تكون  
غير الله .

ولقد سرد القرآن الوانا من  
المطالب الجائرة التي لا تقدم لمبشر  
ثم شفع ذلك بقول صادع يرد الى  
الرشد : ( وقالوا لن نؤمن لك حتى  
تفجر لنا من الأرض ينبوعا . او  
تكون لك جنة من نخيل ، وعنب ،  
تفجر الانهار خلالها تفجيرا . او  
تشقق السماء ، كما زعمت ، علينا  
كسفا ، او تائى بالله ، والملائكة  
تقبلا . او يكون لك بيت من زحوف  
او ترقى في السماء ، ولن نؤمن  
لمرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ،  
قل سيمحان ربى هل كنت الا بشما

رسولا . وما منع الناس ان يؤمنوا  
اذ جاءهم الهدى ، الا ان قالوا  
ابعث الله بشرى رسول اoooo  
الاسراء .

ومن هذا الباب كل الآيات التي  
جاءت تقرر بشرية الرسول ، وتحدد  
الدوائر التي يمكن أن يتحرك فيها  
حكم بشريته المشمولة بالوحى  
والرسالة . من مثل : « إنما أنت  
منذر ، ولكل قوم هاد .. » « إن  
أنت الا نذير » « قل إنما أنا بشر  
مثلكم يوحى الى .. » « وما جعلنا  
لبشر من قبلك الخلد ... » « وما كان  
لبشر أن يكلمه الله الا وحيا .. »  
... النـ .

فمثل هذه الآيات ترد رسول الله  
إلى نطاق العبودية بعد أن تسبّع  
روحه مع الوحي في آفاق السموات  
يعيش البشرية ، وصورها ،  
واحتياجها ، متضرعا ، خائعا ،  
شاكيا إلى الله ضعفه ، وقلة حيلته ،  
وهو انه على الناس . موحيا إلى  
الناس بما ينفع عليهم من استيطان  
الذات ، ومعرفة القدر ، والفقر  
إلى الله الغنى الحميد . فلا كبر ،  
ولا طغيان ، ولا مخيبة ،  
لا استهان .

وتأثرا بهذه التربية كان رسول الله عليه ص يؤكد هذا المعنى في أحاديثه محدداً لحقيقةه ، موجهاً لغيره : « هون عليك إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل التفديد بمكة » « لا تطروني كما أطربت النصارى ابن مريم فانما أنا عبد ، فقولوا عبد الله ورسوله ». متفق عليه .

ومن ذلك ما رواه مسلم عن أنس

قال : جاء رجل الى النبي ﷺ أحداً « متفق عليه ».  
 فقال : يا خير البرية . فقال رسول الله : « ذاك ابراهيم » .  
 هكذا كان رسول الله يأبى الا ان يعيش البشرية المطمأنة التي لا يرتكض فيها برجله شيطان .  
 روى أحمد وأبو داود بساند صحيح عن مطرف بن عبد الله بن الشخير قال : قال ابى : انطلقت في وفد بني عامر الى رسول الله ﷺ فقلنا : أنت سيدنا ، فقال : « السيد الله »  
 فقلنا : وأفضلنا غضلا ، وأعظمنا طولا . فقال : « قولوا قولكم ، او بعض قولكم ، ولا يستجربونكم الشيطان » .  
 وكما كان الرسول ﷺ يرفض أن تشار فيه شوائب الطين ، وغازات الحما العطين(١) .. كان كذلك يحرص على وقاية الأمة من شر ما تهب به . بمثل « اذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب » رواه مسلم وبمثل ما روى عن ابى بكرة قال : انتى رجل على رجل عند النبي ﷺ فقال : « ويلك . قطعت عنق أخيك ( ثلاثة ) من كان منكم مادحا محالة فليقل : أحسب فلانا : والله حسيبه ، ان كان يرى انه كذلك . ولا يذكر(٢) على الله

(١) العطين الآسن المتن .

(٢) اي : ويرى انه لا يذكر على الله أحدا ، ذ«لا» نافية لـ نافية بهذا التأويل . ويمكن ان تكون نافية جازمة ، وحيثـ تـحـذـفـ لـ اـمـ لـ الـ كـلـ مـةـ « يـزـكـ » .

(٣) الآيات من سورة الجن والثانية قبل الاولى .

(٤) الجن ٢٦ .

(٥) الأنعام ٥٩ .

البقية صفرة ٢٢

(٦) النمل ٦٥ .

فرجع ، وبين أن القضية قضية مسلم . وفي رواية « ما كان من أمر دينكم فالى ، وما كان من أمر دنياكم فأنتم أعلم به » .

ونزل — في غزوة بدر — بال المسلمين مفزاً لا ليس بمنزل . فانتقل بعد نصيحة الحباب بن المنذر إلى منزل آخر استراتيجي : اتى أدنى ماء من القوم فنزله ، وبنى عليه حوضاً فملاه ، ثم غور ما وراءه من القلب .

يتبع

بخاري احمد عبده

دائرۃ الرسالۃ ، والتبليغ : كان ذلك في قضية تلقيح النخل . نصح بعدم التلقيح ظاناً أن ذلك لا يفني شيئاً . فلما نقصت الفلة ، وذكروا له ذلك قال « إنما أنا بشر ، اذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذلوا به ، واذا أمرتكم بشيء من رأيي فانما أنا بشر

# نفحات القرآن

## بفضل من بحثي أحمد رعبيده

وما أبرئ نفسي

في معرض الحديث عن النقد ، والنقد الذاتي استشهدينا بأصول ،  
ومواقف تكشف عن تأمل هذا الاتجاه في الإسلام ، واستشهادنا  
بآثار فيها مراجعة النفس ، وتصحيح لواقف ، وعدول عن أقوال ،  
انطلاقاً من وازع بشري ، أو توجيه سماوي .

وكان رسول الله ﷺ مثل الرائد الذي استقينا من سيرته  
شواهد تثبت صحة ما ذهبنا إليه ، وتنزيد فنذكر هنا جانباً من سيرته  
ال الشريفة ، يزيد الأموروضوها ، ويؤكد أن ذلك الاتجاه لم يكن  
عارضاً بل كان أصيلاً ، وطليداً ينفذ بأصواته إلى الأجيال . من ذلك :

١ - ما ورد في الصحاح من أن رسول الله ﷺ ظن أن القردة ،  
والضباب ( بكسر الضاد المشدة ) ، والثيران من نسخ القرود التي  
مسخت ، وواجه الناس بهذا الفتن ، ثم عدل -- بهدى السماء --  
عن ظنه ذلك ، وأذاع في الناس أن الصواب جانبه فيما ظن . قال  
فيما يرويه مسلم عن عبد الله بن مسعود : « إن الله لم يجعل  
لسخ نسلاً ، ولا عقباً . وقد كانت القرود ، والخنازير ، قبل ذلك --  
أى قبل ظاهرة المسخ » .

٢ - وقد يقال : إن الظالم يتراجح بين أمرين لا يستطيع أن  
يرجح أحدهما على الآخر ، فإذا عدل رسول الله ﷺ عن ظن خامره  
فإن هذا لا يشكل قضية ، ولكن ما الرأي في موقف تصدى فيه رسول  
الله ليهودية ذكرت عذاب القبر بالتكذيب الزاجر ، ثم أوحى إليه ،  
فعدل ، وصوب قولها ، وأعلن ذلك في الناس ؟ روى مسلم عن

عائشة قالت : دخل على رسول الله ﷺ ، وعندى امرأة من يهود ، وهي تقول : هل شعرت أنكم تفتقرون في القبور ؟ قالت عائشة : فارتأى رسول الله وقال : « إنما تفتقن يهود » قالت عائشة : فلبيتنا ليالي ، ثم قال عليه الصلاة والسلام : « هل شعرت أنه أوحى إلى أنكم تفتقرون في القبور ؟ » قالت عائشة : فسمحت رسول الله بعد ذلك يستعيذ من عذاب القبر . وعند البخاري عن أسماء : « ولقد أوحى إلى أنكم تفتقرون في القبور مثل — أو قريباً من — فتنة الدجال » .

لا شك أن روح نقد الذات تنعش وضاءة في مثل هذا الموقف .  
٣ - وروح النقد تتتوفر « أكثر » في قضية زواجه من زينب بنت جحش بعد أن طلقها زيد بن حارثة . فقد وقف من القضية موقفاً ، وقال قولاً ، ولكنه عدل ، وبلغ فيأمانة باللغة ، ما لقى على موقفه السابق من تشريب ، وتبكيت ، أليس ذلك أعلى درجات نقد الذات ؟ أقرأ — في ذلك — متبراً قول الله : ( وادْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْتَمُ اللَّهَ عَلَيْهِ ، وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ، أَمْسَكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ، وَاتَّقِ اللَّهَ ، وَتَخْنُى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ، وَتَخْشَى النَّاسَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنْ تَخْشَاهُ ) الأحزاب .

٤ - ومثل هذا تلاوته على الناس قرآنًا يؤاخذه ، وبينده بالويل ، والثبور ، على خاطر جال بنفسه الإنسانية . والنفس الإنسانية لا تسلم أبداً من الخواطر ، والموساوس ، والهواجرس ، والمهموم ، وكأن القرآن يقول له : لا يبني لنفك أن يقع نسبه ، خواطر السوء(١) التي تشي بالضلال ، وتهدد بنكسة : ( وَانْ كَادُوا لِيَفْتَنُوك

---

(١) حسنات الأبرار سيئات المقربين ، وإن قد قيل : إن قريشاً منعت النبي عن الحجر الأسود حتى يستلم آلهتهم . فسائل نفسه : وماذا على ان فعلت ذلك تقية ، والله أعلم بالسرائر ؟ وقيل : دلليوا — ثمناً لاسلامهم — شيئاً من المبالغة بالهؤلهم ، فأدار الفكرة في رأسه . وقيل : أنفوا أن يجمعهم مع الموالى ، وستقط الناس « جلس » ، فانتحرعوا أن يطرد الدهماء ، ويترفرغ لهم ، فوقف يفكر بلمعاً في إسلامهم . ولو فعل واتبع أهواءهم ، لتوهم الناس أن ذلك بمحى نفـانـ كالـفـتـرىـ على الله .

عن الذى أوحينا اليك لتفتري علينا غيره ، وأذن لا تخذوك خليلا .  
ولولا أن ثبتك ، لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً . أذن لأذقناك  
ضعف الحياة ، وضعف الممات ، ثم لا تجد لك علينا نصيرا )  
الاسراء ٧٣ - ٧٥

ولقد غضب مثلك في الله ، وأراد أن ينتقم لله . وفي فورة نقمته  
اتخذ قراراً متسرعاً ، فأمر - كما جاء في البخاري - بتحريق  
رجلين ، ثم بدا له ، فعدل ، وقال : ( كنت أمرتكم أن تحرقوا  
فلانا ، وفلانا بالنار ، وإن النار لا يعذب بها إلا الله ) أليس هذا  
نقداً مباشرأ ، أو غير مباشر للذات ؟ بل اعلننا عن تسرعه ، وتعجله .  
والآخرى بمثله أن يتربى ، ويتبين ، والقرآن طلماً أوصاه بالريث ،  
وحذر من العجلة : « فلا تعجل عليهم » « عفا الله عنك لم أذنت  
لهم ، حتى يتبيّن لك الذين صدقوا ، وتعلم الكاذبين » ويوم تعجل  
قدر الله فدعا يوم أحد على الذين جرحوه ، وكسرروا رباعيته ،  
ومثلوا بعده حمزة ٠٠٠ الخ يومنـذ تلقى من ربه درساً ، والتقت إلى  
الناس ليخبرهم أن الأمر كله لله ، وأنه لا يملك - حتى - حق  
استنزال سخط الله على من آذوه . تلا عليهم قول الله : ( ليس لك  
في الأمر شيء ، أو يتوب عليهم ، أو يعذبـهم ، فإنـهم ظالـمون )  
آل عمران ١٢٧ .

وان كانت هذه الآية تسليـبه التحـكم ، والعـقـاب ، وتصـريفـ  
الأـمـور ، فـهـنـاك آـيـة تـلـوحـ أـمـامـ عـيـنـىـ الرـسـوـلـ الـكـرـيمـ بـالـسـكـينـ ، انـ  
جاـوزـ قـدـرهـ اوـ تـخـطـىـ حدـودـهـ : ( ولوـ تـقـولـ عـلـيـنـاـ بـعـضـ الـأـقاـوـيلـ ،  
لـأـخـذـنـاـ مـنـهـ بـالـيـمـينـ ، ثـمـ لـقـطـعـنـاـ مـنـهـ الـوـتـينـ ، فـمـاـ مـنـكـ مـنـ أـحـدـ عـنـهـ  
حـاجـزـينـ ) الحـاقـةـ .

انـ الرـسـوـلـ الـكـرـيمـ بـتـبـلـيـغـهـ مـثـلـ هـذـهـ الـآـيـاتـ عـلـىـ رـءـوـسـ الـأـشـهـادـ  
يـؤـكـدـ بـشـرـيـتـهـ ، وـأـنـهـ رـغـمـ مـاـ يـوـحـىـ إـلـيـهـ ، يـنـقـلـبـ فـيـ دـائـرـةـ الـعـبـودـيـةـ .  
وـهـذـاـ الـكـشـفـ الـواـضـحـ عـنـ مـنـطـلـقـهـ — مـنـطـلـقـ الـعـبـودـيـةـ — هـوـ عـيـنـ  
نـقـدـ الذـاتـ .

كلا إنما تذكرة

ولقد تعددت المواقف التي لتحققت فيها رسالته ، ورد الى الصواب ، فأذن في الناس ، أن قد أخطأ ، خامستحافت التشريع ، والتبيك ، ولفت النظر . وصنيع رسول الله هذا من أعظم الأدلة على صدق رسالته ، اذ لو كان طالب سلطة ، أو ذكر ، وجاه ، لما أدان نفسه ، ولاستنكر أن تستعمل أخطاؤه ، ولاعتبرها عورات يجب أن تستر ، ولكنها النبوة التي ترى أن ذلك توجيه لا تجريح ، وتذكير ، لا تعير . ولقد صرخ القرآن بهذا في قصة ابن أم مكتوم « كلا انها تذكرة . فمن شاء ذكره » هي اذن تتبيه لرسول الله ، ومعلم في طريق الرعاة ، والدعاة من المسلمين الى يوم القيمة .

والقصة : أن الرسول كان في مجلس الدعوة ، وحوله ناس من  
وجوه المشركين ، أقبل عليهم اقبلاً ، طمعاً في أن يسلموا ، فليس لهم  
بسلامهم من خلفهم ، واستغرق ، وشغل بهم ، ولم يبال بمن جاءه  
يسعى ، ينشد الفقه ، بل أغرض ، وعبس ، وتضجر ، وكاد يركن  
إلى صناديد قريش بقدر ما أعرض عن الأعمى الذي لم ير المحضور  
فلم يقدر الظرف . ونزلت الآيات المتيبة التي أفاق على صوتها  
رسول الله ، وعاد ليصبر نفسه من الذين يدعون ربهم بالغداة ،  
والعشى يريدون وجهه ، ولينشر فيمن علم بالقصة ، وفيمن لم  
يعلم ، أنه جانب الصواب ، فلacci التقرير ، والتأنيب : ( عبس  
وتولى . أن جاءه الأعمى . وما يدرك لعله يزكي . أو يذكر فتنفعه  
الذكرى . أما من استغنى . فأنت له تصدى . وما عليك ألا يزكي .  
وأما من جاءك يسعى وهو يخشى . فأنت عنه تلهى . كلاماً إنها  
تذكرة . فمن شاء ذكره )

هكذا قلبت الآيات رسول الله بين ضميري الغيبة : ( عبس ،  
تولى ، جاءه ) والخطاب ( يدريك ، فأنت ، وما عليك ، جاءك .. الخ )  
زيادة في التوعية ، والتبيه ، وتصريح بالاتهام بعد أن توهם - من  
ضمر الغيبة أن الحديث عن غيره .

## لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم

ونقض القرار قد يهون ان اتخذ عفو الخاطر ، دون أن يمحض الرأى ، بالتقليل ، والمشورة ، لأن مبررات الرجوع تكون عندئذ مقبولة . أما أن ينقض الرأى الذى تكون بعد نظر ، وترتير ، وتشاور ، وأن يؤذن بالخطأ فى أمر تختلف فيه الرؤى ، ولا ينكشف فيه — للناس — الخطأ فذلك أبعد آماد نقد الذات ، وادانة النفس . ولقد بلا رسول الله ﷺ موقفا كهذا : نظر ، ثم طرح القضية ، وشاور ، وترتير ثم اتخاذ القرار الذى لم يكن صائبا . ولذاك بلغ الغاية في نقد الذات ، وانفعل حتى بكى ، وأبكى : روى الترمذى <sup>1</sup> والطبرانى والحاكم ، وغيرهم باسناد صحيح عن ابن مسعود قال لما كان يوم بدر جيء بالأسرارى فقال أبو بكر : يا رسول الله قومك ، وأهلك ، استبقهم عسى الله أن يتوب عليهم . وقال عمر ابن الخطاب : يا رسول الله : كذبوك ، وأخرجوك ، وقاتلوك ، قدمهم فاضرب أعناقهم . وقال عبد الله بن رواحة : انظر واديا كثير الحطب ، فأضرمه عليهم نارا . فقال العباس — وكان يسمع ما يقول عمر — : قطعت رحمك . فدخل رسول الله ﷺ ولم يرد عليهم بشيء . فقال أناس يأخذ بقول أبي بكر ، وقال أناس يأخذ بقول عمر . فخرج رسول الله ﷺ فقال : ( ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن ، وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة ، مثلك يا أبا بكر مثل ابراهيم عليه السلام ، قال : فمن تبعنى ، فانه مني ، ومن عصانى ، فانك غفور رحيم <sup>(١)</sup> ) ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى عليه السلام ، قال : ان تعذبهم ، فانهم عبادك ، وان تغفر لهم ، فانك أنت العزيز الحكيم <sup>(٢)</sup> . ومثلك يا عمر كمثل موسى عليه السلام اذ قال : ربنا ادمس على أموالهم ،

(١) سورة ابراهيم ٣٦ .

(٢) المائدة ١١٨ .

وأشد على قلوبهم ، فلا يؤمنوا ، حتى يروا العذاب الأليم(١) .  
ومثلك يا عمر كمثل نوح عليه السلام ، قال : رب لا تذر على الأرض  
من الكافرين ديارا(٢) . إنك ان تذرم يضلوا عبادك ، ولا يلدوا  
الا فاجرا كفرا . ثم قال ﷺ ( أنتم عالة ، فلا ينفلت من أحد من  
الأسرى ، الا بفداء او ضرب عنق ) فأنزل الله : « ما كان شبيه أن  
يكون له أسرى حتى يثخن(٣) في الأرض ، تريدون عرض الدنيا ، والله  
يريد الآخرة ، والله عزيز حكيم . لو لا كتاب من الله سبق ، لمسكم  
فيما أخذتم عذاب عظيم(٤) » .

وروى أحمد : ومسلم من حديث ابن عباس ، عن عمر قال :  
لما أسر الأسرى يوم بدر قال ﷺ لأبي بكر ، وعمر : « ما ترون في  
هؤلاء الأسرى ؟ قال أبو بكر : هم بنو العم ، والعشيرة . أرى أن  
نأخذ منهم فدية ، فتكون قوة لنا على الكفار ، وعسى الله أن يهدى لهم  
لإسلام . وقال عمر : لا والله لا أرى الذي رأى أبو بكر ، ولكنني  
أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم ، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصديدها .  
فهوى الرسول ﷺ ما قال أبو بكر ، ولم يهو ما قال عمر . قال  
عمر : فلما كان الغد جئت فإذا الرسول ﷺ ، وأبو بكر قاعدان  
ي بكان . قلت يا رسول الله : أخبرنى من أى شيء تبكي أنت  
وصاحبك ؟ فان وجدت بكاء بكت ، وإن لم أجد تباكيت . فقال  
ﷺ « أبكي للذى عرض لأصحابى من أخذهم المذاء ، ولقد عرض  
على عذابهم أدنى من هذه الشجرة — لشجرة قريبة منهم — » فأنزل  
الله « ما كان لنبي ۱۰۰ عظيم » وفي رواية : قال ﷺ « إن كاد

(٣) يونس . ٨٨

(٤) نوح ٢٦ — ديارا = احدا .

(٥) يثخن في الأرض حتى يعظم شأنه ، ويستند ، ويغليظ ، من  
الثخانة التي هي الغلظ . فإذا أنزل بأعذاته وانبهك قوتهم ، جاز أن  
يأخذ الأسرى وقيل : يثخن : يبالغ في القتل .

(٦) الأنفال ٦٧ ، ٦٨ .

ليمتنا في خلاف ابن الخطاب عذاب عظيم ولو نزل العذاب ما أفلت  
الا عمر(١) »

والقرار كما رأينا ، اتخذ بعد اجتهاد ، والموئلي الكريم اقتضى  
حكمته الا يحرم مجتهدا من ثوابه ولكن لماذا شدد الله عليهم  
النكير ؟ :

١ - لأن هذه الغزوة كانت المواجهة الأولى بين المسلمين  
والكافر ، فأراد الله أن يعلمهم من أول وهلة أن القضايا الحيوية  
ينبغى أن تظفر بمزيد من الدرس ، والتفكير المتأني ، وأن توسع فيها  
دائرة المشورة •

٢ - الرأي الذي اتخذ أملته — بالدرجة الأولى — العاطفة •  
وتحتيم العاطفة — ولاسيما فيمن لم يرعوا — أبدا — عاطفة ،  
سذاجة تتذر بكارثة ، والمؤمن ينبعى أن تكون خطواته محسوبة  
بدقة •

٣ - وما كان الله ليكل المسلمين — في تجربتهم الأولى — إلى  
أنفسهم ، ولو أنهم تريثوا قليلا ، وسألوا عنون الله ، بنفس الحرارة  
التي كانوا يتضرعون بها إلى الله والمعركة تدور ، لأنهم الله ،  
ولكنهم تعجلوا •

٤ - أراد الله أن يعلمهم الا يدعوا — في شؤونهم — بالتفكير  
في العرض ، فالمادة في الإسلام ليست كل شيء ، وليس أولى  
الأشياء •

٥ - وأراد أن يعلمهم أن الفكر البشري — مهما علا مصدره —  
قد يتغير ، وأن الفكر الذي يعتمد على الأغلبية ليس دائما على  
صواب ، ذلك اذا اعتبرنا أن الرسول عليه السلام وأبا بكر كانوا في جانب ،

---

(١) روى : لم يكن أحد — يومئذ — الا احب الغنائم غير عمر .  
ما تمكن من عدو يمكن اسره الا ضرب عنقه . وكان شعاره : ماتنا  
وللغنائم . انما نجاهد حتى يعبد الله وحده « بحكي هذا ابن جرير » .

وأن عمر وحده كان في الجانب المقابل ، أما إذا اعتبرنا رأى عبد الله ابن رواحة الذي ذهب نحو مذهب عمر ، فلا أغبية منظورة ، بل الأغبية حينئذ أغبية معنوية بالنظر إلى ثقل رسول الله عليه السلام . إن الرسول عليه السلام وهو يضغط ضغطا على مواقف يدمغ فيها نفسه بالخطأ ، كان يوحى إلى الناس : أنه عليه السلام وغيره في مجال التفكير المجرد سواء ، وأن الرعية لا ينبغي دائما أن تصفق لرأي الراعي ، وأن للرق مواضع وللغلظة أوقات .

### وضع الندى في موضع السيف بالعلا مضر ، كوضع السيف في موضع الندى

ولكن ما معنى : « لو لا كتاب من الله سبق » ؟ ( أراد الله أن يهول - في أعينهم - ما ارتكبوا ، فقد أبطلوا بصنعيهم الحكمة المرجوة من وراء الاشchan وهي : اعزاز الاسلام ، وتوفير الهيبة ، وكسر شوكة الكافرين ، وهم بهذا غامروا بأنفسهم وخاطروا بها . لو لا كتاب من الله سبق ، فقد كتب سبحانه على نفسه الرحمة ، فلا يعذب قوما إلا بعد نهي وإنذار ، ولا ينكل بمجتهد وإن أخطأ ، فوق أنه سبحانه كأنه أطلع على أهل بدر فقال أعنوا ما شئتم فقد غفرت لكم . ويمكن تفسير الكتاب - في هذا المقام المقتضى للتهويل والزجر - بما جاء في قول الله : « وما كان الله ليعذبهم ، وأنت فيهم ، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ) انتهى بتلخيص من محسن التأويل .

### ولكن ما النقد ؟

دندنا حول كلمة النقد دندنة ذات شجون ، وتلك الدندنة بما حوت من أمثلة ، ومواقف ، ووضحت مفهوم كلمة النقد ، والنقد الذاتي ، ويزداد الأمر وضوحا إذا علمنا :

أن كلمة « النقد » نشأت مرتبطة « بالعملة » ففيها الزييف ،

وتکفل تنزه المعاملات من الغرر والغش · فالنقد تمییز الدرام (١) وتحدید درجتها من حيث الجودة ، أو الوداء ·

ثم توسع في المعنى حتى شمل الماديات ، والمعنويات ، وأخاط بالأخلاق ، والأعمال ، وتتبع الأفكار ، وسائل التصرفات ·

والذات الانسانية مستودع عملات معنوية جمة ، فيها الجيد ، والرديء ، والسلیم ، والسلیم ، وبين بين · والاسلام الذي قر أن « الدين العاملة » كان لابد له من اطلالة بصیرة على الخزانة الكائنة في أعماق الذات ، والحافلة بشتى العملات ، بغية اخضاعها « لفرزة » الدين حتى تتمیز ، وتخلص مما يشوبها من زبد ، أو لفرزة العقل ، أو العلم أو للقواعد السلوكية ، أو ... الخ · ومحظى المفارز التي تمھص بها الأفعال ، وتقوم الذوات ، والصفات تستوعبها موازين الدينية الحساسة التي فرتضيها معياراً قیماً لكل شيء ·

والنقد الذاتي : أن تعکف على ما توعى من قیم ، تختبرها ، وتكتشف ما عراها من غبرة ، أو صداً ، وتحارب ما هاجمها من جراثيم ، وطفيليات تفقدها الرونق ، أو تهددها بالدمار ·

فالمؤمن الذي يعيش في فسحة من دینه ، دائم النظر في نفسه : يراجعها ، ويظهرها ، ويهدبها ، ويخصنها ، ويتطورها حتى تسسلم ، وتفقه الظروف ، وتعی مقتضيات الأحوال .. فهو كالكثیر ، ينفي الخبر ، ويجلو ، حتى تظل الذات خالصة ، مخلصة ، بصیرة ، يتتجنب محاور الشیطان ، ويفلت بمهارة من شباكه ( ان الذين اتقوا ، اذا مسهم طائف من الشیطان ، تذکروا فاذا هم مبصرون ) ·

وموازين الاسلام لا تهدر قیم أولئک الذين تلقوا على الحلبة لکمة الشیطان فتعثروا أو ترعنوا ، أو سقطوا ثم استروا قائمين : ( والذین اذَا فعـلـوـا فـاحـشـةـ ، او ظـلـمـوـا اـنـفـسـهـمـ ذـکـرـوا اللـهـ ،

---

(١) والنقد أيضاً : النقر بالاصبع على الجوز ، والتدرب بالكت على البطيح ، واحتلاس النظر الى الشيء ، ... الخ ·

فاستغفروا لذنبهم ، ومن يغفر الذنوب الا الله ، ولم يصرروا على ما فعلوا ، وهم يعلمون ) ٠

وأوضح مثل لأولئك الذين كبوا ثم تمالكوا :

١ - الثلاثة الذين خلوا ، حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وضاقت عليهم أنفسهم ، وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ٠

٢ - وماعز بن مالك ، يلح على رسول الله أن يظهره من الزنى ، ورسول الله يرده قائلا : ويحك : أرجع فاستغفر ، وتب الى الله ، فلما رأى اصراره ، وتشبته ، واستوثق من أمره ، أمر به فرجم ، ثم قال عليه : ( استغفروا لماعز ، لقد ثاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعهم ) « مسلم بتصرف » ٠

٣ - والغامدية جاءت رسول الله تتشدد التطهير من الزنى والرسول يردها بمثل ما رد به ماعزا وهي تجادل : تريد أن تردني كما ردت ماعزا ؟ انى حبلى ، فأمهلها حتى وضعت ، وأرضعت ، وفطممت ، ثم أمر بها فرجمت ، وانبثق من دمها على وجه خالد فسبها فقال رسول الله ( مهلا يا خالد ، فهو الذي نفسي بيده ، لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكمن لغفر له ) مسلم بتصرف ٠

٤ - والذى جاء رسول الله يقول : هلكت ، سقطت على امرأته في نهار رمضان ٠٠ الخ وغيرهم ، وعيتهم ٠ كلهم صدرروا عن فضيلة نقد الذات بمنقاد الاسلام ، وتمدوا لحبائل الشيطان حتى تهتك فخلصوا الى حظيرة الحق ٠

يتبـع

بخارى أحمد عبده

# نفحات القرآن

## بقلوب بخاراتي احمد دعبيده

### وما أبزىء نفسي

في معرض الحديث عن نقد الذات ، تتبعنا مواقف ، وسقنا شواهد ، تشي بتأصيل ظاهرة النقد الذاتي في الإسلام ، وتناولت فيما تناولت مفهوم كلمة «النقد» التي نشأت مرتبطة بالعملية ، والسلعة .

ولقد تقرر أن الدين المعاملة ، وكلمة «المعاملة» تتضمن فيما تتضمن ، التعامل مع الذات (أئمرون الناس بالبر ، وتنذرون أنفسكم ) .

والذات الإنسانية مستقر طباع ، ومستودع قيم ، منها : الجيد الذي يستمد بهاءه من الدين ، ومنها الردىء المعتم الذي يافظه الدين ، وتتكره المعايير الإنسانية السامية .

والإسلام – بوصفه دين المعاملة – أطل اطلالة بصيرة على النفس الإنسانية ، ومستودعاتها ، وذلك على ضوء الأسس الربانية التي تتغلغل مشعة في الأعمق ، تكشف ، وتأسو ، وتشفى ، وتطهر ، وتميز الخبيث من الطيب ، والصالح من الفاسد .

فالملؤمن الذي يعيش في فسحة من دينه ، دائم النظر في النفس ، يرصد ذبذباتها ، ويختبر فجورها ، وتقواها ، اعمالا لقول الله : (وفي أنفسكم أفالا تبصرون ) .

والنقد الذاتي وليد تلك الاطلالة البصيرة على النفس وما تتضح به ، هو : أن تبصر في ذاتك ، مقوما درجة نقائصها ، منقيا ، كاشفا عنها ما عرها من غبرة أو من صدا ، وران .

وعملية الغور ، والتنقيب ، والكشف ، عسيرة ، وعرة المسالك ،  
دونها عواصف ، وعواائق .

ذلك لأن الإنسان أسير عاصفة حيوية غلابة تسمى عاطفة  
« اعتبار الذات » .

وهذه العاطفة كثيراً ما تجور حتى يغدو المبتلى بها كلفاً بنفسه ،  
عاشقاً لذاته ، مختاراً ، فخوراً ، ناسياً أنه يحمل من طبيعة الحماة  
المسنون .

نسى الطين مرة أنه طين      حقير فصالٍ تيها وعربد  
وكساً الخز جسمه فتباهي      وحوى المال كيسه فتمرد

ناسياً أنه أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً .  
ولهذه العاطفة روافد تغذوها بالقبح ، والدم ، وتدكى نارها  
حتى تغدو حجاباً نارياً ، يحجب العاطفة الماءدة ، وتعشى باصرتى  
صاحبها ، فلا يستطيع أن ينظر ، أو ينقد . كيف وهو لا يرى  
الآ حجاباً من دخان ، وساتراً من نار ساطعاً كالهب الأكسجين .

والإسلام من عظمته ، أنه يشخص أدواء النفس ، ويصف  
الأسفية ، ولا يهمل أبداً ما وراء الأدواء من أشياء تغري العلة حتى  
تستفحـل ، وتنـتـأـبـى على كل دـوـاء ، كذلك لا يـهـمـلـ الآـثـارـ النـاجـمـةـ عنـ  
الـدـاءـ ، لأنـ ولـائـ الدـاءـ — فوقـ أنهاـ تـؤـازـرـ الدـاءـ حتـىـ يـسـتـغـلـظـ —  
فيـهاـ حـقـيقـةـ الدـاءـ ، وـخـطـورـتـهـ . فالـإـسـلـامـ كماـ يـسـتـكـرـ الـاستـغـرـاقـ فيـ  
الـذـاتـ ، وـالتـقـوـقـ الـخـانـقـ فـيـ النـفـسـ ، يـحـارـبـ ظـواـهـرـ مـرـضـيـةـ آخـرـيـةـ  
تـتوـالـدـ مـنـ الـعـلـةـ ، وـتـكـاثـرـ حـوـلـهـاـ مـتـأـثـرـ بـهـاـ ، مـؤـثـرـ فـيـهاـ . وـمـنـ هـنـاـ  
اـهـتـمـ الـإـسـلـامـ بـالـتـرـبـيـةـ الـتـىـ تـمـنـعـ تـكـونـ الـعـقـدـ الـفـسـيـةـ ، وـالـتـقـيـةـ  
تـكـفـلـ الصـحـةـ الـنـفـسـيـةـ ، وـأـمـرـ بـالـعـنـيـةـ الـمـبـكـرـةـ بـالـطـفـلـ عـنـيـةـ مـادـيـةـ ،  
وـمـعـنـوـيـةـ ، وـلـعـلـ سـنـةـ التـأـذـينـ فـيـ أـذـنـ الـوـليـدـ تـرـمـزـ إـلـىـ الـعـنـيـةـ  
الـمـعـنـوـيـةـ الـمـبـكـرـةـ بـالـطـفـلـ . روـيـ أبوـ دـاـودـ عـنـ أـبـيـ رـافـعـ قـالـ :  
( رـأـيـتـ النـبـيـ عـلـيـهـ السـلـامـ أـذـنـ فـيـ أـذـنـ الـحـسـنـ بـنـ عـلـيـهـ حـيـنـ ولـدـتـهـ أـمـهـ فـاطـمـةـ  
بـالـصـلـاـةـ ) .

ومن هنا أيضا حارب الاسلام الانهزامية ، والانطوانية ،  
والتوسل ، والأثرة ، والمراءة ، وحب الظهور ، والأنية ،  
والتمسح . . . . .

وإذا ما خلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده ، والنزا

ان المنطوى في مثل هذه الأدواء ، المتجزع – حتى الثمالة –  
من عاطفة اعتبار الذات ، يرفض كل نقد ، ولا يهوى الا أن يحمد  
بما لم يفعل . ( لا تحسين الذين يفرحون بما أتوا ويحببون أن  
يحمدوا بما لم يفعلوا ، فلا تحسينهم بمفارقة من العذاب ، ولهم  
عذاب أليم ) آل عمران .

وخلني أن العذاب الأول عذاب الدنيا ، عذاب الانطواء في العلل ،  
والتسرب بالدرن وعدم التكيف مع المجتمع ، وعدم الانتفاع بهدى  
الهاديين ، ونصح الناصحين .

### فلا ترکوا أنفسكم

ويكفيينا – في مقام تحقيق متابعة الاسلام للعلة ، وشوائبها –  
أن ننظر في آيتين كريمتين تلاحقان داء النفخة ، والورم الذي  
لا يفشه غير التمسح والنفاق ، والمديح الموصول .

هذا الورم الذي أشار اليه رسول الله ﷺ في معرض الحديث  
عن رفع الأمانة : روى حذيفة رضي الله عنه قال : حدثنا رسول  
الله ﷺ عن رفع الأمانة قال : ( ينام الرجل النومة )<sup>(١)</sup> فتقبض الأمانة  
من قلبه ، فيظل أثراها مثل الوكت )<sup>(٢)</sup> ، ثم ينام النومة ، فتقبض  
فييقى أثراها مثل أثر المجل )<sup>(٣)</sup> ، كجمر دحرجته على رجلك ، فنفط )<sup>(٤)</sup> ،  
فتراه منتبرا )<sup>(٥)</sup> ، وليس فيه شيء ، ويصبح الناس يتباينون ،  
ولا يكاد أحد يؤدى الأمانة ، فيقال : ان في بني فلان رجالاً أميناً ،

(١) كنایة عن توالى الغفلات . (٢) الأثر البیسیر كالنقطة .

(٣) المجل ما يظهر في اليد من أثر العمل .

(٤) متقدماً .

(٥) تقرح .

ويقال للرجل : ما أعقله ، وما أظرفه ، وما أجده ، وما في قلبه  
مثقال حبة من خردل من إيمان ) متفق عليه .

ومثل هذا الورم لا يخش إلا لينتفخ من جديد ، والمتلى به  
لا يعيش إلا في جو موبوء شهيقه نفاق ، وزفيره أنوثية ، واحتياط ،  
وبخل .

أعيذها نظارات منك صادقة أن تحسب الشحم فيمن كله ورم  
وجملة الصدارة ( فلا ترکوا أنفسکم ) بعض آية في سورة  
النجم : ( ۰۰۰۰ ان ربک واسع المغفرة ، هو أعلم بكم اذ أنساکم  
من الأرض ، واذ أنتم أجهنة في بطون أمهاتکم ، فلا ترکوا أنفسکم ،  
هو أعلم بمن اتقى ) وهى الآية الأولى من تلکما الآيتين .

والآية بل العبارة تنهى المؤمنين عن تركية الأنفس ، وادعاء  
براعتها وخلوصها من شوائب المعاصي والذنوب ، فلا شهادة لنفس  
بأنها جمعت أسباب النقاء ، كيف وكل ابن آدم خطاء ؟ كيف ومما أثر  
عن رسول الله قوله : « ان تغفر اللهم تغفر جما ، وأئى عبد لك ما ألمًا ؟  
كيف والله وحده هو الأعلم بمن اتقى ، وبالصلح من المفسد ؟

وتتركية النفس تكون اما مباشرة بأن يتغنى المرء بأمجاده ،  
وأفضاله مباھيا منتھيا ، فان لم يجد أفضالا ، ابتدع ونسج  
من خياله .

واما بواسطة ، يمدح غيره ، ويغنى ، ويطرب هو ، وينتفخ .  
والعبارة القرآنية تحرم هذا ، وذاك . تحرم كل ثناء على النفس  
تمدحا ، أو رباء . وتجنب مثل هذا الصنيع يكون أبعد عن الرياء ،  
وأقرب إلى الخشوع ، والاعتدال . فوق أن التورط في هذه الرذيلة  
يتنم عن روح مرائية ، ويبعد بالمرء عن فضيلة المراقبة ، والمحاسبة ،  
ونقد الذات . ويلقى بالنفس في أحضان الترجسية — عقدة عشق  
الذات .

« ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء »  
النساء ٤٩ .

والآية الثانية هي آية النساء التي سبقت في أسلوب تعجب يوحى بالاستنكار ، والتحذير « ألم تر » واتفقت في ذلك مع آيتين تجاورانها : آية سابقة وأخرى لاحقة . وكلها تعرض ، بل تندد بسلوك أهل الكتاب الذين اشتروا الفسالة ، واحترفوا الأضلال ، وعبدوا الطاغوت ، وافتروا الكذب . . . الخ . ورغم كل ذلك يتبعون ، ويذكرون أنفسهم : ( ألم تر الى الذين أتوا نصيبا من الكتاب يشترون الفسالة ، ويريدون أن تصلوا السبيل ) النساء ٤٤ .  
( ألم تر الى الذين يذكرون أنفسهم بل الله يذكر من يشاء . . . ) النساء ٤٩ .

( ألم تر الى الذين أتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجنة ، والطاغوت ، ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا بعيلا ) النساء ٥١ .

وآيتها « ألم تر الى الذين يذكرون أنفسهم . . . ٠٠٠ » عامدة تتبع لكل الذين يمارسون رذيلة تركية النفس ، وان اتفق المتألون على أن المراد – بالدرجة الأولى – اليهود .

ولا عجب ، فهم أبالسة هذا الفن قالوا : « نحن أبناء الله وأحباؤه » وقالوا : « لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى » وقالوا : « لن تمسنا النار الا أياما معدودة » .

ولكم تبادلوا المذايح فأثنى بعضهم على بعض ، وظنني أن هذا التمادح في مقدمة ما تتناوله الآية الكريمة ، تمادحوا رغم ما هم فيه من حماة فعجب الله منهم ، وسخر من صنيعهم .

والتركية – كما أسلفت – التطهير ، والتملص من الذنوب ، والآية ببنائها التهكمي تغض من شأن كل من يذكر نفسه مباشرة أو بواسطة ، اذ لو لا احساس عميق بالنقص ، والضفة لما زمر ، أو تغنى ، ولما تمايل منتثيا حين يسمع المديح الأجوف ، فالحق أن الزاكى ، المزكى هو من قال بلسان أحواله ، وأعماله الكريمة « هأنذا » هو : من حستت أفعاله ، واستقام أمره فزakah الذى يعلم السر وأخفى .

## « جنایة التمادح »

تضافر الكتاب والسنّة على تجريم من يقترب رذيلة مدح النفس - مباشرة أو بواسطة - ونعني الإسلام على من يحترف أو يتعاطى حرفة مدح الناس تزلفا ، أو تكتسبا ، أو تقية ، أو مجازة لصوت نفاق يصرخ في أعمقه . ويحمل أن نورده - هنا - أثراً دل على شدة مقت الإسلام لتنقشى هذه الظاهرة .

١ - عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : سمع النبي ﷺ - رجلاً يثنى على رجل ، ويطيره في المدح فقال : ( أهلكم أو قطعتم ظهر الرجل ) متفق عليه .

ذلك لأن كلمات المديح تقع على أضعف الأوتار الإنسانية فتهتكه أو تحرقه وعندئذ يندفع الشيطان يخوض في دم المدوح ، يوشمه بالغورو ، ويخدعه بالكمال ، وبيطئه ، ويعوقه حتى يشل عرق الخير فيه ، هكذا يعين المادح الشيطان على أخيه .

٢ - وعن أبي بكرة رضي الله عنه أن رجلاً ذكر عند النبي ﷺ فأثنى عليه رجل خيراً فقال النبي ﷺ : ( ويحك قطعت عنق صاحبك - يقوله مراراً - إن كان أحدكم مادحاً لا محالة فليقل : أحبب كذا وكذا إن كان يرى أنه كذلك ، وحسبيه الله ولا يذكر على الله أحداً ) متفق عليه .

والحديث - علاوة على كونه يصور جنایة المادح على المدوح - يكاد يحرم عملية المديح ويحصرها في دائرة الضرورات التي تتبع المحظورات بكلمة « لا محالة » ويكاد يشك في مصداقية أي مديح باستعمال الأداة ( إن ) التي تقيد الشك « إن كان يرى أنه كذلك » ويكاد يقطع بأن التركية حق الله وحده ، وأن المثلثي - مهما كان دافعه - يكاد ينازع الله سلطانه « ولا يذكر على الله أحداً » .

٣ - وعن همام بن الحيث عن المقداد رضي الله عنه : أن رجلاً جعل يمدح عثمان رضي الله عنه فعمد المقداد ، فجثا على ركبتيه ، فجعل يحثو في وجهه الحصباء ، فقال له عثمان : ما شأنك ؟

فقال : ان رسول الله ﷺ قال : « اذا رأيتم المداهين فاحثوا في وجوههم التراب » رواه مسلم .

والحديث يوجب ألا نقف موقفا سلبيا من قاطعى الأعناق .

٤ - وروى الإمام أحمد ، وابن ماجة عن معاوية أنه كان يواضب في خطبه على كلمات منها : « اياكم والتمادح فإنه الذبح » .

٥ - وأثر عن ابن مسعود قوله : ان الرجل ليغدو بيده ، ثم يرجع وما معه منه شيء ، يلقى الرجل لا يملك له نفعا ولا ضرا ، فيقول له مثنيا : انك لكيت وكتيت . فلعله أن يرجع ولم يقض حاجة ، ولكنه أسطح الله عليه ، ثم قرأ ( ألم تر إلى الذين يذكرون أنفسهم ) الآية .

والآية التالية لآيتها تحشر المداهين في زمرة الذين يفترتون على الله الكذب : ( أنظر كيف يفترتون على الله الكذب ، وكفى به اثما مبينا ) .

قال القرطبي : ( نهينا عن التمادح خشية أن يدفعنا ذلك إلى الاعجاب والكبر ، ونظن أننا في الحقيقة بتلك المنزلة ، فيحملنا ذلك على تضييع العمل ، وترك الأزيد ياد من الفضل ، ولذلك قال ﷺ : « ويحك قطعت عنق صاحبك » .

٦ - وفي صحيح مسلم عن محمد بن عمرو بن عطاء قال : سميت ابنتي « بره » فقالت لى زينب بنت أبي مسلمة : ان رسول الله ﷺ نهى عن هذا الاسم : سميت « برة » فقال رسول الله ﷺ « لا ترکوا أنفسكم ، الله أعلم بأهل البر منكم ، فقالوا : بم نسميها ؟ فقال : سموها زينب » رفض اسم « برة » لأن فيه رائحة المدح . وما أتبه هذا بالألقاب الأضداد التي خلعت على أقرام لتنستر قماعتهم ، وضاللتهم .

ألقاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكى انتقاخا صولة الأسد ولهم حشونا – في مصر – أدمغة حكام بكاذب المديح ، وأضفينا عليهم من الصفات ما هم جديرون بنقليتها وحفظناهم بالأناشيد ،

والأغاني حتى مالت رعوسيهم وترنحوا ، ووردوا — وأوردونا معهم —  
المهالك ٠ ولا يزال من يسمون بالفنانين يمارسون هذه الرذيلة ،  
ولا تزال أجهزة الإعلام تشعر ، وتكتب ، وتزيف ، وتقلب الحقائق ،  
وتدير رءوس الحكام ، وتجعل من الأقزام عمالقة ، ومن الأبالسة  
ملائكة ٠

٧ — ولقد اشتم رسول الله ﷺ رائحة الملك في مدح بعض  
الوافدين فزجرهم ، وحذرهم من استدراج الشيطان : روى أحمد  
وأبو داود بسند صحيح عن مطرف بن عبد الله قال : قال أبي :  
انطلقت في وفد بنى عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا : أنت سيدنا ،  
فقال « السيد الله » فقلنا : وأفضلنا فضلا وأعظمنا طولا ، فقال  
« قولكم ، أو بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان » .  
فإن رسول الله ﷺ الذي طالما قال : « لا تطروني » « قولوا  
عبد الله ورسوله » « أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة »  
« لا تتذدوا قبرى عيدا » ٠٠٠ الخ ٠

ما كان ليقر أبدا المادهنة ، والملك ، والشهادة القائمة على غير  
علم ، والمائلة في المدائح التي تتدفق كالسيل من أفواه المضللين ،  
الضالين ٠

ومدح الميت ، والشهادة له لن يترب عليه أ Gowاء ، ولا تعزير ،  
ولا تفضيل ، ومع ذلك يمنع الإسلام أن نشهد له بما لا نعلم ، وأن  
نزر بأنوفنا في أمر غبي لا يعلمه إلا الله ، فلا تحكم لأحد  
باليولاية ، والوصول : ( روى البخاري عن أم العلاء الأنصارية  
فقالت : اقتسم المهاجرون قرعة ٠ فكان عثمان بن مظعون في بيتنا ،  
فوجع وجهه الذي توفي فيه ، فلما توفي ، وغسل ، وكفن في أثوابه  
دخل رسول الله ﷺ فقلت : رحمة الله عليك أبا المسائب ، فشهادتي  
عليك لقد أكرمك الله ٠ فقال النبي ﷺ وما يدركك أن الله قد  
أكرمه ، فقلت بأبى أنت وأمى يا رسول الله فمن يكرمه الله ؟ فقال  
أما هو فد جاءه اليقين ٠ والله أنى لأرجو له الخير ، والله ما أدرى  
وأنا رسول الله ما يفعل بي ٠ قالت : فوالله لا أزكي أحداً بعده أبداً )

وهذا الحديث يمنعنا أن نخوض في حال الميت بعد أن ينتقل إلى رحاب الله . أما مجرد الشهادة له بالخير من غير خوض ، ولا رجم بالغيب فلا شيء فيه : روى البخاري عن أنس بن مالك قال : مروا بجنازة فأثنوا عليها خيرا فقال الرسول ﷺ « وجبت » ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شرا فقال : « وجبت » ، فقال عمر بن الخطاب ما وجبت ؟ قال « هذا أثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة . وهذا أثنيتم عليه شرا فوجبت له النار ، أنتم شهداء الله في الأرض » فالشهادة هنا جماعية ودارت حول ما رأوا وشهدوا ، وأقرها الذي لا ينطق عن الهوى ، ومثل هذه الشهادة لا يعد اقحامًا أو اقتحاما لعالم الغيب .

ولقد نهى رسول الله عن المراشى التي هي ذكر أوصاف الميت الباعثة على تهيج الحزن وتتجديد اللوعة . أخرج أحمد وابن ماجة — وصححه الحاكم — من حديث عبد الله بن أبي أوفى قال : « نهى رسول الله ﷺ عن المراشى » عن مدح الأموات كما نهى عن مدح الأحياء .

ولقد جاء في البخاري ما قد يوهم أن رسول الله ﷺ روى سعد بن خولة بقوله : « اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ، ولا تردهم على أعقابهم ، لكن البائس سعد بن خولة يرثى له رسول الله أن مات بمكة » . والحق أن ذلك ليس من رثاء الموتى ، وإنما هو من التوجع والحزن وهو مباح . ومما قيل أن عبارة « لكن سعد بن خولة يرثى له رسول الله » من قول « الزهرى » أحد رواة هذا الحديث ، ( أفاد هذا أبو داود الطيالسي في روایته لهذا الحديث عن ابراهيم بن سعد عن الزهرى ) .

هكذا يرفض الاسلام التمادح ، والمداحين ، ويشغلك عن هذا بالبصر في نفسك وبرصد أخطائك ، واحصاء تجاوزاتك ، وتقوييم اعوجاجك ، يشغلك بالنقد الذاتي مسترجعا قول الله « وما أبرئ ، نفسي ، ان النفس لأماره بالسوء » .

### بخارى احمد عبده

# نفحات القرآن

## بquelle بخاري أحمد رعبله

ومن لم يحكم  
الشخص والشخصية

أشرت اشارات لطيفة الى « الشخصية الاسلامية » ومضيت دون  
أن أجدها ، أو أكتسف عنها النقاب ، أو أقربها — على قدر تصوري  
لهم القراء .

و قبل أن أتناول كلمة « شخصية » باعتبارها بناء صناعيا يحفل  
بالدلائل ، أجد أن من المفيد أن أبدأ بالسادة المجردة عارية مما يلحقها  
من زيادات لها مدلولاتها . . . أن أنظر في كلمة « شخص » .  
فالشخص سواد الانسان ، وغيره ، تراه من بعد . هذا هو الحقيقة  
اللغوية للكلمة بعيدة عن الدلالات الأخرى .

ولكن الكلمة — بعد هذا — تشي بالبروز ، والحركة ، وتوحي  
بالارتفاع ، والبدانة ، لأن الشيء اذا كان في منخفض لا يستعين . و اذا  
كان نحيلًا ، هزيلًا فقد تخطئه العين .

والشخص في الواقع تختلف اختلافا كبيرا ، أو صغيرا . واعتبارا  
لهذا أداروا الكلمة حتى تضمنت معنى المغايرة فقالوا : المتشخص هو :  
المختلف المتفاوت .

والذى يرود قومه ، ويقدمهم هو أول سواد يرى — في الغالب —  
واعتبار المها سموا السيد شخصا ، لأن السيد له الصدارة ، والجسامية ،  
والوجهة ، والظهور . . . ومراعاة لكل هذه الاعتبارات تتنوع دلالات  
الكلمة فقالوا : « شخص بصره » اذا رفعه ، و « شخص من بلد الى  
بلد » اذا سار مرتفعا ، و « شخص النجم » اذا ارتفع . . . وقالوا :  
شخص بفلان « بالبناء للمجهول » اذا قلق ، وانزعج فاهترت مقوماته .  
والشخصية بناء زيدت فيه الياء المشددة والهاء ، لا للدلالة على

النسب (١) ، ولا لتأكيد المبالغة (٢) ، ولا للتفخيم (٣) ولا لتكثير البنية (٤) ، ولا للفرق بين الواحد واسم جنسه الجمعي (٥) . بل للدلالة على جماع الصفات الذاتية الفطرية ، أو الموروثة ، أو المكتسبة بالعاشرة ، والتقليد ، أو بالمدارسة ، والتلقين ٠

ولكل امرئ شخصيته المتولدة من استعداداته ، ودواجهه ، وظروفه . وكلها عوامل تؤثر في مقدار تجاوبه مع قيم مجتمعه ، وتحدد مدى تكيفه ، أو تناقضه مع البيئة التي يعيش فيها ٠

والشخصية ليست - كالبصمة - طابعا فرديا لا يتعدد ، بل كثيرا ما ينضوي أفراد لا حصر لهم تحت لواء سمات مشتركة مكونين ما يعرف في البحوث النفسية بالزواج ، أو النمط . والأنماط متشخصة مختلفة . وأبادر فأقول : ان مدلول هذه البنية عند أهل اللغة يعني رسوخ القدم في الشيم الكريمة التي توحى بها الكلمة . فالإنسانية امتلاء بصفات الإنسان الأعلى . كذلك الآدمية والوطنية ، والروجولية . . . الخ كلها أنانية تقييد بلوغ الغاية الحسنة من هذه الصفات .

الا أن كلمة « شخصية » تقلبت بين أرباب الصناعات من لغوين ، ونفسين ، وحملت من هؤلاء ، وهؤلاء ، دلالات متمايزة ، فتقللت ، واحتاجت إلى نعت مميز ، ومن هنا قالوا : « شخصية سوية » ، « شخصية قوية » ، « شخصية ضعيفة » (( شخصية مهزوزة )) ٠ هذا ، ولا شك في أن الشخصية بمقوماتها . وتدبير دعامة من دعائهما أو ظهر راقد من روادها عدوان على الشخصية برمتها وقتل معنوى بطيء للوعاء وما وعي (٦) ٠

(١) كمصري .

(٢) نحو الدهر دواري اي يتقلب كثيرا هذا . وقد تأتي للمبالغة في الألوان : كأحمر وأخضر .

(٣) كقول السلطان القبدي : أنا السلطان الذي قد علمت . . . ستن ما يحكم فهو بالحق صادع <sup>هـ</sup>

(٤) نحو قمرى ، كرسى ، برنى لنوع من أجود أنواع التمر .

(٥) نحو تركى ، زنجى ، رومى للواحد واسم الجنس الجمعي ترك ، روم ، زنج .

(٦) وعاه يعنه ، وأوعاه : حفظه وجمعه .

## الشخصية المسلمة

والشخصية المسلمة تطوير في الشخصية العامة ، واعلاء لها • وهي وليدة كل قيم الاسلام وكل هدایات الشريعة – هي صبغة الله ، ومن احسن من الله صبغة •

وتكميل الشخصية الدينية متوقف على مدى الارتباط بالتبغين الشريين ، وعلى فقه الهدایات المتمثلة – عند التحقيق – فيما فرض الله من فرائض ، وحد من حدود ، وأرسى من قواعد ، في كل الاوامر والنواهي التي زخر بها القرآن ، وزخرت السنة • فإذا غمز الشخص • وصحت الاوعية ، وسلمت الفطرة ، واستمر التتفق طابت الشخصية ، واكتملت ، وربت ، وأنبت من كل زوج بهيج ، كروع أخرج شطأه • فما زره فاستعلاظ غامستوى على سوقه •

الشخصية الدينية – اذن – مكتنفة بخطوط ايجاب ، وسلب بينهما مشابهات • فمن أهل الحلال ، وحرم الحرام ، واتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ووقي المخاطر ، وغالب كل عوامل التعريه •

الا أن الشخصية الدينية لا تتحقق بالترام فرد ، أو أفراد ••  
وانما تتحقق في أمة عزيزة تتلقى ، وتعكس ، وتلتزم ، وتدعوا ، وتضرب للناس الأمثال ، أمة تحرض على كل شعاع ، وتذعن لكل أمر ، وتتصدى للجادد ، والجامد ، وتضرب حتى تستقيم الأخادع • وصدق الله •  
﴿وكذلك جعلناكم أمةٌ﴾ (كتم خير أمة ٠٠) (ولتكن منكم أمة ٠٠) •

والعدوان على الشخصية الدينية ، أو على جارحة من جوارحها – كالعدوان على الشخصية الحقيقة – اجرام ، وجناية يؤاخذ مرتكبوها • والدمت المطبق والجناة ينتقصون من الاطراف ، ويبقرون الأعضاء ، عضوا ، فغضوا – بلا شك – كفران ، وتمرد ، أو ذل ، وتقاعس ، واشترك في الجريمة الكبرى ، جريمة مسخ أمة ، وسلخها عن مقومات وجودها . هذه المقومات التي عنيت سورة المائدة برفع دعائمها منذ استفتحت بـ « افعلوا » و « لا تفعلوا » بالاوامر ، والنواهي التي تبني الشخصية الدينية ، والتي توحى بأن من وظائف السورة الرئيسية

ابداع الشخصية المسلمة ، وخرطها ، حتى تبرز سببها ، حية ، سوية ، موزونة بين الاوامر والنواهي المتكاملة ، المتتسقة . تعرض تماما من السلبيات ، وتتمسك ما استطاعت بالايجابيات .

والسورة بهذا الاستهلال البارع تحمل المسلمين مسئولية الالتزام التعاقدى ، واحترام كل عهد بين الله والناس ، أو بين الناس والناس - بشرط ألا يكون فيه انتهاك لحرمة .

ولقد علمنا أن الآيات التي تعد أساسا في مسئولية الالتزام التعاقدى كثيرة ، وكلها - على اختلاف اشاراتها - تستهدف صنع المسلم على عين الله ، وتقويمه بدين القيمة . فان ناعت كواهلهنا بمسئوليياتنا ، وتبخطنَا ، وتعثرنا ، ضللنا ، وزللتنا ، وحاصرتنا الآيات : ( فلما عتوا عما نهوا عنهم ، قلنا لهم كونوا قردة خاسئين . واذ تأذن ربكم ليبعثن عليهم الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب ، ان ربكم لسرير العقاب ، وانه لغفور رحيم ) . الأعراف . ٠٠

### نبذة كائفة

المائدة مزادة حافلة بالأطىاف الدسمة التي تغدو المسلمين ليبرزوا  
أمة مفتوحة عملاقة تحدوها قوة عاقلة رشيدة .

ولقد استفتحت السورة بنداء الایمان اثارة لكل قوى الایمان ، وحفزا للهمم ، وربطا بكل الحقائق التي تميزت بها السورة . وهي حقائق تتمثل في كل هدایات السورة من : أوامر ، ونواه ، وعبر ، واحالة إلى التاريخ ، وتبصير بانحرافات الأمم ، ونقد للسلوكيات ، وحديث عن وحدة الشريعة ، وحتميةأخذ كل الحقائق بقوة . ومن : وضع لأصول المواجهة ، وقواعد السياسة مع بصيرة نفاذة تستوعب الناس ، والأوضاع ، وتحدد الأسلوب الملائم لكل مقام ، ولكل مستوى .

واستيعاب كل هذه الهدایات لا يتيح الا بسلطان الایمان ، ولذلك تعددت في السورة نداءات الایمان لتظل أحجنته خفافة ، وآفاقه دفقة .

## « آيات بشاءة »

ومحور المسوقة آية الكمال « اليوم يئس ٠٠٠٠ » والآيات  
الأخريات تتضاد لتمكن المؤمنين من شدة الكمال ، ولتجنبهم جموع  
القوة ، وطغيان القدرة ، ومحنة الغرور ٠

كبح الجماح تنص في الأمر بالآباء ، والنهي عن الاحلال ، حتى  
إذا بلغت قوله سبطاته ( ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوك عن المسجد  
الحرام أن تعذدوا ) استعلن الأمر ، واستبان مقام العدالة .  
والسماحة في الإسلام ، واستدعت الآية نظيراتها ( يأيها الذين آمنوا ،  
كونوا قوامين لله ، شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على  
الآلا تعذلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله ) المائدة ٨  
وأوحى بعثة فرعون (١) ، وتمرد صاحب الجنتين (٢) ، وطغيان أصحاب  
الجنة الظالمين (٣) .

وتستدعي من تاريخ التشريع آيات تصف الجريمة ، وتحدد  
العقوبة ، وترد اعتبار من تاب : ( فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله ،  
فأصبح من الخاسرين ) ( من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من  
قتل نفسا بغیر نفس ، أو فساد في الأرض فكانما قتل الناس جمعيا )  
( إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ، ويسعون في الأرض فسادا  
أن يقتلو ) ( الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم )  
( والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله  
عزيز حكيم . فمن تاب من بعد ظلمه ، وأصلح فان الله يتوب عليه )  
حكيم . فمن تاب من بعد ظلمة ، وأصلح فان الله يتوب عليه .  
هكذا تنهادي بك آيات الأحكام حتى تسلمك إلى آيات الحاكمة  
التي نحن بصددها .

والآيات جسيما - فوق كونها تبني شخصية المسلم - تسد الثغرة  
التي يمكن أن تتسلل منها نعمة الكمال ، وتعد الأوصال التي تقوى  
الشخصية الدينية ، وتعيد إليها تمسكها إذا انتابها تأكل .

(١) « وقال فرعون يأيها المسالة ما علمت لكم من الله شيء . . . . . »

المحسن ٣٨ - ٤٢ .

(٢) « واضرب لهم مثلا رجليين . . . . . » الكهف ١٧ - ٢٣ .

(٣) « أنا بلونا هم . . . . . » القلم ١٧ - ٢٣ .

وأن فيها ملطاً (١) يسد الشقوق ، وتطعيمها ضد المعارض المستمرة .  
وأصالاً ضد قوى الشر ، وكيد الجنة ، والناس .  
وتتسابق الآيات إلى الذهن وتتداعى المعانى ، ويكوننا أن نذكر منها  
من غير تعليق قوله سبحانه :  
( يسألونك ماذا أحل لهم ، قل أحل لكم الطيبات . . . اليوم أحل  
لهم الطيبات . . . ) المائدة ٤ ، ٥

٧ ) ( واذكروا نعمة الله عليكم ، وميثاقه الذى واثقكم به ٠٠ ) المائدة ٧  
 ) ( يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن ييسلطا  
 اليكم أيديهم ، فكف أيديهم عنكم ٠٠ ) المائدة ١١  
 ) ( ٠٠٠ وقال الله انى معكم ، لئن أقمتم الصلاة ، وآتيتكم الزكاة ،  
 وآمنتكم برسلى ، وعزرتموهم لأكثرن عنكم سينياتكم ٠٠ ) المائدة ١٣  
 ) ( ٠٠ فبما نقضهم ميثاقهم لعنهم ٠٠ ) المائدة ١٣  
 ) ( ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا  
 به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء ) المائدة ١٤  
 ) ( يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ، ولا ترتدوا على  
 أدباركم فتنتقلبوا خاسرين ) المائدة ٢١  
 ) ( يأيها الذين آمنوا لا تتذدوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم  
 أولياء بعض ٠٠٠ ) المائدة ٥

( ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقووا لکفروا عنهم سیئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم . ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأنکلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ) المائدة ٦٦

( لعن الذين کفروا من بنی اسرائیل ٠٠٠ ذلك بما عصوا وكأنوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منکر فعلوه لبیس ما كانوا يفعلون . ترى كثيرا منهم يتولون الذين کفروا ) المائدة ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠

( لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود ) المائدة ٨٢

( قل لا يسبوی الخبیث والطیب ولو أعجبك كثرة الخبیث ، فاتقو الله يا أولى الألباب ) المائدة ١٠٠ الى غير ذلك من الآیات التي تعلی ، وتصون الشخصية الاسلامية وتکفل لها أسباب النمو الصحي .

پخاری احمد عدہ

(١) ملط الحائط: طلاء ، وملط حشو ما بين البنية واللينة «المونة».

# نفحات القرآن

## بِقَلْبِهِ بِخَارِيٍّ أَحْمَدُ عَبْدُهُ

(... وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصيبون ...)

بينى وبين شيطان رجيم

اثر تجربة مقزوة (١) مع طلائع تحمل الرايات ، ساورتني خواطر جنة (بكسر الجيم) (٢) ، ما لبثت أن اتسعت ، وانداحت كما تنداح دائرة في لجة الماء يلقى فيه بالحجر ، ثم تمكنت ، وملايت رووعي . وطفقت الجنة (بكسر الجيم) تهمز ، وتعمز ، وتلمز ثم تنشد : وظن بسائر الأخوان شرا .

ولم تجد الجنة مني صدى ، فأيقتنت أنها قدحت فأصلدت ، ورمت (٣) ولم تهم ، فمضت توسوس : ما تفتأً تتردد وقد رأى بصرك ، ووعلت بصيرتك ؟ ألم ينبهك رسولك عليه السلام – أيها الفطهن اللبيب اللوذعى – إلى رجال يصلون صلوات تترى (٤) بصلوات ، ويروحون ، ويغدون ، وأعمالهم تحقر عمل عاملين ، وسمتهم يحملوك على أن تخوض الطرف أجلالا ، وهيبة ؟ إلى رجال يتعاطون القرآن رطبا لا يتتجاوز حناجرهم ؟ وساعده أنى لم أترنح ، فواصل الطريق ، وتابع اللكم ،

---

(١) مثير التقزز والاشمئزاز (٢) الخواطر الشيطانية .  
(٣) يقال : ورى الزند اذا خرجت ناره ، وأوريت الزند اذا قدحته طلب ناره ، ويقال ملء الزند اذا قدح فلم يور اي لم يعط نارا ، ويقال للماهر الخبيث فلان يقدح فيوري اي لا يخيب سعيه ، كم يقال : قدح فأصلد للأخرق الذي لا يجيد ، كذلك يقال رمي فأصمى اذا أصاب الصيد اصابة تشنل حركته وتشتبه (٤) اشارة الى مثل ما رواه البخاري عن أبي سعيد في قصة الذهيبة التي قسمها رسول الله بين أربعة .. فاتهمه ذو الخويصة او ابنه عبدالله بالجور والتحيز – وفي الحديث : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر اليه وهو مقف مقفال : الله يخرج من ضميء هذا قوم يتلون كتاب الله رطبا لا يتجاوز حناجرهم . وفي رواية : يخرج فيكم قوم تحقرن صلاتكم مع صلاتهم ، وصيامكم مع صيامهم ، وعملكم مع عملهم ، يقرعون القرآن لا يتجاوز تراقيهم

أدواء وأشـفـقـة مـضـاـدة

والموالى اذ ابتلانا بالشياطين وقوتهم الضاربة ، اقتضت حكمته ، ورحمته ، الا يتركنا أغراضا سهلة مكشوفة بل وهب لنا مقاومة بصيرة ، بمعندها حرارة الایمان ، وصلوات الرحمن ( هو الذى يصلى عليكم ولائكته ، ليخر جكم من الظلمات الى النور ، وكان بالمؤمنين رحيم ) .  
ان المولى يكسر شرة الشيطان بأرواح علوية ، وقوى خفية ت镀锌 بالحق على الباطل وتتلف ما يألفون . ونظيرية القوة والمقاومة هذه سنة الله في الخليقة ، ألم يزود الأجسام بقوى ذاتية ترد غية الميكروبات المتسللة ؟ ألم يجعله بعض الداء ترياقا لبعض ؟ ألم يفسد سبم ملايين الميكروبات التي تستوطن الفم - مثلا - بمجاج ملايين أخرى ؟ ألم نتخذ من أصول الأدواء أمصالا نقى ، وتشفى ؟  
كذلك علمنا رقى ، وأدعية ، وحبانا قوى وأسفية ترد كيد الشيطان ، وتطه العلل المعنوية ، والنفسية .

(١١) يخلون : يطلبون خفية (٢) حديث وصم بالغرابة والضعف ، وبالغرابة والحسن ، وسند الحديث فيه عطاء بن السائب وقد اضطرب حاله <sup>بآخره</sup>

وتصديق بالحق ، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله ، فليحمد الله ، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ثم قرأ ( الشيطان يعدكم الفقر ٠٠٠ الآية ) ان الحديث – في ظني – صحيح المعنى ٠

وللة الشيطان – في أعلى درجاتها عنكبوتى النسيج واهن الجدران ، أو سحابة صيف لا تثبت أن تتشقّع اذا لامست حرارة أنفاس المتقين الذين اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ٠

وللة الملك – في ظني – هي التي تتفق الأرواح ، وتذكرى جذوة الایمان حتى تحرق عقد الشيطان وتتحل عرا كيده ، هي التي تثير الذكرى ، والذكرى تنفع المؤمنين وترتبط أول ما تربط بالذكر الحكيم ، بالقرآن العظيم ، متفق الأرواح ، والأئشفيه العلوية التي تدحر الشيطان ، وتعفو آثاره (١) ٠ فالقرآن كما قال الله : – ( ٠٠٠ هو للذين آمنوا هدى وشفاء ، والذين لا يؤمّنون في آذانهم وقر ، وهو عليهم عمى ، أولئك ينادون من مكان بعيد ) فصلت ٤٤ ٠

والشيطان يعيث ، وينصب شباكه بمنأى عن وهج القرآن ، وعن دوائره التي تموّج باشعاعات ، وشهب ترصد الجنة ( بكسر الجيم ) وتقذف الشياطين ( انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ٠ انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون )

النحل ٩٨ – ٩٩ ٠

هكذا تخدم المشادة بين قوى الخير ، والشر ٠ وقرب العبد أو بعده عن الأئشفيه القرآنية هو الذي يحدد النتيجة ٠

ولقد تدوركت وأنا أتدبّذب على الشفير (٢) ، وأحسست ببرد القرآن ، وبالآيات تداعى ، وتحلق حول ما ألقى الشيطان ، محاصرة ، مهاجمة ، وأحسست كأن هانقا يهتف بالآلية الكريمة ( وجعلنا بعضكم لبعض فتنـة أتصبرون ٠٠٠ ) ٠

---

(١) تعفو آثاره وتعفيها = تمحوها (٢) شفير الشيء حامته وشغاه =  
والمراد هنا شفير الماوية

## علماء النصوص

ونفحات القرآن تناح للمستهدين بقدر استعداداتهم ، ووفق أحوالهم النفسية فـ (المدى من الله كثير ، ولا يصره إلا البصير ، ولا يعم به إلا اليسير ، إلا ترى إلى نجوم السماء ما أكثرها ولا يمتدى بها إلا العلماء ) . قال بعض الأولياء : إن مثل هداية الله مع الناس كمثل سيل مر على فلات (١) ، وغدران (٢) فيتناول كل فلت منها بقدر سعته . ثم تلا قوله - « أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرهما » (٣) وقال بعضهم : هي كمطر أتى على أرضين ، فینتفع كل أرض بقدر ترشيحها للانتفاع به ) (٤) .

ولقد انفع عمر رضي الله عنه كل انفعان حين تلا عليه الصديق قوله سبحانه « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفقن مات أو قتل أتقلبتم على أعقابكم .. الآية . تلقاها - وهو يعاني مدمدة العمر بوفاة النبي ﷺ - بواعي غير الوعي ، وحسن غير الحسن ، وفلا يقال : « كأنني لم أسمع هذه الآية قبل اليوم » .

ان من النصوص نصوصا نمر عليها مصبين ، وبالليل دون أن نفطن إلى ما فيها من شحنات هادبة آسية ، حتى اذا نزلت نازلة خير أو شر ، ترهف المشاعر ، وتجلو الفؤاد ، عكست النصوص من أصواتها ، وسُكّبَت من شحناتها على سماوة الفكر ، ومرآة القلب وأعطت عطا لم يكن ليتاح لولا ماجد من رهافة ، ورقة .

ومن النصوص نصوص ينفحك الله بها فيزجيها إليك سابة تهشيم ، أو تيأس ، أو ترتعش أو ترجع القهقرى متخيزا إلى غنيماتك أو ملتحسا أصل شجرة تعض به اعمالا لحديث رسول الله ﷺ (٥) .

(١) الفلات « بكسر الفاء » جمع قلت « ينفع النساء وسكنون السلام » .  
والثالث نقرة في الجبل يستنقع فيها الماء .

(٢) الغدران جمع غدير وهو النهر ، أو ما غاثره السيل .

(٣) من سورة الرعد .

(٤) ما بين التوسفين مقتول من محاسن التأويل ج ٢ من ١٧ (٥) أشرطة إلى حديث حذيفة المتყق عليه : كان الناس يسألون رسول الله عن الخسر وفكت أسأله عن الشر مخالفة أن يدركني ... . وما في الحديث : قلت مما ثابرتني أن أدركني ذلك ؟ قال : تلزم جماعة المسلمين وأمامهم ، قلت ماذن لم يكن لهم جماعة ولا أيام ؟ قال : فاعتزل تلك الفرق كلها ولو ان تعزم بأصل شجرة .

ومن النصوص نصوص جزلة الأرواح ، لطيفة تنفذ – كلما دعت الدواعي – الى الأعماق تترغ فيها السكينة وتقيم على الجادة كلما أوشكت العوادى أن تتحو بك ناحية لتنطفلك ، أو أوشكت الشياطين أن ترودك الى شفير جهنم منحرفة بك عن الصراط المستقيم (١) .

### من صيحات القرآن

ورجع القرآن (٢) ينفذ – عبر المشاعر – الى الأعماق ، يسحج (٣) ما اخشوش ، ويجلو ما صدىء ، ثم يسكن في السويدة لينبئ كما ينبئ الأريج فيغمر الباطن والظاهر بأنفاس عبة منعشة تعين على اقتحام العقبات .

(أ) كلما استيأس المؤمن فخامره « الاحباط » وداخله الفتور ، واستسلم للسكرة ، والغفلة ، والخمول دوت في أعماقه صيحات القرآن ، وسمع وقع النداء الرباني (يأيها الذين آمنوا) يجمع عليه شمله ، ويفجر داخله طاقات الایمان التي تهديه الى سواء السبيل .

(ب) كلما تفاقمت الخطوب ، وادهمت الآفاق فاشتد التوتر دوت في الأعماق صيحات القرآن : (ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك ، فأخذناهم بالبأساء ، والضراء لعلهم يتضرعون ) فلولا اذ جاءهم بأمسنا تضرعوا ، ولكن قست قلوبهم ، وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون ) الأنعام ٤٢ ، ٤٣ .

(ج) كلما استبد فرعون وبطر ، ومكر ، وسحر ، وحشر الزبانية ،

(١) جاء في اثر اخرجه (رزين) موقوفا على ابن مسعود ، بيد ان احمد ، والنسائي رفعا عنه الى النبي صلى الله عليه وسلم : (سئل ابن مسعود رضى الله عنه - : ما الصراط المستقيم ؟ قال تركناهنا محمد صلى الله عليه وسلم في ادنى وطرفه الآخر في الجنة ، وعن يمينه جواد ، وعن يساره جواد « طرق » وثم رجال يدعون من مر بهم ، فمن أخذ في تلك الجواد انتهت به الى النار ، ومن أخذ على الصراط المستقيم انتهى به الى الجنة . ثم قرأ ابن مسعود « وأن هذا صراطى مستقيما ، فتابعواه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ) (٢) الرجع = الصدى والاثر .

(٣) السحج = القشر وازالة النتوء والشوائب .

وزمرة ٠٠٠ دوت في الأعماق صيحات القرآن ( ٠٠٠ ما جئتكم به  
السحر ، ان الله سيطه ، ان الله لا يصلح عمل المفسدين ، ويحق الله  
الحق بكلماته ، ولو كره المجرمون ) يومن ، واستقبل في الوقت نفسه  
أصداء قول الله ( لا تحزن ان الله معنا ) .

(د) كلما تصاعدت أرياح الحما مال السنون ، وتواثبت في حمأة  
العنف ديدان الهوى ، والأثرة والأذوية وهاجت تمزق الأوصال ، وتقرض  
العلاقات ، وت分成 ذات العين ، وتحلق ، وتتطمس في  
القلب حقائق التوحيد لتفدو الحياة كلها صدمات ، وسوء ظن وخيبة  
آمال ٠٠٠ عندئذ يهتف في التفوس هاتف القرآن ( وجعلنا بعضكم  
لبعض فتننا أتصبرون ٠٠٠ ) .

وعندئذ : يتدارك المولى القلوب ، ويسبغ عليها من نعمه السكينة ،  
ومن فضائل الصبر ، ويفدو المرء ، ويروح وهو يسترجع آيات الصبر ،  
وييلو فيما ييلو : - ( واصبر لحكم ربك ، ولا تكن كصاحب الحوت  
اذ نادى وهو مكظوم ٠ لو لا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو  
مدوم ٠ فاجتباه ربه فجعله من الصالحين ) من سورة القلم .

صاحب الحوت آثر أن يفر من الميدان فور أن صدم في قومه ،  
والتقمه الحوت ، وطوطه الظلمات ، واحتواه الغم ( وان يومن لمن  
المسلمين اذ أباق (١) الى الفلك المشحون ٠ فسماهم فكان من  
الدھضين (٢) ، فالتقمه (٣) الحوت وهو مليم (٤) . فلو لا أنه كان من  
السبعين ٠ للثب في بطنه الى يوم يبعثون ٠ فنبذناه (٥) بالعراء وهو  
سقيم ٠ وأنبتنا عليه شجرة من يقطين (٦) الصافات .

**بكارى احمد**

(١) أباق = هرب وهجر قومه .

(٢) من المغلوبين (٣) ابتعلمه .

(٤) مستحق للملامة (٥) طرحناء في فضاء واسع لا يواريه شيء .

(٦) شجرة اليقطين شجرة لا تقوم على ساق بل تمتد أو تتسلق  
ومثل هذا النوع من الشجر يلتحف ، ويفترش ، ويغطي ، ويقي غواصي  
الجو ، وقبيله هي القراع .

# نفحات قرآن

بِقَلْمِ بَخَارِي أَحْمَدَ عَبْدِهِ

## وَجَعَلْنَا بِهِنْكُمْ لِبَعْزِنْ فَتْنَةً . أَتَصْبِرُوْ ... نفحات في موجات

ما استبان، واستعلن أن للأصوات موجات، وأن للأضواء موجات.

ولقد اهتمت البشرية بطبيعة الصوت، والضوء، فعرفت الأصاء، وراقبت الأطياف، ورصدت الموجات، وحددت الذبذبات، وقاسى الأبعاد، واقتبس، واختزن من مدهما، واتجرت في فি�ضهما، واتخذت ما عرفت طريقا إلى مزيد من معرفة. وظننى أن الصوت، والضوء - وإن كانا قوام الوجود - لا ينفردان ببث الموجات، وتنويع الذبذبات، واحتراق الحواجز، وإيجاز العطاء. فالمملكت يتعجّب بموجات مختلفة عزيزة المنال، وموجات أخرى قد تحس، ولكنها لا تُحْدَد. وأهم هذه الموجات موجات روحية، موجهة، تنتشر لطيفة، وتحدد منازلها بصيرة. وتتخلل الأوصال حانية ثم تَفَذُّو، وتبني، وتتجدد ما تلف من خلايا النفوس، وقوى الأرواح.

وتظل تفرغ السكينة، وتبعث القلوب، وتشتت الأقدام، وتُغَرِّج بالآرواح مزكأة رضيّة.. تُحْسِنَ رِيَاهَا<sup>(١)</sup> ، وتحار في كنها. فليت شعري : -

أهى أكمام علوية تتفتق عن أرواح زكية طيبة النشر؟  
أهى من إشعاع رحمة الله التي وسعت كل شيء؟  
أهى من نفحات تجلى المولى على العباد حين يمضى ثلث الليل الأول<sup>(٢)</sup>؟

(١) الريأ : الريح الطيبة، وكنه الشيء حقيقته وما هيّته.

(٢) اشارة إلى الحديث الذي رواه مسلم: (ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة ، حين يمضى ثلث الليل الأول فيقول: أنا الملك ، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟ من ذا الذي يسألني فأعطيه؟ من ذا الذي يستغرنى فأغفر له " فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر).

أهى عبير صلوات الذين يحملون العرش، ومن حوله<sup>(١)</sup>؟

أهى من عوائد استغفار الملأ الأعلى للمؤمنين<sup>(٢)</sup>؟

أم هى ظلل السكينة تتنزل لما يُرفع من قرآن - من كلم طيب بالليل وبالنهار<sup>(٣)</sup>؟

هى على أى حال غيض من فيض البر الرحيم، وقبس من نوره سبحانه، ونعمة جلّى، كتلك النعم القرآنية التى تتماوج من حولك تُنبئ، أو تطمئن، أو توقظ، أو تحول، وتنتشل كلما استبد اليأس وتفاقم الخطب، أو حملك للاحساس بالمرارة على الإيقاع كصاحب الحوت. كتلك النعم التى رأيناها متمثلة فى آيات الكتاب. لكل آية فى مقامها اشعاعات متميزة تنفذ إلى مكمن الداء، وكلها تتلاقى متكاملة، متازرة، مستغذية، مشكلة حبل الله الذى يعصم ويجمع ويؤلف، والتجميع، والتأليف من أسمى النعم التى منّ بها المولى على عباده المؤمنين (... واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فاًلـف بين قلوبكم، فأصبحتم بنعمته اخوانا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها...) هل فطنت الى أن الله قدم نعمة الاخاء على نعمة الانقاذ والانجاء؟ ذلك تعظيمها لشأنها، وتنبيها إلى كونها القاعدة والأساس فى بنية العلاقات الدينية، والدنيوية فى المجتمع الاسلامى.

---

(١) إشارة الى قول الله: " الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ، ويستغفرون للذين آمنوا... الى آخر الآية رقم ٩، ٨، ٧ من سورة غافر .

(٢) اشارة الى قول الله :- [ ... هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيمًا ] الأحزاب [ ].

(٣) اشارة الى الحديث المتفق عليه :- [ كان رجل يقرأ سورة الكهف الى جانبه حصان مربوط بشطرين، فتغشت سحابة فجعلت تدنو وتدنو، وجعل فرسه ينفر فلما أصبح أتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال " تلك السكينة تتنزلت بالقرآن " ].

## أخوة وأخوة

والأخوة منبتها القلوب المفعمة بالحب. وعلى مثل هذه القلوب الخصبة الثابتة يُشاد صرح الإيمان بكل طوابقه ومختلف شعبه "لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولن تؤمنوا حتى تحابوا...".

والأخوة القائمة على علاقات ذهنية بحثة، أخوة اسمية لا تتمالك أمام عواطف الأنوية والشهوات الخفية، من رغبة في الاستئثار، والجمع، والإياع، والتسلق، وعشق الأضواء، وحب الصدارة، والظهور.

والعلاقات الروحية المتولدة من الأخوة الأولى تسرى دفينة زكية لتطبيع بطابعها سائر العلاقات الإجتماعية، فهي بحق كيد الشيطان، وغيظ الأعداء. فلا عجب إذا كان هم كل القوى المضادة المتحالفة تمزيق عرا الأخوة الأولى، أو تزييفها، وتتشويهها، وتحريفها - هكذا حتى تغدو جسداً بلا روح. كالأخوة الثانية التي اتخذت الذات، والغنىمة والنفافة محوراً، ومبدأً ومعاداً.

## الإنسان وبثر الظلمات

وحتى يستتبين حجم المصيبة التي تدهم المرء حين يجد فتنته في رفقاء الطريق ، ومحنته من يشاركونه المخيم، ويُلعنون - معه - الشيطان، أقف وقفة أخرى مع الإنسان وأدواته، عسى أن يخفف هذا من هول الفتنة، وويل المحنـة. إن الإنسان طرح أرض، ودليل هذا قوله سبحانه [ منها خلقناكم، وفيها نعيدهم...]. طه. فيه من طيب الأرض ، ومن خبثها ما فيه .

ولعل مما يؤيد هذا ما رواه أحمد في مسنده بسند صحيح عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [ إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض. فيهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والسهل والحزن والخبث والطيب] رواه أبو داود ، والترمذى وقال حسن صحيح رواه غيرهم . هو اذن قد يخشوشن فيفترط في الاخشيشان . وقد يملؤ

فيكون مُنْزَلًا شديد الملوسة. وهو مثل الأرض يغور، ويمرور، ويغور، ويثير فيقذف بالزبد، وتنتهي الزوابع، وتجتاحه العواصف ، ويتفجر كالبراكين لهبا، وشظايا، ويحوموا، وضبابا.

واحتواء الانسان - بالفعل أو بالاستعداد - لكل هذه الأرباء يجعله وسيلة ابتلاء جيدة ، وممكناً يظهر صبر الصابرين .

واتقاء هذه الزوابع التي تعتمل داخل الانسان منذرة أمرنا أن نستعيذ بالله من منكرات الأخلاق، والأعمال، والأهواء (ترمذى) - ومن شر السمع والبصر واللسان وشر المن بت<sup>(١)</sup> ، ومن علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، ونفس لا تشبع، ودعا لا يسمع<sup>(٢)</sup>.

ولعل فى دعاء رسول الله كلما انتبه من الليل : [اللهم  
اجعل فى قلبي نورا، وفى بصرى نورا، وفى سمعى نورا، وعن  
يمينى نورا، وعن يسارى نورا، وفوقى نورا، وتحتى نورا،  
وأمامى نورا، وخلفى نورا، واجعل لى نورا<sup>(٣)</sup>] لعل فيه تنبيها  
إلى بئر الظلمات التي ينطوى عليها الانسان، والتى لا تفت  
تغلى بحثا عن متنفس. وهى اذا اخترقت الحواجز، وتفلتت من  
عُقلها فاللتقت مع نظيراتها وغشت الأفئدة، والابصار فليس لها  
من دون الله كاشفة - إن تكرر كلمة "نورا" فى الحديث كما  
يشى بمسيس الحاجة الى دعم الله يشى كذلك بأن الظلمة تتهدى  
الاناسى وتتربيص بهم من كل مكان.

### زحف بلا دبيب

وهذه الظلمة التي توشك أن تعم كثيفة، خانقة، نذير مقت  
وغصب، رافدها المركبات الطينية، النفايات التي يُقلبها  
الشيطان لتنهى في الأعمق. هذه الظلمة قد تتكاثف ركاما،  
وتتفجر قذائف لتصيب عرا الإيمان وتحدث في بنائه شقوقا

(١) رواه أبو داود والنسائي والترمذى .

(٢) رواه أحمد وأبو داود وأبي ماجه .

(٣) رواه البخارى عن ابن عباس .

تتسلى منها طلائع الشرك. وحينئذ يزاحم الكفر الإيمان، ويجمعهما تعايش سلمى أعمى [وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون] ولا عجب فللشرك زحف - كزحف الذر - خافت، خاتل، غايتها القلوب، فإذا هيأ فيها موضع قدم عربد واغتال، وربما اكتسح - ضمن ما يكتسح - كثيراً من يتعاطون التوحيد، ويلوحون برأياته - [آخر الإمام أحمد عن أبي موسى الأشعري قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقال: "أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل، فقال له من شاء أن يقول: وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله؟ قال: قولوا: اللهم أنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه، ونستغرك مما لا نعلم..].

### خطر الأهواء

والأهواء مركب الشرك الخفي، تمتص دبيبها، وتتشبع به وتتسليه أمرة، ناهية، قاهرة [أفرأيت من اتخذ إلهه هواه، وأضلله الله على علم، وختم على سمعه وقلبه، وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله...] الجاثية.

والأهواء المتألهة المعبودة توفدها الشهوات الخفية، وكل ما يصدر عنها من عمل لا وزن له، وإن اتخاذ شكلاً شرعياً. ولخطورة هذه النوعية من الشرك الثاوى في تصاعيف الإيمان - أحياناً - اشتد اهتمام رسول الله صلى الله عليه وسلم به، وأعلن أنه أخوف ما يخاف على أمته فيما رواه ابن ماجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أخوف ما أتخوف على أمتي الاشراك بالله، أما إنني لست أقول يعبدون شمساً ولا قمراً ولا صنماً، ولكن أعمال لغير الله، وشهوة خفية".

والمؤمن الذي غالب نوازع اعتبار الذات، وحب الظهور، ونزعة التفرد والاستثنار موعود بجماع الطيبات [طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقية كان في الساقية، إن استاذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع] رواه البخاري .

## "ادواء الجبلاة تحت المجهر القرآني"

إن القوى الدنيا المتولدة من عنصر الحماء المنسون، والتمثلة في مثل الهوى، والأنوثة، والأثرة، والانتهازية، والشبق المحموم، والرياء، والنفاق، وعشق الذات... الخ هي سر شقاء الإنسان بنفسه ، وسر شقاء الناس به.

وكتشفا لأدواء الجبلاة في الإنسان، وضع القرآن الإنسان تحت المجهر "المicroscope" وسلط عليه من اشعاعاته النفاذه الكاشفة ما سلط - حلل الجوهر، وكشف المعادن، ورصد الأعراض، وشخص الأدواء، وتتابع الانفعالات، ووعظ، وزجر، وطبب ، وقوى ، وأحاط بالعنابة المركزة، وحذر النكسة والقهقرى: وهدى الى الصراط المستقيم.

ولكن اقتضت حكمته سبحانه أن يعيش الإنسان حامل مكروب يتغثر في عله - تلك - التي قد تنكمش، أو تختفي ولكنها تظل ساخنة كبقايا الجمرة تحت الرماد ، تتحين الفرصة المناسبة لتحقق وجودها .

هذا الإنسان - بقواه المكتومة والظاهرة - حجر عثرة في الطريق ، وبلاء أى بلاء . ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور . وعلى ضوء ما ذكرت وما سأذكر نتفهم قوله سبحانه:- [وَجَعَلْنَا بِعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فَتَنَّةً أَتَصْبِرُونَ] هكذا باطلاق "البعضية" دون تعيين ، أو تحديد ، أو تخصيص بوصف .  
يتبع إن شاء الله.

بخارى أحمد عبد

# نفحات قرآن

بكلم : بخاري أحمد عبده

وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون

وفار التئور

اعتذارا عن أناسي، وتبريراً لبعض سلوكهم، ومواساة  
لآخرين، وضبطا لبعض أنفعالاتهم أخذنا ذكر أدواء الجبلة التي  
تنمازع كثيرا من الناس، أو تعاودهم بين الفينة، والفينية.

ومضينا نستعرض من علل الإنسان الذي يغدو، ويروح  
وبين برديه، بل بين عطفيه مكروبات متحفزة والذي تعتمل في  
أعمقه مركبات مسنونة تتلظى، وترمى بالشرر.

والشرر المتطاير من تنور الجبلة يتتساقط على المرء،  
ويتراكم حتى يغدو الشخص لهبيا يحترق، ويحرق.  
يحترق في لظى أهواه، وجحيم شهواته. والشهوات،  
والأهواه يوم تتأله، وتطغى، تczdf ب أصحابها إلى شفا الهاوية،  
حيث تهوى به الريح في مكان سحيق.

وهو - بما تورثه أهواه من صفات دنيا، وبما تثير من  
عشق ذات، وانتهازية، وشكلية وعدوانية... إلى غير ذلك من  
النقائص التي تودي بالمجتمعات، وتحيل الأمم إلى هشيم تذروه  
الرياح - كأنه بين الناس كتلة لهبٍ تحرق، أو تلفح، أو تخنق  
بما تنشر من دخان.

والإنسان الذي رُزِيَّ بتلك الخلل يتعطل حسه، وتخدمه  
مشاعره، وتنحصر صلاته بمن حوله في علاقات ذهنية بحتة،  
ووَدَّ كاذب، خادع، كالبرق الخلب يكاد يذهب بالأبصار، ولكنه لا  
يغيث.

ومثل هذه العلاقات الجوفاء كالثوب الخلق، سريعا ما  
ينحسر، ويشفّ عما تحته من سوءات: من أنوية، وهووية،  
وشهوة خفية، بل سريعا ما يبلى فيتهافت.

فلا عجب إذا تناثر أبطالها أحجار عثرة، وعقبات على  
الطريق، ومشاكل يمتحن الله بها عباده.

إن الإنسان بعله الجلية، والمكتومة، فتنة كبرى، وبلاء عظيم، تُنور إذا فقد «المنظم» ففار قذف بالحمم، فليت شعري هل فار التنور؟

### شكانم الغرور

والإنسان - مهما تطاول وضخم - ابن عنصريه : الحما المسنون، والماء المهين، وهو بمقتضى هذا النسب متغير، منهوم، مسلوك في سلاسل من أطماء بلهاه، تفجرها عُقدُه، وشعوره العميق بالنقص. ذلك الشعور الذي نعش في بنية آدم عليه السلام، فأسلمه إلى النسيان، وحمله على الغواية، والعصيان - ضاق بشبح الفناء، وتقى إلى الملكية، والبقاء [... ما نهاكم ربكما عن هذه الشجرة، إلا أن تكونا ملكين، أو تكونا من الخالدين] الأعراف.

هو إذن شعور موروث كابرا عن كابر، وداءً متّوطن يحمل جرثومته الجنس كله. يظل يُفرِّي، ويُفْرَى، ويتضاعف، ويتطور، ويُزحف على مواطن الفضائل، ومنابت القيم في الكيان الإنساني.

والعاصم أن تتحصن بأشفيه الإسلام ضد آفات الجلة، وعلل النفوس. وإلا، وقُعنا تحت طائلة الآيات الدامغة التي تتخلل الكيان، وتكشف سوءة الإنسان أعمى كشف.

وإستكمالا للبحث يحسن بنا أن نستهدى بآيات قرآنية معبرة تبدي من قسمات هذا الإنسان، وتنفذ إلى أعماقه، وتقفه على أدواته ليحذر، ويُسْتَشْفِي، ويصرف شره، وشرره عن الناس.

ويروعنا أن القرآن لا يذكر لفظ الإنسان إلا مدموعا ببنقيصة تُزرى بكبريائه، وتشكم غروره.

١ - يتداركه وقد خامرها الغرور فسکر، وصقر خده، ومشى يطأول الجبال، ويستنصرف الأرض، يستوقفه، ويذكره بالماضي البعيد ، حين كان زبدا في عباب العدم [هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا].

٢ - ويقذف به من برج أوهامه العالى، فيترطم بحقيقة، ويرى نفسه ذرة في تراب، أو فقاعة في محل [ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حماً مسنون] الحجر.

٣ - وامعانا في الردع يرده إلى أصله القريب، عساه يُغضُّ

الطرف، ويلزم حجمه القميء. يكفي عن ذلك الأصل مرة [كلا إننا خلقناهم مما يعلمون] ويصرح به مرات [ألم نخلقكم من ماء مهين...][قتل الإنسان ما أكرفه. من أى شيء خلقه. من نطفة خلقه فقدرها]. [فلينظر الإنسان مم خلق. خلق من ماء دافق. يخرج من بين الصلب والترائب].

٤ - ولكن الإنسان لا يُغضِّنُ الطرف، بل يواصل غيَّه، ويمارس غروره متطاولاً، متمنداً، مُعِرضاً نفسه للتوبیخ القرائی [أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين، وضرب لنا مثلاً، ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم].

٥ - بجاحة وصفاقه استوجبتا تندید القرآن بلجع (١) الإنسان في الخصومة، ولدده، وفجره [وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً].

٦ - كذلك يستنسير الإنسان وهو البغاث، ويتنمر تنمر الهرة، ومنطلقه ضعف ومنتهاه ضعف [ يريد الله أن يخفف عنكم، وخلق الإنسان ضعيفاً].

إن الضعف قدر الإنسان، وهو - في عنفوان قوته - خائف يرقب الغد الرهيب والانتكاسة المودية [الله الذي خلقكم من ضعف، ثم جعل من بعد ضعف قوة، ثم جعل من بعد قوة ضعفاً، وشيبة] الروم ٥٤.

٧ - وتتغلغل الأشعة القرائية لتكشف عن عناصر معنوية في «توكيبة» الإنسان لها أثرها في حياته. عناصر تورثه الجزع والقلق، والتوتر، والاضطراب. من تلك العناصر عجلتها. فهو عجل لا يستقر ولا يتأنى، ولا يصبر، قلب، متذبذب [خلق الإنسان من عجل..] [وبدع الإنسان بالشر دعاء بالخير وكان الإنسان عجولاً]

٨ - والإنسان رغم قصوره عن التمييز بين الخير والشر بُلْعَةٌ (٢)، لا يزال يطلب المزيد مستفروقاً بـكُلِّيَّته في الجمع والإحساء، والإياع. فإذا ابْتُلِيَ، وقدر عليه رزقَه انهار، وجار، وعرض بمولاه [فاما الإنسان إذا ما ابتلاه رب، فاكرمه، ونعمه، فيقول ربى أكرم، وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن..].

(١) اللجع، واللدود. شدة الخصومة.

(٢) بُلْعَة - كَهْمَزةُ الْأَكْوَلِ.

٩ - وهو فوق هذا لوح يلحف في الطلب، هلوع سرعان ما يقتحمه اليأس [لا يسامي الإنسان من دعاء الخير، وإن مسه الشر فيئوس قنوط] فصلت.

١٠ - وهو رغم هوانه، ووهنه كنود<sup>(١)</sup> بطبعه، أجوف، سرعان ما تمتليء تجاويفه بنفح الشيطان. ولاسيما حين يحس بدفء المال وتحسن الحال [إن الإنسان ليطغى أن رأه استغنى] [قتل الإنسان ما أكفره...] [إن الإنسان لربه لكنود<sup>(١)</sup>، وإنه لحب الخير لشديد...].

١١ - وحبه الخير - ذلك الحب الطاغي - يعميه، ويصممه، ويورثه الشح الأصم الذي لا يرق، ولا يلين وإن تكدرت في خزانة الأموال [قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذا لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتورا<sup>(٢)</sup>].

هذا يتراءى الإنسان في القرآن نهب الأنواء، مثلاً بالأدواء، تائها بين ذاته، وعلاته، ورغائب الفاجرة، موسوماً بالجهالة الجهلاء، والظلم الكافر، والخسار، والبوار [إن الإنسان لظلوم كفار<sup>(٣)</sup>] [إنه كان ظلوماً جهولاً<sup>(٤)</sup>].

والإنسان باستجابته لداعى هذه النقائص جهول يظلم نفسه. فهو إذن أكثر جهلاً على الآخرين وأشد ظلماً لهم. إن جنساً يظل في درك الجهل والظلم والكفر حتى أسفل سافلين، حتى يَغُدوَ ظلوماً، جهولاً، كفوراً، بكل ما تحمل صيغ المبالغة «هذه» من شحنات، لَهُوَ حين يخلد إلى الأرض، فيوكل إلى الهوى، والنفس، لَهُوَ جِنْسُ ذرى يوشك أن يُفجّر نفسه، ويُسحق الأذنيين، والخلفاء.

---

(١) الكنود : الكفور .

(٢) القتور : الممسك الشحبيح

(٣) تمام الآية : [وأتاكم من كل ما سالتمنوه، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها، إن الإنسان لظلوم كفار] إبراهيم .٢٤

(٤) تمام الآية : [إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فابين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً] الأحزاب .٧٢

والقرآن - في آيات كثيرة - يتعقب المنحرفين، ويصفهم بأنهم ظلموا أنفسهم، ويسوق اعترافات النبيين بأنهم ظلموا أنفسهم [قالا ربنا ظلمنا أنفسنا] [قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لى...]. [قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين].

وتتردد هذه الحقيقة على السنة المرسلين وهم يستثيرون نوازع الأولية في نفوس أقوامهم [يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى ربئكم..].

ويصدق القرآن كل ذلك إذ يصف الخاطئين بأنهم ظلموا أنفسهم [وما ظلمناهم، ولكن ظلموا أنفسهم] [ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله...].

وكل ظالم - بلا نزاع - فاجر. والفجر، والانفجار، والتفجير، ولائدة مادة واحدة «فج ر».

وهكذا يستبين معنى : أن الإنسان الظلوم يوشك أن يُفجَّر نفسه، ويُسحق أشلاءه بل وأشلاء الأدرينين: [.. وإن كثيرا من الخلطاء ليبلغ بعضهم على بعض، إلا الذين أمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم...]. لا ترى أن الآية توحى بأن طوفان الكثرة الباغية يوشك أن يجرف البقية القليلة لو لا الله الذي جعل بين البحرين حاجزا لا يبغيان؟

وهوؤلاء الذين صورهم القرآن لاهثين خلف لا شيء، وكل شيء، موسومين بمسمى المهانة والرعونة، وضيق الأفق، والإلحاف، واللجاج، والخفة، والطيش... الخ هؤلاء هم السابلة، وهم رفقاء الطريق، ينضجون بين الفينة، والفينة بما فيهم وما فيهم قروح، وأورام تُهْيِجُ فتشير ثائرتهم، وتصيبهم أحيانا بداء الكلب:

كثير من بنى الدنيا ذئاب :: كستهم حكمة الدنيا الثياب ولا تظننْ أنى أنظر بمنظار أسود، إذ الرؤية التي أعرضها هي رؤية الإسلام. ألم يؤثر عن رسول الله ﷺ أنه قال مُحذراً من التفاؤل الزائد عن الحد [إنما الناس كأبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة] متفق عليه.

ذلك وأهل الخير كثرة، فكيف إذا قلوا وتحققت نبوءة رسول الله ﷺ [يذهب الصالحون الأول فالآخر، وتبقى حفالة

«حَثَّالَةُ» كحال الشعير، أو التمر، لا يباليه الله بالـ  
«مِبَالَةً»] الْبَخَارِيَّ.

ويَجْمَلُ أَن نستعيد - هنا - ما رواه الترمذى عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ [يخرج فى آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين، يلبسون للناس جلود الضأن من اللين، السننهم أحلى من السكر، وقلوبهم قلوب الذئاب، يقول الله : أبي يفترون، أم علىٰ يجترئون. فبى حلفت لأبعثن على أولئك منهم فتنة تدع الحليم فيهم حيران].

وَخَلُّ الدُّنْيَا بِالدِّينِ قَدْ يَدْقُ، وَيَخْفَى، حَتَّى لَا يَفْطَنَ إِلَيْهِ.  
من ذلك استغلال موقعك في الدعوة لصالح نفسك، ومن ذلك إشباعك لغريرة حب الظهور، وسحركك أو انتشاؤك كلما تحدث عنك أو أشير إليك. ومن ذلك، ومن ذلك. إن كمال التوحيد في ألا يكون لنفسك من عملك الدينى حظ.

روى البيهقي عن أنس عن النبي ﷺ «بحسب أمرىء من الشر أن يشار إليه بالأصابع في دين أو دنيا، إلا من عصم الله».

وفي الأثر عن أبي هريرة مرفوعا [إن لكل شيء شرة، ولكل شرة فترة، فإن صاحبها سدد وقارب فارجوه، وإن أشير إليه بالأصابع فلا تعوده] البيهقي في شعب الإيمان.

إن الحياة في حقيقتها قائمة عليها غبرة، ومغالبة وعثاء دروبها هي الكبد الذي خلقنا فيه، وهي الفتنة [...] أتاهلكنا بما فعل السفهاء منا، إن هي إلا فتنتك، تضل بها من تشاء، وتهدى من تشاء أنت ولينا، فاغفر لنا، وارحمنا، وأنت خير الغافرين]

. الأعراف ١٥٥

بخارى أحمد عبده

# نفحات قرآن

بِقَلْمِ بُخَارِيْ أَحْمَدُ عَبْدِهِ

« وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ »

بَدَا إِلَّا نَسَانٌ - تَحْتَ الْأَشْعَةِ الْقُرْآنِيَّةِ - مُرِيْشًا، مُثْقَلًا  
بِالْأَدْوَاءِ، تَتَقَاذِفُهُ شَهْوَاتِهِ، وَتَكْتَسِحُهُ أَهْوَاهُ الْمُتَأْلِهِ حَتَّى تَخْرُجَهُ  
مِنْ نَطَاقِ الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَى نَطَاقِ الْحَيْوَانِيَّةِ الْبَحْتَةِ، نَطَاقٌ (أَرَأَيْتَ)  
مِنْ أَتَخَذَ إِلَّهَ هَوَاهُ، أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا؟ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ  
أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقُلُونَ، إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ، بَلْ هُمْ أَضَلُّ  
سَبِيلًا) الْفَرْقَانُ.

بَدَا طَىْ أَهْوَاهُ كَأَنَّهُ جَمْرَةٌ تَقْذَفُ بِالشَّرِّ، وَتَزْفَرُ،  
وَتَصْهَدُ (۱)، وَتَتَهَدَّدُ - كُلُّ مَنْ شُدَّ إِلَيْهَا بِجَاذِبَيْهِ الضَّوءِ - بِالْوَوِيلِ  
وَالثَّبُورِ: حَوْمَوَا كَالْفَرَاشِ يَدْنُو بِهِ الْحَتْفَ إِلَى جَاحِمِ يَذْوَبِ  
أَتِقادًا.

وَالسَّنَى، وَالصَّيْهَدُ (۲) قَدْ يَمْتَزِجُانِ وَيَغْدوَانِ بِرِيقَا، سَرَابَا  
يَحْسَبُهُ الظَّمَآنَ مَاءً، حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا، غَرَّ السَّرَابِ  
فَهَرَاقٌ مَا فِي السَّقَاءِ، وَلَبِثَ صَادِيَا مَحْمُومَ الْجَوْفِ، لَمْ يُرُوِ غَلَةً،  
وَلَمْ يَشْفِ عَلَةً.

بَدَا مَسْلُوخًا كَأَنَّهُ كُلْيَّةٌ فِي كَلَابٍ (۳) جَزارٌ، زَهِيدٌ، مُقِيْزٌ،  
تُفْرِي.. وَلَكِنْ بِالْإِغْمَاضِ وَالْإِعْرَاضِ.

وَفِي زَحَامٍ هُؤُلَاءِ الَّذِينَ الْمُحْتَلِّيْمَ الْآيَاتِ نَعِيشُ مَفْتُونِينَ  
مَرْهَقِينَ، فِي كَبْدٍ حَتَّى الْمَوْتِ، لَا مَلْجَأَ لَنَا غَيْرُ الصَّبْرِ.

(۱) تَزْفَرُ مِنَ الرَّزْفِيرِ، وَيُقَالُ زَفَرَتِ النَّارُ إِذَا سَمِعَ لِتَوْقِدِهَا صَوْتَهُ.  
وَصَمَدَتِ الشَّمْسُ أَحْرَقَتِهِ. وَالصَّيْهَدُ شَدَّةُ الْحَرِّ.

(۲) الْكَلَابُ بِفَتْحِ الْكَافِ وَضَمِّنَاهَا، وَالْكَلَوبُ وَاحِدَةُ الْكَلَالِيبِ وَهِيَ مَخَالِبُ  
الْبَازِي وَشَوْكُ الشَّجَرِ، وَالْحَدَانِدُ الَّتِي يَعْلَقُ عَلَيْهَا الْجَزارُ نَبَانِحَهُ. وَفِي  
الْحَدِيثِ: وَفِي جَهَنَّمْ كَلَالِيبُ مِنْ شَوْكِ السَّعْدَانِ تَخْطُفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ.

## « الوشيعة المفقودة »

والعجب أن بين أولئك علماء يسبيك حديثهم، وتجد فيهم متشدقين بالإيمان، متوشحين بوشاح التوحيد، وتجد فيهم من يستشيط غضباً ويبالغ في استنكار خلق معين، وهو متورط لأخصص قدمه فيما هو أدنى.

و والإيمان بكل شعبه، وبكل أفاقه، لا يغنى إلا إذا ارتفع فوق أرضية من حب، يورثه النضارة، والأصالة، والازدهار والجود. ففي الحديث (لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولن تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلّكم على شيء إن فعلتموه تحاببتم، أفسحوا السلام بينكم) وكل إيمان أساسه التوحيد، وهذا معاً يثمران المحبة، وإن كانوا عقيمين، ناضبين، لا يسمنان، ولا يغنيان.

إن الحب هو الوشيعة المفقودة في دنيا المسلمين، وإن كان ثمة قليل القليل من الحب، فإنه لا يصدّم أمام تيارات الأثرة، والنفعية، والانتهازية، وعشق الذات، والمراءة والنفاق، وسائر العلل التي تفرّى، وتوهن، وتبطش بقيم الإسلام النادرة.

ويخطيء من يظن أن إفشاء السلام أن تفرق الناس في غدوك، ورواحك بسيط من التحيات، والتسليمات، والبركات، أن تجدد السلام كلما حال بينك وبين رفيقك حائل من شجر، أو جدار، أو صرفك عن جليسك صارف من حاجة أو فاصل من شجر أو حجر ... فحسب.

إن السلام ليس نفما، ولا جرساً ولا كلمات عذبةً وكفى.

إن المعنى الأسمى لكلمة «أفسحوا السلام» هو أن يسلم المسلمون من لسانك، ويدك، وهو أن تعمل على توفير الجو الآمن لأخيك، وأن تحقق له أسباب السلامة المنشودة، أن تكفل له السكينة، والراحة النفسية، أن تعينه وتصرف عنه السوء ما استطعت.

أما أن تشبعه تحيات وأنت تتحمّل حينه، وتتورد ليله، وتستبيح في الخفاء حُرْمَتَه، وتروع بتآمرك أ منه، وأنت تستدرج، وتحقد وتحسد، وأنت تود أن تعلو على أشلانه، وأنت تجتر حقه المهضوم الذي ازدردته واستمرأته - تحتويه بين

ذراعيك تُقبله، وأنت تتحسس أكتافه، وأطرافه، وأكتافه لتحدد:  
متى، وكيف، ومن أين تؤكل الكتف، فليس ذلك سلام الإسلام.  
مثل هذه التحايا الكاذبة لا تعود أن تكون تغريرا،  
وتخديرا، أن تكون ختلا للدنيا بالدين.

إن الحياة التي لم يعمرها الحب حياة كافرة فاجرة.  
والإسلام المفتقد إلى جذوة الحب، وحمياء، إسلام أحسن لم  
ينفع فيه الروح. حشو أديمه الحرص، والأنانية، وتنافع الفرص،  
وجمود الرغبات، والتدافع بالمناكب والتکاثر المقيت، والمطامع،  
واللهاث الأبدي.

والحياة الكافرة هذه بأسبابها، وأبطالها، وأحداثها هي  
مسرح الفتنة، مسرح الشر كُله.

وأخطار مثل تلك الحياة تطفى، وتتفاقم في أيام التحاريق،  
في غيبة القيم، وهي أخطار ولادة، تظل تفرز إفرازات عفنة  
تنتهي إلى عقد مجونة تورق أول ما تورق مضجع أصحابها.  
كالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله.

في خضم هذه النواقص يتحقق قوله سبحانه: [وجعلنا  
بعضكم لبعض فتنة...].

وظنني أن هذه الفتنة الدوارية التي لا تهدأ، والتي نخوض  
غمارها ليل نهار.. هي سر الكبد الذي خلقنا فيه «لقد خلقنا  
الإنسان في كبد» يبيت يحلم بالسراب، ويصبح يلهمث وراء  
سراب: تعب كلها الحياة فما أعجب إلا من راغب في ازدياد.

### «موازين وأشفيه وبواتق»

الفتن موازين، توزن بها أقدار الإنساني، وبواتق يمتحن  
فيها وبها العباد كما تمحن المعادن، وتصهر، وتصاغ.  
والمولى يقذف بالحق على الباطل فيدمجه فإذا هو زاهق،  
ويبلو بالحسنات، والسيئات ليميز الخبيث من الطيب، وخلق  
الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا.

الفتنة إذن من مقومات الوجود البشري، وهي سنة الله في  
خلقه منذ آدم عليه السلام [يابنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما  
أخرج أبوياكم من الجنة...] الأعراف .٢٧

والسماء التي زينت للناظرين، والأرض التي أخذت  
زخرفها، وازينت، والأعمال التي يزينها الشيطان لك، والأهواء،  
والشهوات التي زينت لك فتمكن حبها من قلبك... الخ كل ذلك  
أضفي الله عليها من البريق ما أضفى فتنة لك، واختبارا  
لقاومتك، وصمودك، وتقوياً لأعمالك. أهى لك، أم عليك [إنا  
جعلنا ما على الأرض زينة لها، لنبلوهم أيهم أحسن عملا. وإنما  
لجعلون ما عليها صعيداً جرزا] الكهف ٨، ٧.

لقد اقتضت الحكمة الربانية أن تُطْوِقَ الأرض ومن عليها  
بفتن متفاوتة: أقداراً وأحجاماً، وأثاراتاً، وقوة، وضعفاً، واقتضت  
حكمته أن نعيش نحن البشر أغراضًا لسهام الفتنة التي تتطاير  
من حولنا مولولة رهيبة، تصيب الجائر، والمقصى، والعادل  
السابق بالخيرات [واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم  
 خاصة، واعلموا أن الله شديد العقاب] الأنفال.

هكذا تعم الفتن ضاربة أو هادئة يتضل الله بها من يشاء،  
ويهدى [أتهلكنا بما فعل السفهاء منا، إن هى الا فتنتك يتضل بها  
من تشاء وتهدى من تشاء] الأعراف ١٥٥.

إن الفتنة قدر البشرية: يُبْلُون بالخير، والشر، وبالرفعة،  
والحطة، والزينة، والعطل، وبالصلعة، والملك، والغنى، والفقر،  
 وبالحرب، والسلم، والحرية، والرق، وبالصلاح والفسق، والإيمان،  
والكفر، بالموت، والحياة، بوضعك الاجتماعي [إنما أموالكم  
 وأولادكم فتنة] التغابن.

فتبارك الذي خلق الموت والحياة ليبلوونا أينما أحسن عملا،  
ورفع بعضاً فوق بعض درجات ليبلوونا فيما آتانا من دين، ومن  
دنيا، لينظر كيف نعبده، وكيف نخافه، وكيف نرعى سنته.  
وأشد الفتن، وأكثرها تأثيراً ابتلاء بعضاً ببعض [ذلك ولو  
يساء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض...] محمد ٤.

أن يدفع بعضاً ببعض دفع العقيدة [ولولا دفع الله الناس  
بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبئع وصلوات ومساجد] الحج. أو  
دفع الإصلاح والسياسة [ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض  
لفسدت الأرض] البقرة.

## فذلكة لغوية

قبل أن نخوض غمار النفحات المبعثة من قول الله ( يجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون ) وقبل أن ننظر في التأويل، ننظر نظرة لغوية سريعة في مدلولات مادة «فتنة» .  
ودللات المادة تبدو - للوهلة الأولى - متبااعدة، ولكنها - على ما فيها من تفاير - تسبح في نظام واحد، يضمها خيط واحد، ومعنى جامع واحد، هو معنى «الكشف أو الانكشاف» فالمادة «فتنة» من مدلولاتها : -

١ - الحال واللون : وهمما قد يخفيان على بعض الناس كل الوقت، وعلى كل الناس بعض الوقت، ولكنهما لا يخفيان على كل الناس كل الوقت، بل يبدوان مهما بالغ المرء في إخفائهما. إنما قال الشاعر :

ومهما تكن عند امرئ من خلية

وإن خالها تخفي على الناس تعلم

٢ - الإحراق : والشيء إذا احترق تفسخ، وانفتح، وانكشفت أوصاله : عن أسامة بن زيد عن الرسول ﷺ : [يُجاء بالرجل يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق <sup>(١)</sup> أقتابه <sup>(٢)</sup> في النار، فيطحن <sup>(٣)</sup> فيها كطحن الحمار برحاه...]. متفق عليه.

٣ - الإضلal والجنون: والإضلal يُسلم إلى الضلال المبين الذي لا يخفي على أحد [إن أبانا لفي ضلال مبين] <sup>(٤)</sup> والضال دائمًا قلق متواتر كالسخّلة <sup>(٥)</sup> الضالة تنظر إلى غير شيء، وتتلفت في غير وعي إلى كل الجهات. وهو كالغم القاصية عرضة لأن تتخطبها الشياطين. كذلك الجنون: فالعالق مستور بعقله، أما الجنون فإنه يصرع، ويعرى عن الهيبة، وتقتحمه العيون، وتنتناوله الألسنة.

---

(١) تخرج وتنكشف . (٢) أمعاؤه .

(٣) يدور .

(٤) أي مكشوف الضلال .

(٥) السخّلة : ولد الغنم من الضأن والمعز ذكرًا كان أو أنثى.

٤ - وفتن بالنساء أو إلى النساء تهياً للفجور بهن، والفجور انفجار داخلى فانكشاف، والعرى رمز الفاجر المفضوح من حديث سمرة بن جندب فى رؤيا رسول الله [...] فانطلاقنا حتى أتيينا إلى ثقب مثل التنور أعلاه ضيق، وأسفله واسع، تتقد تحته نار، فإذا ارتفعوا ارتفعوا حتى كاد أن يخرجوا منها، وإذا خمدت رجعوا فيها، وفيها رجال ونساء عراة.... هم الزنا....] البخارى. فائى انكشاف فوق هذا الانكشاف؟

٥ - الشيطان، واللص، والصائغ والدرهم والدينار. أما الشيطان فيكتفى ما حکى القرآن عنه [ينزع عنهم لباسهما، ليりهما سوءاتهما...] الأعراف ٢٧. واللص همه تجريدك وتعریتك، والدرهم والدينار قد يميلان ب أصحابهما عن الصراط، ويكشفان عما فيه من نهم، وجشع، وبغي، وأوار لا ينطفئ [إن الإنسان ليطفي. أن رأه إستغنى] وفي الصحاح عن ابن حزام عن رسول الله عليه السلام [إن هذا المال خضر حلو، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذى يأكل ولا يشبّع...] هكذا يكشف حب المال صاحبه، ذلك فوق أن الدرهم والدينار درعك، وردوك، وسلامك، ولسانك، وهيبتك. فإذا تربت يده، وأفلس، فرغ مجلسه، وبدت للناس عوراته:

كم من أخ لك لم يسبت تذكره :: ما دامت من دنياك في يسر  
هكذا المال تُرى لاهثاً وأنت تجمعه، متواتراً قلقاً وهو يتبدّد،  
ويتسرب.

٦ - والفتنة المحنـة التي تجلو الجواهر، والولد يستخرج عواطفك الدفينة، يكشف رحمتك المخبوءة، وما تحمل من قلق وخوف، وأنواعية، وضعف إنساني [الأولاد مجنة، مبخلة] والفتنة اختلاف الآراء، واحتراك بعضها ببعض احتراكاً يجلـي القضية، ويكشف الطريق. وهكذا تلتقي معانـى المادة على خط واحد هو خط الانكشاف وتتدخل على الخط مع تلك أحـيانـاً - مادة «محن» ومادة «بلو» و «بلى» أي «المـحـنة، والـبـلاء». يتبع إن شاء الله .

بخارى أحمد عبده

# نفحات قرآن

بِقَلْمِ بَخَارِيْ أَحْمَدُ عَبْدِهِ

(وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فَتْنَةً أَتَصْبِرُونَ)  
أَوَّلَ النَّهَمِ وَشَكِيمَ الْإِيمَانِ

طَىْ أَدْوَاءَ الْجَبَلَةِ وَأَنْوَائِهَا بَدَا إِلَيْنَا هَزِيلًا ، خَامدَ  
الْمَشَاعِرَ ، مُتَهَافِتًا كَالثُّوبَ الْخَلْقَ ، عَدَتْ عَلَاقَاتِ ذَهَنِيَّةً لَا تَسْمِنُ ،  
وَوَدُّ كَاذِبٍ يَبْرُقُ ، وَلَا يَغْيِبُ ، وَسَلَاحَهُ نَفَاقٌ ، وَانْتَهَازِيَّةٌ ، وَغَدْرٌ .

بَدَا مَسْلُوكًا فِي سَلْسَلَةِ حَلَقَاتِهَا أَثْرَةٌ ، وَأَنْوَيْةٌ ، وَنَهَمٌ مَجْنُونٌ  
ذُو سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ ، لَا يُخْمِدُ أَوَارَهُ غَيْرُ التَّرَابِ ، وَلَا يُهَدِّئُ مِنْ ثَاثِرَتِهِ  
غَيْرُ نُورِ الإِيمَانِ ... الإِيمَانُ الَّذِي يُشَكِّمُ النَّفْسَ الْأَمَّارَةَ ، وَيُخْتَصِرُ  
الْأَمْعَاءَ كُلُّهَا فِي مَعِيْ وَاحِدٍ يَأْكُلُ فِيهِ . مَصْدَاقُ مَارُوِيِّ الْبَخَارِيِّ  
عَنْ أَبِي هَرِيرَةَ أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَأْكُلُ أَكْلًا كَثِيرًا فَأَسْلَمَ فَكَانَ يَأْكُلُ  
قَلِيلًا ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: - "إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَأْكُلُ فِي مَعِيْ  
وَاحِدٍ وَالْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ" يَمْسِكُ عَنِ الْأَكْلِ حِينَ يَمْسِكُ  
أَسْفًا مُضطَرًا .

كَذَلِكَ يَشْرُبُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ ، وَفَقَ مَارُوِيِّ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي  
هَرِيرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَافَهُ ضَيْفًا وَهُوَ كَافِرٌ ، فَأَمَرَ رَسُولُ  
الله ﷺ بِشَاهَةِ فَحْلِبَتِ فَشَرَبَ حِلَابَهَا ، ثُمَّ أَخْرَى فَشَرَبَهُ ثُمَّ أَخْرَى  
فَشَرَبَهُ ، حَتَّى شَرَبَ حِلَابَ سَبْعَ شَيَاهٍ ، ثُمَّ إِنَّهُ أَصْبَحَ فَاسِلَمًا ، فَأَمَرَ  
لَهُ رَسُولُ الله ﷺ بِشَاهَةِ فَحْلِبَتِ ، فَشَرَبَ حِلَابَهَا ، ثُمَّ أَمْرَ بِأَخْرَى ،  
فَلَمْ يَسْتَتِمْهَا ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ "الْمُؤْمِنُ يَشْرُبُ فِي مَعِيْ  
وَاحِدٍ ، وَالْكَافِرُ يَشْرُبُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ" يَعِيشُ مِنْ أَجْلِ بَطْنِهِ .

والأكل، والشرب الحقيقيان محدودان بحدود منها سعَةً  
المعدة، وقدرة الأمعاء ... الخ لايتعديان الحدود خشية التخمة،  
والانفجار المودي الذى عناه الشاعر بقوله :-

متنا خماسا فمهلا إذ بطونكم من التضخم أيضا سوف تنفجر  
أما النهم المعنوى فلا تتحده حدود. ولو كان لابن آدم واديان  
من ذهب، وفضة، وواديان من وجاهة، وسلطة، وواديان من رفعة  
، وشهرة، ومراكز، ومنازل ... الخ لما قنع، ولا شبع، بل يظل  
يلهث شرهَا وراء أطماء، وأحلام لاتنتهى، يظل يُزَاحِم، وينازع،  
ويصارع حتى يصرعه الموت .

هذه الشراهة هي وقود غريزة تنازع البقاء التي أحالت  
حياة العالمين إلى بلاء، وسُعْرٌ<sup>(١)</sup> .

والإيمان العاصم يتتفتق - أول ما يتتفتق - عن :

١- علاقة بالملوكي قوامها "إياك نعبد، وإياك نستعين"  
توحيد خالص ، وعبودية<sup>(٢)</sup> كاملة، وتقوى والتزام، وتطلع إلى  
ما عند الله "ما عندكم ينفد، وما عند الله باق" إلى (يد الله ملأى  
لاغيضها نفقه).

٢- وعلاقة بالناس دعائهما سلام ووثام، وحب، وتعاون،  
وتناصح "دخلوا في السلم كافة".

٣- وعلاقة خاصة بالمؤمنين قاعدتها - فوق ما تقدم -  
تبادل الولاء، وصدق الأخوة، وهما أمران حرييان - إن تأصللا -  
بأن يُبرزا المؤمنين وفاق قول الله (كزرع أخرج شطأه، فآزره،

---

(١) السُّعْرُ (بضمتين) والسُّعْرُ (بضم فسكون) والسعار: الحر،  
والجنون، الجوع

(٢) العبودية تعنى غاية الحب، بغاية الذل والخضوع .

فاستغله، فاستوى على سوقه) ، (كشجرة طيبة أصلها ثابت، وفرعها في السماء).....

والأهمية الولاء، وخطورة آثاره، ضرب الله لنا الكفار مثلاً  
يُحذى فقال :-(والذين كفروا بعضهم أولياء بعض، إلَّا تفعلوه،  
تكن فتنة في الأرض، وفساد كبير) الأنفال.

والإيمان، والولاء، المكتوب علينا بينهما تناصب طردی:  
كلما زاد الإيمان قوى الولاء، وإذا تضائل وانكمش وبهت الولاء  
وأفل، وارتبط ارتباطات شيطانية بمساقط أخرى:  
بالأعداء، أو بالأهلواء، أو بالأطماء، أو بالوظيفة،  
والمنصب، وحينئذ يشتد التناقر، ويعظم البلاء، ويُفتن بعضنا  
بعض فتنَّ قد تُعجز الصبر، وتذهب بالألباب، وتترك الحليم  
فيانا حيران .

والعلاقة المحمودة بالناس وليدة العلاقة الأولى، كلما طابت العلاقة بالله، واستقامت، طابت العلاقة بعبد الله، وازدهرت، وأثمرت المحبة، والخير الوفير.

«الوشيجة المفقودة»

والحب هو الوشيعة التي انفصمت عرها، وانفترط عقدها،  
وغاتب في مستنقع أسن فرائتها وحبّاتها المقدسة، واستبدل  
بها وُكاذب يذوب قطرات، قطرات، فور أن يلتفحه شواطئ النّهم  
المحموم الذي نشب الناس جميعاً مُتشَبِّه سوءاً<sup>(١)</sup>، وسلّخهم عن  
المكرمات، فغدوا وراحوا يلهثون.

واحتكاك النهم المحموم بالنهم المحموم كالاقتداح بالزند<sup>(٢)</sup>  
يقذف بالشرر، ويشعل النار، نار الفتنة التي تموج كموج  
البحر، وتتسواد كأنها قطع الليل المظلم.

(١) نشب الناس: لزمهم، ونشبهم من شب سوء: أوقعهم فيما لا مخلص منه.  
 (٢) الزند: العود الذي يقبح به النار، الاقتداح المعالجة بالزندين طلبا  
 لإشتعال النار.

والفتنة الكبرى تلك القاصمة التي أضنت ويلاتها المسلمين، وأبقيت فيهم عاهة دائمة، كانت نتيجة اصطدام النزعات، واصطراع الأهواء، وتنافر الغايات تنافراً فاضحاً أبدى من السوءات، والنقائص مائده، وأفضى إلى الترنح المخمور، ثم إلى التردّي في حماة مضلات الفتنة، في جحر ضبٍّ .

وسر كل هذا غيبة السكينة، وضيحة الحب، وفقدان المشاركة الوجدانية التي حدّ عليها رسول الله ﷺ في الحديث المشهور "مثل المؤمنين في توادهم ..... والمشاركة الوجدانية مفاعل حب، وعامل تقارب وتواصل وألفة.

### الكون أنبوية اختبار

وخطورة الفتنة تتجلى إذا علمنا أن القرآن الكريم قلب مادة الفتنة في شتى مشتقاتها نحو تسع وخمسين مرة، وذكرها بمرادفاتها نحو سبع وثلاثين مرة، ولفت رسول الله إليها الأنظار محذراً، مبيناً أبعادها، وأخطارها، وأحجامها، وأثارها، وعقد المحدثون أبواباً، وفصولاً تجمع ما ورد من آثار وأخبار وتناول شيئاً من الفتنة، والمحنة، والمصائب، والبلاء.

والمنعم نظره في آيات الفتنة يجد :-

أن البشرية في شتى مقاماتها أغراض للفتن، وأنهم - على اختلاف نزعاتهم - وسائل فتنـة - يُفتنون، ويُفتن بهم "أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا أمـناً وهم لا يفـتنون"

وأن الكائنات غير البشرية ، قد تتعرض - بطريقة، أو بأخرى - لعاديات الفتنة، لا فرق في هذا بين الكائنات العلوية، أو السفلية، ولا فرق بين التي تبدو هامدة، خامدة والتي تبدو حية، رابية، متحركة، كلها تعنوا للحي القيوم، وتصلي، وتسبح ولكن لا تفهـوا تسبيحـهم وكلها تبتـلى، وتـفتـن وفق طبيعتـها .

إن الكون كله أنبوية اختبار، وهو - بحكم كونه حادثاً

يتناوره الموت والحياة، وهم فى حد ذاتهما، فتنـة (..... الذى خلق الموت، والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا) ولقد علمنا أن أفراد مادة "فتـنـة" تلتـقـى حول معنى جامـع هو "الإنكـشـاف"

وعـناصـر هذا الكـونـ، وكل قـواـهـ، المـكتـومـةـ، والمـشـهـودـةـ تـتـفـاعـلـ بـقـدـرـةـ اللـهـ، وـتـتـقـلـبـ بـيـنـ التـحـلـلـ، وـالـتـلـثـامـ، وـالـجـمـعـ، وـالـفـتـرـاقـ، وـالـارـتـفـاعـ، وـالـانـخـفـاضـ، وـالـتـجـددـ، وـالـبـلـىـ وـالـموـتـ، وـالـحـيـاةـ بـإـرـادـتـهـ سـبـحـانـهـ، وـوـفـقـ حـكـمـتـهـ، وـتـتـعـرـىـ ظـواـهـرـهـ مـتـأـثـرـةـ بـعـوـاـمـلـ الـتـعـرـيـةـ فـتـتـفـتـتـ وـتـضـلـلـ فـيـ الـأـرـضـ - هـكـذـاـ يـفـتـنـ الـكـونـ، وـيـنـكـشـفـ.

والـكـونـ لـيـسـ ظـرـفـاـ لـلـكـائـنـاتـ، بلـ هـوـ مـجـمـوعـ الـكـائـنـاتـ، وـهـوـ بـكـلـ جـزـئـيـاتـهـ الـمـتـفـاعـلـةـ، الـمـنـظـمـةـ فـيـ نـظـامـ الـقـدـرـةـ الـإـلـهـيـةـ، فـيـ تـغـيـيرـ دـائـمـ - كـاـلـإـنـسـانـ يـخـرـجـ طـفـلاـ، ثـمـ يـبـلـغـ أـشـدـهـ، وـيـتـوفـىـ، أـوـ يـرـدـ إـلـىـ أـرـذـلـ الـعـمـرـ لـكـيـلاـ يـعـلـمـ مـنـ بـعـدـ عـلـمـ شـيـئـاـ، بلـ كـاـلـأـرـضـ، أـمـ إـنـسـانـ وـمـهـدـهـ، تـبـلـغـ أـشـدـهـاـ، ثـمـ تـتـرـاجـعـ الـقـهـقـرـىـ؛ (إـنـماـ مـثـلـ الـحـيـاةـ الـدـنـيـاـ كـمـاءـ أـنـزـلـنـاهـ مـنـ السـمـاءـ، فـاـخـتـلـطـ بـهـ نـبـاتـ الـأـرـضـ مـمـاـيـكـلـ النـاسـ، وـالـأـنـعـامـ، حـتـىـ إـذـ أـخـذـتـ الـأـرـضـ زـخـرـفـهاـ وـازـيـنـتـ وـظـنـ أـهـلـهـاـ أـنـهـمـ قـادـرـونـ عـلـيـهـاـ أـتـاـهـاـ أـمـرـنـاـ لـيـلاـ أـوـ نـهـارـاـ، فـجـعـلـنـاهـاـ حـصـيدـاـ، كـاـنـ لـمـ تـفـنـ بـالـأـمـسـ...) يـونـسـ ٢٤ـ.

### وـأـوـلـ الـمـبـتـلـينـ

بـلـ لـعـلـ الـكـونـ: بـذـخـائـرـهـ، وـأـوتـادـهـ، وـأـسـسـهـ، وـعـمـدـهـ، وـسـمـاـوـاتـهـ، وـأـغـوارـهـ، وـيـابـسـتـهـ، وـمـائـهـ، وـجـمـادـاتـهـ، وـأـحـيـائـهـ - لـعـلهـ أـوـلـ الـمـبـتـلـينـ الـمـفـتوـنـينـ. فـلـقـدـ أـمـرـ، وـكـلـفـ فـائـتـمـرـ، وـانـصـاعـ كـمـاـ تحـكـىـ آيـاتـ سـوـرـةـ فـصـلـتـ. - (قـلـ أـئـنـكـمـ لـتـكـفـرـوـنـ بـالـذـىـ خـلـقـ الـأـرـضـ فـىـ يـوـمـيـنـ، وـتـجـعـلـوـنـ لـهـ أـنـدـادـاـ، ذـلـكـ رـبـ الـعـالـمـيـنـ، وـجـعـلـ فـيـهـ رـوـاسـىـ مـنـ فـوـقـهـ، وـبـارـكـ فـيـهـ، وـقـدـرـ فـيـهـ أـقـوـاتـهـ فـيـ أـرـبـعـةـ آيـامـ سـوـاءـ لـلـسـائـلـيـنـ. ثـمـ اـسـتـوـىـ إـلـىـ السـمـاءـ وـهـىـ دـخـانـ، فـقـالـ لـهـاـ، وـلـلـأـرـضـ أـئـتـيـاـ طـوـعاـ، أـوـكـرـهـاـ. قـالـتـاـ أـتـيـنـاـ طـائـعـيـنـ،

فقضاهن سبع سموات فى يومين، وأوحى فى كل سماء  
أمرها.....)

وأمر مرة ثانية أمر تخير فأشفق، واعتذر "إنا عرضنا  
الأمانة على السموات والأرض، والجبال، فأبین أن يحملنها  
وأشفقن منها وحملها الإنسان، إنه كان ظلوماً جهولاً" الأحزاب .٧٢.  
ولكن كيف يكون الموت بوتقة اختبار، والموت لف، وطى،  
وعدم؟ كيف والميت قد انطوت إلى الأبد صفة أعماله؟ وهل  
بعد الموت إلا السوق إلى النار أو إلى الجنة، وفق ما تصور  
آيات الزمر؟

إن مصيبة الموت تعصف بكل شيء، وتدمى كل شيء. هي  
الريح العقيم، ماتذر من شيء أنت عليه إلا جعلته كالرميم.

١- تجدل الأفراد: "أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم  
في بروج مشيدة" النساء . ٧٨

٢- وتجرف الأمم "ماتسبق من أمة أجلها، وما يستأخرون"  
الحجر .(٥)

٣- وتعصف بالقرى "فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة  
فهي خاوية على عروشها، وبئر معطلة، وقصر مشيدة" الحج ٤٥

٤- وتطوى الأيام ..... وتلك الأيام نداولها بين  
الناس....."آل عمران ١٤٠

فالموت حين يذرع أرضاك، ويحوم حولك، ويختطف الناس  
بين سمعك، وبصرك حرّى أن يكشف عنك غطاءك، وأن يوقظك  
وييقفك، أخذًا وضع الاستعداد .

إن من لم ترْعه صولة الموت من حوله أصم، أعمى، ميت:  
"إنك لا تسمع الموتى، ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين.  
وما أنت به أعمى عن ضلالتهم، إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا  
فهم مسلمون" النمل . ٨٠ - ٨١ .

## « فتنة الملائكة »

ومجتمع الملائكة - على نقاشه، ونورانيته لم يخل من فتن وتمحيص :

- ١- فتنوا بأمر السجود لأدم، ونفي الله بهذا الأمر عن مجتمعهم الخبث، وميّز الخبيث من الطيب، ولعن إبليس.
- ٢- وفتنوا بقرار تنصيب أدم خليفة في الأرض "إني جاعل في الأرض خليفة" وانكشف بهذا القرار ما في مجتمع الملائكة من قصور، وما عند الملائكة من شبّهات تحتاج إلى كشف (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها، ويسفك الدماء، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم مالا تعلمون. وعلم أدم الأسماء كلها ، ثم عرضهم على الملائكة، فقال أنتبئني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ماعلمتنا.....).

وتقاول الملائكة في شأن أدم اتسم بحرارة مبعثها الرغبة في العلم ، وال الحاجة إلى إزالة الشبهات واعتباراً لتلك الحرارة شبه تقاول الملائكة في شأن أدم بال اختصاص في قول الله تعالى "ما كان لى من علم بالملائكة إلا يختصون"

قال القاسمي نقلاً عن القاشاني: فرق بين اختصاص الملائكة وأختصاص أهل النار في قول الله "إن ذلك لحق تخاصم أهل النار" لأن تخاصم أهل النار حقيقي لا ينتهي إلى وفاق أبداً، وهذا اختصاص عارضي نشأ من عدم اطلاعهم على كمال أدم عليه السلام . وانتهي إلى الوفاق عند قوله "سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا .....". وقوله "ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض" .

إذن لا يقال كيف جازت مخاصمة الملائكة معه تعالى لأن التعبير مجازي وسوغته رعاية المشابهة بين التقاول والتخاصم - فيختصمون استعارة تبعية لـ "يتقاولون" أو مُخَاصِّمُهُم تَنَاظِرُهُم فيما بينهم في استنباط العلم .

يتبع إن شاء الله

بخاري أحمد عبده

# نفحات قرآن

بِقَلْمِ بَخَارِي أَحْمَدُ عَبْدِهِ

## وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ

فِي مَعْرِضِ الْحَدِيثِ عَنْ كُوئِنِيَّةِ الْفَتْنَةِ رَأَيْنَا كُلَّ شَيْءٍ يَسْبِحُ بِحَمْدِهِ،  
وَيَعْنُو لِلْحَىِ الْقِيَومَ طَوْعاً وَكَرْهَا.

وَدَاخَلَ الْمُخْتَبِ الرَّكُونِيَّ رَأَيْنَا ابْنَ آدَمَ تَتَقَازِفُهُ الْأَنْوَاءُ ظَهِيرَاً  
لِبَطْنَ، وَرَأْسًا لِالْقَدْمَ، أَنْفُهُ فِي السَّمَاءِ وَإِسْتَهُ فِي الْمَاءِ، وَمَعَ ذَلِكَ  
يَحْلُو لَهُ أَنْ يَصْبِحَ وَهُوَ يَتَمَاهِي مَغْرُورًا، مَخْمُورًا : أَنَا الْكَرِيمُ ابْنُ  
الْكَرِيمِ ابْنُ الْكَرِيمِ بِحَقِّ قَوْلِ اللَّهِ "وَلَقَدْ كَرَمْنَا بَنِي آدَمَ ....."

وَالْآيَةُ لَمْ تُفَضِّلْ بَنِي آدَمَ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي يَشْتَهِي ابْنَ آدَمَ، بَلْ  
ذَكَرَتْ أَنَّهُ فَضَّلَ عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ خَلْقِ اللَّهِ، وَالْتَّعْبِيرُ بِـ "كَثِيرٌ" لَا  
يَفِيدُ الْأَفْضَلِيَّةَ الْمُطْلَقَةَ، بَلْ يَفِيدُ أَنْ فِي الْكَوْنِ مِنْ فَضْلٍ عَلَى هَذَا  
الْإِنْسَانِ، وَأَنْ هُؤُلَاءِ الْمُفْضَلِينَ عَلَى الْإِنْسَانِ لَيْسُوا - بِالْحَسْرَةِ -  
قَلْلَةً . أَلَا تَرَى أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ يَصْفِ بِالْكَثْرَةِ أَمْرَيْنِ مُتَقَابِلَيْنِ  
مُتَكَامِلَيْنِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : [أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي  
السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالشَّمْسُ، وَالقَمَرُ، وَالنَّجُومُ، وَالْجِبَالُ،  
وَالشَّجَرُ، وَالدَّوَابُ، وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ، وَكَثِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ العَذَابُ ...]  
الْحَجَّ ١٨ . الطَّائِفُونَ الْمُخْبِتُونَ كَثْرَةً، وَالْعَاصُونَ الْمُتَمَرِّدُونَ كَثْرَةً،  
وَلَكُنْ أَيْهُمَا أَكْثَر؟ هَذَا مَا لَمْ يَتَعَرَّضْ لَهُ النَّصَانُ إِقَامَةً لِلْإِنْسَانِ  
مَقَامًا وَسَطَا بَيْنَ التَّضَاؤلِ، وَالْغَرُورِ .

وَاتِّصافُ الْبَعْضِيْنِ بِالْكَثْرَةِ مِنْ غَيْرِ إِرَادَةٍ تَفْضِيلُ بَعْضٍ عَلَى  
بَعْضٍ تَكَرُّرٌ فِي الْقُرْآنِ . وَمَنْ ذَلِكَ :-

[يَأْهُلُ الْكِتَابَ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يَبْيَنُ لَكُمْ كَثِيرًا مَا كُنْتُمْ  
تَخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ، وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ] الْمَائِدَةَ ١٥ .

[إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا، بِعَوْضَةٍ فَمَا فَوْقَهَا، فَأَمَا  
الَّذِينَ أَمْنَوْا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ، وَأَمَا الَّذِينَ كَفَرُوا  
فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا، يَضْلُلُ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا،

وَمَا يُضْلِلُ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقُونَ] الْبِقْرَةُ ٢٦

ولعل مما يكبح جماح الغرور ويرد هذا الإنسان إلى حجمه أن القرآن تحدث عن الناس ناعِتاً كثرتهم بالجنوح، والضلال، والغَيْرِ فـي آيات كثيرة منها :

[وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لِفَاسِقُونَ] الْمَائِدَةُ ٤٩

[وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنِ الْآيَاتِنَا لَغَافِلُونَ] يُونِسٌ ٩٢

[قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه ، وإن كثيرا من  
الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض ...] ص ٢٤

[وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا، واجنبني، وبني أن نعبد الأصنام، رب إينهن أضللن كثيرا من الناس ...] إبراهيم

بل إن القرآن الكريم أدان - في مواضع كثيرة - أكثر الناس مستعملًا أسلوب التفضيل الذي يفيد اشتراك شيطين في صفة مع زيادة أحدهما على الآخر في نفس الصفة . من ذلك قول الله : -

[إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلِ النَّاسِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ] **٢٤٣ الْبَقْرَةُ**

[وَإِنْ تَطْعُ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَضْلُوكُ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ] ١١٦  
الأنعام

[..] إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكُنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَوْمَنُونَ [١٧] هُودٌ

[وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ] ٢١ يُوسُف

[وَمَا أَكْثَرُ النَّاسَ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ..... وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ

بِاللَّهِ، إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ] يُوسُفُ (١٠٣ - ١٠٦)

[لقد جئناكم بالحق، ولكن أكثركم للحق كارهون] الزخرف ٧٨

[ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فائبٍ أكثر]

الناس إلا كفوراً] الاسراء ٨٦

وأنا لا أنزارع في أن الله كرم بنى آدم، وفضلهم . ولكنني أؤمن

أن كل إنسان إنما يقوم على أساس انفعاله بنعم الله عليه، على

اساس رد الفعل، إن كان رد الفعل إخباراً، وشكراً، وعرفاناً،

وباحسّاتٍ كانَ هذَا الإِيمانُ مُنْدَرِجًا فِي أَفْرَادِ الْأَيَّهِ : - [إِلَّا الَّذِينَ]

امروا، وعمتوا الصالحات وقليل ما هم [ص ١٤]

وإن كان رد الفعل كُفْرًا، وبغيًا، وغبرورا، وعَدُوانًا كان هذا الإنسان ابن حماته، وسليل طينته التي لم يُضئها إيمان، ولم ينفعها علم، ولم يطهرها دين. وأمثال هؤلاء أوراق الشيطان وعدتها، بهم يغوى وبهم يُضل، وبهم يُصيّب، ويفتن [ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم، والصابرين، ونبيلو أخباركم] محمد

### وت فقد الطير

وسمة الله: أن الغنم بالغرم. كلما ارتقيت في مراتب الكراهة كلما زاد الحساب، وجلت المؤاخذة. وتلك الكراهة التي أتيحت للإنسان ألقى على كاهله مسؤوليات، وهموما، وعرضته للتجريم بقدر ما نال من تكريم. هذا مفهوم قول الله "يأنسأ النبي من يأت منك بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ومن يقنت .. الخ

والكائنات الدنيا التي تبدو غير عاقلة، والتي لا نفقه تسبيحها، ولا سجودها تتعرض أيضاً لما يناسبها من مؤاخذة، وفق ماروى مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ : [لتؤدين الحقوق إلى أهلها يوم القيمة حتى يقاد للشاة الجلداء (١) من الشاة القراء] ولعل قصة سليمان عليه السلام مع الهدى تبين أن غير الثقلين يمكن أن يتعرض للمؤاخذة والحساب. يظهر هذا من أنعم النظر في قول الله:- "وت فقد الطير ف قال مالي لا أرى الهدى ألم كان من الغائبين. لأعذنك عذابا شديدا، أو لازبحتك، أو ليأتيني بسلطان مبين"

إن انقياد من في السموات والأرض لله مسلمين، يفيد أن دائرة التكليف واسعة . وظنني أن بين الكائنات من يُلهم - كأهل الجنة - التسبيح وفق ماروى مسلم عن جابر عن رسول الله ﷺ [إن أهل الجنة يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس]

ولقد قيل إن انقياد الكائنات الخرساء وتسبيحهم قد يكون بلسان الحال، ولكن القرآن الكريمتناول تسبيحهم في نسق يوهى بأن ذلك جلى كأنه مشاهد معلوم ، مثله إز جاء الله السحاب،

(١) الجلداء = التي لا يرون لها

وتتألّفه بيته حتى يكون ركاماً يتخلله الودق [ألم تر أن الله يسبح له من في السموات، والأرض، والطير صافات، كل قد علم صلاته، وتسبيحه والله عليم بما يفعلون. ولله ملك السموات والأرض وإلى الله المصير. ألم تر أن الله يزجي سحاباً، ثم يؤلف بيته، ثم يجعله ركاماً، فترى الودق يخرج من خلاله، وينزل من السماء من جبال فيها من برد ...] النور ٤١ - ٤٢

إن السياق يوحى باستعلان الأمرتين، واتضاح القرینين - تسبيح الكائنات، وسبح السحب عبر السموات .

### عود إلى الملا الأعلى

والملا الأعلى - رغم ما منحوا من قُوى، وقدرات، وشدة، وزيادة في الخلق، وبسطة في البنية - من خشية ربهم مشفقون إشفاقاً يشى بشدة الرهبة، ويورث بنيتهم النورانية الضخمة تضاؤلاً، وانكماشاً حتى يروا في حجم الوضع - كما جاء في الآخر من أن النبي ﷺ سأله جبريل أن يريه نفسه التي جبله الله عليها، فأراه نفسه فسد ما بين المشرق والمغرب، فاستعظم النبي خلقه، وريع وقال: يا جبريل ما ظننت أن الله خلق أحداً على هذه الصورة . فقال جبريل إنما نشرت جناحين من ستمائة جناح ولقد خلق الله إسراfil له ستمائة جناح، كل جناح منها قدر جميع أجنبتي، وإنه ليتضائل أحياناً من مخافة الله تعالى حتى يكون بقدر الوضع [العصفور الصغير].

وتشبيه الملا الأعلى لله دائمة، ولكنها تتضاعف وتزداد في أحيان معينة، وتترك الخشية التي تورث الروع والإشراق نتيجة معرفتهم المتزايدة بجلال المولى ، وكماله، ونتيجة عمق الإحساس بالعبودية، والافتقار. وبأن الكائنات - فرادى ومتضارفين - لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وما لهم فيهما من شرك، وما له منهم من ظهير، لن يستنكفوا، ولا الملائكة المقربون، أن يكونوا عبيداً لله، ولن يتجاوزوا مقامهم إلى مقام الشفاعة إلا بإذنه. ذلك قول الله : - [ولا تنفع الشفاعة عنده إلا من آذن له، حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم، قالوا الحق، وهو العلي الكبير] سباً ٢٣

كلما أوذنوا بقرار اختوتهم الخشية، وتملكتهم الرهبة، وانتابهم الفزع، وبعد تفريغ قلوبهم مما دخلها من محة الفزع، يُسرى عنهم، ويتساءلون "ماذا قال ربكم" هكذا يبّلون بكل أمر سماوي وكذلك يستغرقهم الفزع فلا يعون غير العبودية حتى يأذن الله ببعثٍ جديدٍ فاذاهم قيام ينظرون. ولقد أثر - في هذا - عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ : - [إذا قضى الله في السماء أمرا ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاً لقوله، كأنها سلسلة على صفوان، فإذا فزع "زال الفزع" عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم، قالوا الحق، وهو العلي الكبير] رواه الترمذى وقال حسن صحيح .

ومما أثر عن نواس بن سمعان عن النبي ﷺ قال : - [إن الله إذا أراد أن يوحى بالأمر تكلم بالوحى. أخذت السموات منه رجفة ، أو رعدة شديدة خوفاً من الله تعالى. فإذا سمع أهل السموات ذلك صعقوا وخرعوا لله سجداً، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله تعالى ويقول له من وحيه ما أراد. ثم يمر جبريل بالملائكة. كلما امر بسماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق، وهو العلي الكبير. قال: فيقول كلهم كما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحى إلى حيث أمره الله تعالى] هكذا ينكشف الملايين على إذ يفتنتون ويبّلون بشئ من الخوف قال ابن كثير: [هذا مقام رفيع في العظمة، وهو أنه إذا تكلم بالوحى فسمع أهل السموات أرعدوا من الهيبة حتى يلحقهم مثل الغشى] قال ذلك معزوا إلى ابن مسعود، ومسروق .

وفي الآية تأويل أخرى . ولكن ما ذكر من أن الضمير في "قلوبهم" وفي "قالوا ربكم" وفي "قال الحق" عائد على الملائكة هو قول ابن جرير . قال ابن كثير : وهذا هو الحق الذي لا مرية فيه . لصحة الأحاديث، والآثار فيه، ولو رود ما يؤيد في قول الله [ولايشفعون إلا من ارتضى، وهم من خشيته مشفقون] الأنبياء ٢١ والقرآن يفسر بعضه ببعضا .

## على صعيد الفتن

وإذا تبين أنَّ الكون كله مُطْوَق بمنطاق من فتن تضرِّي، وتهادٍ، تخصُّ وتعم، فإن قدر البشرية أن تتعرّج على صعيد الفتن، وأن تتنفس غبارها ، وتصلي أوارها . والفتنة تدهمك صاعدةً من الأعماق، أو متطايرة من الأهلين، والرفاق، أو وافدة من الآفاق متباعدة في أنسجتها، وأحجامها، وأثارها .... الخ

منها المضلات التي تدقفك بك عن الصراط، وتفسد عليك آخرتك، ولكنكم أستعاذه رسول الله ﷺ من فضلات الفتن، وظنني أنها التي وصفت بكونها أشد من القتل . ومُضلات الفتنة لابد من مقاومتها حتى الموت - ولا عذر أبداً لمن استسلم لها، وخضع . وأوامر القرآن في التصدي لمضلات الفتنة صريحة صارمة [واقتلوهم حيث ثقفتهم وأخرجوهم من حيث أخرجوك، والفتنة أشد من القتل] ١٩١ البقرة

[وقاتلواهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله] ١٩٣ البقرة .

[يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه، قل قتال فيه كبير، وصد عن سبيل الله، وكفر به، والمسجد الحرام، وإخراج أهله منه أكبر عند الله، والفتنة أكبر من القتل، ولایزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا، ومن يرتد منكم عن دينه فيميت وهو كافر فأولئك حبطة أعمالهم في الدنيا والآخرة، وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون] ٢١٧ البقرة .

إن خطر مضلات الفتنة يهدد دنياك وأخرتك، وهي - فوق هذا - حرب مستمرة لن تهدأ . ومثيروها لا يرقبون في مؤمن إلا، ولا ذمة، وأى تهاون أو تراغ يمكنهم من زمام المبادرة، وفرصة الظهور، [إنهم إن يظهروا عليكم يرجحونكم أو يعيذونكم في ملتهم، ولن تفلحوا إذن أبداً] الكهف . ٢ .

[كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا، ولا ذمة، يرضونكم بأفواهم، وتأبى قلوبهم، وأكثرهم فاسقون] التوبة . ٨ .

إن زوابع الفتنة التي تدور بنا وعواصفها التي استشرت في عالمنا وأوشكت أن تقصينا عن الجادة ، تنذر بالشر المستطير، وبالضلالة المبين، والارتداد المبير .

بخارى أحمد عبده

# نفحات قرآن

بقلم: بخارى أحمد عبده

(وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتاصبرون)

دنيا حشوها محن

البشرية - بكل مستوياتها - تُعْرَك تحت أطباق الفتنة، عرك الرحمى بثفالها<sup>(١)</sup> - ذلك لأن الإنسان - بين الكائنات - صاحب لواء الأمانة، اللواء الرفيع العالى، الخافق بين السماء والأرض، واللواء بحكم سموقه، وظهوره، عُرضةً لرياح الفتنة تنشره، وتطويه، وتقصيه، وتدنيه، وحامل اللواء - إن لم يُثْبِتْه القول الثابت، ويُشَدَّ عصده، وعُوده الإيمان - تزلَّ قدمه، فيترنح، ويختل توازنه في زحمة التدافع، وتسقط الراية، وتهراق الأمانة، ويظهر الفساد في البر، والبحر.

والتدافع سنة الله التي قد خلت في عباده، ولن تجد لسنة الله تبديلًا، ولن تجد لسنة الله تحويلًا، وصدق الله: «ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض» البقرة ٢٥١.

إن الله يقذف بالحق على الباطل، ويدفع حلفاء الشيطان، وعيَّد الهوى بجند الإيمان وأولياء الرحمن ولو لا ذلك لسادت الأهواء، ولفسدت الكون كله: الأرضون، والسموات «ولو اتبَعَ الحق أهواهُم لفسد السموات، والأرض، ومن فيهن ...» المؤمنون ٧٦.

والتدافع يقتضى احتكاكا. والإحتكاك يهيج الحرارة، ويرسل الشرر، ويورث التوتر، والقلق، والفرح المختال، والحزن، واليأس الكافر [ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة، ثم نزعناها منه إنه ليئوس

(١) الثفال حائل بين الرحمن والأرض حال دورانها.

كفور. ولئن أذقناه نعماه بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السينات عنى، إنه لفرح فخور. إلا الذين صبروا، وعملوا الصالحات] هود٩٠. هكذا نَفْرُ مِقلةً في حجم الدنيا، محيطها ونسيجها فتن، فتن.

أولئك الذين صبروا يهدِّيُم الله للمنهج الربانى الفعال، يقاومون من خلاله الأنواء، ويغالبون الفتنة، ويخوضون غمار التدافع حيث يثار النزع فتضيق الصدور ويُفتقد الحلم، ويعز الصبر.

وسرابيل المنهج الربانى التي تُقى البأس، وتصد عوادى الفتنة عزيزة، غالبة [وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم] فصلت ٢٥.

هي سرابيل واقية، ونفحات ربانية شافية. وقيام كل ذلك:

- ١ - علم من لدنه يوضح الرؤية، ويسدد الخطأ، ويورث اليقين، ويقيم على الحق.
- ٢ - ذكر ثدي، ومراقبة لله خاشعة، ويقين يعصمنا، ويهون علينا مصائب الدنيا.

٣ - صبر جميل يورث السكينة، ويُوفِّر فرص التخطيط، ويُسكن من ثائرة النفوس المستنفرة المعرضة عن التذكرة.

٤ - ثم استشقاء دائم بأشفيَّة القرآن من مثل قول المولى: - {فاذكرونى، أذكريكم، واشكروا لى، ولا تكفرون. يأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر، والصلة، ان الله مع الصابرين} البقرة.[واسبر وماصبرك إلا بالله، ولا تحزن عليهم، ولا تك فى ضيق مما يمكرون. ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون] النحل ١٢٧.

{ولنبلونكم بشئ من الخوف، والجوع، ونقص من الأموال والأنفس والثمرات، وبشر الصابرين. الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون. أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون} البقرة ١٥٥.

## إيحا الاستفهام

وإشادة بالصابرين، وتنويعها بقيمة الصبر في معركة الحياة قال الله عَزَّ وَجَلَّ تقرير حتمية الفتنة: أتصبرون؟ هكذا باستفهام مجازي يشى بالتشكيك في القدرات المؤهلة للصبر. وفيه إثارة، وحث، وحفز على اقتحام حاجز الصبر الحقيقي الذي لا يزييفه تصنع، ولا يدخله رياء.

وبعدها بالاستفهام عن مجاله الحقيقي، وتاكيدا لايغافله في المجال المجازي، وحتى لا يُظُنَّ غُرْبَةً بالله الظنون عَزَّ وَجَلَّ الله بما يفيد تغفل علم المولى في كل شيء. فهو سبحانه بصير يرى ما لأنرى». ويدرك المعنويات والماديات والخواطر ويعلم السر وأخفى، وخائنة الأعين وما تخفي الصدور. وهو سبحانه - وإن استعمل ما يستعمل الناس من أساليب الاستفهام عنْ، متى، وأين، وهل، وسائل أدوات الاستفهام - وإلى كل هذا أشار الله بقوله: «وكان ربك بصيرا»

## فتنتم أنفسكم

والفن من أها الطوارق العابرة التي تکفرها الصلاة، والصوم، والصدقة. ومنها **المُنِيَّةُ**، **المُبِلَّةُ**، **المسقطةُ**، التي تتمطى بصلبها، وكلكلها (١)، وأعجازها. ومنها المضلات الطاحنات الجنونة التي لا تبقى، ولا تذر، تجندل الظالم والمظلوم، وتحوم على شفير جهنم [واتقوا فتنة لاصفين الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب] الأنفال ٢٥

وخشية أن تُحصر الفتنة في الإعراض، والإدبار، والعزوف عن الله وداعيه - بحكم الآية السابقة «يأيها الذين آمنوا استجيبوا» - أو تُحصر في الأعداء المتربيين المتمردين - بحكم الآية اللاحقة - «واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض، تخافون أن يتخطفكم الناس» ردد القرآن إلى مأمينك .. إلى نفسك وأهلك، وعَرَفْكَ أن الفتنة قد تنبع من بين أصابعك، ومن تحت قدميك فقال:

(١) الكلكل : الصدر

«واعلموا أنما أموالكم، وأولادكم فتنة ...» الأنفال ٢٨ و قال سبحانه: «... ينادونهم ألم نكن معكم، قالوا بلى، ولكنكم فتنتم أنفسكم » الحديد

### تعتام الكرام \*

والآماثل - لعلو كعبهم، وارتفاع هاماتهم، وتصدرهم - هم أكثر العالمين تعرضًا لدوامات الفتن.

وأمثل الناس هم الأنبياء عليهم الصلة والسلام. فلا عجب إذا عاشوا مراعي فتن، وأغراضًا لسهامها (أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الآماثل دينا، فالآماثل) فكان الآماثل الصفوة كالذهب الإبريز. توقد عليه في النار وتمتحنه، ليصفو، ويخلص، ويلفظ ما شابه من زبد، لذا صاحبت الفتنة مواكب الهداة المرسلين، والدعاة المؤمنين:

١ - منذ البداية فتن آدم عليه السلام ببابليس، وفتنه به إبليس . وسجل المولى ذلك في القرآن محذرا بنى آدم من فتنه الشيطان ومن العاقبة الوخيمة «يابني آدم لايفتنكم الشيطان كما أخرج أبويك من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما ..» الأعراف . ٢٧

٢ - وفتنه نوح عليه السلام يوم حاج ربه في ابني الذي سبق عليه القول بدعوى أنه من أهله [ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي، وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين. قال يانوح إنه ليس من أهلك، إنه عمل غير صالح، فلا تسألن مالييس لك به علم، إنى أعظمك أن تكون من الجاهلين. قال رب إنى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم، وإلا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين] هود بل كانت الفتنة من معالم مسيرة الشاقة، المضنية، ولذا صرخ القرآن بعد سرد قصته في «المؤمنون» بأن الابتلاء كان أهداف المحنـة التي أرهقت نوحا حتى صاح: «رب لاتذر على الأرض من الكافرين ديارا...» ذلك قول الله [إن في ذلك لآيات وإن كنا لمبتلين]

\* تعتمان الكرام: تأخذهم وتخثارهم

## بعثتك لأبليك وأبتلى بك

والذى خلق الموت والحياة ليبلوونا أينما أحسن عملاً جعل الأبتلاء  
هدفه أساسياً فى كل رسالة، ولعل مارواه مسلم عن عياض  
المجاشعى يؤكد هذا، ويكشف عن حقائق أخرى وثيقة الصلة بهذا  
الفرض، حريّة بالتأمل: عن عياض بن حمار المجاشعى أن رسول  
الله قال ذات يوم فى خطبته [إلا إن ربى أمرنى أن أعلمكم ما  
جهلتم مما علمتني يومى هذا: كل مال نحلته<sup>(١)</sup> عبداً حلال، وإنى  
خلقت عبادى حنفاء كلهم، وإنهم أنتهم الشياطين، فاجتالتهم<sup>(٢)</sup> عن  
دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتكم أن يشرکوا بى مالم  
أنزل به سلطاناً، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم، عربهم،  
وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب. وقال إنما بعثتك لأبليك،  
وابنلى بك، وأنزلت عليك كتاباً لا يفسره الماء، تقرؤه ناثماً،  
ويقطنان، وإن الله أمرنى أن أحرق<sup>(٣)</sup> قريشاً، فقلت يارب إذن  
يثلثوا<sup>(٤)</sup> رأسي فيدعوها خبزة. قال استخرجهم كما أخرجوك،  
واغربهم نفزاً، وأنفق فسنتنفق عليك، وابعث جيشاً نبعث خمسة  
مثل، وقاتل بمن أطاعك من عصاك».

والحديث دسم ثر<sup>(٥)</sup> العطاء حافل بخير الدنيا والآخرة ولذلك  
أمر رسول الله ﷺ أن يبئث فى الناس ما استقبل من السماء  
فوراً. والتبلية الفورى شيمة الرسل، والأمر بالتبلية يحمل فى  
طياته الفورية، والمتراخي لا يأمن على نفسه عادية الموت قبل أن  
يؤدى واجب التبلية «يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك  
وإن لم تفعل فما بلفت رسالت»

(١) نحلته: منحته.

(٢) اجتلتكم: صرفتهم.

(٣) أن أحرق: أى أهلك.

(٤) يثلثوا: يكسروا.

(٥) ثر العطاء: كثير العطاء.

## نظرة في الحديث

والحديث الشريف - رغم تنوع عطائه - تتشابك عطاياه،  
وتتوافق، وتدور حول محور «الابتلاء»

ومن عطاياه الحيوية المرتبطة بموضوع الابتلاء:

١- أن المرأة يولد حنيقاً متحصناً بفطرة الله التي فطر الناس  
عليها، فأشعاعات الفطرة تشكل خط المقاومة الأول لدوامات الفتنة،  
وحوامات الشياطين - إلا أن تعطل الفطرة، فينقطع الإشعاع

٢- وأن الهدف البعيد لكل شيطان فتان ضرب هذا المركز  
الشرع-الفطرة - وطمس معالمها ، وإيقاف بثها .

٣- وأن من غايات إرسال الرسل ابتلاء المرسلين أنفسهم،  
وابتلاء الذين أرسل إليهم. أولئك كي يصبروا ويصمدوا،  
ويستمروا حتى يقضى الله أمراً كان مفعولاً. وهؤلاء كي يمحضوا،  
وينقدوا بين مد الفطرة، وسد، وشد الشياطين التي تحوم على  
بني آدم كي تجتال، وتتفتال، وتعلهم محل سخط الله، ومقته،  
وتتبعهم حتى يكونوا من الغاوين المخلدين إلى الأرض.

٤ - وأن الله لسعة رحمته يرداً العباد في هذا المعترك  
الضروس فيوالهم بالأشفيه، وبعضاوات الفتنة، وقوى الثبات،  
وقدائف الحق.

٥ - وأن دأب المؤمنين المزابطة، ورصد أنفاس القوى المضادة،  
وضرب الرقاب. دأبهم مواصلة الجهاد.

وبمثل هذا يتحن الله عباده [أم حسبتم أن تتركوا، ولما يعلم  
الله الذين جاهدوا منكم ولم يتذدوا من دون الله، ولا رسوله، ولا  
المؤمنين وليجأ، والله خبير بما تعملون] التوبة ١٦

والقرؤح المتبادلة بين قوى الحق، وقوى البغي امتحان  
للمؤمنين، وامتحان للمجرمين. والمولى كي يُوقر لعباده أسباب  
الكرامة، ويدمفهم في ساحة الوغنى بدمعة الإيمان، الزممهم  
بالمزابطة وأخذ وضع الاستعداد متحفزيين، مُزهّبين، مرعبين  
[...فإن تولوا فخذوهם، واقتلوهم حيث وجدهم ولا تتذدوا  
منهم ولیا ولا نصیرا] النساء ٨٩ [...فإن لم يعتزلوكم، ويلقوا

الىكم السلم، ويكفوا يديهم فخذوهم، واقتلوهم حيث ثقفتهم..]  
النساء .٩١

إن القرآن الكريم: تربية من أجل الجهاد، وإغراء بالمواجهة  
الحاسمة وتهويينا لما قد يكون من جروح وقروه، وشعريضا  
للمؤمنين لأفضل الرابطة والشهادة قال: [إن يمسسكم قرح فقد  
مس القوم قرح هنلئه، وت تلك الأيام نداولها بين الناس، وليرعلم الله  
الذين أمنوا، ويتخذ منكم شهداء، والله لا يحب الظالمين .  
وليمحص الله الذين أمنوا، ويمحق الكافرين. ألم حسبتم أن  
تدخلوا الجنة، ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين..]  
آل عمران .١٤٠ - ١٤٢.

وتاكيدا لهذا، واقامة على منهج الاعداد، والمبادرة التي تفهم من  
قول الله «ادخلوا عليهم الباب» أجري الله على لسان رسوله هذه  
الكلمات: «... وإن الله أمرنى أن أحرق قريشا، فقلت: يا رب إذن  
يُتلغو رأسي فيدعوها خبزة، قال: استخرجهم كما أخرجوك،  
واغزهم نفرك وأنفق فسنتنفق عليك، وابعث جيشا، نبعث خمسة  
مثله، وقاتل بمن أطاعك من عصاك»

ونستطرد فنقول: إن منطق القوة الذي يحملنا القرآن عليه،  
ويلزمنا به ... إن منطق التدخل الجراحي للجسم، واستئصال  
الأدواء «فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقب حتى إذا  
أثخنتهم فشدوا الوثاق ..» هو العلاج الجذرى لكل مشاكل  
المسلمين، أما الاستجاء، والعويل فى المحافل الدولية، والتتعلق  
بوهم الرأى العام العالمى، أو بالمؤتمر الدولى، أو بالمفاهيم،  
والحوار المباشر، وغير المباشر. فذلك هو الخطل<sup>(١)</sup> وهو الذل،  
وهو الخبال الذى حذرنا منه، ومع ذلك منينا به [يائيا الذين  
آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم، لا يألونكم خبلا، ودوا ما عنتم،  
قد بدلت البغضاء من أفواههم، وماتخلفى صدورهم أكبر] آل  
عمران .١١٨

بخارى أحمد عبده

(١) الخطل: الحق وفساد الرأى - والخبال الجنون والفالع .

# نفحات قرآن

بِقَلْمِ بَخَارِي أَحْمَدُ عَبْدِهِ

## وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فَتْنَةً أَتَصْبِرُونَ

فِي مَعْيَةِ هَذِهِ الْأَيَّةِ الْكَرِيمَةِ غَدُونَا نَسْتَنْفَحُ، وَرَحْنَا نَسْتَهْدِي، فَتَدَاعَتِ الْمَعَانِي، وَاعْتَنَقَتِ الْأَيَّاتِ كَالنُّورِ يَعْتَنِقُ النُّورَ وَتَجَاوِبُتِ النَّفَحَاتِ.

وَكَانَتِ الْمَحْصَلَةُ: أَنَّ الْمُؤْمِنَ وَدِيعَ وَدَاعِةَ الْجَمْلِ، يَسَالُ - إِذَا أَلْقَى إِلَيْهِ السَّلْمَ - مَسَالَةَ الْحَمَامَةِ، وَلَكِنَّهُ يَنْطُوُ عَلَى بَرْكَانِ هَاجِعٍ، يَثْوُرُ شُورَةً عَارِمةً إِذَا انتَهَكَتْ حِرْمَةُ الدِّينِ، أَوْ أَهْدَرَتْ كَرَامَةَ الإِسْلَامِ، أَوْ تَنُورَتْ عَلَى الْقِيمَ، وَالْمَقْدَسَاتِ، أَوْ حُوَولَ وَأَدَّ مَعَالِمَ الشَّخْصِيَّةِ الْمُسْلِمَةِ، أَوْ تَهَجَّمَ عَلَى مَقَامِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ<sup>(۱)</sup>.

الْمُسْلِمُ ذَلِيلٌ، عَزِيزٌ، رَحِيمٌ، شَدِيدٌ، هَيْنَ، لَيْنَ، وَصَلْبٌ مُنْبِعٌ. إِنَّهُ يَلْبِسُ لَكُلَّ حَالَةٍ لَبُوسَهَا. هُوَ بِحُكْمِ اسْتِقَانِهِ، وَارْتِواهِهِ مِنْ يَنَابِيعِ الإِسْلَامِ الْثَّرَةِ مُمْتَلِئٌ سَكِينَةً، وَسَمَاحَةً، وَأَنَاءً، وَرَحْمَةً، وَرَفْقًا، وَحَلْمًا

## مِنَ الْأَشْفَفِيَّةِ الْرَّحْمَانِيَّةِ

وَلَقَدْ رُوِيَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِأَشْجَعَ عَبْدَ الْقَيْسِ: إِنَّ فِيكَ لِخَصْلَتَيْنِ: الْحَلْمُ وَالْأَنَاءُ.

وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا يَعْزِلُ هَاتِيْنِ الْخَلْتَيْنِ عَنْ سَائِرِ الْفَضَائِلِ الْأُخْرَى الَّتِي يَتَمْتَعُ بِهَا أَشْجَعُ عَبْدِ الْقَيْسِ، إِذَا يَجْرِدُهُمَا، وَيَرْفَعُهُمَا

(۱) وقد فعل ذلك (سلمان رشدي) وصنفت له إنجلترا، ولزيال كتابه يتقلب في الأسواق، ويُلَدَّر على صاحبه الملابس والمؤلف احتواه المسلمين لهذا الأمر الخطير، وإهماله بدعوى التحضر، وحرية الفكر، والأدهى نسيان المسلمين لهذا العدون الخطير بعد ثورة في فنegan، والأمر من هذا تنديد بعض المسلمين بإيران بدعوى أنها غالٍ وبالفت وأعطت الأمر فوق ما يستحق

عبر المسامع، والأنظار، إنما يفعل ذلك إشادة بالخلتين، وتنبيها إلى خطورتهما، وأثرهما العظيم في الحياة، وإغراء للأمة أن يغضوا إليهم بالنواخذ.

فالخلتان - فوق كونهما حلية، وزينة - لمبوسان، درعان، وشاحان ينeman عن تجربة، وحكمة. ويورثان الهيبة، ويكتفان السداد، ويمعنان الرعونة، والطيش، والزلل.

ولقد أثر أن الآناة من الله، وأن العجلة من الشيطان، وأن الاندفاع، والتهور مركب الشطط ، والزلل، والخسار.

والقرآن يصنع بهداياته المسلم كى يكون دائمًا فوق دوامات الجبنة. يُقْذِّوه بالقيم، ويأسوه بالأشفيبة الرائدة التي تهب البصيرة، وتحمل على الرفق، وتولد الحكمة، وتقرب المسافة بينه، وبين الناس.

يغذونا، ويخفف من حدتنا، ومن سورة نزعة حب الانتصاف فينا بمثل: -

١- «وجزاء سينة سينة مثلها، فمن عفا وأصلح فأجره على الله...» الشورى ٣٩

٢- «ولمن صبر، وغفر، إن ذلك لمن عزم الأمور» الشورى ٤٣.

٣- «ادفع بالتي هي أحسن، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولـى حميم» فصلت ٢٤

٤- «وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به، ولئن صبرتم لهـو خير للصابرين» النحل ١٢٦.

وفضائل العفو، والصبر، والغفران، والدفع بالتي هي أحسن توظف لمصلحة الدين، والدنيا.

أما الدين فلأنـها شمائـل أمر بها الله فامتـلـنا، والتـزمـنا وحملـنا أنفسـنا على الصـعبـ. والـمشـتـملـون بـهـذـهـ الـخـلـلـ أـثـمـةـ وـقـدوـةـ حـسـنـةـ تـحـقـقـ فـىـ مـجـالـ الدـعـوـةـ أـكـثـرـ مـاـ يـسـقـقـ الـقـلـمـ وـالـلـسـانـ. فـهـذـهـ الـخـلـلـ الجـذـابـةـ تـشـكـلـ عـنـصـرـ الدـعـاـيـةـ التـىـ لـابـدـ مـنـهـ لـلـإـسـلـامـ.

وـأـمـاـ الـدـنـيـاـ فـلـأـنـ تـعـاقـبـ الـفـعـلـ، وـرـدـ الـفـعـلـ يـذـهـبـ بـرـوـاءـ الـحـيـاةـ. وـلـذـةـ الـعـيـشـ. وـالـاحـتكـاكـ مـنـ أـجـلـ الـاقـتصـاصـ يـولـدـ فـيـ الـخـصـومـ

تحفزاً، ورغبةً في رد الصاع صاعين، وهكذا ندور في حلقة مفرغة.  
والصبر، والعفو يكسران شرعة العناد، وينضدان أشواك الجبلة  
فتطيب الحياة، ويستتب الأمان.

## آخر الدواء الكى

وأسلوب المسالة قد لا يجدى، بل قد يُطفى أقواماً، ويزيد الطين  
بلة. وعندئذ نذكر أن الله أرسل رسلاً بالبيانات، وأنزل معهم  
الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط، وأنزل الحديد فيه بأس  
شديد.

ونستحضر قوله سبحانه: «إِنْ بَطَشَ رَبُّكَ لَشَدِيدٌ، إِنَّهُ هُوَ يَبْدِئُ  
وَيَعْدِي، وَهُوَ الْفَغُورُ الْوَدُودُ»

ونستعيد حديث رسول الله «إِنَّ اللَّهَ أَمْرَنِي أَنْ أَحْرِقَ  
قَرِيشاً....»

بيَدِ أَنَّ الْعَالَمِينَ مَرْضِى - إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهَ - بِأَمْرَاضِ نَفْسِيَّةٍ  
وَعَضْوَيَّةٍ، تَسْتَشِرُ فَتَمَثِّلُ وَبَاءُ

وإِذْنَ فَلَابِدُ مِنْ طَبٍ. ولقد علمنا رسول الله فيما رواه البخارى  
عن ابن عباس أن الشفاء في ثلاثة في شرطة محجم، أو شربة  
عسل، أو كية بنار، قال «أَنَا أَنْهَى أَمْتَى عَنِ الْكَى»

وظنني أن كية النار قد تتحتم في كل الأمراض: العضوية منها،  
والنفسية، والقلبية.

والرسول ﷺ حسم، وكوى - رغم النهى - حين تعين عنده ذلك.  
ولابد مما ليس منه بد.

كوى أبي بن كعب، وسعد بن معاذ يوم أصيباً في أكباهما، وفق  
مارواه الإمام مسلم عن جابر.

فالقلوب المختلة تُؤْسَى بالكلمة الصادعة، والقول البليغ  
المؤثر، وتنساس بالقول اللين، ومعسول الكلام وتُلَدَّ<sup>(١)</sup> بالحكمة  
والموعظة، والصبر الجميل، والدفع بالتي هي أحسن.

(١) تُلَدَّ بالبناء للمجهول يُصبِّ الدواء في أحد شُذُّقَتْهُ . بملعقة ونحوها.

فإِنْ أَزْدَادُوا تَنْمِيَةً، وَعَدَوْا، وَبَغَوْا، وَصَدَّوْا، فَالْفَيْصلُ الْكَيْمَانُ  
إِعْمَالًا لِلْحَدِيثِ «وَإِنَّ اللَّهَ أَمْرَنِي أَنْ أَحْرِقَ قَرِيشًا. فَقُلْتُ يَا رَبِّ إِذْنَنِي  
يُثْلِفُوا رَأْسِي فَيُدْعُوهَا خَبْرَةً. قَالَ: اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا أَخْرَجْتُكُمْ،  
وَأَغْزِهِمْ نُفْرِكَ، وَأَنْفَقْ فَسَنْنَقَ عَلَيْكَ وَابْعَثْ جِيشًا نَبْعَثْ خَمْسَةً  
مُثْلَهُ، وَقَاتِلْ بَمْنَ أَطَاعَكُمْ مِنْ عَصَمَكَ» (مُسْلِمٌ)

إِنَّ التَّدْخُلَ الْجَرَاحِيَّ الْحَاسِمَ هُوَ وَحْدَهُ الْعَلاجُ مَا يَعْنِيهِ الْمُسْلِمُونَ  
فِي الْمَشَارِقِ، وَالْمَغَارِبِ.

وَإِغْفَالُ هَذَا الْمَنْطَقَ تَعْطِيلُ لِسِنِ اللَّهِ الَّذِي يَدْفَعُ النَّاسَ  
بِالنَّاسِ، وَيَنْفُلُ الْحَدِيدَ بِالْحَدِيدِ، لَا بِالْحَوَارِ. وَإِهْدَارُ لِأَوْامِرِ الْمَوْلَى  
الَّذِي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ [فَإِنَّا لِقَيْتُمُ الظَّاهِرَ كُفَّارًا فَضَرَبْ  
الرِّقَابَ، حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشَدُّوا التَّوْثِيقَ. فَإِمَّا مَنَا بَعْدَ، وَإِمَّا  
فَدَاءً، حَتَّى تَضَعُ الْحَرْبُ أَوْ زَارَهَا، ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَأَنْتَصِرَ مِنْهُمْ  
وَلَكِنْ لِيَبْلُو بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ .....] مُحَمَّدٌ

وَالْآيَةُ الْكَرِيمَةُ هَذِهِ كَائِنَ فَعَالٌ فِي بَيْتَهُ تَقْذِفُ الْحَقَّ عَلَى الْبَاطِلِ،  
وَتَدْمِغُ الْضَّلَالَ، وَتُحْبِطُ الْأَعْمَالِ الْقَائِمَةَ عَلَى الْهُوَى، الْمُتَفَتَّقةُ مِنْ  
قُلُوبِ طَبَعِ اللَّهِ عَلَيْهَا.

صُورَتْ آيَاتُ الْبَيْتَةِ كُلَّ ذَلِكَ، وَغَيْرُ ذَلِكَ تَصْوِيرًا يُحَمِّلُ الْمُؤْمِنِينَ  
مَسْؤُلِيَّةَ شَكِّ الْفَضَالِيِّينَ الْمُتَمَرِّدِينَ.

وَإِيحَاءُ بِأَنَّ الْمُجَاهِيَّةَ بَيْنَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا، وَالَّذِينَ بَغَوْا وَاعْتَدُوا،  
لَابِدُ فِيهَا مِنْ تَدْرِعِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْعِقِيدَةِ، وَانْطِلَاقُهُمْ مِنْ قَاعِدَةِ  
الْتَّوْحِيدِ تَخْلُلُ آيَاتِ الْبَيْتَةِ قَوْلُ اللَّهِ: - «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا  
اللَّهُ...».

وَلَأَنَّ التَّصْدِيَّ لِلْبَغَاءِ الْمُتَمَرِّدِينَ مَلْحَمَةٌ يُمْكِنُ أَنْ تُسْفِرْ عَنْ نَقْصِ  
فِي الْأَمْوَالِ، وَالْأَنْفُسِ، وَالثَّمَرَاتِ، عَقْبَتِ السُّورَةِ بِمَا يُفِيدُ حَتَّمِيَّةَ  
الْجَهَادِ، وَضُرُورَةَ الْابْتِلاءِ، وَسُجِّلَتْ أَنَّ أَعْمَالَ أُولَئِكَ - وَإِنْ جَلتْ -  
مُصِيرُهَا الْخَسَارُ، وَأَنَّ أَعْمَالَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ قُلْتُ، مَآلُهَا الْمُضَاعَفَةُ،  
وَالْقِبْلَوْلَكُمْ حَتَّى نَعْلَمُ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ، وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوكُمْ  
أَخْبَارَكُمْ. إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَشَاقُوا الرَّسُولَ  
مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضْرُبُوا اللَّهَ شَيْئًا، وَسِيَحْبِطُ  
أَعْمَالَهُمْ» «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ  
كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ» مُحَمَّدٌ .

وإذا كانت العاقبة في الدنيا والآخرة للمؤمنين المجاهدين، وإذا كانت معيية الله حصنهم، وولايته درعهم، فلا داعي، ولا مبرر لوهن، أو هوان واستخذاء أو رضا بالدون، وإعراض عن المراقبة. ذلك إيحاء قول الله: - «فلا تهنو وتدعوا إلى السلم، وأنتم الأعلون، والله معكم، ولن يتركم أعمالكم، إنما الحياة الدنيا لعب، ولهو ...»

فإذا كانت المراقبة، والمصايرة قدر هذه الأمة المحتوم، فإن في العطایا التي حفلت بها سورة محمد حواجز تهون معها التضحيات. وهل جزاء أُوفىٰ مما ذكر في الآيات: - «كفر عنهم سيناثتهم، وأصلح بالهم»، «سيهدى لهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة...»، «إن تنصروا الله ينصركم...»، «ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا...»، «مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير أسين، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى...»، الخ

وإذا قوبلت هذه المن الموعودة بما حفلت به السورة من كوارث، وأرزاها، تنتظر الآخرين، زادت قيمة ما رُزقوا من نعيم، وعلّت درجة تلذذهم، واستمتعهم بما أتوا. وبهذا يجمع الله لصفاته نعيمين: نعيم الإيجاب الكائن في التنعم بما أتيح لهم، ونعيم السلب الكائن في سعادتهم بنجاتهم من ذلك المصير المشئوم الذي يشقي به الآخرون.

واتساع دائرة البلاء، وشموليته تتجلّيان في قول الله «وهو الذي جعلكم خلائف الأرض، ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما أتاكم...» ولقد أوتينا: العقل، والعلم، والمال، والصحة، والأهل، والأولاد، والمنصب، والسلطة، والخلافة، والجاه، والأخوة، والأصدقاء... الخ وأوتينا القرآن، والسنّة، وبلينا بكل التكاليف الشرعية... أوتينا الدين، والدنيا، وحبينا بنعم لا تختص فتنة، وامتحانا.

والفتنة الكبرى هذا القرآن العظيم الذي اتخذناه مهجوراً، محدود المد، باهت الإرسال، مُعطل القوى، مُقيّد الخطأ بطنّ الحركة هو المصباح، والمرقة، والعدة، والقوّة، والحياة والغاية والوسيلة.

## عبد الرحمن هم الرجال

والأية [وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فَتَنَّا] نفحة فرقانية كريمة وسورة الفرقان - وإن اختلف في مكيتها - تحمل طابع قرآن مكة، وتتفوح من أعطافها أرواح العقيدة .

وأياتها تتمحور<sup>(١)</sup> حول التسرية عن الرسول، والتربيبة من أجل الصمود، والتعريف بجلال المعبود وإنذارهم أهواه اليوم الموعود، وتحذيرهم مثل وقائع الله في فرعون، وأصحاب الرس، وعاد وثمود، والتنديد ب مجرمين عموا وسموا رغم الآلاء، والآيات البينات، ثم رفع صورة نموذجية لعباد الرحمن تنطق بخلالهم، وتصفع عن أحواهم، وسموا مقاماتهم (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَىَ الْأَرْضِ هُوَنٌ، وَإِذَا خَاطَبُوا الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا .....)

فكان هؤلاء النموذجيين هم المهيئون لواجهة البشرية المتمردة المتعنتة، التي تتطاول في تھة، وتجادل - في فظاظة - بالباطل؛ وتتردد في بلاهة إيحاء الشياطين صائحين:

[إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْلَكُ افْتِرَاهُ] [أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَبْنَاهَا] [إِنْ تَتَبَعُونَ إِلَّا بِرِجْلَةِ مَسْحُورٍ] [أَهْذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا، إِنْ كَادَ لِيَضْلِلَنَا مِنَ الْهُدَى لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا ...] [لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبِّنَا ..] [مَا لِهَذَا الرَّسُولُ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيُكَوِّنُ مَعَهُ نَذِيرًا، أَوْ يَلْقَى إِلَيْهِ كَنْزًا أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ...] [لَوْلَا نَزَّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جَمْلَةً وَاحِدَةً] [وَمَا الرَّحْمَنُ].

هكذا ابتلى رسول الله بالجهلة المفتونين فاستمسك بالذى أوحى إليه، وصبر، وغفر، مُمْتَلِأً أمر رب العزة الصبور، الذى يرزق، ويعافى المشركين [وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَلْهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْنَا، وَهُمْ يُخْلَقُونَ، وَلَا يَمْلُكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًا، وَلَا نَفْعًا، وَلَا يَمْلُكُونَ مَوْتًا، وَلَا حَيَاةً، وَلَا نُشُورًا] الفرقان.

إِنَّ اللَّهَ يُمْلِي لِلْمُتَبَسِّينَ بِالشَّرِكِ جَلِيلَهُ وَخَفِيفَهُ «وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ».

والشرك الخفى عمل لغير الله وشهوة خفية . هو إيمان ينخر جوفه الهوى، والرياء، والأثرة، والاستكناة، والخنوع للجبارين، والنفاق، والملق، والعمالة، والفردية الصفراء .... الخ

(١) تتمحور : المراد تدور .

والشرك الخفي أشد التحاما، وتمكنا من ضحيته، وأشد مضايقة بل خنقا للآخرين من الشرك الجلى، ذلك لأن اتخاذ الأنداد لله، وإسقاط صفات المولى، وإلقاء مثل قداسته على غيره سبحانه، خبال، وجهل فوق أن الواقع في الشرك كأنه يسبح ضد تيار الفطرة. فإذا استنقذ بالعلم، ووجه بالأدلة، وعرف بالله رب العالمين اهتز عوده، ووجوده، وتقطعت فطرته مبشرة بيقظة . وموالاته، وتقليله مرة من بعد مرة يجعلانه ألين عريكة، وأسلس قيادا، وأكثر رشدا. هكذا حتى يفك الارتباط بينه وبين الأنداد بلا نزيف ولا آلام.

إلا أن يمنعه من الأوبة إلى حظيرة الفطرة علل منبتها، ومرتعها مراجعيض الشرك الخفي من: - هوى وشهوة، واستكبار، وملائكة، وحسد، وانتهازية ..... الخ

أما الشرك الخفي فإنه يختلط اختلاطا بالكيان كله، ويسرى خلاله سريان السم في الأوصال فلا يصميء: من يرميه، ولا يجدى معه علم ولابرهان. كيف وهو عواء جملة من الذئاب في الأعماق؟ ولذلك كان أشد إزعاجا للسخالطين من الشرك الأكبر. وصرعى هذا الشرك كضحايا ذلك الشرك يعافيهم الله، ويرزقهم، ويرحمهم.... الخ.

ويبتلى بهم إذ يُفُدق عليهم، ويمكن لهم، ويعركزهم موقع تأثير، ومراكن قوة، وحل، وعقد، ويجهل لهم بريقا، وجاذبية كاذبة يُفتنون فيه، ويفتنون به، كالنار تجذب أصحابها إليها بما حُفِّت به من شهوات.

أولئك هم السابلة، رفقاء الطريق الذين ثُفت بهم في كل يوم مرة، أو مرتين، أو مرات ومن هؤلاء الذين لا يُشبعون مما أكلوا، تتخذ العماء، وتحضنن الصنائع، ومنهم يُجرِّد الشيطان كلابا مسورة تَنْهَش، ومنهم يُجند الأعداء غلمانا يطوفون بالشعارات، وبالمبادرات التي تنثث الخدر، فتشيع السكرة وتكثف الغيبوبة وتفسح للصوم مجال السلب والنهب.

هم الخطام<sup>(١)</sup> في أتون البغران<sup>(٢)</sup> وهم الخطم<sup>(٣)</sup>. وهم الرحال على ظهور الجمال و«البرادع» فوق الحمير فما أشقاها، وما أشد فتنتنا بمستنقعات الشرك الخفي!

· بخاري أحمد عبده ·

(١) الخطام: ما يوضع في أنف البعير ليقتاد به

(٢) البغران: جمع بغير

(٣) الخطم: المصيبة الفادحة.

# نفحات قرآن

بقلم: بخارى أحمد، غبده

وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون

## «تحت نير الابتلاء»

الْخَبَدُ - إِذْنُ - غَلَفُ - هَذَا الْإِنْسَانُ، وَوَعَاهُ، وَأَرْضَهُ، وَسَمَّاًقُ «الْقَدْ خَلَقْنَا إِنْسَانًا فِي كَبْدٍ» وَمِنْ كَبْدِهِ أَنْ دَوَامَاتِ الْجَبَلَةِ تَجْتَاهُ، وَتَقَادِفُهُ، وَتَطْوِيهُ، وَتَشْرِهُ، وَتَدِيرُهُ كَخَذْرُوفٍ<sup>(١)</sup> الْوَلِيدُ، وَتَصْبِيهُ بِالْهَاثِ.

وَالْمَوْلَى الَّذِي ابْتَلَى إِنْسَانًا بِتُلُكِ الدَّوَامَاتِ لَطِيفٌ بِعِبَادَهُ، دَنَتْ حَبَالَهُ، وَتَدَلَّلَ، وَتَشَابَكَ فَكَانَتْ أَطْوَاقُ النَّجَاهِ لِكُلِّ مَنْ تَقْرَبَ، وَاعْتَصَمَ بِحَبَالِ اللَّهِ الْمَتَاحَةِ الْبَيْنَةِ، أَمَّا مَنْ تَوَلَّ، وَانْفَصَمْ فَإِنَّهُ يَظْلِمُ دَوَامَاتِ بَصَبِيهِ وَتَدَنِيهِ وَتَعَيِّنِهِ وَتَرْدِيهِ.

الْتَّدْرُعُ بِبَيْنَاتِ السَّمَاءِ هُوَ طَوقُ النَّجَاهِ، هُوَ لَبُوسُ وَرِيشٍ<sup>(٢)</sup>، وَظَلَالٌ ظَلِيلَةٌ. وَهِيَ سَكُنٌ وَسَكِينَةٌ، وَهِيَ سَرَابِيلٌ مُنْيَةٌ تَحْصَنُ، وَتَرْدُ عَادِيَةٌ كُلَّ بَأْسٍ وَتَصْدِ غَائِلَةٍ كُلَّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ.

وَالْمُؤْمِنُ يَسْتَطِيعُ مِنْ مَكْمَنَةِ، بَلْ مِنْ مَأْمَنَهُ الدَّافِئِ بِأَنْفَاسِ الْوَحَيَّيْنِ، يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَقَى شَوَاظٍ، وَشَظَاطِيَا الْفَقَنِ، أَنْ يَأْخُذَ الْأَمْرَ بِالْتَّدْبِيرِ عَلَى مَدِيِّ، أَنْ يَدْعُوا عَلَى بَصِيرَةٍ، أَنْ يَدْفَعُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، وَأَنْ يَصْدُ وَيَرْدِعَ، وَيَكُوِيَ، وَيَحْسُمَ وَفَقَ ما تَمْلِيَ الظَّرُوفُ، وَيَقْتَضِيَ الْحَكْمَةَ، وَهَذَا الْصَّرَاعُ الْمُحْتَدَمُ بَيْنَ أَدْوَاءِ الْأَعْمَاقِ وَالْدَّوَاءِ، بَيْنَ الْقُوَّةِ وَالْمَقاوِمَةِ، هُوَ الْكَبْدُ الْأَكْبَرُ، أَوَّلُ الْجَهَادِ الْأَكْبَرِ الَّذِي ابْتُلَى بِهِ هَذَا إِنْسَانٌ، وَهُوَ صَرَاعٌ يَنْتَصِرُ فِيهِ أَقْوَامٌ، وَيَنْدَحرُ أَخْرَى.

(١) الخذروف: النُّطْلَةُ الَّتِي يَلْعَبُ بِهَا الصَّبَيَانُ      (٢) الريش: الغصب

بَيْدَ أَنْ انتصارِ المؤمنِ المستمسكِ على الأنواءِ الثائرةِ فِي أَعماقِهِ لَا يُعْنِي  
نهايةُ الصراعِ، لَأَنَّ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَتَصَدَّى لِجَحَافِلِ المَدْحُورِينَ الَّذِينَ  
طَوْتُمُ الدَّوَامَاتِ فَوْسَمْتُمُهَا، وَسَلَكْتُمُهُمْ فِي جَنَدِهَا.

وَالتعاملُ مَعَ صُرْعَى الأنْوَاءِ، وَأَسْرَى الدَّوَامَاتِ هُوَ الْمُحْنَةُ، وَالْفَتْنَةُ الْكَبْرِيَّ  
الَّتِي لَا تَتَوقُّفُ رِحَامَهَا، فَتَنَّتِ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالْاِصْطِبَارُ  
عَلَى الْوَعْثَاءِ<sup>(٣)</sup>، وَاللَّذَاءِ<sup>(٤)</sup>، وَالْإِيَّادِ «يَا بَنِي أَقْمَ الصَّلَاةَ، وَأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهُ  
عَنِ الْمُنْكَرِ، وَاصْبِرُ عَلَى مَا أَصَابَكَ، إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأَمْرِ» لِقَمانَ.

١- إِقَامَةُ الصَّلَاةِ شَعَارُ الْمُنْتَصِرِينَ فِي الْمَعرَكَةِ الْأُولَى، وَشَعِيرَتُهُمْ، وَهِيَ  
كَنَاءٌ عَنْ كُلِّ التَّكَالِيفِ الْمُؤْكَدَةِ لِذَلِكَ الْانتِصَارِ.

٢- وَالْأَمْرُ، وَالنَّهِيُّ، وَالصَّبْرُ، وَالعَزْمُ إِشَارَاتٍ إِلَى أَبْعَادِ الْمَعرَكَةِ الْثَّانِيَّةِ،  
وَتَكَالِيفُهَا. فَوْقَ أَنْهَا - بِلَا شَكَ - نَتَائِجٌ حَتَّمِيَّةٌ لِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ. وَاعْتِبارًا  
لِلْجَانِبِ الْاجْتِمَاعِيِّ فِي شَعِيرَةِ الصَّلَاةِ أَمْرَنَا بِالْجُمُعِ، وَالْجَمَاعَاتِ، وَأَلْزَمْنَا  
بِالْفَاتِحةِ الَّتِي نَتَوَجَّهُ بِهَا، وَفِيهَا، إِلَى اللَّهِ بِصِيَغَةِ الْجَمْعِ «إِيَّاكَ نَعْبُدُ، وَإِيَّاكَ  
نَسْتَعِينُ. اهْدِنَا الصَّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ .. الْخُ» وَلَوْ كَانَتْ  
الْقَضِيَّةُ فَرِديَّةً، وَانْحِصَارًا فِي الْذَّاتِ لَنَاجِيَنَا بِضَمَانِرٍ تَعْبِرُ عَنِ الْفَرْدِ.

تَطْلُعَاتُ، وَتَضَرُّعَاتُ جَمَاعِيَّةٍ إِلَى الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، تَنْكِرُ الْأَثْرَةِ، وَتَشْتِي  
بِفَضْلِيَّةِ الإِيَّاثِارِ «وَيَقُولُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ، وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ، وَمَنْ يَوْقُ شَيْخَ  
نَفْسِهِ فَأُولَئِكُمْ هُمُ الْمَفْلُحُونَ»

وَعَاقِبَةُ الْمَسِيرَةِ الْجَمَاعِيَّةِ إِلَى اللَّهِ تَكْرِيمُ جَمَاعِيِّيَّةِ اللَّهِ - فَالْجُزَاءُ مِنْهُ  
جَنْسُ الْعَمَلِ - «يَوْمَ نُحْشِرُ الْمُنْقَنِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًا» مَرِيمٌ «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا.  
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سِيَجِّلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وَدًا» مَرِيمٌ

فَكَانَ هَذَا الْوَدُ الْمُتَمِيزُ، الْمُتَبَادِلُ بَعْضُ قَرِيٍّ<sup>(٥)</sup> الْمُولَى لِعِبَادِهِ الْوَافِدِينَ إِلَى  
رَحَابِهِ. وَهُوَ وَدٌ مِنْ نُوْعٍ جَدِيدٍ مُخْتَلِفٍ عَنْ وَدِ الدُّنْيَا، يُفْرَغُ اللَّهُ فِي قُلُوبِ  
عِبَادِهِ «وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غُلٍ، إِخْوَانًا عَلَى سُرُرِ مُتَقَابِلِينَ»  
الْحَجَرٌ<sup>(٦)</sup>. وَيَوْمَئِذٍ - فَقَطَ - تَتَوَقَّفُ سَيْفُ الْفَتْنَةِ، وَيُرْفَعُ عَنِ كَوَاهِلَنَا نَيْرٌ<sup>(٧)</sup>  
الْإِبْتَلَاءِ.

(٢) الْوَعْثُ: الطَّرِيقُ الْعَسْرُ. وَالْوَعْثَاءُ: الْمَشْقَةُ (٤) الْلَّذَاءُ الشَّدَّةُ (٥) الْقَرِيُّ: مَا يَقْدِمُ لِلْفَسِيفِ

## «وأن هذا صراطى مستقىما فاتبعوه»

والميدان الثانى - ميدان الدعوة إلى الله - نو بعدين:

١- بعد يتمثل في الدعوة إلى الصراط

٢- وبعد يتمثل في الدعوة على الصراط.

والصراط طويل محفوف بمضلات الفتن، ومويقات السبل. ويحدد أثر أخرجه رزين موقوفا على ابن مسعود، ولكن معناه عند أحمد، والنسياني مرفوعا إلى النبي ﷺ [سئل ابن مسعود - رضي الله عنه - ما الصراط المستقيم؟ قال: - تركنا «محمد» في أدناه، وطرفه في الجنة. وعن يمينه جواد<sup>(٧)</sup>، وعن يساره جواد، وثم<sup>(٨)</sup> رجال يدعون من مرّ بهم فعنأخذ في تلك الجواد «الطرق» انتهت به إلى النار، ومن أخذ على الصراط المستقيم انتهى به إلى الجنة. ثم قرأ ابن مسعود (وأن هذا صراطى مستقىما، فاتبعوه، ولا تتبعوا السبل، فتفرق بكم عن سبile) ]

وهو أثر يصور ما في الإسلام من نفع وخير وسداد، وعاقبة محمودة، ويصور ما هو خارج عن حدوده من زيف، وانحراف... الخ

ويمين الصراط رمز إلى طرف الغلو، والتنطع، والإفراط، كما أن اليسار رمز إلى التفريط، والتقصير. وكلما الجانبين منحرف عن السواء موغل في الشطط.

والأثر بإشارته الرمزية إلى اليمين واليسار يحيط بكل ألوان البدع والفتن، والأهواء التي فرقت الأمة ومزقتهم، وجعلت بأنفسهم بينهم. إن أسرار النكبات التي تتواتي علينا تنحصر في ١- مناهج ضالة ٢- وأفكار عليلة منحرفة ٣- وقيادات مضللة تقدم قومها يوم القيمة فتُؤديهم النار، وبينس الورد المورود، والمناهج، والأفكار، والقيادات كلها تطفح فتنة. يُفتن بها الإيجابي المنكر، والسلبي المُفْحَض، والشائع المُغرض والوَقَادُ المجرم، والضحايا الهالكين الأئمَّون، والانتهازيون الذين مردوا على النفاق.

(٦) التير: الخشبة على عنق الثور تذلل وتحكمه

(٧) الجواد: جمع جادة والجاده الطريق . (٨) ثم : بفتح الثاء بمعنى هناك

والدعاة على الصراط أو إلى الصراط قد يَصْدُقُونَ، ولكن أَرَاهُمْ قد تضارب، وأفكارُهُمْ قد تختلف. وأساليبُهُمْ قد تتناقض وخطوطُهُمْ قد تتناكر، ومثل هذه الاختلافات ينبعُ ألا تفسد للود قضية، ولكنها قد تَغْلُبُ فتنًا كقطع الليل المظلم إذا شابتها الأهواء، أو داخلها الرياء، أو طمستها الأنوار. حينئذ تضلُّ الوسائل، وتغربُ الفانية، ويُبْلِي بعضهم ببعض فيتناحرُون، ولا يصبرُون، ويتناقرون، ولا يلتقيون وتدرونهم الحمية، حمية الجاهلية الأولى. وهذه الصورة المقيمة هي البلاء المبين الذي يجثم في كل ركن من أركان شوارع الدعوة اليوم. ذلك والخطر الداهم الماحق يتمطى بصلبه، وأعجازه، وكلله ويکيد كي يجلی، وينفي، ويقتل المقدسات، والوجود، ويصبح معرضنا بالرسول مطالباً بثارات خير، وقريطة، ويني النضير، وقينقاع.

### «تبارك الذي»

رسول الله ﷺ منذ حُمِّلَ ما حُمِّلَ، مضى - بشق الأنفس - يشق عباب البشرية الضالة المجندة في أهوائها، وغفلاتها، وضلالاتها. وسار وَيَنْدَا، يواجه العنت، واللجاج، والطابول الواقع، والحمامة الرعناء.

المقام إذن مقام إيواء، وتسوية، وإيناس، وتهوين، وعون على مواصلة المسيرة، لضئيلة في الجو العابس المكفر.

وتحقيقاً لهذا الهدف بدأت السورة بالحديث عن المولى العلى الحكيم الذي لا يُحَدَّ مده، ولا يتناهى جلاله، ولا يقف عند حُكمَالـ«تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً. الذي له ملك السموات والأرض، ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك، وخلق كل شيءٍ فقدره تقديرًا».

### «إن هم إلا كالأنعام»

هذا في عز العبودية، ونور القرآن، ودفء التوحيد، يمضى محمد مستشعراً الأمْنَ، موقناً أنه يأوي إلى كنف عزيز، حليم. يدعون له الولد ويعافيهُم، ويرزقُهم، ويتخذون من دونه الآلة، ويستبقيهم، وينفعُهم. يجعلون له الأنداد، ويمتعُهم، ويملى لهم، ويؤخرُهم إلى أجل محدود، محدود، يوم يأتي لا

تكلم نفس إلا بإذنه. [وَيَوْمَ يُحَشِّرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَنْتُمْ أَضَالُتُمْ عِبَادِي هُؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلَّلُوا السَّبِيلَ. قَالُوا سَبَّاحَنَا مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَخَذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أُولَى إِلَاءٍ، وَلَكُنْ مَتَعْتَهُمْ، وَأَبَاهُمْ حَتَّى نَسَوا الذِّكْرِ وَكَانُوا قَوْمًا بُودَا] الفرقان ١٧، ١٨. وَيَنْفَذُ بِهِ الْقُرْآنُ إِلَى دُخُلَتِهِمْ، وَيَهُوَنُ عَلَيْهِ أَمْرُهُمْ حَتَّى لَا يُفْتَنُ بِضَخَامَةِ الْأَعْضَادِ، أَوْ يَفْتَرُ بِجَسَامَةِ الْأَعْوَادِ، وَهَبَّةِ الْأَجْسَادِ [أَرَيْتَ مِنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ، أَفَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا، أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ، أَوْ يَعْقُلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا] الفرقان ٤٢، ٤٤.<sup>١</sup>  
وَإِنْ كَانُوا أَنْعَامًا، وَأَضَلُّ فَمَا أَحْرَى مُحَمَّداً أَنْ يُبَشِّرَ بِطُولِ سَلَامَةِ الْأَنْعَامِ تَرْغُورِ رَغَاءِ الْإِبْلِ، يَتَخُورُ خَوَارِ الْبَقَرِ، وَيَشْغُلُ ثَغَاءَ الْفَنَمِ ثُمَّ تَخْمَدُ، أَوْ تَهْمَدُ، أَوْ تَخُورُ، مَذْبُوحَةً، مَنْحُورَةً.

وَإِنْ كَانُوا أَنْعَامًا، وَأَضَلُّ فَإِنْ قَالُوهُمُ الْمُفْتَرَاهُ، وَأَمْثَالُهُمُ الْمُنْتَقَاهُ لَنْ تَعْنُو أَنْ تَكُونُ ثَغَاءً، أَوْ رَغَاءً أَوْ خَوارًا، فَمَا أَهْوَنُهُمْ. وَفِي طَرِيقِ تَحْقِيقِ سَذاجَتِهِمْ، وَتَأْكِيدِ هُوَانِهِمْ، تَوَرُّدُ السُّورَةِ - سَاحِرَةً - مِنْ مَطَاعِنِ الْكُفَّارِ، وَتَسْوِقُ مِنْ جَهَالَتِهِمْ وَسَفَاهَتِهِمْ مَا تَسْوِقُ، ثُمَّ تَنَدَّدُ بِفَفْلَتِهِمْ، مُسْتَنْكَرَةً اِنْصَارَهُمْ عَنِ الْحَقِّ الْأَبْلَجِ، إِلَى الْبَاطِلِ الْلَّجْجِ، وَالْجَوَادِ الْمُضْلَلِ «انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ، فَضَلُّوا، فَلَا يُسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا» الفرقان ١٠.

طَوْتُهُمُ الْفَقْلَةُ الْعَمِيَاءُ، وَالْغَافِلُ مَطِيَّةُ الشَّيْطَانِ: يَتَخْبِطُهُ، وَيَسْتَهْوِيهِ، وَيُشَكِّمُهُ بِشَكِيمِ الْخَيْالِ، فَيَنْطَلِقُ أَخْرَقُ أَحْمَقٍ يَعْزِفُ أَحَانَ الْكُفَّرَ عَلَى دَقَاتِ طَبِولِ الشَّيَاطِينِ، وَيَظْلِمُ يَنْعَقُ بِمَثَلِ: «إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ» «أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ» اَكْتَبَهَا فَهِيَ تَمْلِي عَلَيْهِ بَكْرَةً وَأَصْبِلَاهُ «لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ جَمْلَةً وَاحِدَةً» «أَمَّا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا، إِنْ كَادَ لِيَضْلُّنَا عَنِ الْهَتَّنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا» «وَمَا الرَّحْمَنُ أَبْسِجَدَ لِمَا تَأْمَرْنَا»

وَالْمُتَمَعِنُ فِي قَوْلِ اللَّهِ: «انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ» يَحْسَنُ أَنَّ الْجَملَةَ تَشَيَّعُ بِالْأَزْدِرَاءِ الْبَالِغِ، وَتَقْصُحُ عَنِ سُخْرِيَّةِ وَاسْتِصْفَارِ: وَلَا عَجَبٌ فَقَدْ جَاءَتِ الْأَيَّةُ تَعْقِيَّا عَلَى تَسْأُلِ أَرْعُونَ مَعْتُوهُ يَنْمُّ عَنِ ضَحَّالَةِ، وَضَالَّةِ، وَجَهَالَةِ. «وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ، وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ، لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلِكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا، أَوْ يَلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ، أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا، وَقَالَ الظَّالِمُونَ

إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً» الفرقان ٧ وهؤلاء حين ينظرون هذه النظرة الفاقدة يكفرون بقدرة الله الغنى الحميد، وبالبعث، والنشور، والجنة، والنار. والرُّدُّ البليغ في مواجهة هذا الكفر تقديس رب العالمين، وتتنزيهه والثناء عليه بما أشئ، على نفسه [تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك...][تبارك الذي جعل في السماء يروجاً...][تبارك الذي نزل الفرقان على عبده]

### «بل كذبوا بالساعة»

إنهم يريدونه «ملكاً» سماوياً لا يتعاطى، ولا يفرز، ولا يشتهر، ولا يتمتهن نفسه بالمشي في الأسواق فالأسواق منتدى الشياطين.

وترديد الكفار لمثل هذه القالة قد يكون فتنة، وقد يورث إحباطاً واتقاءً لهذا يتدارك الله الرسل، ويکفل لهم الصحة النفسية، ويدرك فيهم روح المغالبة والصمود بمثل ما جاء في سورة هود: - [فللعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز، أو جاء معاً ملك، إنما أنت ذنيب، والله على كل شيء وكيل].

إن الدعوة إلى الله ابتلاء، وطنطنة المشركين بالغثَّ الهراء من القول ابتلاء، والرسل إذ يهتمون بمثل هذا، ويتأثرون، يحسبون حساب آخرين يشتهون الخير، ولا يستغفرون عن زينة الله التي أخرج لعباده، والطيبات من الرزق. فهؤلاء قد يجدون في أنفسهم صدى لتلك التساؤلات، ويتمنون - ولا سيما لرسول الله - الرغد، وطيب العيش، والاستقرار الاقتصادي.

ولقد حاك في صدر عمر رضي الله عنه شيء من هذا، وأثر عنه أنه قال: دخلت على رسول الله فإذا هو مضطجع على رمال، حصير، ليس بيته، وبينه فراش، قد أثر الرمل بجنبه، متكتئاً على وسادة من أدم حشوها ليف، قلت: يا رسول الله، ادع الله فليوسن على أمتك فإن فارس، والروم قد يسع عليهم، وهم لا يعبدون الله. فقال: أو في هذا أنت يا ابن الخطاب. أولئك توجه عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا" متفق عليه.

وأعمر الذي يؤمن بالأخرة كل الإيمان سراغن ما وجد في هذا الرد النبوى الحكيم الشفاء والغناء أما أولئك فائئ لهم أن يتتجاوزوا أقطار هذه

الدنيا ويروا ما وراعها بآبصارهم العليلة الكليلة، ولا إيمان، ولا سلطان.  
ذلك سر قول الله فيهم [بل كذبوا بالساعة، وأعتقدنا لمن كذب بالساعة  
سعيرا]

## «الثراء والأسواق والفكر السقيم»

والثراء ليس بالضرورة استقرار. بل طالما أورثت الثروة القلق، وهيجت النّهم، وأصابت بالتّوتّر، والتفكير المضني في تتبع الأسعار، ووسائل الحفاظ، وفي أساليب التوليد والتّثمير، وانتظار العوائد، والتخطيط للمتعة المرتقبة، ويوم الرّبنة. هكذا حتى يزهق الأجل أنفاس كل أمل.

والأسواق - كذلك - ليست بالخبريرة شرا لكل الناس. فمن الناس من ينبهر، وينحدر، ويغش، ويستغل، ويطفّف، ويُخسر، ويُغُرّ ويُغري ويندمج فلا يُصنّف لأذان، ولا يأبه بصلة ولا يؤدي حَقّاً.

وفي الأسواق صنائع الإيمان، المتعالون على إغرائها، وشدها، ومدّها، يُوقّون كما يستوفون، وينصحون، ولا يخدعون، يقيمون الوزن بالقسط، ولا يخسرون، ويروحون، ويغدون بين السوقـة نماذج طيبة، ومصادر إشعاع. وهكذا الرّسل، كل الرّسل «وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنّهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق»

والرسـل - فوق ذلك - يهـيـئـونـ لهم الصـفـقـ فـيـ الأسـوـاقـ سـبـيلـ الـاحـتكـاكـ بالـنـاسـ، وـالـأـشـيـاءـ، وـيـوـفـرـ لـهـمـ الـخـبـرـةـ، وـمـعـرـفـةـ النـاسـ، وـيـكـسـبـهـمـ كـيـاسـةـ، وـحـسـنـةـ سـيـاسـةـ.

وحركة الرّسل بين الناس في الأسواق حرّكة بالدعوة، وللدعوة. والدعوة المنطلقة المتحرّكة أشد تأثيراً من الدّعوة الحابية، القاعد أهلها

إن ما انكروه على الرّسـلـ سـنـةـ وـأـمـرـ طـبـعـىـ، وـمـاـ اـقـتـرـحـهـ عـلـيـهـ تـنـطـعـ، وـتـعـنـتـ، وـفـكـرـ هـوـىـ. وـالـذـيـنـ يـمـارـونـ فـيـ السـنـ، وـيـنـكـرـونـ الـبـدـهـيـاتـ، وـيـمـارـونـ فـيـ الـحـيـوـيـاتـ أـجـدـرـ أـلـاـ يـؤـبـهـ بـهـمـ، وـأـلـاـ يـعـطـواـ أـكـثـرـ مـنـ حـجـمـهـ الـقـسـيـ، الـذـيـ لاـ يـشـكـلـ عـقـبـةـ، وـلـاـ يـشـلـ حـرـكـةـ، وـلـاـ يـوـقـفـ عـجـلـةـ الدـعـوـةـ الـدـائـرـةـ (قلـ مـاـ يـعـبـوـ بـخـارـىـ اـحـمـدـ عـبـدـ بـكـمـ رـبـىـ لـوـلاـ دـعـاؤـكـمـ).